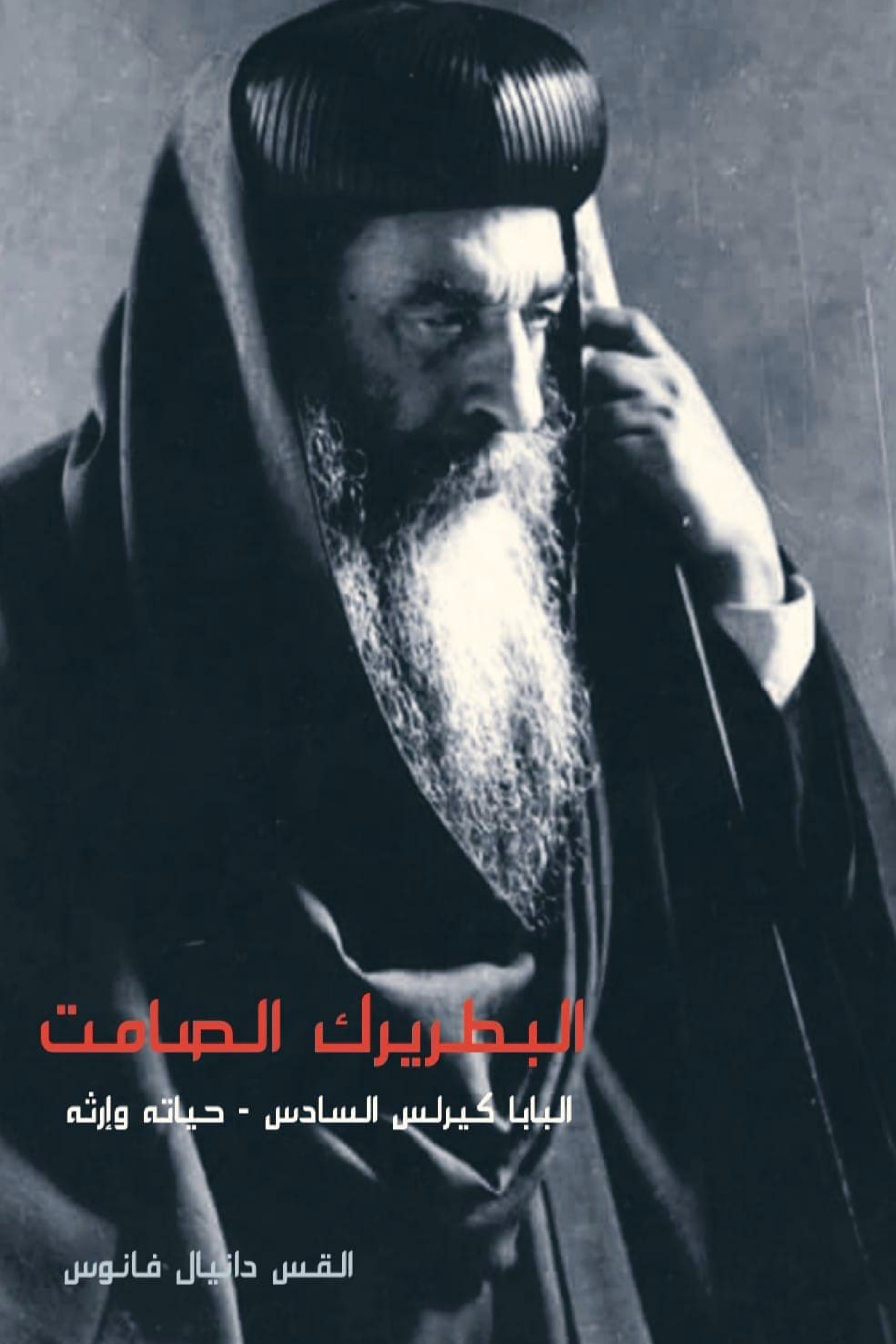


البطريرك الصامت

البابا كيرلس السادس - حياته وإرثه

القس دانيال فانوس

البطريرك الصامت

البابا كيرلس السادس

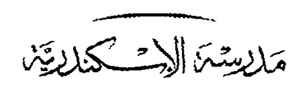
حياته وإرثه

Fr. Daniel Fanous

القس دانيال فانوس

ترجمة

جيهان غبريال



فهرس المحتويات

إلى أطفالي كلوي ولوقا وميا:

أتمنى أن تنفتح أعينكم على المعنى الكامن في الأيقونات

تقديم البابا تواضروس الثاني

كان البابا كيرلس السادس؛ البطريرك الـ ١١٦ من بطاركة الكرسي الرسولي بالإسكندرية، شخصًا ذا مكانة روحية عظيمة، عاش أعماق الحياة الرهبانية وحياة الصلاة المتواصلة وتميز بالفكر الروحي الأصيل والإيمان والفضائل الظاهرة، ويشهد له تاريخ حياته بمكانة مشهودة كراهب وبطريرك. لقد ظهرت السيدة العذراء خلال فترة بطريركيته في كنيستها بضاحية الزيتون بالقاهرة وظلت تظهر بصورة مذهلة لأكثر من عامين. وقام أيضًا بإعادة رفات القديس مرقس الرسول والشهيد الطاهر من روما، بالإضافة إلى إنشاء أكبر كاتدرائية في الشرق الأوسط في القاهرة.

وقد حصلت أنا شخصيًّا على بركة خاصة حيث كانت أخته السيدة شفيقة مديرة المدرسة القبطية في دمنهور، والتحقت أنا بهذه المدرسة الابتدائية (١٩٦٠-١٩٦٤)، وعندما كنت أؤدي الامتحانات النهائية (١٩٦٩/١٩٧٠) حصلت والدتي على بركة خاصة من البابا كيرلس السادس وصلاة من أجل مستقبلي، وكان هذا مصدر بهجة شديدة لأسرتي! بعد أن أصبحت بطريركًا في نوفمبر ٢٠١٢، قمنا في الاجتماع الأول للمجمع المقدَّس في عام ٢٠١٣، بإعلان قداسة البابا كيرلس السادس بعد اثنين وأربعين عامًا من رحيله وأنا أعتبر هذه بركة خاصة في السنة الأولى من خدمتي كبطريرك.

نطلب صلاته وشفاعاته من أجلنا، وأشكر القس الدكتور دانيال فانوس على هذه الدراسة المهمة، والتي أعتبرها إضافة علمية ومتميزة لتاريخ كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

خالص حبي وامتناني،

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

القاهرة في ١ يونيو ٢٠١٩

عيد دخول السيد المسيح إلى مصر

الاختصارات

BBG منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس [عربي]. ٣ مجلدات. القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس ٢٠٠٥.

BDC بين الصحراء والمدينة: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اليوم. تحرير نيللي فان دورن هاردر وكاري فوجت. يوجين، OR: Wipf & Stock، ٢٠١٢.

CE الموسوعة القبطية تحرير عزيز سوريال عطية. ٨ مجلدات مع ترقيم مستمر. نيويورك: ماكميلان، ١٩٩١.

FRC-1 وFRC-2 مجموعة أبونا رافائيل، الجزء الأول، ومجموعة أبونا رافائيل، الجزء الثاني. محفوظات مراسلات البابا كيرلس؛ راجع "ملاحظة حول المصادر" في بداية قائمة المراجع.

HS ميناء الخلاص، دورية كتبها وحررها البابا كيرلس عندما كان الراهب مينا البرموسي.

NPNF 2 آباء نيقية وما بعد نيقية، السلسلة الثانية. حرره فيليب شاف وهنري وايس. طبع، بيبودي، ماساتشوستس Hendrickson Publishers، ١٩٩٥.

RC-1 وRC-2 مجموعة رضا، الجزء الأول (٢٠١٥)، ومجموعة رضا، الجزء الثاني (٢٠١٦). أرشيف مراسلات البابا كيرلس؛ راجع "ملاحظة حول المصادر" في بداية قائمة المراجع.

SSC مجموعة القديس الأنبا صموئيل. أرشيف مراسلات البابا كيرلس من دير القديس الأنبا صموئيل؛ راجع "ملاحظة حول المصادر" في بداية قائمة المراجع.

مقدمة

لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ

كولوسي ٣: ٣

"يؤانس مطران الجيزة..." صرخ الرجال وهم يطرقون بشكل محموم على أبواب البطريركية "لقد تمزق المطران يؤانس إلى أشلاء على قضبان قطارات القاهرة!" فتح الحارس داود الأبواب ليجد نفسه مقيدًا؛ فقد قام الرجال بتقييد الحراس القريبين وإسكات الخدم، وعم البطريركية الارتباك. استيقظ البابا يوساب الثاني من مكانه بعد أن أيقظته الضجة وهو في حيرة من الدهشة وعدم التصديق، ونظر إلى مختطفيه؛ لقد أُجبر البابا يوساب على التوقيع على الاستقالة قبل أن يتم دفعه بعنف في سيارة أجرة كانت تنتظر أمام المقر، ولم ينج إلا بصعوبة من الطلقات النارية - كما جاء في تقرير سرى - من قوات الأمن التي قامت بالمطاردة. في تلك الليلة التي توافق ٢٤ يوليو ١٩٥٤، تم اختطاف البطريرك المسن في حدث غريب من نوعه.

عندما عثرت عليه الشرطة في نهاية المطاف في دير في مصر القديمة، بدا أن المجمع يتعامل مع الحادث بشكل غامض وبعد مضى عام "أعفوا" يوساب من واجباته وتم نفيه إلى دير في الصحراء. ولمدة أربع سنوات لم يكن هناك بطريرك. وكان المنفى لحظة مأساوية للغاية في تاريخ الكنيسة القبطية - ولكنه كان في الوقت نفسه تلخيصًا وتجسيدًا للواقع الفعلي خلال نصف القرن المنقض. كانت تلك اللحظة مؤلمة للغاية لدرجة أنه تم تجاهلها في الغالب عن عمد، ونادرًا ما يتم التحدث عنها، أو (كما هو متوقع إلى حد ما) تم تناسيها كنوع من الممارسة التقوية.

ومن هنا، للأسف، يجب أن تبدأ هذه القصة. إن إنكار أو نسيان أو تجاهل هذه الفترة الحزينة - التي ربما كانت ستدمر المسيحية في مصر - يعتبر إجحافًا في تقدير التحول الجذري الذي حدث في الكنيسة قبل وبعد البابا كيرلس السادس (١٩٠٢-١٩٧١). فقد ورث البابا كيرلس من سلفه المختطف والمنفي فيما بعد كنيسة محطمة تبكي وتنزف بغزارة، ومع ذلك، بعد اثني عشر عامًا فقط، قام البابا كيرلس بثورة روحية شبه مستحيلة. بداية الأمر كانت في مغارة عميقة داخل الصحراء واستمرت في منزل صغير متواضع في مصر القديمة، وانتهت بتحول كنيسة بأكملها. إنها، على حد علمي، واحدة من الثورات الروحية الأكثر عمقًا وجمالاً وانتشارًا في تاريخ المسيحية منذ العصر الرسولي. هذه هي قصة البابا كيرلس السادس، البطريرك غير المُتوقَع، المتوحد الصامت في المدينة.

أنا مقتنع تمامًا أنه لا أحد يعرف شيئًا عن الحياة الخاصة للبابا كيرلس، ولا حتى أقرب تلاميذه. إلى أي مدى يمكن لأي شخص أن يعرف رجلاً كان صامتًا تقريبًا، وعاش بهدوء مستغرقًا في الصلاة والليتورجيا على الدوام؟ حتى أولئك المقربون له يصرون على أنهم لم يعرفوه على الإطلاق. لم يكن البابا كيرلس يتكلم عن أموره الخاصة مع أي أحد؛ ماعدا أب اعترافه، ولجأ إلى مكان واحد فقط وهو المذبح، فقد ظل هناك يوميًّا لمدة نصف قرن، حتى عندما أصبح بطريركًا مسنًّا، ظل مختبئًا، صامتًا، ولا يعرفه إلا إلهه.

هذه هي الصعوبة الرئيسة في كتابة هذه السيرة النقدية، والضرورة المطلقة وراء كتابتها. سنوات الصمت تعني أن الأمور التي كانت علنية وواضحة فقط ويمكن ملاحظتها، هي التي شكَّلت صورة البابا كيرلس السادس بما فيها عشرات الآلاف من المعجزات، التي لا يمكن تفسيرها، التي حدثت على يديه. لقد تم الاعتراف بقداسة البابا كيرلس في ٢٠ يونيو ٢٠١٣، بعد اثنين وأربعين عامًا من نياحته، وتم إصدار حوالي ثمانية عشر مجلدًا عن المعجزات، ولكن حتى الآن، لم يُعرف سوى عدد قليل من كتاباته ورسائله، ولم يتم تقديرها ودراستها.

وأساقفة آخرين. أنا متأكد من أن تبييض التاريخ كان سيكفي بالنسبة لكثير من قرائي، وكان يجب نسيان الأيام المؤلمة، وتجاهل الأحداث الفاضحة، وكان يجب إعادة تأهيل أولئك الذين تآمروا ضده للحفاظ على ذاكرتهم الورعة. لكن لا يمكنني التفكير في مدى الظلم الفادح الذي حدث للبابا كيرلس؛ فقد وُلِد، وتشكَّل، ورُسم، وكُرس في فترة من أشد فترات الكنيسة قتامة. إن محاولة ترتيب صفحات التاريخ معناها أن تظل جاهلاً بحياة البابا كيرلس، فقد عاش في معاناة واخلاء للذات وحمل الصليب بالنسبة لأولئك الذين قد يعترضون ويفضلون رواية أكثر هدوءً عن حياته، متناسين في الوقت الحالي أنها ستكون غير صحيحة تاريخيًّا وغير حقيقية، لا يمكنني إلا أن أسأل بلطف مَنْ في الحالتين سيكون أكثر عمقًا، وبنيانًا، وتغييرًا: أن يكون البابا كيرلس بطريركًا قديسًا في كنيسة سليمة وقوية ونقية، أم أنه كان بطريركًا قديسًا شَفى وغيَّر كنيسة متألمة ومحمومة؟ أو بعبارة أخرى، هل يمكن للإنسان أن يجرؤ على التفكير في القيامة دون الصليب؟

أنا مقتنع بأن اللاهوت يكون مقنعًا وملموسًا بشكل أكبر، وُيمكن رؤيته بصورة أفضل في حياة أولئك الذين عاشوا اللاهوت بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة؛ أى اللقاء مع الله. في تقديري، إن السيرة الذاتية هي أعظم علوم اللاهوت، لأنها لاهوت متجسد. ولهذا السبب بلا شك يحتل القديسون بالنسبة للمؤمن العادي مكانة لا تُقدَّر بثمن في حياة الكنيسة. وهكذا، لكي تكون الحياة لاهوتًا، يجب أن تكون صحيحة من جميع النواحي، ولكن هناك أسباب أخرى.

لقد حددت الدراسات الحديثة (كما سنرى في الفصل ٩) طبيعة الإصلاح الكنسي - على سبيل المثال، تلك الخاصة بلادنر Ladner أو كونجار Congar- أن الفكرة المسيحية الأولى للإصلاح، سواء في العهد الجديد أو عصور آباء الكنيسة، هي فكرة الإصلاح الشخصي القائم على النسك، وليس الإصلاح المؤسسي؛ لأن معاني الإصلاح الأصيلة والمسيحية تبقى في نهاية المطاف في جوهرها شخصية، بمعنى أن يسعى الإنسان ليكون على صورة الله الذي هو المسيح، ولذلك أي تفسير يمكن

أقدم فكرة مسيحية عن الإصلاح (والتي أصبحت الآن منسية إلى حد ما)، وهي فكرة الإصلاح الشخصي القائم على النسك، والتي تبناها البابا كيرلس كوسيلة فريدة لتخطى النطاق التقليدي لتأثير النسك. هذا الفصل يركِّز على الشخصية بشكل مكثف؛ لأنه يتتبع علاقة البابا كيرلس وتعاملاته مع تلاميذه المشهورين. وتختتم السيرة بالفصل العاشر، الذي يتكلم عن الظهورات غير المسبوقة لوالدة الإله في الزيتون ومعناها لكل من البابا كيرلس والأمة المصرية، وينتهي الكتاب باللحظات الأخيرة من حياة البابا كيرلس الرائعة ورعايته المستمرة للكنيسة.

على الرغم من كوني كاهنًا قبطيًّا أرثوذكسيًّا ومعي رسالة من البطريرك الحالي؛ البابا تواضروس الثاني، الذي شجعني جدًّا بخصوص بحثي هذا، ما زلت أجد مصر مكانًا لا يمكن فهمه؛ ومن دون مبالغة، يبدو أن في مصر تندمج الحقيقة والزيف والتخيلات والخيال مع بعضها بشكل غير مفهوم (وهزلي). في سعي وراء الرسائل والكتابات الأصلية القليلة من يد البابا كيرلس، وعلى أمل أن أجد مصادر أولية أخرى وإن كان محاولة إيجادها شبه مستحيل؛ أخذتني رحلتي من دير مارمينا في الصحراء الغربية، إلى منزل عائلة البابا كيرلس في مدينة الإسكندرية الصاخبة، إلى المحفوظات البطريركية الخفية في القاهرة، إلى دير القديس الأنبا صموئيل على بعد حوالي مائتي كيلومتر إلى الجنوب، وكذلك من خلال عدد لا يحصى من الأديرة والأبروشيات والقرى والمنازل.

لقد اكتشفت في مصر طريقة معينة للعمل، وقد يكون أفضل وصف لها بأنها "الطرق السبع". كان كل اكتشاف إلى حد ما معجزة. على سبيل المثال، شجعت ذات مرة قريبًا عزيزًا للبابا كيرلس على أن يتنازل عن مجموعة محبوبة من الرسائل؛ على الرغم من نفيه المستمر لوجودها وبعد تأكيدات متكررة، وبعد ساعات وبعد أن قمت بتجربة سبعة طرق مختلفة لإقناعه، أفشت زوجته فجأة عن محتويات هذه الرسائل ومكان وجودها. وقابلت في مناسبة أخرى راهبًا مباركًا وكبير السن في صحراء غرب الإسكندرية، على الرغم من أن هذا الحدث لا يمكن أن يكون منصفًا للواقع،

واستجوبته بلطف حول إمكانية وجود رسائل أخرى. لم يكن من المستغرب أن الراهب أصر على أنها قد تلفت. وبعد أن استخدمت لاحقًا سبع "طرق"، حفر الراهب وأخرج مئات الرسائل من الأرض، بالإضافة إلى نسخة سليمة من السيرة الذاتية الأصلية للبابا كيرلس، كنت أرتجف وأنا أفكر ماذا سيكون مصيرها النهائي لو لم يتم اكتشافها، يتم ترك كنزٍ لا يقدر بثمن من الوثائق لتتعفن، أو الأسوأ من ذلك يتم ببساطة نسيانها. في صباح يوم آخر، ومرة أخرى ودون مبالغة، جلست في القلاية القديمة للبابا كيرلس في دير القديس الأنبا صموئيل، كنت أشرب القهوة وأنا أتفاوض من أجل أن أدخل وكنت أتحدث عن طريق هاتف يعمل بالقمر الصناعي على بعد ساعة واحدة على قمة جبل. وكنت أؤكد أن كسر قفل القلاية التي تم وضع المفتاح الخاص بها في غير مكانه لم يكن تدنيسًا للمقدسات؛ توسلت واستجديت (وطالبت أحيانًا) بسبع طرق مختلفة، بعدة لغات، قبل أن ألحظ في نظرة خاطفة، على الرغم من الاحتجاجات المقلقة، ركن غرفة متواضعة بها كومة من الوثائق، في أسفلها تقريبا مئة، أو ما يقرب من ذلك، من رسائل للبابا كيرلس لم يسبق رؤيتها أبدًا. وهذا مجرد تلميح مرة أخرى إلى شدة تلك اللحظات وطولها واليأس الذي تملكني أثنائها. ومن حين إلى آخر كانت هناك مغامرات في الصحراء، ومتاهات في الطريق في كثير من الأحيان، وجدران من الصمت، ورهبان معيقون، ولقاءات مع رجال ونساء قديسين حقيقيين، ومقابلات رائعة مع أولئك الذين عاشوا مع البابا كيرلس، وفرحة متجددة لن تغادر قلبي أبدًا.

منذ اللحظة التي بدأت فيها تلك الرحلة، كان يرافقني راهب اسمه أبونا فليمون الأنطوني؛ كان يقف بجانبي ويقوم بالقيادة ويتألم ويترجم ويتوسل معي. لا توجد كلمات تصف حبي وشكري له. لن أنسى أبدًا مغامراتنا ومحادثاتنا واكتشافاتنا ونوبات الضحك الهستيرية التي لم يكن يمكن السيطرة عليها. كان هذا العمل مستحيلاً من دونه. وفي معظم تلك الرحلة، انضم إلينا راهب آخر، هو أبونا أنطوني الشنودي، الذي كان أول من اقترح علي هذه الدراسة الحالية منذ عدة سنوات، ولذا

بدأت في جمع مصادر لا تقدر بثمن قبل أن ألتزم بهذا المشروع، أيضًا هناك عدد لا يحصى من الآخرين الذين ساعدوني معنويًا وماليًّا وأكاديميًّا وروحيًّا، مثل تيري لوفات، ونيللي فان دورن هاردر، وكاثلين ماكفيليبس، والأب تشاد هاتفيلد، والأب بنديكت تشرشل، والأب أغناطيوس جرين، ونبيه فانوس، ومنى فانوس، وأبونا صموئيل قلدس، وإليزابيث أوليفر، وأبونا بول فانوس، وأبونا أنطونيوس قلدس، وأبونا روفائيل آفامينا. و"رضا" مرقس عطا، وأبونا تادرس يعقوب ملطي، وآخرون مثل أبي الروحي؛ أبونا يعقوب مجدي، الذي رأى فيَّ دائمًا أشياءً أشعر أنى لا أستطيع تحقيقها، وشجع دائمًا طرقي غير التقليدية.

سأظل دائمًا مدينًا لزوجتي الجميلة؛ شيري، التي، وأنا على يقين من ذلك، لا تزال غير نادمة على زواجها بي. أخيرًا (والأخير سيكون الأول)، أود أن أشير إلى سيدة مبهجة لا تعرف الكلل، قابلتها في ظروف غير متوقعة تمامًا، وقد منعتني لعدة سنوات من ذكر اسمها، قامت بترجمة آلاف الصفحات من الوثائق بدقة، ودون مقابل من أجل أن تساعدني في بحثي. عزائي الوحيد في حزني على أني لا أستطيع ذكر اسمها هو أنني شاهدت فرحتها التي لا تُوصف لكونها أول شخص يقرأ منذ نصف قرن رسائل شفيعها المحبوب.

وفي ختام حديثي، أود أن أذكر شيئين أخيرين يشغلانني: هذه الرسائل والوثائق والسجلات والدفاتر والمذكرات والتقارير، والتي لم يتم رؤية بعض منها على الإطلاق (بأي لغة)، وظلت مخفية لمدة نصف قرن، تمثل نافذتنا الوحيدة على الحياة الخفية للبابا البابا كيرلس.[1] إنها تقدِّم كشفًا نادرًا للغاية عن حياته الشخصية، ورؤيته، وفكره، وصراعاته. وبالتالي، سيكون الشغل الشاغل للكثيرين هو ما إذا كان هناك أي تعارض بين صورة البابا كيرلس التي تظهر من المصادر الأولية (غير المعروفة) والمصادر الثانوية (المعروفة). فهل تتفق الخطابات مثلاً مع السيرة التي كتبها أخوه؟ أو هل سنجد في هذه المصادر بابا كيرلس "مختلفًا"؟

يبدو أنهم يتفقون في معظم الأجزاء،[٢] هذا ليس شيئا مفاجئًا. فقد تمكن شقيق البابا كيرلس؛ حنا يوسف عطا، وتلميذه الأخير؛ أبونا روفائيل آفامينا، من الوصول إلى العديد من هذه الرسائل (في الواقع، كانا الوصيَّيْن الوحيديْن عليها)، ولا شك في أنهم استفادوا منها أثناء كتابة إصدارهما عن السيرة الذاتية للبابا كيرلس.

ولكن، الأهم من ذلك، هو أن كلاً منهما كان لديه مجموعة معينة من الخطابات - وليس كل المصادر الأولية الموجودة (أو المكتشفة على الأقل).[٣] ستسعى هذه السيرة، بالتالي، إلى الجمع بين هذه المصادر المتنوعة وغير المعروفة في الغالب التي كتبها البابا كيرلس - وأتمنى أن يكون هذا السرد مألوفًا إلى حد ما، وجديدًا في الوقت نفسه، إن لم يكن في بعض الأحيان غير متوقع.

كان الخوف الثاني وربما الأكثر إلحاحًا لأولئك الذين "تم تشجيعهم" على أن يتنازلوا عن هذه الوثائق الرائعة هو أنه يمكن العثور على حدث أو مرجع أو مشكلة أو ذكر لشيء ما مخفي بداخلها من شأنه تشويه سمعة البابا كيرلس. لا يمكنني أن أرد على هذا الموضوع، إلا بعد فحص في كل كلمة مكتوبة في الرسائل والمذكرات والوثائق، وإجراء مقابلات مع العشرات من شهود العيان ذوي الاتجاهات المختلفة. وأنا ليس لدي سبب للكذب؛ فلم أجد حدثًا واحدًا من هذا القبيل. حسب الأدلة التي معي، كان الرجل قديسًا بكل معنى الكلمة.

كان لدي سبعة طرق للوصول إلى عالمه، لكن يبدو أن البابا كيرلس كان لديه طريقة واحدة فقط؛ الصلاة. وهكذا، على الرغم من أنني مُنحت هذه الهدية المتمثلة في رؤية شيء من حياته الداخلية، يبدو لي، بلا شك، كنقطة نهاية مختفية، أنه لا يزال هناك سمو وعمق ما؛ أسرار خفية للبابا كيرلس. وهذا لا يرجع فقط إلى تفضيله المتواصل للصمت، ولا إلى هروبه الدائم إلى الوحدة حتى أثناء إقامته في المدينة.

ولكنني أشعر - وربما يكون هذا هو الشيء الأكثر أصالة الذي يمكنني قوله - أن الرجل قد يكون معروفًا ومُدرُوسًا ويقدره بشكل مناسب أولئك الذين اتبعوا طريقه. وليس بالضرورة عند الذين اختاروا طريق حياة الوحدة في الرهبنة، ولكن

الذين اختاروا طريق الحياة المنفردة، الهادفة؛ حياة الالتصاق فقط بالله؛ طريق الاختفاء، والسكون، والتصاغر، وأن يكون الإنسان مجهولاً للجميع ماعدا الله. إذا كان هناك خطأ واحد في هذه الدراسة (بخلاف أي خطأ آخر، وهو قد يكون خطأ مني بالطبع)، فهو: شعوري بالعجز الشخصي وضعفي في عدم مقدرتي على السير في هذا الطريق، وبخصوص هذا الموضوع، أطلب الصلاة والمغفرة.

الحواشي

[١] آمل أن أنشرها كمجلد ثان، مجموعة محررة من الرسائل والأعمال.
[٢] سيتم التعامل مع هذه الاختلافات بين المصادر الأولية والثانوية - بالإضافة إلى نقاط الإجماع - ضمنيًّا (وفي بعض الأحيان بشكل صريح) في جميع أنحاء هذه الدراسة، في بعض الأحيان داخل النص، على الرغم من أنها في الغالب حواشي. في أغلب الأحيان، تجدر الإشارة إلى أنه لا توجد اختلافات فعلية، بل اختلافات في التفاصيل أو المنظور أو الهدف.
[٣] لقراءة مناقشة موجزة للمصادر، انظر الملحق النهائي: "ملاحظة حول المصادر".

الجزء الأول

حياة مختبئة في الله

التنشئة الرهبانية

(١٩٠٢ - ١٩٥٩)

١
هو من نصيبنا
السنوات الأولى
(١٩٠٢ - ١٩٢٧)

الشاب عازر: الطفولة المبكرة (١٩٠٢-١٩١٢)

أيها الآباء والأمهات: أمسكوا أيدي أطفالكم وقودوهم إلى الكنيسة

القديس يوحنا ذهبي الفم

"وُلدت - أنا الحقير - في أغسطس ١٩٠٢، ورباني والداي في خوف الله".[١] ولد عازر يوسف عطا في صيف مدينة دمنهور الذي يتسم بالحر الشديد. جاء إلى العالم بعد سنوات قليلة من تعرض البلاد لجروح عميقة بسبب الاحتلال البريطاني "المؤقت" لمصر، ونال سر المعمودية في كنيسة ممزقة جدًّا بسبب تعرضها لانقسامات داخلية لمدة عقود من الزمان. كان المشهد يسيطر عليه السخط القومي والكنسي، وكانت كلمات النهضة والإصلاح والثورة يتردد صداها في جميع أنحاء القطر المصري؛ في الشارع والكنيسة والمسجد. كانت كل المؤسسات والقيادات القائمة، سواء سياسية أو دينية، تحت التهديد.

يدعي أفراد عائلة عازر أنهم ينحدرون في الأصل من قرية الزوق بمحافظة سوهاج، قبل نزوحهم خلال العصر الأخير لسلطنة المماليك في القاهرة (١٢٥١-١٥٧١). وانتقلوا في نهاية المطاف إلى طوخ النصارى (حرفيًّا "منطقة المسيحيين") في محافظة

المنوفية.[٢] هنا أصبحوا يُعرَفون باسم عائلة زيكي، في إشارة إلى قريتهم الأصلية. على الرغم من أن معظم الروايات تدعي بيقين غريب أن عازر ولد في طوخ النصارى، فإن الأدلة تشير إلى خلاف ذلك.[٣] فقرب نهاية القرن التاسع عشر، قبل ولادته في ٢ أغسطس ١٩٠٢، انتقلت العائلة واستقرت شمالاً في دمنهور بمحافظة البحيرة. شهادة ميلاد عازر لا توثق فقط محل ميلاده في البحيرة (وليس المنوفية)، ولكنها تسجِّل أيضًا محافظة إقامة والده على أنها محافظة البحيرة.[٤] ربما ينم هذا الاعتقاد الخاطئ بالإجماع تقريبًا عن تخيل ما، في أن مسقط رأسه المفترض؛ طوخ النصارى، كان "قرية مسيحية" بسبب اسمها، ولأن اثنين من البطاركة السابقين قد وُلدا هناك أيضًا، وهما البابا متى الثالث (١٦٣١-١٦٤٦)، والبابا يوحنا السادس عشر (١٦٧٦-١٧١٨).

كانت دمنهور؛ مسقط رأس بطريرك المستقبل، وهي مدينة في مصر السفلى، في الأصل مخصصة للإله المصري القديم حورس، وتقع على بعد حوالي ١٦٠ كيلومترًا شمال غرب القاهرة و٧٠ كيلومترًا جنوب شرق الإسكندرية، في وسط غرب دلتا النيل. لقد أصبحت الآن مركزًا صاخبًا للتصنيع الزراعي والنقل، وكانت في مطلع القرن العشرين موطنًا لمالكي الأراضي الأثرياء الذين يمتلكون أراضي خصبة وشاسعة.

كان يوسف عطا والد عازر (١٨٥٩-١٩٤١)، مديرًا عامًّا لأعمال أحد ملاك الأراضي. أدار تجارته الزراعية والتجارية في نطاق ثلاث محافظات حدودية في الغربية والمنوفية والبحيرة.[٥] وهذا يفسر نزوح عائلته المتعدد خلال طفولة عازر المبكرة، وهو الأمر الذي كان، إلى حد ما، غير معهود في ذلك العصر.

وُلِد يوسف عطا حوالي عام ١٨٥٩.[٦] ويُذكر في مذكرات ابنه حنا، وكذلك في ذكريات حفيده مرقس، بأنه شماس تقي يتحلى بـ "سلوك مثالي، وصوت ممتاز، وخط رائع".[٧] كان رجلاً تقليديًّا التزم بطقوس الكنيسة بجدية، وكان بارعًا في ألحان الكنيسة، وقدس فن الخط من خلال كتابة العديد من الكتب العربية والقبطية بخط

جيد.[٨] ربما كان عمله ونجاحه كمدير عام انعكاسًا لحبه للرياضيات. ووفر يوسف تنشئة مريحة لعائلته الكبيرة التي تنتمي إلى الطبقة الوسطى.

تُذكر والدة عازر؛ إستير عطا (١٨٧٠-١٩١٢)، بمشاعر محبة حارة في مذكرات ابنها باعتبارها "الوالدة المثالية فيما يتعلق بتربية أطفالها".[٩] لقد زرعت بذور المحبة بعناية وعناء بين أطفالها ولم تلجأ إلى معاقبتهم إلا نادرًا. كانت العائلة تجتمع في المساء لقراءة الكتاب المقدس والتأمل في حياة القديسين والشهداء. وملأت الأيقونات كل ركن من أركان منزلهم، وتخللت حياة هؤلاء القديسين كل ركن من أركان خيال أطفالها. عاشت العائلة، إذا جاز التعبير، في احتفال مستمر من عيد قديس إلى عيد قديس آخر.[١٠]

ولد حنا يوسف عطا (١٨٩٥-١٩٧٦) بعد سنوات قليلة من زواج والديه، وهو الأول من بين ثلاثة أشقاء (وكاتب سيرة بطريرك المستقبل). وورث حب والده للرياضيات، فأصبح محاسبًا ناجحًا في مجال التجارة. ونظرًا لكونه أكبر من عازر بسبع سنوات، فقد كان يعتبر أبًا محبوبًا أكثر من كونه أخًا، ولاحقًا ربما كان هو من سيوفر الرأي الوحيد الموثوق لطفولة عازر.[١١] كان المولود التالي بعد حنا فتاة اسمها مريم (١٩٠٠-١٩٦٣)، وهي غير معروفة لجميع روايات السيرة الموجودة، وليس عازر، كما يُفترض عمومًا. كان ليوسف وإستير ثلاثة أبناء وثلاث بنات. الغريب أن هؤلاء البنات الثلاث لم يرد ذكرهن في أي من روايات السيرة العربية أو الإنجليزية، بما في ذلك مذكرات حنا، وهي حقيقة تعكس بلا شك ثقافة المجتمع الذكوري الصارم في ذلك الوقت. كان عازر (١٩٠٢-١٩٧١) هو الطفل الثالث، وقد نال سر العماد في كنيسة القديسة العذراء مريم في المحمودية بمحافظة البحيرة.[١٢] تبعه أختان أخريان؛ مرثا (١٩٠٣-١٩٥٥)، ومختارة (١٩٠٥-١٩٨٧)، وأخوه ميخائيل (١٩٠٦-١٩٧٥)، الذي أصبح كاهنًا محبوبًا.[١٣]

تزوج يوسف بعد الوفاة المبكرة لزوجته وأنجب ابنتين أخريين؛ عزيزة وشفيقة.[١٤] لذلك نشأ عازر في منزل من ستة (ثم ثمانية) أشقاء يعج بالحياة والضوضاء. يمكن

قول شيء واحٍ مؤكد عن طفولته من خلال سيرته الذاتية المكتوبة بخط اليد: "لقد رباني والداي في خوف الله".[١٥] قد تفسر طفولته، والتي عاشها في منزل صاخب، إلى حد ما، رغبة عازر الدفينة والهادئة لحياة الوحدة في نهاية المطاف.

إن أول مشهد في حياة الصبي الصغير كان قبل عيد ميلاده الرابع، ففي ذلك اليوم، استقبلت عائلة عطا زائرًا من شأنه أن يغيِّر بشكل جذري، أو كما تدعي الروايات نفسها، أنه سيغير بنبوءة سيقولها، مسار حياة عازر. ستصاب مصر في الوقت نفسه تقريبًا، ربما في الشهر نفسه، (كما سيأتي ذكرها في الأحداث قريبًا) بالصدمة والاضطراب بسبب حادثة دنشواي الشائنة.

يتذكر حنا؛ شقيق عازر، أن منزل العائلة كان مفتوحًا دائمًا للرهبان من دير البرموس القريب، أثناء سفرهم عبر البلاد لجمع التبرعات.[١٦] قبل أن يحتفل عازر بعيد ميلاده الرابع، عام ١٩٠٦، طرق راهب مسن اسمه أبونا تادرس البرموسي باب العائلة، وكان برفقته الراهب ساويرس الذي كان يساعده نظرًا لضعف نظره. افتتن الفتى عازر، ونظر بفضول بريء إلى لحية الراهب البيضاء الطويلة. وبعد فترة وجيزة من مراقبته المتحفظة للراهب، كما هو الحال مع الأطفال، وجد عازر متعة كبيرة في أن يتسلق ركبتي الراهب المسن ويحتضنه بشدة في ليلة يعمها جو الصحراء الحارق الذي استمر لفترة طويلة. وعلى الرغم من أن النسمات الساحلية في المنطقة كانت تقوم بتلطيف الجو؛ نام الطفل عازر في حضن الراهب وهو غير مدرك للحوار العادي للكبار والذي غالبًا ما كان يستمر لوقت طويل أثناء الليل. كانت إستير محرجة إلى حد ما، واعتذرت بهدوء للراهب، وقامت على الفور بحمل عازر. احتج أبونا تادرس بهدوء ونظر في عينيها، ولن تُنسى كلماته أبدًا: "اتركيه ينام هنا لأنه من نصيبنا. إنه واحد منا".[١٧] تراجعت إستير مندهشة والدموع تنهمر في عينيها وهي تنظر إلى ابنها النائم. ولسوء الحظ هي لن تعش لترى تحقيق هذه الكلمات.

لاحظ حنا، الذي كان يبلغ من العمر أحد عشر عامًا فقط في ذلك الوقت، أن شقيقه بدأ يتغير، وكتب في مذكراته: "من ذلك اليوم فصاعدًا، أصبح عازر حقًّا

واحدًا منهم".[18] بدأ الصبي يتصرف بطريقة غريبة ومزعجة وقد وجدت عائلته في البداية أنها لابد أن تواجه هذا السلوك؛ فكلما اشتروا له ثيابًا جديدة، كان يرفض لبسها إلا إذا لبس فوقها جلبابًا أسود يشبه ثوب الرهبان الأسود. وعلى الرغم من أنه بمرور الوقت تقبل والديه سلوكه المتغير، إلا أنهم "شعروا بالحزن على إصراره وعناده".[19] عندما تم رسامة عازر إبصالتس (مرنم) في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في دمنهور، كان والداه قد قبلا على مضض هذه التغييرات في ابنهما الصغير. تشير ملاحظات السيرة الذاتية لعازر (المكتوبة بعد سنين طويلة من تلك الأحداث) أيضًا إلى تغيير مبكر جدًّا أو "نقطة تحول"، وهو ما يتوافق بشكل ملحوظ مع روايات السيرة. كتب عازر: "منذ شبابي، كنت أميل إلى الهدوء والعزلة، وكنت أرتدي ملابس سوداء".[20]

بعد عام، وفي ١٩٠٧، انتقلت العائلة إلى الجنوب الشرقي نظرًا لعمل يوسف كمدير عام، وعادوا إلى طوخ النصارى في محافظة المنوفية، على بعد ثمانين كيلومترًا شمال القاهرة. سيعيشون هناك السنوات القليلة القادمة، وهناك أكمل الشاب عازر معظم تعليمه الابتدائي.[21] وهناك أيضًا، كانت الثورة الداخلية التي تدور داخل الصبي تزعج عائلته بشدة. يذكر حنا أحد هذه الأحداث التي تعبر عن انزعاج عائلته وألمها بسبب عازر.

كما هو معتاد في منازل العديد من الأسر المصرية، يتم عمل وليمة عظيمة في اليوم السابق للصوم الكبير، حيث يتم تناول جميع بقايا الأطعمة غير النباتية في احتفال بهيج. وصل عازر إلى المنزل في إحدى ليالي الصوم الكبير عائدًا من المدرسة الابتدائية وذهب إلى غرفة الطعام وهناك وجد وليمة فخمة وباهظة.[22] سأل عازر: "لماذا كل هذه الأصناف الكثيرة، والآخرون ليس لديهم سوى خبز حاف". لم تتوقع عائلته رد فعل مثل هذا من تلميذ صغير المفترض أن يكون نهمًا. التفت عازر إلى والدته بخيبة أمل وأضاف: "كيف نأكل هذا الطعام الفاخر في حين تعيش أسرة كردية فقيرة إلى جوارنا؟" كان جيرانهم عائلة تركية مسلمة مسنة ليس لديها مصدر

دخل ويعيشون على الكفاف. تشجع عازر عندما رأى فزع والدته الصامت، وتغيرت ملامح وجهه إلى السرور، وتابع قائلاً: "من الأفضل أن نقدِّم لهم هذا الطعام من أجل المسيح. فنحن غدا سنصوم ونستطيع أن نشبع بوجبة بسيطة". وفقًا للمذكرات، لم يستطع أفراد عائلته تحمل نزاهة عازر وحماسته على الرغم من دهشتهم وجوعهم الشديد في تلك اللحظة. قام والداه على الفور بحمل الطعام إلى جيرانهم الأكراد، الذين كان رد فعلهم الوحيد على فعل الكرم هو تقبيل الشاب عازر ومباركته.[٢٣]

هذه الحادثة العادية إلى حد ما، وإن كانت أيضًا مؤثرة، لا نذكرها فقط للرواية، ولكنها كاشفة، بمعنى أنها تكشف وتظهر ضبط النفس والزهد والتحول الذي كان يحدث داخل الصبي عازر. وبمعنى آخر، فإنها ترسم مسبقًا نكران وإخلاء الذات لبطريرك المستقبل، فضلاً عن أنها تكشف عن اتجاهه الخيري السخي للغاية مع الجميع؛ مسيحيين أو مسلمين. هنا نجد بالفعل أساسًا رائعًا وأصيلاً استمر وشكَّل رؤيته الكنسية في نهاية المطاف.

بعد مرور بعض الوقت، في حين كان عازر لا يزال تلميذًا في طوخ النصارى، قام شيخ مسلم في المدينة يدعى أحمد غلوش، بزيارة منزل العائلة واقترح أن يحضر عازر الكُتَّاب المحلي خلال أجازاته المدرسية.[٢٤] كانت هذه الكتاتيب تشبه المدرسة الابتدائية وغالبًا ما تكون ملحقة إما بكنيسة أو بمسجد، وتعتمد بشدة على الحفظ عن ظهر قلب، وتعليم الخط العربي، والحساب. وبحلول القرن العشرين، تم تطوير الكُتَّاب، وفي أغلب الأحيان كان يتم التدريس فيه خارج ساعات التعليم الأساسي؛ أي "المدرسة الابتدائية".

وافق يوسف وإستير على طلب الشيخ. وكان عازر يحضر كل يوم وتصاحب مع الشيخ، الذي لاحظ بهدوء افتتان تلميذ المدرسة الشاب غير المعتاد بالكتاب المقدس. يتذكر حنا أن الشيخ (قد نفترض أن الأمر كان مجرد حب استطلاع وتحدٍ لحفظ شيء غير مألوف) اقترح على عازر أن يجد نسخة من إنجيل يوحنا؛ ولدهشة والديه، في نهاية الإجازة، لم يحفظ عازر فقط إنجيل يوحنا بأكمله، بل كان الشيخ قد حفظه أيضًا.[٢٥] إن

مهارة الحفظ التي علمها هذا المسلم الجليل لعازر ستخدمه بقية حياته. إن عشرة وصداقة كل من جيران ومعلم عازر للمسلمين ستؤثر على موقفه الكنسي الذي اتسم بالحب والانفتاح، وأثبتت الأيام أنه كان أمرًا ضروريًا في زمن شهد ظهور جماعة الإخوان المسلمين.

هذه الخبرات التكوينية؛ المتواضعة والمذهلة في الوقت نفسه، ترسم صورة عائلة تمتلك صفات عظيمة. وفي خلال سنوات قليلة، تغير الطفل الصغير عازر. كان هناك شعور بأنه مختلف، ومختار. لكن كيف ولماذا، كان الأمر لا يزال غير متوقع على الإطلاق.

رعت والدته إستير، وربت وشكلت بمحبة، هذا الصبي الصغير الذي سيصبح يومًا ما بطريركًا. كانت حياتها قصير ة الأجل، ولكن محبتها ظلت غالية. عندما كان عازر يبلغ من العمر عشر سنوات فقط وفي توقيت غير مناسب من عام ١٩١٢، توفيت إستير قبل الأوان. لم يتم ذكر أو توثيق الألم الذي لا يوصف لوفاة والدته، فليس لدينا أي سجل أو وثيقة أو مذكرات حول كيفية تعامل عازر أو أي من إخوته مع ذلك اليوم المأساوي. من المؤكد أن الخسارة أثرت على الصبي الصغير بشكل لا يمحى، لكن من المستحيل تحديد الكيفية.

ما يمكن قوله بشيء من اليقين هو إن إستير أدركت وفكرت في التحول الداخلي في طفلها والذي سيظهر يومًا ما في إحياء وتحول كنيستها المحبوبة. لم تر ذلك اليوم، لكنها لم تكن بحاجة إلى أن تراه. كانت قد رأت بالفعل بداياته في ولدها الصغير.

مارمينا: شفيع غير متوقع

لقد رأيت الخطيئة والفساد...
لقد تركت كل هذا وهربت بعيدًا
سأبقى في الصحراء وسأرى إلهي

القديس الشهيد مارمينا

قدمت إستير، قبل وفاتها المفاجئة، لابنها الصغير هدية غير عادية ونادرًا ما تلفت انتباه أحد. لقد قدمت له جميلاً له أهمية لا حدود لها في حياة ابنها؛ لقد عرَّفته على قديس رائع تم نسيانه بشكل كبير في مطلع القرن.

ما فعلته إستير كان مجرد بداية، لأنه في التقليد المسيحي لا يتم دائمًا اختيار القديس الشفيع، ولكن غالبًا القديس هو من يختار. بعيدًا عن الاسم الذي يطلق على الطفل، والأيقونات التي تحيط بسريره، والشفعاء الذين يطلب الوالدان شفاعتهم، ففي النهاية، قد يكون القديس هو الذي يقرر ويتبنى. على الأقل هذا صحيح في حياة عازر. لأسباب غير واضحة، فتن مارمينا القديس المجهول نسبيًّا الصبي الصغير، وفي خلال وقت قصير أصبح شفيعه.

على الرغم من أن الكثير قد كُتب عن علاقة عازر بمارمينا، إلا أنه لم يُقَلْ سوى القليل عن بداية العلاقة وتأثيرها. وكما سيتضح، كانت العلاقة غير تقليدية إلى حد ما. نادرًا ما تكون العلاقة مع القديس الشفيع مثل هذه العلاقة القوية والاستثنائية. كان مارمينا يعمل في حياة عازر كصديق حاضر وملموس وحي، كما يشهد كُتَّاب سيرته وكذلك من خلال كلمات عازر وفكره. سواء كان ذلك في حالات الشفاء المعجزية الظاهرة والكثيرة، أو في الاهتمام الطاغي ببناء دير للقديس، أو في العديد من صلواته لطلب شفاعة القديس، فإن شخصية مارمينا موجودة دائمًا في حياة عازر. تتجاوز العلاقة بكثير الحدود العادية للشفاعة (إذا كان يمكن أن نسميها عادية).

كان الأمر واقعًا محسوسًا بشكل غريب، وبالنسبة لمعظم الشهود، علاقة مدهشة إن لم تكن عند البعض سبب لنقد البابا كيرلس. باختصار كان الأمر غير عادي.

تشير معظم المصادر إلى بدايات علاقة عازر مع مارمينا في لحظة رسامته راهبًا في فبراير ١٩٢٨، عندما أُطلق عليه اسم أبونا مينا.[٢٦] لكنها بدأت قبل ذلك بكثير ويمكن أن تكون بدايتها أثناء الرحلة السنوية لعائلة عازر إلى دير مارمينا بإبيار. يذكر حنا في مذكراته أن والدتهم؛ إستير، غرست حب القديسين في قلوب أطفالها وأن العائلة تحتفل بجدية بأعياد هؤلاء القديسين المحبوبين. كانوا يسافرون كل عام، على وجه الخصوص، إلى إبيار، على بعد ثمانية وعشرين كيلومترًا شمال شرق كفر الزيات، البحيرة، للاحتفال بعيد هذا القديس غير المعروف على نطاق واسع.[٢٧]

يمكننا بشيء من اليقين تأريخ هذه الزيارة السنوية إلى السنوات التي عاشت فيها الأسرة في طوخ النصارى (١٩٠٧-١٩١٠).[٢٨] خلال هذه الرحلات الطويلة التي كانت تستمر لمدة أسبوع، أصبح الصبي عازر، من سن الخامسة إلى الثامنة، مفتونًا بمارمينا. في مذكرات شقيقه، تركت هذه الخبرات الاحتفالية "انطباعًا عميقًا في قلب عازر".[٢٩] كان يوسف وإستير، وأطفالهما الستة يسيرون خلفهم، يذهبون إلى إبيار في أواخر نوفمبر من كل عام في رحلة مدتها خمس ساعات ونصف؛ وهناك كانوا يحتفلون بمولد مارمينا. رأت الكنيسة القبطية، مثل الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، في استشهاد أحد قديسيها عيد ميلاده؛[٣٠] إنها "الولادة المقدسة" في الحياة الأبدية.

كان المولد يتميز بفترة احتفالية في الهواء الطلق واحتفال طقسي وجو من الترقب. وكان هذا الاحتفال أكثر شمولاً بكثير من الأحداث الدينية الأخرى. فكانت العائلات؛ مسيحية ومسلمة على حد سواء، تقدم التبرعات لكنيسة القديس كتعبير عن محبتهم للقديس وكشكر لاستجابة صلواتهم.[٣١] كان احتفال مارمينا يقام داخل وحول كنيسته في إبيار (التي تعني "عدة آبار")، التي كانت تقع وسط العديد من الحقول الزراعية.[٣٢] استفادت عائلة عازر، إلى جانب الزوار الآخرين، من الحقول الشاسعة المحيطة لإقامة معسكر لأسبوع الاحتفال الذي يتوج بعيد القديس في ٢٤

نوفمبر.[٣٣] لقد كان عيدًا بكل معنى الكلمة. في حين كانت هناك الاحتفالات الطقسية إلزامية داخل الكنيسة ذات القبتين، كان يقام خارج الكنيسة عزف موسيقى ومسرح وألعاب نارية بدائية وتباع الأكلات الشهية وجميع أنواع الأنشطة الترفيهية. كان الأطفال (وربما أيضًا آباؤهم) سعداء ويستمتعون بالأصوات والمشاهد والروائح المتنوعة. ومع ذلك، لم يكن عازر يتواجد بينهم.

كان يبدو أنه لا يهتم بالاحتفالات الخارجية، وتتذكر عائلته أن الصبي الصغير كان يظل برغبته جالسًا داخل الكنيسة.[٣٤] من المستحيل تحديد ماذا كان يحدث داخل هذه الكنيسة خلال تلك الرحلة التي كانت تستمر لمدة أسبوع. ربما كان الأمر عاديًّا إلى حد ما ولا يجذب اهتمام أحد أو ربما كان شيئًا أكثر من ذلك. لكن التأثيرات على الصبي الصغير كانت واضحة في نقطتين على الأقل: أدرك شقيقه أن الخبرة "تركت انطباعًا عميقًا" على عازر. وثانيًا، منذ ذلك الحين، نشأت بينه وبين مارمينا علاقة غير عادية لمست كل ناحية من تاريخه وحياته. وواضح تمامًا أن مارمينا يستحق مقدمة طويلة.

عندما "تعرف" عازر على مارمينا - وربما هذا سيسبب دهشة لكثيرين في أيامنا هذه - كان القديس غير معروف. لم يكن له دور كبير في الفكر القبطي بخلاف الاحتفال السنوي الذي يتم الاحتفال به في إبيار. لماذا إذن افتتان عازر بهذا القديس المجهول إلى حد كبير؟

لم تكن الأمور هكذا دائمًا. كان مارمينا عمليًّا ذات يوم "شفيع مصر السفلى".[٣٥] فقد نمت وتطورت وازدهرت مدينة بأكملها حول قبره. في أوقات سابقة، كان قبره في مريوط، خارج الإسكندرية مباشرة، يعتبر واحدًا من أشهر مزارين للشهداء عالميًّا، ومزار "مارمينا كان بلا شك الأكثر شهرة".[٣٦] تلاشى قبر مارمينا بمرور عدة قرون نظرًا لظروف مؤسفة كثيرة، جنبًا إلى جنب مع شهرة قديسه، إلى أنقاض مخبأة في أعماق الصحراء. حتى قام فريق ألماني في عام ١٩٠٦ برئاسة سي. م. كاوفمان باكتشاف

واستكشاف الآثار في موقع "أبو مينا"، ومن الغريب أنه كان العام نفسه لنبوءة أبونا تادرس البرموسي الخاصة برهبنة الطفل عازر.[٣٧]

إن التنقيب عن حياة مارمينا هو أيضًا أمر شاق. توجد روايات كثيرة باللغات اليونانية، والقبطية، والعربية، والنوبية القديمة، والإثيوبية، واللاتينية، والسورية، والأرمنية.[٣٨] من الواضح أن عازر كان على دراية فقط بالسنكسار العربي وسير الشهداء القبطي وربما المدائح القبطية.[٣٩] يعتبر التحليل التاريخي أو تحليل سير القديسين لهذه النصوص، على الأقل بالنسبة لاهتمامنا الحالي، أقل أهمية من التقليد الذي كان عازر قد تلقاه خلال نشأته في مصر في أوائل القرن العشرين.

ولد مارمينا (٢٨٥-٣٠٩) في نهاية القرن الثالث من العصر المسيحي في نيقيوس، على بعد عشرين كيلومترًا جنوب القاهرة الحديثة. كان والداه؛ أفدوكسيس وأوفوميا ليس لديهما أطفال. وقفت أوفوميا العاقر وهي حزينة أمام أيقونة والدة الإله في يوم عيدها وتوسلت إليها بالبكاء، فسمعت صوتًا من الأيقونة ينطق بكلمة واحدة: "آمين". ركضت أوفوميا إلى زوجها وأخبرته بسعادة عما سمعته. في الوقت المتوقع استجابت صلاتها وولدت ولدًا. كانا يأملان في إعطائه اسم جده، لكن أوفوميا تذكرت الكلمة التي سمعتها من الأيقونة وسمته "مينا"، وهي اشتقاق لفظي للكلمة التي سمعتها (آمين).[٤٠] ستنتقل العائلة في النهاية إلى فريجيا، حيث أتقن مارمينا الكتاب المقدس وتربى على الأسرار المسيحية. توفي والده عندما كان مارمينا في الحادية عشرة من عمره وبعد ثلاث سنوات توفيت والدته. دخل مارمينا الجيش، وخدم تحت قيادة فيرميليانوس. تضيف الروايات اليونانية حول حياته أنه "كان يتمتع بقدرة عقلية كبيرة وكان يتمتع بمكانة جيدة وروح القيادة".[٤١]

وفقًا لسير الشهداء القبطي، عندما بدأ الإمبراطور دقلديانوس في اضطهاد المسيحيين في عام ٣٠٣ بعد الميلاد، شعر مارمينا بالانجذاب إلى الصحراء:

> كانوا يجبرون الجميع، ويدخلون منازلهم ويسحبونهم جميعًا لتقديم القرابين للآلهة الحقيرة. وكان القديس مارمينا رجلاً يتقي الله. عندما رأى خداع الشرير، لم

يستطع تحمل أن يشهد هذه الرجاسات، لكنه انسحب من فرقته واعتكف في مكان منفردًا حيث بقي في هدوء، يعبد الله بكل قلبه، لأنه لم يرد أن يشاهد عبادتهم الملوثة.[٤٢]

وتشير المدائح القبطية إلى أنه قبل مغادرته إلى الصحراء وزع ثروته وممتلكاته على المحتاجين.[٤٣] وفي رواية أخرى، سُمع أنه يصرخ وهو يغاد "لقد رأيت الخطيئة والفساد... لقد تركت كل هذا وهربت بعيدًا. سأبقى في الصحراء وسأرى إلهي".[٤٤] هذه الكلمات تتناغم مع الرؤية التي سيراها مارمينا أثناء وجوده في الصحراء. هنا تتقارب المديحة القبطية مع قصة الاستشهاد الإثيوبية:

> وأقام هناك أيامًا كثيرة في حرمان شديد... وبعد فترة أضاءت عليه نعمة الله، فرأى السماء مفتوحة، ومملوءة بملائكة من نور يحملون أكاليل من نور ويضعونها على رؤوس الذين أتموا استشهادهم... واشتاق مارمينا أن يصبح شهيدًا باسم ربنا يسوع المسيح. فسمع: "مبارك أنت يا مينا... ستنال الأكاليل غير القابلة للفساد، مثل أكاليل الثالوث الأقدس... واحدة لبتوليتك، وواحدة لتحملك وصبرك، وواحدة لشهادتك".[٤٥]

وأضاف الإعلان السماوي أنه سيتم تكريم اسم مارمينا في جميع أنحاء العالم. سيأتي الكثيرون ويلجئون إلى "كنيستك التي ستُبنى في أرض مصر، وستستعلن أعمال قوة الله، وستحدث أحداث عجيبة، وآيات، وشفاء من خلال جسدك المقدس".[٤٦]

ترك مارمينا وحدته دون تأخير وذهب إلى المدينة، واقتحم بقوة احتفال الألعاب والمهرجانات في كوتينيوم في آسيا الصغرى، معلنًا، "لقد أتيت لأولئك الذين طلبوني... أنا مينا، رجل قديس، عبد لربي يسوع المسيح".[٤٧] ارتبك الوالي وسأل من هو هذا الشخص، وبدأ البعض في التعرف على مارمينا وأخبروا الوالي. وبعد أن استجوب الوالي المضطرب مارمينا، حاول إجباره على التضحية للآلهة الوثنية، لكن رفض القديس بشدة. فقام الوالي بجلده وتقييده منكس الرأس، وتمزيق لحمه بأدوات

التعذيب، ولم يهتز مارمينا. ثم تم تعذيبه بالنار، وسحبه على أوتاد حديدية، وجلده مرة ثانية بقسوة.

أخيرًا، أُخبر الوالي من قبل أحد خدامه أن مارمينا من المسيحيين، المعروفين بأنهم "لا يتراجعون أبدًا"، وبالتالي فإن جهود الوالي لإجبار القديس على إنكار المسيح ستكون بلا جدوى. غضب الوالي وأمر بإعدام القديس. فنظر مارمينا إلى السماء، ومد يديه وصرخ إلى إلهه:

> أشكرك يا إله السماء، يا يسوع المسيح، لأنك لم تتركني ولا ابتعدت عني... ولأنك أعطيتني القدرة على عدم إنكار اسمك القدوس. والآن احفظني في هذه الساعة، وامنحني القوة على الاحتمال حتى موتي.[٤٨]

وبعد لحظات، في سنة ٣٠٩ ميلادية، "كان وجهه يتألق بالنور"، وتم قطع رأس مارمينا.

لا تنتهي قصة مارمينا، كما هو متوقع عند هذا الحد؛ لا في تاريخ مزار مارمينا ولا في حياة الشاب عازر.

لن يكون من المبالغة الادعاء بأن مارمينا- باعتراف الجميع، بعد أكثر من ألف عام ونصف - كان أهم شخصية في حياة عازر. تتقاطع حياتهما بطرق نادرًا ما يتم ملاحظتها، ونادرًا ما تم استكشافها بشكل صحيح. معظم مصادر السيرة لا تقدِّم أكثر من معالجة سطحية لهذه العلاقة الفريدة ربما بسبب الخوف المتعمد من المجهول، أو لجهل غير مقصود. إن تقييم كيفية تفاعل القديس الشفيع مع العالم المادي هو إلى حد ما غير مهم في هذه السياق. المهم هو فهم عازر الواعي والعقلاني للعلاقة التي لا رجوع عنها بينه وبين مارمينا. سأتعرض باختصار في هذا السياق لبعض الادعاءات الخاصة بهذه العلاقة.

في أيقونة مارمينا، استنادًا إلى قوارير الماء الأثرية وأوراق المخطوطة التي تحمل صورته، تم تصويره يرتدى عباءة، مرتديًا حزامًا مضفرًا في بعض أجزائه فوق العباءة.

ويحمل في يده رمحًا طويلاً موجهًا إلى الأرض، وفوق رأسه ثلاثة أكاليل؛ أكليل لبتوليته، والآخر لتوحده، والثالث لاستشهاده.

نادرًا ما يتم تقدير اثنين من هذه الأكاليل، على الأقل ليس بشكل كافٍ. يمكن أن نجد هنا أول تلميح عن سبب شعور عازر بألفة لا تقاوم للقديس غير المعروف. البتولية والوحدة كانتا على ما يبدو حركتين ينبض بهما قلب عازر منذ الطفولة. وفي كلماته الخاصة: "منذ شبابي كنت أميل إلى الهدوء والعزلة وأرتدي ثيابًا سوداء [أي رداء الرهبنة]".[٤٩] لا يمكن معرفة ما إذا كانت هذه المشاعر داخل الصبي الصغير تقليدًا أو بالأحرى مشابهة لمارمينا. علاوة على ذلك، كان مارمينا هو الضابط القديس الوحيد (يعتز الأقباط بجميع القديسين الشهداء ذوي الرتبة العسكرية) الذي عرف عنه أنه من مواليد مصر. علاوة على ذلك - وهذا أمر مهم - كان القديس الوحيد من ذوي الرتب العسكرية الذي عاش في عزلة في الصحراء قبل الاستشهاد.[٥٠]

تتشابه حياتهما إلى حد بعيد في أوجه كثيرة. فقد مارمينا والده في الحادية عشرة من عمره وبعد ثلاث سنوات فقد أمه؛ وعانى عازر من فقدان والدته في سن العاشرة. ترك مارمينا وبعده عازر، وظائفهما سعيًا وراء الوحدة، وكلاهما سيختبران رؤية "النور" بعد قضائهما فترة مماثلة من الجهاد النسكي في الصحراء. تعرض كلاهما لمعاناة رهيبة في دعوتهما: مارمينا في الاستشهاد، وعازر فيما يمكن تسميته "استشهاد أسقفي". وأخيرًا، أصبح كلاهما مشهورين للسبب نفسه: أنهما صانعي عجائب بعد فترة قصيرة من عودتهما من الوحدة.

هذه العلاقة كانت أعمق مما هو مفترض عنها عند معظم الناس. لا يمكن معرفة ما حدث بالتحديد مع عازر خلال موسم الاحتفال السنوي، حيث كانت نتائج هذه الزيارة واضحة، لكن تفاصيلها تظل غامضة. هل اقترب عازر من مارمينا واتبع نظام حياته؟ أم أن العلاقة قامت على رؤية مشتركة وقرابة ورغبة مماثلة؟ أو أنه ربما كان قالبًا يأمل عازر أن يقتدي به ويعيد تشكيل حياته على مثاله؟ أي كانت الإجابة،

كانت هذه بداية علاقة سرية ونموذجية في آن واحد. كانت هذه هي الهدية الدائمة التي منحتها إستير لابنها.

الهلال والصليب: مصر في أوائل القرن العشرين (١٩١٢-١٩١٩)

عدو عدوي صديقي

مثل سنسكريتي

انتقل يوسف مع أبنائه الستة قبل سنوات قليلة من وفاة زوجته في عام ١٩١٠ إلى الإسكندرية؛ المدينة الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط.[٥١] لقد كان ذلك الوقت وقت تحول اجتماعي جذري. تسبب نزوح المصريين من الريف إلى القاهرة والإسكندرية في نتائج اجتماعية واقتصادية وكنسية بعيدة المدى. فقبل قرن من الزمان، في زمن الاحتلال الفرنسي، كان عدد سكان الإسكندرية حوالي ستة آلاف نسمة يقيمون فيما كان آنذاك قرية صيد متواضعة وهادئة. بحلول الوقت الذي غادر فيه عازر الإسكندرية إلى الدير في عام ١٩٢٧، أصبحت المدينة ميناءً بحريًّا مزدهرًا يؤوي نصف مليون نسمة.[٥٢]

تسببت وفاة والدتهم في أن يتم ترك الأطفال الستة بلا رقابة. عندما أصبح الصبي عازر شابًّا، وجدت عائلته أنه يسلك في اتجاه واحد. يتذكر شقيقه الأكبر؛ حنا أن عازر كان يتضايق عندما يتحول الحوار إلى هزار فارغ وضحك، فكان ينسحب غالبًا بهدوء إلى غرفته، ليعود بعد فترة قصيرة بابتسامة كبيرة، ويقنعهم بلطف أن يغيروا الحديث إلى أمور إيجابية وبناءة.[٥٣]

لكنه لم يكن دائمًا مسالمًا إلى هذا الحد. في إحدى المرات، يتذكر حنا أنه عاد إلى المنزل ليرى مشهدًا غريبًا نوعًا ما. عندما كان يقترب من المنزل، سمع صرخات شقيقاته الصغيرات، وعندما دخل وجد الفتيات الصغيرات يقفزن على قطع الأثاث، ويحاولن بشكل محموم الهروب من أخيهما البالغ. كان عازر يقف بجوار دولاب السفرة، وبيده فوطة مبللة وكان يضرب بها أخواته البنات اللاتي كن في حالة هستيريا وفزع. عندما تمكن حنا من تهدئتهن جميعًا (والتفاوض على أخذ الفوطة

من يدي عازر)، سأل عن سبب هذه الخناقة المسرحية. كان رد عازر غريبًا: "لأنهم يزعجوني!" "نعم"، سأله حنا، "ولكن كيف يزعجونك؟" أجاب عازر بسرعة: "لأنني لا أجدهم يفتحون الكتاب المقدس، وهم يرفضون قراءته". لم يستطع حنا إلا أن يهز رأسه ويضحك ضحكة مكتومة وقام بترتيب المنزل بسرعة قبل أن يعود والدهما من العمل.[٥٤]

أثناء ذلك، وجد يوسف عملاً كمدير عام لأعمال تاجر قطن ناجح يسمى أحمد يحي باشا.[٥٥] كان أحمد لديه ممتلكات وشركات زراعية ضخمة، وكان من المؤسسين البارزين لحزب الوفد السياسي. أصبح ابنه عبد الفتاح يحي باشا (١٨٧٦-١٩٥١) في النهاية رئيسًا لوزراء مصر من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٤. وكان حزب الوفد الوطني في أيامه الأولى يعقد اجتماعاته في مقر إقامة الباشا. وهناك ظهرت أول دعوة للثورة. ويشير حنا في مذكراته إلى أن هذه التأثيرات وجدت طريقها إلى منزل يوسف عطا، مما أدى إلى تكوين شعور وطني قوي لدى عازر.[٥٦]

كانت كلمات الثورة تتردد ببطء من السوق إلى القصر، ومن المسجد إلى الكنيسة. لكن في منزل العائلة، كان عازر يكرر ببعض الضيق "إنكم تملأون الهواء بالكلام..."[٥٧] كان هناك شيء واحد مؤكد: أن الثورة كانت وشيكة.

أخمد البريطانيون قبل عقود، في عام ١٨٨٢، ثورة عرابي ضد النظام الخديوي في مصر. كانت نيتهم الأولية هي إرساء الاستقرار السياسي في مواجهة الأزمة الاقتصادية المصرية التي تلوح في الأفق، وكذلك حماية الاستثمار البريطاني. ورغم الآمال الحقيقية والوعود الحميدة باحتلال "مؤقت" من جانب الانجليز، فقد أصبح واضحًا أن الانسحاب السريع كان شبه مستحيل. كان الانهيار المالي وشيكًا، وتم ترك النظام المصري الذي أضعفته ثورة عرابي، ضعيفًا وعاجزًا. وأثناء ذلك، هدد التمرد الذي حدث في الحدود الجنوبية في السودان استقرار الإمبراطورية البريطانية بأكملها.[٥٨]

وقع عبء إرساء الاستقرار المالي والسياسي على عاتق السير إيفلين بارينج (١٨٤١-١٩١٧)، المعروف باسم اللورد كرومر، الوكيل والقنصل العام من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٧. لا

يمكن إنكار نجاحه الاقتصادي والسياسي البارع، ففي خلال سنوات، انخفض الدين إلى النصف، وتضاعفت الإيرادات الحكومية، وزادت الواردات، و"أعيد احتلال" السودان.[59] ومع ذلك، لم تلق سياساته الأخرى استحسانًا كبيرًا. وكانت هذه السياسات هي التي تسببت في سخط قومي شديد.

كانت نظرة كرومر لرعاياه متحيزة ومهينة. لقد تمسك بـ" إيديولوجية عنصرية صريحة" لحكم أوروبي يرفض توفير فرص التعليم العالي للشعب بحجة أنه غير مناسب لأشخاص غير أذكياء وغير قادرين أيضًا.[60] عمل كرومر في فترة حكمه فقط على تأمين المصالح الأجنبية وتعزيزها. ولم يعط اهتمامًا كبيرًا لرعاياه "البدائيين"، الذين يمكن في أي لحظة، إذا حصلوا على تعليم بسيط، أن يثيروا السخط القومي ضد الإنجليز. كان هذا هو خطأ الاستعمار البريطاني في الهند؛ وهو خطأ حرص كرومر على عدم تكراره.[61]

كان كرومر ينظر بشكل أفضل قليلاً إلى المسيحيين الأقباط. الفرق الوحيد في نظره بين الأقباط والمسلمين، هي أن أحدهم يصلي في مسجد والآخر في كنيسة. وكتب كرومر في مذكراته الخاصة:[62] "لقد أصبح القبطي الحديث مسلمًا من الرأس إلى أخمص القدمين في الأخلاق واللغة والروح، مهما كان غير راغب في الاعتراف بالحقيقة".[63]

وقد أدى هذا جزئيًا إلى الادعاء بأن السكان المسيحيين كانوا أقلية ضئيلة لا تهم الإنجليز بشكل كبير.[64] وقد أثبتت فيفيان إبراهيم بصورة مقنعة في كتابها "أقباط مصر: تحديات الحداثة والهوية" أن هذه مغالطة. إن لامبالاة كرومر النظرية تجاه الأقباط في مذكراته (وخياله) لا توجد في التاريخ الفعلي. اتبع البريطانيون سياسة ذات وجهين فيما يتعلق بالأقباط في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى بشكل خاص، وهي سياسة "فرق تسد". أولاً، سعوا إلى إضعاف الكنيسة من خلال استغلال الخلافات العميقة بالفعل بين المؤسسة الدينية والعلمانيين. وثانيًا، مُنح الأقباط معاملة تفضيلية في تعيينهم في الوظائف البيروقراطية المطلوبة جدًا.[65] على الرغم من

غموض هذه السياسة وعدم وضوحها، إلا أنها أدت ببطء إلى حدوث تصدعات في دولة مضطربة بشدة.

بحلول يونيو ١٩٠٦، في خلال أشهر من "نبوءة" رهبنة عازر، وصلت الأمور إلى ذروتها.[٦٦] في ١٣ يونيو وعلى بعد سبعين كيلومترًا من منزل عازر، خرج خمسة ضباط بريطانيين للتنزه في رحلة استكشافية لصيد الحمام بالقرب من قرية دنشواي، غير مدركين أن الحمام كان مصدر رزق للسكان المحليين. تلا ذلك مشاجرة، وأصيبت زوجة شيخ القرية بجروح نتيجة طلق ناري. قامت ثورة، وهجم القرويون على الضباط. تمكن ضابط جريح من الفرار، لكنه انهار ومات متأثرًا بضربة شمس في طريق عودته إلى المعسكر. حاول فلاح برئ سيئ الحظ الاهتمام بالضابط الجريح، وكان الفلاح لا يعلم أي شيء عن أحداث اليوم، وعندما وجده الضباط الآخرون بجانب الضابط الجريح، أطلقوا عليه الرصاص وقتلوه.

كان رد الفعل غير مسبوق. تم القبض على ٥٢ مصريًّا، وتم تقديمهم للمحاكمة في محكمة في شبين الكوم برئاسة وزير العدل بطرس غالي باشا وثلاثة مسؤولين بريطانيين.[٦٧] بعد محاكمة سريعة في ٢٧ يونيو غلَّظ الإنجليز العقوبة بشدة على أمل منع أي ثورة في المستقبل. كانت العقوبة غير متناسبة مع الجرم ووحشية بلا داعٍ. حُكم على أربعة مصريين بالإعدام، وتم شنق أحدهم أمام منزله في اليوم التالي. وتعرض ستة آخرون على الأقل للجلد المبرح أمام زملائهم القرويين الذين أجبروا على مشاهدة هذا العقاب.[٦٨] وحُكم على كثيرين غيرهم بالسجن مع الأشغال الشاقة.

ما كان يجب التعامل معه باعتباره أمرًا روتينيًّا، كحادث بسيط للدفاع العفوي عن النفس، حيث كان هناك ضحيتان فقط، أصبح حدثًا خالدًا. جسد حادث دنشواي الإذلال والوحشية اللذان اتسم بهما الاستعمار البريطاني.[٦٩] وبدلاً من إيقاف ما كانوا يتخيلونه تمردًا، حولوا الأمر إلى ثورة.

ولسوء الحظ، فإن الكنيسة هي التي كانت ستعاني أكثر من غيرها. يمكننا بدقة، من هذا الحادث المتفجر، تأريخ "إعادة أحياء البعد الإسلامي مقابل البعد المسيحي

للمسألة المصرية".[٧٠] أحد التفسيرات البسيطة لذلك هو أن المحاكمة تمت برئاسة قبطي. المعاملة التفضيلية البريطانية (جزء من سياسة "فرق تسد") كانت تهدف إلى أن يحصل العديد من الأقباط على مناصب بيروقراطية رفيعة داخل الحكومة؛ كان أحد هؤلاء بطرس غالي باشا (١٨٤٦-١٩١٠) - القبطي المشار إليه.[٧١] وبعد سنوات قليلة، في ٨ نوفمبر ١٩٠٨، عُيِّن غالي رئيسًا للوزراء، وفي خلال فترة قصيرة أثار غضب الرأي العام.[٧٢] إن تعيين قبطي في منصب قيادي مع الإدارة البريطانية المكروهة شعبيًّا، بالإضافة إلى مشاركته مع الحكومة السودانية ودعمه لتنازلات قناة السويس، لم يكن له تأثير يذكر في تهدئة الفتنة الطائفية المشتعلة.[٧٣]

ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت "حرب صحفية"، وتصاعدت دعوى الكراهية بشكل سريع في انعكاس لتيارات التوتر الطائفي.[٧٤] بدأ ذلك في يونيو ١٩٠٨ عندما نشر مقال في صحيفة قبطية؛ "الوطني"، ينتقد التاريخ الإسلامي. ورد الشيخ عبد العزيز جاويش بفظاظة في صحيفة اللواء التابعة للحزب الوطني:

> يجب ركل [الأقباط] حتى الموت. لا يزال لديهم وجوه وأجساد تشبه وجوه الشياطين والقرود، وهذا دليل على أنهم يخفون أرواحًا سامة داخل أرواحهم الشريرة... أنتم يا أبناء الزانية، هل أصبحتم متهورين إلى درجة أنكم تسيئون إلى العقيدة الإسلامية. لعنة الله عليكم! أنتم ذيول الجمال، ووجوه القردة، وعظام الجثث! أيها المساكين، أيها الحمقى الحالمون! أنتم أبناء المحتالين اللئام![٧٥]

تلا ذلك حالة من التوتر الشديد، حيث قُتل رئيس الوزراء القبطي؛ بطرس غالي باشا أثناء مغادرته وزارة الخارجية برصاص شخص مسلم يبلغ من العمر ٢٣ عامًا يدعى إبراهيم الورداني في ٢٩ فبراير ١٩١٠، وتوفي غالي متأثرًا بجراحه في اليوم التالي. على الرغم من أن الدافع المزعوم وراء الاغتيال كان سياسيًّا وليس دينيًّا، إلا أنه لم يتم الاحتفال به على هذا النحو. كان المرء يستطيع أن يسمع حشود القاهرة وهم يهتفون: "الورداني قتل النصراني".[٧٦] كان المسيحيون مرتبكين لأسباب مفهومة. انعقد المؤتمر القبطي للتظلم في ٦ مارس ١٩١١ في أسيوط بصعيد مصر.[٧٧] ورد المصريون المسلمون

بالمثل، وعقدوا مؤتمرًا مصريًّا عامًّا بعد شهر. بدا الصراع الطائفي وشيكًا والعنف أكيدًا. خاف المسيحيون من حدوث ما هو أسوأ. ولكن فجأة انقلب الحال. اغتيل مستشار النمسا في ١٨ يونيو ١٩١٤، واندلعت الحرب العالمية الأولى فجأة في العالم بما فيها مصر.

على الرغم من الضمانات البريطانية بأن الإمبراطورية ستتحمل عبء الحرب بأكمله، إلا أن حجر الرحى سقط على أعناق أكثر من مليون مجند مصري، ووباءها على الأرامل واليتامى. هبطت حشود من القوات الإمبريالية في مصر، وارتفع التضخم، وعانى الفلاحون وتم إجبارهم على العمل، وصودرت الممتلكات، وتفشت البطالة. وفي ٥ نوفمبر ١٩١٤، أعلنت بريطانيا الحرب على الإمبراطورية العثمانية. وخوفًا من صعود أي "مشاعر إسلامية شمولية" بين المصريين، فرض البريطانيون الحماية رسميًّا على مصر.[٧٨] وبدلاً من التحضير للانسحاب من "احتلالهم المؤقت"، تم عزل الخديوي الموالي للعثمانية واستبدال دمية موالية لبريطانيا به. وبحلول نهاية الحرب، كان كل المصريين؛ المسيحيين والمسلمين، وملاك الأراضي الأثرياء والفلاحين، يغمرهم الاشمئزاز والسخط. متى ينتهي الاضطهاد البريطاني؟

مع اقتراب الحرب من نهايتها في عام ١٩١٨، أدى تفكك الإمبراطورية العثمانية إلى تلاشي النزعة الإسلامية. وتضافر العداء المشترك تجاه البريطانيين، مع الإلهاء الناتج عن الحرب، والمناخ الفكري العلماني في تغيير مصير الأقباط بشكل كبير.[٧٩] كما قيل ذات مرة "عدو عدوي صديقي".[٨٠] غطت حماسة الثورة على مخاوف نشوب صراع طائفي ديني.

بعد يومين من هدنة الحرب العالمية الأولى، في ١٣ نوفمبر ١٩١٨، سعى سعد زغلول (١٨٥٩-١٩٢٧) مع وفد مصري (الوفد) لعقد اجتماع في لندن للمطالبة بالاستقلال السياسي، وتم رفض مطالبه. في الوقت نفسه كانت حركة العصيان المدني تشتعل بين الشعب. اعتقل سعد زغلول الذي كان يعشقه الشعب المصري بحلول أوائل مارس ١٩١٩ ونُفي إلى مالطا.[٨١] واندلعت الاحتجاجات وأعمال الشغب في مصر، واشتعلت

الفوضى في القاهرة والإسكندرية. كان عازر؛ الشاب البالغ من العمر ستة عشر عامًا، يختبئ في منزله ويراقب في رهبة وخوف ما يحدث من خلال نافذة خشبية. وفي خلال أسابيع قليلة، تحولت القرى إلى رماد. تم فرض الأحكام العرفية، ونُهبت الممتلكات، ودمُرت السكك الحديدية، وتم قتل ضباط بريطانيون.[٨٢] كان كل هذا اشتعال ثورة! وجرفت موجة الحماسة القومية أمامها التوترات الدينية التي ظهرت في سنوات ما قبل الحرب.

يتذكر القمص سرجيوس هذه اللحظة؛ كان يزور عائلة قبطية بالقرب من كنيسة الفجالة في القاهرة في أوائل شهر مارس، عندما سمع هتافات مؤيدة لسعد زغلول، فيقول: "شعرت بارتجاف غريب وكان دمي يغلي في عروقي. تركت العائلة ووجدت قدمي تأخذني مباشرة إلى الأزهر!"[٨٣] وسار القمص سرجيوس في ثوبه الكهنوتي إلى جامع الأزهر وأصبح أول كاهن مسيحي على الإطلاق يقف ويخطب من على منبره.[٨٤] خطب القمص سرجيوس في الأزهر بين مارس وأبريل ١٩١٩ لمدة تسعة وخمسين يومًا متتاليًا ضد البريطانيين. وأطلق عليه سعد زغلول لقب "خطيب مصر". وفي إحدى المناسبات، كان سرجيوس يقف في ميدان رمسيس وأثار إعجاب الجماهير بسؤال مثير للاهتمام: "خمنوا ماذا فعلت اليوم؟" تركزت كل العيون عليه، وتابع: "لقد أجريت زواجًا مسيحيًا لفتاة مسلمة، لقد تزوجت مصر حتى تنال الاستقلال" كان التصفيق يصم الآذان.[٨٥] وهتفت الجماهير بشعارات: "عاش الهلال مع الصليب"، و"الدين لله والوطن للجميع".[٨٦] كانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ الأمة التي فيها تم طبع الهلال والصليب على العلم ذاته.[٨٧] وعلى الرغم من أن البلاد عانت في العامين التاليين من الجروح المؤلمة بسبب الحدة والفوضى، سار الكهنة والشيوخ أذرعهم في أذرع البعض في مواجهة عدو مشترك. وكان يبدو أن الأقباط وجدوا أخيرًا موطنًا سياسيًا في حزب الوفد بزعامة زغلول.[٨٨]

في نوفمبر ١٩١٩، حققت لجنة ميلنر في الثورة الناشئة، وذكرت أن وضع الحماية كان، بكل بساطة، غير مرضٍ. بحلول ٢٢ فبراير ١٩٢٢، ألغت الحكومة البريطانية

الحماية وأعلنت من جانب واحد مصر دولة مستقلة ذات سيادة.[٨٩] كان المصريون مفتتنين بزغلول عن حق، وفي عام ١٩٢٤ تم انتخابه رئيسًا للوزراء في أول حكومة وفدية. في تلك اللحظة بالذات، اتحد "الهلال والصليب" - وإن كان ذلك لفترة وجيزة.

ليس لدينا لسوء الحظ، أي سجل عن حياة عازر في معظم هذه الفترة. ويذكر شقيقه؛ حنا بإيجاز أن والدهما؛ يوسف كان المدير العام لأعمال أحمد يحي باشا، حيث وجدت حركة الوفد جذورها في بيته. وفي هذا الشأن المذكرات مقتضبة تمامًا: "إن تعرض عازر لهذه البيئة ساعد على أن تنشأ بداخله مشاعر وطنية قوية".[٩٠]

لكن من المهم تمييز نقطتين على الأقل ضمن هذا "الموضوع". كانت الطائفية منتشرة من عام ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٤، وكانت قوى الصراع بين المسيحيين والمسلمين مغروسة بعمق في ذاكرة الصبي عازر في سن المدرسة الابتدائية. كان هذا الصراع يتعارض مع الحب الذي شعر به عازر تجاه جيرانه المسلمين والشيخ الذي علَّمه في طوخ النصارى. لقد سببت هذه الأحداث إيقاظًا حزينًا وحادًّا لحقائق التعصب الديني. لكن من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٢٢، كان عازر، وقد أصبح شابًّا، قد تعرض للعكس تمامًا، وكان سيدرك القدرة على الحوار الديني وروعة الوقوف بوطنية تحت علم واحد موحد.

لذلك، قبل بلوغه العشرينات من عمره، رأى عازر كلاً من الكراهية غير العقلانية والتضامن القوى. كان أحدهما بمثابة تحذير وشيك، والآخر، مثال عابر بسرعة.

الطريق إلى الدير (١٩٢٠-١٩٢٧)

القديسون بطبيعتهم مزعجون بقدر ما هم مصدر إلهام

سوزان أشبروك هارفي

لم يولد عازر قديسًا، بل كان الطريق الذي اختاره. ليس بمعنى هذا أنه يمكن للإنسان أن يختار بجدية أو بوعي أن يكون قديسًا؛ ولكنه كان يشتاق تمامًا إلى حياة الوحدة مع الله. إن القول بأن هذه الرغبة قد قوبلت بالرفض سيكون تخفيفًا لما حدث. لقد استقبلت عائلته هذا القرار بانهيار.

أكمل عازر دراسته بعد عام واحد فقط من الثورة في سنة ١٩٢٠، وفى حين كانت مصر تنتظر الاستقلال بفارغ الصبر، كان عازر يؤدى امتحانات الثانوية النهائية وهو قلق، وحصل على البكالوريا. شكَّلت الأحكام العرفية المتقطعة، والعنف المنتشر، والانتفاضة العرضية، خلفية لتخرجه في جو قلق غير مستقر. لكن القلق لم يدم طويلاً. مَنح إعلان الاستقلال من جانب واحد في عام ١٩٢٢ قدرًا من الاستقرار للأمة. وفي خلال فترة قصيرة تمكن عازر من الحصول على وظيفة كمدير حسابات شركة إنجليزية باسم توماس كوك وابنه.[٩١] تأسست الشركة سنة ١٨٤١ باسم توماس كوك كشركة لتقديم خدمات السفر. من الغريب أنه تم تأسيسها في الأصل لغرض ديني ونقل أبناء الأبروشية إلى اجتماعات مدارس الأحد في وسط إنجلترا وحوله. بحلول ثمانينيات القرن التاسع عشر، كانت الشركة تعمل في مجال النقل العسكري والخدمات البريدية للبريطانيين في مصر، بالإضافة إلى تنظيم رحلات السفر الفردية.

هناك صورة نادرة لعازر في تلك الفترة في بطاقته الشخصية، وتكشف الصورة عن شاب طويل ووسيم وشبه رياضي يرتدي بذلة وله شارب أنيق وأنف مصري نموذجي. نظراته عميقة ومحددة ومخترقة كما لو أن المرء كان مكشوفًا أمامه. يرتدي قبعة حمراء مخروطية الشكل، مسطحة القمة، دون حواف بها شراشيب، تُعرف عادة

باسم الطربوش وهو رمز المكانة الاجتماعية ورمز للموظفين ذوي الياقات البيضاء في الإمبراطورية العثمانية.[٩٢] يبدو عازر للوهلة الأولى شابًّا مصريًّا عاديًّا بخلاف عينيه المميَّزتين واللتين تجذبان الانتباه.

يشير حنا إلى أنه خلال هذه السنوات، كان عازر يصلي كل صباح في كاتدرائية القديس مارمرقس بمحطة الرمل بالإسكندرية، قبل أن يذهب ماشيًا إلى عمله.[٩٣] وكان من المعروف عن المدير العام في توماس كوك، وهو استرالي، أنه رجل عنيد، وكان يقف في كثير من الأحيان عند مدخل المبنى يراقب ويلاحظ بدقة وقت وصول موظفيه. وكان يدرك تمامًا أنه كان مخيفًا، وأن الكثيرين يخططون في كثير من الأحيان أن يصلوا إلى العمل قبل وصوله لكي يتجنبوه. يتذكر شقيقه حنا أنه في صباح أحد الأيام وصل عازر إلى العمل بعد صلاة باكر في الكنيسة، وحيا عن قصد المدير العام عند المدخل مباشرة. سأله المدير "لماذا وصلت متأخرًا جدًّا؟" نظر عازر إلى ساعته بهدوء وأجاب بحزم أن الساعة التاسعة صباحًا بالضبط، وبالتالي هو لم يتأخر. غادر المدير العام بصمت ووجد المدير المباشر لعازر، وعلق قائلاً إنه "فخور بهذا الشاب الذي احترم نفسه ولم يتجنبه كما فعل كثيرون آخرون".[٩٤] على الرغم من كون هذا الحدث حدثًا يوميًّا - حتى عاديًّا - إلا أنه يشير إلى اتجاه داخلي نبيل وحازم في الوقت نفسه، وهذا السلوك سوف يتكرر مرارًا وتكرارًا طوال خدمة عازر الكنسية.

عندما كان عازر يبلغ من العمر عشرين عامًا، أي في سنة ١٩٢٢، اختبر ما يمكننا تسميته بنقطة تحول حاسمة لا يمكن مقاومتها. على الرغم من أن التغير في سلوكه كان ملحوظًا منذ طفولته، إلا أن التغير أصبح أكثر سرعة. لم يتم أبدًا تقدير نقطة التحول هذه أو هذا الاستعلان بشكل صحيح في الكتب التي كتبت عن حياته. ومع ذلك، تتفق المصادر الثلاثة الأكثر مصداقية على أن شيئًا ما قد حدث.[٩٥] في مذكرات حنا، وقصة أبونا رافائيل آفامينا (تلميذه لاحقًا)، وحكاية رئيس الشمامسة إسكندر (معلمه)، تم تحديد نقطة التحول على إنها حدثت سنة ١٩٢٢، قبل خمس سنوات من

دخول عازر إلى الدير.[٩٦] ولكن للأسف لا نعرف ما حدث على وجه التحديد. قد نحاول فقط أن نتعمق فيما حدث بحذر شديد من الخارج.

كتب عازر بعد عقود في شذرة مكتوب بخط يده:

> منذ شبابي المبكر كنت أميل إلى الهدوء والعزلة وارتداء الملابس السوداء. ولما بلغت سن الرشد سمعت الكثير عن الأديرة والرهبان فاشتعل قلبي. كنت أشتاق كثيرا أن أذهب إلى الدير.[٩٧]

يمكن أن تكون هذه الرغبة المفاجئة العميقة والغامرة لحياة الرهبنة هي بؤرة التغيير. كتب شقيقه أن "محبة [عازر] لله كانت واضحة جدًّا في سلوكه في هذه المرحلة من حياته".[٩٨] في حين كان الشباب الآخرون يراكمون الثروة ويبحثون عن شركاء حياة مناسبين ويستمتعون بالمتع اللحظية، كان عازر يقضى وقت فراغه كله مستغرقًا في الليتورجيا والصلاة. سرعان ما لاحظت عائلته هذه التغييرات الجذرية. فقد كان يغلق غرفته كل مساء ويصلي ويقرأ الكتاب المقدس.[٩٩] حتى أخيه لم يكن لديه أدنى فكرة عما كان يحدث. وتماشيًا مع السلوك الرهباني، كان عازر يقوم بغلق غرفته بعناية ويمنع عائلته تمامًا من دخولها.[١٠٠] كانوا يرون فقط المظاهر الخارجية لما كان يحدث في أعماق عازر، لذلك ليس من المستغرب أن تضيع تفاصيل "نقطة التحول" هذه في التاريخ. يدعي أبونا رافائيل (نفترض أن هذا قد قيل له سرًّا) أنه خلال هذه السنوات الخمس بدأ عازر يمارس حياة الوحدة في غرفته، ومما كان غير معروف لعائلته أنه كان يأكل القليل جدًّا ويترك سريره المريح وينام على الأرض.[١٠١] كانت الرهبنة والشوق إلى حياة الوحدة قد تملكت هذا الشاب تمامًا.

كتب عازر (بعدما أصبح راهبًا) بعد عقد من الزمان رسالة إلى أخيه تعطينا لمحة عن حياة الجهاد التي كان يعيشها في تلك السنوات الخمس:

> ألزم نفسك بالذهاب مباشرة من المنزل إلى العمل وأيضا في طريق عودتك، وكذلك أثناء الذهاب إلى الكنيسة والاجتماعات الروحية. لا تسرع في المشي إلا عند الضرورة. لا تنظر يمينًا ويسارًا عند السير في الشارع. انظر مباشرة إلى الأمام

وأنت تمشي، صلِّ في قلبك: "يا رب أعنى؛ خبئني تحت ظل جناحيك. يا ربي يسوع المسيح نجني من الخطية"... عندما تعود من العمل، اخلع ملابسك واغسل وجهك واسترح قليلاً. إذا كنت ترغب في الحصول على بعض الترفيه، اخرج بعيدًا عن الضوضاء، وتأمل في أعمال الخالق وجمال الطبيعة... لا تفكر كثيرًا في هموم الحياة. لا تهتم بشيء. القِ على الرب همك وهو يعولك. لا تمكث خارج المنزل لوقت متأخر؛ من الأفضل ألَّا تتأخر عن الساعة الثامنة.[١٠٢]

ويمكننا أن نستنتج أن هذه النصيحة تأسست بناء على قانونه الروحي عندما اشتاق إلى حياة الرهبنة. وتُكمل الرسالة:

اذهب إلى الفراش مبكرًا واستيقظ مبكرًا... عندما تستيقظ لا تظل في الفراش... ابدأ يومك بالصلاة لله وفي السجود عشرين أو ثلاثين مرة أو قدر المستطاع، لأنه من بين جميع الفضائل الأخرى التي يقوم بها الناس، لا يوجد أفضل من هذا... بعد ذلك اذهب واغسل وجهك وقف أمام الله واشكره على رعايته لك هذه الليلة وأنه أتى بك إلى الصباح... اقرأ الكتاب المقدس بعناية. أعطه الوقت الذي تعطيه للجرائد، لأن كلام الله أحلى من العسل.[١٠٣]

وهكذا مرت تلك السنوات الخمس، وعازر يعيش راهبًا داخل غرفة نومه، وعائلته تتابعه وهم في حيرة من أمرهم متأثرون به ومضطربون في الوقت نفسه؛ لقد كان عازر يستعد لحياة أخرى بهدوء ودون ضجة. عاش كـ "راهب في المدينة"، بشارة لأسلوب حياته الرهبانية. على الرغم من أنهم عندما يستعيدون الذكريات يتذكرون أن القرار الوشيك كان واضحًا بشكل صارخ، إلا أن شقيقه لاحظ في مذكراته أن أفراد عائلته كانوا ما زالوا لا يدركون شيئًا. لم يفصح عازر لهم عن أي شيء. وعندما أعلن عازر قراره أخيرًا، كان "مفاجأة للجميع".[١٠٤]

تلقى حنا مكالمة هاتفية مقلقة في صباح يوم عادى في أوائل يونيو ١٩٢٧، حيث طلب المدير العام لعازر، وهو الرجل الاسترالي الجنسية، بحدة شديدة أن يلتقي به على الفور. لم يتأخر حنا، وعندما شق طريقه إلى شركة توماس كوك، يذكر أن قلبه كان منقبضًا، حيث كان يعلم جيدًا أن عازر مسؤول عن حسابات الشركة ونفقاتها، وفكر

في السيناريوهات المحتملة، كان حنا يخشى السيناريو الأسوأ.[١٠٥] ولما جلس حنا مع المدير العام سمع أخبارًا مستحيلة؛ كان عازر قد قدم استقالته فجأة في صباح اليوم وبرر ذلك بسبب غامض: "بما أن لدي مُهمة خطيرة للغاية يجب أن أؤديها، أرجو قبول استقالتي اعتبارًا من نهاية يونيو ١٩٢٧".[١٠٦] ثم سأل المدير حنا، ما الذي يمكن أن يكون أهم من الدور الحيوي لعازر في الشركة؟ كان حنا لا يعرف شيئًا عن هذا الأمر، وأقر بجهله ووعد بأنه سيتقصى الأمر بسرعة.

عندما اجتمعت الأسرة في المساء كعادتهم، وكان والده جالسًا في انتظاره، طلب حنا أن يعرف بالضبط ما يدور في ذهن أخيه الأصغر. تكلم عازر بقوة، ولكن بتواضع: "أيهما أفضل؟ حياة مقدسة وسعادة داخلية حقيقية، أم المعاناة والحياة المؤلمة التي يجب أن يعيشها الإنسان في العالم؟"[١٠٧] تكشف هذه الكلمات في مذكرات حنا عن صراع عازر الداخلي وتكشف الشيء الذي كان يشغل باله ليلاً ونهارًا خلال السنوات الخمس الماضية؛ لقد تمنى في أعماقه، وبشكل حاسم، أن ينفرد بالله. كانت الحياة في العالم بالنسبة لعازر لا تطاق، وكانت الاستقالة، رغم أنها بدت متهورة ومفاجئة على ما يبدو، بمثابة الذروة الدرامية والقوية والمشحونة بالمشاعر لتطلعه المستمر والمتزايد والمتعقل جدًّا. كان عازر منغمسًا في "رهبنته في المدينة" لفترة طويلة، ورغبة عازر في المغادرة والبقاء مع الله أَسَرته وملكت كل كيانه. لم يعد يستطيع الانتظار، فقد انتظر طويلاً. كان يشتاق إلى الوحدة، كانت كل لحظة تمر حتى يأتي ذلك الوقت لا تطاق.

كتب عازر في مذكراته الخاصة، بعد عقد من الزمن، بشكل ساخر أن لحظة استقالته لم تكن عشوائية أو اندفاعية، ولكن "جاء اليوم الذي عينه الله".[١٠٨] يظل ما تعنيه هذه الكلمات مخفيًّا عن التاريخ مثل السنوات الخمس التي سبقتها التي عاشها الخفاء، منعزلاً في غرفته، لكن عازر تذكر بالتأكيد الحوار المتوتر في ذلك المساء، وإن كان بكلمات أكثر هدوءًا، فيقول:

كنت أشتاق كثيرا أن أذهب إلى الدير... عندما جاء اليوم الذي عينه الله، ناقشت نواياي مع والدي وإخوتي. في البداية اعترضوا بشدة، لكن هذا لم يجعلني أغير رأيي. دعوت الله باستمرار أن يسمحوا لي بالذهاب إلى الدير.[١٠٩]

كان ذلك وصفًا مخففًا لما حدث. اجتمعت عائلته وأصدقاؤه (كان أصدقاؤه يتحدثون معه في مكالمات تليفونية محمومة) في محاولة لكي يتراجع عن قراره.[١١٠] كيف يمكن لشاب في الخامسة والعشرين من عمره أن يترك حياة ناجحة ليختار حياة أسوأ من حياة الفلاحين؟ في كل العصور، وجَد أولئك الذين يعيشون في أمان صعوبة في أن يفهموا كيف يمكن لشخص ما، أن يتحول من الراحة إلى حياة الرهبنة "كان هذا الوضع يبدو لهم في أحسن الأحوال غير مفهوم، وفي أسوأ الأحوال خطأً جسيمًا".[١١١] كان الوضع في مصر في أوائل القرن العشرين قد تطور بشكل درامي خطير. كانت الأديرة في حالة خراب فعلي، دون كهرباء أو مياه جارية أو أي من أساسيات المجتمع المدني المعاصر. وكان الرهبان في معظم الأحوال، مهَملين روحيًّا وجسديًّا، في حالة من الإهمال والتخلي. لم يكن أي شخص متعلم أو من عائلة محترمة يفكر أبدًا في مثل هذه الحياة. كانت الرهبنة هي طريق غير المتعلمين، والفاشلين، وغير الصالحين للزواج. لذلك كان استياء عائلة عازر مفهومًا، وعقلانيًّا جدًّا. في النهاية ظل الحوار مكثفًا ولم يتم الوصول إلى حل. يذكر حنا في مذكراته وجع العائلة: "ذهبت كل التماساتهم ونصائحهم هباءً. لم يمكن إقناعه أن يغير رأيه".[١١٢]

التقى عازر، وكان بلا شك محبطًا مع الأنبا يؤانس، مطران البحيرة والمنوفية من دون موافقتهم. وقد كان الأنبا يؤانس مسؤولاً أيضًا عن دير البرموس.[١١٣] عَرف الأنبا يؤانس (١٨٥٥-١٩٤٢) أن الشاب هو ابن يوسف عطا الذي يعرفه المطران جيدًا. شعر المطران أن هناك شيئًا ما خطأ، وسأل عازر برقة عن سبب عدم اصطحابه لوالده وشقيقه. ورد عازر بأنه مستعد، بموافقتهم أو دون موافقتهم في أن يختار هذا الطريق. لم يستطع الأنبا يؤانس، من جانبه، فعل شيء كهذا. للأسف لن يمكنه تنفيذ هذا الأمر دون الحصول على إذن مسبق من العائلة.[١١٤]

عاد عازر إلى المنزل حزينًا، وقد تحطمت آماله وأحلامه التي رسمها في السنوات الخمس الماضية. عندما رأت عائلته أنه مكتئب، استغلت ما اعتقدت أنه فرصة مثالية أن ينقلوا له الأخبار المغرية. لقد عرض المدير العام للشركة التي كان لعازر يعمل بها أن يقدم "علاوة استثنائية" لعازر إذا غيَّر رأيه. صم عازر أذنيه عن سماع تلك الكلمات تمامًا.[115]

وفي هذه اللحظة، وفقًا لرواية حنا، رضخ والدهم؛ يوسف عطا بشكل مفاجئ. وإدراكًا منه لقوة ابنه الروحية وإرادته، نصح عازر بحضور القداس والتناول ثم اتخاذ قراره. قال يوسف إن الأسرة ستقبل وتدعم القرار بعد ذلك مهما كان مؤلمًا.[116]

ومع ذلك، من غير المحتمل أن يكون القرار قد جاء بهذه السرعة والسلاسة، خاصة في ظل الجدل والتوتر السابقين. يبدو أن هناك خطوة مفقودة في مذكرات أخيه.[117] يروي رئيس الشمامسة؛ إسكندر حنا (١٨٨٠-١٩٤٤)، وهو واعظ مشهور ومؤثر في تلك الفترة، حدثًا وقع قبل ذلك بقليل - ويفسِّر بالتأكيد - التغيير المفاجئ في رأى يوسف عطا. الجزء الأكبر من الرواية غير معروف، وعلى حد علمي لم يتم ذكره في أي دراسة.[118] وفقًا للرواية، كان عازر يحضر منذ فترة طويلة محاضرات رئيس الشمامسة في كاتدرائية مارمرقس، وكذلك في "جمعية النهضة الروحية" في محرم بك بالإسكندرية. يتذكر إسكندر جيدًا رد فعل الأسرة على قرار عازر في اختيار الرهبنة: "لقد ثاروا وسخروا من فكرته وحاولوا تغيير رأيه، أحيانًا بحوار عقلاني، وأحيانًا أخرى بتخويفه بشأن مستقبله غير المؤكد. ولكن كان عازر أثناء الحوار ثابتًا وحازمًا. وكان شقيق عازر الأكبر حنا أكثرهم هياجًا وغضبًا".[119]

طلب عازر النصيحة من إسكندر، بعد الحوار المشتعل مع عائلته ورفض المطران. طمأنه إسكندر قائلاً: "عائلتك يا ابني، لا تعرف شيئًا عنك وتتحدث بلغة الجسد".[120] شعر عازر أنه حصل على حكم بالبراءة، ورجع إلى المنزل ونقل لهم هذه الكلمات. توجه حنا في صباح اليوم التالي وهو في حالة عدم تصديق إلى مقر الجمعية وانتظر فرصة لقاء خاص مع رئيس الشمامسة. وقبل أن يتمكن حنا من قول كلمة

واحدة، بادره رئيس الشمامسة بالقول "حنا، اترك أخاك وشأنه ولا تسد طريقه". وتابع إسكندر قائلاً:

> كان عازر يأتي إلى بعد العمل كل يوم تقريبًا على مدار السنوات الخمس الماضية، ويطرح أسئلة حول الأعداد الصعبة من الكتاب المقدس. لديه بالفعل مذكرات يومية مرتبة حسب الترتيب الأبجدي، يكتب فيها الأعداد بالإضافة إلى التفسير الذي أقدمه له. لقد قرأ الكتاب المقدس بالكامل ويعرف كل معانيه... إنه يعيش حياته وفقًا لوصايا الكتاب المقدس. حنا، اتركه وشأنه فهو ينتظره مستقبل مشرق ومبهج.[١٢١]

يوضح إسكندر أن عازر لم يتخذ قرارًا غريبًا أو خياليًا؛ كان قد أمضى خمس سنوات يعد نفسه لذلك القرار. لا يوجد سبب للشك في صحة هذه الرواية. وهي تتماشى بشكل ملحوظ مع شخصية عازر التي ترسمها المصادر الأخرى عن حياته. وعندما سُئل بعد تنصيبه في مقابلة في عام ١٩٥٩ عن أعظم مرشديه قبل الرهبنة، أجاب عازر (البابا كيرلس السادس) ببضع كلمات: "رئيس الشمامسة إسكندر حنا والقمص يوحنا جرجس الكبير السكندري [والد عازر الروحي / أب اعترافه]".[١٢٢] لذلك يمكن أن نرى أن تأثير إسكندر على عازر، على الأقل في جزء منه، كان مرتبطًا بالدور المحوري الذي لعبه رئيس الشمامسة في تلك اللحظة الحاسمة.

عاد حنا بعد هذا الاجتماع الحاسم وأقنع والده بطريق عازر. يبدو أن والدهم أخذ بنصيحة رئيس الشمامسة وهو شخص مصدر ثقة، ونصح ابنه في تلك المرحلة بحضور القداس لكي يعرف إرادة الله، وأطاع عازر.

وفي أول قداس بعد ذلك، صلى عازر ووالده بحرارة وتناولوا. وفي نهاية القداس، لم تكن هناك حاجة لمزيد من النقاش؛ استسلم يوسف عطا على مضض. كان الأب الروحي لعازر (ويوسف)، وهو كاهن مشهور وحكيم اسمه يوحنا جرجس حازمًا؛ هذا الطريق هو مشيئة الله للشاب.[١٢٣]

عاد عازر (بلا شك مبتسمًا) مع والده وشقيقه إلى الأنبا يؤانس. وتكشف مذكرات حنا، مع ذلك، أن الأمر كان لا يزال بعيد المنال. كان الأنبا يؤانس صريحًا ومباشرًا. كان لديه تحفظات كبيرة: كانت الرهبنة طريقًا خطرًا وغير مأمون؛ كل خطوة ستكون مليئة بالكرب والإهانة والتجارب المتنوعة؛ ولن يعيش عازر في سلام يومًا واحدًا.[١٢٤]

يشير حنا إلى أن عازر كان مصرًّا. وخلال السنوات الخمس الماضية، أصر عازر على أن يعيش هذه الحياة بمفرده في غرفته، وبالتالي "ما سيقابله لن يكون جديدًا عليه".[١٢٥] أجاب الأنبا يؤانس متشككًا "يا بني، لقد رأيت من خلال خبرتي أن الشباب القادمين من المدن الكبرى نادرًا ما يستمرون في الحياة في الدير".[١٢٦] لم يكن من يقبلون على الرهبنة في ذلك الوقت سوى الفقراء أو الفلاحين أو الأميين. من ناحية أخرى كان عازر متعلمًا مقارنة بأقرانه (وقد أتقن اللغة الإنجليزية) وهو من عائلة ثرية نسبيًّا؛ وزيادة على ذلك كان من سكان المدينة. كان الاعتراض، بالنسبة إلى عازر، تافهًا وليس له علاقة بقراره.[١٢٧] وقال عازر للأنبا يؤانس: "أملي وثقتي بالله قويان جدًّا، وأعتقد أنه إذا باركتني وطلبت من الرب أن يمنحني القوة والنجاح، فسأنجح. إن الرب يسوع المسيح عادل ولن ينسى من يحبونه".[١٢٨] وعندما أدرك الأنبا يؤانس قوة الشاب ومثابرته، لم يستطع أن يقاومه ووافق على طلبه، وباركه قائلاً: "سأهيئ لك طريقك نحو الرهبنة".[١٢٩]

وفقًا لرواية حنا، لم يستطع عازر احتواء فرحته وسجد أمام المطران مرات عديدة. لكن في أجزاء السيرة الذاتية لعازر، جاء القرار في النهاية عن طريق التدخل الإلهي: "كنت أدعو الله باستمرار أن يسمحوا لي بالذهاب إلى الدير. سمع الله تضرعي".[١٣٠] لم تكن كلمات عازر لعائلته سوى انعكاس خافت لفرحه الذي كان لا يوصف:

> من أنا الشقي؟ ما هو وضعي مقارنة بأبناء الملوك؛ مكسيموس ودوماديوس، اللذين تركا مملكة العالم لينالا المملكة الأبدية، وتنازلا عن الممالك والثروات من أجل

حب ملك السماوات؟... أتمنى أن أكون مثل التراب الذي كانت تدوسه أقدامهما.[١٣١]

عندما تركوا المطران ووصلوا إلى المنزل، بدأت المشاعر تستقر، وبدأت الحقيقة في الظهور. أدركت عائلته في ذلك المساء أن قرار عازر كان ضروريًّا وحتميًّا، وفي النهاية كانت إرادة الله. ومع ذلك، فقد كان ذلك يعني خسارة مؤلمة لأخٍ محبوب وابن عزيز. قال حنا: "بالحقيقة، كانت ليلة صعبة جدًّا لنا جميعًا".[١٣٢]

الحواشي

[١] القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية"، في: مجموعة أبونا رافائيل، الجزء الأول (مصر القديمة، وربما بين عامي ١٩٤٥ و١٩٤٩). نُشرت أجزاء السيرة الذاتية سابقًا على شكل أجزاء. كنت محظوظًا لاكتشافها بالكامل. على الرغم من عدم ذكر أي مرسل أو تاريخ، فمن المحتمل أن هذا العمل كتب من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٩ إلى رهبان دير القديس الأنبا صموئيل، نظرًا لأنه يحمل توقيع "القمص مينا البرموسي المتوحد". لسوء الحظ، يبدو أنه تركها غير مكتملة، لأنه توقف عن الكتابة في منتصف الصفحة - بالكلمات: "سأشرحها بالتفصيل لاحقًا". يذكر أبونا رافائيل آفامينا أن هذا المصدر قد تم اكتشافه في الأدراج الشخصية للبطريرك، مما يشير إلى أنه ربما غير رأيه ولم يرسل السيرة الذاتية إلى المرسل إليه (المرسلون) المقصود.

[٢] ا. ح. المصري، قصة الكنيسة القبطية: ١٩٥٦-١٩٧١، المجلد ٧ (القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٨)، ١٧؛ نشأت زقلمة، الحياة الروحية والرسالة الرعوية للبابا كيرلس السادس، المجلد ١ (القاهرة: أبناء الإنجيلي، ٢٠٠٧)، ٢٠.

[٣] تضع معظم المصادر باللغة العربية، وجميع باللغة الإنجليزية، ولادة عازر في طوخ النصارى، المنوفية. وهذا على ما يبدو أمر ثانوي نظرًا لغموض المصادر العربية في تحديد ولادته، على سبيل المثال في مذكرات حنا وصف ولادة عازر، ثم ذكر الانتقال من طوخ النصارى إلى دمنهور. ومع ذلك، فإن الانطباع هو أن المؤلف يبدأ بالولادة ثم يسرد تاريخ الأسرة. وبالتالي، هناك درجة من الغموض فيما يتعلق بمكان الميلاد، وبالتالي فمن المحتمل أن أقدم المصادر باللغة الإنجليزية قد أصبحت مشوشة بسبب هذا، انظر حنا يوسف عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس السادس (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ٢٠٠٢)، ١. اتبعت جميع مصادر السيرة الذاتية باللغة الإنجليزية، واكين (الذي كتب عام ١٩٦٣) وميناردس (في عام ١٩٧٠). انظر،

Edward Wakin, *A Lonely Minority: The Modern Story of Egypt's Copts* (New York: William Morrow & Company, 1963), 110; Otto Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life* (Cairo: The American University in Cairo Press, 1970), 43. See also Otto Meinardus, *Coptic Saints and Pilgrimages* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2002), 73.

[٤] تحدد شهادة الميلاد تاريخ الميلاد ٨ أغسطس ١٩٠٢، في حين أن تاريخ الميلاد الفعلي كان في ٢ أغسطس ١٩٠٢. ويعزى هذا التناقض إلى التأخير المؤكد في تسجيل المواليد. يُطلق على مكان الولادة أبو حمص الذي كان المركز الإداري لتسجيل المواليد بمحافظة البحيرة. ومن المهم أن نلاحظ أن بطاقة الهوية فيما بعد عندما وصل سن الرشد مكتوب بها أيضًا محل الميلاد أبوحمص. لو كان عازر قد ولد في طوخ النصارى لكان يجب أن يتم تسجيل محل ميلاده في محافظة المنوفية. في مراسلات شخصية مع مرقس حنا يوسف عطا، المعروف أيضًا باسم رضا مرقس (ابن شقيق البابا كيرلس السادس وابن كاتب سيرته الرئيسة)، تمكنت من تأكيد ذلك.

Marcos Hanna Youssef Atta, "Personal Correspondence, January 28, 2015," ed. Daniel Fanous (2015).

إن ذاكرة مرقس لا تشوبها شائبة إلى حد ما، لأنه فقد البصر في ظروف مؤسفة عندما كان طفلاً، وبالتالي فهو يحمل ذاكرة فوتوغرافية تقريبًا للظروف والتواريخ.

[٥] زقلمة، البابا كيرلس السادس ١:٢٠.

[٦] المرجع السابق.

[٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١.

[٨] المرجع السابق.

[٩] المرجع السابق. يكاد يكون من المستحيل الحصول على تفاصيل السيرة الذاتية لإستير. في الواقع، فُقد اسمها في التاريخ، ولم يرد ذكرها مرة واحدة في أي مصدر في السيرة الذاتية. عندما تكلمت مع أحفادها وأحفاد أحفادها، لم يستطع أحد تذكر اسمها، ناهيك عن تاريخ وفاتها. ومع ذلك، فقد تمكنت من اكتشاف العديد من تفاصيل السيرة الذاتية في المراسلات مع حفيدها المذكور أعلاه؛ مرقس حنا يوسف عطا. أظن أن سبب اختفائها في التاريخ يرجع لثلاثة أسباب: تزوج زوجها مرة أخرى بعد وفاتها، وغالبًا ما يتم تذكر النساء بشكل

عابر مقارنة بالرجال فيما كان آنذاك مجتمعًا ذكوريًا إلى حد ما، والسبب الأخير، أنها ماتت منذ أكثر من قرن، في عام ١٩١٢، عندما كان أطفالها صغارًا للغاية. يفسر موتها المبكر ظهورها القصير في مذكرات ابنها حنا. أيضًا، يجب أن نلاحظ أنه في شهادة ميلاد عازر، لم يتم كتابة تفاصيل الأم.

[١٠] المرجع السابق.

[١١] المرجع السابق.

[١٢] على الرغم من أن العديد من الروايات الشفوية التي تشير إلى نوال عازر سر المعمودية في كنيسة القديس مارجرجس في طوخ النصارى بمحافظة المنوفية، فمن غير المرجح بالنظر إلى الأدلة المذكورة أعلاه أن يكون مسقط رأسه في محافظة البحيرة وليس محافظة المنوفية. ذكر ابن شقيق البابا كيرلس في مراسلات شخصية: "ليس لدي أي فكرة حقًا عن سبب خلط الناس بين مكان ميلاده ومعموديته؛ ربما لأن العائلة انتقلت إلى طوخ النصارى عندما كان عازر في الخامسة من عمره". عطا، "مراسلات شخصية، ٢٨ يناير ٢٠١٥".

[١٣] من اللافت للنظر أن مؤرخًا عربيًا يقول إن أقرب مصادره كانوا حنا وأبونا ميخائيل. رُسِمَ الأخير في ٨ ديسمبر ١٩٦٢. تنيح أبونا ميخائيل في ١٣ نوفمبر ١٩٧٥، وتنيح حنا في ٨ فبراير ١٩٧٦. انظر أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ باباوات كرسي الإسكندرية، ١٨٠٩-١٩٧١ (القاهرة: المطبعة الحجازية، ١٩٧٧)، صـ ٢٠٠.

[١٤] إنني مدين للغاية لأحفاد يوسف عطا وعائلاتهم على تقديم تفاصيل السيرة التي كادت أن تكون مفقودة.

[١٥] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

[١٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١. دير البرموس، المعروف أيضًا باسم "دير باراميوس" و"دير الروميين"، أسسه القديس مقاريوس الكبير ويقع في صحراء وادي النطرون بمحافظة البحيرة، على بعد ١١٠ كيلومترات من دمنهور.

[١٧] المرجع السابق. من اللافت للنظر، تشير إيريس حبيب المصري إلى أن زيارة أبونا تادرس تمت في دمنهور، مما يرجح من صحة القول بأن عازر عاش في دمنهور من ١٩٠٢ إلى ١٩٠٧. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧:١٧.

[١٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١.

[١٩] المرجع السابق.

[٢٠] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".

[٢١] عطا، "مراسلات شخصية"، ٢٨ يناير ٢٠١٥. وهذا مخالف لمعظم الروايات التي كُتبت باللغة الإنجليزية التي تزعم أن عازر التحق بمدرسة ابتدائية في دمنهور والثانوية في الإسكندرية،

Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 43.

[٢٢] من المستحيل تحديد تاريخ هذه الحادثة، لكن بحسب رواية حنا، فقد حدثت بعد الزيارة التي تنبأ فيها أبونا تادرس البرموسى برهبنة عازر، وكانت إستير والدة عازر لا تزال على قيد الحياة في ذلك الوقت. هذا يضع الحادثة بين عامي ١٩٠٦ و١٩١٢. بالنظر إلى انتقال الأسرة إلى طوخ النصارى عام ١٩٠٧، وغادرت إلى الإسكندرية عام ١٩١٠، فمن المحتمل أن تكون قد حدثت هناك. وعليه، كان عازر بين الخامسة والثامنة من العمر.

[٢٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١-٢.

[٢٤] تتجاهل مذكرات حنا اسم الشيخ، في حين أن المصادر العربية الأخرى والمصادر الشعبية تذكره. انظر على سبيل المثال، المصري، قصة الكنيسة القبطية ٧: ١٨.

[٢٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢.

[٢٦] ادعاء واتسون تقليدي: "بعد أن اتخذ اسم القديس [مينا] كاسمه الخاص في الرهبنة، كان البابا كيرلس دائمًا مصممًا على محاكاة أبو مينا بكل طريقة ممكنة". انظر،

John H. Watson, "Abba Kyrillos: Patriarch and Solitary," *Coptic Church Review* 17, nos. 1–2 (1996): 20.

[٢٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١.

٢٨ يمكن أن يستند هذا الادعاء على أساس ثلاث حقائق: تقوم إستير في مذكرات حنا بدور رئيس في احتفالات الأعياد. توفيت إستير عام ١٩١٢؛ وطوخ النصارى (٢٨ كم من إبيار)، حيث عاشت الأسرة من ١٩٠٧ إلى ١٩١٠، كانت أقرب بكثير إلى إبيار من دمنهور (٥٠ كم). هذا يضع الزيارة السنوية تاريخيًا خلال هذه الفترة، على الرغم من أنه قد تكون قد استمرت بالتأكيد عندما انتقلت الأسرة إلى الإسكندرية (وإن كان ذلك على مسافة أكبر).

٢٩ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١.

[30] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 216.

[31] Ibid., 218–19.

٣٢ كانت كنيسة مارمينا موجودة هناك منذ القرن الثاني عشر على الأقل، ويمكننا أن نفترض أن الأعياد تعود إلى ذلك الوقت. وفقًا للنسخة العربية من حياة القديس، وُلِد مارمينا في إبيار، على الرغم من أن هذا غير مرجح بالنظر إلى المصادر الأخرى.

٣٣ في التقويم القبطي ١٥ هاتور.

٣٤ عطا، "مراسلات شخصية"، ٢٨ يناير ٢٠١٥.

[35] De Lacy O'Leary, *The Saints of Egypt* (New York: Macmillan, 1937), 196.

[36] Otto Meinardus, *Two Thousand Years of Coptic Christianity* (Cairo: The American University Press in Cairo, 1999), 151.

[37] Otto Meinardus, *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts (1989)*, rev. ed. (Cairo: The American University Press in Cairo, 1999), 170–78.

٣٨ لدينا في التاريخ ما لا يقل عن عشرة قديسين مختلفين يُدعون مينا، ثمانية منهم في السنكسار القبطي. يقترح دريشر أربعة خيارات مختلفة لتاريخ مارمينا: إما أن يكون (١) شهيدًا مصريًا؛ (٢) شهيدًا من مقاطعة فريجية في آسيا الصغرى. (٣) شهيدان مختلفان. أو (٤) تشابه في الأسماء مع إله خاص بمقاطعة فريجية. يقترح دريشر نفسه الخيار الثالث باعتباره الأكثر ترجيحًا، ولكنه يحذر من أن "نقص الأدلة لا يرجح أي خيار". انظر جيمس دريشر، أبا مينا: مجموعة مختارة من النصوص القبطية المتعلقة بمار مينا (القاهرة: منشورات جمعية الأرشيف القبطية، ١٩٤٦)، الجزء الرابع. يمكن تقسيم المصادر أيضًا إلى أنواع سير الاستشهاد، والسنكسار، والمدائح القبطية، ومجموعات المعجزات.

٣٩ السنكسار العربي مشتق جزئيًا من المدائح القبطية. تم تأليف المدائح القبطية بواسطة يوحنا رئيس أساقفة الإسكندرية، الذي اقترح عنه دريشر ثلاثة خيارات مختلفة، حيث كان هناك في الواقع ثلاثة رؤساء أساقفة مختلفين باسم يوحنا. هذا من شأنه أن يحدد تاريخ المخطوطة إلى ما بين ٦٤٠ إلى ٨٩٣ م (المرجع السابق، ١٢٩). يمكن قبول المصادر الأخرى عندما تكون متسقة، خاصة عندما يتقارب المحتوى.

٤٠ المرجع السابق.

[41] E. A. Wallis Budge, *Texts Relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicaea: In a Nubian Dialect* (London: Trustees of the British Museum, 1909), 23.

٤٢ دريشر، أبا مينا، صـ ١٠٢.

٤٣ المرجع السابق.

[44] The Ethiopian *Martyrdom of St Menas*; see Budge, Texts Relating to Saint Mena, P 46.

٤٥ المرجع السابق، صـ ٤٦-٤٧. يذكر كتاب سير الاستشهاد القبطي أنه فقط بعد "فترة طويلة" من العزلة، تلقى مارمينا الوحي والدعوة إلى الاستشهاد. انظر Drescher, *Apa Mena*, 102. والجدير بالذكر أن جميع المصادر تتفق مع الإكليلين الأول والثالث. يُعطى الإكليل الثاني بأشكال مختلفة مثل "النسك" و"الصبر" و"العزلة".

[46] Budge, *Texts Relating to Saint Mena*, P 47.

[47] Ibid.

[48] Ibid., P53–54.

٤٩ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".
٥٠ فوال هي العالمة الوحيدة التي استطاعت أن تدرك عمق علاقة عازر بمارمينا، لكنها تتوقف حتى عن البحث، وترجع هذا الانجذاب إلى "قداسة عائلته بالإضافة إلى بعض السمات التي ربما تكون قد جذبته". انظر،
Brigitte Voile, *Les Coptes d'Égypte sous Nasser: Sainteté, Miracles, Apparitions* (Paris: CNRS Éditions, 2004), 192–95.
٥١ يرجع هذا إلى تصريح عازر (البابا كيرلس السادس) في مقابلة أجريت معه عام ١٩٦٨ أن الأسرة كانت تعيش في الإسكندرية منذ عام ١٩١٠، ومن المدهش أن القديسة العذراء مريم في ذلك الوقت "شفيت مريضًا في ذلك المنزل". لا يسعني إلا أن أشير إلى أن والدته؛ إستير، هي التي توفيت بعد سنوات قليلة في عام ١٩١٢. راجع مايكل خليل، "مقابلة مع البابا كيرلس"، جريدة الأخبار، ١١ مايو ١٩٦٨؛ عطا، "مراسلات شخصية، ٢٨ يناير ٢٠١٥".
[52] Robert L. Tignor, *Egypt: A Short History* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010), 248.
٥٣ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣.
٥٤ روى لي هذه القصة من قبل مرقس ابن حنا، الذي كان يضحك بصورة هيستيرية وهو يروي لي القصة. وذكر أن القصة عالقة بشكل واضح في ذاكرته لأنهم كانوا ينفجرون جميعًا بضحك لا يمكن احتواؤه في كل مرة يرويها والده. عطا "مراسلات شخصية، ٢٨ يناير ٢٠١٥".
٥٥ انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٨؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١، ٢٥؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣.
٥٦ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢.
٥٧ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٩.
[58] M. W. Daly, "The British Occupation, 1882–1922," in *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century*, ed. M. W. Daly (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), 239.
[59] Ibid., 242.
[60] Ibid.
[61] Tignor, *Egypt: A Short History*, 231. For a fair and succinct assessment of Lord Cromer's rule, see P. J. Vatikiotis, *The History of Egypt: From Muhammad Ali to Mubarak*, 3rd ed. (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1985), 172–77.
[62] Evelyn Baring, Earl of Cromer, *Modern Egypt*, vol. 2 (New York: Macmillan, 1908), 206.
٦٣ على الرغم من حقيقة أن هذا الاقتباس يُنسب إليه غالبًا، إلا أن كرومر كان في الواقع يقتبس من عمل كلونزينجر في عمله، (ibid., 203) *Upper Egypt*. ومع ذلك، يستشهد كرومر باتفاق تام. كان على استعداد للاعتراف على الأقل بأن الأقباط قد "طوروا بعض القدرات المتوسطة" مما جعلهم إلى حد ما أكثر فائدة في مجال الاقتصاد (المرجع نفسه، ٢٠٧-٨). يستشهد فاتيكيوتيس كذلك بتقرير السير جون بورينج، *Report on Egypt* "[الأقباط] هم المساحون، والكتبة، وعلماء الحساب، والقياس، والموظفون، باختصار، هم رجال الأرض المتعلمون. هم لوزارة المالية والقلم مثل الفلاح للحقل والمحراث". انظر،
Vatikiotis, *The History of Egypt*, 206–7.
[64] S. S. Hasan, *Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality* (New York: Oxford University Press, 2003), 35.
من اللافت للنظر أن دراسة استقصائية عن تاريخ مصر الحديث تكشف القليل جدًا عن دور الكنيسة القبطية. على حد تعبير جورمان: "هناك اتجاه في الأوساط الأكاديمية لتهميش التاريخ القبطي باعتباره هامشيًا أو ليس له صلة بالتاريخ القومي".

(Anthony Gorman, *Historians, State, and Politics in Twentieth Century Egypt: Contesting the Nation* [New York: RoutledgeCurzon, 2003], 153.
كلمات غالي شكري مؤثرة بشكل خاص: "من المدهش أننا لا نعترف بمصر قبطية، أي مصر مسيحية، ومصر مصرية. هذا أكثر إثارة للدهشة في ضوء حقيقة ذلك... ما نجا [من] مصر القبطية... هم الناس الذين يعيشون بيننا مثل الخيط القرمزي الأصيل في نسج الأمة المصرية... وكأن الفتح الإسلامي هو بداية تاريخ مصر، وغير المسلمين هم الضيوف غير المدعوين هذا التاريخ" (المرجع السابق). هناك، على سبيل المثال، صعوبة كبيرة في تقييم عهد البابا كيرلس السادس تاريخيًا في مواجهة حكومة عبد الناصر، نظرًا لأن معظم الدراسات العلمانية في تلك الفترة كانت تهمش تأثير التاريخ القبطي على نسيج مصر في الستينيات والسبعينيات.

[65] Vivian Ibrahim, *The Copts of Egypt: Challenges of Modernisation and Identity* (New York: Tauris Academic Studies, 2011), 42.

٦٦ وصفها دالي بأنها "أهم سمة في العلاقات البريطانية-المصرية بين عامي ١٨٨٢ و١٩١٤". انظر،
Daly, "The British Occupation," 243.

[67] Vatikiotis, *The History of Egypt*, 205.

[68] Tignor, *Egypt: A Short History*, 238.

[69] Daly, "The British Occupation" 243.

[70] Tignor, *Egypt: A Short History*, 205.

٧١ يدعي محمد حسنين هيكل أن اختيار بطرس غالي باشا "أضر أكثر من أي شيء آخر بموقف الأقباط". انظر،
Mohamed Heikal, *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat* (London: Corgi, 1984), 157.

[72] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 55. For a discussion of the controversy in the appointment of Boutros Ghali, see Samuel Tadros, *Motherland Lost: The Egyptian and Coptic Quest for Modernity* (Stanford: Hoover Institution Press, 2013), 121–22.

٧٣ أعطى توقيع بطرس على الإدارة المشتركة للحكم في السودان سيطرة كاملة على السودان للإمبراطورية البريطانية وبالتالي حدد بوضوح تحالف غالي مع الإدارة البريطانية.

[74] Vatikiotis, *The History of Egypt*, 208.

[75] *Egyptian Gazette*, August 27, 1908, cited in Douglas Sladen, *Egypt and the English* (London: Hurst and Blacket Limited, 1908), xxi–xxii. For an analysis of the "press war," see B. L. Carter, *The Copts in Egyptian Politics* (London: Croom Helm, 1986), 10–11.

٧٦ يعلق كارتر: "من الطبيعي أن تصف الصحافة الإسلامية والقومية الجريمة بأنها عمل سياسي، واعتبر الأقباط، بطبيعة الحال، جريمة القتل بسبب الدين". في الواقع، تم الاحتفال بالورداني علنًا ليس فقط باعتباره بطلا قوميًا، ولكن كمسلم خلص شعبه من مسيحي متعجرف لا يطاق. ذكر ستورز؛ السكرتير الشرقي أن مجموعات من المسلمين جابت الشارع تغني عن "الورداني الذي قتل النصراني"، وأشار إلى أن القاتل "أصبح بطلاً قوميًا". انظر،

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 12–13.
ومن اللافت للنظر أن محمد حسنين هيكل؛ مستشار ناصر والسادات، يذكر الورداني بأنه "أصولي مسلم". انظر،

Heikal, *Autumn of Fury*, 157.

[77] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 39–40.
كانت مطالبهم الرئيسة هي الدعوة إلى يوم الأحد ليكون يوم عطلة، وإزالة أي تمييز في التوظيف أو التمويل الحكومي، والمساواة في الحصول على التعليم، وتمثيلهم في البرلمان. يبدو أنه تم تلبية طلب واحد فقط. في عام ١٩١٣، أصبح كتشنر القنصل العام البريطاني لمصر وزاد التمثيل السياسي للأقباط.

[78] Tignor, *Egypt: A Short History*, 240.

[79] J. D. Pennington, "The Copts in Modern Egypt," *Middle Eastern Studies* 18, no. 2 (1982): 161.

٨٠ مثل سنسكريتي قديم.

[81] Vatikiotis, *The History of Egypt*, 264.

[82] Ibid., 264–65.

[83] Cited from Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 64.

[84] Ibid.

[85] I. H. al-Masri, *The Story of the Copts: The True Story of Christianity in Egypt*, vol. 2 (California: St Anthony Coptic Orthodox Monastery, 1982), 375.

[86] Gorman, *Historians, State, and Politics*, 156.

[87] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 41.

٨٨ كتب جورمان: "تم إضفاء الطابع المؤسسي على روح هذا الإجماع على الهدف والأساس للهوية الجماعية بين المصريين في الوفد، الذي ضمت قياداته أقباطًا بارزين، ما يسمى بـ 'الأعمدة القبطية' للحزب، مثل مكرم عبيد، وواصف غالي، وويصا واصف. وباختصار، كان الوفد 'الوطن السياسي للأقباط'. انظر،

Gorman, *Historians, State, and Politics*, 156. Cf. Anthony O'Mahony, "Coptic Christianity in Modern Egypt," in *The Cambridge History of Christianity: Eastern Christianity*, ed. Michael Angold (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 497.

٨٩ ومع ذلك، كانت هناك أربعة "امتيازات" كما تم تسميتها. احتفظت الإمبراطورية البريطانية بحق تأمين الاتصالات الإمبراطورية داخل مصر، والدفاع عن مصر ضد العدوان الأجنبي، وحماية المصالح والأقليات الأجنبية، والسودان. انظر،

Vatikiotis, *The History of Egypt*, 270.

كانت القيود الصارمة على الاستقلال أمرًا لا مفر منه، وكانت العلاقات الإنجليزية المصرية ستظل مريرة لمدة ثلاثين عامًا أخرى. انظر،

Daly, "The British Occupation," 250.

٩٠ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢.

[91] Ibid., 4;

المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧:١٨. هناك إشارة عرضية في المصادر الثانوية إلى أنه قبل انضمامه إلى شركة توماس كوك وابنائه، وجد عازر لأول مرة عملاً في شركة هولندية مع شقيقه (تدعي فوال أنه بقي هناك حتى عام ١٩٢٤). على سبيل المثال، انظر،

Wakin, *A Lonely Minority*, 110; Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 190.

ولسوء الحظ، يظل مصدر هذا الادعاء بعيد المنال ومن المستحيل التأكد منه.

٩٢ انظر الصورتين؛ ١ و٤. ربما تكون الصورة هي الأقدم الموجودة، وهي مأخوذة من صورة عائلية وهي متوافقة مع بطاقة الهوية الوطنية لعام ١٩٢٥، عندما كان عمره ثلاثة وعشرين عامًا. ومن الغريب أن مكان إقامته يذكر باسم باب الشريعة، الذي يقع في القاهرة، على الرغم من أنه تم التوقيع عليه ثلاث مرات مختلفة في لإشارة إلى أن موقع التوقيع هو الإسكندرية. وبالمثل، يجد ابن أخيه؛ مرقص يوسف عطا، أنه من الغريب إدراج هذا المكان كمكان إقامته، حيث لم تغادر الأسرة الإسكندرية أبدًا بمجرد انتقالها إليها عام ١٩١٠. انظر،

Marcos Hanna Youssef Atta, "Personal Correspondence, March 5, 2015," ed. Daniel Fanous (2015).

تشير بطاقة الهوية أيضًا إلى وشم على معصمه (العلامة الكلاسيكية للمسيحي القبطي الأرثوذكسي في مصر)، بالإضافة إلى علامات تعريف الوجه الثنائية. تشير بطاقة الهوية إلى أن طوله ١٧٥ سم، على الرغم من أن صورًا أخرى تكشف عن رجل أطول بكثير. توصلت نيللي فان دورن هاردر إلى استنتاج مماثل ومضحك: "كان هذا الرجل شخصية عملاقة، ليس فقط في الكاريزما، ولكن، إذا حكمنا من خلال حجم حذائه المنزلي... في الحجم الجسدي أيضًا". انظر،

Nelly van Doorn-Harder, "Kyrillos VI (1902–1971): Planner, Patriarch and Saint," in *BDC,* 223–24.

٩٣ وادعى واتسون أن عازر كان يحضر "قداسًا يوميًا" قبل العمل. انظر،

John H. Watson, *Among the Copts* (Brighton: Sussex Academic Press, 2000), 49.

ومن المستبعد جدًا أن يكون قد فعل ذلك، لأن ممارسة القداسات اليومية كانت نادرة للغاية إن لم تكن معدومة في ذلك الوقت. تم الاحتفال بالقداس بشكل عام فقط يوم الجمعة (يوم العطلة الرسمية) والأحد. لم يتم تقديم ممارسة القداسات اليومية على نطاق واسع إلا من قبل الباب كيرلس السادس نفسه، في البداية كراهب كاهن ثم كبطريرك فيما بعد. انظر،

Rudolph Yanney, "Pope Cyril (Kyrillos) VI and the Liturgical Revival in the Coptic Church," *Coptic Church Review* 4, no. 1 (1983): 32 (hereafter "Liturgical Revival").

٩٤ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤.

٩٥ مذكرات حنا يوسف عطا، أبونا رافائيل آفامينا، وأجزاء السيرة الذاتية.

٩٦ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، ٤؛ أبونا رافائيل آفامينا، البابا كيرلس السادس والقيادة الروحية (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٧٧)، ٧. في سيرته الذاتية، لم يتم إعطاء فترة محددة من السنوات. ولكن تجدر الإشارة إلى أن شقيقه، حنا، يسند التصريح بأنه كان يستعد لحياة الرهبنة لمدة خمس سنوات في اقتباس من فم عازر نفسه.

٩٧ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

٩٨ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤. ومن اللافت للنظر أن ميناردس (وواتسون الذي يبدو أنه يوافقه الرأي) يشير إلى أنه "خلال أقامته في الإسكندرية، أثناء عمله لدى توماس كوك وأولاده، بدأ في قراءة فردوس الآباء، وهي خبرة حددت مسار حياته". انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 78; Watson, "Abba Kyrillos," 8.

في حين أنه من المحتمل تمامًا، نظرا لأنه مرجع أساسي وأدب مألوف لأي راهب (أو طالب للرهبنة)، فلا توجد إشارة إلى ذلك في المصادر العربية. أظن أنها إشارة خاطئة إلى مقابلة يتذكر فيها البطريرك أحداث يوليو ١٩٢٧ عندما كان ينتظر رحيله إلى الدير وكان لديه إمكانية الوصول إلى مكتبة الكلية اللاهوتية للرهبان في الإسكندرية. لقراءة نص الحوار، انظر،

Ramzy Wadie Girguis, *Pope Kyrillos: The Heavenly Harp*, trans. Safwat Youssef (Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 2003), 12.

٩٩ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤.

١٠٠ المرجع السابق.

١٠١ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٧.

١٠٢ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "الرسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، ١٩٣٠؟" مجموعة أبونا رافائيل، الجزء الأول، الرسالة ٤٨٩ (القاهرة: غير مؤرخة، ١٩٣٠؟). تتشابه في محتواها مع رسالة أخرى، وبالتالي فهي تدل على تعليمه وسلوكه. انظر أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى عطية لبيب، مارس ١٩٣٣"، مجموعة أبونا رافائيل، الجزء الثاني، رسالة ١٩ (القاهرة: ١٩٣٣). تم دمج هذه الرسائل في كتاب أبونا رافائيل آفامينا، السلوك المسيحي: وفقًا للقديس البابا كيرلس السادس (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ٢٠٠٠)، ٩-١٢. توحي هذه الرسائل بمعرفته بـ "صلاة يسوع"، وإن كان ذلك بطرق مختلفة.

١٠٣ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، ١٩٣٠؟".

١٠٤ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤.

١٠٥ المرجع السابق.

١٠٦ المرجع السابق.

١٠٧ المرجع السابق، صـ ٥.

١٠٨ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

[109] المرجع السابق.
[110] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.
[111] S. P. Brock, "Early Syrian Asceticism," *Numen* 20, no. 1 (1973): 1–2.
[112] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥. حقيقة أنه تحدث مع المطران الأنبا يؤانس من دون وجود والده أو أخيه تُظهر الكثير من الخلاف الذي أعقب المحادثة في الليلة التي أعلن فيها عازر نواياه.
[113] كان المطران الأنبا يؤانس أيضًا نائبًا لأبروشية الإسكندرية لأن شاغل الرتبة؛ البابا كيرلس الخامس، كان مسنًا ويحتاج إلى مساعدة، وفي الواقع سيتنيح بعد شهر واحد فقط أو نحو ذلك، في ٧ أغسطس ١٩٢٧.
[114] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.
[115] المرجع السابق.
[116] المرجع السابق.
[117] هذا على الأرجح من أجل الإيجاز وليس بسبب أي دافع خفي.
[118] مؤلف مجهول، رئيس الشمامسة إسكندر حنا (١٨٨٠-١٩٤٤) (نصر، القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، من دون تاريخ). اشتهر رئيس الشمامسة إسكندر حنا بالوعظ في كاتدرائية القديس مارمرقس بالإسكندرية. من أجل سيرة مختصرة انظر،

Wolfram Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche: Die Geschichte der Koptisch-Orthodoxen Sonntagsschulbewegung und die Aufnahme ihrer Reformansätze in den Erneuerungsbewegunen der Koptisch-Orthodoxen Kirche der Gegenwart* (Hamburg: Lit Verlag, 1998), 152, n. 317.

يذكر ريس بإيجاز علاقة إسكندر بعازر لكنه لا يعطي التفاصيل المذكورة أعلاه.
[119] مؤاف مجهول، إسكندر حنا، صـ ٢٣.
[120] المرجع السابق.
[121] المرجع السابق.
[122] حوار مع مجلة مارجرجس، أبريل / مايو ١٩٥٩ أعيد نشره في جرجس، القيثارة السماوية، صـ ١٣.
[123] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥. تقول إيريس حبيب المصري أن أبونا يوحنا قال ليوسف عطا: "أرى أنه [عازر] قد خطط للطريق المستقيم، كما دعاه الله لحياة الرهبنة". انظر، المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧:١٩. يبدو أن هذا اقتباس تم إسناده إلى أبونا يوحنا وكتبته إيريس حبيب المصري من مذكرات حنا: "نصح الكاهن يوسف بعد القداس الإلهي، بمساعدة عازر في تحقيق خططه وأن عازر يعرف بوضوح ما كان يفعله. لقد شعر هو شخصيًا أن هذا كان اختيار الله لعازر". انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥. كما تجدر الإشارة إلى أن أبونا يوحنا كان أب اعتراف جميع أفراد الأسرة، بما في ذلك يوسف نفسه، وبالتالي تكمن أهمية كلماته. عطا، "مراسلات شخصية، ٥ مارس ٢٠١٥".
[124] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.
[125] المرجع السابق.
[126] يتذكر أبونا رافائيل آفامينا كلمات المطران الأنبا يؤانس: "يا بني، الأشخاص الذين اعتادوا على حياة المدينة غير قادرين على احتمال طريق الرهبنة القاسي". انظر، أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٧.
[127] المرجع السابق.
[128] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.
[129] المرجع السابق.
[130] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".
[131] حنا يوسف عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس السادس (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٨١)، ١٢. الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب، في حين قد تكون جيدة بشكل عام، لكنها تفتقد

التفاصيل في نقاط معينة، أو في هذه الحالة، الاقتباس بأكمله. انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.

[١٣٢] حنا يوسف عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٢. تفتقد الترجمة الإنجليزية هذا مرة أخرى.

٢

الراهب مينا

بدايات الصلاة

(١٩٢٧ - ١٩٣٣)

الدعوة إلى دير البرموس (١٩٢٧)

كان ذلك اليوم الذي تركت فيه العالم أسعد يوم في حياتي
البابا كيرلس السادس

عندما استيقظ عازر في صباح اليوم التالي، كان يعلم أن حياته قد تغيرت بلا رجعة. من ذلك اليوم فصاعدًا، ورغم الانتظار، أصبح راهبًا؛ وإن كان لا يزال في العالم. وأثناء انتظار مغادرته إلى الدير، أمضى صوم الرسل (١٣ يونيو - ١٢ يوليو من ذلك العام) مستغرقًا في الصلاة ليلاً ونهارًا.[١] وكان عازر محظوظًا خلال هذه الفترة؛ فقد رافق الرهبان الذين سافروا من أديرتهم للدراسة في الكلية اللاهوتية للرهبان بالإسكندرية. فيتذكر في مقابلة لاحقة:

> لقد أتيحت لي فرصة عظيمة للقاء العديد من الرهبان. جلست معهم واستمعت إلى قصص حياتهم وحياة القديسين، لذلك أحببتهم. بدأت في استعارة الكتب وتاريخ القديسين من الكنيسة، وكنت أتطلع إلى أن أعيش حياة التكريس في خدمة الكنيسة.[٢]

لقد كانت فترة استعداد عميق، وكانت أول خبرة لعازر في الرهبنة الأصيلة. كانت الرحلات أو الخلوات إلى الأديرة في ذلك الوقت نادرة جدًّا، وغالبًا ما كانت مستحيلة.

لكن تذوق عازر الكتابات الآبائية والرهبانية في الإسكندرية، وسط الرهبان، وفي مقدمتها "فردوس الآباء".[٣] لن تحدد هذه الخبرة مجرى حياة عازر فحسب، كما يشير أحد الباحثين، ولكنها ستثير أيضًا "أسئلة كثيرة بخصوص تاريخ الكنيسة كما رآها هو".[٤] ما قرأه عن الآباء القديسين والرهبان كان، إلى حد ما، بعيدًا بشكل مأساوي عن حال الكنيسة في عصره.

وبحلول نهاية الصوم، نما ابتهاج الشاب عازر بشكل كبير. أحضرت له عائلته سلة كبيرة من المخبوزات (فطير) في عيد الرسل ١٢ يوليو، لتوزيعها على الشعب في عيد رئيس الملائكة ميخائيل، والذي كان سيحل بعد بضعة أيام.[٥] لم يكن عازر قادرًا على كبح جماح فرحته بخصوص الرهبنة، ووصل مبتسمًا إلى كنيسة القديس مارمرقس مرتديًا أشيك بدلة لديه وكان يحمل على كتفه تلك السلة القروية المبللة بالزيت المتساقط من الفطير. كان المشهد غير عادي، بل يعتبر محرجًا جدًّا بالنسبة للذين ينتمون للطبقة الوسطى. لم ينزعج عازر وقال: "إذا كان تلاميذ الرب قد حمل كل منهم سلة من بقايا الطعام بعد معجزة إطعام الجموع، فهل أنا أفضل منهم؟"[٦] وأخذت الحماسة عازر إلى حد إعداد سيرة ذاتية - والتي لم تكن بالطبع ضرورية.[٧]

بدأ الرهبان في نهاية الفصل الدراسي في الكلية اللاهوتية في التحضير للعودة إلى أديرتهم، وظل عازر ينتظر بقلق وترقب. أخيرًا، اتصل الأنبا يؤانس، وتم تحديد التاريخ. في خلال أسابيع قليلة، غادر عازر مع راهب كاهن تم رسامته مؤخرًا، وهو أبونا بشارة البرموسي (١٩٠٦-١٩٨٠)،[٨] حيث قد أعطى الأنبا يؤانس أبونا بشارة خطاب توصية لرئيس الدير بخصوص الشاب المرشح. يتذكر حنا أن المطران همس أيضًا بهدوء للراهب المرافق: "احرص على الحفاظ على ملابس الشاب ومتعلقاته".[٩] لقد توقع إلى حد ما أن عازر ربما لن يستمر طويلاً في الصحراء القاسية التي لا يوجد بها راحة.

استيقظ عازر (إن كان قد استطاع أن ينام) في الساعات الأولى من يوم الأربعاء، ٢٧ يوليو ١٩٢٧، وقام بتحضير حقيبته التي تشمل احتياجاته الضرورية.[١٠] سار والده

وإخوته وأخواته معه ببطء إلى محطة سكة حديد محطة مصر في الإسكندرية والتي تقع على بعد كيلومتر واحد،[11] وهناك اجتمع أهله وأصدقاؤه لتوديعه. لا يسعنا إلا أن نتخيل العناق والبكاء والقبلات المؤلمة والكلمات الأخيرة. وحضر أيضًا ألفريد فاضل، مديره المباشر من شركة توماس كوك. لقد جاء لكي ينقل تمنيات المدير العام، وبالأحرى لكي يبلغ عازر بأن وظيفته ستنتظره إلى أجل غير مسمى إذا غير رأيه، وابتسم عازر بهدوء، كما يشير حنا، وشكره على كلماته الكريمة. كانوا كلهم يفترضون أو على الأقل يأملون أن هذا القرار هو نزوة متهورة وقصيرة العمر في طريق الرهبنة، لكن لم كان لديهم سوى فكرة ضئيلة جدًّا عن رغبته التي لا تُقهر في الوحدة والتي كانت تشتعل في أعماق قلب الشاب. كتب عازر في جزء من سيرته الذاتية: "أخذوني إلى محطة القطار وباركوني بدعائهم، وكان ذلك اليوم، الذي تركت فيه العالم، أسعد يوم في حياتي".[12]

لم يُعرف سوى القليل عن رحلته إلى الدير وأيامه الأولى هناك. ومع ذلك، في نهاية العددين الأولين من مجلة "ميناء الخلاص"، التي كان عازر يكتبها في أوائل عام ١٩٢٨، كتب عازر بعض التعليقات عن هذه الرحلة. لم تتم دراسة هذه التعليقات التي لا تقدر بثمن أو ترجمتها (بأي لغة) أو حتى الاعتراف بها. ويبدو أنه قد تم حذفها نظرًا لظهورها المفاجئ في "باب السرد" في المجلة.[13] لقد فُقدَت هذه التعليقات من التاريخ حتى الآن.

وبحسب الرواية، غادر عازر العالم مع أبونا بشارة والرهبان الذين كانوا يدرسون في الإسكندرية، ويكتب عازر:

> انطلق القطار من محطة الإسكندرية وكان يسير بسرعة كبيرة ثم توقف القطار عند محطة دمنهور، فالتقينا الأراخنة؛ عوض وحنا أفندي اللذان كانا ينتظراننا. وتبادلنا التحيات، ثم ودعونا متمنين لنا التوفيق. ثم انطلق القطار وتوقف في محطة إيتاي البارود، فانتقلنا إلى القطار المتجه إلى الخطاطبة، حيث أخذنا استراحة هناك وأكلنا مع الآباء؛ السمك المقلي والبطيخ.[14]

في الرابعة عصرًا، استقلوا قطارًا قديمًا تابعًا لشركة الملح والصودا متجهًا إلى الحوكارية (بير حكير).[15] يتذكر عازر قائلاً: "لقد اندهشت من منظر القطار، لأنه قديم للغاية، كما لو كان من أيام نوح النبي "،[16] ووصلوا إلى الحوكارية الساعة العاشرة ليلاً.[17] عندما غادر القطار، وفقًا لرواية أبونا رافائيل (تلميذه لاحقًا)، سأل عازر قائد القطار لماذا لم يكن يرتدي الطربوش المعتاد، أجاب المحصل بأنه لا يملك المال لشراء واحد، فقام عازر على الفور بنزع طربوشه وسلمه ببهجة للمحصل، وبعد لحظات، أعطى معطف بدلته لسائق القطار الفقير، كما وعد بإرسال قميصه وبنطلونه فور وصوله إلى الدير (وقد فعل ذلك بالفعل).[18] لم تتح للأب بشارة أبدًا فرصة تلبية طلب المطران بالحفاظ على ملابس عازر إذا غير رأيه. ربما كان للمطران تحفظات، لكن الشاب كان جادًا في عزوفه عن العالم وتكريسه. لم يكن لديه أي نية أبدًا للعودة إلى العالم.

هناك في المحطة، كان ينتظرهم أحد الرهبان لكي يبدأوا الرحلة الأخيرة سيرًا على الأقدام:

> مشينا عبر هذا الجبل الرائع الذي لا نهاية له، وأثناء المشي، كنت أتلفت بحثًا عن الدير، وبعد ساعة وخمس عشرة دقيقة، رأينا من بعيد لمحة من نور قادم من قمة الجبل. كنت هادئًا جدًّا، والله يعلم أنني لم أشعر بهذه الراحة من قبل![19]

اقترب عازر والرهبان من الدير في سكون الصحراء وصمتها، وكلما اقتربوا، أصبح شكله الغامض أكثر وضوحًا.[20] أخيرًا، وصلوا إلى المكان الذي طالما حلم به عازر؛ موطن آماله الدائمة. وقف أمام سور الدير المتميز، الذي يبلغ ارتفاعه نحو عشرة أمتار وسمكه مترين، وهو مغطى بطبقة قديمة من الجبس عصفت بها الرمال الذهبية لوادي النطرون. كان هناك فوق السور ممر طويل بطول السور بالكامل حتى يتمكن الرهبان من الوقوف به للحراسة ضد هجمات البربر والبدو.

كتب عازر وهو يقترب من البرج المطلي باللون الأبيض:

كنت مدهوشًا، وكنت أبحث عن الباب ثم أشار أبونا إلى باب صغير جدًّا مقارنة بهذا المبنى الضخم؛ كان بابًا حديديًّا صلبًا للغاية، ارتفاعه مترين وعرضه متر واحد، وكان هناك جرس في الطرف العلوي للباب حتى يقرعه من يصل إلى الدير، ثم يأتي الكاهن المسؤول عن الباب ويرى الزائر من خلال نافذة تطل على الباب... قرعنا الجرس، وفتحوا.[٢١]

تأسس دير البرموس، وهو أول تجمع رهباني معروف في صحراء الإسقيط، حوالي عام ٣٤٠ بعد الميلاد. نجد في كتابات أنبا سيرابيون عن حياة القديس مقاريوس المصري (٣٠٠-٣٩١)، أن مكسيموس ودوماديوس، وهما أميران رومانيان وأبناء الإمبراطور فالنتينيان، وصلا إلى الإسقيط بعد رحلة حج في فلسطين. وهناك التقوا بالأنبا مقاريوس كاهن البرية. وبعد أن شهد الأنبا مقاريوس عمق حياة هذين "الغريبين الصغار" وموتهما، كرَّس مقاريوس القلالي الخاصة بهما، قائلاً: "سنطلق على هذا المكان قلايات الروميين". وقد استقرت الجماعة الرهبانية التي تجمعت حول مقاريوس بالقرب من هذه القلايات الخاصة بالروميين، ومن هنا جاء اسم برموس (القبطي: باروميوس؛ "الذي للروميين").[٢٢]

يرسم الزوار الأجانب للدير، المعاصرون لعازر، صورة لافتة للنظر عن ذلك الوقت، ومن المحتمل العثور على الحقيقة في رواية ما من هذه الروايات. زار قسطنطين فون تيشندورف، الذي اكتشف واحدة من أقدم مخطوطات الكتاب المقدس الباقية حتى الآن (المخطوطة السينائية)، الدير في عام ١٨٤٤، ولاحظ أن هناك عشرين راهبًا: "هنا كانت القلالي الأكثر سوادًا على الإطلاق. إنهم يعيشون بعدم اعتناء طوال الأيام. بالنسبة لمثل هذه الحياة التي يعيشونها: ترى ماذا كان الماضي وماذا سيكون المستقبل؟"[٢٣] أشار يوهان جورج في أكتوبر ١٩١٣، إلى أن قاعة الطعام تبدو وكأنها سجن أكثر من كونها قاعة طعام.[٢٤] وأعجب الدكتور ويليام هاتش، بعد عقد من الزمان، في عام ١٩٢٣، بحالة المكتبة والدير، حيث بلغ عدد الرهبان حوالي ثلاثين راهبًا.[٢٥] وادعى الأمير عمر طوسون الذي زار الدير عام ١٩٣١ من خلال دراسته أن الدير كان أغنى دير في وادي النطرون.[٢٦] حتى أن أحد الزائرين وهو أتش. في. مورتون؛

كاتب الرحلات الشهير، شارك عازر في شعوره بالرهبة عند اقترابه من الدير، فقد اندهش من رؤية سور الدير والممر الواسع الذي يقف في تناقض صارخ مع الصغر غير العادي للبوابة الصغيرة:

> كان الممر مصنوعًا للعمالقة، ولكن بوابة الدير للأقزام. لم تكن هناك حاجة للسؤال عن سبب هذه البوابة الضيقة فهي تعكس بشكل واضح أنها من أجل صد غارات الصحراء... قضيت بعض اللحظات في فحص الباب، حيث لم أر مطلقًا مثل هذا الباب؛ فقد كان مثقلاً بالسلاسل والمسامير والأقفال والقضبان الخشبية المتقاطعة.[٢٧]

يتذكر عازر قائلاً: "عندما دخلت شعرت كما لو أنني دخلت الفردوس، وكان الرهبان مثل الملائكة".[٢٨] وبمجرد دخول الباب الصغير، كان هناك ممر طوله ستة أمتار بسقف مقبب أسطواني يؤدي إلى باب آخر من الحديد المحصن يفتح في قلب الدير. شعر عازر بالبهجة عندما مر عبر البوابات. تصف هذه السيرة الذاتية، والتي لم يتم اكتشافها قبل ذلك، المشهد:

> خرج كل الرهبان من قلاليهم... رحبوا بنا، ثم قادونا إلى القصر المعد لاستقبال الضيوف. كان قصرًا فخمًا من طابقين؛ كان الطابق الأرضي يحتوي على أربع غرف، و[كان هناك] أربع غرف أخرى في الطابق العلوي، كانت مؤثثة بشكل جيد للغاية. انتظرنا في غرفة بالطابق الأرضي جاهزة للعشاء، ثم أحضروا بعض الماء، وشارك الجميع في غسل أقدامنا؛ الرهبان الصغار والشيوخ. شعرنا بالخجل، لكنهم أبلغونا أنها عادة قديمة جدًّا منذ الآباء الأوائل. تم تقديم العشاء لنا وشكرنا الله. بعد قليل أخذونا إلى الطابق العلوي للنوم فنمنا بهدوء وسلام.[٢٩]

استيقظ عازر بنشاط شديد في ساعة مبكرة من صباح الخميس على جرس الصلاة على الرغم من ساعات النوم القليلة. لم يفكر كثيرًا في حقيقة أن هذا الدير بدا بعيدًا عن الوصف الصارم والمرهق الذي قدمه المطران الأنبا يؤانس، وذهب على الفور للكنيسة، حيث "استمتع بجمالها الذي لا يمكن وصفه".[٣٠] يتذكر عازر: "حضرنا القداس الإلهي، وبالصدفة، كان الكاهن الذي خدم شيخًا تقيًّا فاضلاً يصلي

بالروح... غادرنا سعداء جدًّا وشكرنا الله".[31] في رواية أخرى من سيرته الذاتية، كتب باختصار: "ذهبت إلى الكنيسة، وحضرت القداس الإلهي، وحصلت على نعمة وفيرة".[32]

بعد القداس، قدَّم أبونا بشارة خطاب المطران إلى رئيس الدير؛ القمص شنودة. تغير وجه رئيس الدير فجأة، كان عازر قد أمضى الليلة في قصر الضيوف، لكنه لم يكن ضيفًا. كان "قصر الضيوف"، عبارة عن فيلا مبنية على طراز الشرق الأدنى من القرن التاسع عشر، بناها المطران يؤانس نفسه في عام ١٩١١.[33] لم تكن مقرًّا للرهبان، ولا لطالبي الرهبنة الذين تحت الاختبار. نجد في مذكرات حنا، أنه تم تقديم الضيافة لعازر على أنه من الضيوف بالخطأ في المساء. كان أبونا بشارة قد قدَّم الشاب عن غير قصد على أنه "زائر" من الإسكندرية، وأنه الابن الروحي للمطران الأنبا يؤانس.[34] لهذا السبب، تم التعامل معه بشكل مرفه إلى حد ما: تم تقديم العشاء له، وتم تشغيل المولد لتوفير الإضاءة.

ومع ذلك، كانت هذه الزيارة بالغة الأهمية، وإن كانت مثيرة للتساؤل. كان طالبو الرهبنة قليلين ومتباعدين، ونادرًا ما كانوا من المتعلمين سكان المدن. أمر رئيس الدير بقرع الجرس وأبلغ الرهبان المجتمعين أن "ضيفهم" الشاب قد جاء في الواقع للانضمام إليهم. همس العديد من الرهبان بحذر وتمتموا، متسائلين ما هي طريقة هذا الراهب.[35] كانت هذه هي المرة الأولى التي يقضي فيها طالب رهبنة الليل في رفاهية. ويتذكر عازر:

> تناولنا الإفطار ثم أراني أبونا شنودة؛ رئيس الدير، الغرفة التي سأقيم فيها حتى يجدوا لي قلاية. كانت غرفة جميلة بجوار المذبح وقد تم تخصيصها مسبقًا للبابا، ولكن الآن يستخدمها الزوار. مكثت هناك لمدة أسبوع وابتهجت جدًّا.[36]

كانت هذه الغرفة ذات يوم مكان إقامة البابا كيرلس الخامس (١٨٣١-١٩٢٧) في ظروف مؤسفة ومزعجة جدًّا. كان عازر بالتأكيد بمرور هذا الأسبوع، قد فكر في هذه الحادثة الشائنة. ففي عام ١٨٩٢، تم نفي البابا كيرلس الخامس إلى دير البرموس بعد

خلاف مطول مع المجلس الملي،[٣٧] وكانت الأشهر الستة التي قضاها في المنفى كارثية. تم قطع البديل الدمية؛ أثناسيوس من الشركة الكنسية. وكانت الكنائس في جميع أنحاء مصر مهجورة، وتوقفت القداسات والصلوات، وزاغ المؤمنون. على الرغم من عودة البابا كيرلس الخامس بعد فترة وجيزة، إلا أن هذه الحادثة ستُحفَر في ذاكرة الدير القابع في الصحراء وستكون بمثابة كلمة تحذير في المستقبل فيما يتعلق بالمجلس الملي لجميع الذين تجرأوا على الدخول (والخروج لاحقًا كأساقفة) من بوابات الدير الصغيرة جدًّا.

وجد رئيس الدير أخيرًا قلاية دائمة لعازر في نهاية الأسبوع. وأراه رئيس الدير مكان حفظ الخبز ثم تركه دون أن ينطق بكلمة أخرى.[٣٨] يذكر عازر:

> ذهبت لألقي نظرة، كانت قلاية في مبنى عمره مئة وخمسون عامًا. كان بها غرفتان: حجرة خارجية وأخرى داخلية تسمى "المحبسة". قمت بتنظيفها وتنظيمها، وعلقت بعض الأيقونات و[المصباح] الذي أحضرته معي، وأصبحت جميلة جدًّا.[٣٩]

كان يسكن القلاية في السابق راهب أعمى وقديس، يُفترض أنه عوض البرهيمي (توفي سنة ١٨٧٨).[٤٠] ومنذ ذلك الحين، تُركت القلاية في حالة من الإهمال والتلف. يشير حنا إلى أن القلاية كانت "قديمة ومهجورة"، ولم تكن صالحة للسكن في البداية. قام عازر بتنظيف الأرض بشق الأنفس، ورش الجبس المطحون، ورمم الأرضيات. وضع حقيبته في وسط الغرفة الخارجية، وأصبحت هذه مائدته المؤقتة.[٤١] ارتدى الشاب جلبابه الأسود العزيز، ووضع غطاءً أسود على رأسه، ووفقًا لمذكرات حنا، "بدا وكأنه راهب منذ سنوات عديدة".[٤٢] تحققت أخيرًا أحلام عازر التي لا يمكن كبتها وآمال السنوات الخمس الماضية. عاش عازر يصلي في الأيام القليلة التالية، وعند قرع جرس التسبحة في منتصف الليل، كان يسرع إلى الكنيسة. وعندما ينتهي القداس في السابعة صباحًا، حرص حنا على أن يذكر أنه كان يعود بصمت إلى قلايته "دون الاختلاط بالرهبان الآخرين".[٤٣]

يجب أن نلاحظ أن الروايات هنا لا يتم ذكر اسم كاتبها. بخلاف الترحيب القصير والخطأ البسيط الذي حدث، كان عازر منعزلاً على ما يبدو. لم يساعده أحد ولم يطلب هو المساعدة. لم يتكلم مع الآخرين ولا هم تكلموا معه. كان على ما يبدو بالفعل وحيدًا جدًّا.

طلب الرهبنة في عهد أبونا عبد المسيح المسعودي (١٩٢٧-١٩٢٨)

إن الأب الروحي هو الذي يأخذ روحك وإرادتك إلى روحه وإرادته

فيودور دوستويفسكي

لم يُترك الشاب عديم الخبرة ليتدبر أمره دون هدف؛ كان أبونا بشارة (الذي رافق عازر إلى الدير) قد تكلم في وقت سابق مع رئيس الدير وأعرب عن استيائه من عدم تقديم شكل من أشكال الإرشاد أو المساعدة على الأقل. لكن رئيس الدير، حسب رواية حنا، كان مُصرًا، كان يجب تَرك عازر بمفرده.[٤٤] إذا تمكن من الاستمرار طوال الأسبوع في وحدة نسبية وعدم راحة ومشقة مستمرة، فربما يمكن قبوله. يبدو أن رئيس الدير كان لديه مخاوف مماثلة لتلك التي لدى المطران.

وعندما لم يصله أي شيء - لا شكوى ولا مناشدة - اصطحب رئيس الدير، مساء السبت، أربعة شيوخ (أبونا بشارة والقمص بشاي والقمص باسيليوس والقمص عبد المسيح المسعودي) للنظر في حالة هذا الراهب الطموح.[٤٥] والمثير للدهشة أنهم وجدوا القلاية قد تم إعادة ترميمها بعناية، وليس بها بالكاد سوى بعض الأثاث البسيط، ولكنها مع ذلك مرتبة بشكل جميل.[٤٦] يتذكر عازر في جزء من سيرته الذاتية لم يتم روايته في أي كتاب، أن أحد الآباء أطلق على القلاية اسم "هيكل أورشليم". وانتشر هذا الاسم بشكل كبير بعد ذلك، وكان الرهبان الزائرون ينحنون بمرح أمام أيقونة والدة الإله في الغرفة الخارجية وهم يعلنون، "أريد أن أصلى في هيكل أورشليم".[٤٧]

وبينما كان جماعة الآباء الشيوخ يغادرون القلاية وهم راضون، سجد عازر أمامهم. وفجأة دون أي سبب أو مقدمات، أخذ أبونا عبد المسيح المسعودي يد طالب الرهبنة ونظر إليه باهتمام شديد في عينيه، وباركه. لحسن الحظ دوَّن حنا الكلمات في مجملها. قال أبونا عبد المسيح:

يا بني، نعمة الرهبنة هي أن تعطي قلبك لله. هذا كنز عظيم، أغلى من كل كنوز العالم. إن الراهب الذي يختار الفقر طواعية ويعد نفسه ليكون جنديًّا أمينًا ليسوع المسيح، هو أعظم من جميع ملوك العالم وحكامه في القوة والمكانة. قلبي مفتوح لك تمامًا، أسأل الرب يسوع المسيح أن يرشدك ويفتح لك باب النعمة. أسأله أن يملأ قلبك بالسلام لتعيش الحياة بسلام، فلا تخف من أي شر، والله معك، وعصاه وعكازه يعزياك.[٤٨]

لم يستطع عازر إلا أن يسجد مرة أخرى أمام الراهب المسن ويقبل يده. قال المسعودي وهو يعانق طالب الرهبنة الشاب: "من هذه الساعة، أنت هبة من الله، وستكون لي ابنًا".[٤٩]، أصبح المسعودي ببساطة الأب الروحي لبطريرك المستقبل.

كان الشيء الوحيد الذي قاله الراهب الشيخ إن "قلبه انفتح تمامًا لعازر. "والأمر المهم أن طريقة التلمذة كانت غير نمطية، فقد كان طالب الرهبنة الشاب، على حد تعبير المسعودي، "هبة من الله" وليس العكس. ما رآه الراهب الشيخ في عازر بعد هذه الكلمات القليلة الغريبة والرائعة غير معروف. مهما كان الأمر، فإن التأثير العميق لهذا الراهب الشيخ غير العادي لا لبس فيه؛ على الرغم من أنه نادرًا ما يتم تقديره.

إن شخصية هذا الراهب المسن عبد المسيح المسعودي يشوبها الغموض، فمعظم علماء تلك الفترة يجاهدون لتحديد تاريخ حياته بدقة.[٥٠] والسبب البسيط لذلك هو أنه كان هناك أكثر من مسعودي واحد، كثير منهم مرتبطون؛ بعضهم بالبعض، ولديهم أسماء متداخلة جزئيًّا؛ انضم ثلاثة منهم، على الأقل، إلى دير البرموس في القرن التاسع عشر.

عُرف الأول باسم أبونا عبد المسيح جرجس المسعودي المحرق الكبير (١٨١٨-١٩٠٦). ولد في الشيخ مسعود، غرب طهطا، في عمق محافظة سوهاج على بعد حوالي ٥٥٠ كيلومترًا من دير البرموس. من تلك القرية أخذت العائلة اسم المسعودي.[٥١] أبونا جرجس المسعودي، المعروف باسم الكبير لتمييزه عن ابن أخيه لاحقًا، بدأ رهبنته في

عام ١٨٣٥، بالقرب من منزله في دير المحرق. وعلى الرغم من صغر سنه، حيث إنه لم يكن يتجاوز السابعة عشرة من عمره، إلا أنه سرعان ما تم رسامته كاهنًا وعُرف بذكائه. أصبحت شقيقته عزيزة (تنيحت ١٨٧٠) راهبة في دير مارجرجس في حارة زويلة. كما حاول شقيق آخر له، اسمه صليب، دخول دير المحرق، لكن والده أخذه بالقوة وزوجه زواجًا مناسبًا.[٥٢]

أمضى أبونا جرجس المسعودي اثنين وعشرين عامًا في دير المحرق وكان، بكل المقاييس، عالمًا جليلاً. وهناك تتلمذ على يد أبونا القديس بولس المحرقي (١٨٢٩-١٩١٤)، والذي أصبح أسقفًا لاحقًا باسم الأنبا أبرام أسقف الفيوم والجيزة.[٥٣] يجب أن ننتبه أيضًا إلى وجود "مسعودي" آخر في دير المحرق، باسم أبونا عبد المسيح بن عبد الملك المسعودي المحرقي. من الواضح أنه كان يمت لعازر بصلة قرابة من بعيد، وقد اشتهر بدراساته حول ترتيب الطقس الكنسي والمزامير.[٥٤]

بعد حدوث بعض الخلافات داخل الدير، استقر أبونا جرجس المسعودي شمالاً في دير البرموس، حيث أصبح أب اعتراف الرهبان، وفي النهاية رئيسًا للدير.[٥٥] في عام ١٨٧٠، بعد وفاة البابا ديمتريوس الثاني، كان أبونا جرجس أحد المرشحين للبطريركية، وفي مناسبات أخرى كثيرة بعد ذلك رفض الأسقفية.[٥٦] قضى أبونا جرجس المسعودي معظم السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته في درجات متفاوتة من الوحدة، حيث سكن في عدد من الكهوف التي نحتها بنفسه.[٥٧] اشتهر أبونا جرجس المسعودي بقدرته النادرة على الاستمرار في حياة الوحدة بمعرفة غزيرة؛ فقد نسخ (وحفظ) العديد من الكتابات السريانية للقديسين مار إسحق ومار أفرايم، وكتب على نطاق واسع شروح الإيمان الأرثوذكسي والعديد من الأعمال الجدلية، وكذلك كتب سيرة ثمينة لا تقدر بثمن عن حياة القديس باخوميوس الكبير (٢٩٢-٣٤٨).[٥٨] تنيح في سبتمبر ١٩٠٦ عن عمر يناهز ثمانية وثمانين عامًا.

على الرغم من عدم قدرة شقيقه صليب على أن يصبح راهبًا، إلا أنه أصبح أبًا لسبعة أطفال، أربعة منهم أصبحوا رهبانًا. ترهب منهم ابنتان في دير أبو سيفين؛

جوستينا (تنيحت ١٩٢٨) أصبحت رئيسة الدير، والأخرى سفينة (تنيحت ١٩١٩)، وكانت ناسخة وباحثة مقتدرة.[٥٩] لا يمكننا أن نعبر بسرعة ولا نقف عند حقيقة أن الأسرة أنجبت بناتٍ متعلمات، ناهيك عن العلماء، في مصر في أواخر القرن التاسع عشر، وقد دخل ابنان الدير نفسه مع عمهما جرجس المسعودي. كان اسم أحدهما بالميلاد (مما يعقد الأمر للغاية) هو جرجس صليب جرجس. دخل دير البرموس سنة ١٨٨٤ وأصبح منذ ذلك الحين معروفًا باسم أبونا يعقوب المسعودي البرموسي أو "الراهب الصامت" من نذره الصمت.[٦٠] الابن الآخر؛ أبونا عبد المسيح بن صليب المسعودي البرموسي (١٨٤٨-١٩٣٥)، كان الأكثر شهرة بين الاثنين، والأب الروحي لعازر في نهاية المطاف.

ولد عبد المسيح بن صليب المسعودي في قرية والده وعمه نفسها. وفي عام ١٨٧٣ تَبع عمه إلى دير البرموس، حيث رُسِم راهبًا بعد ذلك بسنة، ورُسِم كاهنًا في عام ١٨٧٥.[٦١] كان عالمًا مجتهدًا وكان مسؤولاً عن نهضة دير البرموس. وفي خلال سنوات، كان قد فهرس مكتبة الدير، وغادر الدير غالبًا للدراسة في المكتبة البطريركية في القاهرة.[٦٢] من عام ١٨٨٧ إلى عام ١٩٣٢، كان غزير الإنتاج في كتابات، وقد أتقن اللغات؛ الإنجليزية والفرنسية والعبرية والعربية والقبطية واليونانية والسريانية والإثيوبية، وتكشف أعماله أنه كان واسع المعرفة. كتب على نطاق واسع وبغزارة، في الدراسات التاريخية لأديرة وادي النطرون وإلى تقييم الأساليب النفسية. غالبًا ما كان يستشيره البطريركان؛ البابا كيرلس الخامس والبابا يؤانس التاسع عشر، وكتب العديد من الأعمال اللاهوتية بناءً على ذلك. استخدم مشايخ الأزهر كتابه "الفصلة" في قواعد اللغة العربية عام ١٨٨٨.[٦٣] وبصفته أمين المكتبة البطريركية، ساهم في كتابة تاريخ حياة البابا كيرلس الرابع حتى البابا يؤانس التاسع عشر في الكتاب المشهور تاريخ البطاركة.[٦٤] اشتهر بدراسته حول التقويم الأبقطى (١٩٢٥)؛ أي طريقة حساب التقويم الكنسي، واستغرق عشرين عامًا في كتابته.[٦٥] ربما كان أهم أعماله، وإن لم يكن بالتأكيد أكثرهم شهرة، هو دراسته الثاقبة للنصوص الليتورجية التي

ظهرت عام ١٩٠٣. كانت هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها كل القداسات الثلاثة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مجلد واحد، مع ترجمات علمية وتعليقات وملاحق.[٦٦]

يُذكَر أبونا عبد المسيح المسعودي على أنه مثقف، وناسك، وصامت في معظم الأحيان، ومتواضع دائمًا.[٦٧] كان أمرًا غريبًا ونادرًا تمامًا أن يتتلمذ عازر على يده ويتعلم من خلال نور المعرفة الرائد (والرهبنة الأصيلة) في مصر في أوائل القرن العشرين، وانتقل الإرث الاستثنائي لعائلة المسعودي، في شخص أبيه الروحي، إلى طالب الرهبنة المطمئن.

ذكر عازر في مقابلة لاحقة، أن هذا الراهب الباحث كان له "التأثير الأعمق في نفسي".[٦٨] ويقول في تعليق لاحق في المقابلة نفسها: "لقد كان رجلاً متواضعًا للغاية، كان يتراءى للناس كما لو كان أميًّا، في حين كان في الواقع أحد أعظم مفكري الكنيسة في عصره".[٦٩] يمكن أن نقول إن وصف عازر له كان نموذجيًّا وفي الوقت نفسه سيرة ذاتية دقيقة.

كان يمكن رؤية عبد المسيح المسعودي، في سن الشيخوخة، يسافر بعربة من الدرجة الثالثة إلى القاهرة، ويصلي بهدوء في كنيسة القديس اسطفانوس، وهي كنيسة صغيرة ومتواضعة مجاورة للكاتدرائية.[٧٠] وقليلون ممن قابلوه أدركوا العبقرية الاستثنائية للرجل العجوز المنحني. توفي في ١٥ مارس ١٩٣٥، عن عمر يناهز السابعة والثمانين.[٧١] سيعيش إرث المسعودي وتراث عائلته العميق من خلال هذا الشاب طالب الرهبنة الذي كان يعتبره "هدية من الله".

وتحت إرشاد المسعودي، أثبت عازر بسرعة أنه طالب رهبنة مثالي يتحلى بالوداعة والتواضع. كان يقوم في كثير من الأحيان بأداء أكثر الأعمال غير المرغوبة ويجد متعة في خدمة الرهبان المسنين، وغسل ملابسهم، وتنظيف قلاليهم، وإعداد، وجباتهم. وفي المقابل لم ينسوه هم في صلواتهم. "لكن"، يحرص حنا على أن يدون هذه الملحوظة،

تماشيًا مع الوحدة التي فرضها عازر على نفسه "لم يزر أي شخص لسوى تقديم الخدمة له".[٧٢]

كان رئيس الدير يوزّع كل شهر مهام الرهبان. تم إسناد شغل المطبخ المرهق لعازر، كما هو متوقع بالنسبة لطالب رهبنة، فهو لم يكن عملاً مبهرًا في مصر في أوائل القرن العشرين، وفي الصحراء بصفة خاصة. لكنه بدأ عمله باجتهاد وقام بتنظيف الأواني النحاسية وإصلاح المواقد الخشبية. كان لا بد من تنظيف خزانات المياه، وملء الأواني الفخارية للرهبان المسنين، وكان لابد من طحن الحبوب، وكان لابد من خبز القربان المقدس. تم تنفيذ كل مهمة، وفقًا لمذكرات أخيه، بعناية وطاعة ثابتة واهتمام عميق بالرهبان الشيوخ.[٧٣] لم يرد في المقابل والده الروحي؛ المسعودي، تجاه سلوك عازر بأن يقوم بمدحه أبدًا. كان التواضع فضيلة يجب أن تُصاغ في أعماق إرادة منكسرة، يحطمها العمل الشاق، وتصلح بالطاعة، فلا يوجد مكان للإعجاب. واستمرت حياته طوال الوقت في الصلاة ودراسة الكتاب المقدس والليتورجيا دون انقطاع حتى في ظل جدول المهام اليومية الشاق.[٧٤]

في أوائل سبتمبر ١٩٢٧، مع مرور أشهر الصيف، بدأ العديد من الرهبان بالتحضير لاستئناف دراستهم في الكلية اللاهوتية الرهبانية بالإسكندرية. دعا رئيس الدير الشاب طالب الرهبنة ليرى ما إذا كان يرغب في العودة إلى العالم. وتوسل عازر لرئيس الدير: "من فضلك اسمح لي بالاستمرار في الطريق الذي بدأته، فأنا واثق من أن الرب لن يترك أولئك الذين يدعونه".[٧٥] وافق رئيس الدير بسعادة. وقبل مغادرته سأله أبونا بشارة عما إذا كان يرغب على الأقل في إرسال رسالة إلى عائلته. يكشف كلام عازر في مذكرات أخيه عن ضبطه لمشاعره:

> لم يرسل يوسف خطابًا إلى أبيه عندما دعاه ليأتي إلى مصر، بل قال لإخوته: "أخبروا أبي بما رأته أعينكم، وما سمعته آذانكم" وأنا الضعيف، أفعل مثل ما فعله يوسف. أطلب من الآباء المسافرين أن يخبروا عائلتي بالنعم التي أعطاها الله لي من خلال صلاة الآباء.[٧٦]

نجد قرب نهاية عام ١٩٢٧، لمحة عن أول "معجزة" على ما يبدو، وإن كانت ضمنية، على يد عازر.[٧٧] وفقًا لرواية حنا، كلُف راهب اسمه أرمانيوس (الذي سيكون أسقف الدير في المستقبل) بمهمة تسليم بريد الدير إلى مكتب البريد عبر بغل "عنيد يصعب السيطرة عليه"، وبعد صراعات غير معروفة مع الحيوان الجامح، وقع أرمانيوس على الأرض، وهرب البغل إلى الصحراء الشاسعة. وبعد بحث شاق عن البغل في البرية، عاد أرمانيوس مرهقًا، في وقت متأخر من الليل، إلى الدير، حيث كان الرهبان مجتمعين وهم خائفون من أن يكون قد حدث أمر خطير.

كان أحد الرهبان، الذي اشتهر بكونه "مهووسًا جدًّا بالحفاظ على ممتلكات الدير"، أقل اهتمامًا بسلامة أرمانيوس من اهتمامه بفقدان البغل.[٧٨] واجه الراهب أرمانيوس بغضب، وصرخ أنه لن يُسمح له بأي حال من الأحوال بالعودة إلى الدير من دون البغل في يده. ونظرًا إلى ظلام الليل الدامس؛ تلا ذلك مشهد من نوع ما. تجرأ عازر، الذي كان في ذلك الوقت طالب رهبنة شاب، على توبيخ الراهب الغاضب. قال عازر: "يا أبي، دعه يدخل ودعه يرتاح... سيجد أحد البدو [البغل] ويحضره هنا". إذا لم يتم العثور على الحيوان، عرض عازر تعويض الدير ثمن البغل بالكامل. لم يكن لدى الراهب الغاضب صبر ليستمع لطالب الرهبنة، حتى زملائه الرهبان كانوا غير قادرين على استرضائه على الرغم من احتجاجهم بأن عازر "تحدث بحكمة". وبعد لحظات، دق جرس الدير، واندفع الرهبان في موجة عبر الممر، ثم عبر الباب، إلى الصحراء المقمرة. هناك، أمام بوابة الدير الصغيرة، وقف أحد البدو بغير قصد، ومعه البغل التعس مقيدًا. قام الرهبان بمكافأة الرجل، ويتذكر حنا أن عازر دفع النصيب الأكبر.[٧٩]

وكما هو متوقع، رفض أرمانيوس في صباح اليوم التالي ركوب الوحش الفوضوي، وفجأة تقدم طالب الرهبنة ليركب البغل. وحاول رئيس الدير، بالطبع، أن ينصحه بهدوء ألَّا يفعل ذلك، حيث إنه لم يكن شيئًا معتادًا لطالب رهبنة أو ممن يعيشون في المدن. لكن يبدو أن عازر قد تعلم في وقت ما، سابقًا ركوب الخيول، وكان قادرًا على

ترويض الحيوان، وإن كان كما قد نتخيل، قد أصيب ببعض الإصابات او الكدمات المتفرقة.

ربما لم يركب أبونا أرمانيوس هذا الحيوان مرة أخرى، لكنه عُيِّن في النهاية رئيسًا لدير البرموس في عام ١٩٤٨، وبعد عام رُسِم أسقفًا، ومن ثم عُرِف باسم الأنبا مكاريوس (تنيح ١٩٦٥).[٨٠] تم حذف هذه الحادثة المعروفة، مثل أي تقليد شفهي أو مكتوب، حتى ولو كانت مدحًا لعازر، لا سيما بالنظر إلى أن ذكرها محرج لأسقف الدير لاحقًا. ولكنها ترسم شخصية عازر طالب الرهبنة التي تتوافق مع ما كُتِب عنه في مصادر أخرى. حصل عازر في خلال بضعة أشهر فقط كطالب رهبنة، على احترام زملائه الرهبان، على الرغم من أن البعض، ويجب أن نذكر ذلك، سيضمرون الغيرة والنيات السيئة تجاهه. كانت هذه المشاعر المختلطة ستحدد حياته من هذه النقطة فصاعدًا.[٨١]

على الرغم من قامته الروحية العالية، لم يكن عازر يخشى التعبير عن مخاوفه، وأن يقول الحقيقة بمحبة، حتى على حساب نفسه، وفي هذه الحالة، كان على استعداد لأن يتحمل عبئًا كبيرًا يتمثل في سخط رئيسه، وأن يصبح مسؤولاً عن الخسارة المالية، وفي النهاية، أخذ على عاتقه، عن طيب خاطر، المهمة الشاقة المتمثلة في ترويض البغل المتمرد. إذا كانت هذه، كما يقترح حنا ضمنيًّا، هي المعجزة الأولى، فإنها تتجسد فقط (وبصورة متأصلة) في "دعوة الخسارة" كاتجاه لبذل الذات.[٨٢] لقد نشأ بداخله هذا الميل الروحي بشكل طبيعي جدًّا، وبتعبير بسيط، من دون افتعال أو نفاق، معبرًا عن طالب الرهبنة الشاب المتواضع.

ولادة راهب ناسك (١٩٢٨–١٩٣٠)

أحب الكل واهرب من الكل

مار إسحق السرياني

في أوائل مارس ١٩٢٨، التقى ستة عمال من شركة قناة السويس في شمال مصر بمدرس شاب ثائر يدعى حسن البنا (١٩٠٦–١٩٤٩)، وقد كانت بداية جماعة "الإخوان المسلمين" سيئة السمعة.[٨٣] ومنذ أيام قليلة وفي الوقت نفسه تقريبًا، كان طالب الرهبنة الشاب يتجه في اتجاه مختلف تمامًا. سيتنافس كل من الاتجاهين بشكل راسخ ودائم على الفوز بقلب الشعب المصري.

يتذكر عازر بحرارة:

> بعد مضى حوالي تسعة أشهر من قبولي كطالب رهبنة أراد الله أن أكون راهبًا. وافق الآباء بالإجماع على ترشيحي، وكان رئيس الدير موافقًا. تم رسامتي بالكنيسة القديمة التي كانت تحتوي على جميع رفات القديسين.[٨٤]

وهكذا في ليلة الجمعة، عشية ٢٥ فبراير ١٩٢٨، دخل عازر البالغ من العمر خمسة وعشرين عامًا "كما أراد الله" الكنيسة القديمة التي على اسم السيدة العذراء، ليكون راهبًا.[٨٥] بُنيت هذه الكنيسة في الأصل في أواخر القرن السادس، وهي أقدم كنيسة في وادي النطرون، بالقرب من الجدار الشرقي للدير. لم يكن تاريخها الطويل قد خَفِي عن طالب الرهبنة وهو يشق طريقه إلى صحن الكنيسة المضاءة بالشموع، محاطًا بثلاثين راهبًا أو أكثر، وهو يتفرس في الأيقونات السماوية التي تزين جدران الكنيسة. وبينما كان يقف هناك، وهو يتأهب لحياة التكريس، لم يكن بإمكانه كبح دموعه.

قام رئيس الدير، وفقًا لطقوس الرسامة، بفتح ستر الهيكل الرئيس بخشوع كي يبدأ صلاة الغروب، ووضع الملابس الرهبانية الجديدة (الجلباب، وغطاء الرأس، والحزام

الجلدي) على المذبح الخشبي المنحوت يدويًّا.[٨٦] وطلب من عازر أن يقف أمام باب الهيكل، وسأل رئيس الدير الرهبان: "هل هناك أحد لديه اعتراض؟"[٨٧] وساد الصمت في الكنيسة. سجد عازر أمام الهيكل بين رفات القديس موسى الأسود والقديس إيسيذورس، ثم في اتجاه باب الدير (رمز الطاعة)، وأخيرًا أمام آبائه طالبًا الحل والغفران. بعد التشاور مع الرهبان الآخرين بشأن اختيار الاسم الرهباني (على ما يبدو أثار الأمر مناقشة بسيطة)، رسم رئيس الدير علامة الصليب ثلاث مرات على الملابس أثناء نطق الاسم الجديد.

يتذكر عازر:

> كان الآباء يتناقشون فيما يتعلق بالاسم الذي سيسمونني به، وقرروا أخيرًا تسميتي على اسم قديس اليوم في السنكسار وستكون هذه إرادة الرب؛ وصادف أنه كان ذكرى نياحة الراهب مينا، ولذا سميت بالاسم المبارك مينا...[٨٨]

ليس لدينا أي سجل عن رد فعل عازر عندما سمع نطق الاسم "أبونا مينا"؛ اسم قديسه المبجل، لكن يمكننا أن نتخيل ذلك جيدًا. اختار مارمينا مرة أخرى، على ما يبدو، طالب الرهبنة الشاب.

لا ينبغي إغفال أهمية الاسم - على المستوى الشخصي والكنسي - على الرغم من أنه من الخطأ بالتأكيد الادعاء بأن عازر اختار الاسم الرهباني؛ مينا لنفسه، إلا أن قلة من الباحثين على الأقل توصلوا إلى هذه النتائج.[٨٩] بعد اكتشاف قبر مارمينا في مريوط عام ١٩٠٦، أعيد اكتشاف القديس بهدوء. وبعد عقود، في أغسطس ١٩٢٩، اشتهر محام مسلم يُدعى أحمد حسين بمعارضته للوجود البريطاني المستمر مستشهدًا بشكل مفاجئ بمارمينا كبطل قومي قاوم الاضطهاد الأجنبي، وعندما ذكر ذلك زج هذا المحامي باسم القديس فجأة في الوعي الوطني.[٩٠] لذلك، عندما سُمي عازر بهذا الاسم، ارتبط بشكل لا مفر منه بشخصية سماها "شخصية كاملة"؛ قديس ذي قداسة عميقة، وبلا لوم. شخصية قبطية أصيلة كان يحترمها المسلمون أيضًا، وعمليًّا "ينظر

إليه كرمز وطني".[٩١] سواء كانت نبوءة أو صدفة أو تدخلاً إلهيًا، فإن الاسم سيحمل في داخله آمال الأمة.

قضوا الليلة في الصلاة الخاشعة والتسبحة. وفي وقت مبكر من الصباح، كما هو معتاد في طقس الرسامة، استلقى عازر على ظهره على الأرض أمام رفات القديسين، واضعا يديه على صدره مثل علامة الصليب، كما لو كان ميتًا في نعش، كانت جنازته وفقًا للطقس، وكانت قراءات الكتاب المقدس والترانيمَ تُرتَّل بنبرة "حزينة" على جسد طالب الرهبنة الشاب الثابت، لقد صُليت صلاة الراقدين. لقد مات طالب الرهبنة عن ذاته القديمة، وقام الآن كراهب في المسيح. بعد أن تم قص شعره خمس مرات على شكل صليب، ألبس رئيس الدير عازر ثوبه الرهباني، وغطاء الرأس، والحزام الجلدي. لم يعد عازر موجودًا، من الآن فصاعدًا أصبح أبونا مينا البرموسي.

اجتمع الرهبان بعد القداس مباشرة، بحسب رواية حنا، ودخل وسطهم بالصدفة أبونا يعقوب المسعودي البرموسي؛ شقيق أبونا عبد المسيح المسعودي. تحولت كل الأنظار إليه، بفضول أولاً، ثم بترقب. بدأ أبونا يعقوب، المعروف بـ "الراهب الصامت" والذي لم يتكلم منذ سنوات عديدة. ومع ذلك، بدأ يتكلم ببطء، وتركزت أنظار الرهبان عليه (وأبونا مينا معهم) وهم غير مصدقين. همس أبونا يعقوب:

> ابني العزيز، ليباركك الرب، ويسبغ عليك نعمته، ويهيئ طريقك، لتنجح في كل ما تفعله. ويملئك بروحه القدوس حتى تكون أمينًا إلى النفس الأخير على المواهب التي يمنحك إياها الرب يسوع المسيح، لتستثمرها وتنميها.[٩٢]

كان الرهبان؛ الجدد والقدامى، عاجزين عن الكلام: لماذا قرر الراهب الصامت أخيرًا أن يتكلم الآن؟

كتب أبونا مينا في جزء من سيرته الذاتية:

> من ذلك اليوم فصاعدًا بدأت أتعلم قواعد الرهبنة من الآباء، وبدأت في دراسة كتب القديسين، خاصة تلك التي كتبها القديس العظيم مار إسحق [السرياني]. شعرت بنعمة الله تنمو في داخلي يومًا بعد يوم... كنت مطيعًا للجميع، وبالتالي

أخذت بركتهم. كنت حريصًا جدًّا على خدمة كبار السن، فأمضيت عامًا في خدمة أبونا عبدالمسيح المسعودي. تعلمت التسبحة على يد القمص باخوم، الذي كان أب اعترافي. كما خدمت أبونا أنطونيوس لمدة عام.[٩٣]

يومًا بعد يوم، كانت نعمة الله "تنمو في" الراهب الشاب. في مذكرات أخيه، لم تتوقف رعاية أبونا مينا الدقيقة للآباء المسنين على الرغم من أنه أصبح في رتبتهم نفسها. ورفض أن يخسر نعمة خبز القربان، وكان يقوم بالعمل الشاق في غربلة الدقيق في الساعات الأولى من الصباح. لم يكن قد رسم كاهنًا بعد، لقد كان هذا العمل هو بداية اتحاده الدائم بسر الإفخارستيا والذي استمر حتى أنفاسه الأخيرة.[٩٤] كان متواضعًا، كما يروي أخوه، وكان يتحمل كل إزعاج. كان متسامحًا دائمًا، وهادئًا باستمرار، ويتجنب الغضب دائمًا، و"لم يتوقع ولم يبحث عن الثناء أو المجد".[٩٥]

تميزت هذه الفترة بتأثير أبونا عبد المسيح المسعودي. طلب أبونا عبد المسيح المسعودي من أبونا مينا (عازر آنذاك)، قبل أسابيع قليلة من رسامته راهبًا، نشر دورية لاهوتية.[٩٦] ظهر المجلد الأول من ميناء الخلاص في ٩ فبراير ١٩٢٨.[٩٧] وأثناء بحث عازر في عدد من الأعمال الآبائية والرهبانية لإعداد الدورية، وجد وصفًا للدير على أنه "ميناء أرضي للخلاص"، ومن هنا جاء الاسم.[٩٨] تم تقسيم كل مجلد مكتوب بخط اليد إلى ثلاثة أقسام: مقالة لاهوتية شخصية؛ مقتطفات من أقوال آباء الكنيسة أو الرهبنة؛ وقسم سردي كان في بعض الأحيان سيرة ذاتية، على الرغم من احتوائه في الغالب على مقتطفات من الكتابات الروحية المعاصرة.[٩٩]

نُشرت المجلة اللاهوتية بصفة شهرية من فبراير ١٩٢٨ إلى يناير ١٩٣٠، ولا يزال هناك سبعة عشر مجلدًا على الأقل. يتراوح عدد الصفحات من سبع إلى ثلاث عشرة صفحة، وقد نسخ أبونا مينا بصعوبة حوالي خمسين نسخة من كل مجلد.[١٠٠] لم تظهر منها متفرقات إلا من حين لآخر، وظلت غالبية الكتابات الرائعة غير معروفة حتى الآن.[١٠١] وغني عن القول إن هذه الدوريات التي كانت مخفية في يوم من الأيام تسلط الضوء على العالم الفكري للراهب الشاب، وتكشف عقلاً نافذًا كان منغمسًا في

الفكر الآبائي والرهباني؛ ذهنًا منغمسًا في اللاهوت (خاصة الإفخارستي)، والتفسير الكتابي، وسير القديسين، وأحيانًا الفلسفة.

تتحدى كتابات القمص مينا بقوة الفكرة الشائعة والمتكررة القائلة بأنه مجرد ناسك غير متعلم. كما لاحظ أبونا رافائيل آفامينا (تلميذه لاحقًا) ذات مرة، فإن تفضيل الصمت ليس بالضرورة مرادفًا لـ "عدم الكفاءة أو النقص".[١٠٢] إن بطريرك المستقبل، لئلا ننسى، تتلمذ على يد بعض كبار العلماء في عصره وأمضى سنوات منغمسًا في دراسة كتابات الآباء.[١٠٣] يتذكر أبونا رافائيل، "[هو] قال لي بنفسه، إن ما ربحه من الصمت تجاوز إلى حد كبير ما كان سيحققه بأي وسيلة أخرى".[١٠٤] فالصمت لا يبرر إصدار أحكام قصيرة النظر وسابقة لأوانها.

قضى أبونا مينا الكثير من وقته خلال هذه السنوات في مكتبة الدير تحت إشراف المسعودي الذي لا يكل. وتحول الهيكل الجنوبي لكنيسة القديس يوحنا المعمدان إلى مكتبة جيدة التجهيز بفضل جهود المسعودي، الذي صنَّف آلاف المخطوطات، فضلاً عن ترجمته وكتابته لكثير منها بنفسه. وهناك شارك أبونا مينا أبيه الروحي في أعمال ترميم المخطوطات ونسخها. وهناك، يروي حنا، "انفتحت له أبواب المعرفة".[١٠٥]

ولكن من بين جميع الكتابات الموجودة في المكتبة، كان هناك عمل سيلمس أعماقه بشكل لا يمحى: الكتابات النسكية لمار إسحق السرياني.[١٠٦] سار في هذا، على خطى أبونا عبد المسيح المسعودي، وأبونا جرجس المسعودي قبله. ومن المحتمل جدًّا أنها كانت أروع عطية ورثها عنهما؛ كانت هذه الكتابات عمليًّا، الأكثر تغييرًا والأكثر تأثيرًا. تأثر أبونا مينا بالعظات النسكية لدرجة أنه نسخها في خمسة مجلدات، وكان يقرأها بنهم ويحفظها.[١٠٧] وقام بجدية وبكل شغف بنسخ المجلدات أربع مرات أخرى، مما جعلها متاحة بسهولة لإخوانه.[١٠٨] كل مرة كان يقرأ وينسخ ويحفظ فيها كان الأمر بمثابة انغماس قوي وحازم وكامل في فكر مار إسحق السرياني.

كيف وإلى أي مدى شكَّلت هذه الكتابات رؤية الراهب الشاب؟ نادرًا ما كان هذا الأمر موضع تقدير. وهنا، يجب أن نلاحظ على الأقل أنه صادف في وقت مبكر من

دراسته للعظات النسكية قولاً سيصبح شعاره مدى الحياة. ويتذكر شقيقه أنه أصبح قانونًا بالنسبة له لبقية حياته، ويلاحظ تلميذه أنه كتبه حتى فوق باب قلايته في البطريركية.[١٠٩] ومع ذلك لم يلاحظ أحد - في ذلك الوقت أو الآن - أنه كان قولاً مأثورًا تم اقتباسه وحفظه من كتابات مار إسحق السرياني: "أَحِبَّ الكل واهربْ من الكل".[١١٠]

بالنسبة للأب مينا، كانت هذه الكلمات نموذجًا. ففي ١٧ يناير ١٩٢٩، رد بشكل مميز على رسالة كتبها له أخوه حنا. وفي زيارة قام بها حنا بعد ذلك إلى الدير، لاحظ حنا أن أبونا مينا نادرًا ما يغادر قلايته، وبدا وكأنه في عداوة مع زملائه الرهبان. الرسالة الواردة في الرد، وربما تكون أقدم رسالة (ومن ثم نقلت بالكامل) تؤكد صورة شخصية عازر في مرحلة التكوين كراهب متوحد قبل الأوان يشتاق إلى ما يمكن تسميته بـ "وحدة داخل الوحدة".[١١١]

كتب أبونا مينا ردًّا على رسالة أخيه حنا:

> أيها المحبوب، تلقيت رسالتك اللطيفة، وأشكرك على مشاعرك الدافئة ونصائحك القيمة. أما بالنسبة لي، والله يعرف، فأنا راضٍ تمامًا عن حياتي. أعيش بسلام قدر المستطاع مع الجميع، ولا أحابي أحدًا. أعيش في وحدة في قلايتي، وأرحب بكل من يأتون لرؤيتي، وأبذل قصارى جهدي وأحترم الجميع؛ صغارًا وكبارًا. لا أتدخل فيما لا يعنيني، وأذهب مباشرة من قلايتي إلى الكنيسة وأعود من الكنيسة مباشرة إلى قلايتي، بالإضافة إلى القيام بأي مهمة أوكلت إليَّ. أنا في هذا هو الإنسان نفسه قبل الرهبنة وبعدها. لا تقلق عليَّ، فأنا متوكل على الله. هل سمعت أبدًا عن أي إنسان توكل على الله وخزي؟ أبدًا!

لم ينكر أبونا مينا التهمة: أنه يعيش في عزلة، حتى في داخل حدود الدير، تمامًا كما كان في غرفته الخاصة قبل الرهبنة، كما يتذكر شقيقه. يتابع الراهب الشاب قائلاً:

كن مطمئنًا أنا لست منحازًا لأي إنسان. كما أنني لا أتجنب البعض وأختلط بالآخرين، ولكنى أبقى في عزلة عن الجميع، حتى لو شعر بعض الآباء أن هذه علامة على المحاباة. يجب أن تعلم أيها المحبوب أنني أخذت نصيحة الآباء المعتبرين مثل القمص منصور والقمص بقطر وبقيت في عزلة في قلايتي رافضًا التدخل فيما لا يعنيني. لقد وجدت السلام التام في الاستجابة لنصيحتهم. قال آباؤنا القديسون: "إن من يجلس في قلايته يتلو المزامير يشبه إنسانًا ينظر إلى الملك. ومن يجلس وحده ويبكي على خطاياه يشبه إنسانًا يتحدث مع الملك". لا شيء أعظم من أن يجلس الإنسان بمفرده في قلايته، يتوسل إلى الله باستمرار أن يمنحه ينبوعًا من الدموع ليبكي على خطاياه، حتى يغفر الله له.
عندما قرأ وكيل الدير القمص فيلبس رسالتك، تفاجأ جدًّا وقال: "يا بْني، منذ اليوم الذي أتيت فيه إلى الدير، لم أرَك أبدًا متحيزًا ضد أحد ولم تتجنب أحدًا. أنت لا تختلط بأي شخص، لكنك كنت دائمًا أكثر سعادة بمفردك، في قلايتك".[١١٢]

على الرغم من أنه لا ينكر التهمة، إلا أن عزلته لم تكن بدافع التحيز أو العداء أو تجنب أي راهب معين، بل سعى إلى اجتنابهم جميعًا. كان أبونا مينا واضحًا: همه الأساسي هو "أن يظل وحيدًا" مع الله. ولكن لكي يتجنب أي فرصة لخداع الذات، سعي أولاً للحصول على مشورة رؤسائه وذهب إلى حد إظهار رسالة شقيقه إلى وكيل الدير. على الرغم من أنه كان يدرك بصدق أن إخوانه هم ملائكة ويخدم بعناية جميع المحتاجين، إلا أنه كان إنسانا واقعيًّا. ويختتم مينا قائلاً:

أيها المحبوب، منذ اليوم الأول لم أحتط دائمًا لنفسي، ولكن بعد أن تعاملت مع الجميع، وجدت أنه ليس مناسبًا التحدث مع كل الناس؛ بعضهم حسن الخلق، والبعض الآخر ليسوا كذلك. الدير ليس سوى شبكة صيد بها كل الأنواع. لقد وجهني الله القدير إلى طريق الوحدة هذا. نشكره على أنه يوجه خطواتنا على الدوام إلى طريق السلام.[١١٣]

لم تكن العزلة اختيارًا شخصيًّا، ولم تكن مجرد ردة فعل تجاه إخوانه الرهبان الذين يشتتون انتباهه أحيانًا. حتى في هذه المرحلة المبكرة، شعر بصدق أن الدعوة إلى الوحدة كانت قبل كل شيء دعوة من الله. وأكثر من كونه مجرد شعار أو قول مأثور، كان أبونا مينا يتنفس بعمق، ويعيش، ويجسد، ويتنفس كلمات مار إسحق السرياني طوال أيام حياته: "أَحِبَّ الكل، واهرب من الكل".

كلية حلوان اللاهوتية: أول إصلاح إفخارستي (١٩٣١-١٩٣٣)

أنا مقتنع بأن الإصلاح الحقيقي للكنيسة يبدأ بإقامة سر الإفخارستيا

الأب ألكسندر شميمان

كان قلب أبونا مينا يشتاق إلى الوحدة منذ رسامته راهبًا قبل ثلاث سنوات. ستكون وحدة لا تراجع عنها تتغذى وتُحيي عند مذبح الصلاة.

في يوم السبت، ١٨ يوليو ١٩٣١، تمت رسامته كاهنًا على يد الأنبا ديمتريوس أسقف المنوفية (تنيح ١٩٥٠).[١١٤] لقد بكى أبونا مينا، البالغ من العمر الآن ثمانية وعشرين عامًا، بلا توقف أثناء الرسامة، ويتذكر أخيه أنه أثار دموع جميع الحاضرين.[١١٥] وبناءً على طلب مباشر من البابا يؤانس التاسع عشر (١٨٥٨-١٩٤٢) - تمت رسامة الأنبا يؤانس في ذلك الوقت بطريركًا - تم استدعاء أبونا مينا إلى كاتدرائية القديس مارمرقس "لاستلام الذبيحة". يستلم الكاهن المرسوم حديثًا، بعد الرسامة، طقوس الكنيسة لمدة أربعين يومًا، وفي نهايتها يترأس القداس وهو يحمل جسد المسيح لأول مرة. من اللافت للنظر - وهذا ليس بالأمر الهين - أن هذه الطقوس قد وضعها على ما يبدو هذا البطريرك نفسه.[١١٦]

عندما عرف والده؛ يوسف عطا أن أبونا مينا كان في الإسكندرية، على بعد مسافة قصيرة من منزل الأسرة في محرم بك، طلب من البطريرك السماح لابنه أن يقوم بزيارة قصيرة إلى منزلهم. وعلى الرغم من موافقة البابا، يذكر أبونا رافائيل آفامينا في مذكراته رفض أبونا مينا في البداية، رغم أنه امتثل في النهاية (وعلى مضض). وأقامت الأسرة مأدبة فخمة للابن والأخ المحبوب الغائب الذي يفتقدونه بشدة. لكن، ربما لم يكن مفاجئًا أن يرفض الكاهن الراهب أن يأكل، واكتفي بفنجان من القهوة فقط".[١١٧] وبعد الزيارة مباشرة (كما نتخيل) وبتلهف عاد أبونا مينا إلى الكاتدرائية،

مما أثار إعجاب البطريرك كثيرًا. يلاحظ أحد الباحثين الإنجليز: "لم يكن نسكه مصطنعًا، لكنه كان عميقًا في داخله".[١١٨]

في وقت ما من عام ١٩٣١، على الأرجح بعد رسامته، تم اختيار أبونا مينا للدراسة في كلية اللاهوت الرهبانية المرموقة والتي تأسست حديثًا في حلوان.[١١٩] لم ينبهر الكاهن الجديد ولا اغتر. يروي أبونا مينا في جزء من سيرته الذاتية "درست في المدرسة اللاهوتية لمدة عامين فقط لأكون مطيعًا للأنبا يؤانس، لكنني كنت أشتاق دائمًا إلى طريق الوحدة".[١٢٠] على الرغم من أن الدراسة كانت نوعًا من التشتيت، إلا أن أبونا مينا أطاع على مضض.

كان الأنبا يؤانس، في بداية تقلده البطريركية، قد أدرك مدى أهمية التعليم اللاهوتي للرهبان، خاصة بالنسبة لأولئك الذين تم رسامتهم في نهاية المطاف أساقفة، وكان يعلم، بالقدر نفسه، الآثار المأساوية للأساقفة عديمي الخبرة والأميين من الناحية اللاهوتية. ونظرًا لامتلاكه هذه الرؤية، تم افتتاح المؤسسة رسميًّا في ٤ مارس ١٩٢٩، في احتفال كبير.[١٢١] وأعلن الأنبا يؤانس في خطابه الافتتاحي بفرح أنه كان يحلم طوال خمسين عامًا بإصلاح التنشئة الرهبانية. وقد حثَّ طالبي الرهبنة على أن يجتهدوا بشدة في دراساتهم اللاهوتية، وأن يدركوا أنهم قد يُدعون يومًا ما لخدمة الكنيسة.[١٢٢] لم تكن نيات الأنبا يؤانس مخفية؛ لقد سعى إلى إصلاح التعليم الرهباني، وبذلك، وضع الأساس للمرشحين للأسقفية في المستقبل. كما وعد بزيارة الكلية بانتظام، كما سنرى بعد ذلك.

تأسست الكلية في كنيسة العذراء مريم في حلوان، على بعد ١٤٠ كيلومترًا من دير البرموس، جنوب القاهرة. كان هناك عدة منازل كبيرة في حدائق الكنيسة الكبيرة والجميلة، أربعة منها تحولت إلى مساكن للطلاب الرهبان، والخامس تم استخدامه كقاعة محاضرات. تكونت المجموعة الأولى من ثلاثين راهبًا تم اختيارهم بعناية من مختلف الأديرة في جميع أنحاء مصر. كان على الطلاب أن يقضوا دراسة جامعية مدتها خمس سنوات، تتضمن منهجًا دراسيًّا متقدمًا وشاملاً بشكل غير عادي من اثني عشر

موضوعًا: علم اللاهوت، والعهد الجديد، والعهد القديم، وألحان الكنيسة، وعلم الوعظ، والقانون الكنسي، واللغات بما في ذلك القبطية والعربية والإنجليزية والفرنسية ويونانية الكتاب المقدس، واللغة العبرية، وجغرافيا الكتاب المقدس، والتاريخ الحديث وتاريخ الكنيسة، والفلسفة، والبلاغة. وأخيرًا علم النفس.[١٢٣] كل هذه المواد جعلت الدراسة مرهقة. ولكن في الوقت نفسه، كانت تعلِّم وتشكِّل أساقفة أكفاء ونشطاء ومقتدرين.

كان عميد الكلية هو ميخائيل مينا (١٨٨٣-١٩٥٦)، والذي كان، بكل المقاييس عبقريًّا وأحد أبرز علماء اللاهوت في عصره، وقام بتقديم شرح جزئي للمنهج التدريجي والطموح. كان ميخائيل ابن كاهن متعلم، وُلد في نجع حمادي.[١٢٤] وفي سنة ١٨٩٧ كان الأنبا مرقس أسقف؛ إسنا والأقصر (١٨٤٨-١٩٣٤) يحتفل بالقداس في الكنيسة، وبعد قراءة الإنجيل باللغة القبطية، لم يجد قطمارس عربي (كتاب القراءات اليومي). فوقف ميخائيل، البالغ من العمر أربعة عشر عامًا في ذلك الوقت، أمام كتاب القراءات القبطي وبدأ، على مرأى من الأسقف الذي كان واضحًا على وجهه الدهشة، في عمل ترجمة فورية للإنجيل من اللغة القبطية، وتلحينه باللغة العربية. دون الحاجة إلى مزيد من الاستفسار، أرسل الأسقف الصبي الصغير على الفور ليتم قبوله مباشرة في الكلية اللاهوتية في القاهرة.

وهناك، تحت إشراف يوسف منقريوس (تنيح ١٩١٨) وحبيب جرجس المعين حديثًا (١٨٧٦-١٩٥١)، درس لمدة خمس سنوات واستمر يدهش زملاءه بكفاءته غير العادية.[١٢٥] كان أمرًا رائعًا على أقل تقدير أن يشترك ميخائيل ويوسف منقريوس وحبيب جرجس معًا في فصول دراسية مختلفة بقدرات متفاوتة في المؤسسة نفسها.[١٢٦]

تم تعيين ميخائيل بعد تخرجه عميدًا لكلية رهبانية صغيرة في بوش، حيث كان هناك مقر لدير الأنبا أنطونيوس.[١٢٧] وأثناء ذلك، على ما يبدو، أجبره والده على الزواج، لكن توفيت زوجته للأسف بعد ثماني سنوات فقط. وفي عام ١٩٢٩، تم تعيينه أخيرًا عميدًا لكلية حلوان اللاهوتية للرهبان. وما لا يعرفه الكثيرون، أنه بعد وفاة زوجته،

تم رسامته في اليوم نفسه راهبا وكاهنًا أيضًا (وهو حدث نادر) في يوليو ١٩٣٢ في دير البرموس.[١٢٨] وفي وقت لاحق من حياته، كتب ملخصًا من ثلاث مجلدات عن علم اللاهوت النظامي، بالإضافة إلى العديد من الأعمال التفسيرية والرعوية.

تقلد القمص ميخائيل منصب العميد لمدة سبعة وعشرين عامًا، حتى وفاته في ٧ أغسطس ١٩٥٦. خلال ذلك الوقت كانت خطة الأنبا يؤانس للإصلاح الأسقفي مثمرة بشكل واضح. فقد درس عدد كبير من الأساقفة وتخرجوا على يد ميخائيل، بما في ذلك بطريرك المستقبل؛ البابا كيرلس السادس، وعلى سبيل المثال لا الحصر الأنبا مرقس أسقف أبو تيج، والأنبا أبرام أسقف الجيزة، والأنبا ديمتريوس أسقف المنوفية، والأنبا أنطونيوس أسقف سوهاج، والأنبا مكاريوس أسقف قنا، والأنبا مينا أسقف جرجا، والأنبا توماس أسقف الغربية.

على الرغم من أن أبونا مينا كان مترددًا في مغادرة الدير للدراسة اللاهوتية في حلوان، إلا أن الوقت الذي قضاه هناك كان ذا أهمية لا تقدر بثمن. وفيما يتعلق بخبرته الأكاديمية، فإن شقيقه ذكر بإيجاز شديد: "كان [أبونا مينا] ناجحًا للغاية".[١٢٩] لكن، على الرغم من تميزه، لم يكن هذا هو اهتمامه الأساسي.

كان من أول الأشياء التي قام بها أبونا مينا في حلوان إقامة صداقة مع راهب يشبهه في التفكير اسمه أبونا كيرلس، مطران البلينا بعد ذلك (تنيح ١٩٧٠)، وكان من دير الأنبا بولا أول السواح بالقرب من البحر الأحمر.[١٣٠] كانا يصليان كل مساء صلاة الغروب، وفي الصباح الباكر قبل المحاضرات، يصليان صلاة باكر والقداس الإلهي. كان على أبونا مينا أن ينهض مبكرًا قبل ذلك ليخبز القربان (الخبز الإفخارستي). لقد واظب الراهبان الشابان على هذا النظام لعدة أشهر.[١٣١]

وفي صباح أحد الأيام قبل الساعة الثالثة بقليل، ذهب أبونا مينا لعجن القربان ليجد أن الفرن قد تم تحطيمه عمدًا. وعلى ما يبدو، وفقًا لرواية حنا، أصبحت عادتهما في المواظبة على الصلاة اليومية سببًا لبعض الخلاف.[١٣٢] قد يكون السبب أيضًا أنه إلى حد ما في ذلك الوقت في مصر، في أوائل القرن العشرين، لم يكن مفهوم الصلاة

اليومية معروفًا ـ وبالتالي، ربما تكون مواظبتهما على ذلك قد أثارت بعض الغيرة، أو على الأقل، الاضطراب، نظرًا للضجيج الذي لا مفر منه في هدوء الليل. لو كان أي شخص آخر قد تعرض لهذا الموقف العصيب لكان الأمر قد انتهي في وقت معقول. ولكن لم يكن الأمر هكذا بالنسبة للأب مينا، فقد أسرع إلى أبونا كيرلس، وأيقظه ببعض الذعر وشرح الكارثة: من دون القربان، سيكون من المستحيل إقامة القداس الإلهي. لكن أبونا مينا كان لديه فكرة بارعة. تذكر أن المخبز المقابل لهم في الشارع يعمل في الساعات الأولى من الصباح، وسأل صاحب الفرن عما إذا كان بإمكانه خبز القربان في فرنه. وهكذا لم يعطله ما حدث من تأخير مؤقت وقام بعمل القداس "كالمعتاد".[١٣٣] ربما في تلك المناسبة قال أبونا مينا مقولته الشهيرة: "إذا كان الكاهن حاضرًا والدقيق في متناول اليد والمذبح متوفرًا، فإذا إن لم نصلِّ، ماذا نقول لله؟"[١٣٤]

من الضروري أن نميِّز هنا بدايات التكريس الإفخارستي، أو حتى أكثر من ذلك، طريقة الحياة.[١٣٥] وتجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن إقامة القداس يوميًّا، والتي قد تستغرق من ساعتين إلى ثلاث ساعات، لم تكن معروفة في ذلك الوقت.[١٣٦] كان الاستثناء الوحيد هو دير المحرق، الذي كان يقيم القداس الإلهي يوميًّا على مذبح فوق حجر كان، وفقًا للتقليد، ينام عليه الطفل يسوع أثناء إقامة العائلة المقدسة في مصر. على الرغم من أنه لم يكن من أقام القداس راهبًا واحدًا محددًا، بل قائمة من الرهبان أقاموا القداس بالتناوب.[١٣٧] ولكن لم يحدث من قبل، على الأقل لعدة قرون، أن يقوم راهب أو كاهن واحد بإقامة القداس يوميًّا. سيكون هذا هو الشيء الثابت الوحيد في حياة أبونا مينا، وهو راهب، وهو ناسك متوحد، وأيضا عندما أصبح بطريركًا لا ينام إلا قليلاً، وحتى في سن الشيخوخة، بغض النظر عما إذا كان منهكًا أو مرهقًا، استمر يقيم القداس بلا كلل وبلا انقطاع.

يمكننا أن نجد لمحة عن تكريسه القلبي في إقامة سر الإفخارستيا وكأنه في حالة من العشق الإلهي، في مجلد من المجلة الشهرية؛ ميناء الخلاص، التي كتبها في

أغسطس ١٩٢٨. على الرغم من أن ما كتبه هذا كان في سنواته الأولى من الرهبنة، وبالتالي قبل الكهنوت، إلا أنه على الأقل يكشف عن فكره. سر الإفخارستيا بالنسبة للأب مينا هو قبل كل شيء فعل إخلائي. يكتب أبونا مينا:

> إن إخلاء المسيح لذاته [الذي] تنازل عن مقامه العالي الشريف ومكانه الرفيع السامي ويحل رباطات الموت عن رقاب عباده ويشتريهم بواسطة إراقة دمه كفارة عنهم، وبذل جسده على عود الصليب محوًا لخطاياهم، قد أتى بهم إليه. قد جاد بجوده؛ ويا له من جود لا يعبر عنه وهو أن يمتع مؤمنوه بذاك الجسد والدم اللذين قدمهما ذبيحة على عود الصليب تحت أعراض الخبز والخمر![١٣٨]

فكما يكشف الصليب عن إخلاء المسيح لذاته، فإن الإفخارستيا هي استعلان غير مدرك للمسيح تحت شكل مرئي. ويكمل أبونا مينا إذا كان هناك "دواء شافٍ" أو "تجديد للعهد" أو "مغفرة" أو "عون"، فهذا فقط بسبب بذل وإخلاء المسيح لذاته.[١٣٩] إن عدم رغبة المسيح في التفاوض بشأن قوله: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه"، هو مجرد تأكيد على ذلك. يكتب أبونا مينا: "من حيث الجوهر، فقد ختم قانونيًا وأعلن أنه حتى وإن فكر تلاميذه في التخلي عنه... فإن كلامه هذا لن يتغير... كان على وشك أن يقدم نفسه ذبيحة".[١٤٠] ونقلاً عن القديس يوحنا الذهبي الفم والقديس كيرلس السكندري، كان أبونا مينا حازمًا في قوله: نحن نشترك في حياة الله فقط لأنه بذل ذاته وأخلى نفسه من أجلنا.[١٤١]

سيكون من الصعب أن نبالغ في معنى هذه الكلمات في حياته، ليس فقط في ممارسته لسر الإفخارستيا، ولكن أيضًا في مجمل حياته كلها، في نسكه الشخصي وأيضا كما هو واضح في إصلاحه الكنسي في المستقبل. كان حب إخلاء الذات أحد الوسائل الضرورية لعلاج توترات الوجود الإنساني، سواء على المستوى الشخصي والكنسي والوطني.

إذا كان "الإصلاح الحقيقي للكنيسة يبدأ بإقامة سر الإفخارستيا"[١٤٢] كما أشار الأب ألكسندر شميمان ذات مرة، فإن نهضة الكنيسة، على الأقل في مصر القرن

العشرين، قد بدأت أولاً في الحياة الإفخارستية للأب مينا. كانت حياته مركّزة أساسًا على المكان الذي تلتقي فيه السماء والأرض؛ سر الإفخارستيا؛ وبالتالي، التقت السماء والأرض بطرق لا يمكن فهمها في الحياة الشخصية والكنسية والوطنية لبطريرك المستقبل.[١٤٣]

هنا يجب أن نتبع الأب شميمان في رسم تمييز دقيق، ولكنه ضروري وله قيمة لانهائية في استكشاف رؤية أبونا مينا الإفخارستية:

> بالنسبة للمسيحيين الأوائل، جسد المسيح على المذبح لأنه وسطهم. بالنسبة للمسيحيين المعاصرين المسيح هنا لأن جسده على المذبح. يبدو التعبيران متشابهان، لكن في الواقع، هناك فرق جوهري بيننا وبين المسيحيين الأوائل. بالنسبة لهم معرفة المسيح ومحبته هي كل شيء. بالنسبة لنا، الرغبة في أن نكون مستنيرين هي كل شيء.[١٤٤]

كان أبونا مينا في مذكرات تلميذه مثل المسيحيين الأوائل "مدفوعًا بشوقه الغريزي للوقوف بين يدي الرب".[١٤٥]

سعى الأبان؛ مينا وكيرلس إلى لقاء العميد ميخائيل مينا من أجل الوصول إلى حل أكثر ديمومة، ورغبة في تجنب أي "هجمات" أخرى غير متوقعة على فرن خبز القربان الحبيب، واقترحوا أن يتم دمج صلاة القداس اليومي "الذي كانا يقيمانه بصفة غير رسمية" رسميًا في برنامج الكلية، وبذلك سيبدأ الجدول اليومي مع صلاة باكر والقداس الإلهي في الصباح ويختتم بصلاة الغروب في المساء. سيخدم كل راهب وفقًا لجدول ويلقي عظة أثناء دوره في الصلاة.[١٤٦] كان ميخائيل متفقًا جدًّا معهم. هذا الإصلاح المعتدل والمحدود والمتواضع في الحجم، يحتاج إلى أن يتم ترسيخه بقوة.

لأول مرة، على الأقل منذ عدة قرون، يتمحور التعليم اللاهوتي بشكل رسمي ومفهوم حول الليتورجيا، ويصبح مرتبطًا بها؛ أصبح ليس مجرد أداء، ولكن شركة سرية في حياة الله التي هي حياة إخلاء الذات وبذلها. إن أي تلاوة أو تعليم أو تلمذة

في اللاهوت بخلاف ذلك في ذهن أبونا مينا ما هي إلا محاكاة ساخرة. كانت الإفخارستيا مرة أخرى هي مركز الإبداع.

في الوقت نفسه، كان هذا الإصلاح المتواضع والعاجل يحدث بطريقة شخصية غير متوقعة في أوائل عام ١٩٣٣.[١٤٧] كان البابا يؤانس قد أوفي بوعده بزيارة الكلية بانتظام. وسواء كان هذا صدفة أم لا، كان دور أبونا مينا أن يصلي صلاة باكر وصلاة الغروب في ذلك اليوم، وبالتالي كان دوره أيضًا أن يلقى العظة المسائية في رهبة حضور البطريرك. واستغرقت العظة على ما يبدو ساعة كاملة، كما يتذكر شقيقه، وكانت تستند على كتابات آباء الكنيسة، وخاصة فكر القديس مار إسحق السرياني.[١٤٨] أعجب جدًّا البابا يؤانس بالعظة، فبارك أبونا مينا بعد ذلك ودعا له "أن يكون عمودًا لكنيسة الله".[١٤٩] ولم يكتف البابا يؤانس بذلك، ولكن اقترب من العميد وأخبره عن خططه لرسامة أبونا مينا أسقفًا على أبروشية البابا السابقة.[١٥٠] إن عظة واحدة مثل هذه قد نالت إعجابًا شديدًا من البابا يؤانس تجعل تفضيل أبونا مينا للصمت أمرا صادمًا جدًّا، وعلى الأقل تنفي بقوة أي ادعاء بعدم كفاءته أو سطحية تفكيره.

كان ميخائيل فرحا لأن طالبًا آخر من طلابه كان سيرسم أسقفًا، ونقل للأب مينا ما يعتقد هو أنه خبر سار. لكن أبونا مينا عاد إلى غرفته حزينًا ويائسًا. حاول صديقه العزيز أبونا كيرلس أن يواسي الراهب الحزين قدر استطاعته حتى الساعات الأولى من الصباح. شجعه أبونا كيرلس قائلاً "اتركها بيد الله، واقبل نعمة الله".[١٥١] لقد كان جهدًا غير مجدٍ، حيث رفض أبونا مينا التعزية، وسهرا طول الليل، وتغلب عليهما النوم في النهاية. استيقظ أبونا كيرلس، كما كانت عادته، عند الفجر للتحضير لصلاة باكر والقداس؛ وعندما دخل الكنيسة، وكما كان يفعل في العامين الماضيين نظر إلى وجه أبونا مينا المشجِّع، لكن وجهه كان متغيرًا واختفت لمحة التشجيع هذه.

الحواشي

١ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس صـ ٥. الصوم متغير في مدته، من يوم الاثنين بعد عيد العنصرة إلى عيد الرسل.
٢ حوار مع مجلة مار جرجس، أبريل / مايو ١٩٥٩، أعيد نشره في جرجس، القيثارة السماوية، صـ ١٢.
٣ يقترح ميناردس (وواتسون، الذي يبدو أنه يوافقه في الرأي)، أن عازر بدأ في قراءة الأدب الرهباني أثناء عمله لدى توماس كوك وابنه. وفقًا لمجلة مار جرجس عام ١٩٥٩، من المحتمل أنه بدأ القراءة أثناء انتظاره الرحيل إلى الدير. ومع ذلك، فإن استنتاج واتسون بأنه كان سيفتح عينيه على الدعوة الحقيقية للكنيسة هو استنتاج دقيق تمامًا. انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 78; Watson, "Abba Kyrillos," 8.

ربما كانت هذه أيضًا فترة حدث فيها تأثير آخر. يقدم نصر ادعاءً موجزًا وغير مرجعي بأن عازر كان متأثرًا بحياة الأنبا أبرام (١٨٢٩-١٩١٤)، أسقف الفيوم والجيزة. انظر أمير نصر، قراءات في حياة أبونا مينا البرموسي المتوحد (القاهرة: مطبعة النسر، ١٩٩٦)، ١٣. على الرغم من أن نصر لم يثبت ادعاؤه، فقد يكون هناك شيء من الصحة فيه. أولاً، كانت شهرة الأسقف، وخاصة حبه للفقراء منتشرة في جميع أنحاء مصر. ثانيًا، أمضى الأنبا أبرام، الذي كان راهبًا حينها، فترة عزل في دير البرموس من ١٨٦١ إلى ١٨٨١. ثالثًا، بعد نياحة الأنبا أبرام عام ١٩١٤، كتب أبونا عبد المسيح المسعودي (الأب الروحي لعازر) سيرة الأسقف. والرابع، واللافت للنظر، أن العدد الأول الذي أصدره عازر من مجلة ميناء الخلاص، في فبراير ١٩٢٨، يعرض سيرة الأنبا أبرام. انظر مجلة ميناء الخلاص، المجلد. ١ (وادي النطرون: دير البرموس، أمشير ١٦٤٤، فبراير١٩٢٨). أخيرًا، في ١٠ يونيو ١٩٦٤، أعلن عازر (البابا كيرلس السادس) قداسة الأنبا أبرام.

4 Watson, "Abba Kyrillos," 8.

٥ يتم توزيع هذا الفطير سنويًا في عيد رئيس الملائكة ميخائيل، الذي يصادف الثاني عشر من كل شهر قبطي. على الرغم من أن حنا يدعي أنه وقع في يوم عيد الرسل نفسه، فهناك صعوبة في أن ١٢ يوليو ١٩٢٧ كان في الواقع الخامس من الشهر القبطي. يبدو أنه قد حدث خلط بين الحدثين في ذهن شقيقه حنا.
٦ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٥.
٧ المرجع السابق.
٨ في الرهبنة القبطية، يُشتق الاسم الأخير للراهب من ديره. في هذه الحالة، الاسم الأخير هو "برموسي" لأن الراهب من دير البرموس. دخل أبونا بشارة دير البرموس سنة ١٩٢١. رُسِمَ كاهنًا في ٨ مايو١٩٢٧؛ رُسِمَ أسقفًا باسم (الأنبا مرقص أسقف أبو تيج وطما وطهطا) عام ١٩٣٤؛ وتنيح عام ١٩٨٠. نظرًا لأنه كان يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا فقط في ذلك الوقت، وعاد إلى الكلية في سبتمبر ١٩٢٧، فمن المحتمل جدًا أنه كان طالبًا هناك. انظر، أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس: من الماضي إلى الحاضر (القاهرة: دير البرموس، ١٩٩٣)، ١٧٧-١٧٨.
٩ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦.
١٠ المرجع السابق.
١١ على الرغم من عدم ذكر محطة سكة حديد محددة، فقد عاشت العائلة في محرم بك، التي كانت تبعد كيلومترًا واحدًا (على بعد ثلاثة عشر دقيقة سيرًا على الأقدام). كانت محطة السكة الحديد الأخرى في الإسكندرية (والتي يجب المرور بها أيضًا للذهاب إلى دمنهور) هي محطة سيدي جابر، التي كانت تبعد حوالي ٤ كم.
١٢ أبونا مينا المتوحد (البابا كيرلس السادس)، "أجزاء من السيرة الذاتية".
١٣ تختتم كل دورية بقسم سردي أو قصة. يحتوي العددان الأولان على تفاصيل رحلته إلى الدير في هذا القسم "السردي" مع القليل من الشرح، وبالتالي ربما تم تجاهلهما سابقًا على أنهما مجرد قصص. كما تم الاحتفاظ بالدوريات بإحكام في حوزة أبونا رافائيل آفامينا (الذي شاركها بلطف)، ولسوء الحظ نتيجة لذلك تم إخفاء الكثير مما تحتويه منذ عقود. بعد العددين الأولين، تم استبدال تعليقات السيرة الذاتية لصالح مقتطفات من

يوحنا بنيان؛ الحرب المقدسة. كان هذا الأمر يثير فزعي كثيرًا خاصةً بالنظر إلى أن العدد الثاني أُختتم بعبارة "يتبع". انظر الراهب مينا البرموسي (البابا كيرلس السادس)، المجلد الثاني (وادي النطرون: دير البرموس، برمهات ١٦٤٤؛ مارس ١٩٢٨)، صـ ٨.

[١٤] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ١: ٨. المسافة من الإسكندرية إلى دمنهور حوالي ٦٠ كم، ومن دمنهور إلى إيتاي البارود ٢٧ كم، ومن إيتاي البارود إلى الخطاطبة ٦٨ كم أخرى.

[١٥] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١، ٤٣، كان على ما يبدو طريقًا معتادًا، انظر مصدر آخر، Meinardus, *Monks and Monasteries,* (1989), 66.

[١٦] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ١: ٨.

[١٧] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".

[١٨] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٨.

[١٩] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، ٢: ٧-٨. وصلوا إلى الدير بين الساعة ١٢ و٢ صباحًا. يستغرق السير من محطة الحُوكْرِيَّة (بير حكير) إلى الدير حوالي ١٠ كيلومترات ويستغرق حوالي ساعتين.

[٢٠] كتبت امرأة بريطانية تُدعى ماري رولات في الوقت نفسه تقريبًا، في عام ١٩٣١، وهي تقترب من الدير سيرًا على الأقدام بعد تعطل سيارتهم "لقد مشينا آخر مسافة سيرًا على الأقدام، حيث توقفت السيارتان، لذلك نحن اقتربنا من الدير في صمت مطلق. ويمكن أن يكون صمت الصحراء مطلقًا. كانت الأشياء الحية الوحيدة التي شوهدت هي طيور السنونو التي تدور حول رؤوسنا، وهي تنقض إلى الأمام وتعود مرة أخرى بفضول كبير. قرعنا الجرس العظيم في برج أبيض فوقنا وانتظرنا عند وصولنا. في النهاية، فتح راهب ملتح شاب بوابة ما بعد العصر ورحب بنا". انظر، Meinardus, *Monks and Monasteries* (1989), 66.

[٢١] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ٢: ٧-٨.

[22] Meinardus, *Monks and Monasteries* (1989), 52–53.

[23] Constantin von Tischendorf, *Travels in the East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 53.

[24] Cited in Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 66.

[25] William Henry Hatch, "A Visit to the Coptic Convents in Nitria," *American School of Oriental Research Annual,* no. 6 (1924): 100.

[26] Cited in Meinardus, *Monks and Monasteries* (1989), 67.

[27] H. V. Morton, *Through Lands of the Bible* (London: Dodd, Mead & Company, 1938), 234.

[٢٨] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

[٢٩] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ٢: ٧-٨.

[٣٠] المرجع السابق.

[٣١] المرجع السابق. يشير هذا إلى قداس القديس غريغوريوس اللاهوتي، وهو واحد من ثلاثة قداسات لا تزال الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تستخدمها.

[٣٢] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

[33] Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 69.
أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ١٧٥. كان من المعروف أن الأنبا يؤانس، بعد أن بدأ رهبنته في دير البرموس، كان يزور الدير سنويًا على الأقل، واستمر في هذه الممارسة أولاً كمطران ثم في النهاية كبطريرك.

[٣٤] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦.

[٣٥] المرجع السابق.

[٣٦] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ٢: ٨.
[٣٧] للاطلاع على منظور علماني لأسباب النفي، انظر إيريس حبيب المصري، القصة الحقيقية للمسيحية في مصر، ٢: ٣٥٢-٥٣.
[٣٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٣. هذه التفاصيل مفقودة من الترجمة الإنجليزية.
[٣٩] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص ٢: ٨.
[٤٠] يختتم سرد السيرة الذاتية في ميناء الخلاص بقصة الساكن السابق المجهول للقلاية. يمكن العثور على المصدر في الملاحق. أظن - نظرًا لأن الراهب كان أعمى في رواية عازر وأن القلاية قد هُجرت لبعض الوقت - أن هذا يشير إلى راهب أعمى اسمه عوض البرهيمي (ت. ١٨٧٨) الذي كان في مرحلة ما الراهب الوحيد في الدير لمدة ثلاث سنوات. يُذكر أنه يتمتع بذكاء شديد وعقل صافٍ، طويل القامة وله لحية طويلة، ومولع بالقول: "الراهب راهب من بيت أبيه. جيد في بيت أبيه، جيد في الدير". انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٢.
[٤١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦.
[٤٢] المرجع السابق.
[٤٣] المرجع السابق. تم تأكيد هذا الموقف في رسالة كتبها عازر (أبونا مينا آنذاك) إلى شقيقه في عام ١٩٢٩. الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا"، ١٧ يناير ١٩٢٩، مجموعة رضا، الجزء الثاني: رسالة رقم ٥٧ (دير البرموس، ١٩٢٩).
[٤٤] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦. هذا بالتأكيد منطقي بسبب التأخير في تخصيص قلايته.
[٤٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٣. لا تذكر الترجمة الانجليزية الأسماء رغم أنها مذكورة في النسخة العربية.
[٤٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٣. وعلق أبونا عبد المسيح المسعودي، أثناء استكشافه القلاية، قائلاً: "لقد زرع وينتظر المطر". هذا مفقود من الترجمة الإنجليزية. تضيف النسخة العربية أيضًا التفسير التالي: "مما يعني أنه أعد نفسه وينتظر مطر نعمة الله".
[٤٧] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، ٢: ٨.
[٤٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦. تم ترجمة الجملة الأخيرة بشكل خاطئ في النسخة المطبوعة، ولكن تم تصحيحها أعلاه. انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٣.
[٤٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦.
[٥٠] على سبيل المثال، يشير واتسون، من بين آخرين كثيرين، وهو أمر يمكن غفرانه إلى حد ما، إلى أن عازر كان الابن الروحي للأب عبد المسيح عبد الملك المسعودي، وأنه أصبح مساعدًا لأمين المكتبة؛ أبونا عبد المسيح صليب المسعودي. انظر،

Watson, "Abba Kyrillos," 9.

كان هذا بالطبع مستحيلاً بالنظر إلى أن ابن عبد الملك كان في دير المحرق، ومن المحتمل أنه استقر قبل وقت رهبنة أبونا مينا.
[٥١] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٤.
[٥٢] المرجع السابق. تم ذكر اسم زوجته على أنها تسمى ماري.
[٥٣] إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية: ١٨٧٠-١٩٢٧، مجلد ٥، القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٨٦، صـ ١٠٧.

[٥٤] وهو ابن عبد الملك بالرجوع إلى اسمه. لا يُعرف عنه سوى القليل، بخلاف الخلط بينه وبين أبونا جرجس المسعودي، الذي قضى اثنين وعشرين عامًا في الدير نفسه. انظر الأنبا غريغوريوس، دير المحرق: التاريخ والوصف والمحتوى (القوصية: دير المحرق، ١٩٩٢)، صـ ٣٢٩؛ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٥:١٠٩.
[٥٥] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٤. لاحظ أنه جاء إلى دير البرموس في زمن عوض وحنا الكاتب (البابا كيرلس الخامس).
[٥٦] الأنبا غريغوريوس دير المحرق صـ ٣٢٥. إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٥: ١٠٨.
[٥٧] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٥.
[٥٨] المرجع السابق.، ٢٣٦، الأنبا غريغوريوس دير المحرق صـ ٣٢٧؛ إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٥: ١٠٨. تجدر الإشارة إلى أن دير البرموس كان أيضًا موطنًا (لفترة وجيزة على الأقل) للراهب السوري نعوم في مطلع القرن العشرين - وهو راهب عالم بارع، على الرغم من حرمانه مؤقتًا بسبب "العصيان". انظر،
Meinardus, *Monks and Monasteries* (1989), 64.
من الرائع أن يجتمع هؤلاء العلماء في دير البرموس قبل وصول عازر.
[٥٩] راهبات أبو سيفين، أبو سيفين: سيرة وتاريخ الدير (مصر القديمة: دير أبو سيفين، ١٩٨٩)، صـ ٣١٩.
[٦٠] مرة واحدة كسر هذا العهد بالصمت هو يوم رسامة عازر راهبًا. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨. لم يُعرف عن حياته سوى أنه دخل الدير بعد أخيه أبونا عبد المسيح بن صليب المسعودي. انظر، أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٦.
[٦١] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٦.
[٦٢] العديد من التفاصيل الخاصة التالية حول حياة وتحركات أبونا عبد المسيح المسعودي مأخوذة من رسالة كتبها في يناير ١٩٦٩ تلميذ آخر للأب عبد المسيح المسعودي، وهو أبونا داود البرموسي. أعيد طبع الرسالة في يوسف حبيب، وداعًا للبابا كيرلس: بين الآباء والقادة (المكان والناشر غير معروفين، ١٩٧١)، صـ ٢٠.
[٦٣] للاطلاع على مراجع أعماله، انظر، عزيز سوريال عطية "عبد المسيح صليب المسعودي" في الموسوعة القبطية تحرير عزيز سوريال عطية. مجلد رقم ٧ ب؛ إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٥: ١٠٨.
[٦٤] عطية، "عبد المسيح صليب المسعودي"، مجلد رقم ٧ب؛
Johannes Den Heijer, "History of the Patriarchs of Alexandria," ibid., 1241a.
[٦٥] حبيب بين الآباء، صـ ٢٠؛ عطية، "عبد المسيح صليب المسعودي"، مجلد رقم ٧ ب.
[٦٦] عزيز سوريال عطية، "عبد المسيح صليب المسعودي"، ٧ مجلد رقم ب.
[٦٧] حبيب بين الآباء، صـ ٢٠.
[٦٨] جرجس، القيثارة السماوية، صـ ١٣.
[٦٩] المرجع السابق، صـ ١٢.
[٧٠] حبيب بين الآباء، صـ ٢١، ٢٢.
[٧١] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٨.
[٧٢] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٦.
[٧٣] المرجع السابق.
[٧٤] المرجع السابق.
[٧٥] المرجع السابق.
[٧٦] المرجع السابق.
[٧٧] المرجع السابق. وبحسب الرواية، كان عازر لا يزال طالب رهبنة، وقد حدث هذا بعد رحيل زملائه الرهبان إلى الإسكندرية في سبتمبر ١٩٢٧. هذا يضع الحدث في وقت ما بين أكتوبر ١٩٢٧ ويناير ١٩٢٨.
[٧٨] المرجع السابق.
[٧٩] المرجع السابق.

٨٠ تولى رئاسة الدير بعد استقالة أبونا برنابا البرموسي في ٩ مارس ١٩٤٨. رُسم كأول أسقف له في ٢٣ يناير١٩٤٩، وتنيح في ٥ يناير ١٩٦٥. انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٢٦.

[81] Anonymous bishop, "Interview about the Life of Pope Kyrillos," audio recording, ed. Daniel Fanous (2016).

منذ أيامه الأولى كمبتدئ - على الرغم من أن ذلك كان مفاجأة للكثيرين - فقد ورد أنه وقع ضحية للإساءة والسخرية من بعض زملائه الرهبان.

٨٢ تم استعارة عبارة "دعوة الخسارة" من رسالة كتبها الأب ليف جيليه في ٩ مارس ١٩٢٨ إلى أسقفه؛ المتروبوليت أندريه زيبتيكي: "كلما فحصت نفسي أكثر... ما يجذبني هو دعوة الخسارة؛ حياة من شأنها أن تعطي نفسها بحرية دون أي نتيجة إيجابية ظاهرة، لأن النتيجة ستكون معروفة لله وحده..." إنها عبارة تتحدث ببلاغة عن حياة القديس موضوع هذه الدراسة. انظر،

Elisabeth Behr-Sigel, *Lev Gillet: A Monk of the Eastern Church*, trans. Helen Wright (Oxford: Fellowship of St Alban and St Sergius, 1999), 9.

٨٣ لتحليل الفترة والعوامل المساهمة، انظر،

Vatikiotis, *The History of Egypt*, 317–28.

٨٤ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

٨٥ ظهر بعض التناقض في المصادر حول تاريخ رسامته راهبًا. قد يُرجع هذا إلى خطأ في الترجمة في مذكرات حنا يوسف عطا. في اللغة العربية، التاريخ مكتوب على أنه "٢٥ فبراير ١٩٢٨ في بداية الصوم الكبير"، في حين أن الترجمة الإنجليزية لها - لسبب غير معروف (ربما بسبب بعض الالتباس حول من هو المقصود بالقديس مارمينا؛ ١٧ أمشير، مينا الراهب، مقابل ١٥ هاتور، مارمينا صانع العجائب) - ترجمتها خطأً على أنها "٢٥ نوفمبر ١٩٢٨، في بداية صوم عيد الميلاد". تمت ترجمة التاريخ بشكل خاطئ وبالتالي وتم تغيير الصوم لفهم ذلك (نظرًا لأن صوم الميلاد بدأ في ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨). انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٥، وحياة البابا كيرلس، صـ ٨. على أي حال، هناك أجزاء من السيرة الذاتية تضع الرسامة بعد "تسعة أشهر" من دخوله الدير في يوليو ١٩٢٧، مما يؤكد أن تاريخ الرسامة هو فبراير ١٩٢٨. انظر، أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".

٨٦ للحصول على وصف للكنيسة ومذابحها، انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٦٢-٦٥.

٨٧ تم وصف طقوس اللحن بتفصيل كبير في كتاب الأنبا متاؤس، سمو حياة الرهبنة (مصر: مطبعة دير القديس الأنبا شنودة، ٢٠٠٥)، صـ ٨٩-٩٨، وهذا يتوافق بصورة جيدة مع الوصف الوارد في رواية حنا: انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٧.

٨٨ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية". وتجدر الإشارة إلى أن القديس الذي أُحتفل به في ذلك اليوم (السابع عشر من أمشير) هو مينا الراهب، وليس شفيع عازر؛ مينا صانع العجائب (عيده يوم الخامس عشر من هاتور).

٨٩ يبدو، من أجزاء السيرة الذاتية، أنه كان هناك بعض الخلاف حول الاسم الجديد لطالب الرهبنة، قبل الاتفاق النهائي على اسم القديس الذي كان عيده يوافق ذلك اليوم. هذا تصحيح مهم لأن هناك عددًا من المصادر التي أشارت إلى أن عازر نفسه هو من اختار الاسم؛ على سبيل المثال انظر:

Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 196; van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 230; Watson, "Abba Kyrillos," 20.

٩٠ مقتبس من Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 195. تلاحظ فوال أن هذا قد يكون للوهلة الأولى غريبًا تمامًا، لكن كان هناك نوع من الاتحاد بين الأقباط والمسلمين في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي ضد البريطانيين، بالإضافة إلى التبجيل الذي منحه المسلمون لمارمينا في القرن السابع إلى العاشر (خاصة البدو)، يعود لمرجع أحمد حسين.

٩١ المرجع السابق.

[92] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٧.
[93] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".
[94] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.
[95] المرجع السابق.
[96] هناك سبب آخر، من المحتمل أن يكون مقترنًا بطلب المسعودي، ورد في مقدمة المجلد الأول: "بعد أن لاحظت أن الكثير من الناس يرغبون في معرفة خصائص الدير وقواعده، وخاصة م. مايكل، الذي سأل بلا هوادة بشأن هذه المسألة، قررت - بحمد الله - أن أكتب شيئًا عن هذا الموضوع. على الرغم من أنني لا أستطيع وصف جمال الدير، إلا أنني سأبذل قصارى جهدي..."، انظر الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]"، مجلة ميناء الخلاص، صـ ١. في مجلد لاحق، ديسمبر ١٩٢٩، تم تقديم سبب آخر: "إن الهدف الوحيد من نشر هذه المجلة مرتبط بقراءتي المتكررة لأقوال الآباء القديسين، والفوائد والراحة التي تملأ الروح. عندما وجدت نفسي ممتلئًا بهذه التعاليم، أردت أن أشاركها مع إخوتي". انظر، الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، مجلد رقم ١٦ (وادي النطرون: دير البرموس، كيهك ١٦٤٦؛ ديسمبر ١٩٢٩). يبدو أيضًا أن حنا قد يكون لعب دورًا في تحديد الطول والبنية؛ انظر الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢١ نوفمبر ١٩٣٠"، في مجموعة أبونا رافائيل الخطاب رقم ١١ (دير البرموس: ١٩٣٠).
[97] انظر الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، صـ ١.
[98] المرجع السابق.
[99] كان أبونا مينا قد خطط في الأصل أن تنقسم المجلة إلى ثلاثة أقسام: "قسم روحي، وقسم تاريخي، وقسم إداري". كتب أبونا مينا "في هذا القسم الأخير سأكتب عن قواعد الدير وخصائصه". انظر المرجع السابق. ولكن يبدو أن المجلة تم تقسيمها بطريقة أخرى.
[100] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٧.
[101] نقل إلى بلطف أبونا رافائيل آفامينا جميع المجلدات السبعة عشر، وهو يمتلك النسخ الأصلية في حوزته. سيتم الرجوع إلى المحتويات عند الضرورة خلال هذا العمل.
[102] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٢١.
[103] رئيس الشمامسة إسكندر حنا والقمص عبد المسيح المسعودي.
[104] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٢١.
[105] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨. بخلاف أعمال القديس مار إسحق السرياني، يذكر حنا أنه درس بنفسه أيضًا الآباء الرهبان، مثل القديس أنطونيوس، ومقاريوس الكبير، والأنبا شنودة رئيس المتوحدين.
[106] في مقابلة لاحقة، قبل شهر من رسامته بطريركًا، عندما سُئل عن كتابه المفضل، أجاب: "أعمال مار إسحق السرياني عن حياة الوحدة والصمت". انظر جلال الجويلي "حوار مع الراهب الذي سيصبح بطريركًا"، الأهرام، ٢٥ أبريل، ١٩٥٩.
[107] لا تذكر الترجمة الإنجليزية أنه تعلم تجليد الكتب من راهب مسن كان يخدمه، يُدعى باخوم، والذي تم تحديده في جزء من سيرته الذاتية على أنه أب اعترافه. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٧، وحياة البابا كيرلس، صـ ٨؛ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".
[108] كانت إحدى النسخ بحوزة أبونا متى المسكين، الذي أشار إلى العمل على النحو التالي: "الكتب الأربعة للقديس مار إسحق السرياني، أسقف نينوى"، المنسوخة من مخطوطة بحوزة أبونا مينا البرموسي. انظر،
Fr Matta el-Meskeen, *Orthodox Prayer Life: The Interior Way* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2003), 292.

يجب أن نلاحظ أن تصنيف الجزء الأول والجزء الثاني (والثالث) من العظات النسكية لم يكن معروفًا إلى حد ما بالنسبة للعالم العربي. بدلاً من ذلك، هناك "أربعة كتب" في النسخة العربية - النسخة التي كان أبونا مينا مفتونًا بها. تتكون هذه الكتب الأربعة بشكل أساسي من الجزء الأول، ولكنها تحتوي أيضًا على أقسام من الجزء الثاني والثالث، بالإضافة إلى آباء سريان آخرين تحت اسم إسحق. هذا يجعل من الصعب في كثير من الأحيان تحديد "الجزء" الذي يشير إليه أبونا مينا - على الرغم من أن الجزء الأول، كما ذكرنا، يهيمن بشكل أساسي على "الكتب الأربعة" العربية. انظر،

Sabino Chiala, "The Arabic Version of Saint Isaac the Syrian: A Channel of Transmission of Syriac Literature," in *St Isaac the Syrian and His Spiritual Legacy*, ed. Hilarion Alfeyev (Yonkers, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2015).

أيضًا، لمناقشة التنقيح الشرقي والغربي، انظر،

Hilarion Alfeyev, *The Spiritual World of Isaac the Syrian* (Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 2000), 29–31.

١٠٩ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.

Father Raphael Ava Mina, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI," audio recording, ed. Daniel Fanous (2016).

110 St Isaac the Syrian, *The Ascetical Homilies of Saint the Syrian* (Boston: Holy Transfiguration Monastery, 2011), 64. 457.

[الاقتباسات من هذا المنشور ستعطي رقم العظة أولاً، ثم بعد فترة، رقم الصفحة]. الحكمة أكثر وضوحًا في السياق: "بدلاً من أن تكون منتقمًا كن منقذًا. بدلاً من أن تتصيد الأخطاء، كن معزيًا... تضرع إلى الله من أجل الخطاة... اغلب الأشرار بلطفك... أحب كل الناس، واهرب من كل الناس".

١١١ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٧ يناير ١٩٢٩".

١١٢ المرجع السابق.

١١٣ المرجع السابق. وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن تفكيره قد تطور بصورة أكبر في الرسالة التي كتبها في عام ١٩٣٣، حيث يسعى إلى الوحدة بدافع الضعف، وليس بسبب التفكير في أنه أفضل من الآخرين، انظر أبونا مينا البرموسي [كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر ١٩٣٣"، في الرسالة رقم ٨ من مجموعة رضا (دير البرموس: ١٩٣٣).

١١٤ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨. وكان من بين الحضور إخوته حنا و(القمص) ميخائيل ويوسف جرجس (سكرتير البطريركية لاحقًا) وميخائيل آخر (وكيل البطريركية). تفتقد الترجمة الإنجليزية لهذه التفاصيل: انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس، صـ ١٧. يبدو أن هناك بعض الالتباس في المصادر فيما يتعلق بمكان الرسامة، لكن من المحتمل أن تكون قد حدثت في الدير قبل استدعاء أبونا مينا إلى الإسكندرية. يبدو أن وجهة النظر المعارضة قد نشأت من قصة تلميذه أبونا رافائيل آفامينا، انظر، أبونا رافائيل آفامينا القيادة الروحية، صـ ٨.

١١٥ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.

١١٦ إن "استلامه الذبيحة" في الإسكندرية قد رواه تلميذه أبونا رافائيل آفامينا، وعلى الرغم من عدم ذكره على وجه التحديد من قبل شقيقه حنا، إلا أنه يتماشى بالتأكيد مع روايته حيث من الواضح أن حنا كان على اتصال وثيق مع البابا يؤانس بعد الرسامة. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٨؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨، ومذكراتهم عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٧.

١١٧ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية.

118 Watson, "Abba Kyrillos," 9.

١١٩ قليل من العلماء، إن وجد، لاحظ العديد من التناقضات هنا. من الصعب للغاية تحديد تاريخ بداية دراسته بالضبط في حلوان: (١) يقول أبونا مينا في أجزاء سيرته الذاتية، إنه درس هناك لمدة عامين بعد أربع سنوات في

الدير، وهذا مدعوم بالإجماع من جميع الروايات. (٢) يقترح حنا أن هذا بدأ بعد الكهنوت (يوليو ١٩٣١) وأنه طلب الوحدة بعد فترة وجيزة عندما كان في الثلاثين (على الأقل بعد أغسطس ١٩٣٢)؛ (٣) ذكر حنا فيما بعد أن الأنبا توماس أسقف الغربية درس مع أبونا مينا في حلوان، ومع ذلك رُسم أسقفًا في أكتوبر ١٩٣٠، مما يشير إلى أن أبونا مينا درس في حلوان قبل ذلك الوقت. (٤) هناك أيضًا تناقض حول الأبروشية التي كان من المقرر أن يُرسم عليها. في حين لاحظ باحث واحد على الأقل (زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٦٩-٧٢) هذه التناقضات وحاول المناورة من خلال هذه التفاصيل المتضاربة إلى حد ما من خلال اقتراح أن أبونا مينا بدأ الدراسة في حلوان قبل أكتوبر ١٩٣٠، إن هذا غير ضروري. أحد الاحتمالات هو أن الأنبا توماس ربما استمر بشكل معقول في حلوان بعد سيامته. من المؤكد أن أبونا مينا لم يكن في حلوان منذ ديسمبر ١٩٣٠ على الأقل، بالنظر إلى أن الرسائل الموجهة إلى شقيقه حنا، في الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر، كانت مكتوبة من دير البرموس - إحدى هذه الرسائل على وجه التحديد أن مينا شعر أنه سيكون قريبًا أنه سيطلب منه الدراسة وتمنى ألا يحدث ذلك. انظر، أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس] "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢١ نوفمبر ١٩٣٠". ومن اللافت للنظر، أنه ليس بحوزتنا أي رسائل من يده من ١٠ ديسمبر ١٩٣٠ إلى ٣ ديسمبر ١٩٣٣ تشير إلى فترة الابتعاد عن ديره. التسلسل الزمني المحتمل لهذه السنوات هو كما يلي: يوليو ١٩٢٧ - يوليو ١٩٣١ في دير البرموس. من يوليو ١٩٣١ إلى أوائل عام ١٩٣٣ في حلوان، ومدة في دير الأنبا شنودة بسوهاج. وفي أواخر عام ١٩٣٣، دخل أبونا مينا في الوحدة في دير البرموس. سيتم دراسة الفترتين الأخيرتين في الفصول التالية.

[١٢٠] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".

[١٢١] كان هناك العديد من المطارنة وجميع رؤساء الأديرة، بالإضافة إلى رئيس الشمامسة حبيب جرجس؛ عميد الكلية الإكليريكية في القاهرة (والذي تم إعلان قداسته مؤخرًا)؛ انظر إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية: ١٩٢٨-١٩٤٦، المجلد. ٦ (القاهرة: مكتب المحبة، ١٩٨٨)، صـ ٤٠-٤٢؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٤٥.

[١٢٢] انظر إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦:٤١؛

van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 232.

[١٢٣] انظر إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٤٢ -٤٣.

[١٢٤] تزعم بعض المصادر الموثوقة أنه ولد في عام ١٨٨٠، لكن معظمها يقترح عام ١٨٨٣، وهو ما يتفق مع الحكاية القائلة بأنه كان في الرابعة عشرة من عمره في عام ١٨٩٧ عندما "لاحظه" الأسقف مرقس؛ على سبيل المثال، انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس صـ ٢٣٧ - ٢٣٨.

[١٢٥] للاطلاع على سيرة مختصرة لمنقاريوس، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٥: ٨.

[١٢٦] من الجدير بالذكر أن نظير جيد؛ البابا شنودة الثالث، تم تعيينه محاضرًا متفرغًا بكلية حلوان اللاهوتية عام ١٩٥٣. انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 4.

[١٢٧] لم يمض وقت طويل حتى تمكن من فتح مدرسة ابتدائية أخرى، مكتظة إلى حد كبير، للأطفال الفقراء. انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٣٨.

[١٢٨] المرجع السابق، تم ترقيته إلى رتبة القمصية الشهر التالي.

[١٢٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.

[١٣٠] الأنبا كيرلس كان مطران البلينا من ١٩٤٨ إلى ١٩٧٠؛ وهكذا مات قبل صديقه بعام.

[١٣١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.

[١٣٢] المرجع السابق؛ أبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس: الجزء الثاني (شبرا: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٨٥).

[١٣٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.

[١٣٤] أبونا رافائيل آفامينا القيادة الروحية، صـ ١١.

١٣٥ يمكن حتى تتبع رؤية أبونا مينا الإفخارستية بعناية إلى ممارسته اليومية في خبز القربان حتى قبل الكهنوت، ومن ثم قبل أن يكون قد تسلم طقس القداس. من الممكن أن يكون قد تعمق أكثر من خلال ترجمة أبونا عبد المسيح المسعودي الرائدة ودراسته للطقوس القبطية. يجب أن نلاحظ أيضًا أن أبونا مينا كان يحضر في كنيسته المحلية يوميًّا (على الرغم من أنه لم يكن من أجل حضور القداس، حيث لم يكن هناك قداسات يومية في ذلك الوقت) للصلاة، قبل أن يصبح راهبًا.
١٣٦ أدت ممارسته اليومية إلى اتهامات لا أساس لها، بما في ذلك الاتهام بالهرطقة، في وقت لاحق كراهب في المدينة. الأهم من ذلك، كان أبونا مينا يصلي القداس بسرعة أكبر من الممارسة التقليدية - غالبًا ما كان يستغرق من ساعة إلى ساعتين فقط.

[137] Yanney, "Liturgical Revival," 32.

١٣٨ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، المجلد. ٧ (وادي النطرون: دير البرموس، مسرى ١٦٤٤؛ أغسطس ١٩٢٨)، صـ ١.
١٣٩ المرجع السابق.
١٤٠ المرجع السابق. صـ ٢-٣.
١٤١ المرجع السابق. صـ ٣-٤.

[142] Fr Alexander Schmemann, *The Eucharist: Sacrament of the Kingdom* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1988), 242.

١٤٣ من الأسئلة التي استحوذت على اهتمامي لسنوات، والتي طُرحت عليَّ في أكثر من مناسبة، هو ما إذا كان للاهوت الإفخارستيا لمار إسحق أي تأثير على أبونا مينا، نظرًا إلى تأثر أبونا مينا الشديد به وتلمذته على عظاته. يكاد يكون من المستحيل صحة هذا الرأي، نظرًا لأن كتابات مار إسحق الباقية نادرًا ما تناقش الإفخارستيا، وثانيًا، نادرًا ما يستشهد أبونا مينا بمار إسحق فيما يتعلق بالإفخارستيا. الاستثناء على حد علمي هو رسالة كتبها أبونا مينا إلى أبونا أنطونيوس السرياني (البابا شنودة الثالث) يهنئه فيها بمناسبة رسامته الكهنوتية. ويرشد أبونا مينا أبونا أنطونيوس في تعليم إفخارستي جميل لمار إسحق السرياني. أي أن الاحتفال الإفخارستي يوحِّد المتوحد بالعالم. انظر أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا أنطونيوس السرياني، ٦ سبتمبر ١٩٥٨"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١: الرسالة ٤٤٣ (مصر القديمة: ١٩٥٨). يبدو أن أبونا مينا يتابع (أو ربما يستشهد) بهذه النسخة الخاصة به لمار إسحق السرياني. انظر،
Ascetical Homilies, Part II, 5, 26–30; cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 205.

[144] Father Alexander Schmemann, *The Journals of Father Alexander Schmemann, 1973–1983* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2000), 31.

١٤٥ أبونا رافائيل آفامينا القيادة الروحية، صـ ١١.
١٤٦ رغم أن الترجمة الإنجليزية تدعي أن "مجمعًا من الرهبان" قدم هذا الاقتراح، فإن الرواية الأصلية باللغة العربية تشير إلى أن أبونا مينا وأبونا كيرلس هم من قدما الاقتراح. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨، ومذكراتهما عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٨.
١٤٧ من المستحيل تحديد تاريخ مغادرة أبونا مينا لحلوان على وجه التحديد. ولكن بالنظر إلى أنه من الواضح أنه بدأ هناك بعد الكهنوت في يوليو ١٩٣١ وأن سيرته الذاتية تشير بوضوح إلى أنه كان هناك لمدة عامين، فقد نقترح أوائل عام ١٩٣٣. ثم قضي عدة أشهر في دير الأنبا شنودة بسوهاج، قبل أن يعود إلى دير البرموس قبل عيد ميلاده الحادي والثلاثين (أغسطس ١٩٣٣)، ويمكننا جمعها من رواية حنا. انظر، عطا وأبونا رفائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩. كما تشير رسالة كتبها في ديسمبر ١٩٣٣ إلى أخيه إلى وجود خلاف في الدير حيث كان أبونا مينا ينوي المغادرة إلى الوحدة في ذلك الوقت، انظر، أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
١٤٨ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٨.
١٤٩ المرجع السابق.

[150] المرجع السابق. صـ ٩. يدعي حنا أن البابا يؤانس أراد أن يرسم أبونا مينا أسقفًا للأبروشية التي تركها عند رسامته بطريركًا وهي الغربية والبحيرة (أضيفت المنوفية بعد أن تنيح أسقفها). وهذا يمثل إشكالية لأن الأنبا توماس رُسم للغربية (أكتوبر ١٩٣٠ إلى مارس ١٩٥٦) والأنبا ديمتريوس للمنوفية (مارس ١٩٣١ إلى أكتوبر ١٩٥٠). ومع ذلك، غادر أبونا مينا حلوان في اليوم التالي لمحاولة الأنبا يؤانس رسامته، والتي يجب أن تكون على الأقل بعد رسامته للكهنوت في يوليو ١٩٣١، منذ أن ترأس صلاة الغروب في ذلك المساء. لذلك، فإن محاولة رسامة أبونا مينا في رتبة الأسقفية لا يمكن أن تكون لأبرشيتي الغربية والمنوفية، حيث تم رسامة أساقفة لهما من أكتوبر ١٩٣٠ ومارس ١٩٣١ على التوالي. ومع ذلك، فمن الممكن تمامًا أن يكون البابا يؤانس قد فكر في ضم البحيرة إلى أبروشيته الخاصة - كما حدث بعد عقود.

[151] المرجع السابق.

٣
الناسك المتوحد
(١٩٣٣ - ١٩٣٦)

الهروب من الرتب الأسقفية (١٩٣٣)

يجب على الراهب أن يهرب بكل الطرق من النساء والأساقفة
القديس يوحنا كاسيان

في الصباح الباكر من عام ١٩٣٣، بعد ساعات فقط من سماعه خبر اختياره للأسقفية، جمع أبونا مينا مقتنياته بسرعة وبصمت. استقل أول قطار متجه إلى سوهاج في صعيد مصر، ومن هناك توجه إلى الدير الأبيض وهو دير القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. كانت رحلة إلى مكان بعيد، ٤٣٠ كيلومترًا جنوبًا. لا يمكن أن تكون نية أبونا مينا خاطئة: لقد سعى إلى الاختفاء إلى الأبد.

كان هناك حادثة مشابهة لما فعله في أواخر القرن الرابع، فقد رفض راهب اسمه أمونيوس الأسقفية. وأمام أعين مطارديه، أخذ مقصًّا وقطع أذنه اليسرى، معلنًا أنه الآن مشوه وبالتالي غير مؤهل للرسامة. لم يقتنع البطريرك تيموثاوس السكندري (٣٨١-٣٨٤) إلى الحد أن أمونيوس بعد ذلك هدد بقطع لسانه.[١] بعد سنوات قليلة فقط توسل راهب آخر اسمه نيلامون إلى الأنبا ثاؤفيلس بطريرك الإسكندرية التالي (٣٨٤-٤١٢)، أن يسمح له بيوم واحد للصلاة قبل أن يرسمه أسقفًا. في رواية سوزومين، صلى بالفعل - ولكن من أجل موته - "وهكذا مات نيلامون... بدلاً من قبول أسقفية اعتبرها، بتواضع غير عادي، أنه لا يستحقها".[٢] اتخذ آخرون أسلوبًا أقل

تشددًا، ولكنه فعال تمامًا: لقد اختبأ الأنبا باخوميوس ببساطة من البابا أثناسيوس.[٣] لا تزال آثار هذا الرد غير المألوف على الدعوة موجودة في طقوس الرسامة البطريركية القبطية: يدخل الراهب المراد رسامته الكاتدرائية مقيَّدًا بسلاسل حديدية، ويرافقه الأساقفة ممسكين بذراعيه.

في هذا السياق، كان رد فعل أبونا مينا لطيفًا ومتواضعًا مقارنة بالآخرين. على حد تعبير كلوديا راب، فإنه يعطي إحساسًا بـ "التأثير العكسي"؛[٤] أي أن رفض الرسامة من منطلق التواضع أثبت في الوقت نفسه وْصدَّق على استحقاقه لرتبة الأسقفية.

يتذكر أبونا مينا رحيله غير المتوقع،

> يومًا ما، قررت ترك المدرسة [مدرسة حلوان اللاهوتية للرهبان] والسير في طريق الوحدة. سمعت عن دير الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. لذا... ذهبت إلى سوهاج وإلى الدير الذي يبعد مسافة قصيرة عن البلدة.[٥]

والجدير بالذكر أنه لم يذكر حتى التفاصيل الصغيرة لسيامته التي كانت على وشك الحدوث. ولكن هل كان هذا الإغفال بدافع التواضع فقط؟ أم أنه ربما لم يكن ينظر إلى عمله على أنه هروب، بل على أنه فرصة قدَّمها الله لتنفيذ ما كان يرغب فيه دائمًا؟ مهما كان الوضع، فقد تسبب اختفاؤه المفاجئ في حدوث عاصفة شديدة. اتصل عدد من المسؤولين في الكلية اللاهوتية بأخيه حنا - الذي "فوجئ بشدة" - وطلبوا منه البحث عن أبونا مينا "حتى لا يتضايق البابا".[٦] يتذكر حنا كيف كان يتوسل بدموع إلى أبونا كيرلس (صديق أبونا مينا) الذي كان متحفظًا لا يريد الكلام لكي يخبره عما فعله أخيه. أخيرًا، بعد أن عانى أبونا كيرلس من توسلات حنا المستمرة، اعترف: لقد هرب أبونا مينا إلى سوهاج.[٧]

بعد جهد كبير قام به تاجر مسيحي في سوهاج، تمكن حنا في النهاية من التواصل مع شقيقه، الذي كان حسب كلامه قد استقر بشكل جيد هناك.[٨] لكن حلم أبونا مينا لم يدم طويلاً. ويروي في جزء من سيرته الذاتية: "كان المكان مناسبًا حقًّا لما

كنت أرغب فيه، لكن البابا [يؤانس التاسع عشر] غضب بشدة ورفض السماح لي بالسكن هناك. أرسل لي برقية لمقابلته. أطعته وذهبت إليه وكان غاضبًا".[٩]

على الرغم من أنه أغفل عمدًا أن يذكر أنه هرب من الرسامة، إلا أن أبونا مينا يسجل بالتأكيد رد الفعل الغاضب من البطريرك. وبخجل، أوضح أبونا مينا للبابا يؤانس أنه لا يهتم كثيرًا بالأسقفية.

في الواقع لم تكن هذه هي المشكلة، لقد كان يشتاق بكل كيانه إلى الوحدة. وشعر أنه لا خيار أمامه سوى الهروب. لقد شعر أن حياته كلها، حتى عندما كان شابًّا كانت متجهة بشكل لا يمكن مقاومته إلى الوحدة؛ لقد كانت الشيء الوحيد الذي كان يرغب فيه. كانت الحياة الأسرية، والكلية اللاهوتية، وحتى الدير، بكلمة واحدة، عوامل تشتيت. يكتب أبونا مينا: "كنت أشتاق إلى طريق الوحدة". إنه الطريق الذي سلكه كثير جدًّا من الآباء، وخاصة مار إسحق السرياني الذي ينصح كل الرهبان قائلاً "إن الراهب الذي ترك العالم ودخل الدير يجب ألا يبقى في المجمع لمدة طويلة".[١٠] يظهر أبونا مينا مرارًا وتكرارًا انغماسه في فكر القديس مار إسحق وتجسيده له في التعليقات الجذابة التي يقولها. كتب أبونا رافائيل أن "الرهبنة لم تشبع عطشه تمامًا".[١١]

تلاشى غضب البابا عندما تحدث الراهب الشاب عن رغبته في أن يكون وحيدًا ومختفيًا في الله.[١٢] يقول أبونا مينا،

> لقد أُتيح لي خياران؛ كنت إما أن أستمر في المدرسة اللاهوتية أو أعود إلى ديري الأصلي. طلبت العودة إلى ديري ونلت مباركته. لكنني ظللت أشتاق إلى حياة الوحدة، حتى لم أجد طريقة أخرى سوى السعي وراءها... في الواقع، في طريقي إلى الدير، وجهني الرب يسوع المسيح إلى مغارة في الجبل...[١٣]

سُمح للأب مينا، بحسب رواية حنا، بالعودة إلى ديره الأصلي "للراحة" قبل أن يأخذ إرشاد أبيه الروحي؛ أبونا عبد المسيح المسعودي.[١٤] ليس لدينا ما يشير إلى المدة التي قضاها بالضبط في سوهاج (قد نفترض بضعة أشهر)، لكننا نعلم أنه عاد إلى دير

البرموس قبل عيد ميلاده الحادي والثلاثين في أغسطس ١٩٣٣.[١٥] على الرغم من أن أجزاء السيرة الذاتية (الأقل ضمنيًّا) ورواية أخيه (بشكل أكثر صراحة) تشير إلى أنه غادر على الفور تقريبًا إلى الوحدة بمجرد عودته إلى دير البرموس، وهي رسالة كتبها أبونا مينا في ديسمبر ١٩٣٣ تشير إلى أنه هذا كان بعد عدة أشهر على الأقل.[١٦] يمكن تفسير الفاصل الزمني إلى حد ما ببساطة: تم إحباط عزلته - وفي مرحلة ما تقريبًا بالقوة.

عند عودته من سوهاج، مدفوعًا باكتشاف (أو ربما عن طريق الإرشاد الإلهي) مغارة مناسبة بالقرب من دير البرموس، أعلن أبونا مينا على الفور عن رغبته في الوحدة. تم عقد مجمع من الرهبان، وكان القمص باسيليوس (المشرف) حاضرًا مع القمص شنودة والقمص باخوم والقمص غريغوريوس والقمص لوقا.[١٧] وكانوا، لسوء حظه، غير موافقين على رغبته. كان القمص عبد المسيح المسعودي حاضرا أيضًا، لكنه ظل صامتًا.

لحسن الحظ دوَّن حنا الحوار بأكمله، وبقدر معقول من المصداقية، عند مطالعة خطاب شديد اللهجة كتب في تلك الفترة، يكشف أنه عارض أيضًا فكرة الوحدة.[١٨]

قال الرهبان:

> إنك في الثلاثين من عمرك فقط، لم تقض في الرهبنة سوى خمس سنوات فقط. هل تريد أن تعيش حياة الوحدة التي فشل فيها رهبان لهم خبرة ثلاثين أو أربعين عامًا؟ أم أنك ترغب في الهروب من المسؤولية، سواء في الكلية [كلية اللاهوت] أو في الدير؟ كما أن هناك خطرًا جسديًّا يتمثل في العيش بمفردك في مغارة في الصحراء... هذا هو السبب في أننا لا نوافق على الإطلاق..."[١٩]

تحمل أبونا مينا مقاومتهم بصبر، وأجاب بهدوء:

> آبائي وإخوتي، إني أقدِّر حبكم واهتمامكم بي. أناشدكم كابن مطيع يطلب رأي آبائه الذين أمضوا سنوات عديدة في عبادة الله، فأنتم تعرفون أسرار حياة الوحدة أكثر مني. ويقيني أن الرب يسوع يهيئ لي المسير في هذا الطريق الضيق

> الذي سأقطعه... سأكون الابن الخاضع ولن أسير بأي شكل من الأشكال دون إرشاد أبي الروحي.[٢٠]

ولفت انتباههم عمدًا إلى أبيه الروحي وفقًا لتوجيهات البطريرك. اتجهت الأنظار باهتمام إلى أبونا عبد المسيح المسعودي الذي قال إن الخطر المحتمل ليس عقبة لمن يضع توكله على الله، مضيفًا: "أرى بعين صافية أن أبونا مينا سينجح، حيث تم اختياره من رحم أمه لهذه النعمة. لا تقفوا في طريقه".[٢١] فأجاب راهب آخر من مجمع الرهبان قائلاً:

> يا أبي، هل فكرت يومًا في حياة الوحدة؟ هل فكر كبار السن [الآخرون] في السير في هذا الطريق؟ يُرجى نصح هذا الراهب الشاب بالعودة إلى كلية اللاهوت للحصول على شهادته، ثم العودة لخدمة الدير حتى يشاء الله ويعطيه رتبة حسنة كمن سبقوه من الآباء.[٢٢]

وبخه المسعودي بلطف: "لا تدع شفقتك أو حبك أن يمنعا نعمة الله من أن تسكن فيه". رد الراهب بصوت أكثر حدة "هل فكرت يوما أن تسير في طريق الوحدة؟"، "كيف يمكنك أن تدفع شخصًا آخر ليسلك هذا الطريق؟" وإدراكًا منه أن القليل قد تم تحقيقه الآن (ولا شك أنه كان يرغب في تجنب مواجهة لا لزوم لها)، أذعن أبونا المسعودي بتواضع للمجمع الرهباني، مؤكدًا أنه وأبونا مينا سيلتزمان بقرارهما. وكما يروى ساد الصمت لبعض الوقت. وبعد المناقشات اللازمة، أعلن المجمع بشكل مفاجئ أن أبونا مينا يمكن أن يدخل الوحدة تحت التوجيه الروحي للأب عبدالمسيح المسعودي.[٢٣]

ومع ذلك، هناك سبب وجيه في ألَّا نثق أن الجدل غير العادي انتهى بسرعة وبلا ألم. أول علامة على ذلك هو أن راهبًا آخر، هو أبونا عبد المسيح الحبشي (الإثيوبي)، بعد سنوات قليلة فقط، تم رفض رغبته في الوحدة بالقوة وتم وضعه قيد الإقامة الجبرية فعليًّا.[٢٤] هذا ليس بالأمر غير العادي، لا سيما بالنظر إلى أن الوحدة في ذلك الوقت كانت نادرة جدًّا. السبب الثاني للشك في القرار الفوري هو أنه كان على ما

يبدو قرارًا غير منظم وغير مضمون: عندما دخل أبونا مينا في النهاية في الوحدة، لم يمر يوم واحد قبل أن ينزل الرهبان إلى المغارة في محاولة لإعادته إلى الدير.[٢٥] والسبب الثالث، غير المعروف لجميع الباحثين، هو أنه في شهر ديسمبر (وبالتالي بعد أربعة أشهر على الأقل من اجتماع المجمع الرهباني)، كتب أبونا مينا رسالة مثيرة للاهتمام، وكان رثاؤه الوحيد أنه لم يكن في وحدة حتى الآن!

كُتبت الرسالة المعنية إلى أخيه في ٣ ديسمبر ١٩٣٣.[٢٦] وهي عبارة عن رد شديد اللهجة إلى حد ما على توبيخ حاد واضح من حنا. كما أنه يعطي إحساسًا بحجم الجدل الذي غالبًا ما يتم تجاهله حول اتجاه أبونا مينا إلى الوحدة. علاوة على ذلك، تقدم الرسالة أيضًا تصحيحًا زمنيًّا مهمًّا لجميع مصادر السيرة الذاتية في تأريخ رحيله الفعلي إلى الصحراء.[٢٧]

تهم حنا عليه قائلاً: "هل تريد الجلوس بمفردك في مغارة بحثًا عن الشهرة، ومدح الناس، والاحترام الكبير؟" فرد أبونا مينا وهو مصدوم قائلاً:

> ماذا تقول؟ إذا كنت أبحث عن المجد، كنت سأستمر في مدرسة الرهبان اللاهوتية لاكتساب شهرة في المعرفة والدراسات، والتي كانت سيتبعها بمرور الوقت رتب أعلى. أنت قلت "أنت مليء بالحسد ولا تتحمل رؤية الآخرين في مرتبة أعلى منك!" إنه من الأفضل والأحسن أن يهرب الإنسان بعيدًا حتى لا يحسد أخاه. سألت: "هل هذه طريقة للهروب من العمل في الدير؟" أنت على حق، أريد أن آكل خبز الكسل! لقد قلت تعليقات أخرى لا يمكنني تكرارها. وفي الختام تقول إن الحزن والضيق لا سمح الله عاد إليك! لماذا؟ من تعتقد أنني أفضل منه؟ هل أنا أفضل من أبناء الملوك الساكنين في المغاير، أو من الآباء الأوائل الذين لست مستحقًّا حتى تراب أقدامهم؟ بالتأكيد لا! أنا أقل من أقل راهب، أحقر راهب في جميع الأديرة، واسمح لي أن أقول، إنني لست مستحقًّا حتى أن أُقارن بالحمار غير المروض.[٢٨]

إن رده هذا كان على اتهامات يُفترض أنها تمثل "أخف" التعليقات التي وجهت إليه. بعض هذه الاتهامات لم يستطع أبونا مينا حتى أن يذكرها. كان الاتهام ثلاثيًّا: الرغبة في الوحدة هي حيلة لتقلد مرتبة أعلى؛ أي الأسقفية، وبدافع الحسد (في تلميح إلى انه قد تم رسامة شخص آخر مؤخرًا)، وأخيرًا، هي هروب من الواجب الرهباني المطلوب.

لكن أبونا مينا كان حازمًا. لو كان قد سعى للحصول على رتب كنسية، لكان قد بقي في الكلية اللاهوتية التي بطبيعتها تُعِد للأسقفية، على العكس من ذلك الوحدة هي هروب من الحسد. وفيما يتعلق بالكسل، فهو يرفض هذا الاتهام باستخفاف.

يستفسر أبونا مينا قائلاً:

> هل تعرف لماذا أريد أن أعيش في مغارة؟ لا تعرف. أنت تحكم حسب المظاهر، فمن يعرف فكر الإنسان إلا الروح الذي يسكن بداخله؟ هل تعتقد حقًّا أنني أريد أن أعيش في مغارة لأنني أفضل أو أقدس من غيري؟ لا، لقد رغبت في هذا الطريق، لأن الراهب الذي يجد نفسه في مواجهة صراع وحروب، يجب أن ينعم بالهدوء في مغارته للتغلب على أفكاره الشريرة. إذا جربت الحروب التي تقابلني، فإنك ستوافق على ما قاله هذا الأب عن تجاربه الخاصة.[٢٩]

هنا يعطي حنا (ونحن أيضًا) نظرة ثاقبة سريعة وعابرة إلى رغبته في الوحدة. إنه لا يسعى إلى الوحدة من منطلق القوة الروحية، بل من منطلق الضعف. إنه شيء مخالف للحدس، وأيضا هو معضلة اختبارية ورهبانية عسيرة الفهم، ولن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يدون فيها ذلك.[٣٠]

يؤكد له أبونا مينا مرة أخرى:

> هل تعرف منذ متى وأنا أفكر في هذه الفكرة؟ منذ ثلاثة أعوام، ربما لن تصدق ذلك، لكن ما أقوله لك هو الحقيقة. كلما فكرت في الأمر، خفق قلبي، وارتجف جسدي كله من الخوف. طاردتني هذه الأفكار مرارًا وتكرارًا، وتركتني في كآبة ويأس لا يصدقان لأنني كنت أفتقر إلى الشجاعة لاتخاذ مثل هذه الخطوة. هل

> تعرف سبب إقامتي القداس الإلهي مرات كثيرة جدًّا؟ كنت أتوسل إلى الله ليل نهار أن يرشدني في هذا الطريق حسب إرادته. هل تعلم لماذا سافرت إلى سوهاج؟ كانت هذه الفكرة، العيش في مغارة وليس في الدير. هل تعلم لماذا تركت المدرسة [مدرسة الرهبان اللاهوتية في حلوان] بعد أن أعطاني البابا خيارين؟ كان للسبب نفسه. أردت أن أعيش في وحدة في المغارة. أقول هذه المعلومات لك حتى لا تشعر بالانزعاج مرة أخرى فيما يتعلق بهذا الأمر.[٣١]

هو يوضح من دون أي شك أن هذا لم يكن قرارًا متسرعًا؛ لقد شغله لمدة ثلاث سنوات على الأقل وتسبب له في خوف وألم لا يوصفان. كانت الوحدة هي السبب الوحيد لوجوده وسلوكه خلال السنوات الثلاث الماضية. لم يشرح فقط وحدته في قلايته وهروبه من الأسقفية والكلية اللاهوتية، ولكن هذه الفكرة أجبرته بشكل لا يوصف على إقامة القداس يوميًّا. هناك فقط يمكنه أن يحقق غايته في أن يكون وحيدًا مع الله.

ويخلص إلى أنه:

> على أي حال، ولأجلك، سأستمر في العيش في الدير، وأتوسل إلى الرب يسوع المسيح أن ينظر إلى برحمته ويهيئ الطريق لي. سأستمر في الكشف عن أفكاري للآباء المخلصين وأطلب نصيحتهم؛ سأدرس آباء الرهبنة وقديسيها. سأقيم القداسات. كل ذلك على أمل أنه إذا كان هذا من عند الله، فليستمر. وإلا إذا كان من العدو فلينتهِ.[٣٢]

لكن على الرغم من أنه لم يكن قد ذهب إلى الوحدة بعد، يبدو أنه استطاع أن يشعر بها فورًا. "لذا كن مرتاحًا، لا تفكر كثيرًا"، وبهدوء يحاول طمأنته. "اترك الأمر بيد الله، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعطل إرادة الله".[٣٣]

الوحدة الأولى في المغارة: "رأيت النور" (١٩٣٤-١٩٣٦)

كل من يسعد بالوحدة هو إما وحش بري أو إله

أرسطو

في صباح يوم مصيري في رأس السنة عام ١٩٣٤ وبعد عدة أشهر مؤلمة من النقاش غير المجدي (والذي يُعبر عليه بهدوء في أجزاء من سيرته الذاتية)، غادر أبونا مينا أخيرًا الدير متجهًا إلى الوحدة.[٣٤] واستجاب مجمع الرهبان لطلبه. ودعه الآباء وبعضهم بالدموع كما قد نتخيل. وعد أبونا مينا وفقًا لتعليمات المسعودي بالعودة كل أسبوع لحضور قداس الأحد الجماعي.[٣٥] كما أكد عليهم أبونا مينا ألَّا يزوره أحد، وألَّا يقلقوا عليه. واختفى أبونا مينا في أفق الصحراء اللامتناهي ومعه عامل واحد، وقليل من الضروريات، وبعض الأشياء الضئيلة التي بحوزته، وبعض الفاصوليا، وقليل من الدقيق، متجهًا إلى مغارة بدائية. يقول شقيقه حنا: "لم يأخذ خبزًا حتى لا يأكل أكثر من طعامه اليومي".[٣٦]

كان أبونا مينا قد اكتشف المغارة في منتصف عام ١٩٣٣، أو على حد قوله بإرشاد إلهي وهو في طريق عودته من سوهاج إلى دير البرموس. كتب:

> ظللت أشتاق لحياة الوحدة، حتى لم أرَ سبيلاً آخر سوى السعي وراءها. في الواقع، في طريقي إلى الدير، وجهني الرب يسوع المسيح إلى مغارة في الجبل كان قد نحتها المتنيح القمص صرابامون.[٣٧]

كانت المغارة على بعد كيلومترين ونصف شمال غرب، على بعد حوالي ساعة سيرًا على الأقدام من الدير، وكان قد عاش فيها سابقًا القمص صرابامون (تنيح. ١٩٣٤).[٣٨] هرب القمص صرابامون في يوم خطوبته على فتاة في بلده عام ١٩٠٥، من مسقط رأسه بالمنوفية إلى دير البرموس.[٣٩] وبعد أن قامت عائلته بعدة محاولات لإخراجه بالقوة، هرب بعيدًا إلى الصحراء وسكن في مغارة عرفت منذ ذلك الحين باسم "صخرة

صرابامون".[٤٠] بعد عدة عقود تم تعيينه "رئيسًا" للدير من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٣٠، قبل أن يستقيل بسبب المرض وانتقل إلى شمال القاهرة، حيث توفي في ٧ ديسمبر ١٩٣٤.[٤١]

المغارة - التي سُكِنت آخر مرة في عام ١٩٢٥ - بقياس ستة في ثمانية أمتار، منحوتة بعمق ثلاثة أمتار في الصخر - كانت في حالة سيئة للغاية، ولذلك قام أبونا مينا، بمساعدة عامل، بطلاء الجدران والأرضيات بالجبس.[٤٢] وصنع بابًا من الخشب يرفع لأعلى قبل أن ينقل ممتلكاته الضئيلة وأواني الطبخ إلى "قلايته" الجديدة.[٤٣] عندما دخل واستقر في مغارة وبدأ وحدته تحت الأرض - الوحدة التي كان يحلم بها بشدة منذ اللحظة الأولى لدخول الدير - قام بخطوة يقول عنها باحث إنجليزي: "يمكن الآن رؤية هذه الخطوة، كجزء من نهضة كبيرة لحياة الوحدة النسكية في مصر".[٤٤] ولكن في ذهن أبونا مينا، كان الأمر ببساطة أنه أخيرًا أصبح وحيدًا مع الله.

نرى هنا لمحة نادرة ومثيرة عن الجهاد الروحي للأب مينا في بداية وحدته في جزء من سيرته الذاتية. يتذكر قائلاً:

> من الصعب بالنسبة لي أن أصف ليلتي الأولى في تلك المغارة، كنت أشعر أن العدو جمع قواته على أنا الضعيف. وأحدث مخاوف شديدة وأصواتًا مزعجة وزلزالاً مخيفة ليرعبني. كل ذلك طبعًا، الطبع البشرى ضعيف والخوف لابد منه. ولكن بعناية الله العجيبة، وكأنه بقوة خفية كانت تشجعني وتقول لي: "لا تخف منهم، لأن الذي معك أكثر من الذين عليك"... شجعتني مثل هذه الأعداد فذهب عنى الخوف.[٤٥]

ما اختبره أبونا مينا يتجاوز خبرتنا الروحية، ولكن، على الأقل، هذه الخبرة التي نقف أمامها مذهولين تكشف أعماق جهاده النسكي. كما أنها تعطينا إحساسًا واقعيًّا بسنوات تكوينه. كانت الوحدة بالنسبة له "حزنًا مشرقًا".[٤٦] كان يعيش كل يوم في شقاء وعذاب، ولكن كان أبونا مينا يقترب كل يوم من أحضان إلهه. وعلى الرغم من أن هذه الصراعات قد تواجهنا وتصدمنا، إلا أن هذه الصدمة لا ينبغي أن

تقودنا، كما يلاحظ المؤرخ بيتر براون، "إلى أن نهمل الأهمية الاجتماعية العميقة للنسك باعتباره طقسًا حافلاً طويل الأمد من الانفصال لتصبح غريبًا تمامًا".[٤٧] وكان هذا "الانفصال" - التخلي المطلق عن العالم، والتحول إلى شخص غريب غير معروف من أحد إلا الله - هو الذي أثار، على الأقل في مذكرات أبونا مينا، رد الفعل العنيف لـ "العدو".

حتى الحروب القديمة ثارت مرة أخرى. لم يمر يوم قبل أن يتراجع مجمع الرهبان عن قراره، فيكتب أبونا مينا:

> في اليوم التالي جاء بعض الرهبان، وأرادوا إعادتي رغمًا عن إرادتي، لكنهم فشلوا. لذلك، أرسلوا برقية إلى قداسة البابا وأخرى إلى رئيس الدير. لكن بعد معارضة ومقاومة لا نهاية لها من الجميع، وافق البطريرك على أنني أستطيع الاستمرار في حياة الوحدة. شكرت الرب على رحمته.[٤٨]

بعد هذا العائق المؤسف، استقر أبونا مينا أخيرًا في حياة الوحدة. مر الأسبوع في مطانيات وصلاة مستمرة ونسخ كتابات الآباء. وبحسب رواية أخيه، أصبح هذا روتينه اليومي "عشرين ساعة في اليوم".[٤٩] يبدو هذا للوهلة الأولى وكأنه مبالغة في وصف سير القديسين، ولكن ما نذكره هذا يعتمد على توثيقه هو بنفسه لممارساته اليومية الموثقة جيدًا والمسجلة بالإجماع كراهب وكبطريرك مسن.[٥٠] يتابع أبونا مينا:

> أصررت على هذا الطريق بنعمة الله، وأعود إلى الدير أسبوعيًّا للمشاركة في الأسرار الإلهية والحصول على حصتي الرهبانية. واجهت في هذا الطريق حروبًا شديدة ومعارضة واضطهادًا سأكتب عنها لاحقًا بالتفصيل.[٥١]

عاد إلى الدير في نهاية الأسبوع الأول لحضور صلاة الغروب مساء السبت. بعد ذلك التقى أبونا عبد المسيح المسعودي وصارحه بالأشياء الغريبة التي تحدث. صرخ من حوله الآباء الآخرون (العديد منهم من الذين عارضوه وحاولوا منعه من حياة الوحدة)، وقيل، إنهم استجوبوه حول "ما رآه" و"مقدار المعاناة" التي تعرض لها في الصحراء.[٥٢] وهذا يؤكد مرة أخرى أن الجدل حول وحدته كان بدافع القلق الحقيقي

على سلامته، وبالنظر إلى الليلة الأولى التي يحكى عنها أبونا مينا، يبدو أن قلقهم له ما يبرره تمامًا. لم يردع الرهبان صمته القوي، فضغطوا عليه أكثر. كان رده الوحيد شفافًا ومثيرًا للقلق تمامًا. أجاب بتواضع: "لا تقلقوا، لم أجاهد حتى الموت".[٥٣]

إن مشاهدة أبونا مينا وهو يدخل الصحراء مجددًا بعد قداس الأحد كان مشهدًا ملهمًا ومثيرا للتواضع تمامًا عند إخوانه. كان يرتدي عباءة خشنة، ويحمل الماء في ذراع، وعصا في الأخرى، وتلاشى في ضباب حرارة الصحراء القاسية. يتذكر شقيقه أن الآباء هدأوا مع مرور الأيام. في كل مرة كان أبونا مينا يعود، كان وجهه يشع بالراحة والرضا الهادئ، وسرعان ما أصبح مساء السبت حدثًا مميزا؛ كان الرهبان يجتمعون ليعزيهم الناسك.[٥٤]

لدينا سجل ضئيل جدًّا بخلاف هذه التفاصيل القليلة فيما يتعلق بسنوات الوحدة هذه (والتي قد تكون متوقعة نظرًا لطبيعة هذه الحياة). بقدر ما يمكننا أن نقول، ولأسباب غير معروفة، فإن السيرة الذاتية للأب مينا لم تكتمل أبدًا بعد هذه النقطة وتُركت من دون استكمالها في درج بمكتبه.[٥٥] ولكن هناك زيارتان خاصتان محفوظتان في مذكرات حنا. واحدة كما نرى، كانت بخصوص خطوات الشاب الناسك في المستقبل، والأخرى لا يوجد سبب واضح سوى أنها كانت ببساطة زيارة لا تنسى.

حدثت الأولى بعد بضعة أشهر، ربما في منتصف عام ١٩٣٤، عندما سمع أبونا مينا طرقًا على الباب المؤقت الذي يؤمن المغارة.[٥٦] كان يقف أمام الباب رجل بدوي واثنان من الزوار. أحدهما مصري؛ الدكتور حسن فؤاد، وزير الآثار العربية، والآخر رجل أميركي؛ عميد كلية لاهوتية في نيويورك لم يذكر اسمه.[٥٧] سلم أبونا مينا عليهم بحرارة واستقبلهم في قلايته. نزلوا بعناية إلى المغارة وجلسوا على بطانية موضوعة على الأرض. ترجم حسن عن الزائر الأمريكي أنه جاء لزيارة أديرة صحراء وادي النطرون بحثًا عن كتاب عن الرهبنة المبكرة.[٥٨] وقال إنهم جاءوا بشكل غير متوقع إلى هذا البدوي الذي قادهم إلى مغارة الناسك.

تحدث أبونا مينا معهم بسعادة عن تاريخ الرهبنة وآباء الصحراء الأوائل، كما قرأ لهم مقتطفات قليلة من العظات النسكية لمار إسحق السرياني. بعد أن قابل ناسكًا نادرًا ودارسًا جيدًّا بصورة غير عادية، دوَّن الأمريكي ملاحظات غزيرة قبل أن يقول بصراحة إن الشهرين السابقين الذين قضاهما في المكتبة البطريركية يعتبران لا شيء مقارنة بالساعات القليلة الماضية.[٥٩] وعندما كانوا يغادرون، حاول أن يعطى أبونا مينا بعض النقود كهدية رمزية. رفض الناسك رفضا قاطعًا. وسأل "لماذا أحتاج هذا المال؟ إن محبة المال أصل كل الشرور... وعقبة في طريق الوحدة".[٦٠] شكر أبونا مينا الزائر الأمريكي وأعاد الهدية على الفور. أما بالنسبة للصورة الخاصة بغلاف الكتاب، فقد رفض الناسك مرة أخرى بلطف. عانق حسن فؤاد الناسك مغلوبًا من إعجابه به وقال: "يا أبي، لقد توجت الرهبان بالفخر وكرمت المصريين"، قبل أن يضيف: "أتمنى أن أبرهن يومًا ما عن عمق احترامي وتقديري".[٦١] سيأتي ذلك اليوم في النهاية.

يسجل التاريخ زائرًا واحدًا فقط خلال هذه السنوات؛ البابا يؤانس التاسع عشر (١٨٥٨-١٩٤٢)، سعى البابا بحسب الرواية الموجزة للغاية، إلى زيارة أبونا مينا في وحدته وأخذ "بركة المغارة التي أصبحت مكانا مقدسًا من خلال الجهاد الروحي لهذا الناسك".[٦٢] عند سماع أن البطريرك المسن كان في طريقه ماشيًّا، هرع أبونا مينا للقائه ومرافقته في باقي الطريق إلى المغارة. بعد أن رأى البابا يؤانس أسلوب حياته وشارك معه الأكل بارك البابا الشاب الناسك، وقام برحلة العودة الصعبة إلى الدير.

من الواضح أن الرواية مهمة لأن البطريرك (كان في الثمانين من عمره) سار لمدة ساعة في حرارة الصحراء التي لا تطاق ليأخذ "بركة" راهب غير معروف نسبيًّا وغير مهم. وعلى الرغم من أنه من الواضح أنه حدث لا يُنسى في حياة دير البرموس، إلا أنه كان يحمل دلالة كبيرة؛ نرى مرارًا وتكرارًا، قلق البابا الغريب والمتزايد على الراهب الشاب. هل كان البابا يؤانس يدقق في الراهب الشاب العنيد الذي هرب من براثن الأسقفية أثناء وجوده في كلية حلوان اللاهوتية؟ أم أنه ربما كان يبحث عن تطمينات

بشأن قراره السماح للأب مينا بالبقاء في الوحدة؟ ربما، كما جاء في الرواية، جاء البطريرك ببساطة ليتبارك منه.

في عام ١٩٣٦، قرب نهاية وحدته في دير البرموس، شهد أبونا مينا ظهورًا غير مسبوق من شأنه أن يغيِّر مسار حياته بشكل جذري. بعد سنوات من الجهاد النسكي الحاد جسديًّا وعقليًّا وروحيًّا الذي لا يوصف في الصحراء - تغيَّر شيء بشكل غير متوقع. كشف هو عن اللحظة الحاسمة والمفاجئة بهدوء في رسالة كتبها إلى شقيقه والتي توفر نظرة ثاقبة لا تقدر بثمن إلى حياته في الوحدة.[٦٣]

يبدأ أبونا مينا قائلاً:

> أخي العزيز، كما وعدت، سأكتب إليكم بخصوص طريق الوحدة الذي سلكته بنعمة الله. قبل أن أبدأ، أعترف سرًّا وعلانية، أن كل هذا نتيجة لمباركة آبائي وإخوتي في الدير. لأني، في الواقع، أصغرهم جميعًا. أقول هذا من قلبي وليس من منطلق التواضع الزائف. لا، هذه هي الحقيقة الصادقة. أنا أعيش في هذا الطريق لأنني كلب بري، ولكيلا أعض أحدًا، هربت إلى الوحدة.[٦٤]

بتواضع، ينسب تقدمه في طريق الوحدة إلى بركة إخوته ويذكر مرة أخرى الأساس المنطقي المتناقض لوحدته: لقد هرب إلى الوحدة ليس بسبب القوة، بل بسبب الضعف شاعرًا في نفسه أنه "كلب بري" خطر.[٦٥]

يتابع:

> أنت تعلم أنه لا يوجد شيء يحدث في العالم دون مشيئة الله وخطته. يعلم الله أن اشتياقي إلى هذا الطريق لم يأت من معرفة أو خبرة بهذا الطريق، لأني بالتأكيد لم أكن أعرفه. في الواقع، أعطانا الآباء القديسون بعض العلامات، وأولئكَ الذين يسعون إلى حياة الوحدة يجب أن يتوسلوا إلى الله بجدية لإعداد شخص ما لإرشادهم في هذا الطريق. قبل ثلاث سنوات، توسلت إلي الله أن يرشدني في هذا الطريق، لكن بسبب نقص المعرفة، أضعت الطريق. لقد تعرضت للهجوم من قبل العدو بشكل متكرر. في محنة ويأس غمرني الاكتئاب وفقدت الأمل. أصبح

جسدي ضعيفًا وهزيلاً نتيجة الأفكار المخيفة التي هاجمتني خلال هذه الفترة الطويلة.[٦٦]

كان لسنوات الجهاد النسكي أثرها. إنه يرسم صورة شديدة التباين لمدينة فاضلة وكأنها الفردوس في الصحراء حيث التسبحة والعبادة الهادئة التي قد نتخيلها. كان أبونا مينا يشعر أنه تائه ويشعر بالكآبة واليأس وبالإرهاق العقلي والجسدي. بخلاف ما كتبه من خلال السيرة الذاتية لأول ليلة له في الوحدة، ليس لدينا أي فكرة عن الطبيعة الدقيقة لهذه الآلام - هذا وبصرف النظر عن خطورتها. يتذكر قائلاً:

لكن، إن الله الرحيم، الذي لا يريد أن يجرب أحد بمثل هذه الضيقات، ساعدني بيده القوية، وأرشدني إلى الطريق وفتح الباب أمامي. وتنهدت تنهدًا عميقًا مستريحًا بعد المعاناة التي حلت بي بسبب العدو. أضاء عيني ورأيت النور، وأدركت عمق الظلام واليأس الذي كنت فيه. تهلل قلبي وابتهجت روحي. ظللت أردد مع داود النبي: "إذا قلت: 'زلت قدمي'، رحمتك يا رب تعضدني. عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تلذذ نفسي".[٦٧]

على الرغم من أن هذا التاريخ غير دقيق، فإن ما يقال هو أنه بعد ثلاث سنوات (١٩٣٤-١٩٣٦) من المعاناة، "أضاء "الله عينيه ورأى النور". ولكن ماذا كان يقصد بمثل هذه الكلمات؟ هل كان أبونا مينا يصف فقط ارتياحه من حرب الشياطين؟ هل اختبر رؤية الله؟ أم أنه كان نور الاتحاد بالله "النور غير المخلوق" الذي غالبًا ما يوصف في التقليد الأرثوذكسي؟

إذا قرأنا الرسالة في السياق الأوسع للخبرة الرهبانية، والوحدة على وجه الخصوص، فإن العديد من الآباء يصفون فترة من الجهاد الشديد أو "التنقية" يعقبها حالة من الثيؤريا، أو "الاستنارة"، وتبلغ ذروتها في "الكمال".[٦٨] هذه المراحل الثلاث موثقة جيدًا في الأدب الرهباني والآبائي، وتعتبر مشابهة جدًّا لحياة مارمينا المحبوب جدًّا إليه. اختبر القديس مارمينا بعد سنوات من الجهاد النسكي في الصحراء، رؤية

مشابهة لهذه تمامًا: "لقد عاش هناك لعدة أيام في حرمان شديد... وبعد وقت أضاءت عليه نعمة الله فرأى السماء مفتوحة".[٦٩]

بالطبع؛ ليس من الحكمة أن نختصر الأمر في أن أبونا مينا قد وصل إلى حالة من "الاستنارة" (بالمعنى الآبائي) استنادًا على جملة واحدة كتبها في رسالة غير رسمية. لكن إذا تعاملنا معها من خلال سياقها، لم تكن هذه الكلمات، على الأقل، مجرد تعبير عن الارتياح. مهما كانت النتيجة التي سنصل إليها فيما يتعلق بالطبيعة الدقيقة للحدث؛ نجد أنه بعد سنوات من الحرب الروحية الحادة والمرعبة، وصف أبونا مينا أنه قد اختبر فعلاً مفاجئًا من الرحمة اللامتناهية والراحة والفرح الداخلي. كان تدخلاً مباشرًا وحيًّا وقويًّا من الله لمعونته في جهاده النسكي ومعاناته من التجارب الشيطانية. بعد معاناته الشديدة واضطرابه الداخلي في التجارب السابقة، أثرت "نقطة التحول" المفاجئة هذه بشكل أساسي في كل نواحي حياته وحولته.[٧٠] وعلى الرغم من أن الرؤيا كانت وقتية، إلا أن التحول والاستنارة، بقدر ما يمكن للمرء أن يقول، كانا دائمين.[٧١] انفتحت عينا أبونا مينا - "رأيت النور" - ومن تلك اللحظة الفريدة والمحيرة التي لا تُنسى، سيتغير كل شيء.[٧٢]

مار إسحق السرياني: التلمذة الآبائية والتغيير المطلوب

قال راهب ذات مرة: "انتظر يا أبي، أنا أركض وراءك من أجل الله".
فأجاب الآخر: "وأنا من أجل الله أهرب منك"
القديس أرسانيوس الكبير

في رسالة غير مؤرخة، كتبها أبونا مينا إلى تلاميذه، على الأرجح بعد عقد من خبرته الخاصة في الوحدة، يوجههم بشأن المتطلبات الأساسية الثلاثة لحياة الوحدة.[٧٣] الأولى هي "نية بلا لوم": لا يجب أن يكون هناك أي رغبة في المواهب الروحية أو المدح أو الرتب الكنسية أو حتى الفضيلة؛ الدافع الوحيد المقبول للوحدة هو "سكون القلب". الشرط الثاني، كما يتابع أبونا مينا، هو المواظبة على "الصلوات الكنسية"، والشرط الثالث، "المرشد الروحي". يضيف أبونا مينا أن الصلاة قد تكون قليلة بسبب الضعف، وقد يتعذر الوصول إلى المرشد (أو يكون غير موجود) بسبب الظروف. لكن الشرط الأول لا غنى عنه على الإطلاق.[٧٤] لا يمكن أن يكون هناك بديل ع "النية بلا لوم"، في فكر أبونا مينا وخبرته، فالوحدة القائمة على أي شيء آخر هي في أحسن الأحوال وهم، وفي أسوأ الأحوال شيطانية.

يبدو أن هذه النصيحة بنيت على أساس منهجه في الوحدة. ومن المؤكد أن الرسائل التي تمت مناقشتها سابقًا والمكتوبة إلى أخيه توحي بنقاء نيته وحياة الصلاة التي كان يعيشها. ولكن من كان مرشده في الوحدة في الصحراء؟ أو ربما كانت النصيحة مبنية على خبرته، لم نعثر على دليل؟

كتب عالم قبطي شهير ورائد في عام ١٩٦١: "في الصحراء، على بعد أميال من الحضارة، التقى قديس الصحراء [أبونا مينا] بنبي الصحراء؛ أبونا عبد المسيح الإثيوبي [الحبشي]".[٧٥] قدم المؤلف أوتو ميناردس، وهو عالم غزير الإنتاج، هذا الادعاء على خلفية دراسته الرائدة عن الرهبنة المصرية، والتي قدم فيها دراسة حقيقية مؤكدة: كان أبونا عبد المسيح الحبشي نفسه هو مصدر إلهام لحياة الوحدة التي اختارها أبونا

مينا وكان تأثيره عميقًا.[٧٦] وكرر إدوارد واكين بعد سنوات قليلة (نتيجة لذلك على ما يبدو) الادعاء الذي يشير إلى أن الحبشي هو "الأب الروحي" للأب مينا.[٧٧] ومنذ ذلك الحين، تبعه العلماء الغربيون في ذلك الرأي - بشكل مذهل ومن دون استثناء.[٧٨] وباختصار، أصبح رأيًا معتمدًا تاريخيًّا أن أبونا عبد المسيح الحبشي هو أبوه الروحي.

من المؤكد أن هذا ادعاء لطيف من جهة سير القديسين حيث تم تصوير اثنين من القديسين المشهورين في الصحراء على أنهما شريكان في إحياء الرهبنة التوحدية، لكنه، للأسف، يثير مشكلة عميقة أيضًا. قبل كل شيء، لا يوجد مصدر أساسي واحد موجود (مثل جزء أو خطاب من السيرة الذاتية) يذكر أبونا عبد المسيح الحبشي. في مقابلة لاحقة سنة ١٩٥٩، استشهد أبونا مينا بأبونا عبد المسيح المسعودي باعتباره أكثر شخص له تأثير على حياته الرهبانية، ومرة أخرى دون الإشارة إلى أبونا عبد المسيح الحبشي.[٧٩] علاوة على ذلك، لا توجد حتى إشارة خافتة للأب عبد المسيح الحبشي في أي من المصادر الثانوية الأصلية التي كتبت باللغة العربية (حنا يوسف عطا أو أبونا رافائيل آفامينا). وغياب ذكر هذا التأثير يوحي بخطأ علمي غير مقصود.

هذا الالتباس، لكي نكون منصفين، ليس مفاجئًا، لأن أبونا عبد المسيح الحبشي (١٨٩٨-١٩٧٣)، المعروف أيضًا باسم "الإثيوبي"، هو شخصية قديس غامض. وُلِد في إثيوبيا، حيث أطلق عليه اسم أبا جبرا كريستوس ("خادم المسيح"). تبدأ الدراسة العلمية الغربية الوحيدة عن حياته باعتراف مثير: "للأسف، العديد من المصادر الرائعة لحياة أبونا عبد المسيح المبكرة... متناقضة... ولم يتم اكتشاف مصادر أولية محددة في بداية القرن الحادي والعشرين".[٨٠] مع ذلك، يشير واتسون - الذي يتبع ميناردس في ادعائه أن أبونا عبد المسيح الحبشي هو الأب الروحي للأب مينا - إلى أن الحبشي عاش من حوالي "١٩٣٥-١٩٣٧" إلى "١٩٧٠-١٩٧٤" كمتوحد منفرد في دير البرموس في مصر.[٨١] الغريب، على الرغم من أنه يذكر أن أقدم تاريخ لتوحده هو سنة ١٩٣٥ (بعد عام على الأقل من دخول أبونا مينا إلى الوحدة)، لا يزال واتسون يدعي دون تحري الدقة بأن أبونا عبد المسيح الحبشي كان الأب الروحي للأب مينا المتوحد.

وفقًا لسيرة حياة أبونا عبد المسيح الحبشي التي نشرها دير البرموس عام ١٩٩٦، يقترح الأنبا مكاريوس تسلسلاً زمنيًا أكثر موثوقية استنادًا إلى سجلات الدير:[٨٢] غادر أبونا عبد المسيح الحبشي إثيوبيا في ٧ يناير ١٩٣٤ بعد أن عاش عدة سنوات كناسك، وسار لمدة ثلاثة أشهر إلى السودان، وعبر الحدود إلى مصر، ووصل إلى الدير في ٣٠ مارس ١٩٣٤.[٨٣] إن القول بأن أبونا عبد المسيح الحبشي هو الأب الروحي للأب مينا يتطلب أن يكون أبونا عبد المسيح الحبشي قد دخل إلى الوحدة على الفور. على الرغم من أن أبونا مينا كان قد عاش متوحدًا في الصحراء قبل بضعة أشهر على الأقل.

لكن حتى هذا يجعل هذه الفترة الزمنية أكبر كثيرًا. تشير سجلات الدير إلى أن أبونا عبد المسيح الحبشي حاول لأول مرة الدخول إلى الوحدة بعد أن علم أن أبونا مينا قد تخلى عن مغارته في الصحراء في ٤ أبريل ١٩٣٦. أي أن أبونا مينا قد غادر الدير قبل أن يفكر أبونا عبد المسيح الحبشي في الوحدة! في تلك المرحلة فقط سعى أبونا عبد المسيح الحبشي إلى السكن في المغارة غير المأهولة الآن.

يلاحظ الأنبا مكاريوس في كتابه أن "أبونا باسيليوس رفض اقتراحه تمامًا، ولم يسمح حتى بمزيد من النقاش حول هذا الموضوع".[٨٤] ويحفظ التاريخ أن أبونا عبد المسيح الحبشي لم يذعن لهذا القرار وحاول الهروب إلى الوحدة في ثلاث مناسبات على الأقل، حتى أنه حاول مرة واحدة تسلق جدران الدير الشاهقة والنزول منها بواسطة الحبال.[٨٥] على ما يبدو - كما كان الحال مع خبرة أبونا مينا - يخشى الشيوخ الوحدة.[٨٦] وبعد محاولته الثالثة للهروب تدخل البطريرك بنفسه وترك أبونا عبد المسيح الحبشي ليتصرف بمفرده.[٨٧] والأمر المهم أن السجلات تكشف أنه دخل الوحدة لأول مرة في يونيو ١٩٣٦ - بعد شهرين من مغادرة أبونا مينا الدير.[٨٨] وبعد بضعة أشهر من سكنه مغارة أبونا مينا، حفر أبونا عبد المسيح الحبشي مغارته الخاصة به على بعد ثلاثة كيلومترات من الدير.[٨٩] وأصبحت هذه المغارة قلايته لمدة ثلاثين سنة بعد ذلك.

مع ذلك يجب أن نعترف بسعادة، أن هناك بعض الأدلة على أن الراهبين تعارفا لفترة قصيرة. دخل أبونا مينا الوحدة في أوائل عام ١٩٣٤ على أبعد تقدير، ووصل أبونا

عبد المسيح الحبشي إلى الدير في نهاية مارس سنة ١٩٣٤. لذلك من المعقول أن نستنتج أنهما قد التقيا من حين لآخر، حيث كان أبونا مينا يعود إلى الدير كل أسبوع من أجل حضور القداس والتناول من الأسرار المقدسة. وبعد عقود، خاف أبونا مينا (البطريرك آنذاك) من غضب أبونا عبد المسيح الحبشي، الذي "أراد توبيخ البابا بمرارة لتركه حياة الوحدة".[٩٠] وفي مناسبة أخرى، بعد أن سمع أبونا مينا (البابا كيرلس السادس حينئذ) شكوى أبونا عبد المسيح الحبشي من كثرة الزائرين الذين يقطعون صمته، منع الزوار من الاقتراب من المتوحد، قائلاً: "اتركوه حتى يرفع الله غضبه عن العالم من أجله".[٩١] ومن الواضح أيضًا أن أبونا مينا وأبونا عبد المسيح الحبشي يشتركان في إعجابهما بالقديس مار إسحق السرياني.[٩٢] لكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن أبونا عبد المسيح الحبشي كان يتبع الصمت في أغلب الأوقات، وعندما كان يتحدث، غالبًا ما كان يتحدث بلغة عربية مكسرة، وبألغاز، وكل هذه المعلومات تثبت أن علاقتهما لم تكن أكثر من مجرد صداقة مبنية على مقابلات عابرة ومتقطعة.[٩٣]

وأكثر من ذلك، ليس هناك ما يشير إلى أن أبونا مينا كان تلميذًا للأب عبد المسيح الحبشي، أو تأثر به، ولا حتى أن أبونا عبد المسيح الحبشي كان مصدر إلهام له لكي يعيش حياة الوحدة. في الواقع، ربما تشير الأدلة إلى عكس ذلك. عندما عاد أبونا مينا من الوحدة لحضور قداس الأحد، يمكن أن نتخيل أن أبونا عبد المسيح الحبشي (الذي كان متوحدًا في إثيوبيا) كان يشتاق إلى أن يشاركه حياة الوحدة، وعندما غادر أبونا مينا مغارته عام ١٩٣٦، كان أبونا عبد المسيح الحبشي هو من سعى لأن يعيش في المغارة نفسها.

على الرغم من التأكيدات الجماعية للباحثين المبنية على الادعاء الخاطئ لعالم قبطي رائد، يجب أن نستنتج أن وحدة هذين الناسكين الاستثنائية كانت مستقلة تمامًا، وفي ظل رأى غير موثق ومَشْكُوك فِيه إلى حد ما أن أبونا عبد المسيح الحبشي كان بشكل جزئي (وربما طفيف) قد تأثر بأبونا مينا، لكن على أي حال، لم يحدث

العكس. هذا تصحيح لابد منه وضروري، حيث إن وحدة أبونا مينا كانت مغيِّرة ليس فقط في حياته النسكية، ولكن أيضًا في إصلاحه الكنسي. إن الادعاء بأنه "تأثر بعمق" بأبونا عبد المسيح الحبشي هو إساءة فهم للتاريخ، حتى وأن كان هذا الادعاء مبهجًا.[٩٤]

من كان إذن المرشد الروحي للأب مينا؟ تشير الفكرة الأولى إلى أنه ربما كان أبونا عبد المسيح المسعودي؛ "أبيه في الرهبنة". لكن المسعودي توفي في أوائل مارس ١٩٣٥ وقضى الجزء الأكبر من سنواته الأخيرة في القاهرة في المكتبة البطريركية. وبالتالي، فمن غير المرجح أن يكون قد لعب دورًا نشطًا (أو حاضرًا) خلال هذه السنوات الأولى من الوحدة. علاوة على ذلك، لا يوجد سجل لأي راهب آخر كان في الوحدة في الوقت نفسه مع أبونا مينا، ولا يذكر أبونا مينا أي دليل على ذلك.[٩٥]

على الرغم من أنه علَّم تلاميذه أن يحافظوا بعناية على "النية التي بلا لوم" في الوحدة إذا كان الأب الروحي متراخيًا في الوحدة، يبدو أنه في خبرته الخاصة سعى إلى مرشد لا يتبادر إلى الذهن، شخص تنيح منذ فترة طويلة.[٩٦] ومن الواضح أنه التجأ إلى حبيبه القديس مار إسحق السرياني.[٩٧] في العظات النسكية الضخمة، اكتشف أعمق المرشدين في حياة الوحدة وبدأ ما يمكن تسميته فقط "التلمذة الآبائية".

إذا سعينا إذن إلى اكتشاف فكر أبونا مينا، فعلينا أولاً أن نعيش في فكر مار إسحق السرياني. لا يمكن من دون ذلك فهم أبونا مينا بشكل صحيح. وعلى الرغم من أن مار إسحق له تأثير معروف في حياة أبونا مينا، إلا أن الاعتراف بذلك يبقى دائمًا سطحيًّا.[٩٨] لم يدرك أحد بصدق أو بشكل صحيح أو شامل مدى تأثير القديس مار إسحق على أبونا مينا، والدرجة التي يتغلغل فيها فكر مار إسحق حياته ويغمرها ويقودها. أظن أن السبب في ذلك هو ببساطة عدم الإلمام بفكر مار إسحق السرياني. في الواقع إن أي فحص لرسائل أبونا مينا وأجزاء من سيرته الذاتية يكشف عن اقتباسات غزيرة وعميقة من العظات النسكية. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك،

إن فكر أبونا مينا وحياته كلها تعكس هذه العظات وتنبع منها، وتجسدها بشكل جذري. باختصار، أصبح مار إسحق أبًا روحيًا له.[٩٩]

عند قراءة مار إسحق، يعتري المرء شعور غريب بأنه يقرأ عن أبونا مينا؛ يمكن التعرف على الأب بشكل واضح ومميز في ابنه. وكما أن التلمذة تعيد التشكيل والتكوين بالكامل، فقد غيِّر مار إسحق أبونا مينا بشكل جذري ودائم. في مقابلة مع جريدة الأهرام قبيل سيامته البطريركية، في ٢٥ أبريل ١٩٥٩، سئل عن كتابه المفضل بخلاف الكتاب المقدس. أجاب أبونا مينا "كتاب مار إسحق السرياني" الذي يناقش حياة الوحدة والصمت. تم ترشيح القديس ليكون أسقفًا على العراق، لكنه هرب من هذا المنصب وتوحد.[١٠٠] هذه الكلمات القليلة؛ الوحدة، الصمت، الهروب، تكشف عن "تلمذته الآبائية".

بعبارة أخرى، كان مار إسحق السرياني (٦١٣–٧٠٠) مثالاً للأب مينا في الحياة قبل الفكر. بعد خمس سنوات من خدمته كأسقف لنينوى، "تنازل مار إسحق عن الأسقفية لسبب يعلمه الله.. وعاش في سكون مع السواح الساكنين هناك".[١٠١] يُذكر بأنه "كان على دراية تامة بالكتب المقدسة، لدرجة أنه فقد بصره بسبب قراءته ونسكه".[١٠٢] تحاول رواية سريانية شرقية تقديم سبب منطقي لهروبه: جاءه رجلان يعترضان على شروط دين ما، وهدد أحدهما بمقاضاة الآخر. قال مار إسحق: "بما أن الإنجيل المقدس يعلِّمنا ألا نسترد ما أعطيناه، على الأقل يجب أن تمنح هذا الرجل يومًا ليسدد الدين". قاطعه الرجل "اترك جانبًا الآن تعاليم الإنجيل". تساءل مار إسحق، "إذا لم نتبع الإنجيل، فماذا جئت إلى هنا لأفعل؟" وبعد هذه الكلمات ترك الأسقفية ورحل إلى حياة الوحدة.[١٠٣] حتى حياة مار إسحق، في هروبه من الأسقفية، كانت مثالاً يتبعه أبونا مينا.

الخطوة الأولى في تمييز تأثير القديس مار إسحق السرياني على أبونا مينا هو التعرف على "البطل" في كتابات مار إسحق: "الإيهدايا" أي "المنعزل" وحرفيًا معناها "المتوحد". يشير أحد العلماء السريان البارزين إلى أن المعنى الأصلي يشير إلى

الشخص الموحِّد، إلى "وحدة الإنسان في ذاته وإلى وحدته مع الله".[١٠٤] ربما لا يوجد وصف مناسب أكثر للأب مينا.

حياة الوحدة هي خبرة اتحاد عميق مع الله: "لا أحد يستطيع أن يقترب من الله إلا الإنسان الذي فصل نفسه عن العالم".[١٠٥] يكرر مار إسحق: "النفس التي تحب الله تجد الراحة في الله فقط. أولاً، حرر نفسك من كل الربط الخارجية، وبعد ذلك ستستطيع ربط قلبك بالله، لأن الارتباط بالله يسبقه الانفصال عن المحسوسات".[١٠٦]

ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا وبين وصية محبة القريب؟[١٠٧] يجيب مار إسحق:

> الوصية التي تقول "تحب الرب إلهك..." تتحقق عندما تحتمل بصبر في حياة السكون. والوصية التي تتحدث عن محبة القريب هي نتيجة للوصية السابقة. هل ترغب في أن تقتنى في داخلك محبة القريب...؟ افصل نفسك عنه، وسوف تشتعل بداخلك حرارة ولهيب المحبة تجاهه.[١٠٨]

المفارقة هنا أن الوحدة تقرب المتوحِّد من قريبه. ويحرص مار إسحق على أن يحذِّر من أن هذا ليس مجرد رأى نظري. إنه يعرف شخصيًّا أن الأمر كذلك: "حقًّا، الخبرة هي معلم الجميع".[١٠٩] لا توحِّد حياة الوحدة الإنسان مع الله فقط، بل توحِّده، كنتيجة حتمية، مع البشرية كلها.

هنا يجب أن نرى أن مار إسحق يوضح بشكل مخيف: الخروج من الوحدة من أجل جلب الشفاء إلى العالم محفوف بالمخاطر، والتكلفة ستكون رهيبة على حساب اتحاد الإنسان مع الله.[١١٠] ويُعلِّم مار إسحق: "أحبوا السكون أفضل من إطعام الجوعى في العالم وتحويل عدد كبير من الوثنيين إلى عبادة الله. الأفضل لك أن تحرر نفسك من قيود الخطيئة على أن تحرر العبيد من عبوديتهم".[١١١] وغني عن القول إن هذه النصيحة هي على وجه التحديد موجهة بصفة خاصة إلى الذين يعيشون وحدة انفرادية - ولهم وحدهم - لكنها تفسِّر إلى حد كبير رفض أبونا مينا في المستقبل أن يترك حياة

الوحدة. كما تسلط الضوء على تمسكه غير العادي بالوحدة حتى "داخل العالم": أولاً كراهب في المجمع، وبعد ذلك بصفته بطريركًا.

ولكن ماذا لو استقبل المتوحد رغمًا عنه إنسانًا في ضيقة؟، يوضح مار إسحق في العظة الرابعة والستين (التي أحبها أبونا مينا كثيرًا)، قائلاً:[١١٢]

> لا أقصد أنه إذا كان الأمر بعيدًا عنك، أنك تذهب وتشغل نفسك في أعمال من هذا النوع [أعمال رحمة]، لأن مثل هذه الأعمال لا تنتمي إلى طريقة حياتك. ومع ذلك، إذا تم وضع الأمر مباشرة بين يديك وكان في طاقتك أن تفعله... فاحذر لئلا تشترك في دم الرجل المظلوم ولا تجتهد في إنقاذه.[١١٣]

إذا جاء الشخص المتألم إلى المتوحد، فيجب على المتوحِّد أن يخفف عنه الألم بكل طاقته. ولكن في حين أنه لا ينبغي أن يسعى المتوحِّد إلى شفاء العالم، فإن مار إسحق يبذل قصارى جهده ليقول إن الاتحاد مع الله في الوحدة يسمح للفرد بالمشاركة في "مراحم الله تجاه العالم".[١١٤] يسمي مار إسحق هذه "الرحمة" بـ "هوبا سابيا" أي "الحب المنير".[١١٥] لا يمكن بلوغ مثل هذا الحب الإلهي للبشرية بمجرد فعل إرادة أو جهاد نسكي، ولكن فقط من خلال "العشق الإلهي" الذي يفيض منه الحب الإلهي على البشرية.[١١٦] إن المتوحد الذي يتذوق هذا "الحب الإلهي" يقترب من "الحب المنير للبشرية"، وهو حب من دون تمييز، وحب غير مشروط.[١١٧]

لقد لاحظ هيلاريون ألفييف بدقة أن مار إسحق يتبع نظامًا فكريًّا مميزًا خاصًّا به مبنى على خبرته الخاصة. وحسب فكر مار إسحق فإن الانسحاب من العالم (وحتى الدير) بحثًا عن السكون يوجِّه المتوحِّد نحو الله؛ هناك، بالاتحاد مع خالقه، يكتسب المتوحِّد حبًّا حقيقيًّا لله، وفي المقابل يغمر الحب الإلهي المتوحِّد بـفيض "الحب المنير" للبشرية. قد نضيف بعدًا رابعًا لهذا الفكر: أن المشاركة في رحمة الله ومحبته المضيئة أو الإلهية للبشرية تغذي البعد الأول بشكل مباشر وقوي؛ إنها تجذب الراهب في الوقت نفسه إلى مزيد من الوحدة، وتضبط أهواءه، وتؤدي إلى اتحاد أعمق مع الله، وبالتالي تحيي وتشعل بداخله حبًّا إلهيا تجاه إخوانه من بني البشر.

تنبثق حياة الوحدة الخاصة بأبونا مينا، وبالتالي أساس خدمته، من هذه الينابيع السريانية الأبدية. غرست الوحدة في أعماقه محبة الله، وفاضت، كما يكشف مار إسحق، على البشرية كلها. أصبح هذا، بشكل شبه حصري، طريقته المميزة في الإصلاح الكنسي. أحب أبونا مينا، في سعيه وراء اختياره غير المعتاد للأب الروحي، البشرية بطرق يصعب إدراكها؛ بطرق ربما كانت إلهية. على عكس مار إسحق السرياني في القرن السابع، فإن أبونا مينا سيتم انتزاعه رغمًا عنه من الآن فصاعدًا وبإصرار من حياة الوحدة والسكون.

القصة المثيرة للرهبان السبعة (١٩٣٦)

خرج أنطونيوس، كأنه كان خارجًا من قبر، متعمقًا في الأسرار وممتلئًا بروح الله
البابا أثناسيوس، حياة أنطونيوس

في بداية القرن الرابع، عزل القديس أنطونيوس الكبير نفسه في حصن روماني قديم؛ منعزل ومهجور في عمق الصحراء المصرية. استمر يعيش لمدة عقدين من الوحدة على هذا النحو حتى لم يعد بإمكان العديد من الرهبان والجموع التي تجمعت حول حصنه أن يتحملوا بعده عنهم، وفي حالة من الغليان، قاموا فجأة بسحب باب الحصن. أُجبر الأنبا أنطونيوس بعد سنوات من الحرب الروحية غير المرئية والتي لا هوادة فيها على ترك الوحدة. لقد ظهر "كأنه يخرج من قبر... متعمقًا في الأسرار وممتلئًا بروح الله".[١١٨] يكتب البابا أثناسيوس الرسولي قائلاً:

> كانت نفسه خالية من العيوب، ولم يكن منقبضًا كأنه حزين، ولا مسترخيًا في حياة المتعة، ولا منغلبًا من الضحك أو الاكتئاب، لم يكن منزعجًا عندما رأى الجموع، ولم يكن سعيدًا عندما حياه الكثيرين. لكنه كان مَقُوَّدا بالعقل تمامًا، وبقي في حالة طبيعية.[١١٩]

هذه الكلمات كان من الممكن قولها بسهولة عن أبونا مينا.

كُتبت الأحداث التالية عن يوم مصيري في أوائل أبريل ١٩٣٦ في مذكرات حنا.[١٢٠] تمت إعادة كتابة النص هنا بالكامل، بالنظر إلى أن هذا الجزء من الأحداث يمثل تحولاً دراماتيكيًا في حياة أبونا مينا. لا يوجد مصدر تفصيلي آخر لهذه الأحداث. لم يكن حنا حاضرًا في الواقع في معظم هذه الأحداث (على الرغم من أنه لعب دورًا بالتأكيد)، لذلك من المفترض أنه جمع التفاصيل والحوار من المشاركين، وبالإضافة أيضًا بلا شك إلى تفسيراتهم للحدث.[١٢١] لكن ليس هناك سبب وجيه للشك في الرواية، نظرًا لأن حنا اشترك في رواية الحدث بالتأكيد وأن تفاصيله نُشرت في الأصل

مع ذكريات تلميذ أبونا مينا؛ أبونا رافائيل آفامينا، الذي كان سيشكك في تاريخية الحدث لو كانت غير صحيحة. يشرح هذا الجزء أيضًا تحركات أبونا مينا فيما بعد، ولم يتم تقديم أي تفسير آخر لرحيله عن دير البرموس، وهو يفسر أيضًا التلميحات الدقيقة (على الأقل الظاهرة) للعداء من قِبل رئاسة دير البرموس، والذي على ما يبدو أنه كان عليه أن يتعرض له فيما بعد."[١٢٢]

في سبت لعازر، ٤ إبريل ١٩٣٦، عاد أبونا مينا إلى الدير من مغارته لحضور صلاة الغروب عشية أحد الشعانين. سيكون هذا من دون أن يعلم آخر يوم له في دير البرموس.

وصل أبونا مينا ووجد جوًّا من الاضطراب غير عادي. سأل عن سبب الاضطراب. قيل له إنه سيتم طرد سبعة رهبان مسنين من الدير في خلال ساعة. يجب أن نلاحظ أنه لم يكن هناك سبب أو خطأ تم ذكره في رواية هذه الأحداث سوى أن الرهبان السبعة المسنين قد عصوا رئيس الدير الذي لم يذكر اسمه.[١٢٣]

خلال بحثي، رفض رهبان دير البرموس مناقشة هذه الأحداث. وذكروا أنهم سمعوا شائعات فقط وبالتالي رفضوا مناقشة حادثة عام ١٩٣٦، ولم يؤكدوا اسم رئيس الدير في ذلك الوقت. لكن هناك رسالة (لم تكن معروفة للدارسين سابقًا) كتبها بعد عقدين من الزمن الأنبا مقاريوس؛ الأسقف اللاحق لدير البرموس، الذي ذُكر سابقًا باسم الراهب أرمانيوس، الذي سقط من البغل عندما كان أبونا مينا لا يزال طالب رهبنة، هذه الرسالة تدعي أن الرهبان السبعة تحدوا القمص باسيليوس (وكيل الدير)، وأن هذا التحدي تطور بعد ذلك إلى "تمرد" ضد القمص برنابا (رئيس الدير)."[١٢٤] كان أبونا باسيليوس معروفًا (ومخوفًا) على أنه "رجل صعب"، فقد اعترض على توحد أبونا عبد المسيح الحبشي، وترأس المجمع الرهباني الذي عارض في البداية توحد أبونا مينا في عام ١٩٣٣."[١٢٥] لكن في الواقع، كان أبونا برنابا هو الذي كان على رأس المشكلة وأمر بطرد الرهبان السبعة.[١٢٦] لا يُعرف ما إذا كان طردهم قانونيًّا أو حتى مبررًا.

وبسرعة، وبقليل من التفكير في مثل هذه الأمور، شق أبونا مينا طريقه إلى قاعة الدير ليجد رئيس الدير حاضرًا، في وجود المحافظ وضابط شرطة وعدد من أمناء الشرطة وسط العديد من الرهبان الهائجين. ركع أبونا مينا أمام رئيس الدير، وقال بعد تقبيل يد رئيس الدير: "أبي، جئت لأرحب بوصولك، وأسأل عن صحتك، وعن حقيقة طرد الرهبان السبعة؟"

"يا ابني، هذه أوامر من البابا يؤانس، وأنا هنا ببساطة لتنفيذها"، هز رئيس الدير رأسه، دون أن ينتبه للرهبان المحتجين.

نسي أبونا مينا نفسه للحظة - أو ربما لا - ونظر إلى رئيس الدير. "سيكون بالتأكيد هذا سبب حزن للبابا إذا طُرد هؤلاء الرهبان عشية أحد الشعانين". وأكمل أبونا مينا وهو يقف "لن يقبل أبدًا أن يفقد هؤلاء الآباء رجاءهم في المسيح. أنت رأسنا وراعينا أبو الرهبان. المسؤول أمام الله عن المرضى والمضطربين والضالين. بين يديك سلطة رئاسة الدير لكي ترشد الضالين وتعيدهم". توقف أبونا مينا عن الكلام للحظة محرجًا. "أناشدكم، باسم الرب وفي هذه الأيام المقدسة، تأجيل هذا الأمر حتى تتاح للآباء المسنين على الأقل فرصة للتحدث مع قداسة البابا، والسماح بمحاكمتهم داخل الدير (وليس خارجه)". قال أبونا مينا، وهو يزداد جرأة وينظر بعناية في عيني رئيس الدير، "من فضلك، لا تطردهم خلال أسبوع الآلام".[١٢٧]

فوجئ رئيس الدير، وتغير وجهه، ويتذكر حنا أنه بالكاد كان قادرًا على ضبط نفسه بسبب كبريائه المجروح. فكيف يجرؤ راهب شاب أن يعارضه أمام كل هذا الجمهور في حين يجلس كبار الرهبان صامتين؟ قال مشيرًا بإصبعه إلى أبونا مينا: "اسمع يا ابني، لا تقف في طريقي. وإلا فإنك ستعصي البطريرك نفسه". ثم نظر حوله إلى الحاضرين وقال: "إلى جانب ذلك أنت متوحد، وهذا ليس من شأنك!"

على الرغم من أنه قد رُسم راهبًا منذ ثماني سنوات فقط، إلا أن أبونا مينا لم يستسلم. قال: "باسم المسيح الذي ضحى بنفسه من أجلنا، أطلب منك، يا أبي، ألا تأخذ قرارًا سريعًا بخصوص هذا الأمر وتتعامل معه بطريقة ترضي آباءنا الرهبان

الذين سبقونا... لقد علمونا أن نتوسط من أجل المخطئين ومخالفي القانون، وأن نحكم على الإنسان حكمًا لا يفقده رجاءه".

بحسب مذكرات حنا، غضب رئيس الدير وأمر العسكر بطرد الرهبان السبعة، قبل أن يحذر أبونا مينا بشدة من البقاء في الدير، ويمنعه من العودة إلى الوحدة حتى يخبر بنفسه البابا عن العصيان الذي قام به هذا الشاب المتوحد. لم يقل أبونا مينا شيئًا لبضع لحظات. ثم قال أخيرًا: وهو لا يريد تمامًا إثارة رد فعل أصعب من هذا "يا أبي، سأكرس نفسي لخدمة هؤلاء الآباء الذين سيتم طردهم دون رحمة. سأكون عبدًا لهم حتى يعودوا إلى الدير". شحب وجه رئيس الدير فجأة بعد أن أدرك التصعيد الذي حدث، وإدراكًا منه لعلاقة أبونا مينا بالبابا يؤانس.

وهكذا، في عشية أحد الشعانين، ١٩٣٦، غادر أبونا مينا دفاعًا عن أمر لم يكن من مسئولياته مع الرهبان السبعة المسنين إلى القاهرة.[١٢٨] أُجبر الشاب المتوحد على ترك الوحدة مثل الراهب الأول أنطونيوس الكبير.

مع تطور الأحداث، أصبح من الواضح على الفور أن البابا سيتدخل. لقد ولِد البابا يؤانس التاسع عشر (١٨٥٨-١٩٤٢) في أسيوط ودخل دير البرموس في سن السابعة عشرة عام ١٨٧٥.[١٢٩] وقد تمت رسامته على يدي راهب قديس أعمى اسمه عوض البرهيمي (تنيح عام ١٨٧٨)، الذي من المفترض أنه أخبره بحادث مؤسف حدث قبل عقدين من الزمان: ففي عام ١٨٥٠ أو حوالي عام ١٨٥٠، حدثت مشاجرة طرد بعدها رئيس الدير خمسة رهبان - يُزعم أنهم ظُلموا - وترك في الدير راهبًا واحدًا فقط يسمى عوض لعدة سنين.[١٣٠] ربما كان هذا تحذيرًا مستترًا للبابا يؤانس الذي كان سيُرسم بطريركًا بعد ذلك.

في عام ١٨٧٨ أصبح الأنبا يؤانس رئيسًا لدير البرموس. وبعد عشر سنوات، يوم الأحد ٣ مارس ١٨٨٧، رُسم مطرانًا للبحيرة والغربية.[١٣١] بعد وفاة البابا كيرلس الخامس في عام ١٩٢٧، أصبح الأنبا يؤانس قائم مقام البطريرك، وفي ١٦ ديسمبر ١٩٢٨، وفي خطوة غير مسبوقة أصبح بطريركًا. وغني عن القول، أن قرار نقض العرف القديم

في أن الأسقف المسؤول عن أبروشية، وفقًا لقانون الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لا يمكن ترشيحه للبابوية - قوبل باحتجاج ومظاهرة غاضبة.[١٣٢] يلاحظ أحد العلماء أن ما كان يقلق الكثيرين في المجتمع جدًّا هو "نزعته المحافظة والشائعات المستمرة بأنه قد دفع رشوة من أجل أن تتم رسامته بطريركًا".[١٣٣] وعلى الرغم من أنه استمر في سن عدد من الإصلاحات المهمة والبعيدة المدى، إلا أن هذه الشائعات كانت ستطارده حتى وفاته.

وجد أبونا مينا والرهبان السبعة ملاذًا مؤقتًا في تلك الليلة في دير رئيس الملائكة ميخائيل في القاهرة القديمة. كان أحد الرهبان المطرودين؛ أبونا شنودة، من أقارب وكيل الدير، وهو كاهن يحظى باحترام كبير اسمه أبونا مرقس داود (١٨٩٢-١٩٧٠) - الذي يجب أن نذكر أنه نجا بصعوبة من الحرمان بسبب تجرؤه على استضافة الرهبان المطرودين.[١٣٤] سيزورهم هناك مجموعة من الشخصيات المؤثرة والكهنة المشهورين، بما في ذلك المرتل الشهير راغب مفتاح (١٨٩٨-٢٠٠١)، ومفوض محافظة الجيزة؛ مرقس فهمي.[١٣٥] ونظرًا لأن وضعهم كان غير مألوف، استأجر الزائرون، بحسب حنا، منزلاً من طابقين للرهبان، وقام أبونا مينا بتدبير احتياجاتهم الضرورية اللازمة.[١٣٦]

في هذه الأثناء، خوفًا من أن يتكلم أبونا مينا مع البابا، غادر رئيس الدير على الفور إلى الإسكندرية، متجهًا، كما قيل لنا، لاستئجار سيارة على الرغم من التكلفة. وما إن قابل البابا يؤانس حتى اتهم أبونا مينا بخرق قوانين الرهبنة. حتى أن رئيس الدير ادعى أن المتوحد اندفع نحوه ممسكًا بعصا كبيرة، مما تسبب في صدمة البابا، لولا أن الشرطة قد قامت بإيقافه. "لا أستطيع أن أصدق ما تقوله"، قال البابا يؤانس لاهثًا. لقد كان سلوكه دائمًا منضبطًا وحكيمًا". وسأله: "لماذا أنت أول من يشتكي منه بهذه الطريقة؟"

وبدلاً من أن يدافع فقط عن المطرودين، يبدو أن أبونا مينا قد أخذ على عاتقه أن يعيش مطرودًا معهم. اتصل البابا يؤانس على الفور بحنا والذي كان يعرفه جيدًا

(موضحًا معرفته الوثيقة بالحادثة جزئيًّا). صاح البابا يؤانس: "أخوكم يستحق العقاب، لماذا تدخل في شئون الدير، ولم يطع رئيس الدير، واعتدى عليه باللفظ، وكاد يضربه على رأسه بعصا؟"

كان حنا لا يعلم شيئًا، ولم يكن يعلم أن أبونا مينا قد ترك الوحدة، بالإضافة إلى عدم معرفته بوجوده في مصر القديمة. أجاب حنا: "لا أعلم شيئًا عن هذا الأمر، لكن قلبي يخبرني أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام، وعندما تحقق في الأمر، ستكتشف الحقيقة". وعندئذ أوضح البابا يؤانس أنه هو الذي أمر بطرد الرهبان. قال حنا: "آمل أن يكون الحكم النهائي لك وحدك". يشير هذا إلى أن حنا شعر أن الأمر البابوي ربما كان مبنيًّا على معلومات مضللة.

فور إغلاق الهاتف، غادر حنا على الفور إلى القاهرة والتقى بشقيقه، موضحًا أن الأنبا يؤانس كان في طريقه إلى القاهرة للتحقيق شخصيًّا في الخلاف. أصر أبونا مينا على لقاء البطريرك بمفرده.[١٣٧] لا ينبغي أن نعبر على هذه التفاصيل بسهولة. فبحسب الرواية، إن المتوحد قد وضع نفسه بالكامل محل الرهبان المطرودين؛ لقد وقف في صفهم. قد يكون هذا استئنافًا بسيطًا لعلاقته مع البابا، لكنه يوحي بشيء أكثر من ذلك. لقد سعى أبونا مينا، على ما يبدو، إلى تحمل العبء كله وحده. تم إبعاد الرهبان المطرودين عن البطريرك، وأصر أبونا مينا على عودة حنا (الوسيط القدير) إلى الإسكندرية.[١٣٨]

بعد دخول مقر البطريركية، ذهب أبونا مينا أولاً، كما اعتاد، ليصلي عند المذبح قبل لقاء البابا يؤانس. وأُستقبل بعدم ترحيب ومن دون ألفة.[١٣٩] كان البابا يؤانس غاضبًا. وبخ البطريرك أبونا مينا قائلاً: "ما زلت في أول درجات العبادة"، وأضاف وهو يعتقد أن أبونا مينا قد خدعه الكبرياء "ربما خدعك الشيطان؟"

كان رد أبونا مينا غريبًا ومختصرًا. لم يقدم اعتذارًا ولا تفسيرًا لأفعاله ولا دفاعًا عن الرهبان المطرودين الآخرين. أجاب: "ربي يسوع المسيح أمين وعادل، لا يترك من

يطلبونه، ويسترهم بملائكته". استشهد مينا ضمنيًّا بطبيعة المسيح كتفسير بسيط لسلوكه.

أجاب البابا يؤانس، وهو محبط، "وهل تسمح لك تعاليم المسيح بالتدخل في الأمور التي لا تعنيك؟"

أجاب أبونا مينا: "نعم، لقد علمنا المسيح أن نجاهد من أجل الأمانة، حتى لو وصل ذلك إلى سفك الدم. من لا يدافع عن الحق فهو مثل الشيطان. أنا ابن الدير. كيف يمكنني أن أرى أمورًا لا تتفق مع قوانين الرهبنة ومع ذلك أظل صامتًا؟" ثم قال بغضب "لم أقاوم أو أؤذي أبي رئيس الدير. ولكن ناشدته وبكل احترام ومهابة، من أجل المسيح، الذي كرس نفسه لخدمته، ألا يترك هؤلاء الآباء يقعون في اليأس... توسلت إليه ألا يبعدهم عن ملجأ الرجاء خلال أيام دخول المسيح إلى أورشليم، وتأجيل طردهم من الدير حتى نهاية أسبوع الآلام، وبعد ذلك يمكنه أن يطلب رحمة قداستكم".

"ولكن لماذا تدخلت في هذا الأمر وأنت متوحد بعيد عن الدير؟"

قاطعه أبونا مينا: "سأكون مستحقًا لغضبك لو لم أتدخل، إذا أهملت الدفاع عن سمعة دير البرموس العظيم؛ دير قداستك، وإذا تركت سبعة شيوخ موقرين ليُطردوا بمثل هذه الطريقة المخزية؛ سوف ينهارون ويفقدون الأمل في رحمة الله أثناء أسبوع الآلام".

"ألم تتمرد على رئيس الدير؟" كرر البابا يؤانس وهو لا يزال غير مصدق. "لقد أردت أن تسحق رأسه بعصا!"

قال أبونا مينا المتوحد والدموع تنهمر في عينيه: "لا سمح الله أن أفكر في فعل شيء كهذا. طلبت منه فقط أن ينظر برأفة إلى الرهبان كراعٍ لهم ويحكم عليهم وفقًا لقوانين الكنيسة". بكى أبونا مينا بهدوء.

تأثر البابا يؤانس بدموع الناسك الذي كان يعرف عنه منذ سنوات أنه بلا لوم. متذكرًا هروب أبونا مينا من الأسقفية وعدم رغبته في أي شيء سوى الوحدة، لم يستطع البطريرك إيقاف دموعه. كان واضحًا أنه قد تم نقل معلومات مضللة له. كان حضور أبونا مينا كافيًا لإقناع الأنبا يؤانس بمسامحة الرهبان المسنين. حتى لو كانوا فعلا قد عصوا رئيس الدير، فإن الرحمة أعظم من الخطيئة. أصدر البابا يؤانس عفوًا عن الرهبان المسنين ومنحهم الإذن بالعودة إلى ديرهم.

عندما عاد الشاب المتوحد إلى المنزل المستأجر في مصر القديمة، ذهل الرهبان.[١٤٠] شق الرهبان السبعة المسنون طريقهم صامتين إلى البطريركية ليطلبوا من البابا الحل قبل العودة إلى ديرهم. لكن كان حنا حريصًا على تدوين ملاحظة أن أبونا مينا انتظر في الخلف. كان هناك شيء آخر يريد أن يناقش البابا فيه. كان لديه طلب من نوع ما.[١٤١]

هذا الحوار المطول والرائع له قيمته ليس فقط كتفسير لابتعاد أبونا مينا عن الوحدة، ولكن الأهم من ذلك أنه يعطى نظرة ثاقبة على نسكه الشخصي وطريقته في الإصلاح. ولذلك نرى أنها نواة بدائية لما يمكن تسميته "الإخلاء الكنسي". أعني بهذا مفهوم الإخلاء؛ "إخلاء الذات" أو "إنكار الذات"، الذي نشأ في الترنيمة الخاصة بطبيعة المسيح في فيلبي ٢:

> الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.[١٤٢]

اقترح أحد الدارسين للعهد الجديد أن هناك نموذجًا للشركة والتحول ينشأ من هذه الأعداد، وهو نمط "يعيشه" الرسول بولس نفسه، إن "الحالة" ليست "الأنانية" ولكن "بذل الذات".[١٤٣] هنا يمكن ترجمة "الكينونة" بمعنى آخر أي "على الرغم من الكينونة" ولكن أيضًا بمعنى مسبب على أنها "بسبب الكينونة".[١٤٤] وهكذا، لم

يكن الأمر "على الرغم من" أن يسوع هو الله أنه أخلى نفسه وأصبح عبدًا لدرجة الموت العنيف، ولكن أيضًا "لأنه" هو الله. باختصار هذا هو الله.

على الصليب، تم الكشف عن الألوهية بشكل كامل. لذا فإن الإخلاء هو "الحقيقة 'غير البديهية' عن الله".[١٤٥] لم يكن المسيح يتصرف على عكس طبيعته على الصليب، بل بالأحرى بطبيعته تمامًا، من خلال إظهار الحقيقة الثاقبة له هو كإله يصلب. هذا هو النموذج الذي يعيشه الرسول بولس نفسه، وهو يتوسل إلى أهل فيلبي أن يفعلوا الشيء نفسه: "ليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا".[١٤٦]

هذا النمط أو "الفكر"، عندما يمتد إلى حياة أبونا مينا، فهو يكشف تمامًا: أن رغم أنه كان متوحدًا بسيطًا، إلا أنه لم يمارس أو يستغل هذه المكانة، بل أخلى نفسه وترك حقوقه وأصبح "مطرودًا". كان منطقه في كل نقطة من الحوار السابق، (والضرورة الحتمية) لتصرفاته هو نتيجة لهذا الإخلاء الذي تم على الصليب. المسيح أخلى نفسه لأنه هو الله، وهذه هي الحقيقة التي يحياها أبونا مينا. كيف يمكن أن يظل صامتًا؟ لم يترك له فكر المسيح أي اختيار. عندما غضب رئيس الدير، أعلن أبونا مينا، مرددًا كلمات فيلبي: "سأكون عبدًا لهم حتى يعودوا إلى الدير".[١٤٧] بعبارة أخرى، لم يكن الأمر مجرد أنه ضحى بنفسه من أجل الآخرين على الرغم من كونه متوحدًا منفردًا، بل على العكس لقد فعل ذلك الأمر لأنه كان متوحدًا. كان هذا، بحسب رؤيته، هو ما دُعي إليه المتوحِّد وما يجب أن يفعله.

لم يكن أبونا مينا يتخلى ببساطة عن وضعه الرهباني. بل بالأحرى، كما رأينا، فقد أمضى سنوات يشتاق، ويناضل، بل يتوسل بالفعل، من أجل الوحدة، ومع ذلك، في لحظة، تخلى طواعية وبوعي عن تلك الوحدة نفسها وأخلى نفسه. أصبح "المطرود"، "المخالف للقانون"؛ أصبح "عبدًا" للرهبان المسنين، يعتني بكل احتياجاتهم في مصر القديمة؛ ووقف بدلاً منهم، مدافعًا عن قضيتهم، والتقى بالبطريرك وحده، وفعل كل ذلك في إخلاء وخسارة غالية الثمن لوحدته.

على الرغم من أنه كان متواضعًا دائمًا، يجب أن ننتبه أنه كان في الوقت نفسه لا يعرف الخوف في سعيه وراء هذه الحقيقة.[١٤٨] هاتان الصفتان؛ التواضع والشجاعة التي لا يمكن إنكارها، ستؤثران إلى الأبد على أسلوبه الكنسي في الإخلاء. ومن هنا، نجد نواة بدائية لتعليمه الكنسي الذي يتسم بالإخلاء وصلب الذات والذي سيستمر (كما سنرى) طوال حياته. كانت هذه حقيقته غير البديهية مثل المسيح. وسيدفع هو شخصيًّا ثمنًا غاليًا من أجل هذه الحقيقة. كشف لأحد تلاميذه بعد سنوات، أنه كان في حالة ذهول شديد بسبب فقدان مغارته في الصحراء حيث كان يأمل أن يقضى حياته بها. كتب أبونا مينا:

> أتذكر طوال الوقت تلك الأيام الحلوة التي قضيتها في البرية، والدموع تملأ عيني. لم أنس ولن أنسى أبدًا ذلك اليوم الذي غادرت فيه البرية. أستطيع أن أتذكر جيدًا أنني ظللت أبكي بمرارة لمدة ثلاثة أيام على مغادرتي ذلك المكان...[١٤٩]

الحواشي

[1] W. K. Lowther Clarke, *The Lausiac History of Palladius* (New York: The Macmillan Company, 1918), 64.

تستحق الرواية إعادة السرد: " 'حسنًا، اقتنعوا الآن أنه من المستحيل بالنسبة لي أن أُرسم، لأن القانون يحظر على الرجل المقطوع أذنه أن يُرسم كاهنًا'. ثم تركوه وغادروا وذهبوا وأخبروا الأسقف [الأنبا تيموثاوس السكندري (٣٨١-٣٨٤)]. فقال لهم 'هذا ناموس اليهود. أما من جهتي، إذا أحضرت رجلاً مقطوعًا أنفه جديرًا بالأسقفية، فسأرسمه'. فذهبوا مرة أخرى وتضرعوا إلى أمونيوس. وأقسم لهم: 'إذا استخدمتم معي القوة سأقطع لساني'. ثم تركوه وذهبوا في طريقهم".

[2] Sozomen, *Ecclesiastical History* 8.19, in NPNF2 2:411.

[3] Armand Veilleux, *Pachomian Koinonia*, vol. 1, *The Life of Saint Pachomius and His Disciples* (Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 1980), 51.

[4] Claudia Rapp, *Holy Bishops in Late Antiquity* (Berkeley, CA: University of California Press, 2005), 144.

وتجدر الإشارة إلى أن أبونا مينا (البابا كيرلس آنذاك) بدا في عدة نقاط أنه يدرك هذا أيضًا باعتبارها صفة مهمة في المرشحين المحتملين؛ على سبيل المثال، تم رسامة الأساقفة؛ الأنبا شنودة والأنبا صموئيل والأنبا غريغوريوس ضد إرادتهم.

٥ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".

٦ عطا وأبونا رفائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩.

٧ المرجع السابق.

٨ المرجع السابق. يكتب حنا أيضًا: "لقد تلقى أبونا مينا الكثير من اللوم والتوبيخ، فقبله بصبر". تسجل مذكرات أبونا مينا هذه التفاصيل بالشدة نفسها (إن لم يكن أكثر)، مما يشير مرة أخرى إلى أن الأدلة الوثائقية تنسجم مع مصادر السيرة الذاتية الأولية.

٩ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية". ذكر أبونا مينا، في السيرة الذاتية أنه، في الواقع، طلب من البابا يؤانس أن يذهب إلى سوهاج وأن البابا وافق، ولكن عندما طلب أبونا مينا أن يعيش هناك بشكل دائم، غضب البابا يؤانس وأرسل برقية طالبًا عودته. من المتصور أن البابا يؤانس قد منحه الإذن لـ" زيارة" في مناسبة سابقة، لكنه لم يكن يتوقع هروبه عندما سعى إلى سيامته. وهذا من شأنه أن يفسر أيضًا سبب عدم علم البابا يؤانس في مذكرات حنا بمكان وجود أبونا مينا.

١٠ المرجع السابق.

١١ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٨.

١٢ عطا وأبونا رفائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩.

١٣ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".

١٤ عطا وأبونا رفائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩. يظهر سؤال بسيط في هذه المرحلة: لماذا يسمح البابا يؤانس التاسع عشر للأب مينا بمتابعة حياة الوحدة في دير البرموس وليس في سوهاج؟ من المتصور أنه في دير البرموس، سيظل أبونا مينا، إلى حد ما، في متناول اليد، لا سيما النظر إلى علاقة البطريرك الواضحة بدير البرموس، وبالتالي لن يضيع الأمل في سيامته مستقبلاً.

١٥ المرجع السابق.

١٦ المرجع السابق. يظهر رفض حنا الواضح لحياة الوحدة في رسالة كتبها إلى أبونا مينا. انظر أبونا مينا البرموسي [كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣". هناك وصف آخر للخلاف في مجمع الرهبان، انظر تقرير أبونا رافائيل المختصر (على الرغم من أنه يبدو أنه يتبع حنا)؛ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٩.

[١٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩. يضيف زقلمة أيضًا الأسماء الأخيرة لاثنين من الرهبان؛ باسيليوس سعد وباخوم متى. انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١:٧٦.
[١٨] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
[١٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩. هذه المخاوف نفسها ظهرت في الرسالة الدفاعية للأب مينا التي كتبها إلى حنا في ديسمبر ١٩٣٣. انظر، الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
[٢٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩.
[٢١] المرجع السابق.
[٢٢] المرجع السابق.
[٢٣] المرجع السابق.
[٢٤] انظر الفصل التالي لتصحيح مهم عن أبونا عبد المسيح الحبشي.
[٢٥] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".
[٢٦] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
[٢٧] يدعي الباحثين كلهم أنه دخل في حياة الوحدة في عام ١٩٣٣. من الواضح أن هذا الافتراض ثانوي (لأنه لم يذكر صراحة في روايات السيرة الذاتية) بأنه ذهب فورًا إلى حياة الوحدة بعد عودته إلى دير البرموس - وهو استحالة نظرًا لأنه عاد قبل عيد ميلاده الحادي والثلاثين (في أغسطس)، وترك الدير وذهب إلى حياة الوحدة بعد ديسمبر ١٩٣٣.
[٢٨] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
[٢٩] المرجع السابق.
[٣٠] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة غير مؤرخة إلى حنا يوسف عطا، ١٩٣٦"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، رسالة رقم ٥٢٩ (دير البرموس، غير مؤرخة). تبلور هذا في فكر القديس مار إسحق السرياني، الذي كان له تأثير جزئي على الأقل. انظر مار إسحق السرياني، العظات النسكية، ٧٣: ٥٠٧-٥٠٨. انظر أيضًا القول المأثور الرهباني التالي: صرخ أحد أباء الصحراء الأوائل حقًا، " ليس من خلال الفضيلة أني أعيش في وحدة، ولكن بسبب ضعفي. إن أولئك الذين يستطيعون أن يعيشوا في وسط الناس هم الأقوياء".
[٣١] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".
[٣٢] المرجع السابق.
[٣٣] المرجع السابق. واختتمت الرسالة بالقول: "إنني أقدّر محبتك وعطفك، ولا أستطيع التعبير تجاهها؛ لكن تذكر من أخدم، وإلى من أسلمتني. هل أنا خادم لسيد عنيف أو قاس؟ لا، أنا أخدم سيدًا رحيمًا وإلهًا عظيمًا. لا يعسر عليه شيء. هو الذي جعلني راهبًا وهو قادر على إكمال طريقي في الحياة جيدًا. ماذا أقول، ولكن: 'ألق على الرب همك فهو يعولك' (مز ٥٥، ٢٢)، و'طوبى للذين يتوكلون على الله' ". وفي رسالة بعد ذلك بأسابيع يعتذر إلى شقيقه عن لهجته في الرسالة السابقة، ويكشف أنه لم يذهب بعد إلى حياة الوحدة. انظر، الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٤ ديسمبر ١٩٣٣"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ٢ الرسالة ١٠ (دير البرموس: ١٩٣٣).
[٣٤] بالنظر إلى الرسالتين المذكورتين سابقًا والمكتوبتين إلى أخيه في ديسمبر ١٩٣٣، والتي ذكر فيهما أنه لم يكن قد دخل في الوحدة بعد، يمكننا أن نفترض أنه دخل في الوحدة في نهاية عام ١٩٣٣ (بعد ٢٤ ديسمبر)، أو على أبعد تقدير، في وقت مبكر جدا عام ١٩٣٤.
[٣٥] الغريب أن أبونا عبد المسيح المسعودي سأله أيضًا عندما كان يعود كل أسبوع "ليغسل ملابسه وثياب آبائه المسنين والمرضى الذين لا يستطيعون مساعدة أنفسهم". يبدو أن أبونا عبد المسيح المسعودي سعى أن يقول للأب مينا إن وحدته ستبقى متداخلة إلى الأبد مع الخدمة. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠.
[٣٦] المرجع السابق.

[٣٧] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".
[٣٨] لقراءة سيرة مختصرة ورائعة عن القمص صرابامون، انظر صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، ١٧٢-٧٣.
[٣٩] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٢٤
[٤٠] المرجع السابق.
[٤١] المرجع السابق. قام ببناء منزل وكذلك كنيسة القديسة العذراء مريم في القناطر بمصر حيث بقي حتى وفاته. زعم ميناردس خطأ أن أبونا مينا سكن المغارة بعد "نياحة" أبونا صرابامون بوقت قصير؛ يبدو أنه خلط بين تنحي صرابامون عن منصب رئيس الدير ونياحته الفعلية. انظر،
Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 43.
وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن هناك بعض التداخل في المصادر بين "رئيس" الدير و"وكيل" الدير. في حين أن معظم رؤساء الأديرة في مصر في الوقت الحاضر هم أساقفة ووكلاء الدير هم بشكل عام رهبان، لم يكن هذا هو الترتيب دائمًا. في وقت قريب من رهبنة أبونا مينا في دير البرموس، كان "الرئيس" راهبًا كبيرًا لا يقيم في الدير غالبًا، بل يزوره كل بضعة أشهر. كان وكيل الدير راهبًا يسكن في الدير وكان مسؤولاً عن سير العمل اليومي للدير، ويخضع لرئيس الدير. يشرح هذا كيف يمكن أن يعيش "رئيس" الدير في وحدة، وكذلك أسماء رؤساء الدير التي ذكرها أبونا مينا في أجزاء سيرته الذاتية والرسائل التي يبدو أنها تتعارض مع الرؤساء التاريخيين للدير (غالبًا ما يطلق عليهم خطأً وكلاء الدير في المصادر).
[٤٢] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية".
[٤٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠.
[44] Watson, *Among the Copts*, 51.
[٤٥] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية". المرجع الكتابي هو سفر الملوك الثاني: ٦: ١٦.
[٤٦] يأتي المصطلح الأرثوذكسي المميز من الكلمة اليونانية charmolype، والتي يمكن ترجمتها "الفرح المرير" أو "الحداد البهيج"، وغالبًا ما تُستخدم لوصف خبرة الصوم الكبير التي لا توصف الذي يسبق أسبوع الآلام.
[47] Peter Brown, "The Rise and Function of the Holy Man in Late Antiquity," *The Journal of Roman Studies* 61 (1971): 91.
يشرح براون هذا في ثورته الفكرية الواقعية في مقال لاحق: "النسك لم يكن عزاءً لغياب فرصة اختبار الألم مع الشهيد، ولكن النسك كان ينقل، بطريقة تتناسب مع الأزمنة، الصورة القوية لحضور المسيح بين الناس". انظر،
Peter Brown, "The Saint as Exemplar in Late Antiquity," *Representations* 1, no. 2 (1983): 16.
[٤٨] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".
[٤٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠.
[٥٠] ستتم الإشارة إلى الروايات المختلفة التي تشهد على ذلك في موضعها المناسب ضمن هذا العمل.
[٥١] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس] "أجزاء من السيرة الذاتية".
[٥٢] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠.
[٥٣] المرجع السابق. راجع عب ١٢: ٤.
[٥٤] المرجع السابق.
[٥٥] وخلصت إلى: "واجهت في هذا الطريق، حروبًا شديدة ومعارضة واضطهادًا سأكتب عنها لاحقًا بالتفصيل". من المحتمل أن يكون هذا هو الجزء الأخير من السيرة الذاتية، حيث لم نكتشف أي أجزاء أخرى، بالإضافة إلى حقيقة أن الكتابة توقفت في منتصف الصفحة، مما يشير إلى أنها لم تكتمل. يذكر أبونا رافائيل آفامينا أن هذه الكتابات تم اكتشافها في الأدراج الشخصية للبابا كيرلس، مما يشير إلى أنه ربما غير رأيه ولم يرسل السيرة الذاتية إلى المرسل إليه (المرسلون) المقصود.

[٥٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠. وتجدر الإشارة إلى أن حنا يؤرخ هذه الزيارة إلى عام ١٩٣٣. من المحتمل أن يكون هذا خطأ بسيطًا نظرًا لأن أبونا مينا كتب رسائل في ديسمبر ١٩٣٣ يشكو فيها من أنه لم يدخل في الوحدة بعد. لذلك، اقترحنا تاريخًا، بافتراض أن الزيارة حدثت في وقت مبكر من حياة الوحدة، في أوائل عام ١٩٣٤. إيريس حبيب المصري، من ناحية أخرى، تقترح (من دون مرجع) أن الزيارة تمت بعد سبعة أشهر من دخول أبونا مينا الوحدة. انظر،

al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:434.

[٥٧] لقد بذلت بعض الجهد لمحاولة تحديد هوية هذا الزائر الأمريكي. بعد فحص العديد من الشكوك، للأسف، ما زلت غير قادر على الوصول إلى نتيجة. من بين جميع الأقباط وعلماء المصريات وعلماء اللاهوت الذين كتبوا عن الرهبنة خلال الثلاثينيات، لا يبدو أن أحدًا منهم كان هو هذا الزائر.

[٥٨] بعد أن لاحظ أن أبونا مينا فهم الكثير من الحديث، حاول الزائر الأمريكي التحدث معه مباشرة. لكن الناسك اعتذر، لأنه على الرغم من اتقانه للغة الإنجليزية خلال فترة عمله في شركة توماس كوك، إلا أنه لم يعد يجيد اللغة. انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٠.

[٥٩] رغم أنه من الطبيعي أن نتناول هذه الحادثة ببعض الشك، إلا أنه يجب التنبه أولاً إلى أن حسن فؤاد سيكون فيما بعد مدينًا بشدة للأب مينا، وثانيًا، أن دورية ميناء الخلاص تشهد على معرفة أبونا مينا الموسوعية بالأدب الرهباني وثالثًا، كانت هذه المعرفة بلا شك اختبارية في طبيعتها، وبالتالي كانت ستؤثر بعمق بالنسبة للأمريكان.

[٦٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١١.

[٦١] المرجع السابق.

[٦٢] المرجع السابق.

[٦٣] انظر الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة؟ ١٩٣٦". على الرغم من عدم وجود تاريخ محدد لهذه الرسالة، إلا أن هناك احتمالين. الأول هو أن الهجمات "الشيطانية" لمدة ثلاث سنوات تشير إلى السنوات التي سبقت حياة الوحدة، وكان الارتياح هو السماح له بالدخول إلى حياة الوحدة، وبالتالي تأريخ الرسالة في أوائل عام ١٩٣٤. الاحتمال الثاني هو أنه يشير إلى الهجمات أثناء حياة الوحدة (١٩٣٤-١٩٣٦)، والإغاثة كتدخل إلهي في وقت ما في عام ١٩٣٦ قبل ٤ أبريل، عندما غادر دير البرموس. بالنظر إلى أن الجزء الأخير من سيرته الذاتية يحدد الحروب الشديدة التي واجهها، بلغة مشابهة بشكل ملحوظ، يبدو أن الأخيرة هي الأكثر احتمالية.

[٦٤] المرجع السابق.

[٦٥] ونرى ذلك في رسالة أخرى. انظر الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٣ ديسمبر، ١٩٣٣".

[٦٦] الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، ١٩٣٦".

[٦٧] المرجع السابق. الإشارة إلى مز ٩٤: ١٨-١٩.

[68] For instance, see Hierotheos Vlachos, *Orthodox Psychotherapy: The Science of the Fathers*, trans. Esther Williams (Levadia, Greece: Birth of the Theotokos Monastery, 1994), 38–42, 70–77.

فيما يتعلق بمار إسحق السرياني، فهو يتحدث عن الاستنارة كاختبار داخلي لنور الله، واللافت للنظر أن هذا يكون في سياق الجهاد النسكي، والوحدة، والشيؤريا. انظر،

Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 4.149–53.

يتحدث مار إسحق أيضًا عن ثلاث درجات من معرفة الله تتوافق تقريبًا؛ ibid., 52.390–401.

وتجدر الإشارة، كما يشير ألفييف بدقة، إلى أن "الاستنارة "عند مار إسحق السرياني تختلف في بعض النواحي عن "النور الإلهي" في كتابات الهدوئيين. انظر،

Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 239–40.

[69] Budge, *Texts Relating to Saint Mena*, 46–47.

٧٠ إذا اقتبسنا عبارة من عالم اجتماع مشهور، ليست الخبرة أقل من "استنارة كبيرة".
Norman K. Denzin, *Interpretive Biography* (London: Sage Publications, 1989), 71.
يحدد دينزين أربعة أنواع فضفاضة من الاستنارة: الاستنارة الأولية، التي تلامس نسيج حياة الشخص، والاستنارة التراكمية، والتي تدل على الانفجارات أو ردود الفعل على الخبرات المستمرة أو المزمنة، والاستنارة الصغيرة، والتي تمثل رمزيًا حدثًا إشكاليًا كبيرًا، والاستنارة المسترجعة، حيث يتم إحياء استنارة الماضي وإعادة تخصيصها في الوقت الحاضر. وقد لاحظ أنسيلم شتراوس أيضًا أن "نقاط التحول" هذه تحدث غالبًا في سياق "الحوادث الخطيرة". على سبيل المثال، انظر
Anselm Strauss, *Mirrors and Masks: The Search for Identity* (Cambridge: Cambridge University Press, 1959), 93; Denzin, *Interpretive Biography*, 70–71.
٧١ حدد ماكدونالد عددًا من "المراحل" لأي استنارة من هذا القبيل، وفي مقدمتها الدوام الدائم لهذه اللحظات. انظر،
Matthew McDonald, "The Nature of Epiphanic Experience," *Journal of Humanistic Psychology* 48, no. 1 (2008): 93.
٧٢ وتختتم الرسالة بالقول: "الشكر، والتسبيح، والمجد، والكرامة، والسجود والمهابة لمخلصنا العظيم. إنه أمين وصادق في وعوده، ويهتم بنا دائمًا. إنه أعظم قائد؛ يزودنا بالسلاح الكامل لنتمكن من الوقوف أمام الأعداء. من دونه لا نستطيع أن نفعل شيئًا. نسأل لطفه أن يتوج جهادنا بالنجاح، ويمنحنا القوة لنكمل المسيرة، وفي النهاية ننال ما أعده لنا، ليس لأننا نستحقه، ولكن فقط من خلال نعمته. ولربنا المجد دائما وأبدًا. آمين".
٧٣ انظر القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى الرهبان في دير القديس الأنبا صموئيل، غير مؤرخة" (مصر القديمة، دون تاريخ). تمت كتابة الرسالة على الأرجح إلى الرهبان في دير القديس الأنبا صموئيل في منتصف الأربعينيات عندما كان رئيسًا للدير.
٧٤ المرجع السابق.
75 Otto Meinardus, *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts (1961)* (Cairo: The American University Press in Cairo, 1961), 156; cf. Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 43.
76 Meinardus, *Monks and Monasteries (1961)*, 156–57.
على الرغم من ادعائه أن أبونا عبد المسيح الحبشي قد أثر على أبونا مينا المتوحد، إلا أنه يقترح فيما بعد، "من الصعب التأكد من تأثير أبونا عبد المسيح الحبشي [النبي] على المستيكي [أبونا مينا]". ومع ذلك، بحلول عام ١٩٧٠، يبدو أنه أصبح أكثر ثقة: فبدلاً من أن يكون له تأثير غير مؤكد، كان أبونا عبد المسيح الحبشي "مصدر إلهام" لوحدة أبونا مينا، وهو ادعاء تكرر في النسخة التي راجعها لكتابه الرهبان والأديرة طبعة ١٩٨٩. انظر،
Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 435; Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 71.
77 Wakin, *A Lonely Minority*, 110.
من الواضح جدًا أن واكين يتبع ميناردس مباشرة نظرًا لسياق الكلام في هذا الجزء. ومع ذلك، فإن ادعاءه غامض إلى حد ما: "كان راهبًا مشهورًا في الدير هو والده الروحي. أثر الراهب المعروف باسم أبونا عبد المسيح الإثيوبي والمعروف كنبي على أبونا مينا إلى حد كبير حيث عاش حياة الوحدة..."، ومن المستحيل تحديد ما إذا كانت الجملة الأولى تشير إلى المسعودي، أو أنها تشير إلى الجملة التالية. وتجدر الإشارة إلى أن المقطع يأتي زمنيًا بعد أن دخل أبونا مينا في حياة الوحدة في رواية واكين، وبالتالي يوحي بأن واكين يعني أن أبونا عبد المسيح الحبشي هو أبيه الروحي. على أي حال، يتبعه الباحثين الغربيين في الاتجاه نفسه.
78 see Watson, "Abba Kyrillos," 10–11; John H. Watson, "The Ethiopian Servant of Christ: Abuna Abdel Mesih el-Habashy," *Coptic Church Review* 27, no. 2 (2006): 47; Nelly van Doorn-Harder, *The Emergence of the Modern Coptic Papacy: The Egyptian Church and Its Leadership from the Ottoman Period to the Present* (Cairo: The American University Press in Cairo, 2011), 131; Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 191; O'Mahony, "Coptic Christianity," 505; Mark Francis Gruber, "Sacrifice

in the Desert: An Ethnography of the Coptic Monastery" (Ph.D. diss., State University of New York at Stony Brook, 1990), 147.

٧٩ حوار في أبريل / مايو ١٩٥٩، أعيد طبعه في جرجس، القيثارة السماوية، صـ ١٢-١٣.

80 Watson, "The Ethiopian Servant," 51–52, also see 34.

81 Ibid., 42.

٨٢ يذهب مكاريوس إلى القول، "كل المعلومات الواردة في هذا الكتاب موثقة إما في التسجيلات الصوتية أو في الروايات المكتوبة للمطارنة، أو الأساقفة، أو الكهنة، أو الرهبان، أو العلمانيين". كان مكاريوس مدركًا للعديد من التفاصيل المتناقضة (والقديمة) التي تم تداولها منذ نياحة أبونا عبدالمسيح الحبشي. انظر، الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح: حياة أبونا عبد المسيح الحبشي، ترجمة. مايكل قزمان (سيدني: مطبعة دير القديس شنودة، ٢٠٠٩)، صـ ١٠.

٨٣ المرجع السابق. صـ ٢٠-٢٤. يبدو أن هناك عادة ثابتة للرهبان الإثيوبيين للسفر إلى برية الإسقيط، مصر، ليأخذوا بركة آباء البرية الأوائل؛ انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٤٠. وهذا بالتأكيد يفسر عدد الرهبان الإثيوبيين المسجلين في أديرة صحراء وادي النطرون في مصر في ذلك الوقت وما قبله.

٨٤ الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح: حياة أبونا عبد المسيح الحبشي، صـ ٢٧.

٨٥ المرجع السابق. صـ ٢٧-٢٨. وللاطلاع على وصف آخر لتاريخ الدير يقدم ادعاءً مشابهًا، انظر، أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٤٠.

٨٦ الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح: حياة أبونا عبد المسيح الحبشي، صـ ٢٩. ولكن أيضًا، كما قيل لنا، نظرًا لاندلاع الحرب العالمية الثانية، كانت هناك بعض المخاوف المعقولة جدًا نظرًا لوضع أبونا عبد المسيح الحبشي كمواطن إثيوبي (يعني أنه قد لا يستطيع تقديم أوراقًا لإثبات ذلك) من احتمال تعرضه للأذى خارج الدير.

٨٧ ومن اللافت للنظر أن البابا يؤانس التاسع عشر تدخل بنفسه للسماح للأب مينا بالذهاب إلى الوحدة. انظر أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "أجزاء من السيرة الذاتية". مرة أخرى، إن الأمر يتطلب تصعيدًا إلى البابا يؤانس (الذي، يجب أن نتذكر، كان لديه حب كبير لدير البرموس) يدل على النفور الحقيقي من الوحدة في ذلك الوقت.

٨٨ الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح: حياة أبونا عبد المسيح الحبشي، صـ ٢٩.

٨٩ المرجع السابق. صـ ٣٢.

٩٠ المرجع السابق. صـ ٦٤. وبحسب الحكاية، فقد ترك أبونا عبد المسيح الحبشي وحدته بأعجوبة وعاد إلى الدير ليرى البطريرك دون أن يخبره أحد بالزيارة. وبحضور الأساقفة والأراخنة المجتمعين أخذ البطريرك الماء ورش بعضه على أبونا عبد المسيح الحبشي عندما دخل لتوبيخه ورسم علامة الصليب فهدأ أبونا عبد المسيح الحبشي.

٩١ المرجع السابق. عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس. وبحسب معظم المصادر، غادر الحبشي دير البرموس عام ١٩٧٢، ومكث في الكاتدرائية في القاهرة حتى يوليو ١٩٧٣، قبل أن يغادر إلى القدس. كان هذا تماشيًا مع عادة إثيوبية أخرى تتمثل في أن يقضي الرهبان سنواتهم الأخيرة في الحج في القدس. علاوة على ذلك، هناك الكثير من التكهنات، حيث يزعم الكثيرون أنه لم يصل إلى القدس مطلقًا وأنه توفي في دير أرثوذكسي سوري عام ١٩٧٨؛ وهناك عدد من الروايات المتناقضة بخصوص أيامه الأخيرة. انظر، أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٤٠، الأنبا مكاريوس، عبد المسيح الحبشي، صـ ١٠٩-١٤.

Watson, "The Ethiopian Servant," 53–55.

٩٢ تؤكد عدة مصادر أن أبونا عبد المسيح الحبشي تأثر بمار إسحق السرياني، وأنه كثيرًا ما كان يقتبس منه، ويؤسس سلوكه على فكره. انظر،

Watson, "The Ethiopian Servant," 48-49.

الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح، صـ ٧٦.

٩٣ من الجدير بالملاحظة أن البابا شنودة الثالث تحدث عن فيما يتعلق بصمت أبونا عبد المسيح الحبشي: "على الرغم من أنني كنت أعيش في القلاية المجاورة له [يفترض أنه كان يقصد 'المغارة' بكلمة 'قلاية']، فقد أدركت أنه من الصعب جدًّا على أي راهب أن يصبح تلميذه". انظر الأنبا مكاريوس، عبد المسيح الحبشي، صـ ٦٩.

٩٤ ومن اللافت للنظر، أن الترجمة الإنجليزية لمذكرات حنا وأبونا رافائيل آفامينا تفتقد فقرة من النص العربي الأصلي، يذكر فيها أبونا رافائيل أنه عندما زار البابا كيرلس السادس أبونا عبد المسيح الحبشي، بعد بضعة عقود، لم يكن البابا كيرلس يعرف أبونا عبد المسيح الحبشي على الإطلاق، وسأله عن تفاصيل حياته حيث تعرفا على بعضهما البعض. يشير هذا بوضوح إلى أنهما كانا على معرفة سطحية. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١، ومذكراتهما حول حياة البابا كيرلس، صـ ١١٢.

٩٥ تشير رسالة كتبها بعد ثلاث سنوات من دخوله حياة الوحدة (وبالتالي قد نفترض عام ١٩٣٦) أنه كان دون مرشد روحي في وحدته، وعانى من بعض المحن وفقًا لذلك. انظر، الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، ١٩٣٦".

٩٦ وهذا معروف جيدًا في التقليد الأرثوذكسي. انظر،
Kallistos Ware, *The Orthodox Way* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2003), 98.

٩٧ لقراءة مناقشة عادلة حول خرستولوجيا مار إسحق وما إذا كان "نسطوريًّا" - والذي من الواضح أنه لم يكن هكذا بالمعنى اللاهوتي، ولم يكن هكذا أيضًا التقليد السرياني الشرقي المبكر، انظر،
Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 15–25.

٩٨ غالبًا ما يُلاحظ التأثير دون تقييم مدى جذرية التأثير. الاستثناء الوحيد هي فوال. على الرغم من أنها لاحظت أن "مرجعه في الرهبنة ليس مقاريوس أو شنودة، بل هو مار إسحق السرياني"، فهي أيضًا لا توضح كيف يتغلغل هذا في حياته ويغيره، على الرغم من أنها تذكر بإيجاز كيف كان مار إسحق قد أثر على أبونا مينا في رسالته. انظر،
Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 191–92.

٩٩ على الرغم من عدم تفصيله، أدرك البابا شنودة الثالث (وهو نفسه الابن الروحي للأب مينا) بوضوح دور مار إسحق السرياني: لفترة طويلة، كان تلميذًا لأعظم معلم كتب عن الوحدة في تاريخ الرهبنة. هذا هو القديس مار إسحق. قرأت مئات من كتب النسك ولم أجد أعظم من تلك التي كتبها القديس مار إسحق عن حياة السكون والوحدة". راجع، البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس" (القاهرة، ١٩٧٢).

١٠٠ الجويلي، مقابلة مع الراهب.

[101] The account comes from a ninth-century East Syrian writing by Isho'denah, *The Book of Chastity*; cited in Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies*, pp. 52–53.

[102] Isho'denah, *The Book of Chastity*, ibid.
يتابع المصدر ليقول، "لقد تعمق في الأسرار الإلهية وألف كتبًا عن النظام الإلهي للوحدة". كما يذكر مصدر سوري غربي: "كان هادئًا ولطيفًا ومتواضعًا، وكانت كلمته لطيفة. كان يأكل ثلاثة أرغفة فقط في الأسبوع مع بعض الخضار، ولم يتذوق أي طعام مطبوخ"، ibid.

[103] Cited from Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 27.
يشكك ألفييف في تاريخية السرد.

[104] Ibid., 62.
في ذلك الوقت، تم استخدامه لتمييز الراهب المتوحد على عكس الراهب في المجمع (حياة الشركة).

[105] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 1.113.

[106] Ibid., 4.141.

١٠٧ أنا أتبع هيلاريون ألفييف في طرح سؤال مار إسحق السرياني. انظر،

Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 67.
[108] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 44.353–54.
[109] Ibid.

[١١٠] يكتب: "إذا رأى الإنسان في نفسه أنه من خلال أسلوب الحياة هذا والشركة المستمرة مع الناس يضعف ضميره وأنه في حين يسعى إلى شفاء الآخرين يفقد صحته، يجب عليه أن يرجع إلى الوراء لئلا يسمع من الرب القول 'أيها الطبيب اشف نفسك' ". راجع ٦: ١٧٤.

[١١١] المرجع السابق. يتابع مار إسحق السرياني ليقول إن الكثيرين قد شفوا، وقاموا بأعمال جبارة في العالم، لكنهم وقعوا في "الأهواء الحقيرة والبغيضة. لأن أنفسهم كانت لا تزال مريضة".

[١١٢] يبدو أن هذه العظة الرابعة والستون كانت محبوبة للغاية من أبونا مينا، حيث كان يردد قوله "أحب كل الناس، ولكن أهرب من كل الناس "- وقد أشار مرارًا وتكرارًا إلى هذه العظة واستشهد بها في رسائله.

[113] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.456.
[114] Ibid.

[١١٥] يلاحظ ألفييف أن مصطلح hubba sapya "الحب المضيء" مستعار من عظات الأنبا مقاريوس الكبير، بالإضافة إلى آباء سوريين آخرين، وقد تم شرحه في الجزء الثاني من عظات مار إسحق. تقع العظات النسكية ضمن ما يُعرف بالجزء الأول من كتابات مار إسحق، حيث تشكل المخطوطة المكتشفة حديثًا (التي عثر عليها سيباستيان بروك عام ١٩٨٣) الجزء الثاني.

[116] Part II/10, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 74–75.

وتجدر الإشارة على النحو الواجب إلى أن أبونا مينا كان على دراية بالجزء الأول (على الرغم من أنه كما ذكرنا سابقًا، تحتوي الكتب الأربعة العربية أيضًا على أقسام من الجزء الثاني والثالث)، ولكن مع ذلك، فإن مفهوم "الحب الإلهي" يملأ الفراغ الفردي، ومن ثم يفيض على العالم، كان متكررًا بغزارة خلال الجزء الأول، وبالتالي ربما كان أبونا مينا على دراية جيدة بالفكرة، وإن لم يكن على دراية بالمصطلح نفسه تحديدًا. انظر، على سبيل المثال، مار إسحق السرياني، العظات النسكية ٦٤. ٤٥٦.

[117] Part II/10, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 74–75.

[١١٨] كان الأنبا أنطونيوس يقبل مرتين في السنة من أولئك الذين يأتون لرؤيته أن ينزلوا بعض الخبز والماء من خلال السطح. لم يخرج قط، ولم ير حتى أولئك الذين أتوا إليه. ولكن يمكن سماع أصوات تصم الآذان وعنف لا يطاق. وبالنظر من خلال بعض الثقوب المحفورة، لم ير زواره أحدًا. أصبحوا خائفين للغاية، وأدركوا أن الأصوات والعنف كانت شيطانية بطبيعتها، فنادوا إلى الأنبا أنطونيوس في صرخات ضعيفة، الذي، حسب رواية أثناسيوس، عزاهم بهدوء. هذا يعطينا فكرة عن صراعاته اليومية. انظر،

St Athanasius, *Life of Antony* 12–13 (NPNF2 4:199).
[119] Ibid., 14 (NPNF2 4:200).

[١٢٠] توجد الرواية في عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١١-١٣. نظرًا لطول الرواية وطبيعتها كسلسلة من الحوارات، ستتم إعادة صياغة الاقتباسات مع الحفاظ على معناها.

[١٢١] بينما يعيد حنا "المحادثات بحذافيرها" في هذه الحلقة، يجب علينا بالطبع أن نتذكر أنه لم يكن حاضرًا بالفعل أثناء العديد من هذه المحادثات. وبالتالي، فإن هذه التفاصيل (المكتوبة بعد عقود) كانت على الأرجح معتمدة على ذاكرة أبونا مينا (وبالتالي تفسيره) للحدث. على الرغم من أنه في هذه الحالة بالذات، وبالنظر إلى صداقة حنا مع البابا يؤانس، فقد يكون قد أكد العديد من هذه التفاصيل لكتابة تفاصيل موثوق بها. يمكن أن يكون هناك تعليقات مماثلة على أحداث أخرى لم يحضرها حنا (أو أبونا رافائيل آفامينا) فعليًا، ولكن يذكرونها بالتفصيل.

[١٢٢] كتب أبونا رافائيل آفامينا أنه في مرحلة ما، سعى بعض رؤساء الكهنة إلى ضم كنيسة مارمينا في مصر القديمة لوضعها تحت سلطة دير البرموس. انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٤٧.

[١٢٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٣. هناك بعض اللبس في المصادر العربية حول عدد الرهبان المطرودين. يقول حنا، على سبيل المثال، أن هناك سبعة (باستثناء أبونا مينا)، في حين أن أبونا صموئيل تواضروس السرياني (تاريخ البطاركة، ١٧١)، ذكر أن هناك سبعة، بما في ذلك أبونا مينا.

[١٢٤] الأنبا مكاريوس، "رسالة إلى القمص يوسف البرموسي، ٢٠ أغسطس ١٩٥٦"، الرسالة ١٤ (دير البرموس: ١٩٥٦). تم اكتشاف هذه الرسالة من بين أمور أخرى في سجلات الدير وكانت موجهة إلى أحد الرهبان السبعة المنفيين. لم يتم ذكر أسباب تحدي الرهبان. الرواية الأخرى الوحيدة التي أعرفها هي رواية أبونا صموئيل تواضروس السرياني، والتي تعطي أيضًا اسم رئيس الدير باسم أبونا برنابا، بالإضافة إلى الإشارة إلى أسماء الرهبان المطرودين. انظر صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ البابوات، صـ ١٧١.

[١٢٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٩؛ الأنبا مكاريوس، الخادم الحبشي للمسيح، صـ ٢٧-٢٨.

[١٢٦] دخل أبونا برنابا (١٨٧٤-١٩٦٣) الدير عام ١٨٩٧، وعُين نائبًا لأبروشية المنوفية لمدة ثماني سنوات، وعمل أمينًا لخزانة البطريركية لمدة ستة عشر عامًا، ثم عُين "رئيسًا" لدير البرموس من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٤٨. لوحظ أنه كان يزور الدير كل ثلاثة أشهر، قبل أن يستقيل عام ١٩٤٨ ويصبح وكيلاً للبطريركية حيث (كما سنرى) يلتقي مع أبونا مينا مرة أخرى. خدم في مناصب مختلفة خارج الدير قبل نياحته في مارس١٩٦٣. لقراءة سيرة ذاتية موجزة، انظر أبونا أغسطينوس البرموسي، دير البرموس، ٢٢٥ - ٢٢٦.

[١٢٧] تكرر هذا القلق في عدة نقاط في الحوار. يبدو أن أبونا مينا لم يكن منزعجًا بشكل خاص من معاقبة الرهبان المسنين بسبب عصيانهم، بل كان يخشى أنهم "سيفقدون الرجاء" ويزدادون يأسًا.

[١٢٨] هناك أصداء هنا لنصيحة مار إسحق السرياني (وهي عظة أبونا مينا المفضلة الرابعة والستون) بأنه لا ينبغي للمرء أبدًا أن يترك الوحدة من أجل "شفاء العالم"، ولكن مع ذلك يجب على المرء أن يتألم من أجل شفاء أي شخص "يوضع مباشرة بين يديك". مار إسحق السرياني، العظات النسكية، ٦٤.٤٥٦.

[١٢٩] أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، ١٧٣-٧٥. للحصول على تقرير خول ابويته، انظر أيضًا،
van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 112–20; Mounir Shoukry, "John XIX," in *CE*, 1351a;
إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية ٦: ١١-١٠٣.

[١٣٠] انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، ٢٣٢ - ٢٣٤. وتشير الرواية إلى أنهم طُردوا ظلمًا. عوض البرهيمي (ت. ١٨٧٨) عاش وحده في الدير لمدة ثلاث سنوات. تُرك عوض ليعيش بمفرده باعتباره الراهب الوحيد المتبقي لمدة ثلاث سنوات حتى انضم إليه أحد الرهبان المطرودين: حنا الكاتب (البابا كيرلس الخامس) (١٨٢٤-١٩٢٧). انضم إليهم أيضًا أبونا جرجس المسعودي الكبير (١٨١٨-١٩٠٦)، عم عبد المسيح المسعودي، في عام ١٨٥٧، بعد خلاف ليس له علاقة بالموضوع في دير المحرق.

[١٣١] لاحقًا، أضيفت المنوفية أيضًا إلى سلطته.

[132] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 112; Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 30–31.

[133] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 112.

[١٣٤] تدعي إيريس حبيب المصري أن البابا يؤانس هدد بحرم أبونا مرقس داود لكنه تراجع في النهاية عندما أوضح أبونا مرقس أن توفير المأوى ليس أساسًا لمثل هذا الإجراء. وتشير أيضًا إلى أن هذا كان سبب صداقة أبونا مينا المستمرة مع أبونا مرقس. لمناقشة علاقتهما وسيرة أبونا مرقس داود، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٨٥-٩١. زقلمة، البابا كيرلس السادس ١:٩٥. لاحظ أيضًا انطباع أبونا داود الأول عن أبونا مينا: "تأثرت بحضور ذلك الراهب الذي أذهلني برغبته في الوحدة وصلاة القداس". انظر نبيل عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود مع البابا كيرلس السادس (القاهرة: مطبعة الإخوة المصرية، ١٩٩٣)، صـ ٩.

[١٣٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٢. ومن الكهنة المذكورين الأب الشهير يوحنا شنودة.

[١٣٦] المرجع السابق. الغريب أنه على الرغم من كونه ناسكًا منعزلاً، فقد أصبح معروفًا جيدًا - ربما من خلال مجلته الروحية.

[١٣٧] المرجع السابق.

[١٣٨] المرجع السابق.

[١٣٩] المرجع السابق. يبدو أن بعض رجال الكهنوت في البطريركية تحدثوا إليه بوقاحة، بعد أن سمعوا أنه قد عصى رئيس الدير.
[١٤٠] يدعي حنا أن البابا يؤانس أرسل الأنبا توماس أسقف الغربية (١٨٩٩ - ١٩٥٦) للقاء الرهبان بعد العفو عنهم. وليس من الواضح لماذا. تشير المذكرات إلى أن الأنبا توماس قد تم إرساله لمنح الرهبان مساعدة مالية حتى يتمكنوا من العودة إلى دير البرموس. لكن في الوقت نفسه، قام الرهبان، بعد لقائهم مع الأنبا توماس، بزيارة البابا يؤانس لطلب الغفران قبل أن يشقوا طريقهم إلى الدير. وبغض النظر عن ذلك، تتوافق الحكاية مع الحوار الرئيس: يبدأ الأنبا توماس بشكل مفاجئ في مهاجمة الرهبان بسبب عصيانهم. يدافع أبونا مينا عنهم مرة أخرى مذكرًا الأنبا توماس بأنه كان يتذكره على أنه "راهب متواضع وفقير" عندما درسوا في حلوان معًا - كان الأنبا توماس أيضًا راهبًا في دير البرموس من عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٣٠ - في حين أن الأنبا توماس الآن يحابي بعض الناس. كانت درجة الرفاهية "غير مقبولة عند الله". وغني عن القول إن الأنبا توماس اعتذر. ويرد الحوار في المرجع نفسه، صـ ١٣.
[١٤١] المرجع السابق.
[١٤٢] فيلبي ٢: ٦-٨.
[143] Michael J. Gorman, *Inhabiting the Cruciform God: Kenosis, Justification, and Theosis in Paul's Narrative Soteriology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2009), 16–17.
[١٤٤] وقد اقترح عدد من علماء العهد الجديد هذا، بما في ذلك Moule، N.T. Wright، Bockmuehl، Fowl، من بين آخرين. للمناقشة انظر،

ibid., 22–29.
[145] Ibid., 28–29.

ويصفها جورمان على نحو ملائم بأنها "السمة التأسيسية للهوية الإلهية".
[١٤٦] فيلبي ٢: ٥. على سبيل المثال، في ١ كورنثوس ٩: ١-٢٣، يذكر بولس أنه "على الرغم من" أنه كان من حقه كرسول أن يأخذ زوجة، إلا أنه لم يستغل هذا الحق، بل استعبد نفسه لاحتياجات أهل كورنثوس. بعبارة أخرى، هو يشارك في الإخلاء الذي فعله المسيح.
[١٤٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٢.
[148] See van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 132.
يكتب حنا أيضًا عن أبونا مينا - في خيانة لإعجابه المتحيز (رغم أنه ربما يكون مفهومًا): "يمكن الآن رؤية صورة دقيقة لهذا النوع من الراهب الخجول والهادئ، الممتلئ من نعمة الله. وكان مظهره يظهر التواضع والضعف، لكنه كان شجاعًا يدافع عن الحق بلا هوادة". انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٢.
[١٤٩] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مكاري الصموئيلي، أكتوبر ٢٧، ١٩٥٠"، في مجموعة أبونا رافائيل، الجزء الأول، الرسالة ٢١٠/٢٤٦ (مصر القديمة، ١٩٥٠).

٤

طاحونة المقطم

صانع معجزات غير متوقع

(١٩٣٦ - ١٩٤١)

اختيار غريب للإقامة: طاحونة الهواء (١٩٣٦)

كن بسيطًا، ومختفيًا، وهادئًا، ومتواضعًا

توماس هوبكو

استعد الرهبان السبعة المسنون لمغادرة القاهرة إلى دير البرموس في موجة الحر الشديدة في يونيو ١٩٣٦، ولاحظوا الغياب الغريب للأب مينا. لن يعود أبونا مينا معهم.

بمجرد أن حل مشكلة طردهم، تقدم أبونا مينا بطلب غريب إلى البابا يؤانس وقال وهو يخطره ولا يطلب منه: "أريد بعون الله أن أبقى في الجبل الشرقي... في إحدى طواحين الهواء. إنها منعزلة مثل القلاية..."[١] كان البابا يؤانس يعرف هذه المنطقة من الصحراء جيدًا. وعلى الرغم من كونها صحراء مقفرة، إلا أنها أصبحت منطقة سيئة السمعة كمأوى منعزل للأعمال المشبوهة. لم يكن البابا يؤانس قلقًا فقط على الراهب؛ ولكنه كان مرتبكًا. كانت فكرة الوحدة تسيطر على فكر أبونا مينا منذ سنواته الأولى. فلماذا اختار الآن ألا يعود إلى مغارته في دير البرموس؟ المدهش أن هذا السؤال لم يتم ذكره في أي كتاب عن البابا كيرلس.

أول تلميح عن هذا الأمر يذكره حنا عما قاله أبونا مينا للبطريرك: "يخبرني قلبي أنني سأستقبل نعمة الله المعزية في هذا المكان".[2] يدعي مرة أخرى، أنه شعر ببعض "التوجيه الإلهي" لهذا الموقع، تمامًا كما شعر في السابق مع المغارة. ولكن هناك اقتراح آخر يقول إنه ربما سعى بشكل معقول للهروب من غضب رئيس الدير الهائج والمحَرج بشدة، والذي، على ما يبدو، لن ينسى قريبًا تدخل هذا الراهب الشاب.[3] يبدو كلا التفسيرين معقولين. ستضع فضيحة الرهبان المطرودين دائمًا توحد أبونا مينا تحت المراقبة، وعلى الأقل سيكون اختفاءه موضع تساؤل. وبالتالي، فإن طاحونة الهواء البعيدة التي لا اسم لها في ضواحي مصر القديمة ستوفر عزلة أكبر حتى من مغارة في الصحراء. يبدو أن اهتمام أبونا مينا الأول هو أن يكون "بسيطًا، مختفيًا، هادئًا، ومتواضعًا"،[4] وغير معروف للجميع ما عدا الله.

من الغريب أن نلاحظ هنا أن معظم المصادر الغربية (بعد ميناردس) تدعي أن اختيار الطاحونة لم يظهر إلا بعد أن رفض البابا يؤانس الالتماس الأصلي الذي قدمه أبونا مينا بأن يقيم ويعيد بناء دير مارمينا في مريوط.[5] لكن الإشارة الوحيدة إلى هذا الطلب بالذات في المصادر الثانوية التي كتبت باللغة العربية عن حياة البابا كيرلس تذكر أن هذا الطلب تم تقديمه بعد أكثر من ستة أشهر.[6] في يناير ١٩٣٧، نشر المحامي ماهر مرجان مقالاً أعرب فيه عن أسفه لخراب الموقع في مريوط.[7] تلقى مرجان بعد شهر تقريبًا، رسالة من أبونا مينا يطلب فيها من الجمعية التوسط عند البابا من أجل إعادة بناء الدير. لم تجد مناشداتهم آذانًا صاغية. ثم سافر ماهر بنفسه وابنه إلى الطاحونة لإبلاغ أبونا مينا بقرار البابا يؤانس. على الرغم من محاولات التدخل من قبل أصحاب النفوذ، رفض البطريرك رفضًا قاطعًا بسخرية مؤسفة قائلاً: "هل انتهينا من إعادة بناء المدن لنبدأ في إعادة بناء الصحراء؟"[8]

لا شك أن طاحونة الهواء كانت اختيارًا غريبًا للإقامة. اختار أبونا مينا المكان قبل لقائه بالبطريرك منتصف عام ١٩٣٦، عندما كان لا يزال يخدم الرهبان المسنين المنفيين في مصر القديمة في منزل مستأجر بالقرب من دير رئيس الملائكة

ميخائيل.[٩] حسب مذكرات حنا كان مينا يهرب كل يوم من ضجيج المدينة ويصعد إلى الجبل الذي بُني عليه الدير. في إحدى المرات أثناء تجواله عبر بقايا طواحين الهواء التي بنيت أثناء حكم نابليون، صادف أحد حراس المنطقة. قيل له إن تلك المنطقة الصحراوية الواقعة جنوب شرق القاهرة هي محمية تابعة لوزارة الآثار العربية. وبناءً على ذلك، فإنه من غير القانوني أن تسكن طواحين الهواء دون إذن صريح من المدير نفسه. وأضاف الحارس أنه لم يتم منح أي شخص مثل هذا التصريح (على الرغم من أننا نتخيل أن هناك عددًا قليلاً جدًّا قد تقدموا بطلب).[١٠]

يختلف المصدران الأكثر مصداقية في هذه المرحلة، توجد الرواية الأكثر شهرة في مذكرات حنا.[١١] بعد أن ذكر الحارس اسم مدير وزارة الآثار العربية، أدرك أبونا مينا على الفور أن حسن فؤاد هو الذي زاره ذات مرة (مع عالم لاهوت أمريكي) في مغارة دير البرموس عام ١٩٣٤.[١٢] مما لا شك فيه أن هذه الصدفة الواضحة شجعته على زيارة مكتب المدير الذي سارع بعد سماعه اسم المتوحد إلى معانقة أبونا مينا. تم إعداد عقد إيجار على وجه السرعة لطاحونة الهواء بإيجار رمزي، وقام المدير نفسه بدفع الإيجار "لفترة طويلة" ووجه موظفيه لتلبية احتياجات الراهب شخصيًّا.[١٣]

عقد الإيجار الأصلي مازال موجودًا وتم وضعه هنا كاملاً كدليل موثق لهذه المرحلة العارضة:

> أنا الموقع أدناه، الكاهن الراهب مينا البرموسي، أعلن أنني سأتخذ إحدى طواحين الهواء بجوار "قباب البنات السبع" في جبل حوش أبو علي كمسكن، وأعيش بمفردي للعبادة، بعد الحصول على إذن من مدير هيئة الآثار العربية بالإنابة، وسأدفع نصف قرش شهريًّا إيجارًا لهذا المكان، والذي سيكون ملكًا للحكومة دائمًا، ولها الحق في استعادته في أي وقت دون سابق إنذار.
>
> وقعه في ٢٣ يونيو ١٩٣٦ مدير هيئة الآثار العربية بالإنابة؛ حسين راشد. شاهد: زكي عبده؛ مهندس بمحطة ترام مصر القديمة.[١٤]

وهنا، مع تقديم "القائم بأعمال المدير" حسين راشد، وليس حسن فؤاد كما زعم حنا - تتعقد التفاصيل. فبالرجوع لمصدر سابق آخر، في مقال بصحيفة الوطني في ١٠ مايو ١٩٥٩ (يوم رسامة أبونا مينا بطريركًا)، يذكر الاسم نفسه الذي تم ذكره في عقد الإيجار وهو اسم مدير الهيئة بالإنابة حسين راشد.[١٥] المقال دقيق تمامًا فيما يتعلق بالتواريخ والادعاءات التي تمت كتابتها بعد الرجوع إلى سجلات وزارة الآثار العربية.[١٦]

وبحسب هذه الرواية، فقد التقى زكي عبده في ٢١ يونيو ١٩٣٦ بمدير الهيئة بالإنابة للحصول على إذن لـ "صديق له، راهب زاهد كان يرغب في العيش في وحدة في إحدى الطواحين". راشد، على الرغم من كونه مسلمًا، كان مفتونًا بتاريخ الرهبنة ومنح الإذن للراهب، الذي يوضح المقال أنه "لم يكن معروفًا له". في اليوم التالي، يتابع المقال، رشح راشد طاحونة هوائية. كان أبونا مينا مستاءً إلى حد ما بالنظر إلى أنه كان يسعى إلى الوحدة الكاملة. كانت الطاحونة المختارة، على الرغم من أنه لا يزال من المستحيل العثور عليها من دون دليل، على بعد مائتي متر فقط من أقرب مركز أمني.[١٧] يبدو أن مدير الهيئة بالإنابة، مثل البطريرك، كان لديه مخاوف بشأن سلامة الراهب بسبب الأعمال المشبوهة في المنطقة. هذه التفاصيل تقف بصورة واضحة ضد تجميل إيريس حبيب المصري للقصة بأن أبونا مينا اختار أقل طاحونة "بسبب زهده"، إلى قبول راشد و"اندهاشه".[١٨] في اليوم التالي، ٢٣ يونيو ١٩٣٦، تم توقيع عقد الإيجار في مكتب راشد مقابل نصف قرش شهريًا.[١٩]

لا يمكن شرح التناقضات التي تم ذكرها في المصادر بسهولة. يزعم أحد المصادر اللاحقة (والأكثر موثوقية) أن الاسم الكامل للمدير هو "حسين فؤاد راشد".[٢٠] لكن رغم ذلك، حسين وحسن اسمان مختلفان في اللغة العربية. لذلك يمكن أن نقول إن حنا ذكر خطأ الاسم (بعد حوالي أربعين عامًا) باسم حسن، في حين كان في الواقع اسمه حسين.[٢١] قد يفسر هذا أيضًا اهتمام المدير بالرهبنة القبطية في مقال الوطني، مما

ينفي إمكانية حدوث لقاء سابق (غير معروف لمؤلف مقال الوطني) مع أبونا مينا في صحراء وادي النطرون. في عام ١٩٣٤.[٢٢]

لكن هناك اتفاق بالإجماع في المصادر على أحد التفاصيل على الأقل: كان انتقال الراهب الشاب إلى الطاحونة غير ملحوظ، من دون استعراض، ومخفي حتى عن أقرب أصدقائه.

كان أبونا مينا، الذي يعيش مجهولاً في طاحونة مهجورة، ينزل إلى "العالم" مرة أخرى كل يوم أحد، في هدوء إلى دير رئيس الملائكة ميخائيل القريب من أجل حضور القداس الإلهي. ثم يختفي فجأة بعد ذلك مباشرة. لاحظ أبونا مرقس داود (١٨٩٢–١٩٧٠)، الذي كان قد وفر مأوى للرهبان السبعة المطرودين في أول ليلة لهم في مصر القديمة، هذا السلوك غير المعتاد. من الواضح أن أبونا مينا لم يعد إلى دير البرموس.[٢٣]

في النهاية، بعد عدة أسابيع، اتصل أحد أبناء الكنيسة؛ مرقس بك فهمي (أحد المحسنين للأب مينا أثناء نفيه في الشهر السابق)، الذي بدأ أيضًا يلاحظ الظهور العابر للمتوحد الشاب.[٢٤] علق أبونا مرقس: "هذا ما يفعله دائمًا".[٢٥] وبدافع من الإعجاب وحب الاستطلاع، أرسلوا في يوم الأحد التالي شابًا ليتبع الراهب سرًّا ويعرف أسلوب حياته. وجد الصبي الراهب يعيش في طاحونة هوائية متهالكة وأبلغ أبونا مرقس بذلك على الفور. جمع أبونا مرقس بسرعة عددًا من أبناء الكنيسة وكاهنًا، وتوجه إلى العنوان المذكور في الركن الجنوبي الشرقي من جبل المقطم.[٢٦] وقفت أمامهم، على رأس واد عميق، طاحونة متهالكة، مكشوفة للعوامل الجوية، من دون سقف ولا باب.[٢٧] وعندما لم يجدوا شيئًا يطرقونه، دخلوا ببساطة. وجدوا الراهب المسكين جالسًا على الأرض، وظهره إلى الحائط، يقرأ رسائل الأب يوحنا سابا (الشيخ الروحاني) من القرن الثامن. لم يكن هناك قطعة أثاث واحدة.[٢٨] واعتراهم الصمت. "ما أنا؟" قدم أبونا مينا نفسه حسب مذكرات حنا. "أنا مجرد دودة، ولست إنسانًا".[٢٩]

طاحونة الهواء، المعروفة باللغة العربية باسم الطاحونة، واحدة من خمسين طاحونة هوائية في الصحراء جنوب شرق القاهرة - كانت تُعرف سابقًا باسم "تل الطواحين". تم تشييدها خلال حملة نابليون بونابرت في الشرق في ١٧٩٨-١٧٩٩ قبل أن يجبر البريطانيون الفرنسيين على الجلاء عام ١٨٠١.[٣٠] في النهاية أُهملت طواحين الهواء، وانهارت الأجزاء العلوية إلى الداخل، وقام الزبالون الانتهازيون بخلع الأبواب الخشبية والنوافذ وحتى السلالم. كانت طاحونة أبونا مينا بارتفاع ستة أمتار وعرض مترين ونصف المتر، وهي عبارة عن بقايا هيكل أسطواني من الحجر والطين والخرسانة من طابقين.

كان من الواضح أن الحالة غير مرُضية. كان أبونا مينا تحت رحمة الطبيعة، ينام على الأرض على قماش خيش، ويعيش على العطايا التي تأتيه حين لآخر من الطعام وحصة من الماء تنظمها وزارة الآثار العربية.[٣١] تم إرسال بناة وعمال على وجه السرعة. خلال الأسابيع القليلة التالية، تم بناء سقف، وتم تنفيذ الأعمال الإنشائية، وإنشاء سلم، وتركيب باب. توضح صورة تخطيطية رائعة لتلك الفترة (على الأرجح بيد أبونا مينا) تخطيط طاحونة الهواء.[٣٢] وكان الطابق السفلي يحتوي على طاولة مستديرة واحدة بها كراسي، ورفوف لبعض المواد الغذائية الأساسية، وفرن كيروسين للطبخ وخبز القربان، ووعاء ماء خزفي، وحمام صغير أسفل السلم. كان السلم من الحجر والخشب، ويؤدي إلى طابق علوي به نافذة صغيرة. في الطرف الشرقي، كان هناك مذبح مصنوع يدويًّا بيد أبونا مينا، ومنبر للقراءات، وحامل أيقونات بدائي محاط بعدد كبير من مصابيح الزيت التي يبدو أنها كانت مضاءة باستمرار، والتي ادعى العديد من الزوار أنها ساعدت على تمييز طاحونة الهواء من الطواحين الأخرى في الليل.[٣٣] والمدهش، على الرغم من أن هذا قد لا يكون مفاجأة الآن، أن الرسم التخطيطي لا يذكر وجود أي سرير![٣٤]

بعد فترة وجيزة من إعادة بناء الطاحونة، تم الاحتفال بالقداس الافتتاحي، والذي قد يمثل بداية "الرهبنة العامة" للأب مينا.[٣٥] قدَّم أبونا يوحنا شنودة احتياجات

المذبح، وأحضر أبونا مرقس داود القربان. وكان من بين الحاضرين أيضًا اثنان من العلمانيين المعروفين؛ مرقس بك فهمي ويعقوب بك مكاري، وشماس مسن اسمه مليكة (سيتم التحدث عنه لاحقًا)، وأخيرًا شاب يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا.[٣٦]

من غير الواضح لماذا كان ذلك الشاب؛ رمزي قلدس (١٩١٩-١٩٨٩)، حاضرًا في القداس، لكن حياته ستكون مرتبطة بأبونا مينا من ذلك اليوم فصاعدًا.[٣٧] انضم رمزي قلدس في العام التالي، في عام ١٩٣٧، إلى أبونا مينا في طاحونة الهواء قبل أن يتم رسامته راهبًا بعد ذلك بسنوات قليلة، ويُعرف باسم مينا "الصغير" لتمييزه عن أبونا مينا "المتوحد".[٣٨] وفي النهاية أصبح أسقفًا لدير القديس الأنبا صموئيل في الفيوم. لدينا وصف نادر وثمين جدًّا لحياة أبونا مينا بيد رمزي قلدس خلال هذه السنوات - في الواقع، ربما يكون المصدر الوحيد الموثوق به لحياته الداخلية في أواخر الثلاثينيات. يتذكر رمزي:

> كان يستيقظ في الثانية صباحًا، ويبدأ صلاة منتصف الليل، ثم التسبحة، ويخبز القربان، ويرفع البخور [أي صلاة باكر]، ثم القداس الذي ينتهي في حوالي الساعة الثامنة صباحًا. وهذا يعنى ٦ ساعات متواصلة في الصلاة. وبعد ذلك يجتمع مع الجياع والعطاش إلى مراحم الله. هذا مريض يبحث عن علاج يصل إليه بصلوات أبونا مينا. وآخر يريد أن يتخذ قرارًا مهمًا وفي حاجة إلى إرشاد الله... والثالث تعذبه الشياطين ويشفي... يواصل أبونا مينا، الذي كان يصوم حتى الثالثة مساءً، صلاته وقراءاته بعد تسديد احتياجات من يطلبونه. في المساء يرفع بخور صلاة الغروب... كل من جلس مع أبونا مينا نال عزاءً إلهيًّا... عزاءً سماويًا... حتى يغادر الإنسان وهو يشعر أن السفينة قد وجدت ميناءً حقيقيًّا وامتلأت نفسه بالسلام.[٣٩]

هذا الجدول المرهق كما نرى (كان عادته اليومية منذ أن كان في المغارة) سيبقى ثابتًا لبقية حياته، حتى لحظاته الأخيرة. كان يصرف زواره في نهاية كل يوم بالكلمات المميزة "لدينا عمل [لنفعله]".[٤٠] وقصد بهذا بوضوح الصلاة. أما عن نظامه الغذائي، فقد أجمعت المصادر على وصف النسك الشديد للأب مينا.

يتابع رمزي:

> لم يكن يهتم أبدًا باحتياجاته الجسدية. لا يهتم سواء أكل أم لا. كان يأكل الخبز مع أي توابل مطحونة مثل الكمون أو الملح، ويعلق على مدى حلاوة مذاقها. كان دائما شاكرًا لله على كل شيء.[٤١]

تركت سنوات الزهد علامات روحية وجسدية لا تمحى. وتكشف صورة نادرة للرجل الذي يبلغ من العمر الآن أربعة وثلاثين عامًا في طاحونة الهواء (الصورة الأقدم كانت له وهو راهب) عن التحول الجذري في ملامحه عن تلك التي في البطاقة الشخصية قبل عقد من الزمان. غطى على الشارب الأنيق لحية سوداء كثيفة، وحل محل البدلة جلباب أسود وعباءة سوداء (فراجية)، وحل محل الطربوش شال أسود طويل. كان يحمل في يده اليمنى صليب خشبي مميز، وفي يده اليسرى كتاب مقدس صغير. أصبح أنحف مما كان نتيجة ١٠ سنوات من الجهاد النسكي، وجهه رياضي، وربما أصبح أنحف قليلاً. تغيرت نظراته: ما زالت إلى حد ما جاذبة ومتحفظة، ومع ذلك فهي أكثر جدية، وأكثر عمقًا، وثاقبة، تثير شعورًا بالرهبة إلى حد الخوف، تعكس قوة هائلة وفي الوقت نفسه تخفيها.[٤٢]

تذكر التلميذ الشاب محادثة أخرى لا تُنسى مع المتوحد.[٤٣] في يوم ما خلال هذه السنوات الأولى في طاحونة الهواء، تجرأ مينا الأصغر، في صورة مزاح، عندما رأى طقس الصلاة اليومية المرهقة للأب مينا، على الرغم من أنه ربما كان مدركًا لإمكانيات أبيه الروحي، إلا أن مينا الأصغر بادره قائلاً "إذا اختارك الرب لتصبح بطريركًا، فماذا ستفعل؟" كانت المحادثة مثل كل التساؤلات الافتراضية، مجرد مزاح، ومع ذلك فقد كشفت عن أساس هذه السنوات في طاحونة الهواء، وكشفت عن جوهر كيان أبونا مينا. نظر المتوحد بتمعن في عيني تلميذه وكان على استعداد للحظة أن يتجاوب معه: "أود أن أجعل كل الكنائس تقيم قداسًا يوميًّا".

تساءل تلميذه "ولكن أنت تعلم أن للكهنة عائلات والعديد من المسؤوليات الأخرى؟" فأجاب أبونا مينا "حسنًا... على الأقل يومي الأربعاء والجمعة". ازداد

التلميذ جراءة، ووجه له سؤالاً افتراضيًّا آخر "ولنفترض، إذا حدث وكان هناك كنيسة فقيرة، ولا تستطيع استئجار شخص لخبز القربان؟" أجاب أبونا مينا برقة وعيناه تلمعان: "سأصنع القربان في البطريركية، وأسلمه إلى الكنائس بالسيارات".[٤٤]

الصلاة بدالة أمام الله والمعجزات (١٩٣٦-١٩٤٠)

لا يوجد شيء تعجز عنه الصلاة.

لتكن الصلاة هي المرآة التي ترى فيها نفسك كل يوم، ولتكن الميزان الخاص بك الذي تزن قلبك عليه

البابا كيرلس السادس

"متى أصبح [أبونا مينا] قديسًا؟" استفسرت المؤرخة الفرنسية بريجيت فوال. وتجيب: "جميع المصادر تتفق على هذه النقطة".[٤٥] حدث هذا في الطاحونة؛ في خلال أشهر، اشتعلت شهرة أبونا مينا في جميع أنحاء مصر القديمة، على الرغم من رغبته الحاسمة في الوحدة. حدث في هذه الفترة عدد لا يحصى من معجزات الشفاء والنبوءات والرؤى والأحداث الإلهية غير العادية.[٤٦] بدأت هناك المعجزات الكثيرة (أو على الأقل أصبحت معروفة على نطاق واسع)، وبالتالي، حدث هذا هناك في طاحونة الهواء في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي حيث أصبح أبونا مينا على مضض "راهبًا عامًّا"، أو على حد تعبير البعض "قديسًا".

كانت الصلاة في قلب هذه المعجزات. في الأدب المسيحي المبكر، غالبًا ما يُشار إلى هذه "الصلاة" بكلمة باريسيا (parrhesia) وهي كلمة يونانية تعنى "حرية قول أي شيء" أو "جرأة الكلام" - حيث يستطيع "القديس" أن يشفع في المؤمنين بسبب دالته عند الله.[٤٧] وهذا هو أكثر ما ميَّز هذه السنوات الست (الأكثر تشكيلاً في حياته) في طاحونة الهواء.[٤٨] كان الزوار يتسلقون تلال الصحراء القاحلة بأعداد كبيرة على أمل أخذ بركة الرجل القديس.[٤٩] وكان البعض يأمل في الشفاء، والبعض الآخر يريد الارشاد. كتب أحد الباحثين "يُعتقد أن المعجزات التي لا تعد ولا تحصى حدثت خلال هذه الفترة".[٥٠] مكتوب في مذكرات حنا، عندما رأى عدد غفير من الشعب من جميع أنحاء مصر طلبوا شفاعة أبونا مينا، أن "الله يقبل صلواته".[٥١] وهكذا، في مرحلة مبكرة من هذه السنوات، اضطر إلى تحديد "وقت لزيارة" طاحونة

الهواء، وتعديل حتى ساعات القداس اليومي من أجل حضور الشعب.[٥٢] لقد كان محط إعجاب شديد للغاية لدرجة أنه أصبح ضروريًّا الحصول على ورقة مكتوبة بخط يده - وليست "تعويذة" غامضة مكتوبة باللغة القبطية كما يتصور حسن عن طريق الخطأ.[٥٣]

لكن - وعلينا أن نوضح ذلك بشكل كافٍ - لا ينبغي أن يُوحى هذا الافتراض بأن مصر في منتصف القرن العشرين كانت مليئة بالخرافات والجهل. كتب عالم قبطي ألماني غزير الإنتاج أنه "لا توجد فترة أخرى في التاريخ المسجل للكنيسة القبطية، شهدت العديد من التقارير عن أحداث غير مألوفة وغير عادية".[٥٤] لا يوجد الكثير من المعجزات في المصادر تُنسب إلى البطاركة قبل أبونا مينا؛ ولا تنسب أيضًا إلى خليفته المباشر البابا شنودة الثالث (١٩٢٣-٢٠١٢)، وهو بطريرك كان يحظى بتقدير كبير لدى الأقباط. ولا لحبيب جرجس المعاصر (١٨٧٦-١٩٥١)، الذي يمكن أن نضيف أنه تم الاعتراف بقداسته مع أبونا مينا. بعبارة أخرى - ومرة أخرى يجب أن نكرر ذلك - كان المتوحد الذي يعيش في الطاحونة حالة نادرة إلى حد كبير. وهكذا ظهر أبونا مينا: "رجل قديس" في مصر القرن العشرين؛ رجل يستطيع أن يتكلم بدالة أمام الله.

ذكر أبونا رافائيل آفامينا (تلميذه) إحدى أقدم المعجزات في الطاحونة.[٥٥] في أواخر عام ١٩٣٦، أمر القائم بأعمال مدير وزارة الآثار العربية موقع الحراسة القريب (حوالي مائتي متر من طاحونة الهواء) بتزويد الراهب بمياه الشرب والغسيل بالإضافة إلى المواد الغذائية الأساسية.[٥٦] قام الحارس، الذي يُدعى عم السيد في صباح أحد الأيام من النوم خاملاً، ونظرًا إلى أنه كان يصعد صعودًا شاقًا إلى أعلى التل وبيده دلو ثقيل، فقد قرر عدم حمل الماء إلى أبونا مينا. ومع مرور الساعات في حرارة النهار نفدت حصص المياه السابقة؛ وبحلول الظلام، سيكون من المستحيل تقريبًا الحصول على الماء، مما يحول دون إمكانية إعداد قربان للقداس في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي.

استيقظ أبونا مينا فجأة، عند منتصف الليل على طرقات محمومة على باب الطاحونة. نهض من الأرض ليجد الحارس مرعوبًا بشكل واضح، والعرق يتصبب منه، ويحمل، في ارتجاف، دلوًا كبيرًا من الماء، وكان يتكلم بشكل هستيري قائلاً إنه منذ لحظات ظهر له رجل يشبه في مظهره أبونا مينا، ووبَّخه قائلاً: "خذ الماء وانقله، لئلا تنال عقابًا شديدًا". لم ينزعج أبونا مينا وكان رد فعله طبيعيًّا كما لو كان يتوقع ذلك تقريبًا، لم يكن لدى المتوحد سوى تصحيح واحد: لم يكن هو من ظهر للحارس، لقد كان، في الواقع، مارمينا.[٥٧]

تضيف المصادر اللاحقة هالة من القداسة للقصة من ضمنها على سبيل المثال رواية واحدة لا تُنسى، وهي أن مارمينا كان يمتطي حصانًا ويخيف الحارس.[٥٨] ولكن ما يهم، على الأقل في الوقت الحالي، هو عمل "الشفاعة المزدوجة" الغريب للراهب أبونا مينا المتوحد ومارمينا.[٥٩] ستكون هذه المعجزة النموذج وستكون هي الأولى من بين العديد من المعجزات.

إن انتشار معجزات الشفاء، من بين عدد لا يحصى من المعجزات المنسوبة إلى أبونا مينا، هو أكثر ما يميز مصادر هذه الفترة. يتعلق اثنان من أقدم حالات الشفاء بأقرب الأشخاص إلى أبونا مينا. الرواية الأولى - شفاء شماس اسمه مليكة - يكاد يكون من المستحيل التحقق منها تاريخيًّا، نظرًا لعدم وجود مصدر مبكر أو موثوق للمعجزة.[٦٠] ومع ذلك، فهي تتكرر كثيرًا في المصادر وهي ذكرى محبوبة للغاية ويتم روايتها كثيرًا عن معجزة الشفاء الأولى.

في أواخر عام ١٩٣٦ عاش شماس مسن بالقرب من طاحونة الهواء، وقد أُصيب بالأنفلونزا ونوبة من الالتهاب الرئوي.[٦١] لم يكن العلاج مجديًا، كما يزعم المصدر، (كانت المضادات الحيوية المتاحة الآن على نطاق واسع ستظهر بعد عشر سنوات)، وسرعان ما أصيب بفشل احتقاني في القلب وبدأ يتأرجح بين فقدان الوعي والعودة إلى الوعي مرة أخرى، وقد قيل إنه تم الاستعداد لجنازته. غادر الطالب عزمي فريد جرجس المنزل في ذلك الصباح لإكمال بعض المهام في الجامعة، وهو طالب طب كان

يتقاسم المنزل مع الرجل المسن، قبل أن يعود لمساعدة الأسرة في توقع الوفاة الوشيكة لمليكة. ولكن لصدمته - لدرجة أنه كاد أن يغمى عليه - وجد الشماس المسن مستلقيًا في منتهى الراحة ويقشر برتقالة، بعد أن كان قد تناول عشاءه للتو. بعد ساعات قليلة، أوضح مليكة لطالب الطب غير المصدِّق لما يجرى، أن المتوحد جاء من الطاحونة لزيارته (نفترض أن هذا كان بناءً على طلب الأسرة)، وجلس بجانبه، وصلى، ثم شرع في مسحه بالزيت (مسحة المرضى).

طلب أبونا مينا من مليكة قبل مغادرته أن يأتي يوميًّا إلى طاحونة الهواء ليشاركه في القداس الإلهي. استعاد الرجل المسن عافيته تمامًا في خلال ساعات قليلة. وكان يفي بوعده كل يوم، حيث خدم كشماس مع أبونا مينا للسنوات الست التالية في طاحونة الهواء (منذ القداس الأول) ثم في وقت لاحق في كنيسة مارمينا في مصر القديمة. وعاش خمسة عشر عامًا أخرى بعد شفائه.[٦٢]

ستحدث معجزة شفاء أكثر أهمية بكثير بعد بضع سنوات. إنها أقدم معجزة شفاء محددة وموثقة في مذكرات حنا، على الرغم من أنه ذكر العديد من المعجزات السابقة.[٦٣] في عام ١٩٤٠ تقريبًا، أرسل كاهن كنيسة مارمرقس في هليوبوليس القمص إبراهيم لوقا (١٨٩٧–١٩٥٠) إلى أبونا مينا متوسلاً إليه أن يزوره ويصلي من أجله. شعر أبونا مينا بالإحراج والارتباك الحقيقي أن يطلب شخص بهذه المكانة منه هذا الطلب، أجاب أبونا مينا: "من أنا، الحقير، لكي يطلب مني أن أصلي من أجله؟"[٦٤] كان تردد أبونا مينا مبررًا إلى حد ما. فقد تخرج أبونا إبراهيم من المدرسة اللاهوتية تحت رئاسة حبيب جرجس عام ١٩١٨ وأصبح من أكثر الكهنة المحبوبين (والدارسين) في تلك الفترة، وعُيِّن لاحقًا وكيلاً للبطريركية.[٦٥] هذا يعطينا نظرة ثاقبة مبكرة عن شهرة أبونا مينا المتزايدة، ليس فقط بين المؤمنين غير المتعلمين، ولكن حتى بين رجال الكهنوت رفيعي المستوى. كانت هذه الشهرة بعيدة كل البعد عن رغبته في أن يعيش مجهولاً في أطراف القاهرة. من الواضح أن أخبار قداسته (ومعجزاته) كانت لا تقاوم.

وافق أبونا مينا بعد بعض الإصرار والتوسل، ومع ذلك، يجب أن نلاحظ، أنه رفض أن يركب سيارة، مفضلاً أن يشق طريقه سيرًا على الأقدام. عند وصوله إلى المنزل، وبيده عصاه، ويرتدى شالاً أسود طويلاً يغطي رأسه ورداءه الكهنوتي، كان هذا مشهدًا غير معتاد في أحياء القاهرة المتمدنة. قال أبونا مينا المتوحد للقمص إبراهيم الذي كان طريحًا في الفراش لمدة طويلة: "يا أبي، لقد جئت لأخذ بركتك". فتوسل إليه أبونا إبراهيم أن يدهنه بالزيت ويصلي عليه. امتثل أبونا مينا، وهو يصلي ببساطة واتضاع، ثم غادر بعد ذلك بشكل مفاجئ، ومرة أخرى "رفض بأدب" أن يقوموا بتوصيله إلى طاحونة الهواء. سرعان ما شُفي القمص إبراهيم تمامًا. ولم ينسَ هذه المعجزة أبدًا، وغالبًا ما كان يروي باعتزاز "معجزة" أبونا مينا، وهو يأمل في يوم من الأيام أن يرد الجميل جيدًا (وهو ما سيفعله قريبًا).[٦٦]

يتم ذكْر العديد من معجزات الشفاء الأخرى الكثيرة في المصادر. في الواقع، هناك ما لا يقل عن ثمانية عشر مجلدًا "رسميًا" من المعجزات.[٦٧] يكفي أن نقول إن معظم معجزات الشفاء ذات المصداقية تتبع نمطًا مشابهًا: إنسان يتوسل عن احتياج، أو شخص يطلب صلاة أبونا مينا التي بدالة لدى الله، وشخص يطلب أن يدهنه أبونا مينا بالزيت المصلى (أو قطعة من القطن مدهونة بزيت للمرضى غير الحاضرين) ومعجزات الشفاء الناتجة عن ذلك. كانت هذه الصلوات دائمًا تقريبًا (وبشكل غير عادي) فعل "شفاعة مزدوجة" حيث يطلب أبونا مينا مساعدة مارمينا، "وكلاهما يصلي إلى الله".[٦٨] وفي مرة أخرى حدثت معجزة، على الرغم من أن نتيجتها كانت بشكل مذهل إلى حد ما "سلبية" - وهذا يعني أن المعجزة كانت نتيجتها على عكس المتوقع وهي عدم شفاء المريض. تذكر هذه المعجزة إيريس حبيب المصري، وهي مؤرخة كنسية مشهورة، أن عمها؛ لميح المصري كان مريضًا واستدعى أبونا مينا، لكن عندما كان أبونا مينا المتوحد يصلي على كوب من الماء، انكسر الكوب الزجاجي. وغادر أبونا مينا بهدوء قائلاً: "إرادة الله أن يذهب لميح إلى الفردوس". تشير المؤرخة إلى أنه مات بعد يومين.[٦٩]

بالنظر إلى المصادر الضخمة، فإن أكثر سمات المعجزات وضوحًا هي أنها تميزت بالبساطة (وإن كانت نتائجها مذهلة على ما يبدو). لم يسع أبونا مينا إلى إجراء معجزات الشفاء على مسرح عام، ولم يكن يتصرف بطريقة درامية ومتصنعة أو يتباهى. حدثت المعجزات ببساطة، "كما لو كانت متوقعة".[٧٠] يتذكر الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف (١٩٢٣-٢٠٠٠) قائلاً: "لم يكن هناك شيء غريب في مظهره أو في كلامه". ولكن ما قاله الأنبا أثناسيوس ينقل المعنى. كان الرجل بسيطًا وعميقًا، ولكنه طبيعي تمامًا".[٧١] كانت المعجزات بالنسبة للأب مينا سمة من سمات الحياة العادية.

كيف، إذن، فهم أبونا مينا هذه (الباريسيا)، أو الدالة في الصلاة، التي تكمن بوضوح وراء معجزاته؟

لدينا مقالتان عن الصلاة بخط يده: إحداهما من مجلة ميناء الخلاص كتبت في ٩ مايو ١٩٢٨، والأخرى في تأمل غير مؤرخ، وإن كان أكثر طولاً، حول الطبيعة اللاهوتية للصلاة.[٧٢] كلاهما يتفق بشكل ملحوظ مع رسائله الرعوية على مدى العقود القليلة التالية، مما يوفِّر رؤى رائعة عن حياته في الصلاة، ولذا لا ينبغي أن نفوت الخبرة المعيشة العميقة في هذه الخطابات. يخبرنا تلاميذه الأوائل أن حياة الصلاة هذه امتدت طوال اليوم: ست ساعات من الصلاة "الرسمية" (المزامير، وصلاة باكر، والقداس الإلهي) في الساعات الأولى من الصباح، وكذلك الصلوات الليلية، وأيضًا الصلوات "غير الرسمية" التي كان يصليها في الخفاء والتي كانت تمتد لساعات عندما يختفي قائلاً بشكل غامض "لدينا عمل".

تؤكد هذه المحادثات، غير المنشورة وبالتالي غير المعروفة للدارسين، أمرًا آخر سبق ذكره: تتلمذ أبونا مينا "تلمذة آبائية" للقديس مار إسحق السرياني.

يقول مار إسحق:

> كل فكر جيد للعقل موجه نحو الله، وكل تأمل في الأمور الروحية يُسمى صلاة، ويُطلق عليه صلاة. سواء كانت قراءات مختلفة، أو صرخات فم تُمجد الله، أو

تأمل في الرب وقت الألم، أو السجود بمطانيات، أو ترتيل الأعداد، أو كل الأشياء الأخرى التي ينبع منها تعليم الصلاة الحقيقية.[٧٣]

الصلاة عند مار إسحق "ملجأ العون، ومصدر الخلاص، وكنز الأمان، وملاذ ينقذ من العاصفة، وعصا العجزة، وملجأ في وقت التجربة، ودواء في أوج المرض، ودرع النجاة في الحرب، وسهم مشدود على وجه الأعداء".[٧٤] لكن في حين أن الصلاة بالنسبة لمار إسحق هي أي شيء يجعل الإنسان يتحدث مع الله، فإن "الحديث" بالنسبة للأب مينا يمكن أن يعني فقط الاتحاد. يكتب أبونا مينا في مقال غير مؤرخ:

> الصلاة هي اتحاد الإنسان بالله. إنها تعني المصالحة الفعلية مع الله، وهي أم الدموع وأيضًا ابنتها، هي غفران الخطايا، وجسر لتجاوز الضيقات، وسند لضعفنا. إنها تزيل الحروب الشيطانية، وهي عمل الملائكة، وطعام من يحتاجون إلى الصدقة، والسعادة، والعمل الصالح، وجوهر الفضائل، ومانحة النعم الأخرى. إنها غذاء لأرواحنا، ونور لأذهاننا، وملء لأيامنا، ودليل على رجائنا، ونعمتنا، وكنز الرهبان، وخزين الصامت في السكون.[٧٥]

يتضح على الفور تشابه الأسلوب. لا يبدو أن أبونا مينا متأثر بعمق بفكر مار إسحق فحسب، بل حتى بأسلوبه اللغوي، حيث قام بترديد جمل متعددة في التعريف بالصلاة. وهنا ندرك أيضًا أن الصلاة بالنسبة للأب مينا هي بداية ونهاية الحياة الروحية، وغذائها وكنزها، ووسيلتها وهدفها، "سند" الفضائل "وجوهرها" "ومانحة لها".

في مقال في "ميناء الخلاص" عام ١٩٢٨، كانت الصلاة مرة أخرى هي "الشركة مع الله، وعلاقة بين العبد وربه".[٧٦] يتابع قائلاً:

> الصلاة هي أم الفضائل ووالدة كل حاسة دينية، وسياج كل فضيلة وحافظتها. هي مخزن النعم، ومعدن البركات، وحارس القناعة، ولجام الغضب، وخفض الروح المتكبر. هي نصر المحارب، ولواء المقاتل، وخاتم العفاف، وزمام البتولية، وخفير

المسافرين، وحارس النائمين. وهي قوة الضعفاء، وثروة الفقراء، وملجأ المتضايقين، وعزاء الحزانى، وشفيع المذنبين.[٧٧]

هذا ليس مجرد نص شعري، بل هو اختبار عميق للصلاة على أنها "كل شيء".[٧٨] يكتب أبونا مينا: "الصلاة هي قوة كل شيء، وبدونها، نفقد كل شيء".[٧٩] ولا عجب أنها أصبحت الشيء الوحيد الذي يحتاجه في حياته.

وبهذا التعريف للصلاة يوضح كل من مار إسحق وأبونا مينا أن هناك "متطلبات" معينة للصلاة. يعلِّم أبونا مينا: "عندما تقف أمام ربك، يجب أن تُنسج لباس روحك بخيوط عدم الكراهية... دون حسد ولا ضغينة"، حيث يجب أن تقدَّم الصلاة بنية صافية وهي تتطلب جهادًا شديدًا.[٨٠] ويتابع: "إذا كان عليك الخروج من قلايتك، فاحمِ ما جمعته"، وإذا كنت "سعيدًا" عندما يصل زائر، "فاعلم أنك قد أعددت نفسك للملل وليس لله".[٨١] يردد مار إسحق السرياني الكثير من هذه الأفكار.[٨٢] ينصح مار إسحق بأنه يجب على الإنسان أن يصلي "بتواضع"، و"باشتياق شديد"، و"بصبر" و"محبة".[٨٣] ويضع مار إسحق أيضًا قيمة كبيرة للسجود: "أحبوا السجود أثناء الصلاة أكثر من ترتيل المزامير".[٨٤] وفي مكان آخر، يقول، "لا شيء يثير الحسد عند الشياطين أكثر مما إذا سجد الإنسان أمام الصليب".[٨٥] يوافق أبونا مينا بشكل قاطع "من بين جميع الأعمال الصالحة الأخرى التي يقوم بها الناس، لا يوجد أفضل من السجود"[٨٦] الذي "يخيف الأرواح الشريرة".[٨٧]

ولكن، ربما الأهم من ذلك، أن كلا الأبوين يوضِّح ضرورة الاستعداد لـ "صلاة الليل". يقترح أبونا مينا: "اقض معظم الليل في الصلاة والتسبيح، واستعد لذلك بقدر ما تستطيع خلال النهار".[٨٨] رغم أن السهر للصلاة بالليل هو بالتأكيد مفهوم غير مألوف، إلا أنها خط الدفاع الأول بالنسبة للمتوحد في جهاده النسكي.[٨٩] تعكس كلمات أبونا مينا (مرة أخرى من العظة الرابعة والستين وهي من العظات المحبوبة إليه) التأثير المباشر لمار إسحق: "لتكن كل صلاة تقدمها في الليل أثمن من جميع أعمالك اليومية".[٩٠] يقول مار إسحق "لماذا أيها الإنسان تقود حياتك بقلة فطنة. لماذا

يبدو لك أن تقف طوال الليل وتجاهد في تلاوة المزامير... مع القليل من اليقظة أثناء النهار، مهمة كبيرة وشاقة؟"[٩١]

هناك بالطبع العديد من التشابه في تعاليمهما - كما هو الحال في أي تلمذة - ولكن هناك جانب واحد يتطلب اهتمامًا مستمرًّا: القراءة كوسيلة للاستنارة المستيكية.

كتب أبونا مينا إلى أحد تلاميذه: "واظب على القراءة وأكرمها، إن أمكن أكثر من الصلاة. القراءة هي ينبوع الصلاة الذكية".[٩٢] قال ذلك في مقالة له غير مؤرخة عن الصلاة.[٩٣] يبدو مرة أخرى أن هذه الكلمات تنبع من مار إسحق، ونلاحظ ذلك ببساطة ودون جهد يذكر في هذه الفقرة من العظة الرابعة والستين: "امنح القراءة، إن أمكن، كرامة أكثر من الوقوف، لأنها مصدر الصلاة النقية".[٩٤] ويعلِّم مار إسحق السرياني:

> لا يمكن المبالغة في أهميتها لأنها بمثابة البوابة التي يدخل بها العقل إلى الأسرار الإلهية ويأخذ القوة لتحقيق الاستنارة في الصلاة. من هذه الأعمال تستنير الصلاة وتقوى، سواء كانت مأخوذة من الكتب الروحية، أو من بين الأشياء التي كتبها كبار المعلمين في الكنيسة. من دون قراءة لا يملك العقل وسيلة للاقتراب إلى الله.[٩٥]

من المهم هنا ملاحظة أن كلاً من مار إسحق وأبونا مينا كان يدرك جيدًا أن ليس كل الكتب مفيدة للمتوحد. القراءة، بالنسبة لمار إسحق، يجب أن تكون "موازية" للحياة؛[٩٦] لأن القراءة بخلاف ذلك قد "تتسبب في ضياعه وإظلام عقله، وتضيع هدفه الذي هو الالتصاق بالله".[٩٧] كما لاحظ هيلاريون ألفييف، ليس من المفترض أن يكون المتوحد متعلما تعليمًا عاليًا أو دارسًا جيدًا، بل يجب أن يكون فقط "نقي الذهن".[٩٨]

وهذا يعني أن الغرض من الصلاة والقراءة هو "الاستنارة المستيكية" فقط، وهو ما يسميه مار إسحق (سوكالى) أي "التمييز"، حيث يعلِّم قائلاً:

الهدف من قراءة كل النصوص في الكتب المقدسة، هي أن تغمر نفسك بعمق فيها، وأن تستوعب الرؤى العميقة. أولئك الذين تقودهم النعمة الإلهية في حياتهم إلى الاستنارة، يدركون دائمًا شيئًا مثل شعاع ضوئي يمر بين السطور المكتوبة.[٩٩]

يشير مار إسحق (وأبونا مينا الذي يتبعه) إلى أن هذه "الاستنارة"، من خلال القراءة في الصلاة، هي المراحل التي ينتقل فيها الإنسان من انشغال الذهن إلى الشركة المباشرة مع الله.[١٠٠] لكن هذه "الاستنارة"، كما يتابع مار إسحق في نص آخر، ليست مجرد استنارة شخصية، بمعنى أنها "ملك للكنيسة كلها".[١٠١] في الصلاة، يمكن "للاستنارة" التي توهب للمتوحد أن تضم إلى اختباره الشخصي خبرة الكنيسة بأكملها.[١٠٢] قد تكون الاستنارة، إذن، ذات أهمية كنسية بعيدة المدى، ويمكننا أن نقول إنها قد تكون وسيلة ومنهج للإصلاح الحقيقي. ليس مجرد إصلاح هيكلي أو مؤسسي، بل إصلاحًا جذريًّا وتجديدًا وتجليًا. هل يمكن أن تكون هذه هي الطريقة التي قاد بها النسك الشخصي للأب مينا مباشرة أسلوبه في الإصلاح الكنسي؟

مهما كانت إجاباتنا، فمن الأفضل أن نصغي إلى تحذير مار إسحق بأن أولئك الذين وصلوا إلى هذه الحالة من الصلاة النقية نادرون جدًّا. فيقول:

> قد نجد إنسانًا واحدًا فقط من بين آلاف البشر يُحسب أنه يستحق أن يصل إلى الصلاة النقية... ولكن فيما يتعلق بذلك السر الذي هو سر الصلاة النقية والذي يكمن وراءها، نادرًا ما يوجد إنسان واحد من جيل إلى جيل وصل إليه بنعمة الله.[١٠٣]

هل نجرؤ على السؤال: هل كان أبونا مينا أحد هؤلاء؟

الطرد من الجبل عام (١٩٤١)

بداية التحرر من الغضب هي صمت الشفتين عند هياج القلب

القديس يوحنا الدرجي

الشيء الذي يظهر عند قراءة حياة الشهداء المسيحيين الأوائل هو أنهم عادة ما كانت لديهم رؤى تتنبأ بالأحداث الدقيقة لموتهم. يحدث الشيء نفسه مع النساك. في بعض الأحيان، يقال إن بعض النساك قد اختبروا "رؤى نبوية" لنوع مختلف من "الموت"؛ أي الرسامة الكهنوتية.

حلم بروفوريوس من غزة وربولا من الرها، على سبيل المثال أنهما في يوم من الأيام "سيتزوجان" الكنيسة.[١٠٤] غالبًا ما تكون الرؤيا بشكل غير مباشر عن طريق أحد القديسين. كان لدى زينو شعور داخلي أن بطرس الأيبري سيرسم أسقفًا، وأنبا بفنوتيوس في مصر تنبأ بأن إبيفانيوس سيكون أسقفا على قبرص.[١٠٥] بالإضافة إلى ذلك، لاحظت كلوديا راب في دراستها العميقة أنه قد تحدث أحداث ذات دلالة مسبقة في بعض مراحل الطفولة تتنبأ عما سيحدث في المستقبل "عند إدراك ذلك لاحقا".[١٠٦] يُحكى عن البابا أثناسيوس الرسولي أنه لفت انتباه البابا ألكسندر لأول مرة عندما كان طفلاً، عندما وبخه البابا لأنه كان يلعب على شاطئ البحر متظاهرًا بأنه أسقف ويعمد أصدقاء طفولته الوثنيين.[١٠٧] وأيضا يُذكر عن القديس أمبروسيوس أنه كان يحب أن يلعب دور الأسقف، حتى أنه كان يضايق أصدقاءه ويمد يده حتى يقبلوها، ويقال إن أوطاخيوس بطريرك القسطنطينية كتب اسم الوظيفة التي كان يريد أن يعمل بها في المستقبل على جدار حائط المدرسة "بطريركًا".[١٠٨] هذه الرؤى أو الأحداث تثبت وتؤكد أن رسامة هؤلاء الأساقفة "كانت، في الواقع، اختيارًا إلهيًّا".[١٠٩]

وبالنسبة للأب مينا، رأينا بالفعل النبوءة الأولى عندما كان في الرابعة من عمره على فم الراهب الزائر: "إنه من نصيبنا". ومع ذلك، فهي "رؤية نبوية" ثانية مثيرة

للإعجاب من حيث إنها تقدِّم رؤية دائمة، عميقة، وموحدة، وهي الرؤية التي لا يتم الانتباه اليها باستمرار.

استقال البابا يؤانس التاسع عشر في ٢١ يونيو ١٩٤٢، عن عمر يناهز السابعة والثمانين. بغض النظر عن كيف سيتم ذكر تاريخه، كان أبونا مينا يحبه للغاية، وهو شعور متبادل بالتأكيد. لعب البابا يؤانس دورًا أساسيًا في دخول أبونا مينا إلى حياة الرهبنة، وتغلب على معارضة شبه جماعية ضد رغبته في الوحدة، وبكى معه أثناء فضيحة طرد الرهبان. في كل مرحلة من مراحل رحلة أبونا مينا في الرهبنة، كان البابا يؤانس حاضرًا بهدوء، مقويًا ومشجعًا، وطوال الوقت - كما كتب حنا ذات مرة - "يأخذ بركة" الراهب الشاب المثير للإعجاب.[١١٠]

لا عجب إذن أن أبونا مينا حزن على وفاة البطريرك المسن. وكما هو معتاد، كان أبونا مينا يقوم بعمل ترحيم للبابا يؤانس يوميًّا خلال القداس الإلهي.[١١١] غلب النوم أبونا مينا بعد القداس في اليوم الأربعين (٣١ يوليو١٩٤٢). لا تكشف رواية حنا صراحة عن الظروف الدقيقة للرؤية، لكنها تذكر فقط أن أبونا مينا "رأى البابا يؤانس يأتي إليه". من الواضح أن الأهم بكثير هو الرؤية نفسها.

بحسب المذكرات، تفاجأ أبونا مينا بأن البابا يؤانس بذل مثل هذا الجهد المضني في سنه لكي يصعد "الجبل". قال البابا يؤانس بشكل غير متوقع:

> "أنا حزين أن عصا الرعاية كُسرت عندما كنت أصعد الجبل". قال أبونا مينا، "أتمنى أن يتركها البابا معي لبعض الوقت". أعطاها له البابا. وأصلحها أبونا مينا وأعادها. ابتهج البابا وفحصها بتمعن وقال: "خذها يا أبونا مينا، قد وهبتها لك". فتسلمها من يده فرحًا. استيقظ من النوم وهو يفكر في هذه الرؤية، وفي أمر العصا وحديثه مع البابا.[١١٢]

كتب هذه القصة شقيقه حنا يوسف عطا مطلع السبعينيات.[١١٣] أحد المشاكل الرئيسة لهذه "الرؤية النبوية" هو التاريخ؛ لأن تاريخ أربعين يومًا من وفاة البابا يؤانس في منتصف عام ١٩٤٢، سيكون ذلك بعد أن ترك أبونا مينا طاحونة الهواء (أواخر عام ١٩٤١) - ولذا يجب

أن نتساءل: كيف يمكن أن يكون أبونا مينا قد رأى هذه الرؤية أثناء وجوده في الطاحونة؟

ومع ذلك، توجد قصة ثانية نجدها في المصادر الأخرى، فقد كتب أوتو ميناردس، وهو عالم قبطيات مشهور في عام ١٩٦١، أنه حوالي عام ١٩٣٩ تقريبًا (عندما كان البابا يؤانس لا يزال على قيد الحياة)، زار البابا يؤانس أبونا مينا في طاحونة الهواء.[١١٤] بعبارة أخرى، كانت القصة بالنسبة إلى ميناردس تاريخًا وليست رؤية. ومما لا يثير التعجب، أن جميع المصادر الإنجليزية اتبعت ميناردس في أن تنسب هذه المرحلة بشكل مباشر تاريخيًّا إلى أواخر الثلاثينيات.[١١٥] وتتطابق المصادر في سرد التفاصيل. لقد كسرت عصا الرعاية الخاصة بالبابا يؤانس - وهي على حد تعبير ميناردس "رمز دعوته" - بسبب الرحلة الشاقة وقام أبونا مينا بإصلاحها. لكن في حين اكتفى حنا بأن يترك نهاية القصة لتكون مفهومة ضمنيًّا، يطرح ميناردس سؤالاً كاشفًا: "هل كانت هذه الزيارة نبوءة بأن مضيفه الناسك سيصبح خليفته بعد عشرين عامًا؟"[١١٦] ردد إدوارد واكين في كتابه "أقلية وحيدة - القصة الحديثة لأقباط مصر" الصادر عام ١٩٦٣ "الأقباط يستمتعون بمثل هذه الحكايات حيث يتم تأكيد أن الاختيار تم بقصد إلهي".[١١٧]

هل يمكن جمع هاتين الروايتين عن الرؤية والتاريخ معًا؟ إذا كانت رؤية كما يدعي حنا، فيمكن حل مسألة التاريخ من خلال اقتراح إما أن مذكراته تخطئ في تحديد مكان الرؤية (لم تكن في طاحونة الهواء) أو أنه أخطأ في تحديد توقيت الرؤية (لم تكن بعد أربعين يومًا من نياحة البابا يؤانس). لا يبدو أن كلا الاحتمالين صحيح نظرًا لأنه صرح بشكل محدد وصريح بأنها كانت "رؤية" حدثت بعد وفاة البابا يؤانس في ٣١ يوليو ١٩٤٢. يجب أن نتذكر أيضًا أن المذكرات تم نشرها بالاشتراك مع أبونا رافائيل آفامينا (تلميذ أبونا مينا)، الذي لم يعترض على الرواية مطلقًا في طبعاتها العديدة. قد يكون التفسير الأبسط بكثير - وهو بالتأكيد أكثر إدراكًا لطبيعة الرؤى - هو أن الرؤية كانت لـ "طاحونة الهواء" بعد أن ترك أبونا مينا

طاحونة الهواء. تمامًا كما يمكن للإنسان أن يحلم بمكان عاش فيه ذات مرة، وبالمثل - لا سيما بالنظر إلى أن أبونا مينا عاش هناك لمدة ست سنوات - يمكن أن تكون هذه الرؤية قد حدثت في منتصف عام ١٩٤٢ وكانت اختبارًا عاشه في طاحونة الهواء، على الرغم من أنه تركها منذ ذلك الحين. يمكن أن نقول إن أحداث الرؤية لا يجب أن تكون مرتبطة بالظروف الواقعية الدقيقة للإنسان، لذلك من الممكن أن تكون الرؤية قد حدثت بعد أن ترك الطاحونة وأقام في دير رئيس الملائكة ميخائيل أو كنيسة العذراء مريم في بابليون الدرج في مصر القديمة.

ومع ذلك، من المستحيل التوفيق بين ما وصفه حنا بصورة محددة وإصرار ميناردس على تتبع الحدث بشكل تاريخي. ولكن - وهذا يحتاج إلى تأكيد - ما هو مهم في هذا السياق ليس "كيف" بل بالأحرى "لماذا". يتفق كلا المصدرين تمامًا على المضمون الفعلي للحدث، وهذه التفاصيل هي التي لها أهمية عميقة.

في كلتا الحالتين، سواء كان حدثًا تاريخيًا نبويًا أو رؤية لا يمكن تفسيرها، تكشف القصة عن استنارة. كما رأينا، في ظل "التلمذة الآبائية" لمار إسحق السرياني، كان أبونا مينا مدركًا تمامًا لطبيعة "الاستنارة المستيكية" وبصورة خاصة أبعادها الجماعية والكنسية. في هذا التقليد، يمكن أن يتلقى المتوحد في الصلاة "رؤى" تؤثر بشكل مباشر على الكنيسة. إذن، ربما كانت "الرؤية النبوية" التي للأب مينا عن دعوته ليكون بطريركًا في المستقبل واحدة من تلك الاستنارات، ليس فقط من حيث تنبأها بهذه الدعوة، بل بالأحرى من حيث إنها أشارت إلى طبيعة الدعوة ذاتها.

لم يولِ أحد اهتمامًا كافيًا، سواء باللغة العربية أو الإنجليزية، لتفاصيل هذه القصة الرائعة. قدم البابا يؤانس للأب مينا عصا الرعاية "محطَّمة". ثم أخذ أبونا مينا العصا "لفترة"، وأصلحها"، وأعادها إلى البابا يؤانس. بعد أن رآها وقد تم إصلاحها، أعادها البابا إلى أبونا مينا، الذي كما قيل لنا أخذها "بفرح". إذا كان هذا بمثابة "رؤية نبوية" في سياق مماثل لخبرة النساك الأوائل في الكنيسة، فإن كل كلمة من هذه

الكلمات لها أهمية نبوية. لقد لاحظ الباحثون بشكل روتيني رمزية العصا (الدعوة إلى البابوية) لكن الغريب أنهم أهملوا حالة العصا في ذلك الوقت، وهي أنها مكسورة. كانت العصا "محطمة"، لأن أبونا مينا حقًّا قد تسلم كنيسة "محطمة"، كنيسة كانت تنزف بغزارة ومهشمة جدًّا وبدت بالنسبة للكثيرين غير قابلة للإصلاح. ثم أخذ أبونا مينا هذا الانكسار "لفترة"، ورممه، وأصلحه، وشفاه، وقدمه للبابا يؤانس، ليتسلمها مرة أخرى ككنيسته. من الناحية اللاهوتية، هذه "الاستنارة"، سواء أكانت رؤية، أم نبوءة، أم تاريخًا فهي مهمة. كانت النبوءة ليست فقط أنه سيكون بطريركًا؛ بل أنه سيكون بطريركًا من شأنه أن يشفي الكنيسة المنقسمة والمهشمة بقوة.

لكن مثل هذه الدعوة كانت لا تزال على بعد سنوات عديدة (واثنين من البطاركة). وسرعان ما سيواجه أبونا مينا أزمة أكثر إلحاحًا.

قرب نهاية هذا العقد من الزمان، اشتدت حرب الأعمال المشبوهة التي تجري في جبل المقطم وما حوله. يبدو أن مجموعتين من المجرمين، واحدة من شمال القاهرة والأخرى من الجيزة، كانت تجتمع بانتظام (لترتيبات غير مرغوب فيها) في منطقة مهجورة في امتداد الصحراء بالقرب من طاحونة أبونا مينا.[١١٨] يبدو أنهم في مرحلة ما أصبحوا قلقين على سرية تحركاتهم وخافوا من وجود الراهب المتوحد.

في وقت متأخر من الليل، ربما في نهاية عام ١٩٣٩، وصل ثلاثة من هؤلاء الرجال إلى الطاحونة،[١١٩] ففتح أبونا مينا الباب وطلبوا منه بعض الماء للشرب. وعندما أدار ظهره لجلب الماء، ضربه أحد الرجال بحدة على رأسه. عندما استعاد وعيه في وقت لاحق، لاحظ أنه كان ينزف بغزارة. زحف، وهو لا يزال يحاول أن يسترد وعيه من الصدمة، وتمكن من الإمساك بأيقونة مارمينا - ومن اللافت للنظر، أن هذا كان همه الأول - ووضعها على الجرح. كتب أبونا رافائيل في كحقيقة واضحة "وهكذا، توقف النزيف".[١٢٠] ثم شق المتوحد طريقه إلى مستشفى هرمل (على بعد ٦ كم) حيث طلب العلاج اللازم.[١٢١] (أظهر أبونا مينا الندبة التي في رأسه للأب رافائيل بعد عقود، ربما كان الجرح عميقًا إلى حد ما).[١٢٢] وتستكمل القصة الأحداث بأن أبونا مينا

بعدما ترك المستشفى أتى إليه شاب يطلب المغفرة، معترفًا بأنه هو الذي ضربه. وقال المجرم إن الاثنين الآخرين تعرضا لأحداث غريبة: أحدهما صدمه قطار في حلوان، والثاني أدين بجريمة لا علاقة لها بهذه الأحداث.[١٢٣]

بعد المحاولة الفاشلة لقتل أبونا مينا، لجأ آخرون لهم الغرض نفسه إلى طريق أكثر دبلوماسية. ووفقًا للأدلة الوثائقية، تم تقديم العديد من الاعتراضات والشكاوى إلى دائرة الآثار العربية في الفترة من فبراير إلى سبتمبر ١٩٤٠، مطالبة برحيل أبونا مينا على الفور.[١٢٤] نصت الاتهامات بعبارات لا لبس فيها على أن الراهب كان يشتغل بالسحر الأسود والأعمال الشيطانية، بالإضافة إلى الشكوى الأخف وطأة بأنه كان يهرب بضائع غير مشروعة.[١٢٥] تلقى مدير الآثار العربية بالإنابة حسن (أو "حسين") فؤاد هذه الشكاوى بعدم تصديق، حيث التقى بمحافظ القاهرة لشرح محتواها.[١٢٦] رغب المحافظ في أن يرى بنفسه، فسافر مع حسن إلى طاحونة الهواء، ليجد فقط المسكن (إلى حد ما) في حالة جيدة، والمتوحد الفقير يصلي في الطابق العلوي في هدوء. أعلن المحافظ على الفور أنه يجب ترك الراهب غير المؤذي وشأنه.

ومع ذلك، لن تكون هذه نهاية متاعبه في طاحونة الهواء. ومع ذلك، مما يمكننا قوله - على الأقل من خطاب يعود لتلك الفترة كتبه أبونا مينا ردًا على مخاوف تلاميذه - لم يكن أبونا مينا قلقًا على الإطلاق:

> كونوا مطمئنين جدًّا لأن الشهيد مارمينا ينام هنا كل ليلة - رغم أنه لا ينام، ولكنه يسبح باستمرار - كما تعلم جيدًا، ومعه يأتي الشهيد مارجرجس. سمع البعض أنهم تعهدوا بحماية هذا المكان.[١٢٧]

لن يمضي وقت طويل حتى يتم تعكير صفو حياته الهادئة في الطاحونة مرة أخرى بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر عام ١٩٣٩، تميزت العديد من تفاصيل هذه الفترة من حياة أبونا مينا بالارتباك والغموض وعدم الدقة.[١٢٨] ومع ذلك، فإنه يمكن تجميع هذه التفاصيل بصورة جيدة.

كتب أبونا رافائيل آفامينا عن أحداث درامية لمحاولة طرد ثانية.[١٢٩] تم تعيين مدير جديد للآثار العربية في أواخر عام ١٩٤٠، ومن الواضح أنه لم يكن يفهم لماذا يسكن أبونا مينا في طاحونة هوائية مهجورة.[١٣٠] صدر أمر إخلاء على وجه السرعة، ورفض أحد الحراس من نقطة المراقبة القريبة (على الأرجح خوفًا من الراهب الشهير) التنفيذ، وجاءه الرد: "سأذهب بنفسي وأطرده".[١٣١] قال المدير للأب مينا بصراحة إن عقد إيجاره "انتهى" وأنه يجب عليه المغادرة على الفور. طلب الراهب تمديد العقد حتى نهاية العام، لكن المدير كان مصرًا. رد أبونا مينا وهو يغلق باب الطاحونة: "لن أغادر هذا المكان، افعل ما تريد... ربنا موجود".[١٣٢]

عاد المدير إلى منزله غاضبًا وتعهَّد أن يستخدم القوة لطرد المتوحد. ونحو منتصف الليل، حسب الرواية، استيقظت زوجته في حالة هستيرية وهي بالكاد تستطيع الكلام وقالت إن رجلاً بلحية طويلة كان يخنقها قائلاً: "يجب أن أخنقك لأن زوجك يريد طردي رغم أنني لم أؤذِهِ".[١٣٣] في ذلك الصباح أسرع المدير وزوجته إلى الطاحونة طالبين المغفرة. عندما فتح أبونا مينا الباب ورحب بهم، تمتمت المرأة التي بدا عليها الاضطراب: "هذا هو الرجل الذي أتى إليَّ في الليل". أجاب أبونا مينا بهدوء بعد أن استمع إلى المرأة المضطربة "لا لم أكن أنا، كان مارمينا".[١٣٤]

لم تكن التفاصيل الأخرى لهذا الحادث، على الرغم من أنها أقل عنفًا، متسامحة للغاية، حيث تم إرسال المفتش في ظروف غامضة إلى مدينة أخرى.[١٣٥] قد يشير هذا إلى قدرة المصادر على التقليل من أهمية (وكذلك تجميل) أحداث معينة بمرور الوقت.[١٣٦]

تختلف المصادر من هذه النقطة اختلافًا كبيرًا، حيث هناك ثلاث روايات مختلفة عن طرد أبونا مينا في نهاية المطاف من الجبل: يزعم البعض أنه غادر مباشرة ليصبح رئيس دير القديس الأنبا صموئيل،[١٣٧] ويقول الآخرون إنه تم طرده من قبل القوات البريطانية الذين كانوا يؤمنون المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية واعتقدوا أنه جاسوس،[١٣٨] وآخرون يقولون إن إخلاءه كان من أجل التنقيب عن الآثار في هذه

المنطقة.[١٣٩] يجهل الرأي الأول جهلاً ظاهرًا الرسائل التي تشير إلى أنه سيتم تعيينه رئيسًا للدير بعد عامين فقط،[١٤٠] أما الرأي الثاني، على الرغم من كونه دقيقًا من ناحية تاريخ الحرب العالمية الثانية ووجود القوات البريطانية فهو يخص خطًا إخلاءً تم لاحقًا في عام ١٩٤٥. في الواقع[١٤١] إن الرأي الأخير، وهو التنقيب عن الآثار، هو ما يفسِّر ترك أبونا مينا لطاحونة الهواء. ستكون هذه هي المحاولة الأولى لكي يترك أبونا مينا طاحونة الهواء في الجبل.

حاول أبونا مينا قدر استطاعته، ولكنه لم يقدر أن يفلت من انتباه السلطات المدنية. بحلول أواخر عام ١٩٤١، تعرضت وزارة الآثار العربية لضغوط متزايدة لحل المسألة غير العادية للغاية لراهب مسيحي يعيش في موقع تراثي مهجور. عبر المدير التالي - الذي حل محل الرجل المذعور المذكور سابقًا - بجوار طاحونة أبونا مينا التي تم تجديدها بشكل متواضع، أراد أن يجعلها "استراحة عامة"، وبالتالي طلب إلغاء عقد الإيجار. اندلع جدل كبير، حيث عارض العديد من مؤيدي أبونا مينا (الذين أصبحوا كثيرين) خطط هذا المدير.

في النهاية قرر المسؤولون في الحكومة، وفقًا لسجلات الوزارة، إلغاء عقد الإيجار نظرا للاحتياج الواضح إلى التنقيب عن الآثار والتي توجد بالضبط تحت طاحونة أبونا مينا - وهذا التنقيب، كما يجب أن نذكر، لم يتم إجراؤه أبدًا.[١٤٢] بعد أسبوعين، في ٢٨ أكتوبر ١٩٤١، وصل عدد من ضباط الشرطة لطرد أبونا مينا المتوحد وسط ضجيج مؤيديه. جمع أبونا مينا أشياءه البسيطة بهدوء، على الرغم من احتجاجات أبنائه الروحيين، وترك طاحونة الهواء المحبوبة لديه. نظر أبونا مينا حوله ورأى دموعهم ويأسهم، وقال لهم هو يحمل على ذراعه حقيبة صغيرة:

> لا تبكوا يا أولادي. يجب أن تتم إرادة الرب. تدابيره عالية. الرب لن يتخلى عني. من يقدم طعامه لأضعف طائر سوف يعطيني المأوى والخبز. لا تقلقوا عليَّ.[١٤٣]

الحواشي

[١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٣.
[٢] المرجع السابق.
[٣] هناك بعض الاقتراحات حول هذا الأمر في تعاملات لاحقة مع دير البرموس. يقترح أبونا رافائيل آفامينا أن والده الروحي؛ أبونا عبدالمسيح المسعودي قد تنيح في عام ١٩٣٥، وبالتالي، إذا كان رئيس الدير هو رئيسه الوحيد - وهي علاقة كانت إلى حد ما لا يمكن إصلاحها في تلك المرحلة - فستؤدي إلى مزيد من الخلاف. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، "البابا كيرلس السادس - بعض المفاهيم الخاطئة"، تسجيل صوتي، في القداس في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (الإسكندرية، ٢٠١٥).

[4] Fr Thomas Hopko, "Fifty-Five Maxims for Christian Living" (unpublished, 2008), Maxim 31.

[5] Meinardus, *Monks and Monasteries (1961)*, 157; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 43; Meinardus, *Two Thousand Years*, 78; Wakin, *A Lonely Minority*, 111.

يجب أن نلاحظ أن واكين يتبع رأى ميناردس؛ في حين يبدو أن فان دورن هاردر وفوال يتبعان رأى إيريس حبيب المصري الغامض بأن طلب أبونا مينا قد قبله البابا يؤانس بالفعل، ولكن البريطانيين رفضوه. لقد رأت فوال بشكل صحيح أن المصري ربما قصدت أن الطلب الأصلي قد تم في عام ١٩٤٢، لأنها لم تؤرخ دعواها. انظر، Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 196, n. 20; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 132.

لاحظ أيضًا أنه في الطبعة المختصرة لكتابها باللغة الإنجليزية، تشير إيريس حبيب المصري إلى أن هذا كان بعد النفي مباشرة من دير البرموس، في حين أنه في النسخة العربية تظل هذه التفاصيل غامضة. انظر، al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:434; al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 7:24.

[٦] وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن مثل هذا الادعاء لا معنى له بالنسبة للمصادر العربية الأصلية التي تنص على أن طلب أبونا مينا إلى البابا يؤانس فيما يتعلق بالطاحونة لم يكن عشوائيًّا أو فكرة طارئة، ولكنه جاء بعد حصوله على تصريح لموقع طاحونة الهواء.
[٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، ذكريات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٤١-٤٢. يتذكر ماهر محروس مرجان، نجل ذلك المحامي، الذي كان عضوًا في مجلس إدارة "جمعية أصدقاء الكتاب المقدس"، الحدث في رسالة إلى أبونا رافائيل آفامينا، الذي نشرها كجزء من مذكراته.
[٨] المرجع السابق.
[٩] يبدو أنه في ذلك الوقت - خاصة أنه حصل بالفعل على إذن من وزارة الآثار العربية - قد قرر أبونا مينا الانتقال إلى طاحونة الهواء قبل لقاء البطريرك، وبالتالي كان ينوي القيام بذلك بغض النظر عن نتيجة الحكم الصادر على الرهبان المطرودين (يشمل أبونا مينا نفسه).
[١٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٣.
[١١] المرجع السابق، صـ ١٣-١٤؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، ذكريات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٢٧.
[١٢] تبالغ إيريس حبيب المصري إلى حد ما عندما تدعي أن أبونا مينا أعطى "بطاقة تعريف الوظيفة الخاصة بالمدير" لسكرتير المدير قائلاً: "أرجو أن تخبر المدير أن من تسلم منك هذه البطاقة يرغب في مقابلتك". من المؤكد أنه من غير المحتمل أن يكون أبونا مينا قد احتفظ ببطاقة عمل لمدة عامين في حياة الوحدة، وإن لم يكن ذلك مستحيلاً.

See al-Masri, Story of the Coptic Church, 7:22.

[١٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤.
[١٤] انظر الصورة ٥.
[١٥] مؤلف مجهول، "من طاحونة بونابرت المهجورة إلى عرش القديس مارمرقس"، الوطني، ١٠ مايو ١٩٥٩. على الرغم من عدم ذكر مصدر للمقال بخلاف أرشيف وزارة الآثار العربية، إلا أن العديد من المقالات المكتوبة في

تاريخ الرسامة وحواليه استندت إلى مقابلات مع زملاء أبونا مينا. إنها أقدم مقالة مكتوبة عن حياته في طاحونة الهواء.

[١٦] يستمر المقال في الادعاء بأن عقد الإيجار "أصبح قانونيًا" وتمت إعادة صياغته بشكل صحيح في ٢٣ أغسطس ١٩٣٨، وأن عقد الإيجار "لا يزال محفوظًا هناك" ولا يزال مصدر ارتباك في المكتب نظرًا لطبيعته الفريدة وغير العادية. انظر المرجع السابق.

[١٧] المرجع السابق؛ راجع زقلمة البابا كيرلس السادس ١: ١١٠. كانت نقطة الحراسة عبارة عن كوخ خشبي يمكن لعلماء الآثار استخدامه لتأمين أدواتهم واكتشاف القطع الأثرية. وبحسب المقال، كان يحميها اثنان من الحراس المسلحين في النهار، وأربعة في الليل. يقترح المقال أيضًا أن مركز الحراسة قد تلقى تعليمات بتزويد الراهب بالمياه، بالإضافة إلى توفير المواد الغذائية من سوق الطعام القريب (على بعد حوالي كيلومترين) - والتي، كما يشير كاتب المقال، كانت ضئيلة. غذاء الراهب من "الخبز الحاف والجرجير وبعض الخضار".

[١٨] المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧:٢٢. كما تم التلميح إليه بالفعل في العديد من الحواشي السفلية السابقة (وسيصبح واضحًا بشكل متزايد في الفصول القادمة)، أن دراسات إيريس حبيب المصري في التاريخ القبطي ليست دائمًا "تاريخية" بحتة (رغم أنها بالتأكيد مثيرة للإعجاب)، وبالتالي لا يمكن دائمًا الوثوق بها تمامًا. سيتم الاشارة إلى هذا حيثما يكون ذلك مناسبًا خلال هذه الدراسة.

[١٩] مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة".

[٢٠] عدلي، ذكريات أبونا ميخائيل داود، صـ ١٢؛ راجع زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١١٠. من الممارسات الشائعة أن يكون لدى المصريين أسماء متعددة؛ على سبيل المثال، اسم الأب والجد وما إلى ذلك. لذلك يمكن أن يطلق على اسمه حسين فؤاد راشد أو حسين راشد أو حسين فؤاد.

[٢١] وعليه، فإن اسم المدير الذي التقى به أبونا مينا عام ١٩٣٤ يجب تصحيحه إلى حسين فؤاد راشد. بالطبع هناك احتمال - رغم أنني أجد ذلك غير مرجح - أن يكون هناك مديران مختلفان: حسن فؤاد، الذي التقى به أبونا مينا في صحراء وادي النطرون. وحسين راشد الذي منح عقد إيجار الطاحونة. لكن هذا يستلزم رفض سرد حنا بأكمله للمدير الذي يعترف بأبونا مينا. كذلك، سيتطلب الأمر استبعاد رواية أبونا ميخائيل داود (ابن أبونا مرقس داود) التي ذكر فيها ميخائيل أنه التقى شخصيًا بـ "حسين فؤاد راشد"، الذي تحدث عن دهشته عندما رأى أبونا مينا يدخل دائرة الآثار العربية وتعرف عليه من الزيارة التي حدثت قبل عامين في الصحراء. انظر، عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ١٢.

[٢٢] نستطيع أن نقترح أن مؤلف مقال الوطني (نظرًا لأنه كُتب في حين كان أبونا مينا غير معروف نسبيًا) لم يكن على علم باجتماع عام ١٩٣٤ وكان قد كتب الحساب ببساطة بناءً على الأدلة الوثائقية في سجلات الآثار العربية.

[٢٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، ١٤؛ عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، ١١. هذا أمر رائع نظرًا لأن أبونا مرقس كان صديقًا مقربًا للأب مينا وأصبح في النهاية أب اعترافه، إنه مؤشر على المدى الذي ذهب إليه أبونا مينا لتحقيق رغبته في حياة الوحدة وأن يظل غريبًا ومجهولاً.

[٢٤] كان مرقس بك فهمي عضوًا مرموقًا في المجلس الملي بالقاهرة وسيكون مدينًا للأبد للأب مينا. أصيبت ابنة مرقس بالشلل بعد ولادتها، فغادر أبونا مينا الطاحونة وذهب إلى منزل العائلة في شبرا وشفاها. انظر،

Fr Raphael Ava Mina, *The Miracles of Pope Kyrillos VI,* vol. 3 (Sydney: Coptic Orthodox Publication and Translation, 1992), 5.

[٢٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس، صـ ٢٧؛ وحياة البابا كيرلس صـ ١٤. لم تذكر الترجمة الإنجليزية هذا التعليق المنسوب إلى أبونا مرقس داود.

[٢٦] هذا هو المقطم نفسه (الذي يعني "قطع أو انكسر") الذي اشتهرت به الأحداث في زمن البطريرك إبرام ابن زرعة (٩٧٥-٩٧٨) حيث "تحرك" الجبل استجابة لدعوات الأقباط أجمعين بعد أن هدد ابن كلس المسلم: حرِّكوا الجبل بـ "إيمان حبة الخردل" وإلا سيُتم ذبح المسيحيين جميعًا بحد السيف. لقراءة مناقشة واضحة لهذا الحدث الدرامي والرائع، انظر،

Mark N. Swanson, *The Coptic Papacy in Islamic Egypt* (Cairo: The American University Press in Cairo, 2010), 48–52.

[٢٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤.

[٢٨] علق أبونا رافائيل آفامينا قائلاً: "عاش فيها على الحالة نفسها التي وجدها عليها، دون باب أو سرير. لماذا؟ لأنه وجد الراحة الحقيقية في إلهه. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية صـ ١٠.

[٢٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤؛ عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود صـ ١١-١٢. راجع مز ٢٢: ٦. تستمر كلمات أبونا مينا: "أتمنى أن يساعدني الرب لأصبح مثل الأتقياء الذين هربوا إلى الصحراء والجبال بسبب حبهم لاسم المسيح".

[٣٠] تم بناؤها كجزء من الحملة الفرنسية في ١٧٩٨-١٨٠١ في محاولة لحماية المصالح الفرنسية ومنع دخول الجيش البريطاني.

[٣١] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٠٦.

[٣٢] انظر، الصورة ٦.

[٣٣] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١١٣: ١.

[٣٤] يقترح أبونا رافائيل أن أبونا مينا طور وضعية نوم غريبة لبقية حياته (على جانبه وساقاه ممدودتان بشكل مستقيم تمامًا) وذلك بسبب اعتياده النوم على مقعد. انظر، رافائيل آفامينا، "حوار حول حياة البابا كيرلس السادس".

[٣٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤. يقترح حنا أن هذا القداس كان بداية حياته العامة. ويجب أن نضيف أيضًا أنه من المثير للاهتمام أن هذه الأشهر القليلة ربما كانت المرة الأولى منذ الكهنوت التي يُحرم فيها من القداس اليومي.

[٣٦] المرجع السابق؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٢٨. لا تذكر الترجمة الإنجليزية اسم الشخصين العاديين البارزين المذكورين في النص العربي الأصلي. كان أبونا يوحنا كاهنًا في "كنيسة القديسة مريم المعلقة"، وكان أبونا مرقس كاهنًا في دير رئيس الملائكة ميخائيل. مرقس بك فهمي كان عضوا في مجلس القاهرة، ويعقوب بك مكاري كان مفتشًا بوزارة التربية والتعليم. انظر، المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٢-٢٣.

[٣٧] ولد رمزي في أخميم بمحافظة سوهاج في صعيد مصر، وعاش مع أبونا مينا من عام ١٩٣٧، قبل أن تتم سيامته راهبًا في عام ١٩٣٩ في كنيسة القديسة بربارة في القاهرة القديمة على يد الأنبا باسيليوس (١٨٩٤-١٩٤٧) من الأقصر، إسنا. سيم كاهنًا في عام ١٩٤٥، وفي عام ١٩٥٢، رُقي إلى قمص، وبعد ذلك بعامين أصبح رئيس الدير. في ٢ يونيو ١٩٨٥ رُسم أسقفًا على الدير قبل وفاته في أبريل ١٩٨٩. للاطلاع على سيرة ذاتية موجزة، انظر نصر، قراءات في حياة أبونا مينا المتوحد، ص ٥١.

[٣٨] اسمه بالعربية مينا الصغير. قد يُترجم هذا إلى مينا "الصغير" أو "الأصغر" - على الرغم من أنه تجدر الإشارة إلى أنه قد يعني أيضًا "الصغير" نظرًا لقصر قامته.

[٣٩] أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع في حياة البابا كيرلس السادس (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٩)، صـ ١٢-١٣. هناك رواية أخرى مماثلة في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١١٦-١٧.

[٤٠] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١١٧.

[٤١] أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٢٥. تتابع إحدى السيدات، بحسب الرواية، أن أبونا مينا كان يذكّر والدتها دائمًا بتجنب إضافة السمسم إلى الدقة (خليط البذور المطحونة) "زيادة في التقشف".

[٤٢] انظر الشكلين ٧ و٨.

[٤٣] أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ١٨.

[٤٤] المرجع السابق.

[45] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 201.

[٤٦] هناك رواية غير مألوفة للأب مينا وذئب كان يعيش بجواره. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ص ٧:٢٣.

[47] Rapp, *Holy Bishops*, 67. Also see James Skedros, "Hagiography and Devotion to the Saints," in *The Orthodox Christian World*, ed. Augustine Casiday (Abingdon, UK: Routledge, 2012), 450.

[48] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 232; Watson, *Among the Copts*, 51.

٤٩ لمناقشة رائعة حول فكرة "أخذ البركة". انظر،

Anthony Shenoda, "Cultivating a Mystery: Miracles and a Coptic Moral Imaginary" (dissertation, Harvard University, 2010), 41–45.

[50] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 232.

٥١ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤.

٥٢ المرجع السابق. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن حنا يقترح على ما يبدو أنه في هذه المرحلة كان على أبونا مينا أن يبدأ قداسًا يوميًّا، يبدو أنه كان يقصد قداسًا يوميًّا "عامًّا" يمكن أن يحضره زواره. وهذا يتوافق بالتأكيد مع ادعاء حنا السابق بأن مليكه، الشماس، كان يحضر القداس كل يوم مع أبونا مينا.

[53] Hasan, *Christians versus Muslims*, 86.

بعض هذه البطاقات لا تزال منتشرة؛ عليها عدد من الكتاب المقدس مكتوب باللغة العربية (على سبيل المثال، "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" مرقس ٨: ٣٦)، وفي الأسفل مكتوب باللغة القبطية اسمه، "القمص مينا المتوحد" (ليست تعويذة سحرية كما يقترح حسن خطأ).

[54] Meinardus, *Coptic Saints and Pilgrimages*, 93.

٥٥ أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس: المجلد الأول (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٨٣)، صـ ٧-٨. على الرغم من أن عددًا كبيرًا من المجلدات ستظهر في النهاية توضح بالتفصيل آلاف المعجزات، إلا أنه في هذا العمل الأول يمكن إدراك معظم المصداقية بصورة معقولة نظرًا لأن هذه "المعجزات" الأولى كتبها أبونا رافائيل نفسه، وأنه يكرر الروايات في أعماله الأخرى. أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٠-١١. يجب أن نلاحظ أيضًا أن مجلدات المعجزة (التي يبلغ عددها حاليًا ثمانية عشر)، على الرغم من كونها مجهولة المصدر، تم تحريرها وجمعها في الواقع من قبل أبونا رافائيل. ظهر المجلد الأول باللغة العربية لأول مرة في عام ١٩٧٣ مع هذه المقدمة المهمة: "نتوقع أن هذا الكتاب لن يكون الكلمة الأخيرة في معجزات البابا كيرلس السادس، حيث إنه أثناء نشر الكتاب، يتم تلقي الرسائل باستمرار". انظر، أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ٦.

٥٦ مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة".

٥٧ أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١٠:١؛ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٧.

٥٨ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١١٨.

[59] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 204; Nelly van Doorn-Harder, "Practical and Mystical: Patriarch Kyrillos VI (1959–1971)," *Currents in Theology and Mission* 33, no. 3 (2006): 229.

٦٠ أكمل رواية مكتوبة موجودة في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١، ١١٤.

٦١ بالنظر إلى أن الرواية تسبق القداس الافتتاحي في الطاحونة في أواخر عام ١٩٣٦، وأن حنا ذكر أن مليكة كان حاضرًا في ذلك القداس، يمكننا أن نفترض أنها حدثت قبل هذا القداس، مما يشير إلى أنها أول معجزة شفائية يقوم بها أبونا مينا.

٦٢ تم تسجيل معجزة أخرى تتعلق بمليكة هذا في المجلد الأول للمعجزات للأب رافائيل آفامينا. رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ٩.

٦٣ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٤-١٥.

٦٤ المرجع السابق. صـ ١٤.

[65] For a biography see Boulos Ayad, "Fr Ibrahim Luka: His Deeds, Program, Struggle for the Renaissance of the Coptic Church and the Christian Unity," Coptic *Church Review* 27, nos. 3 and 4 (2006). Also see Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 108.

٦٦ تشير الترجمة الإنجليزية إلى أن أبونا إبراهيم خطط لزيارة الطاحونة شخصيًّا لشكر أبونا مينا، لكنها فاتتها النهاية العربية: "لكن هذه الزيارة تم تأجيلها لفترة". وهذا يوحي ضمنيًّا بأن الزيارة القادمة ستكون عندما يأتي أبونا إبراهيم لرد الجميل. انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥. ومذكراتهما عن حياة البابا كيرلس، صـ ٢٩.

٦٧ يعود تاريخ المجلدات (باللغة العربية في الأصل) إلى عام ١٩٧٣ حتى يومنا هذا، وتعيد إنتاج تلك المعجزات التي شعر المحرر بأنها ذات مصداقية - على سبيل المثال، تم رفض أي معجزات مجهولة المصدر لا يمكن التحقق منها عن طريق خطابات المتابعة. بالطبع، كما سيلاحظ أي مسافر إلى مصر بسرعة كبيرة، حتى هذا لا ينصف العدد الهائل من المعجزات المزعومة.

68 Van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 229; Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 204.

٦٩ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية ٧:٢٥.

70 Van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 229.

٧١ الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف في مقابلة عام ١٩٩٨؛

ibid.

٧٢ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، ميناء الخلاص (وادي النطرون: دير البرموس، بشنس ١٦٤٤؛ مايو ١٩٢٨)، ١-٣؛ البابا كيرلس السادس، "المقالة التاسعة والعشرون في الصلاة" (غير منشورة، غير مؤرخة). يبدو أن هذا الأخير لم يُنشر وتم العثور عليه، مكتوبًا بيده، من بين مقالات أخرى للأب رافائيل آفامينا - مع ذلك، للأسف أنه غير مؤرخ. ومن اللافت للنظر أنها "المقالة التاسعة والعشرون"، على الرغم من أنها الوثيقة المكتوبة بخط اليد الوحيدة التي فحصها المؤلف للحصول على مثل هذا العنوان الرقمي.

73 Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 63.445.

74 Ibid., 8.186.

٧٥ البابا كيرلس السادس، "في الصلاة"، صـ ١. هذا يعيد إلى الأذهان على الفور فكرة مار إسحق عن الوحدة على أنها (إيهادايا) أي الشخص الذي يتحد مع الله والآخرين ونفسه.

٧٦ مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، ٤: ١.

٧٧ المرجع السابق.

٧٨ بالنسبة للأب مينا، هناك قيمة في السقوط مع الصلاة: "فليتأكد أولئك الذين وقعوا في الخطيئة بسبب شهواتهم ونقاط ضعفهم، والذين تعرضوا للإذلال نتيجة لذلك.. أنه بعد شفائهم، سيكونون مصدرًا للضوء..." انظر، البابا كيرلس السادس، "في الصلاة"، صـ ٤.

٧٩ مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، ٤: ٢.

٨٠ البابا كيرلس السادس، "في الصلاة"، صـ ١.

٨١ المرجع السابق. ٢.

82 For instance: Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 21.229–30.

" أقول لك في الحقيقة، أنه إذا خرجت لتوزيع الماء، فأني أهتز من عقلي ونظامه..."

٨٣ من أجل تحليل "متطلبات الصلاة" التي قالها مار إسحاق، انظر،

Alfeyev, *World of Isaac the Syrian,* 146–48.

84 Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.151.

كما أشرنا، إن أبونا مينا كان على ما يبدو يحب جدًّا العظة الرابعة والستين.

85 Ibid., 4.51.

٨٦ الراهب مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس] "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، ١٩٣٠". انظر أيضًا، "رسالته إلى عطية لبيب، مارس ١٩٣٣". تم جمع هذه الرسائل في أبونا رافائيل آفامينا، السلوك المسيحي، صـ ٩-١٢.

٨٧ القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مكاري السرياني، دون تاريخ، ١٩٤٨-١٩٥١"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٤٢٧ (مصر القديمة، غير مؤرخ). انظر أيضًا، أبونا رافائيل آفامينا، السلوك المسيحي، صـ ٣٧.
٨٨ البابا كيرلس السادس، "في الصلاة"، صـ ٢.

[89] For instance, see Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 75.515–527 (i.e., the entire homily).

[90] Ibid.

[91] Ibid.

٩٢ القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مكاري السرياني، ١٩٥١"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٥٢٢ (مصر القديمة، ١٩٥١). انظر أيضًا، أبونا رافائيل آفامينا، السلوك المسيحي، صـ ٤٠.
٩٣ كيرلس السادس، "في الصلاة"، صـ ٢.

[94] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.450.

[95] Part II/21, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 175.

[96] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.450.

[97] Part II/21, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 176.
في مقابلة أجريت عام ١٩٥٩ قبل رسامته البطريركية، سُئل أبونا مينا، "ما هو أفضل كتاب قرأته؟ كتاب غير ديني؟" إجاب وهو يردد صدى ما قاله مار إسحق: "الرهبنة والعزلة تقدم فلسفة فريدة عن الحياة، فلسفة تهتم بعمق بكل ما يربط الإنسان بالله. الطريق إلى هذا هو قراءة الكتب الروحية فقط. إن قراءة أي كتب أخرى تؤذي الراهب أكثر مما تنفعه، أو على الأقل تجعل عقله يضل". انظر، الجويلي "مقابلة مع الراهب".

[98] Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 177.

[99] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 1.116–17.

[100] Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 184.

[101] Part II/15, cited in ibid., 215.

[102] Ibid.

[103] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 23.240.

[104] Mark the Deacon, *The Life of Porphyry, Bishop of Gaza*, trans. G. F. Hill (Oxford: Clarendon Press, 1913), 19; "Life of Rabbula" cited in Rapp, *Holy Bishops*, 296.

[105] John Rufus, *The Lives of Peter the Iberian, Theodosius of Jerusalem, and the Monk Romanus*, trans. Cornelia B. Horn and Robert R. Phenix (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2008), 105–7; "Life of Epiphanius" cited in Rapp, *Holy Bishops*, 296.

[106] Rapp, *Holy Bishops*, 296.

[107] Rufinus of Aquileia, *The Church History of Rufinus of Aquileia: Books 10 and 11*, trans. Philip R. Amidon (Oxford: Oxford University Press, 1997), 26.
ومن المثير للاهتمام أن المعمودية كانت تعتبر شرعية، وتحتاج فقط إلى التثبيت.

[108] Paulinus, *Life of St Ambrose, Bishop of Milan*, trans. R. J. Deferrari, pp. 33–38 in *Early Christian Biography*, Fathers of the Church Series, vol. 15 (Washington, DC: Catholic University of America Press, 1952), 4; *Life of Eutychius*, cited in Rapp, *Holy Bishops*, 296.

[109] Rapp, *Holy Bishops*, 296.

١١٠ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١١.
١١١ المرجع السابق. ١٥.
١١٢ المرجع السابق.

[١١٣] رغم أنه نُشر مع أبونا رافائيل ملحق حياة ما بعد البطريركية عام ١٩٨١، إلا أنه كُتب قبل وفاة حنا عام ١٩٧٦.

[114] Meinardus, *Monks and Monasteries* (1961), 157–58.

[115] Wakin, *A Lonely Minority*, 110; Watson, "Abba Kyrillos," 17.
الاستثناء الوحيد في المصادر العربية هو يوسف حبيب، الذي يستنسخ الرواية كتاريخ، مع اقتراح غامض (ربما غير مقصود) أنه حدث أثناء زيارة البابا يؤانس إلى دير البرموس. انظر حبيب بين الآباء، صـ ٦. في رأيي، يبدو أن هناك احتمالين لحدث تاريخي: كانت زيارة إلى دير البرموس التي ربما تحطمت خلالها العصا أثناء الرحلة، أو زيارة عام ١٩٣٩ في طاحونة الهواء، كما يشير ميناردس. الأول غير مرجح للغاية نظرًا لغياب أي دليل داعم لمثل هذا الحدث في المصادر. هذا الأخير، على الرغم من كونه حدثًا تاريخيًا على عكس الرؤية، ليس أكثر ولا أقل مصداقية من موقف عطا لأنه لا يستلزم "معجزة".

[116] Meinardus, *Monks and Monasteries (1961)*, 157–58.

[117] Wakin, *A Lonely Minority*, 110.

[١١٨] مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة".

[١١٩] بالنظر إلى أن خطابات الاعتراض بدأت في أوائل عام ١٩٤٠، وأن رواية الوطني تشير إلى أن الاعتراضات أعقبت ضرب أبونا مينا، فيمكن أن نقترح أن الواقعة حدثت في أواخر عام ١٩٣٩. وهذا ما أكدته رواية أبونا صموئيل تواضروس السرياني التي توحي بأنها كانت عام ١٩٣٩، وأنه زار أبونا مينا في المستشفى بهذه المناسبة. انظر أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٧٤.

[١٢٠] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ١٠ – ١١.

[١٢١] المرجع السابق، صـ ١١، ذكر تقرير مبكر في عام ١٩٦٦ أنه بعد الشفاء لم تكن هناك حاجة لمزيد من العناية الطبية. انظر، ن. فانوس، "رجل الصلاة والفضيلة"، نهضة الكنيسة ٣ (١٩٦٦): صـ ٨٥. تم تسجيل الحلقة أيضًا في وقت مبكر من عام ١٩٥٩. انظر مؤلف مجهول "طاحونة الهواء المهجورة".

[١٢٢] أبونا رافائيل آفامينا، "محاضرة في فضائل البابا كيرلس"، تسجيل صوتي (الإسكندرية: دير مارمينا، دون تاريخ).

[١٢٣] يذكر أحد الكتاب العرب مصيرًا مختلفًا بعض الشيء لهؤلاء الرجال: توفي أحدهم في حادث سيارة أثناء فراره، وأصيب آخر "بانهيار عصبي" واختفى، وعاد الثالث يطلب الغفران. انظر زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١١٩. تم ذكر حادثة أخرى مع هؤلاء المجرمين في العمل نفسه، صـ ١٢٠.

[١٢٤] مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة". كانت تواريخ رسائل الشكوى ٢٢ فبراير و٢٥ مارس و٢٥ أبريل و٣ يونيو و٤ يوليو وسبتمبر ١٩٤٠.

[١٢٥] المرجع السابق. انظر أيضًا، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٢٦.

[١٢٦] انظر، الفصل السابق، "اختيار غريب للإقامة: طاحونة الهواء، ١٩٣٦".

[١٢٧] الرسالة تم تكرارها في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٢٥.

[١٢٨] نعلم أن أبونا مينا ترك الطاحونة في وقت ما عام ١٩٣٩ لمدة أربعين يومًا لتعزية أب اعترافه؛ مرقس داود بعد وفاة زوجته. عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٤.

[١٢٩] أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ١٠.

[١٣٠] بالنظر إلى أن حسن كان يتصرف في وقت متأخر من سبتمبر ١٩٤٠ (وهو ما نعرفه بالنظر إلى مداخلته بشأن الاعتراضات المفصلة مسبقًا)، فقد نفترض أن هذا الحدث وقع في أواخر عام ١٩٤٠، أو في وقت مبكر جدًا من عام ١٩٤١.

[١٣١] أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ١٠.

[١٣٢] اشتهرت هذه العبارة "ربنا موجود" وهي التي كان يرددها البابا شنودة الثالث (١٩٢٣-٢٠١٢) كإجابة مميزة في وقت الضيق، لكنها ربما بدأت مع أبونا مينا.

[١٣٣] أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ١٠.

١٣٤ المرجع السابق.
١٣٥ فانوس "رجل الصلاة" ٨٥. في هذا الرواية، أدى رفض المدير للتمديد إلى أن يذهب أبونا مينا إلى قسم الشرطة في مصر القديمة، حيث وافق مفوض الشرطة على طلبه. ولكن في اليوم التالي، قبل أن يتمكن أبونا مينا من وضع خطط لتدبير إقامة بديلة، تم نقل المدير إلى "الدلتا".
١٣٦ في رواية أبونا رافائيل اللاحقة في عام ١٩٧٥، يلاحظ أن المرأة كانت مرعوبة بالتأكيد بعد حلمها، على الرغم من حذف تفاصيل الحلم العنيف. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، ١٠. وهناك روايات أخرى لاحقة تحذف بالمثل تفاصيل الحلم. انظر على سبيل المثال، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٢٧- ١٢٨.
١٣٧ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥. يقترح حنا أن أبونا مينا ترك الطاحونة مباشرة ليصبح رئيس دير القديس الأنبا صموئيل، وعاد بعد سنوات قليلة فقط ليخرجه البريطانيون حرصًا على "سلامته" خلال الحرب العالمية الثانية. يتبعه باحثون عرب آخرون. على سبيل المثال، انظر إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، صـ ٧: ٢٣؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٤٠.
[138] Meinardus, *Monks and Monasteries (1961)*, 158; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 44.
يتبع معظم الباحثين الإنجليز ادعاء ميناردس بأن أبونا مينا قد طُرد عام ١٩٤٢ - وهو يوضح أن هذا كان قبل أن يصبح أبونا مينا رئيسًا لدير القديس الأنبا صموئيل - بواسطة البريطانيين "الذين يعتقدون أنه جاسوس". لمعرفة رأى العلماء الآخرين الذين يتفقون مع ميناردس، انظر،
van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 133; Watson, "Abba Kyrillos," 11.
من المهم أن واكين، الذي كتب في عام ١٩٦٣، كان على علم بالفعل بكلا الاحتمالين الخاصين بطرده؛ أي أن البريطانيين طردوه أو أن عقد إيجاره انتهى "لأسباب أثرية". انظر،
Wakin, *A Lonely Minority*, 111.
١٣٩ مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة". وتشير رواية أخرى إلى أنه تم طرده من قبل دائرة الآثار العربية عام ١٩٤٢ بسبب "الخوف على حياته في منطقة عسكرية". انظر، أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٧٤.
١٤٠ هذا الاقتراح غير مرجح إلى حد ما نظرًا للأدلة الوثائقية في رسائل أبونا مينا (التي لم تكن معروفة للعلماء) التي تشير إلى أنه لم يكن رئيسًا لرئيس دير القديس صموئيل حتى ديسمبر ١٩٤٣. لم يكن حنا واضحًا في تأريخه لهذه الفترة بالذات، ويبدو أنه حذف ببساطة السنوات من عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٣. ومع ذلك، فهو يذكر القضية التي مفادها أن أبونا مينا "لم يرغب في مغادرة قلايته في الطاحونة" للذهاب إلى دير القديس الأنبا صموئيل - وبالتالي، في روايته، يشير إلى أن أبونا مينا رحل مباشرة إلى هذا الدير.
١٤١ يبدو لي أن تفسير ميناردس لطرده هو استحضار بالخطأ لحدث وقع في عام ١٩٤٥، عندما طرد البريطانيون أبونا مينا بالفعل عندما عاد إلى الطاحونة بعد الانتهاء من بعض الأعمال في دير القديس الأنبا صموئيل.
١٤٢ حدث هذا، وفقًا للسجلات، في ١١ أكتوبر ١٩٤١.
[143] Wakin, *A Lonely Minority*, 111. Cf. Mt 6.26.
إن الكلمات بحذافيرها مسجلة أيضًا في مقالة الوطني لعام ١٩٥٩، انظر أيضًا: مؤلف مجهول، "الطاحونة المهجورة". هذا يقترح أن هذه القالة هي مصدر واكين عن الطرد.

٥

الرهبنة في المدينة

قديس مشهور

(١٩٤١ - ١٩٥٩)

رئيسًا رغمًا عن إرادته لدير القديس الأنبا صموئيل (١٩٤١-١٩٤٥)

يتطلب الإيمان الطاعة وليس الفضول.
وعندما يأمر الله، يجب أن يكون المرء مطيعًا وليس فضوليًّا
القديس يوحنا الذهبي الفم

رغم أن كلمات أبونا مينا في يوم مغادرته الطاحونة كانت شجاعة بالتأكيد، فلا ينبغي أن نتجاهل ألمه لفقدان حياة الوحدة. مات يوسف عطا؛ والد أبونا مينا في العام نفسه. وعلى الرغم من عدم وجود سجل لرد فعل أو أي ذكر للوفاة في رسائل أبونا مينا أو مذكراته، إلا أنه لا يسعنا إلا أن نتخيل ألم هذه الخسارة المزدوجة.

كان الألم ينذر بألم سيصيب الأمة بأكملها بعد بضعة أشهر فقط. انخرط البريطانيون وحزب الوفد والقصر في صراع مستمر على السلطة منذ "استقلال" مصر عام ١٩٢٢. مع الأزمة الدولية للغزو الإيطالي لإثيوبيا في عام ١٩٣٦، أصبحت "المعاهدة الأنجلو-مصرية" أمرا ضروريًّا، على الرغم من أنها لم تكن بالأهمية ذاتها للرأي العام.[١] قدمت المعاهدة تنازلات محدودة وغير مهمة تقريبًا - وخصوصًا الوضع المربك والمستمر للاحتلال البريطاني الدائم - مما تسبب في أن يفقد حزب الوفد شرعيته.[٢] ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، لاسيما عندما عبرت القوات الألمانية الحدود

الليبية المصرية في طريقها إلى التجمعات السكانية، اضطر البريطانيون إلى إلغاء حتى هذه "التنازلات" التي قدمتها المعاهدة. أدى الحديث عن اقتراب عدد من الضباط المصريين الشباب (من بينهم السادات) من القيادة الألمانية لتخليص مصر من "الوجود العسكري البريطاني المخيف" إلى حدوث توغل بريطاني.[٣] في ٤ فبراير ١٩٤٢، حاصرت القوات البريطانية قصر الملك فاروق في القاهرة، وأُمر "الصبي" (كما كان يطلق على الملك) إما بتعيين حكومة الوفد أو التنازل عن العرش. سُيذكر ذلك اليوم بأنه "يوم الذل العظيم". أُعيد انتخاب الوفد الذي كان محبوبًا من قبل "بقوة السلاح البريطاني".[٤]

على الرغم من بكاء الأمة في ذلك اليوم بسبب تعرضها للإذلال الشديد، إلا أن أعضاء سلاح الضباط الشباب بالجيش المصري كانوا يراقبون بهدوء وهم ساخطون على الملك والحزب. كانت فرصتهم لم تأت بعد.

لم يُعرف سوى القليل عن السنوات "الفاصلة" التي أعقبت طرد أبونا مينا من الطاحونة في أكتوبر ١٩٤١ - حتى أن أحد الباحثين تذمر من أن "معظم المصادر لا يمكن الاعتماد عليها في هذه المرحلة".[٥] وهذا يعكس بلا شك الارتباك والفوضى بسبب الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، فنحن نستطيع تتبع تحركاته من خلال فحص رسائله خلال هذه الفترة، والتي كان الكثير منها غير معروف من قبل الباحثين.[٦]

بنظرة أولية عميقة لهذه السنوات نجد أن أبونا مينا، على عكس معظم المصادر، لم يغادر على الفور طاحونة الهواء إلى دير القديس الأنبا صموئيل ليصبح رئيس دير القديس الأنبا صموئيل في أواخر عام ١٩٤٣.[٧] فوفقًا للرسائل المتعددة التي تركها، هناك عامان (١٩٤١-١٩٤٣) لا نعرف عنهما شيئًا بعد مغادرته الطاحونة. ما نعرفه عن هذه الفترة أنها كانت صعبة للغاية على أبونا مينا. كان يقضي هاتين السنتين من دون دير ولا قلاية. ربما لهذا السبب سعى (مرة أخرى) إلى إعادة بناء دير مارمينا وإقامته في مريوط.[٨] في هذه المحاولة، حصل على موافقة البابا، لكن البريطانيين هم الذين منعوه من الوصول إلى المنطقة.[٩] لابد أن هذا الرفض لثاني مرة من البريطانيين قد تسبب له

في حزن كبير. قيل إنه في أحد الأوقات الكئيبة، اضطر لقضاء الليل على رصيف غير مريح أمام كنيسة مغلقة في القاهرة بسبب نقص أماكن الإقامة.[١٠]

كان أبونا مينا خلال هذين العامين يعيش كأنه نبي متجول، بلا مكان يسند فيه رأسه، ويتنقل من أبروشية إلى أخرى، يتبعه جمهور حلت احتياجاته محل احتياجات أبونا مينا بشكل دائم. لجأ أبونا مينا في الغالب إلى كنائس مصر القديمة، حيث عاش بين دير رئيس الملائكة ميخائيل الذي أنشئ في القرن العاشر وكنيسة القديسة العذراء مريم في بابليون الدرج (كلاهما على بعد ثلاثين دقيقة فقط سيرًا على الأقدام من طاحونة الهواء المحبوبة له).[١١] كان لديه هناك "صحبة" جيدة؛ فقد أقام العديد من البطاركة ذات مرة في كنيسة القديسة العذراء مريم، وأقام مالا يقل عن سبعة بطاركة من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر في ذلك المكان أيضًا.[١٢] وهناك أصبح محاطًا برحمة ولطف صديقين عزيزين؛ أبونا مرقس داود (١٨٩٢-١٩٧٠) وأبونا إقلاديوس يوسف (١٨٩٧-١٩٨٠)، ووجد قدرًا من الراحة والاستقرار.[١٣] بخلاف عدم وجود قلاية ثابتة، استمر يمارس نظام حياته في الصلاة والليتورجيا وعمل الرعاية (المعجزية في كثير من الأحيان) للمتألمين دون انقطاع. ولكن سرعان ما تم نقله مرة أخرى.

في أواخر عام ١٩٤٣، تلقى أبونا مينا، البالغ من العمر ٤١ عامًا، رسالة مفادها أنه سينتقل على الفور إلى دير منعزل ومنهار. طلب الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا (١٨٨٣-١٩٦٢) من الأنبا يوساب مطران جرجا (١٨٧٦-١٩٥٦) تعيين أبونا مينا رئيسًا لدير القديس الأنبا صموئيل - وهو دير كما يخبرنا حنا بصورة مخففة "لم تكن حالته المالية جيدة".[١٤] لم يتم استقبال هذه الأخبار بترحاب. وكتب أبونا مينا إلى شقيقه في ٢٤ ديسمبر ١٩٤٣:

> قابلت نيافة المطران الأنبا أثناسيوس وكلفني بمسؤولية الدير فقبلت رغم أنني لم أرغب في ذلك، لكن الرب قادر على مساعدتنا في خدمة الأنبا صموئيل وديره.

كن مرتاحا جدًّا فيما يتعلق بنا. الراهب مينا "الصغير" الصموئيلي بخير ويرسل إليك من هنا تحياته.
الحقير مينا البرموسي المتوحد.[15]

بخلاف الأدلة الوثائقية لتحركاته، تعطينا الرسالة أيضًا، وبشكل غير متوقع، بعض المعلومات عن تطور لقبه الرهباني. عند فحص "توقيع" رسائله (وتجاهل صفة "الحقير") يمكننا بسهولة أن نجمع أجزاء مسيرته الرهبانية، حيث يبدو أن أبونا مينا كان صارمًا ومتسقًا في كتابته للقبه. أقدم الرسائل الموجودة في عام ١٩٢٩ موقعة "الراهب مينا البرموسي"[16] في حين بعد سيامته عام ١٩٣١ "أبونا مينا البرموسي".[17] وبالمثل، فإن الرسائل بعد أواخر مارس ١٩٤٥ موقعة باسم "القمص مينا البرموسي المتوحد"، مما يؤكد أنه تم بالفعل ترقيته إلى رتبة "القمص" بحلول أوائل عام ١٩٤٥. اقترح الكثيرون هذا، لكن التاريخ المحدد ظل لغزًا حتى الآن. تشير الرسائل التي لم يتم نشرها لتلك الفترة بوضوح إلى ترقيته إلى رتبة القمص (وسيامة مينا الأخر - المعروف باسم مينا "الصغير" - للكهنوت) بيد المطران الأنبا أثناسيوس في ١٦ مارس ١٩٤٥.[18] لكن لم يحدث ذلك أثناء تكريس كنيسة دير الأنبا صموئيل كما تزعم المصادر كلها، بل تم ذلك في مطرانية بني سويف.[19]

الكلمة الأخيرة - وربما الأكثر أهمية - "المتوحد" وهو لقبه، سيكون هو الاسم الذي سيشتهر به. يدل هذا الأمر على أنه، بحلول عام ١٩٤٣، سواء صاغ هذا اللقب (وإن كنت أشك في ذلك) أو تقبله فحسب، كان أبونا مينا راضيًا بأن يُعرف باسم "المتوحد".[20] كان لقبًا رسميًا تكريمًا لـ (إيهدايا) أي "المتوحد" وهو الشخصية البطل في الكتابات الرهبانية السريانية لمار إسحق.

من بين جميع الأديرة التي تعود إلى العصور الوسطى في واحة الفيوم، كان دير القديس الأنبا صموئيل هو الوحيد المأهول في ذلك الوقت (رغم أنه كان في حالة سيئة للغاية)، ويقع على بعد مئة وستين كيلومترًا جنوب غرب القاهرة. كان يقع في جبل القلمون (ويعني باليونانية "المقصبة")، سُميت المنطقة بهذا الاسم نظرا لوجود

المستنقعات المالحة في المنطقة، مما تسبب أيضًا في ندرة المياه الصالحة للشرب.[21] على الرغم من أنه كان مستقرًا للمتوحدين منذ القرن الثالث، إلا أن القديس الذي يحمل الدير اسمه هو الأنبا صموئيل المعترف، الذي وُلد بعد قرون في عام ٥٩٨ ميلادية، ودخل الدير عندما كان مراهقًا.[22] وبعد تلمذة قصيرة على ما يبدو تحت قيادة أبونا أغاثون في وادي النطرون، أصبح أنبا صموئيل معترفًا خلال اضطهادات القرن السابع قبل أن يقضى أيامه الأخيرة بسلام. لم يكن أنبا صموئيل، كما قد نتخيل، مؤسس الدير، بل، كما يشير ميناردس، "أعاد بناء دير قديم" تركه الرهبان أثناء الاضطهاد الفارسي قبل بضعة عقود.[23] عند وفاة أنبا صموئيل سنة ميلادية ٦٩٥، كان عدد تلاميذه الرهبان مائة وعشرين.

وبعد قرنين من الزمان، تعرض الدير للتدمير مرة أخرى بيد العرب، وتم إعادة بنائه، ثم هجر الرهبان الدير مرة أخرى من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر.

في عام ١٨٩٦م استقر في الموقع المهجور راهب يدعى أبونا إسحق البرموسي (تنيح سنة ١٩٣٨) مع عشرة رهبان من دير البرموس. ويُزعم أن البابا كيرلس الخامس (١٨٣١-١٩٢٧) حرمهم من الشركة الكنسية، قبل أن يتم العفو عنهم بعد بضع سنوات، وبعد ذلك لم يبق هناك سوى خمسة أو ستة رهبان.[24] لاحظ يوهان جورج أثناء زيارته عام ١٩٣٠ أنه كان هناك سبعة رهبان تحت قيادة أبونا إسحق، وزعم جورج أنهم كانوا "أفقر" رهبان رآهم في حياته.[25] بعد عقد من الزمان، لاحظ عالم الآثار أحمد فخري خلال زياراته في عامي ١٩٤٢ و١٩٤٤ أنه لم يكن هناك سوى أربعة رهبان: رئيس للدير إثيوبي اسمه القمص رافائيل، وأبونا تواضروس الذي عاش هناك أربع عشرة سنة. واثنان من الرهبان؛ أبونا أثناسيوس وأبونا ميخائيل اللذان كانا حاضرين عام ١٩٤٤، ولكن ليس عام ١٩٤٢، مما يشير إلى أنهما ربما كانا وافدين جديديْن.[26] يبدو أنه لم يكن هناك سوى أربعة (أو ربما خمسة) رهبان في الدير

عندما عُيِّن أبونا مينا رئيسًا للدير - وكان أحدهم سببًا في حدوث انشقاق ليس بقليل.[٢٧]

في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٤٣ تلقى أبونا مينا مباشرة بعد وصوله مع أبونا مينا "الصغير" رسالة من المطران الأنبا أثناسيوس (الذي كان، ويجب أن نذكر ذلك، أسقف الأبروشية التي ينتمي إليها الدير). كتب المطران:

> إلى الابن الكريم والمبارك أبونا مينا رئيس دير الأنبا صموئيل باركه الله. لقد تلقيت رسالتك بأنك وصلت بسلام إلى الدير. كما سمعت أن الأب [لم يذكر اسمًا] قد أتى إلى الدير وأعطاك عهدة الدير التي كان يحتفظ بها، باستثناء المسدس الذي يمكننا الاستغناء عنه؛ إنه شر وعلينا الابتعاد عنه. سمعت أيضًا أنه رحل. أسأل الله القدير أن يوفقك بروحه القدوس ويساعدك ويوفقك في هذه الخدمة المباركة. استمروا في صلاة القداس ليرحمنا الله ويرحم شعبه من كل الفتن والضيقات، ويختار لنا راعيًا يرشدنا بالبر ويخلص كنيسته من مثيري الشغب.[٢٨]

تشير هذه الرسالة المهمة إلى الجدال السابق (وربما المستمر) في الدير. إلى جانب الإشارة الدرامية إلى وجود سلاح وقيادة راهب للدير كان من الواضح أنه مستاء من تعيين المطران للأب مينا، وتشير الرسالة أيضًا إلى بعض الصراعات حول الرئاسة. توفي البابا يؤانس التاسع عشر في يونيو ١٩٤٢، تاركًا الكنيسة في أيدي القائم مقام الأنبا يوساب، حتى يتم تحديد المرشح المناسب. سيتم رسامة البطريرك التالي (مكاريوس الثالث)، وسط جدل كبير بعد شهرين من هذه الرسالة - ومن هنا جاء إشارة الأنبا أثناسيوس إلى "مثيري الشغب".[٢٩]

ولكن، قد نسأل، هل قصد المطران الأنبا أثناسيوس فقط مجرد "الصلوات" الليتورجية لكي يختار الله راعيًا؟ هل كانت عينه على أبونا مينا؟ هل كان يأمل أن يكون أبونا مينا هو الراعي الذي يخلف البابا يؤانس؟ لا يوجد بالتأكيد إشارة في المصادر (عربية أو إنجليزية) إلى هذه الرسالة، لكن إذا نظرنا إلى ما حدث في

المستقبل في ترشيح أنبا أثناسيوس المستمر للأب مينا للبطريركية، يظهر بصيص خافت، ولكن يمكن تمييزه.[٣٠]

عندما وصل أبونا مينا إلى مقر الدير الإداري في الزورة قرب مغاغة بمحافظة المنيا في أواخر شهر ديسمبر واجه مشهدًا متناقضًا. كان المقر في مكان جميل وخصب على طول نهر النيل، ولكنه كان مبنيًا من "الطوب اللبن"، وفي حالة من الفقر الشديد والخراب، ويكاد يكون غير صالح للعيش. يبدو أن الكنيسة كانت من الناحية المعمارية "غير آمنة"، حتى بالنسبة للصلاة.[٣١] حول أبونا مينا من هناك، انتباهه إلى الدير الأساسي في جبل القلمون، الذي يبعد حوالي خمسين كيلومترًا شمال غرب. يتذكر حنا أنه عندما علم أهل القرية أن أبونا مينا يعتزم زيارة الدير، أرسلوا معه قافلة من سبع جمال محملة بالهدايا؛ "قمح وعسل وجبن".[٣٢] على الرغم من عدم رغبته في تولي منصب رئيس الدير، وكذلك فزعه من ملاحظة الحالة المتردية للدير، إلا أن أبونا مينا انبهر بجمال الدير، فكتب إلى أخيه في ٢٠ يناير ١٩٤٤:

> عزيزي، توجهت إلى دير الأنبا صموئيل، هذا الدير العظيم. لا أستطيع أن أصف جماله، ولا أن أعبّر عن البركة والنعمة بداخله، خاصة أن جسد الأنبا صموئيل؛ الرجل العظيم موجود هناك. مكثنا أربعة أيام وصلينا القداس. غمرتنا البركة ثم عدنا إلى الزورة.[٣٣]

يقول أبونا رافائيل آفامينا (تلميذه لاحقًا): "أني أتعجب من كلماته، ما هو الجمال الذي رآه، وكيف يمكنه أن يقول هذه الكلمات، فنحن جميعًا نعلم أن هذا الدير كان في حاجة ماسة إلى الإصلاح. لقد رأى نوعًا مختلفًا من الجمال لا تستطيع أي عين رؤيته".[٣٤] سواء كان الدير جميلاً أم لا - كانت الترميمات العاجلة ضرورية.

عاد أبونا مينا على الفور إلى القاهرة وطلب مساعدة المقاول (وصديقه) حنا نسيم، كما أنه استعان بالكثيرين من محبيه للحصول على مساعدات مالية.[٣٥] تم نقل زورقين ممتلئين بالحديد والأسمنت والفحم الحجري عبر النيل، مما أثار موجة من الحماس بين سكان قرية مغاغة. تم إجراء أعمال إنشائية وترميمات كبيرة في مقر الدير في الزورة.

أُعيد بناء الكنيسة بالكامل (وتم تغطيتها بسقف جديد)، وتم بناء مسكن جديد للرهبان من طابقين.[٣٦] كما تم تنفيذ أعمال لاحقة خلال العام التالي في الدير في جبل القلمون. وتم عمل الترتيبات لإحضار الاحتياجات من الزورة مرتين في الشهر، لكي يعود الدير مرة أخرى "صالحًا للمعيشة" وتشجيع الكثير من الرهبان الذين رحلوا في السنوات السابقة على العودة.[٣٧]

بعد أن "أحيا" الدير، عيّن أبونا مينا الراهب مينا الصغير - الذي رُسم مؤخرًا كاهنًا بيد المطران الأنبا أثناسيوس - للإشراف على الشؤون اليومية للرهبان.[٣٨] وبقي الراهب مينا الصغير في دير القديس الأنبا صموئيل لبقية حياته، وأصبح في النهاية أسقفًا للدير.

وبعد أن أصبح الدير بحالة جيدة، في منتصف عام ١٩٤٥، عاد أبونا مينا، بشكل غير متوقع، إلى طاحونة الهواء المحبوبة، هذه المرة دون أي إذن قانوني.

كان أبونا مينا يعتني بالدير من بعيد من مصر القديمة على مدى العقد التالي، حتى أصبح الراهب مينا الصغير رئيسًا للدير في عام ١٩٥٤، وكان أبونا مينا يزوره فقط من حين لآخر.[٣٩] وكان يرعى الدير في كثير من الأوقات عن طريق المراسلات.[٤٠] ولهذا السبب، فإن العديد من رسائله (غير تلك الموجهة إلى أخيه) موجهة إلى رهبان دير القديس الأنبا صموئيل. بل إن هناك بعض الاقتراحات بأن أجزاء السيرة الذاتية النادرة التي كُتبت بخط يده كانت في الأصل لتنوير هؤلاء الرهبان أنفسهم.

على الرغم من أن الدير ربما تم تجديده، إلا أن إلقاء نظرة خاطفة على هذه الخطابات يدل على أن الخلافات بين الرهبان لم يمكن التعامل معها سهلاً. كتب أبونا مينا إلى الرهبان في خطاب: "إنني أتوسل لكي يسكن بينكم السلام والاطمئنان والمحبة والصداقة، حتى تصبحوا ذوي قلب واحد ورأي واحد، متواضعين بعضكم مع البعض لأنكم أنتم إخوة في المسيح".[٤١] تطلب الرسالة بأكملها من الرهبان، والغريب أنها كتبت بمناسبة عيد الميلاد، أن "يتصالحوا بعضهم مع البعض بلطف ومحبة"، و"أن يكونوا متواضعين بعضهم تجاه البعض"، و"لا

تزعجوا إخوتكم بكلمة قاسية".[٤٢] وتحمل كل رسالة إلى هؤلاء الرهبان تقريبًا الدعوة نفسها إلى السلام.[٤٣] وصلت هذه الانقسامات في النهاية، إلى ذروتها (كما سنرى) عندما بدأ أبونا مينا بإرسال تلاميذه في مصر القديمة إلى دير القديس الأنبا صموئيل من أجل رسامتهم رهبانًا.[٤٤] سوف يلعب اثنان من هؤلاء التلاميذ الشباب، الذين يُطلق عليهم "رهبان مدارس الأحد"، دورًا محوريًّا في إصلاح الكنيسة.

من هنا نبدأ في إدراك خطورة هذه الخطوة - رغم أنه لم يمكث لفترة طويلة في دير القديس الأنبا صموئيل، إلا أن منصبه كرئيس للدير ساعده أن يرسم الرهبان كوسيلة لتغيير الكنيسة، وكانت هذه (من خلال حكمة المطران الأنبا أثناسيوس) هي الأهمية الدائمة لمنصبه كرئيس دير القديس الأنبا صموئيل.[٤٥]

لكن مع كل هذا؛ رغم أن الدير تم تجديده وترميمه وإحيائه - افتقر الدير إلى الاعتراف الكنسي الرسمي به وهو اعتراف سينتظر حتى الاجتماع الأول للمجمع المقدس بعد رسامة أبونا مينا بطريركًا في عام ١٩٥٩، وسوف يقوم هو بمنح الاعتراف بالدير بنفسه.[٤٦]

حبيب جرجس و"حركة" مدارس الأحد

لم يخترق اليأس روحي ولو ليوم واحد.

لا يوجد عسل من دون لدغة النحل، ومن يتخلى عن العمل الإيجابي من أجل همهمة الناس يشبه الحصان الذي ينفر عندما يرى ظله

رئيس الشمامسة؛ حبيب جرجس

عاد أبونا مينا بهدوء في منتصف عام ١٩٤٥ إلى طاحونة الهواء خارج مصر القديمة. على أمل الهروب من عيون السلطات (المدنية والكنسية)، واستأنف حياته في الوحدة. وفي بعض الأحيان، كما ذكرنا سابقًا، كان يراسل دير القديس الأنبا صموئيل من بعيد. لكن هذه الوحدة لن تدوم طويلاً، فبعد بضعة أشهر، تم ترحيل أبونا مينا مرة أخرى من طاحونة الهوا؛ فمع انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصبح البريطانيون غير مرتاحين من وجود راهب متوحد بالقرب من عملياتهم الصحراوية وخوفا من أن يكون "جاسوسًا" - أو في روايات أخرى، خوفًا على سلامته - وطلبوا منه المغادرة.[٤٧]

يتذكر أحد الأقارب أنه خلال عام ١٩٤٥، بسبب عدم وجود مكان يسكن فيه، أمضى أبونا مينا حوالي أربعين يومًا في الإسكندرية مع أسرته.[٤٨] وعاد في وقت لاحق من ذلك العام إلى مصر القديمة، حيث عاش، كما كان من قبل، بين دير رئيس الملائكة ميخائيل وكنيسة القديسة العذراء مريم في بابليون الدرج.[٤٩] تشير المراسلات من تلك الفترة إلى أنه كان يقيم في الغالب في غرفة واحدة في دير رئيس الملائكة ميخائيل.[٥٠] خلال العام نفسه، تم تعيينه أيضًا (بالقوة) أب اعتراف لدير القديس مرقوريوس أبي سيفين في مصر القديمة. كتب أبونا مينا لأخيه في ٢٥ فبراير ١٩٤٥:

حاولت عدة مرات ألا أقبل المنصب، لكن لم يكن لي رأي في الأمر. كما قد تتذكر، عندما أصدر البابا يؤانس نيح الله روحه، أمرًا وتم عصيانه، وغضب. الشيء نفسه كان سيحدث مع قداسته...[٥١]

كان الأمر مزعجًا إلى حد ما، على الرغم من أن العلاقة مع الدير ستكون في نهاية المطاف حاسمة في حركة الإصلاح الرهباني، وأطاع أبونا مينا على مضض، ولكن في المرة التالية التي سيتلقى فيها برقية من البطريركية لن يفعل. ففي منتصف عام ١٩٤٦، بعد فترة وجيزة من رسامة البابا يوساب الثاني (١٨٧٦-١٩٥٦)، صدر مرسوم بابوي يأمر جميع الرهبان بالعودة إلى أديرتهم الأصلية.[٥٢] لم يجد أبونا مينا أمامه إلا أن يتكلم بخصوص هذا القرار، فكتب إلى وكيل البطريركية، القمص إبراهيم لوقا (١٨٩٧-١٩٥٠)، مشيرًا إلى أنه بصفته رئيس دير القديس الأنبا صموئيل، لا يمكنه العودة إلى ديره الأصلي دير البرموس.[٥٣]

كان القس نفسه قبل سنوات (كما أشرنا سابقًا) طريح الفراش، وبعد أن شفاه أبونا مينا في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، والذي كان لا يزال يعيش في طاحونة الهواء في ذلك الوقت، وعده أبونا لوقا في يوم من الأيام برد الجميل، وفعل ذلك. في أكتوبر ١٩٤٦ تلقى أبونا مينا كلمة من البطريرك. فكتب البابا يوساب الثاني:

لقد تلقيت رسالتك، حيث ذكرت فيها أنك بحاجة إلى قضاء فترات من الوقت في القاهرة لصالح الدير وأنك تسعى للحصول على إذن للصلاة في كنيسة دير رئيس الملائكة في مصر القديمة، والتي قمت بتجديدها أثناء وجودك في مصر القديمة. ليس لدى أي مانع بخصوص ذلك لفترة مؤقتة لأن هذا سيكون نافعًا لدير القديس الأنبا صموئيل.[٥٤]

انتقل أبونا مينا - وهذا أمر مهم - من حياة وحدة عامة في بعض الأحيان عند طاحونة الهواء، إلى حياة رهبانية يسهل اقتحامها في المدينة في كنائس مصر القديمة.[٥٥] لقد وجد أخيرًا بعض الأمل في الاستقرار. في هذه الأثناء، وفي الوقت نفسه تقريبًا، كانت كل من الكنيسة والأمة تتجهان نحو الثورة.

بعد "الإذلال الكبير" عام ١٩٤٢ وما تلاه من إعادة انتخاب زائفة لحزب الوفد، فقد الشعب المصري الأمل في قادته التقليديين. أثناء ذلك، اكتسبت جماعة الإخوان المسلمين شعبية على نحو متزايد بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة. وبسبب طبيعتها المعارضة والفئوية والرجعية اتخذت الجماعة لهجة عنيفة في تلك السنوات. وعند تقسيم فلسطين في سبتمبر ١٩٤٧ ظهر الوجه الحقيقي للإخوان،[٥٦] وأصبحت المظاهرات الجماهيرية ومعاداة السامية والعنف السياسي وحتى الاغتيالات العرضية شائعة. قام رئيس الوزراء المصري؛ النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين في ديسمبر ١٩٤٨، خوفًا من "تهديد جذري للسياسة الداخلية".[٥٧] وتم اغتياله بعد أقل من ثلاثة أسابيع. وعلى الرغم من أن حسن البنا؛ المؤسس والمرشد الأعلى للإخوان المسلمين، نأى بنفسه (وحركته) عن ارتكاب هذا الفعل، إلا أن رد الفعل سيكون سريعًا.[٥٨] قُتل البنا عندما كان ينتظر سيارة أجرة في ١٢ فبراير ١٩٤٩.[٥٩] وبعد وفاته، تحولت جماعة الإخوان الناشئة حديثًا إلى العمل السري.

كانت الحركات الشيوعية وحركة مصر الشابة تتأرجح بين القصر والوفد والإخوان. أسهمت هذه الحركات غير البرلمانية، على الرغم من عدم قدرتها على نشر أفكارها على نطاق واسع، في "زعزعة استقرار الملكية الدستورية في مصر".[٦٠] والسماح، بل خلق "مناخ أيديولوجي" يمكن أن تزدهر فيه ثورة جمال عبد الناصر المستقبلية.[٦١] كانت تجربة الديمقراطية الليبرالية في مصر فاشلة - ومع سقوط الديمقراطية جاء صعود تيار الإسلام السياسي.

مع المطابقة المستمرة للأقباط مع الاحتلال البريطاني المحتقر[٦٢] بالإضافة إلى الوجود القبطي الضعيف في حزب الوفد المعطل بالفعل،[٦٣] شهدت مصر تيارًا - بقيادة الإخوان ومصر الشابة - ينقلب مرة أخرى ضد الكنيسة. وبحلول نهاية الأربعينيات، كان القلق القبطي واضحًا. بدأ أبونا سرجيوس (الذي دافع ذات مرة عن "الهلال والصليب" على منبر الأزهر) يكتب بغضب وبلا هوادة في مجلة المنارة عن "اضطهاد المسلمين للأقباط"،[٦٤] ويشير بطريقة تحريضية متزايدة إلى أن البنا كان

دمية بريطانية، و"مهرج للإيجار"، وأوصاف أخرى مثل أحمق حمار،[٦٥] ولم يكن التراشق بالكلمات من جانب واحد، فكثيرًا ما انزلقت الصحافة القبطية والإسلامية على حد سواء في معارك لفظية اشتملت على إهانة الأمهات، والزوجات، والأخوات.[٦٦] وقبل بضع سنوات فقط، أدى التراشق اللفظي إلى حدوث أعمال عنيفة، حيث تم إحراق الكنائس، وتدمير المحال التجارية القبطية، وضرب الكهنة.[٦٧]

في ظل هذا الاضطراب الثقافي والسياسي، لم يكن رد فعل العديد من الشباب الأقباط ذو مظهر خارجي عميق أو جذري. لقد خاب أملهم بسبب الاضطرابات السياسية واستنفذوا من اشتعال التمييز الطائفي المتصاعد، وعندما وجهوا أنظارهم إلى الكنيسة، وجدوا كنيسة فقيرة ومنهكة ومنقسمة بشدة. ستكون ثورتهم ثورة من أجل الشفاء الداخلي.

كتب أبونا إبراهيم لوقا في أكتوبر ١٩٤٣:

> الحياة الروحية ضعيفة ووحدتنا الوطنية محطمة. أصبحت كنائسنا فارغة وهربت الخراف. ضعفت سلطة الكنيسة. فقدت الكنيسة مجدها وكرامتها من كل النواحي. أمورنا الآن تحت الرقابة والفحص من الآخرين. كنا رأسًا، أصبحنا الآن ذيلاً.[٦٨]

كان هناك شخص آخر أكثر صراحة، وهو عميد الكلية الإكليريكية، قال في تحليله للكنيسة خلال تلك الفترة: "إن جاز وصف ذلك العصر، فإننا نسميه عصر الظلمات والركود والتخلف".[٦٩] كان ذلك العميد حبيب جرجس (١٨٧٦ - ١٩٥١).

عند النظر إلى نهضة الكنيسة القبطية في القرن العشرين، سعى العديد من الباحثين إلى حصر من الذي بدأ حركة الإصلاح إما في شخص أبونا مينا أو حبيب جرجس، على الرغم من أن الواقع (كما سنرى) كان أكثر غموضًا وتعقيدًا.[٧٠]

ولد حبيب جرجس في القاهرة، ونشأ في المدرسة القبطية الكبرى التي أنشأها البابا كيرلس الرابع.[٧١] وبعد الانتهاء من تعليمه الثانوي، كان من أوائل الدفعة التي

التحقت بالكلية اللاهوتية تحت إشراف يوسف منقريوس.[٧٢] تم اختياره للتدريس في الكلية خلال سنته الأخيرة في عام ١٨٩٨، مما يشير إلى تفوقه الأكاديمي وكذلك قلة الموظفين، وتم تعيينه رسميًّا كمحاضر في العام التالي.[٧٣] تم تعيينه في النهاية عميدًا في عام ١٩١٨، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى وفاته عام ١٩٥١.[٧٤]

رُسم رئيس شمامسة في وقت ما قبل عام ١٩١٢، وظل عازبًا طوال حياته.[٧٥] على الرغم من أنه غالبًا ما يُصوَّر على أنه النموذج العلماني الدارس، يتذكر وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس لاحقًا) أن جرجس لم يكن يرى نفسه على هذا النحو. قال جرجس: "هناك درس واحد لم أفهمه بعد خدمة لمدة خمسة وثلاثين عامًا في كنيستي، لم أكن أعلم أنه حتى الآن أني لم أكن من رجال الثوب (الكهنوت)".[٧٦] في الواقع تم ترشيحه عدة مرات للأسقفية، بل حتى تم ترشيحه مرة واحدة للبابوية، والغريب أنه كان العضو الوحيد العلماني في انعقاد المجمع المقدس.[٧٧] وهكذا كان لحبيب جرجس دور غير عادي للغاية في حياة الكنيسة. يُذكر عن البابا كيرلس الخامس أنه قال "ادعُ حبيبنا [حبيب جرجس] لأنه راهب مثلنا".[٧٨] على الرغم من هذا التقدير، لم يكن لدى حبيب جرجس سوى القليل من الوقت أو الاهتمام بالمناصب الكهنوتية؛ كان يتألم مما رآه، لقد أصبحت الكنيسة مجرد ظل لمجدها السابق. وعلى الرغم من أن الإصلاح كان ضروريًا ومحفوفاً بالمخاطر إلا أن حبيب جرجس كان حازمًا: الإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يكون إلا من داخل الكنيسة.[٧٩]

بدأ حبيب جرجس في عام ١٩٠٠، في جمع أطفال الفجالة في وسط القاهرة وبدأ يعلمهم تعليمًا بسيطًا ومتواضعًا في صورة حوار عن طريق السؤال والجواب، يُعرف أيضًا باسم "مدارس الأحد".[٨٠] لم تكن النتائج الأولية واعدة، لكنها أقنعته بالحاجة الماسة إلى التعليم اللاهوتي ووجود المعلمين ذوي التفكير المماثل.[٨١] وسيقضي العقود القليلة التالية في العمل من أجل توفير الأموال والمباني وأنشاء كلية جيدة، كل ذلك على أمل تأمين التعليم اللاهوتي لجيل المستقبل من الكهنة لكي يحلوا محل سلسلة

الكهنة بالوراثة الأميين (الذين كانوا غالبًا ضعاف روحيًّا).[82] وقام بنشر مجلة لاهوتية باسم الكرمة، وكتب بغزارة وهو يسعى تقريبًا منفردًا من أجل "تعليم" الكنيسة. لقد خرج برسالته خارج حدود الكلية، حيث سافر جرجس إلى جميع أنحاء مصر، وألقى محاضرات دفاعًا عن اللاهوت الأرثوذكسي - ربما جزئيًّا كرد فعل تجاه الإرساليات البروتستانتية - وكان يختم كلامه دائمًا بدعوة عاجلة لوضع تعليم ديني للشباب على مستوى الشعب.[83]

من المؤكد أن حركة حبيب جرجس - كما صارت في النهاية - لم تلق قبولاً جيدًا سواء لدى الرعية أو على المستوى العام. كان يُنظر إليها على أنها تعدٍ متهور وغير ناضج على السلطة التقليدية لرجال الكهنوت (وغير المتعلمين تقريبًا)، وفي معظم الأحيان، تم السخرية من هذه الحركة واعتبارها تبديدًا للأموال.[84] ولكن رغم ذلك، بحلول عام ١٩٣٨، أصبح هناك خمسة وثمانون فرعًا في القاهرة وحدها، وسرعان ما انتشرت إلى دمنهور والإسكندرية في أواخر الأربعينيات.[85] وُلدت حركة قوية بعد عقود من التقدم البطيء. ولن تصبح الكنيسة كما كانت سابقًا. كتب أحد تلامذته (المتنيح البابا شنودة الثالث):

> معلمنا رئيس الشمامسة؛ حبيب جرجس، بدأ حياته في عصر كان يكاد يخلو من التربية والمعرفة الدينية. كانت الأرض خربة وخالية، والظلام على وجه الغمر، كما يصف سفر التكوين. ثم قال الله ليكن نور فكان نور. وكان النور حبيب جرجس.[86]

يبدأ الإصلاح بالنور: القدرة على رؤية الأشياء كما هي في الحقيقة.

مع انتشار هذا "النور" كالنار في جميع أنحاء القاهرة والجيزة، تشكلت الحركة. إن كلمة "مدارس الأحد" غالبًا ما تُفهم خطأ على أنها مجرد فصول للأطفال تُعقد بعد القداس يوم الأحد - هذا المفهوم لا يعبر أبدًا عن العزيمة والمثابرة والجراءة الغيورة لهذه الحركة العميقة التي كانت مضادة للثقافة الموجودة. إن مجرد ذكر اسم مدارس الأحد للأعضاء القلائل الأحياء الآن من الإصلاحيين الأصليين المنتمين لهذه الحركة

يجعل أعينهم تلمع بلهيب الثورة. كان التعليم وسيلتهم في الحث على الإصلاح الكنسي على مستوى الشعب. ولكي نكون واضحين، لقد كانت حركة شاملة. يتذكر أحد قادة الحركة قائلاً: "كنا غاضبين جدًّا من الطريقة التي كانت عليها الأمور في الكنيسة. أردنا دراسة الكنيسة القديمة من أجل النهوض بالكنيسة الحديثة. لم يكن الكهنة يعظون، ولا يفتقدون الشعب".[٨٧]

يمكن تمييز العديد من "المراكز" و"المدارس" الفكرية ضمن حركة مدارس الأحد المبكرة، فقد كتب العالم الألماني؛ ولفرام ريس بتدقيق أن هناك أربعة "مراكز أساسية للإصلاح" نشأت من انتشار الحركة: الجيزة، وكنيسة الأنبا أنطونيوس في شبرا، وجزيرة بدران، وكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل (بالقرب أيضًا من شبرا).[٨٨] من المؤكد أن أوجه التشابه بينها كانت أكثر بكثير من الاختلافات، لكن التحديد مفيد في فحص العناصر داخل الحركة. لذلك، نرى أنه كانت هناك، في الواقع، مدرستان فكريتان أساسيتان - كنيسة الأنبا أنطونيوس والجيزة - مع "المراكز" الأخرى التي تبدو مختلطة؛ على سبيل المثال، كانت جزيرة بدران مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بفلسفة مركز الجيزة ويبدو أنها قامت ببساطة بالتكيف مع البيئة الحضرية المحيطة بها.[٨٩] حتى في ذلك الوقت، كما يشير صموئيل تادرس "لم تكن الأبعاد الفكرية مرسومة بشكل حاد دائمًا"، حيث كان العديد من الأعضاء ينتمون إلى كلا المعسكرين.[٩٠]

نشأ المركز الأول، كنيسة الأنبا أنطونيوس في حي شبرا خلف "مستشفى كيتشنر" المشهور. ولأسباب عدة، كان هناك كثافة عالية غير معتادة من الأقباط يعيشون هناك، وكان أحدهم طالبًا اسمه ظريف عبد الله إسكندر الذي وصل مؤخرًا من أسيوط عام ١٩٣٤.[٩١] كان ظريف يجمع أطفال الجيران الصغار بسرعة وسط موعد محاضراته في كلية الهندسة في جامعة القاهرة ويثير حماستهم بقصص القديسين، ويعرِّفهم ببراعة على جمال إيمانهم. تم بناء كنيسة في المنطقة بعد سنوات قليلة ورُسم القس بطرس الجوهري، وكان هذا بعد بدء نشاط مدرسة الأحد في المنطقة.[٩٢] لكن

أبونا بطرس، الذي كان له رؤية نسكية للعالم إلى حد ما (خاصة فيما يتعلق بطقوس الكنيسة)، لم يكن يفهم أساليب ظريف.[٩٣] وأدى الخلاف في أكتوبر ١٩٣٦ إلى مغادرة ظريف إلى الجيزة.

كان أبونا بطرس قاسيًا وجافًا، ولكنه كان مهتمًا بالتعليم اللاهوتي وركز بشكل مكثف على الرعاية الرعوية، وبالتالي أصبح ذائع الصيت.[٩٤] انحاز العديد من الطلاب الذين قبلوا "الصرامة النسكية" للأب بطرس معه، مما أعطى صفة نسكية مميزة لحركة كنيسة الأنبا أنطونيوس.[٩٥] ولذلك نظروا إلى الأنبا أنطونيوس شفيعهم كنموذج بامتياز. عندما نظروا إلى العقلية الرهبانية الأولى، أدرك هؤلاء الشباب بسرعة أنه لا يمكن إصلاح الكنيسة إلا "من الداخل إلى الخارج"، وليس من خلال "الالتزام السياسي أو الاجتماعي أو الاجتماعي الثقافي، وليس من خلال نقد المشاكل الحالية للكنيسة، ولكن في احتضان تقاليدها القديمة".[٩٦] وكما لاحظت إحدى حركات كنيسة الأنبا أنطونيوس إن وحدة أنطونيوس، ونسكه، وجهاده الفردي من أجل الكمال - أي تحوله الفردي - حث الآخرين (والكنيسة) على ذلك التحول نفسه.[٩٧] كان هذا التوجه إلى الماضي هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى رؤية أصيلة للكنيسة.[٩٨] ليس من قبيل المبالغة القول إن هذا الاهتمام النسكي أدى إلى أن تنتشر "الروح العسكرية" بين أولئك المنتمين إلى الحركة.[٩٩] انغمس الطلاب في جو من الصلاة والانضباط والنسك. وبالمثل، لم يكن التعليم تلقينيًا، بل كان بالأحرى اقتداءً وكان قائمًا على نموذج التلمذة الرهباني. سُمح فقط لأولئك الذين تم إعدادهم لمدة عام إلى عامين بأن يصبحوا "خدامًا" (قادة شباب) في حركة مدارس الأحد[١٠٠] ادعى أحد الطلاب اللامعين أن هذا هو ما يميز حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس عن حركة الجيزة.[١٠١]

كان التركيز على الجوانب التحويلية الإيجابية للكنيسة بدلاً من انتقاد ضعفها الحالي أمرًا منعشًا ومغريًا. نتيجة لذلك، أصبح اجتماع كنيسة الأنبا أنطونيوس للشباب في النهاية هو الأكبر في القاهرة.[١٠٢] كان نظير جيد (البابا شنودة الثالث فيما

بعد) يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا في عام ١٩٤٠، وسيكون بحلول عام ١٩٤٥ مشاركًا بشكل وثيق في قيادة حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس، ومعه العديد من الشباب الأنقياء - أساقفة المستقبل؛ الأنبا أثناسيوس أسقف بني سويف (الثاني)، والأنبا يؤانس أسقف الغربية، والأنبا باخوميوس أسقف البحيرة، والأنبا أرسانيوس في المنيا - بالإضافة إلى مجموعة من رهبان وراهبات وكهنة المستقبل. لن نخطئ إذا وافقنا على رأى راغب عبد النور: كانت حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس "كلية لاهوتية ثانية" .[١٠٣]

كان المركز التكويني الآخر لحركة مدارس الأحد في الجيزة، على حدود مصر العليا والسفلى. وهناك - ضمن أبرشية الجيزة المتنوعة، والقليوبية، وقويسنا - يتقابل المجتمع المصري المدني مع المجتمع المصري الزراعي الأفقر، والأمي إلى حد كبير. كانت الجيزة أيضًا موقعًا لجامعة فؤاد، حيث يمكن الالتحاق بالتعليم العالي دون خوف من التأثيرات الإسلامية كما هو الحال في الأزهر في القاهرة. وهذا، كما يقترح ريس، هو ما أسهم بشكل كبير في تكوين حركة الجيزة: في أن تكون مدخل ومنبع لشباب الجامعات. كان الطلاب يسافرون ذهابًا وإيابًا بين الجيزة وصعيد مصر، ويقضون مدة زمنية حوالي ثلاث إلى أربع سنوات من الدراسة قبل الرحيل إلى مكان آخر، مما أدى إلى تحول سريع غير عادي للحركة.[١٠٤]

على عكس حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس، لم تتأثر الحركة في الجيزة أو تتشكل بواسطة الكهنة الموجودين في ذلك الوقت، بل كانت ربما كرد فعل. يدعي ريس أن "الكنيسة المحلية بالكاد تقبلتها في الأيام الأولى وبالتأكيد لم تشجعها".[١٠٥] كافحت الحركة لاحقًا التي بدأت من عام ١٩٣٠ بفصول صغيرة بعد ظهر يوم الأحد.[١٠٦] لكن الأمور تغيرت مع وصول ظريف عبد الله من كنيسة الأنبا أنطونيوس في شبرا، بعد الصراع المذكور أعلاه مع أبونا بطرس، الذي أصبح صديقًا على الفور لوهيب زكي (أبونا صليب سوريال فيما بعد)، ولاحقًا مع سعد عزيز (الأنبا صموئيل فيما بعد).[١٠٧] على النقيض من انضباط وصرامة حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس، اتسمت خدمة ظريف "ببعض الحرية المرحة".[١٠٨] بدأ بعمل مسابقات في الكتاب المقدس، والعزف

على العود في الاجتماعات، ولم يدع فقط إلى الروحانية الشخصية ولكن أيضًا إلى "التماسك الكنسي والاجتماعي".[١٠٩] كانت هذه الدعوة هي التي أثارت اهتمام المحامي الشاب سعد عزيز.

تطلعت عيون مدارس أحد الجيزة وقلوبها وعقولها -وسعد على رأسهم- إلى الخارج. بدلاً من العمل على الفرد باعتباره "نواة روحية" داخل كنيسة محلية، سعى هؤلاء إلى "التجديد الكنسي الكامل"، متطلعين إلى "الذين لم تصل إليهم الخدمة".[١١٠] ولكن مع وصول خدام حركة مدارس الأحد إلى القرى التي شكّلت جزءًا من مدخل أبروشية الجيزة، أصبح من الواضح على الفور أن "الخدمة" لا يمكن أن تقتصر على التعليم الديني. كان القرويون فقراء وأميين ولا يعرفون تقريبًا أي شيء في كثير من الحالات عن إيمانهم. يتذكر أحد الخدام قائلاً: "حضر الرجال كبار السن فقط، ولم يكن غريبًا أن تجد طفلاً يبلغ من العمر اثني عشر عامًا لم يتم حتى تعميده".[١١١] لم يجد الخدام لسوء الحظ، إلا القليل من الدعم من الكهنة المحليين،[١١٢] لذلك بلا شك بقيت الحركة في تلك المنطقة حركة علمانية. دفع العديد من هؤلاء الشباب الجامعيين والعاملين ما يصل إلى نصف رواتبهم للخدمة؛ وأحدهم (أبونا متى المسكين فيما بعد) ذهب إلى حد السماح للخدام بأخذ الحصيلة النقدية في الصيدلية إذا احتاجت خدمة مدارس الأحد ذلك.[١١٣] تم في النهاية تطوير شبكة تمويل ذاتي موسعة. وبحلول أوائل الأربعينات من القرن الماضي، كان هناك حوالي ثلاثمائة فرع على اتصال بحركة الجيزة، تخدم غالبية صعيد مصر.[١١٤] وستكون هذه الشبكة نفسها بعد ذلك ضرورية لنشر الإصلاح.

كانت هناك تربة خصبة للتجديد في القرى؛ "العمود الفقري" التقليدي لمصر. وهكذا وُلدت "دياكونية الريف" في الجيزة.[١١٥] بينما كانت طريقة حركة مدارس أحد كنيسة الأنبا أنطونيوس هي العودة إلى الآباء والكنيسة الأولى، اعتمدت حركة مدارس أحد الجيزة على المعنى الحقيقي للإنجيل نفسه. بدلاً من التعليم الصارم

للجهاد النسكي، سعت حركة مدارس أحد الجيزة إلى تطبيق طريقة تفاعلية تعتمد على الاختبار والإبداع، لأنه على الأقل في ريف مصر، كانت الحياة "أفضل مدرسة".[١١٦]

كانت الكنيسة العطشى واليابسة تنتظر وتشتاق إلى مياه الإصلاح. كما ستؤكد لنا الأيام في النهاية، كان من الضروري تطبيق رؤية حركة مدارس أحد كنيسة الأنبا أنطونيوس ومدارس أحد الجيزة، وهو التحول النسكي للفرد وتبنى التجديد الكنسي الكامل. مع ذلك، خلال السنوات التكوينية لهذه الحركات، لم يكن هناك سوى اتصال وتبادل قليل بين مراكز مدارس الأحد هذه، وبخلاف بعض العلاقات الفردية، كان تطوير التوجهات يتم بشكل مستقل للغاية تحت العين الساهرة لحبيب جرجس.[١١٧] ولكن بحلول أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، أصبح لا يمكن مقاومة قوة حركة مدارس الأحد. كتب البابا يوساب الثاني إلى كهنة القاهرة في مارس ١٩٤٨ قائلاً: "إن مدارس الأحد هي أملنا الوحيد، يمكننا أن نبني عليها جيلاً جديدًا راسخًا وثابتًا في الإيمان الأرثوذكسي".[١١٨] سواء أكان هذا شعورًا حقيقيًّا أم لا فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد أهمية الاعتراف الرسمي بالحركة - اقترح البعض أنها كانت وسيلة لكبح جماح قوة هائلة والسيطرة عليها.[١١٩] على الرغم من أن الإعلان لم يعن الكثير للكهنة والأساقفة المعاصرين، إلا أنه مهد الطريق لموجة جديدة من رجال الكهنوت نشأوا في الحركة (وحتى أيضًا مهد لظهور بطريرك في المستقبل).[١٢٠]

تنيح حبيب جرجس مؤسس حركة مدارس الأحد في ٢١ أغسطس ١٩٥١. كان في أيامه الأخيرة لا يزال يتألم مما رآه: الكنيسة لا تزال منقسمة بعمق، والكلية الإكليريكية معطلة بشكل دائم (على حافة الإغلاق القسري)، وسلك الكهنوت لا يحمل أي علامات واضحة للإصلاح.[١٢١] لكن على الرغم من أن الكنيسة لم تتغير بشكل واضح، إلا أن الأرضية تغيرت بالتأكيد. لم يكن حبيب جرجس يعرف عندما أغمض عينيه أن تحولاً جذريًّا، بل زلزاليًّا، كان على بعد عقد من الزمان - وهو تحول تغذى بشكل أساسي من الحركة التي أسسها قبل نصف قرن. كتب أحد تلاميذه في

نعيه: "لقد فشل المعلم العظيم في خطة الإصلاح، لكنه فشل حيثما يُعتبَر التقصير والفشل شرفًا؛ إنه فشل الشهيد".[١٢٢]

كنيسة مارمينا: تقاطع حركة (١٩٤٦-١٩٥٠)

عندما استقبل الأنبا مقاريوس كل الإخوة بكل بساطة، سأله بعضهم لماذا اختلط بهم هكذا. فقال: خدمت الرب لمدة اثنتي عشرة سنة لكي يمنحني هذه النعمة، فهل تنصحونني جميعًا بالتخلي عنها؟

القديس مقاريوس الكبير

مرت السنون وما زال أبونا مينا بلا قلاية دائمة؛ يعيش متوحدًا متجولاً بلا دير. استمر في أغلب الأوقات يعيش في غرفة صغيرة في دير رئيس الملائكة ميخائيل في مصر القديمة.[١٢٣] هناك ستُؤسِر حياته في الوحدة داخل المدينة قلوب وعقول سكان المدن المجاورة، ويمكننا أن نضيف أيضًا أنها ستثير دسائس (واستياء) عدد غير قليل من الرئاسات الكنسية.[١٢٤]

في أوائل عام ١٩٤٧، اصطحب أبونا مينا، في وسط صلواته، المهندس يوسف سوريال إلى سطح الدير في مناسبة لا تُنسى، وقال وهو ينظر إلى عقار مجاور "يريد مارمينا هذه الأرض لبناء كنيسة، المالك مسافر ويريد بيعها بثلاثة جنيهات للمتر... السعر غالي!"[١٢٥] يتذكر يوسف أنه تمتم في نفسه بهدوء أن أبونا مينا ليس لديه الأموال اللازمة لشراء حتى متر واحد، ناهيك عن العقار الذي تبلغ مساحته ١٥٠ مترًا مربعًا. بعد أسبوع جاء يوسف للزيارة مرة أخرى، فبادره أبونا مينا قائلاً "بمجرد أن أدرك المالك أن شراء العقار خاص بمارمينا، قال المالك إنه سيبيعه مقابل جنيهين للمتر"، وأضاف أبونا مينا دون أن ترف له عين "جاءت سيدة لديها هذا المبلغ، وقد دفعته على الفور"[١٢٦] وهكذا نشأ دير مارمينا في مصر القديمة.[١٢٧]

تم شراء قطعة أرض مجاورة بعد عام، مما أدى إلى زيادة المساحة إلى حوالي ستمائة متر مربع.[١٢٨] لم ينس أولئك الذين نالوا الشفاء (أو الذين شُفي أحباؤهم) على مر السنين لطف أبونا مينا المتوحد الهادئ.[١٢٩] تم جمع تبرعات سخية على الفور، وبدأ الصديق القديم حنا نسيم (الذي أعاد بناء كنيسة القديس الأنبا صموئيل) في

البناء.[١٣٠] كان الدير عبارة عن مبنى من طابقين، تبلغ مساحته عشرين في ثمانية أمتار، ويضم كنيسة كبيرة في الطابق الأرضي بها ثلاثة مذابح وعدد قليل من الغرف لخبز القربان ولكي يعيش بها الكاهن.[١٣١] تم بناء قلاية للأب مينا في الطابق العلوي مباشرة فوق المذبح الرئيس، مع أربع غرف أخرى في الجانب الجنوبي. بعد ذلك بوقت قصير تم بناء مسكن ملحق في الفناء لطلاب الجامعة الداخليين على الأرض الإضافية.[١٣٢]

تم تكريس دير مارمينا مصر القديمة في أواخر عام ١٩٤٧ على يد الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والأنبا أبرام في الجيزة.[١٣٣] كتب أبونا مينا إلى أخيه حنا، وهو بالكاد يضبط فرحه:

> في هذا اليوم المبارك، نظر الله من علو السماء واستجاب لصلواتنا. لا أستطيع أن أعبر لك عن الفرحة العظيمة التي شعر بها الجميع. لا أبالغ عندما أقول إن القديس العظيم مارمينا، ومارجرجس، والأنبا صموئيل، وقبل كل شيء القديسة العذراء مريم شاركوا معنا، وفرحت الملائكة.[١٣٤]

ماذا قصد بكلمة" شارك معنا"؟ و"أنا لا أبالغ"؟ هل كانت هذه إشارة بتحفظ عن حدوث ظهور؟ بالتأكيد لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يوجه فيها أبونا مينا مثل هذه الإشارات، ولن تكون الأخيرة. أيًّا كان ما قصده، فقد تمكن هذا الرجل الذي يبلغ من العمر خمسة وأربعين عامًا أخيرًا من متابعة ما هو ضروري: أن يعيش حياة الصلاة في توحد، وإن كان ذلك في وسط القاهرة.

يتذكر أبونا رافائيل آفامينا هذه الفترة، فقد كان أبونا مينا المتوحد يعد القربان ويصلي التسبحة في منتصف الليل، ثم يصلي صلاة باكر والقداس حتى الساعات الأولى من الصباح، ثم يلبي احتياجات العديد من الطلاب الذين اجتمعوا حوله، ثم يفطر في النهاية في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر قبل العمل والتنظيف، ثم يصلي صلاة الغروب في المساء.[١٣٥] ما يجب أن نكرره بالتأكيد أنه وبصورة لافتة، كان العديد من تلاميذه يذكرون أن "قانونه الروحي" اليومي الذي بدأ من الوقت الذي

قضاه في المغارة في دير البرموس حتى وفاته كان هو القانون ذاته بالضبط وعلى المنوال نفسه. على الرغم من أنه كان يعيش في وسط القاهرة الصاخبة، إلا أنه عاش كما لو كان وحيدًا في الصحراء.

في الواقع، قيل إنه خرج مرة واحدة فقط خلال أكثر من عقد من الزمان خارج بوابات دير مارمينا في مصر القديمة. قال أحد تلاميذه (البابا شنودة الثالث لاحقًا): "لا أستطيع أن أتذكر أنه غادر هذا المكان على الإطلاق، باستثناء مرة واحدة من أجل إجراء عملية جراحية".[١٣٦] كانت الإشارة هنا إلى ليلة مرض فيها أبونا مينا خلال التسبحة.[١٣٧] مرض أبونا مينا بصورة شديدة، وعندما كان يتعافى من التخدير، بعد إزالة الزائدة الدودية مباشرة، تَذكُر العديد من الروايات صدمة الطاقم الطبي في مستشفى هرمل أن أبونا مينا المتوحد كان يردد القداس عندما يعود إلى الوعي وعندما يغيب عن وعيه.[١٣٨] يبدو أن قانونه استمر دون انقطاع، سواء في الصحراء أو المدينة، في الكنيسة أو المستشفى، سواء أكان واعيًا أم لا.

على الرغم من أن الوحدة كانت بوضوح شاغله الرئيس، إلا أنه يبدو أن أبونا مينا أدرك فورًا إمكانيات ديره الصغير في مصر القديمة. مما قد نجمعه من رسائله، كان الدير في ذهنه هو "معهد ميناء الخلاص".[١٣٩] عندما استعار أبونا مينا هذا الاسم من مجلته اللاهوتية التي أصدرها قبل عقدين من الزمان، سعى لإنشاء ملجأ آمن وسط اضطرابات القاهرة.

كان الغرض من إنشاء الدير (أو المعهد) لأجل تحقيق أربعة أهداف: إنشاء مدرسة قبطية ابتدائية، والتعليم اللاهوتي، وعمل دراسات عن طريق المراسلة، ومكتبة مرجعية.[١٤٠] كان يجمع كل مساء الأطفال لصلاة الغروب، ويعلمهم الترانيم الكنسية واللغة القبطية، ويوعدهم، إذا التزموا، بقربانه كاملة لأولئك الذين حضروا القداس منذ بداية الصلاة.[١٤١] أفاد الكثيرين ممن صلوا معه عن سعادتهم برؤية الراهب المتوحد الذي، يجب أن نذكر هذا، أنه كان صانع معجزات مشهور في ذلك الوقت، يلبس "جلبابًا فوق جلبابه الكهنوتي"، ويضع لحيته في ملابسه، ويشمر عن أكمامه

حتى يعجن القربان بشكل صحيح.[١٤٢] كما تم عقد المحاضرات للشباب (تم تجميع هذه السلسلة في كتاب لتفسير الكتاب المقدس)، وخُصص جناح كامل من المقر المجاور للدير للتدريب المهني - وقد أثار هذا مرة أخرى قلق البطريركية.[١٤٣] لكن كانت إحدى مشاريعه الأخرى هي الأكثر أهمية وستسبب قلق أكثر للبطريركية.

بدأ الطلاب في التدفق من المحافظات إلى جامعة القاهرة (فؤاد) في أواخر الأربعينيات. وبعد أن رأى أبونا مينا هذا النزوح الجماعي، أنشأ بيتًا داخليًّا صغيرًا في المبنى الملحق بسعر زهيد. قال أحد التلاميذ أنه كان لديه غرض واحد وهو: بناء "ملجأ يحافظ على إيمانهم وعفتهم".[١٤٤] يكتب حنا في مذكراته "بقدر ما كان رحيمًا ومحبًا، كان حازمًا".[١٤٥] لقد وُضعت ثلاثة شروط على الطلاب الراغبين في العيش في الدير: تقديم خطاب تزكية من كاهن كنيستهم، والالتزام بقواعد الدير، والانتظام في القداس الإلهي.[١٤٦] انتشر الخبر وسرعان ما تم التزاحم حول "الدير" الصغير. يتذكر عبدالمسيح بشارة (الأنبا أثناسيوس أسقف بني سويف بعد ذلك):

> لم يغضب أبونا مينا أبدًا ولم يجعل أي إنسان يشعر أنه لا يوجد له مكان. كنا نجلس في غرفة نكتب ونناقش قضايا مدارس الأحد ونعد المناهج ونرنم. كان لديه قلب كبير، يحتوي الباشوات، والفقراء جدًّا، والمرضى؛ قلب كبير يحتوي الجميع. لاحظ أولئك الذين عرفوه أنه كان بسيطًا جدًّا، ولم يكن هناك شيء غير عادي في أسلوب حياته؛ الصلاة، والتسبحة، وعمل القربان، وإضاءة الشموع، ويتكلم مع أي إنسان يريد أن يقابله. كان عملاقًا روحيًّا، ولكنه كان بسيطًا للغاية. شعر الكل بالراحة هناك...[١٤٧]

عاش الطلاب حياة تشبه حياة الرهبان في مارمينا مصر القديمة، فقد كانوا يشاركون في عمل مهام الدير، ويدرسون، ويتلقون الإرشاد الروحي، ويشهدون، حسب رواياتهم، أحداثًا خارقة للطبيعة تقريبًا. يروون أن المعجزات كانت كثيرة، وكانت معجزات إخراج الشياطين متكررة بشكل غريب.[١٤٨] عاش أبونا مينا ليل نهار في خدمة هؤلاء الطلاب، فرحًا بمقاطعتهم، وتخفيف أعبائهم، وصار لهم أبًا.[١٤٩] يتذكر

أحد أقارب أبونا مينا المتوحد "على الرغم من أنه كان هناك من يتولى مسؤولية المطبخ، تولى أبونا مينا مسؤولية الاهتمام بالجميع، وكان يتأكد بنفسه أن كلهم كانوا يتناولون الطعام".[١٥٠]

كان أحد أقرباء أبونا مينا شابًا من الجيزة اسمه وهيب زكي (١٩١٦-١٩٩٤).[١٥١] وكان منذ عام ١٩٣٦ يطلب مشورة أبونا مينا المتوحد في طاحونة الهواء. وأدت الحرب العالمية الثانية إلى "توطيد علاقتهما" عندما أُجبر أبونا مينا على الانتقال إلى مصر القديمة.[١٥٢] ولقرب المكان من الجيزة، استطاع وهيب أن يزوره بانتظام، حيث أطلق عن غير قصد واحدة من أهم حركات الإصلاح التي عرفتها الكنيسة على الإطلاق.

تخرج وهيب محاميًا في كلية الحقوق جامعة القاهرة، ومع وصول ظريف عبد الله أواخر الثلاثينيات، أصبح أحد مؤسسي حركة مدارس الأحد بالجيزة.[١٥٣] من خلال وهيب، تعرَّف قادة مدارس الأحد في الجيزة على أبونا مينا، وأخذه كثير منهم في النهاية أب اعتراف لهم.[١٥٤] يتذكر أحدهم أنه سرعان ما انتشرت الجملة أنه كان هنا راهب "يمكن للإنسان أن يتحدث معه بصراحة ويتلقى نصائح صادقة... أتى الكثيرون من شبرا (من حركة كنيسة الأنبا أنطونيوس) لأن شهرته زادت أكثر فأكثر، وكذلك من القاهرة والإسكندرية".[١٥٥] لجأ هؤلاء الشباب في كل المشاكل الشخصية والكنسية إلى أبونا مينا، ليقيموا علاقة روحية قوية بين أبونا مينا المتوحد وحركة مدارس الأحد. عاش معه كثيرون، واعترفوا عنده، وتعرفوا فيه على رجل قديس كان أيضًا من رجال الكهنوت، كان في عيونهم هم على الأقل شيئًا نادرًا.

في عام ١٩٤٨، تم ترشيح ظريف عبد الله كاهنًا، وهو أحد أوائل تلاميذ أبونا مينا، ليكون أول عضو في حركة مدارس الأحد يتم رسامته كاهنًا.[١٥٦] كانت المشكلة الوحيدة هي أنه غير متزوج. تم العثور في النهاية على عروس مناسبة؛ تمت خطبتهما يوم الأربعاء، وتزوجا يوم الخميس، وبعد ثلاثة أيام، في ٧ مارس ١٩٤٨، رُسم ظريف كاهنًا (أبونا بولس بولس) في كنيسة القديس مار جرجس في دمنهور.[١٥٧] لقد كانت لحظة بالغة الأهمية في تاريخ الحركة فقد أصبح الإصلاح بمعنى ما "كهنوتيًا".

كان أسقف الجيزة يأمل في البداية أن يقوم "برسامة مزدوجة" لظريف مع وهيب، ولكن احترامًا لأسرة خطيبة وهيب، تم تأجيل رسامته حتى ٣٠ مايو ١٩٤٨.[١٥٨] لم تكن عائلتها راضية عن الرسامة؛ ظل والد زوجة وهيب لا يتكلم معه بصورة جيدة حتى الثمانينات.[١٥٩] يبدو أن الرسامة في رتب الكهنوت كانت غير مقبولة للغاية. لكن هذا لم يكن يعني الكثير بالنسبة لوهيب (أبونا صليب سوريال فيما بعد) لأن حركة مدارس الأحد أصبحت جزءًا من الكنيسة، وكان هذا هو المهم.[١٦٠] هذا لا يعني بالضرورة، مع ذلك، أنه كان هناك دعم كامل من الرؤساء. فقد طُلب من أبونا صليب قبل الرسامة توقيع عقد يحرمه تمامًا من أي مساعدة مالية أو راتب من الأبروشية.[١٦١] واجه هذا التكريس الإصلاحي الرفض الشديد. وعدم الاستقرار، بالإضافة إلى الفقر.

في أواسط يوليو ١٩٤٨، مباشرة بعد أن قضى أبونا صليب فترة الإعداد بعد الرسامة الكهنوتية التي تمتد أربعين يومًا، أُحضر إليه صبي صغير "به روح شريرة". يروي أبونا صليب الحادثة بنفسه، وبالنظر إلى مكانته كواحد من أكثر الكهنة احترامًا في القرن العشرين، فإن الرواية تتمتع بمصداقية دائمة.[١٦٢] يتذكر أبونا صليب، مدركًا أنه كاهن جديد ليس لديه موهبة إخراج الشياطين "حاولت أن أصلي له، صليت على بعض الماء في وعاء من الفخار، لكنه كسر الوعاء. لقد جربت عددًا من الأشياء الأخرى". قال الصبي المسكون بالروح الشرير: "هل تعتقد أنك كاهن، أنت كاهن رُسِمت بالأمس فقط، أنت عديم الفائدة، تحاول إخراجي وإبعادي بعيدًا، اسكت، كن هادئًا واهتم بشؤونك الخاصة!" صُدم الكاهن الجديد، واستدعى سيارة أجرة، على أمل أن يأخذ الصبي إلى أبونا مينا في مصر القديمة. وبينما كانوا يقودون سيارتهم، صرخ الصبي المسكون بالروح الشرير "ستأخذني إلى ذلك الرجل الذي سيقتلني، خذ هذا!" وبهذه الكلمة الأخيرة، كما يقول أبونا صليب، انفجرت الإطارات الأربعة في اللحظة نفسها. انفجر سائق السيارة الأجرة قائلاً "الله يخرب بيوتكم! أربع إطارات! ليس واحد أو اثنان أو ثلاثة، بل أربعة!" يتابع أبونا صليب:

"أعطيناه نقودًا وأخذنا سيارة أجرة أخرى، وقلت للفتى المسكون بالروح الشرير: "إذا قمت بحركة أخرى سأحرقك بهذا، ورفعت في وجهه الصليب". عند وصوله إلى كنيسة مارمينا في مصر القديمة، ذكر أبونا صليب المرهق والمرعوب جدًّا إلى أبونا مينا أحداث اليوم. قال أبونا مينا: "لا تقلق يا بني". وفي هذه اللحظة بدأ بالصلاة لمدة ثلاثين دقيقة.[١٦٣] وبهدوء وبصورة طبيعية تغير في الحال صوت الصبي وعاد إلى حالته الطبيعية. يتذكر أبونا صليب أنه كان مرعوبًا وبدأ يمشي ومعه الصبي في لفات حول الدير خوفًا من مغادرة أبونا مينا في حال كان الصبي لا يزال لم يشف. طمأنه أبونا مينا بهدوء قائلاً: "لا تقلق" وقال له مبتسما "اذهب إلى المنزل. لن يحدث أي شيء آخر".[١٦٤]

كان سعد عزيز (١٩٢٠-١٩٨١) إنسانًا يتحلى بنكران الذات، وهو أحد الأصدقاء المقربين للأب صليب، وكان أبونا صليب قد عرَّفه أيضًا بأبونا مينا. انضم سعد إلى حركة مدارس أحد الجيزة في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي أثناء دراسته في كلية الحقوق جامعة القاهرة، وكان هو الأب المؤسس لمبادرة "الدياكونية الريفية"، التي رأى فيها "مفتاح نهضة الكنيسة".[١٦٥] يُذكر عنه على أنه كان يبحث دائمًا عن أصعب القرى ليمارس خدمة القرية.[١٦٦] لقد حُرم بعد تخرجه في عام ١٩٤١، من تصريح ممارسة المحاماة (حيث كان عمره أقل من واحد وعشرين عامًا)، ومن ثم التحق بقسم علم الاجتماع في الجامعة أثناء عمله في أحد البنوك. وفي وقت لاحق من ذلك العام صدم عائلته وأصدقائه بإعلانه أنه سيصبح "خادمًا متفرغًا" أو ما عُرف لاحقًا باسم حركة التكريس. وبدأ في دراسة اللاهوت مع وهيب (أبونا صليب) تحت إرشاد حبيب جرجس.[١٦٧] أصبح سعد خلال هذه السنوات قريبًا جدًّا من أبونا مينا؛ أب اعترافه، وسرعان ما سيقوم بالخطوة الثانية المهمة في حركة مدارس الأحد.

أخبر سعد أصدقاءه في إحدى الليالي في أوائل عام ١٩٤٨ أنه اختار حياة الرهبنة. كانت الحركة في الجيزة غالبًا ما تجتمع في منزله.[١٦٨] فصدم أصدقاؤه، وقرروا اصطحابه إلى أبونا مينا، واثقين من أنه سيقدم المشورة برفض رسامته راهبًا. يتذكر وهيب (كان

لا يزال علمانيًا) "كان معظم أعضاء حركة مدارس الأحد في الجيزة يعترفون عند أبونا مينا في ذلك الوقت".[١٦٩] وصلوا إلى مصر القديمة في الخامسة صباحًا وأمسكوا بأبونا مينا قبل القداس. بدأ وهيب الكلام بصراحة: "أنت تعلم أن سعد يريد أن يصبح راهبًا، وأنت تعلم جيدًا مدى صعوبة هذا الطريق بالنسبة لرجل متعلم". ويروى وهيب أن أبونا مينا تركهما فجأة، ودخل الهيكل وركع أمام المذبح. وبعد ساعة خرج من خلف حامل الأيقونات: "سنرسمه بإذن الله"، "سوف نرسمه؟" أجاب وهيب وهو مرتبك "أين سترسمه؟" أجاب أبونا مينا بهدوء: "هنا يا بني". "هنا؟ كيف يا أبي هل هذا دير؟" قال أبونا مينا المتوحد ضاحكًا: "ألا تعرف، يا بني، أنني رئيس دير، ويمكنني أن أرسم رهبانا؟" وبالفعل، في ١٤ أبريل عام ١٩٤٨، قام أبونا مينا برسامة سعد باسم الراهب مكاري.[١٧٠] أصبح مكاري؛ أول "رهبان مدارس الأحد"، الأنبا صموئيل أسقف الخدمات المسكونية والاجتماعية.

ومع ذلك، كان قلق وهيب في محله. في ذلك الوقت كانت البطريركية تلاحق أبونا مينا لأن "دير مارمينا مصر القديمة"، رغم أنه لم يكن ديرًا معترفًا به رسميًا، قد اكتسب شعبية متزايدة، الأمر الذي أثار استياء بعض الكهنة الكبار.[١٧١] بمجرد العلم بأن المتوحد كان يرسم رهبانًا في المدينة، بدأوا في مراقبة هذا الوضع غير المألوف للغاية. وبعد بضعة أشهر، طرق شاب آخر بابه أيضًا طالبًا الرهبنة، مما زاد من حنق البطريركية.

ارتبط يوسف إسكندر (أبونا متى المسكين) (١٩١٩-٢٠٠٦) بحركة مدارس الأحد بالجيزة أثناء دراسته للصيدلة في جامعة القاهرة في أوائل الأربعينيات، وهناك، مثل معظم الذين انضموا للحركة، اتخذ أبونا مينا مرشدًا روحيًا. عاد يوسف بعد التخرج إلى دمنهور، حيث امتلك صيدليات ناجحة ولعب دورًا أساسيًا في رسامة ظريف عبد الله (أبونا بولس بولس). وعلى عكس معظم الادعاءات التي يكتبها الباحثون، لم يكن يوسف إسكندر "عضوًا "في حركة مدارس الأحد. كتب يوسف إسكندر في سيرته الذاتية: "في شبابي، لم أخدم في مدارس الأحد، على الرغم من صداقتي مع كل

من خدم هناك، لأنني شعرت أن تدريس الدين كان عقيمًا ومصطنعًا بطريقة التعليم المدرسي نفسه. وهذا ما أرفضه حتى يومنا هذا".[١٧٢] ولكن على الرغم من أنه ربما يكون قد اختلف مع أساليب الحركة، فلا شك أنه شاركها في رغبتها في الإصلاح والنهضة، ويمكننا أن نضيف بالتأكيد أنه أسهم بأمواله الخاصة من أجل مساندة مسعاهم.[١٧٣]

وصل يوسف إسكندر من دمنهور إلى مارمينا في مصر القديمة في منتصف عام ١٩٤٨، في الوقت نفسه الذي تمت فيه رسامة ظريف وسعد ووهيب.[١٧٤] لم يأتِ من أجل قضاء خلوة. قال إنه باع للتو صيدلياته وأحضر ثمنها كتبرع لمساعدة أبونا مينا في مشاريعه. أجاب أبونا مينا: "إذا أردت أن تتبع المسيح فاترك كل شيء وتعال واتبعه. وزع أموالك كما تريد. تعال فقيرًا لا تملك شيئًا. تذوق حلاوة الفقر الاختياري حتى تشعر بغنى المسيح".[١٧٥] أطاع إسكندر؛ "عاد فقيرًا، لا يملك شيئا".[١٧٦] لم يكن اهتمام أبونا مينا بالبناء، ولا حتى إنجاز العمل الاجتماعي، بل التلمذة الروحية. كان هذا أيضًا درسًا للشاب المبتدئ للتخلي عن السيطرة، وهو صراع سيستمر لبعض الوقت.

كتب إسكندر في سيرته الذاتية:

> لقد واجهت، منذ بداية دخولي وأثناء الاختبار الرهباني، رئيس الدير [أي أبونا مينا] في محاولته إبقائي في القاهرة. لقد استدعاني مرارًا لأقابل أشخاص من جميع الطبقات والجنسيات لكي أبقى لأخدم معه، وأن نذهب إلى الدير (دير القديس الأنبا صموئيل) فقط لأخذ البركة. رفضت بشدة، وقلت إنني أريد أن أكون راهبًا في الدير (دير القديس الأنبا صموئيل)، من أجل الدير، ولا أغادره. كانت بداية صراع ازداد وتشعب فيما بعد.[١٧٧]

ظل يوسف لمدة ثلاثة أشهر يسأل أبونا مينا المتوحد متى سيرسله إلى الصحراء. استسلم أبونا مينا في النهاية، وتم رسامة إسكندر باسم الراهب متى الصموئيلي - والذي عرف فيما بعد باسم الأب الشهير متى المسكين.[١٧٨] سيتحدى أبونا متى أبونا

مينا مرارًا وتكرارًا خلال العقود الثلاثة اللاحقة. ومع ذلك، يبدو من هذه الروايات وغيرها أن أبونا مينا كان لديه مخاوف حقيقية بشأن الشاب وكيف سيستطيع أن يعيش بين رهبان القديس الأنبا صموئيل الأميين (وربما المثيرين للجدل).[١٧٩] بهذين الراهبين التلميذين - على الرغم من أن أحدهما كان جامحًا - وضع أبونا مينا أسس الإصلاح الرهباني، وبعد ذلك الإصلاح الأسقفي.

بعد سنوات قليلة طلب أبونا مينا من هذين التلميذين (مكاري ومتى) الانتقال إلى دير السريان في وادي النطرون.[١٨٠] وكان يرسل خلال العقد التالي، كثيرين للانضمام إليهما. كان رئيس الدير وأسقفه الأنبا ثاؤفيلس (١٩٠٨-١٩٨٩) واسع الحيلة إلى حد ما، وعلى الرغم من أنه لم يكمل سوى تعليمه الثانوي، إلا أنه كان "واسع الأفق بشكل استثنائي".[١٨١] رُسم أسقفًا في يوليو ١٩٤٨، وكان أول من يقدِّر التعليم، وفتح من كل قلبه أبواب ديره أمام الجيل الجديد من الرهبان المثقفين، وبذلك قام بـ "دور أساسي في إصلاح الرهبنة".[١٨٢] بحلول عام ١٩٥٦، تم توجيه ما لا يقل عن عشرة أعضاء آخرين من حركة مدارس الأحد للذهاب إلى دير السريان.[١٨٣] ولكن حتى هناك في الصحراء، كانوا يتطلعون إلى أبونا مينا المتوحد، وفي لحظة ضعف تركوا ديرهم لكي يسكنوا معه في مصر القديمة.[١٨٤]

قال أحد هؤلاء الرهبان: "لقد اعتبرنا أنفسنا أبناءه، كنا نذهب ونطلب إرشاداته في الأوقات الصعبة".[١٨٥] قال هذه الكلمات نظير جيد (١٩٢٣-٢٠١٢) الذي دخل دير السريان في يوليو١٩٥٤. كان قد تخرج وحصل على شهادات في التاريخ واللاهوت منذ سنوات، وكان هو أيضًا تلميذًا للأب مينا.[١٨٦] وقد تبع الكثيرون في كنيسة الأنبا أنطونيوس في شبرا أولئك الذين كانوا في الجيزة في اتخاذ أبونا مينا المتوحد أب اعتراف لهم. يتذكر نظير جيد "كنت أعرفه في عام ١٩٤٨ عندما كنت أذهب إلى الكنيسة في مصر القديمة. انتهى بي الأمر أن أعيش معه لكي استمتع بالقداسات والصلوات الليتورجية ورعايته وإرشاده في تلك البيئة الجميلة في مارمينا". ويتابع نظير جيد قائلاً: "كان يتمتع بشخصية قوية، لقد احترمه الجميع. وكانت مهابته وحبه تغمر كل

من قابله".[187] عاش نظير جيد من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥١ في مارمينا في مصر القديمة بعد استقالته من العمل وتقلد منصب محاضر بنظام يوم عمل كامل في الكلية الإكليريكية.[188] سيصبح نظير جيد أكثر تلاميذ أبونا مينا شهرة، حيث عاش لعدة سنوات ناسكًا متوحدًا، قبل أن يصبح في النهاية، هو نفسه لاحقًا بطريركًا (البابا شنودة الثالث).

كان من بين هؤلاء الشبان الذين تتلمذوا على يد أبونا مينا المتوحد في دير مارمينا في مصر القديمة عدد كبير من الذين سِيموا بعد ذلك أساقفة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: وهيب عطا الله (المطران الأنبا غريغوريوس فيما بعد ١٩١٩-٢٠٠١)، الذي تسلق الجبل في سن المراهقة إلى طاحونة أبونا مينا ليجلس عند قدميه،[189] وعبدالمسيح بشارة (الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف ١٩٢٣-٢٠٠٠)، وميخائيل خليل (الأنبا دوماديوس مطران الجيزة ١٩٢٥-٢٠١١)، وسليمان رزق (الأنبا مينا ١٩٢٣-١٩٩٦) الذي سيُصبح رئيس دير مارمينا في مريوط.[190]

كان هناك شخص آخر لم يكن أقل تأثيرًا، كان كاتب في الشرطة، بعد أن أمضى ثلاث سنوات مع أبونا مينا، رُسم كاهنًا في سن الثانية والخمسين وهو أبونا ميخائيل إبراهيم (١٨٩٩-١٩٧٥). وفي السنوات اللاحقة، غالبًا ما كان يُرى مجموعة من الأساقفة على باب أبونا ميخائيل إبراهيم، يجلسون متلهفين ينتظرون الكاهن المسن لسماع اعترافهم.[191]

في خلال عقد واحد وتحت هذا السقف المميز لدير مارمينا في مصر القديمة، يمكننا أن نجد من دون استثناء تقريبًا كل صوت إصلاحي للكنيسة القبطية في القرن العشرين. لقد كان هذا المكان، ومن دون مبالغة، بذرة الإصلاح، و"نموذجًا للعصر الجديد".[192]

صاغ أبونا مينا في تلك الكنيسة المتواضعة نموذجًا رهبانيًا نادرًا وجذريًا؛ أسلوب حياة نسكية. كان أبونا مينا منفتحًا جذريًا على التطلعات الفكرية لذلك العصر.[193] كان على حد تعبير البابا شنودة الثالث "وسيطًا بين الجيل القديم والجديد"،[194] ويمثّل

المصالحة بين العلمانيين التقدميين ورجال الكهنوت المحافظين. لقد هيأ مكانًا للشباب المتحمسين "الذين لم يكن لهم مكان بعد في الأديرة الموجودة"،[195] وقام بعمل "ميناءً للخلاص" لهم في كنيسة لم تكن في ذلك الوقت ترى أنها بحاجة إليهم ولم تكن لديها أدنى رغبة لاستيعابهم. لا يجب القول في أي وقت من الأوقات إن المتوحد الهادئ بحث بنشاط عن مرشحين (لم يكن لديه أي نية للإصلاح على الأرجح)؛ بل أن هؤلاء الشبان هم من جاءوا إليه بأنفسهم. يعلق مؤرخ فرنسي على أن "المثقفين الشباب أحاطوا به، لقد وجدوا أنفسهم فيه".[196]

إن حياة أبونا مينا في الوحدة، وحياة النسك المغيِّرة، من شأنهما أن يتركا أثرًا عميقًا على الكهنوت وعلى حد تعبير صموئيل روبنسون "حيث لا يوجد مكان للمقايضة".[197] لا يمكننا أن نبالغ في أهمية هذا الأمر، ففي خلال سنوات قليلة فقط ألهمت كنيسة مارمينا في مصر القديمة حركة مدارس الأحد للانضمام إلى صفوف رجال الكهنوت من خلال أبونا مينا (أب اعتراف الكثير من أعضائها). نجد هنا في مارمينا، مجموعة من الخدام العلمانيين، والكهنة، والرهبان، ورؤساء الأديرة، والأساقفة، والمطارنة، علاوة على اثنين من البطاركة. إن البذور التي زرعها في يوم من الأيام حبيب جرجس، والتي نماها ووجهها وقواها أبونا مينا، من شأنها أن تجتاح مصر في خلال عقد من الزمان. وهنا تلتقي حركات الجيزة وشبرا؛ هنا بالمعنى الحقيقي - بالمعنى الحرفي والمجازي - أصبح أبونا مينا اب اعتراف حركة مدارس الأحد. هنا، تحت هذا السقف العجيب جدًا، أصبح أب اعتراف الإصلاح نفسه.

حياة البرية القلبية: الرهبنة في المدينة (١٩٥٠-١٩٥٩)

قال الرهبان لبطريرك الإسكندرية: "عندما نراك، كأننا حقًّا رأينا المسيح"
قصة حياة الأنبا باخوميوس

كانت مصر في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي على أعتاب انقلاب ثوري سيُطيح بالملك، وتُلغى الملكية الدستورية، ويُطرد البريطانيون أخيرًا. ومع ذلك، فالثورة ليست دائمًا إعادة تشكيل.

يحذر ديفيد بنتلي هارت:

> الثورات العنيفة والمفاجئة والمفجعة هي التي تحقق نتائج قليلة. في حين أنها قد تنجح في إعادة تنظيم المجتمعات بشكل جذري، إلا أنها لا تستطيع إعادة تغيير الثقافات. قد تتفق في تدمير الماضي، لكنها عمومًا عاجزة عن خلق مستقبل. الثورات التي تغير حقيقة الإنسان من العمق - الثورات الحقيقية الوحيدة - هي الثورات التي تحوِّل العقل والإرادة أولاً، والتي تعيد تشكيل الخيال وتعيد توجيه الرغبة، والتي تطيح بالاستبداد داخل النفس.[١٩٨]

في هذا الدير الفريد؛ دير مارمينا في مصر القديمة، كانت الثورة هناك من النوع الذي يتحدث عنه ديفيد هارت: "تدريجية، دقيقة، صغيرة للغاية وغير مكتملة إلى حد ما في البداية" - مثل ثورة المسيحية في القرون الأولى - "أدخلت ببطء رؤيتها عن الواقع الإلهي والكوني والإنساني في الثقافة المحيطة بها، في معظم الأحيان بالأفعال بدلاً من الأقوال".[١٩٩] ربما لا يوجد وصف ينطبق أكثر (حتى وإن كان مكتوبًا عن ثورة أهم بكثير وإن كانت علاقتها وثيقة) لهذه السنوات في مارمينا. والمثير للدهشة أنه لم يتم تسجيل أي شيء مهم بشكل خاص عن هذه الفترة بخلاف المعجزات التي أصبحت الآن "عادية" إلى حد ما بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الدير وحوله. يبدو في الواقع أن معظم المصادر تتبع الصمت الاختياري للأب مينا خلال هذا العقد، وقد كتبت هذه المصادر بشكل واضح عن هذه السنوات كلمات

قليلة، إن وجدت على الإطلاق.[200] مع ذلك يمكن القول إنه إذا كانت السنوات التي قضاها في طاحونة الهواء هي الأكثر تكوينًا في حياته، كما يجادل الكثيرون، فإن هذه السنوات في مارمينا مصر القديمة كانت الأكثر تكوينًا في حياة الكنيسة.

ما يحدث في الصحراء لا يبقى في الصحراء. إن الثورة التي ظهرت بهدوء في مصر القديمة كانت قد بدأت في حياة النسك والوحدة في مغارة دير البرموس قبل عقدين من الزمان. ولكن هل يمكن عيش مثل هذه الوحدة والرهبنة في صورتها الأصيلة خارج الصحراء؟

يبدو أنه يمكن ذلك. كتب القديس تيخون من زادونسك إلى السلطات الكنسية الروسية: "لا تستعجلوا أن يكثُر عدد الرهبان، فالثوب الاسود لا يُخلِّص. الشخص الذي يرتدي ثوبًا أبيض، ثوب شخص عادي، ولديه روح الطاعة والتواضع والنقاء، هو راهب لم يتم رسامته، هو راهب في أعماقه".[201] يحث يوحنا ذهبي الفم قائلاً: "دعونا نسعى وراء الصحراء، ليس فقط المكان، ولكن أيضًا اتجاه القلب".[202] بالنسبة لكليمنضس السكندري، فإن الباحث الحقيقي عن المعرفة يعيش في المدينة كأنه في الصحراء"،[203] في حين أن حياة الرهبنة التوحدية للآباء الكبادوك تعني تحرير النفس؛ الانفصال الداخلي بغض النظر عن المكان.[204] تقول أم البرية المستنيرة الأم سينكلتيكا "من الممكن أن يكون الإنسان متوحدًا في قلبه وهو يعيش وسط حشد من البشر، ومن الممكن أن يعيش الشخص المتوحد وسط حشد من أفكاره الخاصة".[205] بمعنى آخر، تستلزم الوحدة الانسحاب من المجتمع، وأن يعيش الإنسان البرية في قلبه".

على الرغم من أن هذا يعني تقليديًّا الانسحاب الجسدي إلى مكان مقفر، إلا أنه قد يأخذ أيضًا شكل "الانسحاب الاجتماعي"، على سبيل المثال، في التظاهر بالجنون،[206] أو بشكل أكثر شيوعًا، في "الانسحاب الداخلي"، الوحدة الداخلية، حيث يكون الإنسان حاضرًا جسديًّا واجتماعيًّا، ومع ذلك فهو يعيش في وحدة داخلية. هذا النمط الأخير هو الذي يميز أبونا مينا. وكراهب يعيش في المدينة، كشف

للشباب الذين تجمعوا حوله "نمطًا": نمط الرهبنة الداخلية، التي تعيش قلبيًا في البرية.[٢٠٧] وهؤلاء الشبان الذين يلبسون "الجلباب الأبيض" إذا استخدمنا كلمات القديس تيخون مرة أخرى - سيصبحون يومًا ما "من لابسي الجلباب الأسود" للإصلاح الكنسي.

كان عبدالمسيح بشارة (١٩٢٣-٢٠٠٠) أحد هؤلاء الطلاب الجامعيين، والذي سيصبح الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف فيما بعد. إنه يعطينا لمحة نادرة عن هذه السنوات التي تم نسيانها في معظم الأوقات. في ذلك الوقت، جاء الكثير من هؤلاء الشباب إلى أبونا مينا محبطين ومتألمين، لكنه رفض بشكل مميز سماع انتقاداتهم للكهنة الآخرين. يتذكر عبدالمسيح: "إذا اشتكى أحد منا، كان أبونا مينا يقول، 'هل تريد أن تصلي في كنيسة، ها هي الكنيسة، صلِّ' ".[٢٠٨] لم يكن لديه وقت للتفكير في السلبيات. كان هذا الموقف هو أكثر ما يميز قدرة أبونا مينا كأب اعتراف. ويتابع عبد المسيح (الأنبا أثناسيوس):

> أنا شخصيًّا أتذكر أنه كان يمكنني الذهاب إليه في أي وقت. كلما شعرت بالإجهاد ركضت إليه؛ كان أب اعترافي. لم يترك أحدًا يرحل وهو يشعر بالاكتئاب، بل وهو يملؤوه الأمل. كان ينظر إلى الأرض(أثناء الاعتراف) ويقتبس أقوال القديسين، ويمزجها بكلمات مألوفة من الحكمة والكتاب المقدس. شجعنا على تطوير مواهبنا؛ كل شخص حسب قوته، ولا يطور أسلوبًا ويطمس آخر، بل يشجع كل شخص حسب ميوله الشخصية. كان لديه قدرة رائعة على التشجيع. احتضن الناس ورفعهم، لقد اعتدنا أن نذهب إليه مثقلين بأحمالنا ونلقي عليه كل شيء. وحملنا بابتسامة وسلام وقوة.[٢٠٩]

بصفته أب اعتراف لهؤلاء الطلاب الجامعيين - وكثير منهم سيصبحون أنوارًا رائدة في الكنيسة - سعى أبونا مينا إلى تنمية الحرية الروحية. لم يُشكِّل أحدًا على صورته قط. على الرغم من أنه كان بالتأكيد صارمًا بشكل مؤلم على نفسه، إلا أن اهتمامه الوحيد بهؤلاء الشباب كان من أجل أن يعيشوا من أجل الله، بغض النظر عن الاتجاه الذي سيتخذه هذا الطريق. يتذكر عبدالمسيح (الأنبا أثناسيوس):

لم يكن أبدًا متشددًا في إرشاده في اعترافاتنا؛ كل إرشاداته الروحية كانت معتدلة. كان يعطى الحرية. في حين كان إرشاده لشخص ما أن يصلى صلوات قصيرة "يا ربي يسوع المسيح ارحمني"، كان إرشاده لآخر ممن أحب أن يصلي صلاة الأجبية أن يفعل ذلك. كان أبونا مينا يزيل الغرور والتعقيدات من الشخص الذي يعترف لديه، ويوضح له كيف يعيش في بساطة. لم يُثقل الناس بأكثر مما تُوصي به الكنيسة. من يحب التراتيل يرتل معه ليلاً ونهارًا، ومن أحب الكتاب المقدس فليدرسه ليلاً ونهارًا، ومن أحب التسبحة فليسبح ليلاً ونهارًا، وشَجع أولئك الذين أحبوا الخدمة، ودعمهم بالإمدادات والمال. كان يعطينا مالاً لخدمة مدارس الأحد ولمنطقة مصر القديمة."[٢١٠]

بالنسبة للشباب الذين عاشوا في مارمينا مصر القديمة، كان هذا شيئًا مختلفًا عن أي شيء رأوه من قبل. كان بمعنى حقيقي تجسيدًا لشيء مفقود. كان أبونا مينا صانع معجزات شهيرًا ورجلاً قديسًا، ومع ذلك فقد كان يهتم بكل واحد منهم.

إن شخصيات القديسين الرائعة التي قفزت من صفحات الأدب الرهباني المبكر (التي اكتشفتها حركة مدارس الأحد، ولكن اعتقدت أنها لم تعد موجودة) كانت هنا متجسدة أمامهم في شخص أبونا مينا. لقد كان هذا المثال - وهذا ليس رأيا بسيطًا - ليس فقط إعادة اكتشاف "لنمط" من القداسة، ولكن ما هو أكثر إعادة اكتشاف هويتهم. يقال إن حركة مدارس الأحد كانت بمثابة إيقاظ ورد فعل على فقدان الجذور التاريخية للهوية القبطية.[٢١١] إذا كان هذا صحيحًا، فهنا، في مصر القديمة، تجسمت تلك الهوية في لحم ودم.

على سبيل المثال في حياة الأنبا أنطونيوس في الأدب الرهباني، عندما خرج "القديس" من الوحدة، كان متفردًا بشكل لا مثيل له.[٢١٢] وكانت تحيط "بالقديس" هالة، وشعور بالرهبة، وفي الوقت نفسه هناك جاذبية تعكس "قوة أعظم من أي حب جسداني، أو أي رغبة، أو مشاعر بشرية".[٢١٣] كان لهذا التفرد أيضا القدرة الثاقبة على تحدي الهياكل التقليدية للسلطة والامتياز. كان الأمر، باختصار، "انقلابًا اجتماعيًّا ولاهوتيًّا وسياسيًّا".[٢١٤] وسواء أكان بقصد أم بغير قصد، مع سبق الإصرار أم لا،

سيُنظر إلى أبونا مينا على هذا النحو من قبل رجال الكهنوت القدامى، وأيضا من قبل الرؤساء، وحتى من قبل البطريركية.

تشير روايات مختلفة إلى أن الوحدة قوبلت خلال هذه السنوات في مصر القديمة بـ "الكثير من الصعوبات والاضطهاد المفرط".[٢١٥] على الرغم من أن هذه الحقيقة غير معروفة للمؤمنين اليوم، كان للأب مينا معارضون أقوياء. أثارت خدمته وسط الطلبة الشباب من خلال عمل برامج للتدريب والتعليم الفني، العديد من رجال الكهنوت القدامى "هذه المهام التي كان يجب أن يقوم بها رؤساؤه".[٢١٦]

ومرة أخرى، كما حدث في حلوان خلال المدة التي قضاها في الكلية اللاهوتية، أصبح إقامة أبونا مينا للقداس يوميًا سببا للخلاف. وسرعان ما وُجهت إليه تهمة "الهرطقة" من بعض الأشخاص الذين كان لديهم أفكار خاطئة تمامًا وخاصة من الناحية اللاهوتية لأنه أقام القداس يوم السبت. يتذكر أحد القمامصة المشهورين وهو القمص يوسف أسعد أن أبونا مينا سأله "ما هو يوم السبت؟" أجاب القمص يوسف أسعد "هو يوم أجازه" ("أي يوم راحة"). سأله أبونا مينا "وأين نجد راحتنا؟" سكت القمص يوسف أسعد؛ فقال أبونا مينا "بالطبع نجد راحتنا في ربنا، فهل نكون هراطقة إذا صلينا القداس يوم السبت؟"[٢١٧]

كان الأمر الأكثر إزعاجًا للمقر البطريركي هو أن أبونا مينا يقوم برسامة الرهبان خارج الدير. يتذكر أبونا صليب سوريال جيدًا كيف شعر هو نفسه بالخوف عندما تم رسامة سعد عزيز راهبًا (الأسقف الأنبا صموئيل فيما بعد) في مارمينا مصر القديمة. يتذكر أبونا صليب سوريال أنه تحدث مع أبونا مينا المتوحد قائلاً: "انظر، لم نأت إلى هنا لنزيد الأمور اشتعالا. نعلم أن هناك مشاكل بينك وبين المقر البطريركي".[٢١٨] في الواقع، غضب المقر البطريركي عندما سمع أن أبونا مينا كان يرسم رهبانًا في المدينة وخططوا لترحيله بسرعة من القاهرة.[٢١٩] ومما يثير الانتباه أن أبونا صليب يكمل حديثه ويضع اللوم على شخص معين يسمى مِلِك، الذراع الأيمن

للبطريرك وشخصية مظلمة سنتحدث عنها قريبًا، كان مِلِك يقوم بالتحريض ضد أبونا مينا منذ أن بدأ في بناء مارمينا مصر القديمة في عام ١٩٤٧."[٢٢٠]

سرعان ما تحول الكلام إلى عمل. يكتب حنا أنه مع ازدياد شعبية أبونا مينا، ازداد حسدهم أيضًا."[٢٢١] وفي وقت ما من عام ١٩٤٩، قامت البطريركية بخطوة للسيطرة على كنيسة مارمينا في مصر القديمة وجعلها تابعة لدير البرموس.[٢٢٢] كتب البابا يوساب الثاني إلى الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والأنبا مقاريوس رئيس دير البرموس في ٢٦ يناير ١٩٤٩:

> عندما أصدرنا مرسومنا، الذي ينص على أن يعين أبونا مينا البرموسي رئيسًا لدير الأنبا صموئيل. اقتصر مرسوم التعيين على الإشراف على شؤون هذا الدير، ورعاية أبنائنا الرهبان الذين يزورونه، والعمل على صيانة مبانيه وكنيسته. لكن للأسف، تجاوز هذا الراهب هذه الحدود، ورسم رهبانًا (خارج الدير)، على الرغم من إنذاره. وتلقينا رسائل من إخواننا وكلاء ورؤساء الأديرة تعترض على سلوك ذلك الراهب.[٢٢٣]

على الرغم من أن أبونا مينا قد حاول فيما بعد أن يرسم الرهبان في دير القديس الأنبا صموئيل (حيث كان لا يزال رئيسًا للدير) بدلاً من مارمينا في مصر القديمة، إلا أن البابا يوساب أصدر مرسومًا بأن دير الأنبا صموئيل أيضًا ليس ديرًا معترفًا به رسميًّا، ولن يعترف المجمع برهبنة أي شخص خارج الأديرة "المعترف بها رسميًّا". أخيرًا، اختتمت الرسالة بأمر للأساقفة بترحيل أبونا مينا:

> برجاء اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعلام أبونا مينا البرموسي ومن في دير القديس الأنبا صموئيل بذلك. نطلب من أبونا مينا أن يعود إلى ديره (البرموس) كما كان من قبل، وإلى أخينا الروحي الحبيب الأسقف الأنبا أثناسيوس أن يتخذ الإجراءات اللازمة لحماية الدير الذي هو جزء من أبروشيته.[٢٢٤]

غضب الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف عندما تلقى الرسالة. "فقط اترك (أبونا مينا) وشأنه"، يُذكر أن هذا كان رد الأنبا أثناسيوس على البابا يوساب. "الرجل

يهتم بشؤونه الخاصة، اهتم أنت بشؤونك الخاصة، ودعه يهتم بشؤونه الخاصة، لماذا تحزنه؟""[٢٢٥] لحسن الحظ، تمكن بعض الأصدقاء المؤثرين؛ كمال رزق وحلمي يعقوب مكاري، من التدخل ومنع تنفيذ المرسوم البطريركي.[٢٢٦]

وقد تصاعدت الأمور أكثر في مناسبة لاحقة حيث كان هناك محاولة لاختطاف أبونا مينا، ويُزعم أن الذين حاولوا القيام بها كانوا من داخل المقر البطريركي، ولكن تم إحباطها.[٢٢٧] وبعد عام، أثناء محاولته إعادة بناء الدير في مريوط، كتب أبونا مينا خطابًا مصوغًا بعناية يطلب فيه تسجيل جميع ممتلكات الدير باسم الدير نفسه (مما يعني ضمنيًا أنه لا يُسجل من ضمن ممتلكات البطريركية)، "حيث وضح للغاية الجشع الشديد للأطراف الأخرى".[٢٢٨] بالنسبة للأب رافائيل آفامينا، كان القصد من هذه المضايقة المزعجة واضحًا تمامًا: "وقف أنشطته... وكبح تحركاته".[٢٢٩]

كتب ج. ك. تشيسترتون:

> القديس دواء لأنه ترياق، هذا هو السبب في الحقيقة أنه في معظم الاحوال يُحسب شهيدًا، ويتم فهمه خطأ على أنه سم لأنه هو مصل ضد السموم. أنه عمومًا يعيد العالم إلى اتزانه من خلال تعظيم كل ما يهمله العالم، وبلا جدال هذا هو دائمًا الموقف نفسه في كل عصر.[٢٣٠]

يتابع تشيسترتون: "إنها مفارقة التاريخ، أن كل جيل يتغير على يد القديس نفسه الذي يسير عكس اتجاه هذا الجيل تماما".[٢٣١] إن الرهبنة الحضرية للأب مينا تقف في قلب هذا التحول في مصر الحديثة. إن الكنيسة والمجتمع اللذين كانا يطالبان بالتجديد عن طريق الثورة قام بشفائهما الشخص نفسه الذي ناقضهما أكثر من غيره؛ راهب أجبرته العناية الإلهية على أن يكون معروفًا للناس. راهب سعى إلى أن يكون متواضعًا وهادئًا ومخفيًا وغير معروف.

وسط هذا العقد من الزمن الذي شهد هذه الاضطرابات الكنسية والوطنية، استمرت حياة أبونا مينا المتوحد المنعزلة في "برية النفس الداخلية" دون انقطاع. على

الرغم من اضطهاد البطريركية المرهق، كانت هذه السنوات تكوينية في حياة الكنيسة؛ لقد اخترقت طريقة الرهبنة المدنية الداخلية صفوف رجال الكهنوت.

مهما كان ما عانى منه، فإن كلمات أبونا مينا (التي قيلت في السنوات اللاحقة بصفته بطريركًا) تكشف عن فرحته الكاملة خلال هذا العقد: "أكتب إليكم من مارمينا في مصر القديمة. تشتاق روحي إلى القلاية التي قضينا فيها سنوات عديدة؛ لقد كانت أفضل الأعوام". [٢٣٢]

الحواشي

١ أكملت معاهدة ١٩٣٦ معاهدة ١٩٢٢ لكنها أضافت ثلاثة تنازلات: المعاهدة ستستمر عشرين سنة؛ سيقتصر الجيش البريطاني على عشرة آلاف جندي يتمركزون بعيدًا عن المراكز السكانية، وستحصل مصر على عضوية عصبة الأمم. لقراءة تاريخ المعاهدة وتحليلها، انظر،

Vatikiotis, *The History of Egypt*, 291–292.

[2] Tignor, *Egypt: A Short History*, 251.

[3] Ibid.

[4] Selma Botman, "The Liberal Age, 1923–1952," in The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century, ed. M. W. Daly (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), 300. Also see Vatikiotis, The History of Egypt, 347–49.

[5] Watson, "Abba Kyrillos," 14, n. 15.

[6] On the value of epistolography, see Claudia Rapp, "'For Next to God, You Are My Salvation': Reflections on the Rise of the Holy Man in Late Antiquity, "in The Cult of Saints in Late Antiquity and the Middle Ages: Essays on the Contribution of Peter Brown, ed. James Howard-Johnston and Paul Antony Hayward (New York: Oxford University Press, 1999), 67.

٧ على سبيل المثال، انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٥١؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٣٨؛ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٣. يدعي عطا أن "أبونا مينا كان مجبرًا على الطاعة [تعيينه رئيسًا لدير القديس الأنبا صموئيل]، رغم أنه لم يرغب في مغادرة قلايته عند الطاحونة"، في حين يشير نصر (مثل معظم المصادر الإنجليزية) إلى أنه أمضى فترة قصيرة في الكنائس في مصر القديمة قبل أن يغادر إلى دير القديس الأنبا صموئيل عام ١٩٤٢.

٨ حدث هذا في عام ١٩٤٣، انظر، أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حبيب باشا المصري، ٢٨ يونيو ١٩٤٣"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، رسالة رقم ٣٢٧ (الإسكندرية، ١٩٤٣). انظر أيضًا، رسالة أبونا مينا إلى منير شكري: "عليك أن تعلم يا ابني العزيز أنني أتيت إلى الإسكندرية عام ١٩٤٣ والتقيت الراحل بانوب حبشي وعرضت عليه فكرة أنا أعيش في دير مارمينا وأصلي الصلوات الليتورجية هناك. كان مسرورًا للغاية وتحدث مع مدير الآثار... لكن مشيئة الله لم تسمح بحدوث ذلك في ذلك الوقت..." القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى منير شكري، ٥ مارس ١٩٥٨" (مصر القديمة: ١٩٥٨). تم الاستشهاد بالرسالة في أبونا رافائيل آفامينا، مذكرات: الجزء الثاني، صـ ٤٤-٤٥. انظر أيضًا القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٥ مارس ١٩٥٨"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١ (القاهرة القديمة، ١٩٥٨).

٩ المصري، قصة الكنيسة القبطية ٧: ٢٤. تقترح المصري أن والدها كتب رسالة لدعم التماس أبونا مينا لإعادة بناء دير مارمينا، لكن الجيش البريطاني منع الدخول بسبب عملياتهم العسكرية في المنطقة.

١٠ مؤلف مجهول، البابا كيرلس السادس: مدرسة الفضيلة (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، غير مؤرخ)، صـ ٤٦. من الصعب معرفة ما إذا كان هذا قد حدث بعد الإخلاء الأول أو الثاني من الطاحونة. استاء العديد من الكهنة المحيطين به من حضوره وشعبيته؛ ربما كان هذا هو سبب نومه على الرصيف خارج كنيسة وهم يغلقون الأبواب في وجهه. أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٧٢.

[11] Meinardus, *Two Thousand Years*, 192–193; Samuel Tawadros el-Syriany, *The History of the Popes*, 172.

[12] Meinardus, *Two Thousand Years*, 192.

١٣ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٨٥-٩١، ٩٤-٩٨.

١٤ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥.

[١٥] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٤ ديسمبر ١٩٤٣"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٧٠ (مصر القديمة، ١٩٤٣). يوجد تاريخ ميلادي مكتوب على الرسالة بقلم آخر (وربما بخط اليد)، وهو عام ١٩٤٤، لكن التاريخ القبطي بخط يد أبونا مينا (والقلم) يتوافق مع عام ١٩٤٣ في التقويم الميلادي. يجب أن نضيف أيضًا أن عام ١٩٤٣ يتوافق مع خطاب الأنبا أثناسيوس بشأن التعيين في الشهر نفسه؛ انظر الأنبا أثناسيوس، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٧ ديسمبر ١٩٤٣"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ١ (١٩٤٣). هذه مشكلة ثابتة طوال رسائله المبكرة لأخيه حنا (تاريخ قبطي بخط يد أبونا مينا، وتاريخ ميلادي محتمل بيد شخص آخر)، مما يعني أن العديد من الرسائل لها تاريخان غالبًا ما يختلفان بسنة - بلا شك بسبب الارتباك في استخدام أبونا مينا للتقويم القبطي.

[١٦] أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٧ يناير، ١٩٢٩".

[١٧] على سبيل المثال، انظر أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٤ ديسمبر ١٩٣٣".

[١٨] تكشف هذا رسائل من الأنبا أثناسيوس إلى أبونا مينا وأبونا مينا إلى حنا. كتب أبونا مينا إلى الأنبا أثناسيوس يطلب رسامة مينا "الأصغر "كاهنًا. صرح الأنبا أثناسيوس أنه سيفعل ذلك في يوم الجمعة التالي (١٦ مارس ١٩٤٥) ولكنه سيرسم أبونا مينا المتوحد قمصًا في المناسبة نفسها - بالإضافة إلى الإشارة إلى أن الرسامة تمت في "مطرانية بني سويف" وليس في دير القديس الأنبا صموئيل كما يُزعم بشكل روتيني. انظر الأنبا أثناسيوس، "رسالة إلى أبونا مينا البرموسي، ١٢ مارس ١٩٤٥"، في مجموعة القديس الأنبا صموئيل. أرشيف مراسلات البابا كيرلس من دير القديس الأنبا صموئيل: الرسالة ٧ (بني سويف، ١٩٤٥)؛ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، غير مؤرخة، مارس ١٩٤٥"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٣٠ (دير القديس صموئيل، غير مؤرخ). يجب أن نلاحظ أن كلا الخطابين لهما كتابة غير واضحة فيما يتعلق بالسنة، ولكن قد يُقترح أن يكون عام ١٩٤٥، نظرًا لأن الرسائل جميعها تحمل تسمية "القمص مينا "بدلاً من "أبونا مينا" بعد أواخر مارس ١٩٤٥.

[١٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٥٢. المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٣. جميع المصادر تتبع حنا عن طريق الخطأ في هذا الأمر، وتضيف إيريس حبيب المصري أن الترقية إلى رتبة القمصية حدثت عند تدشين كنيسة القديسة العذراء مريم في مقر دير الأنبا صموئيل في قرية الزورة حوالي عام ١٩٤٥.

[٢٠] كان أول ذكر أو استخدام لهذا اللقب في الواقع قبل بضعة أشهر. أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حبيب باشا المصري، ٢٨ يونيو ١٩٤٣".

[21] Rene-Georges Coquin, Maurice Martin, and Peter Grossmann, "Dayr Anba Samu'il of Qalamun," in *CE*, 758a.

[22] For a brief biography, see Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 144–46.

[23] Ibid., 146.

[٢٤] يذكر بيدميل أنه في زيارته عام ١٨٩٩ كان هناك "خمسة أو ستة أشخاص" يسكنون الدير. انظر،

H. J. L. Beadnell, *The Topography and Geology of the Fayum Province of Egypt* (Cairo: National Printing Department, 1905).

يكتب ميناردس ما تعلمه من الرهبان: "قيل لي إنه بعد سنوات عديدة من الخراب، أعاد أبونا إسحق البرموسي السكنى في الدير عام ١٨٩٦ وعشرة رهبان آخرين أتوا من أديرة وادي النطرون. عام ١٨٨٢ دخل أبونا إسحق البرموسي إلى دير البرموس. وبسبب عدم رضاه عن بعض الأمور المتعلقة بالنسك في وادي النطرون، جمع حوله عدة رهبان ذهب معهم إلى جبل القلمون، حيث أعاد هو وتلاميذه السكن في دير القديس الأنبا صموئيل الذي كان مدمرًا". انظر،

Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 151.

[25] Johann Georg cited in Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 150.

[26] Ahmed Fakhry, "The Monastery of Kalamoun," *Annales du Service des Antiquités de l'Égypte* 46 (1947): 72.

[٢٧] من غير الواضح من هو الراهب المشار إليه في خطاب الأنبا أثناسيوس بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٣. لكن قد يُفترض أن هذا الراهب كان له دور ما في قيادة الدير. وفقًا لسجلات الدير، كان أبونا عوض ميخائيل رئيسًا للدير من عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٢. ومن اللافت للانتباه أن أحمد فخري لم يذكره رغم أنه ربما يكون "أبونا ميخائيل" الذي يسميه فخري. في الواقع، كان هناك رئيس دير آخر بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣، اسمه إبراهيم. من المتصور أنه الراهب المعني، حيث كان له مشاكل خطيرة مع رؤسائه - في الواقع، تم محو اسمه بالكامل من ذاكرة الدير، وفقًا للعديد من الرهبان من دير القديس الأنبا صموئيل الذين فضلوا عدم الكشف عن هويتهم.

[٢٨] المطران الأنبا أثناسيوس، "رسالة إلى أبونا مينا البرموسي، ٢٩ ديسمبر ١٩٤٣" (١٩٤٣).

[٢٩] أيضًا، أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مينا الصموئيلي، ٥ فبراير ١٩٤٤"، في مجموعة أبونا رافائيل رقم ٢، الرسالة ١٣ (جبل القلمون: ١٩٤٤). يكتب أبونا مينا: "حرِّك الأنبا صموئيل، قل له: 'أنت المسؤول عن موضوع انتخاب البطريرك، لأن الموعد قد حان، ٤ فبراير، الوضع سيء للغاية، ليرحمنا الرب' ".

[٣٠] يبدو لي أن هذا يجعل تعيين الأنبا أثناسيوس للأب مينا منطقيًا أكثر بكثير من نظرية أخرى اقترحها بعض العلماء. مارك جروبر، على سبيل المثال، يقول بأن تعيينه في دير منعزل كان "وسيلة لتهدئة الراهب الكاريزمي، وإبعاده عن الشعب". انظر،

Gruber, "Sacrifice in the Desert," 149.

يبدو هذا مستبعدًا إلى حد بعيد لعدد من الأسباب: التعيين جاء من أثناسيوس نفسه، الذي كان حريصًا على إعادة بناء وإحياء دير في أبرشيته؛ قام أثناسيوس فيما بعد بترشيح أبونا مينا للبابوية. وأخيرًا، لم يكن أبونا مينا قد أثار أي خلاف في القاهرة (رغم أنه فعل ذلك بعد سنوات). يبدو أن هذا الادعاء الخاطئ قد أدى إلى رفض ادعاءات لاحقة بشأن حدث سابق. علاوة على ذلك، يتجاهل الادعاء العلاقة المهمة بين دير البرموس ودير القديس الأنبا صموئيل. في عام ١٨٩٦، أعادت مجموعة من الرهبان الساخطين الذين تركوا دير البرموس الحياة إلى الدير. انظر،

Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 151.

علاوة على ذلك، قضى عدد من الرهبان من البرموس، بمن فيهم على سبيل المثال أبونا متياس البرموسي، جزءًا من إقامتهم الرهبانية في دير القديس الأنبا صموئيل. انظر حبيب، بين الآباء، صـ ٢٦-٢٨. لذلك كان من الطبيعي وتوافقًا مع هذا التاريخ أن يعيِّن المطران الأنبا أثناسيوس أبونا مينا، راهبًا من دير البرموس، رئيسًا للدير.

[٣١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥.

[٣٢] المرجع السابق.

[٣٣] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٠ يناير ١٩٤٤"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٤٢ (١٩٤٤).

[٣٤] أبونا رافائيل آفامينا، مذكرات: الجزء ٢، صـ ٦٩.

[٣٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥؛

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 133;

زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٣٨-٣٩.

[٣٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥.

[٣٧] المرجع السابق. انظر أيضًا القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٧ أغسطس، ١٩٤٥"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، رسالة رقم ٦٩ (١٩٤٥).

[٣٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٥.

[٣٩] على الرغم من أن فوال تشير إلى أن أبونا مينا بقي في دير القديس الأنبا صموئيل لبضعة أسابيع فقط، فإن هذا في الواقع غير دقيق، لأنه مكث بضعة أسابيع على الأقل في البداية، وعلى الأقل تسعة وعشرين يومًا (كان هناك بالفعل لمدة خمسة عشر يومًا وبقي حتى نهاية صوم القديسة العذراء مريم) في القلمون في أغسطس ١٩٤٤، وكان يزور الدير بانتظام. انظر،

Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 200.

يمتد صوم القديسة العذراء مريم من ٧ أغسطس إلى ٢١ أغسطس في التقليد القبطي، ويسبق عيد نياحتها في ٢٢ أغسطس.

[٤٠] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ٥٢.

[٤١] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى الرهبان في دير القديس الأنبا صموئيل، ٧ يناير ١٩٥٠"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة ٤٢٩ (مصر القديمة: ١٩٥٠).

[٤٢] المرجع السابق.

[٤٣] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى الرهبان في دير القديس الأنبا صموئيل، ١١ يناير ١٩٥٠"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة ٤٣٨ (مصر القديمة: ١٩٥٠).

[٤٤] على سبيل المثال، راجع أبونا متى الصموئيلي، "رسالة إلى القمص مينا البرموسي، غير مؤرخة، ١٩٥٠"، في: مجموعة القديس الأنبا صموئيل. أرشيف مراسلات البابا كيرلس من دير القديس الأنبا صموئيل، الرسالة ١٧ (دير القديس صموئيل: ١٩٥٠).

[٤٥] سنة بعد سنة نما الدير تحت قيادته في الدعوات والقداسة. بحلول عام ١٩٥٥، لاحظ اللاهوتي الفرنسيسكاني الزائر، الأب جابرييل جيامبرارديني، أن هناك بالدير ثلاثة عشر راهبًا على الأقل. تم الاستشهاد بروايته في،

Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 150.

ومن اللافت للنظر أن القمص رافائيل كان لا يزال هناك وأشار للزائر أنه يعيش في جبل القلمون منذ ثلاثة وثلاثين عامًا. وأشار جيامبرارديني إلى أنه عند دخوله أبواب الدير، استقبله بترتيل "راهب عجوز أعمى" (أبونا أندراوس الصموئيلي).

[٤٦] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٥٢.

[٤٧] انظر الحاشية ١٣٧ و١٣٨ في الفصل الرابع.

[٤٨] عطا، "مراسلات شخصية، ٥ مارس ٢٠١٥". كتب أبونا مينا إلى أخيه في يونيو ١٩٤٥ أنه يعتزم السفر إلى الإسكندرية "قريبًا". انظر، القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٨ يونيو، ١٩٤٥"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٥٤.

[٤٩] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦. بحلول نوفمبر ١٩٤٥، كتب إلى أخيه من دير رئيس الملائكة ميخائيل في القاهرة القديمة؛ انظر القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١ نوفمبر ١٩٤٥"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٥٥ (مصر القديمة، ١٩٤٥). كتب أبونا مينا في تلك الرسالة المثيرة للاهتمام أنه سمع أن زوجة حنا كانت في المستشفى لإجراء عملية جراحية، ولذلك جلس أمام أيقونتي مارمينا والقديس صموئيل حتى "أكدوا له تدخلهما وشفاعتهما".

[٥٠] البابا يوساب الثاني، "رسالة إلى القمص مينا البرموسي، ١٨ أكتوبر ١٩٤٦"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا، الجزء١، الرسالة رقم ١٩٩ (القاهرة: ١٩٤٦). انظر أيضًا،

al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt,*

يقترح ميناردس و(واكين) أنه مكث في غرفة قريبة من كنائس رئيس الملائكة ميخائيل والقديس تادرس المشرقي. انظر،

Meinardus, *Monks and Monasteries (1961)*, 158; Wakin, *A Lonely Minority*, 111.

[٥١] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٥ فبراير ١٩٤٥"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة ٦١ (مصر القديمة، ١٩٤٥). كتب لاحقًا في الرسالة أن الأمر لم يكن رسميًا بعد وأنه سيظل يحاول الهروب. رسالة أخرى، بعد أسبوع، تشير إلى أنه وافق في النهاية: "لم أستطع إقناع البطريرك وأصر

على أن أذهب إلى دير أبو سيفين، وأنه عندما أكون في القاهرة يجب أن أذهب مرة واحدة في الأسبوع، وعندما أكون في الدير يجب أن آتي مرة في الشهر. على كل حال سلام الرب على الشهيد العظيم أبو سيفين، لعله يريد أن ينضم إلى فرقة مارمينا". انظر أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢ مارس ١٩٤٥"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة رقم ٦٨ (مصر القديمة: ١٩٤٥). تحتوي الرسالة على رقم غير واضح بعد "١٩٤ [...]"، "ولكن على الأرجح عام ١٩٤٥. مما يزيد من الخلط بين الأمور، تحتوي أيضًا على تاريخ آخر مكتوب بخط يد شخص آخر يشير إلى "١٩٤٣"، ومع ذلك يشير إلى إقامته في كل من "الدير" و"القاهرة"، وموقع باسم "الأب" وليس "القمص". مزيج التفاصيل يتماشى مع التفاصيل الأخرى في عام ١٩٤٥.

٥٢ يؤرخ أبونا صموئيل تواضروس السرياني المرسوم في ٢٦ مايو ١٩٤٦. في روايته، سعي البابا يوساب إلى "إجبار" خصمه أبونا داود المكاري على مغادرة القاهرة. انظر أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، ١٨٠. يبدو أن هذا كان علاجًا لمعضلة غير عادية؛ لم يتمكن الخريجون الجدد من الكلية الإكليريكية من أن يُرسموا كهنة، حيث شغل الرهبان (خارج أديرتهم) العديد من الرتب الشاغرة في المدن. على الرغم من أن عطا لم يؤرخ المرسوم الذي وضعه قبل تدشين كنيسة مارمينا في القاهرة القديمة عام ١٩٤٨. انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦.

٥٣ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، ١٦. يجب أن نلاحظ أن هذا الاستئناف كان ضروريًا نظرًا لأن دير القديس صموئيل لم يصبح بعد ديرًا معترفًا به. في يوليو ١٩٤٦، طلب إذنًا رسميًا للصلاة في القاهرة القديمة في دير رئيس الملائكة ميخائيل. انظر، القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٦ يوليو، ١٩٤٦"، في مجموعة رضا الجزء الثاني، الرسالة رقم ٤، دير القديس صموئيل: ١٩٤٦.

٥٤ البابا يوساب الثاني، "رسالة إلى القمص مينا البرموسي، ١٨ أكتوبر، ١٩٤٦".

٥٥ رسالة رائعة مؤرخة في ديسمبر ١٩٤٦، تنص على أن البعض انتقد أبونا مينا لاستخدامه لقب "المتوحد"، في حين هو الآن في مصر القديمة "كرئيس دير من بعيد" وأب اعتراف دير أبو سيفين. على هذا النحو طلب من شقيقه أن ينشر في الأهرام فقرة قصيرة تفيد بأنه سيستخدم اسم "القمص مينا يوسف" لتهدئة منتقديه، "حتى يعود إلى حياة الوحدة بعد إنهاء خدمته الحالية". انظر القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، رسالة إلى حنا يوسف عطا، ديسمبر ١٩٤٦، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة رقم ١١، (مصر القديمة ١٩٤٦).

56 Botman, "The Liberal Age," 301.

57 Ibid., 305.

58 Richard P. Mitchell, *The Society of the Muslim Brothers* (Oxford: Oxford University Press, 1993), 68–69.

59 Ibid., 71.

60 Botman, "The Liberal Age," 302.

61 Ibid.

٦٢ يشير كارتر إلى أنه من المفارقات أن "الوجود البريطاني في مصر كان في الوقت نفسه بمثابة تقييد وتشجيع لعداء المسلمين للأقباط". لكن "عدم رغبة البريطانيين في اتخاذ أي تصرف بعد عام ١٩٣٦"، لم يجعل الوجود البريطاني سوى مصدر دائم للاستفزاز، خاصة فيما يتعلق باعتقاد المسلمين أن الأقباط يتحالفون مع البريطانيين. انظر،

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 79.

63 Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 161.

كان الأمين العام للحزب؛ مكرم عبيد، مشاركًا في ضعف حزب الوفد. على الرغم من أن مثل هذه الشعارات تذكره على أنه "متفرج غير مهتم بالشؤون القبطية" و"قبطي الديانة ومسلم بالوطن" وبالتأكيد هو لم ير نفسه أبدًا على أنه "صوت قبطي"، إلا أن سقوطه من السلطة كان يُنظر إليه على نطاق واسع (من قبل الأقباط والمسلمين) على أنه نهاية الوجود السياسي القبطي. للحصول على سيرة ذاتية وتحليل مختصرين، انظر،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 80–85.

[64] Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 161.

[65] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 93.

بصورة طفيفة، يشرح إبراهيم بالتفصيل "التنافس الشخصي الشديد" الذي أدى إلى "حرب باردة" أيديولوجية بين أبونا سرجيوس وأبونا إبراهيم لوقا - خاصة فيما يتعلق بدور الكنيسة في مصر. كلاهما، كما يجب أن نلاحظ، كانا قلقين بشدة على كنيستهما. انظر أيضا صـ ١٠٨.

٦٦ كان هذا رأى الصحفي مصطفي أمين الذي كان يكتب في الصحف السياسية والدينية في تلك الفترة.

cited in Ami Ayalon, *The Press in the Arab Middle East: A History* (Oxford: Oxford University Press, 1995), 79.

٦٧ للاطلاع على تصاعد الطائفية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، انظر

Tadros, *Motherland Lost*, 148–51. Also see Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 16; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 88–89.

٦٨ إبراهيم لوقا، اليقظة (أكتوبر ١٩٤٣)، مقتبسًا في،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 130.

٦٩ حبيب جرجس، الكلية الإكليريكية القبطية الأرثوذكسية: الماضي والحاضر ١٨٩٣-١٩٣٨، صـ ٥، مقتبسًا في،

Bishop Suriel, "Habib Girgis: Coptic Orthodox Educator and a Light in the Darkness" (Ph.D. diss., Fordham University, 2010), 137.

ومع ذلك، يحذر الأنبا سوريال باستنارة كبيرة من أننا يجب أن نكون حريصين على عدم المبالغة في ذكر أو تعميم ظلمة تلك الفترة على أساس الروايات الغربية في ذلك الوقت، والتي سعت، في جزء كبير منها، إلى "شيطنة" حالة رجال الكهنوت وذلك من أجل تأمين الأموال لدعم جهودهم في التبشير. انظر،

Bishop Suriel, *Habib Girgis: Coptic Orthodox Educator and a Light in the Darkness* (Yonkers, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2017), 43–44.

٧٠ سيتم الاعتراف بقداستهما في التاريخ نفسه؛ ٢٠ يونيو ٢٠١٣.

[71] For an English biography and analysis of his work in Sunday School and the Theological College, see Suriel, *Habib Girgis*. Also see Rudolph Yanney, "Light in the Darkness: The Life of Habib Girgis (1876–1951)," *Coptic Church Review* 5, no. 2 (1984): 44–58; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*.

٧٢ أعيد فتح الكلية للمرة الثانية بواسطة البابا كيرلس الخامس في ٢٩ نوفمبر ١٨٩٣، وتغير موقعها مرات كثيرة حتى عام ١٩١٢ عندما انتقلت إلى مهمشة، انظر،

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 45.

[73] Ibid.

قام حبيب جرجس بالتدريس عام ١٨٩٨ قبل تخرجه، وفي ٨ مايو ١٨٩٩، تم تعيينه رسميًا "محاضر في الديانة المسيحية".

[74] Ibid.

يمضي ريس في الادعاء أن حبيب جرجس كان مسؤولاً عن كامل المنهج والهيكل، وعلى هذا النحو "يجب اعتباره المؤسس الحقيقي للكلية الإكليريكية".

[75] Suriel, "Habib Girgis," 73.

[76] Cited in Suriel, *Habib Girgis*, 26.

بعد أن كان الشماس الشخصي للبابا كيرلس الخامس، عمل أيضًا بشكل وثيق مع البابا يؤانس التاسع عشر، والبابا مكاريوس الثالث، والبابا يوساب الثاني.

٧٧ كان حبيب جرجس عضوًا في لجنة مدارس الأحد، وتم انتخابه عدة مرات في المجلس الملي، وتم ترشيحه للبابوية في عام ١٩٢٨ بعد وفاة البابا كيرلس الخامس، وهو الترشيح الذي كان أكثر الترشيحات إثارة للجدل بعد

نياحة أسقف الجيزة عام ١٩٤٨ - والذي سيتم دراسته في الفصول التالية. لكن تم رفض هذه الترشيحات بسبب أنه ليس راهبًا.

[78] The recollection of Sulayman Nasim, cited in Suriel, "Habib Girgis," 78. See also Sulayman Nasim, "Habib Jirjis," in *CE*, 1189a–89b.

من المهم أن نلاحظ أن البابا كيرلس الخامس كان من أشد المؤيدين لجرجس وأصدر عددًا من المراسيم والرسائل التي تشجع على التربية الدينية للأطفال.

٧٩ في عام ١٩٢٣ كتب حبيب جرجس، "أولئك الذين سعوا إلى الإصلاح اختلفوا في طرقهم. اعتقد البعض أن الإصلاح يكون في التعليم وحده. آخرون تصوروا أن الإصلاح سيكون عن طريق المجلس الملي. حصره الآخرون في شيء آخر. لقد نسوا جميعًا أن هذه طرق ملتوية ولا يزال أمامها طريق طويل، وأن الطريق الوحيد القصير والمستقيم للإصلاح المناسب هو الكنيسة".

Cited in Yanney, "Light in the Darkness," 48. Also see Hasan, *Christians versus Muslims*, 75.

تشير حسن إلى أن "مبادرة مدارس الأحد جاءت في الواقع من خارج الكنيسة. لقد كانت في الأساس حركة علمانية". هذا ليس دقيقًا تمامًا - فالعلمانيون هم جزء أساسي من الكنيسة.

٨٠ سعى الكثيرون إلى تتبع حركة مدارس الأحد حتى عام ١٩١٨ عند تأسيسها الرسمي، على الرغم من أن ريس والأنبا سوريال لاحظا بصورة صحيحة أنها ولدت قبل ثمانية عشر عامًا على الأقل؛

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 53; Suriel, "Habib Girgis," 75.

[81] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 53–54.

٨٢ لتحليل عمله في الكلية اللاهوتية، انظر،

Suriel, "Habib Girgis," 136–245.

[83] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 54.

يلاحظ الأنبا سوريال أن حبيب جرجس كانت "له علاقة مزدوجة مع الغرب. لقد كان أرثوذكسيًا جدًا في حياته وتعاليمه، وفي بعض الأحيان بدا أنه ينتقد العقائد والممارسات الغربية، ولكن في الوقت نفسه كان يجسد الهيكل التنظيمي والفكر الغربيين"، انظر،

Suriel, "Habib Girgis," 87. Also see Hasan, *Christians versus Muslims*, 71.

تقترح حسن أن الحركة بدأت كرد فعل على المبشرين البروتستانت. أود أن أقترح، بدلاً من ذلك، أن الحركة كانت انعكاسًا للعديد من الصحوات الفكرية في جميع الطوائف الأرثوذكسية، وهذا يعني أن التعليم الغربي في الشرق يؤدي إلى التفكير، وبالتالي التفكير في القيم والبنى الشرقية الجوهرية، مما أثار رد فعل وهو الدعوة إلى الإصلاح.

[84] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 58–59; Tadros, *Motherland Lost*, 171.

[85] Suriel, "Habib Girgis," 89. Cf. Hasan, *Christians versus Muslims*, 58–59.

٨٦ البابا شنودة الثالث، "معلمنا حبيب جرجس: رائد التربية الدينية في العصر الحديث"، الوطني، ١٨ أغسطس ١٩٩١.

[87] Wakin, *A Lonely Minority*, 142. Also see Hasan, *Christians versus Muslims*, 59–61.

تقدم حسن الحجة القائلة بأن صعود حركة مدارس الأحد كان صعودًا "عبر صفوف الشمامسة"، وأن "خورس الشمامسة" رحب بهم، مما خلق "قطبًا ثالثًا" قدم "توليفة بين هيكلين كنسيين متنافسين". هذا غير واضح إلى حد ما. هناك فرق كبير بين الأبصالتس ("المرنمين") الذي كان معظم أعضاء حركة مدارس الأحد من بينهم، والشمامسة الدياكونيين الذين تم رسامتهم بالفعل (والدياكونية هي في الواقع رتبة كهنوتية) لم يكن معظم أعضاء مدارس الأحد قد رُسموا دياكونيين - ومع ذلك يبدو أن حسن قد دمجت بين الاثنين. إن مجرد حقيقة أن الأبصالتس (المرنمين) علمانيون يقوّض حجتها.

[88] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 79–80.

ريس محق في الإشارة إلى أن عمله كان "المرة الأولى "التي تم فيها وصف مثل هذه المراكز بالتفصيل، على الرغم من أنه ينبغي القول، إن العديد في المراكز كانت على دراية بالتمييز.

[89] Ibid., 120–21.

[90] Tadros, *Motherland Lost*, 171–72.

يقترح تادرس أن نظير جيد (البابا شنودة الثالث) كان لديه "رؤية شاملة" للكنيسة. كان ليوسف إسكندر (أبونا متى المسكين) توجها مسكونيًا. عبدالمسيح بشارة (الأنبا أثناسيوس) رغم أنه من الفجالة تحالف مع سعد عزيز (الأنبا صموئيل). وقضى وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس) وقتًا في العديد من مراكز مدارس الأحد.

[91] For an explanation, see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 80.

[92] Ibid., 82.

[93] Ibid., 83–84.

[94] Ibid., 85.

[٩٥] ومن الأسماء البارزة: راغب عبد النور، ولبيب راغب (أبونا أنطونيوس راغب)، وعوض فرج (أبونا أنطونيوس فرج)، وميخائيل وهبة (أبونا ميخائيل وهبة)، وملك ميخائيل (أبونا أنجيلوس ميخائيل).

Ibid., 84.

[96] Ibid., 87.

[٩٧] هذا لا يعني أن أعضاء حركة مدارس الأحد في كنيسة الأنبا أنطونيوس كانوا يطمحون في الأصل في الرهبنة. في ذلك الوقت لم يكن هناك مكان لهؤلاء الطلاب حتى عام ١٩٤٨؛ بالأحرى، سعى هؤلاء الشباب إلى عيش الروحانية الرهبانية للقديس الأنبا أنطونيوس دون السعي إلى أن يتم رسامتهم رهبانًا.

[٩٨] يلاحظ راغب عبد النور: "إذا ركزوا على مشاكل الطفل نفسه والشاب نفسه، فقد يربحون شيئًا. لكن إذا كانوا مشغولين بمشاكل عامة [للكنيسة] فلن يستطيعوا فعل أي شيء"،

Cited in Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 87, n. 55.

[٩٩] قال أحد الشبان: "اعتبرنا أنفسنا جنودًا في جيش. لم يكن هناك كلام. كانت هناك أوامر فقط تصدر [وتنفذ]، كما هو الحال في الخدمة العسكرية... أتذكر مرة واحدة قام فيها المحاضر لبيب راغب بتعيين الفصول الجديدة... لكن لم يسأل أحد عن شيء أو يقاوم. سمع كل أحد اسمه وعرف إلى أين يذهب أو الصف الذي يجب أن يخدمه. أتذكر أنه ذات مرة رفض أحد الخدام صفه. وصادف أن أخذ المحاضر لبيب راغب الصف منه وبقي سنة كاملة دون خدمة".

ibid., 91, n. 71.

[100] Ibid., 90.

[101] Shenouda III, ibid., 92, n. 77.

[102] Ibid., 93.

[103] Ibid., 93, n. 82.

[104] Ibid., 98–99.

[105] Ibid., 101.

[١٠٦] وقد بدأت في البداية في عام ١٩٣٠ حيث كان خلة توفيق وكامل يانا يعقدان فصولاً صغيرة.

[١٠٧] يجب أن نلاحظ أن معدل الانتقال الكبير لأعضاء الحركة يعني أن الحركة كانت أقل ارتباطًا بالأفراد مما كانت عليه في شبرا، لكن مع ذلك، لا يمكن إنكار التأثير التكويني الذي قام به عدد قليل من الشباب، وخاصة ظريف.

Also see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 113.

يجادل ريس بأن الانتقال السريع لأعضاء الحركة جعل "نقل الخبرة ضروريًا"، مما أدى إلى تطور السريع للمناهج عالية الجودة وأصبحت متاحة بسهولة للاطلاع عليها وطباعتها وتوزيعها.

[108] Ibid., 101.

[109] Ibid., 101–2.

[110] Ibid., 106.

[111] Youhanna el-Raheb cited in Hasan, *Christians versus Muslims*, 79.

[112] See Yassa Hanna's comment cited in ibid.

[113] Ibid., 83.

[114] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 112–13.

[115] Hasan, *Christians versus Muslims*, 79.

تلاحظ سونيا حسن وهي محقة أن هذه الرحلات المخصصة، التي جلبت المساعدة الروحية والمادية والطبية، "سرعان ما أصبحت مؤسسية في شكل أقسام دائمة في المحافظات".

Also see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 114.

[116] *Reiss,* Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche, *109–11*.

[117] Ibid., 139.

[118] "Letter of Yusab II to the Priests of Cairo, March 18, 1948 "; ibid., 153–54.

[119] Ibid., 152–54.

[١٢٠] يلاحظ ياني، "حتى وفاته، كانت الكلية الإكليريكية طريقًا مسدودًا للعديد من الطلاب؛ لم يقبلهم معظم الأساقفة ككهنة، ولم يتم قبولهم لتدريس الدين في المدارس، ولم يمكنهم أن يصبحوا أعضاءً في المجلس الملي. خلال مرض حبيب جرجس الأخير، أمر المجلس الملي بإغلاق الكلية الإكليريكية"، انظر،

Yanney, "Light in the Darkness," 51.

[١٢١] في عام ١٩٤٢، كتب جرجس: "تصورتُ كم كانت كنيستي عظيمة ومجيدة في العصور السابقة. كيف كان الشعب القبطي قوي في إيمانه وعزمه وعلمه. ثم رأيت أين كنا وماذا أصبحنا. لذلك، أصبحت حزينًا، ومتألمًا، وزاد ألمي، لأنني قضيت كل حياتي الماضية في المعاناة، وكافحت بقدر ما استطعت، لأفعل ما هو مطلوب لخير شعبي". انظر حبيب جرجس، الوسائل العملية نحو الإصلاح القبطي: آمال وأحلام، صـ ١، مقتبسًا في،

in Suriel, "Habib Girgis," 101–2.

[122] Morad Wahba cited in Yanney, "Light in the Darkness," 51.

[١٢٣] للتعرف على تاريخ الكنائس في مصر القديمة، انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 182–94.

[١٢٤] استاء الكثير من الكهنة المحيطين به من حضوره وشعبيته؛ انظر أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٧٥.

[١٢٥] مؤلف مجهول، مدرسة الفضائل (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، دون تاريخ)، صـ ٤٧.

[١٢٦] المرجع السابق.

[١٢٧] ينبغي التمييز بين هذا وبين كنيسة مارمينا القديمة بفم الخليج في مصر القديمة. انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 191.

وتضيف فوال: "كان أبونا مينا المتوحد على رأس تيار يطوّب شخصية مارمينا وأدى هذا إلى تطويبه هو أيضًا"، انظر،

Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 198.

[١٢٨] كان هذا في ٢ سبتمبر ١٩٤٨. عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١، صـ ٢٠٢.

[129] For a representative account see al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:435.

[١٣٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦؛ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٤. يقال إن عددًا من الأحداث الإلهية غير العادية قد حدثت أثناء البناء، على سبيل المثال، يتذكر شخص معين اسمه

حبيب (على الرغم من أنه من المستحيل التحقق من صحة قصته) كلمات أبونا مينا خلال القداس الافتتاحي: "أحبائي، وأولادي، طلبت من الأنبا يوساب أن يصلي معنا اليوم، لكنه كان في خلوة في حلوان. حاولت أن أسأل الأنبا أفرايم... لكن كان لديه موعد آخر. لم أرغب في تأخير الصلاة، لكني أود أن أخبركم أنه عندما رفعوا هذا العمود الرخامي، كانت الكنيسة مليئة بالبخور. ولما كانوا يبنون قبة الهيكل كان هناك سراج. أولئك الذين قالوا لي هذه الأحداث ليس لديهم سبب للكذب. لتظهر عجائب الله في قديسيه... دعونا نصلي..." انظر أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: صـ ١٢٨.

[١٣١] كانت المذابح بأسماء القديسين مارمينا والأنبا صموئيل المعترف ومارجرجس. زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٢٠٢-٤. يذكر زقلمة أنه كان هناك ثلاث غرف، شغل إحداها راهب اسمه فرج. لا يُعرف عن هذا الراهب سوى القليل أو لا شيء، على الرغم من أن الحقيقة أكدها أبونا رافائيل آفامينا. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، "مذكرات عن حياة البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (دير مارمينا، مريوط: دير مارمينا، دون تاريخ).

[١٣٢] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٢٠٢؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦؛ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٤.

[١٣٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦. كان الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف من أشد المؤيدين للأب مينا، وكان الأنبا أبرام أسقف الجيزة صديقًا عزيزًا من سنوات دراسته في كلية اللاهوت بحلوان.

[١٣٤] القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، سبتمبر ١٩٤٧"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة ١٢ (مصر القديمة، ١٩٤٧).

[١٣٥] أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي. في مقابلة مع الأهرام عام ١٩٥٩، قبل رسامته مباشرة، ذكرت إحدى الصحف أنه "لم يرد قط على مكالمة هاتفية، ينام ثلاث ساعات من أصل أربع وعشرين ساعة. في هذه الساعات الواحدة والعشرين يلتقي بإلهه ويلتقي بالناس... يغلق على نفسه في قلايته من الساعة التاسعة مساءً إلى الثانية صباحًا، وحتى الساعة ١١ صباحًا ويتناول الإفطار بعدها... يقول تلاميذه إنه حساس وحازم وصبور". انظر الجويلي "مقابلة مع الراهب".

[١٣٦] البابا شنودة الثالث، "عظة في جنازة البابا كيرلس السادس" (القاهرة: ١٩٧١). انظر أيضًا محمود فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر (القاهرة: الوطن للنشر، ١٩٩٣)، ١٥. هناك رواية أخرى تدعي هذا أيضًا، بالإضافة إلى الادعاء المثير للاهتمام أنه اعتبارًا من ١٨ أغسطس ١٩٤٧، كان أبونا مينا لا يزال يعيش في دير رئيس الملائكة ميخائيل. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ١٢٧.

[١٣٧] أجريت الجراحة، بحسب إحدى الروايات، في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٥. أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٧.

[١٣٨] أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي؛ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٢.

[١٣٩] تم العثور على الورق الرسمي الذي يحمل اللقب على كل خطاب من خطابات تلك الفترة.

[١٤٠] هذا الغرض الرباعي مُدرج كجزء من ورق المراسلات لدير مارمينا، الذي كتبه أبونا مينا هو "معهد ميناء الخلاص".

[١٤١] مؤلف مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ٥٠؛ أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ١٨.

[١٤٢] عطا، "مراسلات شخصية، ٢٨ يناير ٢٠١٥".

[١٤٣] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٩. وشمل هذا التدريب المهني المنسوجات، والكهرباء، والميكانيكا، واللحام، والأعمال المعدنية. يزعم أبونا رافائيل أنه أُجبِر على التوقف من قبل البطريركية؛

cf. al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:435.

[١٤٤] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٩. يعلق واكين بتعليق غامض أنه بعد أن أُجبِر أبونا مينا على التوقف عن رسامة الرهبان، بدأ بتأجير الغرف. انظر،

Wakin, *A Lonely Minority*, 111.

[١٤٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦.

١٤٦ المرجع السابق.
١٤٧ الأنبا أثناسيوس، "حوار حول البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (١٩٩٠).
١٤٨ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦.
١٤٩ أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي، تسجيل صوتي. يتذكر أبونا رافائيل فرح أبونا مينا عندما لجأوا إليه في ساعات متأخرة من الليل من أجل الصلاة لشاب مريض يعاني. انظر أيضًا، أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ٣: ٢٢-٢٣.
١٥٠ أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٢٥. ويدعي المؤلف أن أبونا مينا قام بالتنظيف بنفسه "دون السماح لأي شخص بملاحظة ذلك"؛ انظر المرجع السابق، صـ ٣٣ - ٣٤.

[151] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 210, n. 31.

يذكر الراهب أن أبونا مينا ووهيب (أبونا صليب) كانا أبناء عمومة من الدرجة الثانية.

[152] Ibid., 105, n. 39.

[153] For a brief biography see ibid., 104.

كمحام كان (وهو إلى حد ما غير عادي بالنسبة لمدرسة الجيزة الفكرية) مهتمًا بالكنيسة على المستوى الكنسي. درس علم اللاهوت (جنبًا إلى جنب مع سعد عزيز ويسي حنا) في القسم المسائي على يد حبيب جرجس من عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٤، وأثار اهتمامه القانون الكنسي، وعُين محاضرًا في هذا المجال في الكلية الإكليريكية عام ١٩٤٤ - وهو المنصب الذي كان يشغله حتى وفاته عام ١٩٩٤.

[154] Ibid., 105, n. 139.

يبدو أن علاقتهم مع الكاهن في الجيزة ظلت متوترة.

[155] Youhanna el-Raheb cited in ibid., 210.

[156] For a brief biography see Wakin, *A Lonely Minority*, 143–45.

كتب واكين في عام ١٩٦٣ عن أبونا بولس بولس (ظريف عبد الله سابقًا): "لقد ساعد هذا الكاهن بقداسته المرحة في كسر القالب القديم في الكنيسة المصرية. إنه لا يبحث عن ذاته ولا غير مبالٍ، ولكنه قلق باستمرار بشأن قطيعه... عندما شوهد لآخر مرة، كان يقول للمرة الخامسة أو السادسة إنه يريد كاميرا سينمائية من أجل صنع أفلام دينية في المسرح الصغير الملحق بكنيسته. تحدث بفرحة طفولية حول احتمال أن يكون منتج أفلام في تلك المدينة الصغيرة في الدلتا. لكنه كان جادًا في ذلك. هو يعرف شعبه جيدًا،

ibid., 145.

[157] For Yassa Hanna's recollection, see Hasan, *Christians versus Muslims*, 80.

[158] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 178–79.

١٥٩ أبونا صليب سوريال، "في حركة التكريس: الجزء الأول"، تسجيل صوتي، في محاضرات عن تاريخ الكنيسة الحديثة (القاهرة، ١٩٨٨).
١٦٠ أرسل أبونا متى المسكين (يوسف إسكندر حينها) برقية موجزة إلى وهيب عندما سمع أن عائلة خطيبته كانت ضد فكرة الكهنوت: "لا زفاف إلا بسبب الكهنوت"،

See Fr Matta el-Meskeen, *Autobiography of Fr Matta el-Meskeen* [in English] (Wadi al-Natrun: St Macarius Monastery, 2015), 45, n. 8.

[161] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 179.

يتذكر أبونا صليب أنه اختار أن يوزع حتى مدخراته قبل سيامته كدليل على الترك المطلق، وذهب إلى حد محاولة منع جمع العطاء أثناء القداس. يدعي صليب أن هذا كان تقليدًا لممارسة أبونا مينا في مارمينا في مصر القديمة. على الرغم من أن حبيب جرجس منع صليب بتذكيره بأن هذه الممارسة كانت في الواقع رسولية. لقراءة المصدر، انظر أبونا صليب سوريال، "حول حركة التكريس: الجزء الأول"، و"حول حركة التكريس: الجزء الثاني".

[162] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[١٦٣] يتضح، هنا وفي عمليات طرد الأرواح الشريرة اللاحقة، أن "طريقة" أبونا مينا (إذا كان من الممكن تسميتها هكذا) لطرد الأرواح الشريرة تختلف اختلافًا جذريًّا عن طريقة "الرجل المقدس" التي وصفها براون والتي "تميل إلى أن يكون لها صفة منمقة ومفصلة كأنها مسرحية صغيرة"،
See Brown, "The Rise and Function of the Holy Man," 88.
تفتقر معظم معجزات طرد الأرواح الشريرة التي قام بها أبونا مينا إلى الدراما، وهي تقترب من المألوف على رغم نوعها.
[١٦٤] رواية مشابهة رواها أبونا متى المسكين. يدعي أنه في عام ١٩٥١ أو حوالي عام ١٩٥١، بعد أن أمضى ثلاث سنوات في دير القديس صموئيل، عاد إلى مارمينا في مصر القديمة. تم تقديم صبي يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا يُزعم أن به أرواحًا شريرة إلى أبونا مينا، الذي طلب من المرافقين له أن يأخذوه إلى الكنيسة. ثم صعد أبونا مينا إلى الطابق العلوي وقال للأب متى أن يصلي من أجل الصبي. أجاب متى: "أنا لا أفهم هذه الأشياء، ولا أعرف حتى ماذا أفعل". قال أبونا مينا وهو يعطي للأب متى صليبه الخشبي: "لا تقلق، فقط افعلها من أجلي". يتذكر أبونا متى أنه صلى لمدة أربع ساعات، ثم هدأ الصبي. ما زال لدى أبونا متى تحفظاته، وأعطى الصبي بعض الماء الذي كان يصلي عليه (مخفيًا عن الصبي) بصليب أبونا مينا. لكن الصبي ألقى الماء بعيدًا وهو يصرخ، "إنه مُرا" تكرر هذا مرة ثانية والنتيجة واحدة. في المرة الثالثة، أعطاه أبونا متى ماءً لم يصل عليه سرًا - وشربه الصبي بسعادة، ملاحظًا كم هو جميل. "يا إلهي"، يزفر أبونا متى وهو يتذكر هذه الحادثة، "يا إلهي إنها قوة الصليب!" للحصول على الرواية انظر أبونا متى المسكين، "عن البابا كيرلس: الجزء الثاني"، تسجيل صوتي، في ذكريات (وادي النطرون، غير مؤرخ).
[165] Fr Salib Suryal cited in Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 103, n. 132.
[166] Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 1"; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 103.
[167] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 175–76.
[١٦٨] يقول أبونا متى المسكين عن ذلك البيت: "كان بيته المرعى الذي قضينا فيه شبابنا مع مجموعة من أقدس الشبان الذين عرفهم هذا الجيل. كنا نُقيم الأمسيات والصلوات الروحية حتى الصباح. فاضت روح التكريس في بيته علينا جميعًا، ودعانا الرب لخدمته. وبالتالي غادر كل واحد منا مسرعًا إلى دعوته". خطاب بمناسبة نياحة الأنبا صموئيل نُشر في مجلة مرقس في أكتوبر ١٩٨١، مقتبس في أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٧.
[169] Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 1."
[١٧٠] دخل سعد دير مارمينا في مصر القديمة في ١٨ مارس ١٩٤٨ حيث كان يعيش في غرفة بجوار قبة الكنيسة. وهكذا، عاش كطالب رهبنة لمدة شهر قبل الرسامة.
[171] Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 1."
[١٧٢] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ١٥. وهذا مخالف لادعاء ريس بأنه أسس حركة مدرسة الأحد في دمنهور ولعب فيها دورًا رئيسًا.
see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 181.
[173] Hasan, *Christians versus Muslims*, 80.
كما ضغط إسكندر (أبونا متى) من أجل سيامة ظريف في دمنهور،
see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 181, n. 97.
[١٧٤] شهد هذا العام، بمناسبة تدشين كنيسة مارمينا في القاهرة القديمة، رسامة أول كاهنين من أعضاء حركة مدارس الأحد ورسامة رهبان أيضًا من أعضاء حركة مدارس الأحد. إن كون الأربعة جميعًا قد خضعوا لأبوة أبونا مينا هو أمر ذو أهمية كبيرة.
[١٧٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٦.
[١٧٦] المرجع السابق.

١٧٧ أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٢٠.
١٧٨ أبونا متى المسكين "عن البابا كيرلس: الجزء الأول". عاش أبونا متى المسكين ثلاثة أشهر مع أبونا مينا قبل أن يتم رسامته راهبًا في دير القديس الأنبا صموئيل، في حين عاد أبونا مكاري إلى القاهرة بعد فترة وجيزة. كلاهما توجه لاحقًا إلى دير السريان. سيتم سرد قصتهم بالتفصيل في فصول لاحقة. انظر أبونا مينا الصموئيلي، "رسالة إلى القمص مينا المتوحد، ١٠ أغسطس ١٩٤٨"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٢٥٦ (جبل القلمون: ١٩٤٨). رسالة أخرى لاحقة تشير إلى أن أبونا مكاري عاد إلى القاهرة بحلول ديسمبر ١٩٤٨؛ أبونا مكاري الصموئيلي، "رسالة إلى أبونا متى، ١٤ ديسمبر ١٩٤٨"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٢١٣ (جبل القلمون، ١٩٤٨).
١٧٩ أبونا مكاري الصموئيلي، "رسالة إلى أبونا متى المسكين، ١٤ ديسمبر ١٩٤٨".
١٨٠ يزعم جروبر أنه بإرسال رهبان إلى دير السريان، "حصل على القبول في وادي النطرون، حيث لم يكن سابقًا يحظى بتقدير كبير منذ مغادرته دير البرموس".
Gruber, "Sacrifice in the Desert," 149.
يبدو لي أن هذا يبالغ في تقدير العداء وكذلك "قبوله" الظاهر. من أجل الرسالة التي أوصى فيها الرهبان بالذهاب إلى دير السريان، انظر القمص مينا المتوحد (البابا كيرلس السادس) رسالة إلى وكيل دير السريان، ٧ أكتوبر، ١٩٥٠"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٨٩ (مصر القديمة، ١٩٥٠).
[181] Hasan, *Christians versus Muslims*, 61; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 83, n. 104.
بينما كان الأنبا ثاؤفيلوس يقدِّر التعليم، فقد اتخذ أيضًا خطوة لإعادة بناء القلالي وتركيب مضخات المياه، وبالتالي خلق بيئة عملية تناسب الخريجين المتعلمين حديثًا. انظر،
Gruber, "Sacrifice in the Desert," 149.
[182] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 104. For a few well-known illustrations of his trickster nature see Hasan, *Christians versus Muslims*, 65, 69.
١٨٣ معظم هؤلاء الرهبان ينحدرون من مركز كنيسة الأنبا أنطونيوس في شبرا، نظرًا لروح التقشف التي سادت الحركة هناك.
Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 187.
يقترح ريس أيضًا أن رواد رهبان مدارس الأحد (خاصة أبونا متى المسكين) كانوا السبب الرئيس للتجديد الإكليريكي. هذا لا يميِّز بوضوح تأثير أبونا مينا على هؤلاء الشباب، على الرغم من أن ريس كتب لاحقًا أن هؤلاء الرهبان قد تعرَّفوا على الرهبنة عن طريق أبونا مينا. انظر،
See ibid., 179–80, 212.
[184] Ibid., 188.
١٨٥ البابا شنودة الثالث "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس".
[186] For a brief biography see van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 157–58; John H. Watson, "Signposts to Biography—Pope Shenouda III," in *BDC* 243–53.
١٨٧ البابا شنودة الثالث "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس".
١٨٨ البابا شنودة الثالث "عظة في الذكرى العاشرة لنياحة البابا كيرلس السادس". (القاهرة: ١٩٨١).
[189] Hasan, *Christians versus Muslims*, 86.
١٩٠ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٨٠.
١٩١ أبونا ميخائيل كان كاتب شرطة بوزارة الداخلية، وعلى هذا النحو اضطر للتنقل في جميع أنحاء مصر. كانت آخر جولة له في الخدمة المدنية في ١٩٤٨-١٩٥١، حيث كان على اتصال بأبونا مينا، في مصر القديمة، حيث يذكره العديد من أعضاء حركة مدارس الأحد لتقواه. رُسم كاهنًا عام ١٩٥١، عن عمر ٥٢ عامًا، في بلدته كفر عبده بقويسنا. قام في وقت لاحق بتعيين كاهن أصغر لمساعدته، والذي للأسف قلب الشعب ضده. وبدلاً من الدفاع

عن نفسه، غادر إلى مصر القديمة مرة أخرى، حيث احتاج أبونا مرقس داود إلى كاهن يخدم في شبرا في كنيسة مارمرقس، ثم أصبح كاهنًا مشهورًا، معروفًا بشكل خاص بقوة إرشاده الروحي. انظر بصورة خاصة البابا شنودة الثالث، نموذج للخدمة: حياة القمص ميخائيل إبراهيم (القاهرة: البطريركية، ١٩٧٧)، صـ ٤٤، صـ ٨٣.

[192] *Reiss,* Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 210.*

[193] Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 200. Also see Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 133–34.

[١٩٤] عاطف كمال، "مقابلة مع البابا شنودة الثالث" (تسجيل فيديو) (CYC، غير مؤرخ)، الجزء الثاني.

[195] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 233; van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 226.

[196] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 200.

[197] Samuel Rubenson, "Matta el-Meskeen," in *Key Theological Thinkers: From Modern to Postmodern*, ed. Staale Johannes Kristiansen and Svein Rise (Surrey: Ashgate, 2013), 416.

[198] David Bentley Hart, *Atheist Delusions: The Christian Revolution and Its Fashionable Enemies* (New Haven, CT: Yale University Press, 2009), 183.

[199] Ibid.

يصف هارت ثورة المسيحية الفريدة.

[٢٠٠] على سبيل المثال، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٤.

[201] Nadejda Gorodetzky, *Saint Tikhon of Zadonsk: Inspirer of Dostoevsky* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1976), 48. For a fascinating discussion of "interiorized monasticism," see Paul Evdokimov, *The Struggle with God* (Glen Rock, NJ: Paulist Press, 1966), 111–30.

[202] John Chrysostom, *De compunctione ad Stelechium* 2.3, cited in Rapp, *Holy Bishops,* 119.

[203] Clement of Alexandria, *Stromata* 7.12, in Ante-Nicene Fathers, ed. Philip Schaff (repr., Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1999), 2:545.

يشير في كتاباته إلى "الغنوسى الحقيقي". أيضًا، نصح القديس ثيؤدوروس من كورش في سوريا، (تقع شمال شرق مدينة عفرين بنحو ٤٥كم، وتبعد عن مدينة حلب ٧٠ك) أن "الأرض المسكونة لا تسبب أي عائق أمام بلوغ الفضيلة"، ولا الفضيلة "مقيدة بمكان"، انظر أيضًا،

Historia religiosa 4:1, cited in Rapp, *Holy Bishops,* 120.

[204] For instance, see Basil the Great, *Letter to Gregory* 2 (NPNF2 8:110–11).

[205] Amma Syncletica, 19, in Ward, *Sayings of the Desert Fathers,* 234.

ويبدو أن الجغرافيا المحلية مجرد "توفر مشهدًا، ولكنها لا تملي الدور"؛ انظر،

Han J. W. Drijvers, "Hellenistic and Oriental Origins," in *The Byzantine Saint*, ed. Sergei Hackel (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2001), 16.

[206] Robert Browning, 'The "Low Level' Saint's Life in the Early Byzantine World," ibid., 124.

[٢٠٧] تعلق نيللي فان دورن هاردر، "لقد كان رائدًا في الرهبنة يعيشها بصورة مقنعة وتحت الأنظار لسنوات متتالية". انظر عملها،

"Planner, Patriarch, and Saint," 233.

انظر أيضًا كلمات آبا بيمن الثاقبة: قال راهب لآبا بيمن ذات مرة، "جاء بعض الإخوة ليعيشوا معي؛ هل تريدني أن أعطيهم الأوامر؟" قال الرجل العجوز "لا". قال الراهب: "لكن يا أبي، هم أنفسهم يريدون مني أن أعطيهم الأوامر". كرر آبا بيمن: "لا، كن قدوة لهم لا قاضيًا".

See Abba Poemen, 174, in Ward, *Sayings of the Desert Fathers,* 191.

[٢٠٨] الأنبا أثناسيوس، "مقابلة حول البابا كيرلس السادس".

[٢٠٩] المرجع السابق.

٢١٠ المرجع السابق. تشير هذه الرسالة، إلى جانب تلك المذكورة سابقًا، إلى معرفة أبونا مينا واستخدامه المتكرر "لصلاة يسوع" - وإن كان ذلك بأشكال مختلفة.

211 Paul Sedra," Class Cleavages and Ethnic Conflict: Coptic Christian Communities in Modern Egyptian Politics," *Islam and Christian-Muslim Relations* 10, no. 2 (July 1999): 224.

212 Michel de Certeau, *The Mystic Fable*, vol. 1, *The Sixteenth and Seventeenth Centuries* (Chicago: University of Chicago Press, 1992), 40–45.

213 Michael Plekon, *Hidden Holiness* (Notre Dame, IN: Notre Dame University Press, 2009), 11.

214 Philip Sheldrake," Christian Spirituality as a Way of Living Publicly: A Dialectic of Mystical and Prophetic," *Spiritus* 3, no. 1 (2003): 25.

٢١٥ مؤلف مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ٤٦. في أكتوبر ١٩٤٩ طمأن أبونا مينا شقيقه بسبب الشائعات المتداولة. القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١١ أكتوبر ١٩٤٩"، في مجموعة رضا الجزء الثاني الرسالة رقم ١٤ (مصر القديمة، ١٩٤٩).

216 Van Doorn-Harder," Planner, Patriarch and Saint," 233.

٢١٧ القمص يوسف أسعد مقتبسًا في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٣٢.

218 Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 1."

219 Ibid.

قد يكون هذا مرتبطًا بالحدث نفسه الذي وصفه عطا والذي حاولت فيه البطريركية إزاحة أبونا مينا من القاهرة. انظر أيضًا،

Matta el-Meskeen, *Autobiography of Fr Matta el-Meskeen*, 33, n. 3. Also see Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 2."

220 Suryal, "Pope Kyrillos VI."

٢٢١ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧. يكرر أبونا صليب سوريال هذا الادعاء في كتابه "حول حركة التكريس: الجزء الأول".

٢٢٢ أبونا رافائيل آفامينا، ذكريات: الجزء الثاني، ٤٧. لدي فكرة أن هذا قد يكون مرتبطًا أيضًا بالأحداث التي وقعت قبل ثلاثة أيام، عندما احتجت حركة مدارس الأحد على رسامة البابا يوساب للأنبا يؤانس أسقفًا على الجيزة. بالنظر إلى أن العديد من هؤلاء الشبان كانوا من تلاميذ أبونا مينا، فمن المحتمل جدًا أن البابا يوساب (أو مِلِك) سعوا إلى إسكات أبونا مينا.

٢٢٣ البابا يوساب الثاني، "رسالة إلى المطران الأنبا أثناسيوس والأسقف مكاريوس، ٢٦ يناير ١٩٤٩"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٢٥٩ (البطريركية، القاهرة: ١٩٤٩). كانت الرسالة موجهة من "مكتب سكرتير البابا" مما يشير مرة أخرى إلى أن يد مِلِك (خادم البابا يوساب) كانت تلعب. من غير الواضح ما الذي تعنيه هذه التصريحات الكاذبة - بخلاف أنشطته في المدينة - على الرغم من أن شائعات السحر الأسود والتعويذة كانت تُقدم في كثير من الأحيان كتفسيرات لقدرة أبونا مينا على الشفاء. لاحظ أيضًا أن هذا كتب إلى المطران السابق الأنبا أثناسيوس (تنيح ١٩٦٢).

٢٢٤ المرجع السابق.

٢٢٥ أبونا صليب سوريال، "حول حركة التكريس: الجزء الأول". يجب أن نلاحظ أن هذا كان رد الأنبا أثناسيوس على محاولة البطريركية لترحيل أبونا مينا. من المفترض أنه كان أيضًا رده على الرسالة.

٢٢٦ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٣٣. هذا مفقود في الترجمة الإنجليزية، انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧.

٢٢٧ أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، المجلد ٩ (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٨٩)، صـ ٣٩. يبدو أن أبونا مينا كان يعرف بالروح الغرض من المحاولة ورفض مغادرة الكنيسة على الرغم من طلبه بأن رجلاً مريضًا كان مستلقيًا في سيارة قريبة. تبع أحد طالبي الرهبنة سرًا "أصدقاء" الرجل المريض،

ليجد أنه لا يوجد في الواقع شخص مريض. اختتم التلميذ المجهول (وهو الآن راهبًا) هذه الذكرى بما يلي: "بعد سنوات، رُسم أبونا مينا بطريركًا، وذات يوم جاءه شخص يبكي ويشكو من الفقر ويطلب الدعم، واعترف له بأنه كان أحد الرجال الذين توجهوا إلى كنيسة مارمينا لاختطافه، بتحريض من شخص كان يعمل في البطريركية، وكان للأسف يملك سلطة كبيرة". يمكننا فقط أن نفترض أن الشخص في البطريركية لم يكن سوى مِلِك سيئ السمعة (الذي سنتحدث عنه في فصل آخر).

٢٢٨ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٥ مارس ١٩٥٨".

٢٢٩ أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٤٧.

230 G. K. Chesterton, *St. Thomas Aquinas and St. Francis of Assisi* (San Francisco: Ignatius Press, 2002), 22.

231 Ibid., 23.

٢٣٢ البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، دون تاريخ، ١٩٥٩-١٩٦٢"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٢٨٠ (مصر القديمة، دون تاريخ). الرسالة غير مؤرخة، ولكن من المحتمل أنها كُتبت بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٢، نظرًا لأنه زار مصر القديمة بصفته بطريركًا ولم يكن قد تمت رسامة شقيقه أبونا ميخائيل كاهنًا بعد.

فاصل حزين (١٩٥٤ - ١٩٥٩)

٦
الحالة المؤسفة للبابا يوساب الثاني
(١٩٥٤ - ١٩٥٩)

تاريخ قصير لصراع طويل: المجلس الملي

بغض النظر عن مدى رقة الشريحة التي قسمتها، سيكون لها دائمًا وجهان

باروخ سبينوزا

قال الرجل العجوز والمنكسر: "لقد استمعت إليك وبقيت في أبروشيتي". أضاف بعد بضع لحظات من الصمت المضطرب، ودموعه تنزل على وجهه وتختفي في لحيته: "عندما كنت مطرانًا، استجاب الله لكل صلواتي على الفور بأن يرسل إلى أشخاص أو كلمات. ولكن الآن بصفتي البطريرك"، وبدأت يداه ترتجفان بشكل واضح، "لقد أدار الله ظهره لي".[١]

هذه الكلمات الحزينة للبابا مكاريوس الثالث (١٨٧٢-١٩٤٥) ربما قالها البطاركة الذين أتوا قبله أو بعده. فقبل قرن من الزمان بقليل، كان كل من تجرأ على اعتلاء عرش البطريركية المحفوف بالمخاطر (سواء أكان ذلك شرعيًا أم لا) سيصطدم بصخور المجلس الملي سيئ السمعة. وللأسف ستكون هذه الكلمات هي تمهيد لهذه الفترة الكئيبة.

بعد وفاة البابا ديمتريوس الثاني عام ١٨٧٠، قام الأنبا مرقس أسقف البحيرة، بصفته قائم مقام البطريرك، باتخاذ خطوة مشئومه وهي اختيار عدد من الأعيان العلمانيين "لمساعدته"، لا سيما في إدارة الشؤون المالية. وهكذا تشكلت نواة هذا المجلس (المجلس الملي).[٢] في النهاية، تم اعتماد هذا المجلس رسميًّا، ووافق مرسوم

خديوي في ٥ فبراير ١٨٧٤ على تشكيل مجلس من أربعة وعشرين عضوًا علمانيًا تحت قيادة البطريرك.[٣] يقترح ميناردس أن ثلاثة من تيارات الإصلاح العلماني قد اندمجت في هذه المرحلة: مجموعة تدعو إلى زيادة مساعدات الكنيسة للفقراء؛ ومجموعة أخرى تصر على تقديم تعليم أكثر انفتاحًا لرجال الكهنوت؛ وآخر لا يزال يصر - وهذا من شأنه أن يكون إلى حد بعيد الأكثر أهمية وإشكالية - على أن رجال الكهنوت يجب أن يهتموا فقط بـ "الأمور الروحية"، تاركين جميع الشؤون الأخرى؛ المالية والقانونية والتعليمية، لـ "الأشخاص العلمانيين الأكفاء".[٤] رددت هذه الخطوة صدى العديد من الدعوات للإصلاح التي كان يتردد صداها في جميع أنحاء الدولة والإمبراطورية العثمانية. لكن كان لها فعاليتها الداخلية الخاصة: كان الهم الأساسي هو إضفاء الشرعية على التمثيل العلماني داخل الكنيسة.[٥]

لقد كان أمرًا ملحًا جدًا. كان القادة العلمانيون في ذلك الوقت أكثر تعليمًا بكثير من معظم رجال الكهنوت، وكان لديهم خبرة مالية كبيرة. علاوة على ذلك، كما ذكرت إيريس حبيب المصري، أن مشاكل قوانين الأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والميراث) اعتُبرت بقدر معقول على أنها "من اختصاص المتزوجين" وليس الأساقفة العازبين.[٦] بعبارة أخرى، كما يلاحظ كارتر، كان المجلس "الوسيلة الرئيسة التي سعى من خلالها (المصلحون العلمانيون) إلى السيطرة على المجتمع".[٧] إن تعليقات إيريس حبيب المصري وكارتر، على الرغم من دقتها، هي كاشفة أكثر بكثير مما قد تكون مقصودة، وهي، إلى جانب تعليقات معظم الباحثين، تُقصر في شرح ما هو واضح بصورة صريحة. لم تكن اهتمامات المجلس الملي وتكثيفه للإصلاح العلماني لمجرد إضفاء الشرعية على الأشخاص العلمانيين، بل بالأحرى إسقاط الشرعية عن رجال الكهنوت غير القادرين وغير الأكفاء والأميين نسبيًا - على حد زعمهم. لم يمكن أبدًا أن يكون رد الفعل تجاه المجلس عاديًا. في الواقع، عندما رُسم البابا كيرلس الخامس بطريركًا في أواخر عام ١٨٧٤، بعد أشهر فقط من تشكيل المجلس، كان رد فعله مفهومًا إلى حد ما، إن لم يكن متوقعًا. تم حل المجلس الأول

برئاسته والثاني لم يعقد أي اجتماع. وكلما حاولوا عقد الاجتماع في البطريركية، وجدوا الأبواب مغلقة.[8]

إن قصة المجلس التي حدثت أثناء تولى البطاركة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ليست مبهرة. في البداية، رفض البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤-١٩٢٥) المجلس منذ بدايته تقريبًا، ورفض رئاسة اجتماعاته لما يقرب من عقد من الزمان، وشجب وجوده ذاته، وحلم في أن يقوم بحله بشكل محموم. ومع ذلك، كان خصومه العلمانيون مخيفين، وكانوا يعدون من بين المتعلمين والأثرياء من ملاك الأراضي، وبينهم عدد قليل من الذين تولوا مناصب في الحكومة، وأول قبطي على الإطلاق يصبح "باشا" وهو بطرس غالي.[9] لقد طلبوا في ٢٢ مارس ١٨٨٣ بقوة من البابا كيرلس الخامس إعادة تشكيل مجلس جديد. فكتب البابا كيرلس الخامس في رسالة سلمها باليد إلى رئيس الوزراء:

> ليست هناك حاجة للمجلس الذي يسعى بعض أعضاء الكنيسة إلى إنشائه. عندما تسلمنا البطريركية، قادتنا خبرتنا مع المجلس إلى استنتاج مفاده أنه لا فائدة منه ولا يمكن أن يخدم أي غرض على الإطلاق، وبالتالي استغنينا عنه.[10]

لم يكن الخديوي مهتمًا باحتجاجات البطريرك وبدلاً من ذلك نظر بشكل إيجابي إلى العلمانيين الإصلاحيين. تم التوصل إلى حل وسط واضح بعمل دستور للمجلس في ١٤ مايو ١٨٨٣. وقد مُنح المجلس، بالإضافة إلى أربعة من رجال الكهنوت، سلطة على جميع قضايا الأحوال الشخصية، والأوقاف، والمدارس القبطية، والمؤسسات اللاهوتية، والجمعيات الخيرية. كما وجه المجلس بمراجعة وحفظ سجلات جميع الأبروشيات والأديرة، وأخيرًا، مُكن المجلس من العمل من أجل التعليم والتنمية الروحية لرجال الكهنوت.[11] كانت هذه "الاتفاقية" واسعة النطاق، وكان من الواضح أنها أهانت رجال الكهنوت.

ستصبح إحدى هذه التوجيهات نقطة الخلاف الحاد بين البطريرك والمجلس، مما يؤدي إلى حدوث انقسام عميق داخل المجتمع سيستمر حتى القرن العشرين. كانت هذه مشكلة الأوقاف الكنسية.[١٢]

قامت الأديرة على مدى قرون "باستصلاح" الصحاري المحيطة بها وزراعتها ونظرًا لمساحة الأراضي الهائلة أصبحت هذه الأراضي مربحة للغاية للكنيسة. كانت هذه أوقاف الأديرة، إلى جانب الأراضي التابعة للبطريركية والأراضي الخيرية الأخرى الأقل أهمية، والمعروفة باسم الوقف. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر تجاوز دخل هذه الأوقاف جميع مصادر الدخل الأخرى للكنيسة.[١٣] وسرعان ما اكتشف المجلس أن الإصلاح سيكون مكلفًا. رأى المجلس في الوقف وسيلة لتأسيس وإعادة بناء وتنشيط التعليم الإكليريكي والصرف على الأبروشيات والمدارس وخدمة الفقراء.[١٤] ولكن بعد ذلك، وجدوا أن التباين الهائل بين أوقاف الأديرة والوضع الحالي للكنيسة كان نتيجة حتمية لاختلاس هذه الأموال. وزعموا أن هذا كان بالتأكيد انتهاكًا صارخًا لـ "نذر الفقر" الذي قطعه هؤلاء الرهبان الزاهدون على أنفسهم، خاصة أن هؤلاء الرهبان أنفسهم كانوا يعيشون في بؤس وفقر.[١٥] طلب المجلس أجراء تحقيق، وحث على الشفافية، وطالب بالنزاهة، وقبل كل شيء، سعى إلى السيطرة.[١٦] أصبح الوقف من نواحٍ عديدة، ساحة معركة رمزية وعلَمًا للإصلاح، وبالتالي، كان إسفين العداء الفريد بين البطريرك والعلمانيين.

وغني عن القول إن الفشل في الاتفاق على دستور عام ١٨٨٣ في المقام الأول حول الإشراف على الوقف أدى إلى مواجهة هشة.[١٧] بحلول عام ١٨٩١، اندلع الصراع في مظاهرة شعبية. تشكل حزبان (حزب مؤيد للمجلس وحزب مؤيد للبطريرك) كل حزب له شعارات مختلفة وحملة دعاية كبيرة. ووجه كلا الجانبين نداءات عديدة إلى الخديوي.[١٨] أجبرت الحكومة البابا كيرلس الخامس بعد ذلك بعام، على الخضوع للأمر، وأمرت الأديرة بتقديم حساباتها إلى المجلس لكي يراجعها (على الرغم من السماح للأديرة، بصورة واضحة بالاحتفاظ بالأرباح). ولكن قدم البابا كيرلس

الخامس التماسًا، ورد المجلس، مما أدى إلى "عزل غير مسبوق تاريخيًّا" للبطريرك.[١٩] في ١ سبتمبر ١٨٩٢، صدر مرسوم خديوي بعزل البابا كيرلس الخامس إلى دير البرموس.[٢٠]

كتب ليدر، وهو مراقب بريطاني:

> مهما كان ما ظنه الإصلاحيون، فإن الغالبية العظمى من الشعب القبطي كانوا منهارين بسبب عزل رجل كان لا يزال هو رأسهم. وبعد ذلك أيضًا، أدت رعود الحرمان الكنسي التي أطلقها البابا كيرلس الخامس بسبب عزله إلى حالة ركود للكنيسة كلها، مما أدى إلى تجفيف الآبار المريحة للحل والبركة...[٢١]

كانت الأشهر الستة التي قضاها في العزل كارثية. قامت الحكومة بتعيين بطريرك دمية جديد هو الأنبا أثناسيوس أسقف صنبو، وبالسرعة نفسها قام البابا كيرلس الخامس بحرمانه.[٢٢] أصبحت الأبروشيات خربة، وتوقف عمل القداسات والتناول من الأسرار المقدسة، وأصيب المؤمنون بخيبة أمل. أصبحت الحكومة قلقة ودعت، جنبًا إلى جنب مع المجلس الملي المحرج الآن، إلى عودة البابا كيرلس الخامس. تم استقبال البابا كيرلس الخامس في ٤ فبراير ١٨٩٣ (ومبعوثه الحكومي) في موكب منتصر في شوارع القاهرة.

بقدر ما يكشف التاريخ أن ما فعله المجلس في هذه الفترة الحرجة كان زلة خطيرة، تزعم فيفيان إبراهيم أن نفي البطريرك كان دليلاً على ما "لا يمكن للكثيرين في الكنيسة قبوله، وهو تعدي العلمانيين على صلاحيات الكنيسة الروحية".[٢٣] ربما كان الإصلاح مبررًا وموضع ترحيب، بل كان بالفعل ضروريًّا، لكن نفي البطريرك قوض مصداقيتهم، كما كشف عن مدى الانقسام الذي يمكن أن يحدثه الوقف وكيف كان الوقف هو مركز الصراعات داخل الكنيسة. هناك أيضًا اقتراح، كما يجادل صيقلي، بأن الخديوي لعب دورًا أكثر أهمية مما تدركه معظم المصادر وراء موضوع عزل البابا كيرلس الخامس، وباحث آخر يدعي أن التدخل الخديوي قد أدى إلى تسيس الصراع بين رجال الكهنوت والعلمانيين "على عدة

مستويات".[24] لم يشهد الحادث المؤسف تدخلاً علمانيًا في السلطة الروحية للكنيسة فحسب، بل كان أيضًا سابقة مؤسفة لتدخل الحكومة.

سيظل العداء بين البطريرك والمجلس في حالة مد وجزر خلال العقود الثلاثة القادمة.[25] سيتم إجراء تعديلات مختلفة على دستور المجلس، في الغالب لصالح البطريركية.[26] ستسير الأحداث بشكل مثير في ٢٢ يوليو١٩٢٧، فبعد قدر كبير من المناورات السياسية ورفع الدعاوى ضد كل رئيس دير، نجح المجلس في تقديم التماس إلى الحكومة مرة أخرى. تم تغيير لائحة المجلس، ومُنِح المجلس حقوقه الكاملة التي تم تأمينها في عام ١٨٨٣.[27] توفي البابا كيرلس الخامس بعد أسبوعين من سماع الأخبار عن عمر يناهز ١٠٣ عامًا. على الرغم من أن سنوات بطريركيته شهدت قدرًا كبيرًا من الجدل، إلا أنه من المفارقات أن العديد من جهوده كانت تتماشى مع الإصلاحيين. لقد دعم المدارس، وافتتح كلية لاهوتية، ورمم الكنائس، ودافع عن تعليم المرأة.[28] ويجب أن نلاحظ أن الجميع يتذكره على أنه "رجل يتمتع بنقاء وبساطة كبيرة وإنكار للذات، ولم تتجاوز مصاريفه الشخصية ٦٠ جنيهًا مصريًا في السنة".[29]

كان أداء البطريرك التالي؛ يؤانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢)، أفضل قليلاً. في البداية، كانت هناك بعض العلامات الواعدة، والتي تم تفسيرها جزئيًا من خلال منفاه الهادئ (عندما كان لا يزال مطرانًا) مع البابا كيرلس الخامس في عام ١٨٩٢. قبل ترقيته إلى رتبة البطريرك، بصفته قائم مقام البطريرك في عام ١٩٢٧. لقد رتب نظامًا فعالاً يتكون من لجنة إشرافية من ثلاثة أشخاص علمانيين واثنين من الأساقفة لإدارة الوقف لفترة قصيرة، حتى أن هذا النظام أرضى كلاً من رجال الكهنوت والعلمانيين.[30] ومع ذلك، لم يكن الوقف هو مصدر القلق خلال فترة حكمه، بل بالأحرى حقه في أن يصبح بطريركًا على الإطلاق.

بعد وفاة البابا كيرلس الخامس عام ١٩٢٧ وافق المجمع والمجلس على إلغاء أكثر من ألف عام من العرف (والقانون) لاختيار البطريرك من بين الرهبان. لقد سمحوا لأسقف بأن يصبح بطريركًا "إذا لم يُوجد بين الرهبان من هو مناسب لهذا المنصب".[31]

سنوات بطريركية البابا يؤانس سيتم تشويهها لسوء الحظ منذ ذلك الحين بإشاعات مستمرة، وبعدم كفاءته، وبنزاع طائفي.[٣٢] سُمع ذات مرة أنه صرخ قائلاً: "يا ليت ذلك اليوم لم يأتِ عندما سعيت إلى البابوية".[٣٣] جادل العديد من العلماء بأن السنوات التي قضاها البابا يؤانس في البطريركية كانت السبب الرئيس لانحدار الكنيسة في الظلام على مدى العقود الثلاثة التالية. سيكون البابا يؤانس الأول من بين ثلاثة بطاركة تمت ترقيتهم من بين الأساقفة إلى رتبة البطريرك. وللأسف، ولكن هذه هي الحقيقة، حتى أن مؤرخة قبطية مرموقة قامت بوضع هذا العنوان لمجلد قامت بكتابته عن تلك الفترة وهو "كيف سقط الجبابرة".[٣٤]

اندلع النقاش مرة أخرى مع وفاة البابا يؤانس في عام ١٩٤٢، ومع ذلك، لم يتم هذه المرة وضع حدود دقيقة بين رجال الكهنوت والعلمانيين. دعا العديد من الأساقفة إلى رسامة البطريرك من بين الرهبان، في حين اقترح بعض العلمانيين (بما في ذلك المجلس الملي) أن الإصلاح لا يمكن أن يتحقق إلا من قبل أسقف ذي خبرة.[٣٥] ولكن حتى بخصوص هذا الأمر، اختلف الكثيرون وتباينت الآراء.[٣٦] وشهدت الأشهر التي تلت ذلك حملات انتخابية غير لائقة للمرشحين كان لها "إيحاءات سياسية متزايدة".[٣٧] لكن لم يهتم القليل منهم كثيرًا بمثل هذه المناورة، وفضل بدلاً من ذلك أن يتمسك بمبادئ التقاليد القديمة. يذكر حبيب المصري؛ عضو المجلس، تحذيره لأحد المطارنة والذي لم ينجح في تهدئته "نيافتك تعرف حبي وتقديري لك، لكن ولائي للمبدأ له الأسبقية حتى على ولائي لك".[٣٨] أجاب المطران، "الشعب يريدني".[٣٩] كان هذا المطران هو البابا مكاريوس الثالث (١٨٧٢ - ١٩٤٥).

كان البابا مكاريوس يمتلك تاريخًا إصلاحيًّا كبيرًا بصفته مطران أسيوط لمدة سبعة وأربعين عامًا، وكان ماهرا جدًّا في تفويض الشؤون غير الروحية.[٤٠] وبفضل بعض المؤيدين المتحمسين، حصل أيضًا على تصويت الجماهير. تكثر في صحف تلك الفترة المقالات المؤيدة للبابا مكاريوس التي كتبها القمص سرجيوس (كاهن ناشط ذكرناه هنا بالفعل أكثر من مرة)، بالإضافة إلى الدعم المعلن للمجلس من خلال

المتحدث باسمه إبراهيم المنياوي (١٨٨٧- ١٩٥٨).[٤١] كان مكاريوس الثالث في يوم الانتخابات، ١٣ فبراير ١٩٤٤، هو اختيار الشعب إلى حد كبير وكأن رسامته حدثت نتيجة لانتخابات برلمانية أكثر من كونها رسامة باباوية. لم يكن ذلك نتيجة للفساد، بل نتيجة للدعاية الانتخابية والضغط والدعاية الاعلامية. لم يخبئ البابا مكاريوس في مصداقية لتاريخه ميوله الإصلاحية المبكرة؛ وسأل رفاقه الأساقفة في هجوم مدوي، قبل سيامته مباشرة:

لماذا نحن مهتمون جدًّا بالوقف؟ نحن جميعًا رهبان، وبما أننا أعطينا الكنيسة ميراثنا الشرعي، فهل يصح لأي شخص أن يتنازل عن نصيبه ثم يطالب به مرة أخرى بعد ذلك؟ لم يعد هذا ملكا لنا.[٤٢]

وفي خلال أحد عشر يومًا من توليه منصب البطريرك، بدا أن البابا مكاريوس قد حل نزاعًا كان مشتعلاً لأكثر من نصف قرن. توصل إلى اتفاق مع المجلس بأن الأوقاف ستخصص حصريًّا لاستخدام الكنيسة لبدء النهضة واستدامتها.[٤٣] جميع الأوقاف التي كان يديرها في السابق رؤساء الأديرة، سيديرها الآن مكتب مركزي في البطريركية في القاهرة تحت إشراف البابا مكاريوس المباشر بمساعدة خمسة من أعضاء المجلس. من الواضح أن الأوقاف ستكون للاستخدام الصريح لبنيان الكنيسة. ومن غير المستغرب أن القرار "أثار غضبًا عارمًا".[٤٤] رفض رؤساء الأديرة والأساقفة رفضًا قاطعًا. ومع ذلك، يجب الانتباه أن هذا لم يكن حفاظًا على الكرامة أو بسبب الفكر المحافظ لهؤلاء الأساقفة، بل إن أكبر سبب لاعتراض رجال الكهنوت، كما تلاحظ فيفيان إبراهيم، نشأ في الواقع من "سوء سلوك وفشل" المجلس الملي.[٤٥] لقد أساءوا التعامل مع الأوقاف الكنسية التي لا تخص الأديرة. وكان هناك تدهور ملحوظ وسريع في معايير التعليم منذ إداراتهم للمدارس القبطية الكبرى في القاهرة عام ١٩٢٨، بخلاف سوء إدارة الديوان البابوي (إيجار الممتلكات).[٤٦] هذا يتحدى وجهة نظر العديد من المؤرخين الغربيين والأقباط بأن المجلس كان مُصلحًا لا تشوبه شائبة وحديث وشفاف في مقابل كنيسة "رجعية"، وهو أمر يجب

أن نتذكره في الصراعات التي ستنشأ فيما بعد بين المجلس والبطريرك في سياق موضوعنا الحالي.[٤٧]

كان البابا مكاريوس حائرًا في الوسط بين الأساقفة الأقوياء والمجلس، وكان من المحتم أن يخطئ التصرف تجاههما، ربما بشكل غير منصف، شعر بينه وبين نفسه أنه كان يحاول انتزاع السلطة من كل من الأديرة والمجلس.[٤٨] زعم المنياوي والمجلس أنهم يؤيدون ترشيح البابا مكاريوس فقط لأنه "لم يكن هناك مرشح آخر مناسب".[٤٩] ومرة أخرى اشتعلت النيران في الصحف بسبب هذا الانقسام، واندلعت الاحتجاجات وُرفعت للحكومة، ومزق الوقف بصورة أعمق نسيج الكنيسة. في مقابلة بالصدفة مع حبيب المصري في حفل زفاف في ١ أغسطس ١٩٤٤، عانقه البابا مكاريوس والدموع تنهمر على لحيته الرمادية الطويلة: "كنت على حق؛ كان يجب أن أبقى في أبروشيتي. ما كان يجب أن أسمح للموجة أن تحملني".[٥٠] وبعد أيام قليلة، عندما لم يجد البابا مكاريوس منفذًا، انسحب إلى دير القديس الأنبا أنطونيوس في البحر الأحمر في منفى اختياري. عند وصوله إلى الدير، أصرَّ على السير من باب الدير وهو يسجد حتى وصل إلى الكنيسة، صارخًا: "لقد أخطأت عندما قبلت أن أكون بطريركًا. لا أريد العودة إلى الكاتدرائية أبدًا، أتمنى أن أصاب بالعرج أو العمى... أنا نادم يا إلهي، هل هناك توبة عن مثل هذه الخطية؟"[٥١] كانت الأشهر السابقة قد أجهدت الرجل العجوز بشدة. وكتب البابا مكاريوس من الدير إلى رئيس الوزراء أحمد ماهر في ١٩ نوفمبر١٩٤٤:

> رغم أني كنت بطريركًا لمدة نصف عام فقط، يبدو الأمر وكأني قضيت فيها نصف قرن. لقد عارضت المنياوي ورفاقه في المجلس الملي، وبقلب مكسور ودموع توسلت إلى المنياوي. طلبت منه أن يرحمني وأن يكون لطيفًا معي وأن يقبل مناشدتي في مثل هذه الأوقات الصعبة. قلت له لا أستطيع التنفس، وكان لدي قرحة بالمعدة وأشياء أخرى مشابهة. لكنه لم يستجب أو يهتم بألمي وبكائي واحتجاجي ولم يرحمني ولم يرد على طلباتي. لذلك قررت أن أذهب إلى الدير.[٥٢]

عاد البابا مكاريوس بعد عدة أشهر، وأصدر المجمع المقدس قرارًا يعيد تأكيد سلطة رجال الكهنوت في منتصف عام ١٩٤٥. اندلعت الخلافات مرة أخرى ولم يتغير شيء بعد وفاة البابا مكاريوس في ٣١ أغسطس ١٩٤٥.[٥٣] فقد أولئك الذين بقوا في الكنيسة الأمل، وتلاشت أي بادرة أمل صغيرة أثناء عقد بائس من الزمان اختار الكثيرون نسيانه.

الفوضى الكنسية: الأحداث غير اللائقة في ٢٥ يوليو ١٩٥٤

الكذب شيء ممتع لأنه يقود إلى الحقيقة

فيودور دوستويفسكي

قد يشعر البعض بعدم الارتياح أو يفضلون رواية أكثر هدوءًا عن التفاصيل التالية في حياة البابا يوساب الثاني (١٨٨٠-١٩٥٦). لكن تفادي هذه الحادثة لن يسبب فقط ضررًا للتاريخ والسعي وراء الحقيقة، بل إنه ينفى أيضًا التحول الجذري الذي لا يمكن إنكاره الذي حدث للكنيسة قبل أبونا مينا المتوحد وبعده.

كتب صحفي غربي: "كان الأمر كما لو أن نقاط ضعف الأب قد أظهرت نقاط ضعف عائلته وتسببت في إحراج جميع الأطفال، الذين في هذه الأثناء، كانوا يتقاتلون فيما بينهم".[٥٤] من الواضح أن الكوارث المتراكمة التي حدثت طوال العقود السابقة تجسدت في شخص البابا يوساب الثاني، وأكثر من ذلك، في خادمه البغيض. وبالتالي، بقدر ما قد يحمل الأمر من مذلة وفضيحة، فإنه يجب فحص هذه الفترة المؤسفة دون تحيز، وأي تحليل آخر سيكون غير صحيح تاريخيًّا، وخادعًا، حتى وإن كان يحمل طابع التقوى ظاهريًّا، إلا أنه سوف ينكر التغيير المهم الذي قام به أبونا مينا المتوحد عندما شفى هذا الجرح المتقيح.

لم تخفف وفاة البابا مكاريوس الثالث في أغسطس ١٩٤٥ من الارتباك والخلاف داخل الكنيسة.[٥٥] تدخل الأنبا يوساب مطران جرجا بصفته القائم مقام، وقام بتنظيم حملة انتخابية، وللعجب، كانت هذه الحملة الانتخابية دعاية لنفسه، حتى أن مثل هذه الحملة كانت تشهد على فقدان الذاكرة الذي أصاب الشعب. ومرة أخرى تم عن عمد تجاهل القوانين القديمة التي تنص على رسامة راهب (أو علماني) للمنصب البابوي. تم إسكات الأصوات القليلة المعارضة على الفور، مثل صوت الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف (١٨٨٣-١٩٦٢)، وتوقيع الحرمان الكنسي على أحد الكهنة فيما

بعد.[٥٦] لن يحدث فرق كبير في النهاية، كانت الانتخابات على ما يبدو معدة مسبقًا. تم التلاعب مسبقًا بالقوائم الانتخابية لاستبعاد بعض الناخبين المؤهلين؛ وفي يوم الانتخابات ١٢ مايو ١٩٤٦، حدث إضراب لعمال النقل (كان الأمر مخططًا على الأرجح) مما تسبب في منع الناخبين المؤهلين للإدلاء بأصواتهم ماعدا أنصار المطران الأنبا يوساب الذين تمكنوا، لحسن حظهم، من توفير قافلة سيارات ركوب عسكرية إلى قاعة الانتخابات في قلب القاهرة.[٥٧] لم تستطع إحدى المؤرخات احتواء صدمتها: "لقد فاز بمئة وثمانين صوتًا فقط!"[٥٨] تم تنصيب الأنبا يوساب بطريركًا بعد أسبوعين.

ولكي نكون منصفين، لقد اعتبر الكثيرون أن البابا يوساب الثاني (١٨٨٠-١٩٥٦) كان مؤهلاً بشكل استثنائي للبطريركية.[٥٩] ولد البابا يوساب الثاني في قرية تابعة لمدينة جرجا في صعيد مصر، ودخل دير القديس أنطونيوس في السابعة عشرة من عمره، وتمت رسامته قمصًا بعد ذلك بسنوات قليلة. درس اللاهوت في أثينا بين عامي ١٩٠٢ و١٩٠٥، وأصبح يتقن اللغتين اليونانية والفرنسية، في النهاية عاد لاحقًا ليصبح رئيسًا لعدد من الأديرة. رُسم مطرانًا على جرجا عام ١٩٢٠، وخدم، كما يجب أن نلاحظ، في ثلاث مناسبات على الأقل كقائم مقام البطريرك.[٦٠] لم ينتج عن هذه الخبرة والتكوين للأسف إلا نتائج تافهة. نكث البابا يوساب بوعوده للمجلس والتي حصل بموجبها على دعمهم بالإجماع في الانتخابات على الفور تقريبًا بعد أن أصبح بطريركًا. وكان قد وعد بنقل مسئولية الإشراف على الوقف إلى المجلس (الذي يغلب عليه الطابع العلماني). وكان رده على عدم التنفيذ أن "أسقف جرجا هو الذي وقع عليها، وليس البطريرك"، حسبما ورد عندما تم مواجهته بالاتفاقية التي كان قد وقع عليها.[٦١] وبدلاً من ذلك، أوكل البابا يوساب الوقف لرؤساء الأديرة الذين عينهم أساقفة من أجل التدبير الحسن.[٦٢] لكن حتى هذا الخلاف مع هذا المجلس الفظيع، الذي نهب عددًا ليس بقليل من البطاركة، سوف يطغى عليه الاستياء المتصاعد بسرعة من خادم البابا يوساب المُسمى مِلِك كامل جرجس، والذي كان في البداية غير معروف.

أحضر البابا يوساب بعد أن أنهكته الانتخابات معه إلى المقر البطريركي هذا "الفلاح"، وهو شخص خدم البابا يوساب عندما كان مطرانًا لجرجا. لقد ارتكب البابا يوساب خطأً مؤسفا عندما أسند إليه سلطة غير عادية ومفرطة.[٦٣] تختلف المصادر في وصف مِلِك، ولكن الوصف الأكثر دقة هو أنه "يحكم من خلف الستار"، فقد تصرف أولاً بهدوء ثم علنًا باعتباره وسيط البطريرك الضعيف.[٦٤] تشير بعض المصادر إلى أنه بدأ كخادم شريف ولكن تم إغوائه بالسلطة والثروة، وبفضل "الشخصية الضعيفة والرخوة" للبابا يوساب، شرع مِلِك على الفور في إفساد البطريركية.[٦٥] (يجب أن نلاحظ أن مِلِك كان الشخصية المظلمة ذاتها التي سعت سابقًا إلى إبعاد أبونا مينا من كنيسته في مصر القديمة، حتى أنه حاول على ما يبدو اختطافه).[٦٦] أصبح توزيع الممتلكات، وإدارة المقر البابوي، وترقيات الكهنوت، وحتى الرسامات الأسقفية، وكل هذه القرارات، تخضع لموافقة مِلِك. أَفسدت السلطة "الفلاح" الأمي سيئ السمعة.

يُزعم أنه تم "بيع" ما لا يقل عن ستة عشر من بين تسعة عشر رسامة أسقفية خلال فترة يوساب، وقد كان العائد منها يصل إلى ٥٠٠٠ جنيه مصري في يد مِلِك "ربما كان يجمع هذه الرسوم فيما بعد من عائدات الوقف".[٦٧] امتلك مِلِك الفلاح الذي لم يمكن لراتبه أن يتجاوز ١٠ جنيهات في خلال سنوات قليلة ما لا يقل عن أربعة مبانٍ في القاهرة وثلاثة في الإسكندرية. ومما أثار رثاء واستياء الجماهير، فقد ذهب إلى حد رفع دعوى قضائية ضد أسقف سوهاج بسبب عدم إيفائه المبلغ الذي وعد أن يدفعه.[٦٨] كتب القمص إبراهيم لوقا وهو كاهن مشهور، في عام ١٩٤٧:

> لقد شاهدت موقفا أكد لي هذه السيمونية، فقد قدَّم لي رجل يتمتع بطموح مفرط ٥٠٠٠ جنيه لأحتفظ بها لنفسي أو لمشاريع كنيستي في مصر الجديدة، مقابل رسامته أسقف في أبروشية. اكتشفت أيضًا أن الحاشية [البابوية] لهم أيادٍ في نقل كهنة القاهرة، على الرغم من حقيقة أن هذا كان ضمن نطاق وظيفتي كوكيل للبطريركية، مع ذلك، كان هناك شخص آخر يتلاعب في هذه الأمور.[٦٩]

سرعان ما أصبح من المستحيل تقريبًا الاقتراب من البابا يوساب دون المرور بمِلِك. تم تجهيز نوافذ البطريركية بقضبان حديدية، وتم إغلاق الأبواب بإحكام فيما يمكن تسميته "سياسة الباب المغلق". البابا يوساب، الذي كان يرتدي دائمًا نظارته الشمسية الغريبة (بالنسبة إلى بطريرك)، كان لا يخرج إلا قليلاً بعد أن "حذره" مِلِك من أن الكثيرين كانوا يتآمرون لاغتياله.[٧٠] سيصبح هذا الوضع في النهاية مصدر قلق حقيقي للغاية.

وكشفت حادثة في أواخر عام ١٩٤٨ بقوة عن هذا الوضع الخطير. ولحسن الحظ تم توثيقها بالتفصيل بواسطة نظير جيد (البابا شنودة الثالث) كرئيس تحرير لمجلة مدارس الأحد.[٧١] تنيح الأنبا أبرام مطران الجيزة في ١٢ ديسمبر، وكان قد سمح ببعض "الانفتاح" لحركة مدارس الأحد، وبعد ثلاثة أيام فقط، اجتمع الأراخنة والكهنة لتحديد خليفته.[٧٢] اقترحت البطريركية أبونا متياس الأنطوني. جاء ذلك بمثابة صدمة لزوجة عزيز المشرقي، أحد أقباط الجيزة البارزين، التي كانت تعرفه جيدًا أثناء خدمة الراهب في القدس. وذكرت بعبارات لا لبس فيها أن الراهب كان "سيئ السمعة".[٧٣] بعد فترة وجيزة، عبَّر زوجها فجأة عن عكس ذلك تمامًا فيما يتعلق بالراهب وكان متحمسًا لترشيحه. وقال أحد الحاضرين: "كنا نشك في أن التغيير المفاجئ في موقف عائلة المشرقي كان بسبب رشوتهم بالمال".[٧٤]

رفض أبونا صليب سوريال، الذي كان قد رُسم في وقت قريب، وحركة مدارس الأحد الاقتراح رفضًا قاطعًا، وبدلاً من ذلك طلب تدخل رئيس الشمامسة؛ حبيب جرجس، الرجل الذي فوق الشبهات. تم عقد اجتماع لكهنة الجيزة في ٢٠ ديسمبر ولم تتم دعوة أبونا صليب سوريال لحضوره. والمثير للدهشة أنهم أجمعوا على تأكيد ترشيح أبونا متياس. يقول أبونا صليب أنه اكتشف لاحقًا أن مِلِك اشترى مجلس الكهنة وأن الرسامة كانت في الواقع قد تم الموافقة عليها مسبقًا - تم شراؤها في ممارسة واضحة للسيمونية.[٧٥] وكتب نظير جيد في مجلة مدارس الأحد "أحد الاشخاص من الذين حول البابا قد أساء استخدام صلاحياته لتعيين مطران. لا يمكننا أن نقف

صامتين، لقد تعلمنا دروسًا مريرة ومؤلمة. لا يمكننا أن نتحمل تكرار هذه المآسي".[٧٦] على الرغم من احتجاجات شعب الأبروشية كلها تقريبًا، والذين توسلوا على الأقل من أجل تأجيل الرسامة حتى يتم العثور على مرشح مناسب وجدير بالمنصب، إلا أن التماساتهم لم تلق آذانًا صاغية. ورد البابا يوساب قائلاً "ما علاقة هذه الأشياء بالشباب؟ فليركزوا في دراستهم ويتركونا نتولى شؤون الكنيسة".[٧٧]

عندما اندلعت أخبار سيامة أبونا متياس، ذهب شباب الجيزة (وعدد كبير من حركة مدارس الأحد في القاهرة) إلى البطريركية. وبدلاً من أن يستقبلهم البابا، وجدوا أمامهم حاجزًا أمنيًا مسلحًا من الشرطة المسلحة. ولما لم يتمكنوا من مقابلة البابا يوساب، عادوا بعد أيام قليلة، ولكن هذه المرة ليقابلهم "عمال" يحملون السلاح. كتب نظير جيد (البابا شنودة الثالث لاحقًا): "نقول الحقيقة ويسوع هو شاهدنا بأننا صُدمنا تمامًا. ما هذا؟ ما هو هذا الزمن الذي نعيش فيه؟ أن نُهان إلى هذه الدرجة في منزل أبينا!"[٧٨] وكان الأمر الصادم الذي لم يكونوا قادرين على تصديقه أنه تم تحديد موعد الرسامة بالفعل في ٢٣ يناير ١٩٤٩. لم تجد حركة مدارس الأحد أي خيار آخر، وقرروا أنهم سيمنعون الرسامة "حتى لو كانت تعني موتنا".[٧٩] كتب نظير جيد بغضب (البابا شنودة الثالث لاحقا) (من الواضح أنه كان حاضرًا بنفسه):

> وصلنا يوم الرسامة، وعندما دخلوا الكنيسة، وبدأ البطريرك يضع يده على (متياس)، صرخنا جميعًا بصوت واحد: "الدسقولية والقوانين الكنسية تمنعك. إن رسامة أبونا متياس ضد إرادة الشعب!" كنا نتوقع ما سيحدث. دخل رجال الشرطة بالعصي الكبيرة وبدأوا في ضربنا بلا رحمة بأمر من رجال البطريركية [يمكننا أن نقول إنها كانت أوامر من مِلِك] وفي حضور البطريرك... طردنا من الكنيسة... إنه لأمر غريب بعد كل هذه الضجة تمكنوا من التجمع عند المذبح وبدأوا يقولون لحن إبؤرو ("يا ملك السلام").[٨٠]

تم غلق الأبواب، وأقيم حاجز كبير، وإن كان أيضًا حاجزًا رمزيًّا، بين البطريرك والشعب. وهكذا رُسم مطران الجيزة؛ يؤانس (١٩٤٩-١٩٦٣) في مخالفة للقوانين الكنسية وضد إرادة الشعب. تُرك هؤلاء الشباب يائسين تمامًا ومعهم آمال الكنيسة الكبرى في وجه بطريرك تحت سيطرة المسمى مِلِك المتربح عديم الضمير.

بحلول أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، لم يتحمل هذا الوضع إلا عدد قليل من الناس. يشير القمص إبراهيم لوقا إلى أن ثورة ١٩٥٢ التي قام بها الضباط الأحرار في مصر شهدت ظهور حركة التطهير.[٨١] كانت الفكرة التي سعت في الأصل إلى "تطهير" الفساد السياسي وبدء الإصلاح والتحديث وتقدم الأمة. ولم يمض إلا بضعة أشهر حتى تبنت الصحافة القبطية (مصر) مثل هذه اللغة. مما أثار سيلاً من البرقيات إلى الحكومة الجديدة: "كما طهرتم البلد طهروا بطريركيتنا".[٨٢] لم تكن حركة مدارس الأحد (كما رأينا للتو) أقل صراحة في شجب أفعال البطريرك وخاصة سيمونية مِلِك.[٨٣] ولكن ظهرت معضلة من نوع ما في المجمع، فمن ناحية، لا يمكن أن تمر إهانة البطريركية واستغلاله دون عقاب، ومن ناحية أخرى، استفاد العديد من أعضائه بدرجات متفاوتة من هذه التعاملات السرية المخادعة نفسها.[٨٤]

سرعان ما أصبح واضحًا للجميع، حتى للعديد من الأساقفة الذين لهم نصيب في السيمونية - أن مِلِك قد تجاوز حدوده جدًّا. وفي سبتمبر ١٩٥٢ وبدعم من مجلس قيادة الثورة الذي تم تشكيله حديثًا، تم إقناع وزير الداخلية أخيرًا بترحيل مِلِك إلى مسقط رأسه جرجا مع خمسة آخرين.[٨٥] أصبح البابا يوساب حزينًا وعندما سُئل بعد بضعة أشهر من قبل نجيب؛ رئيس الوزراء المعين حديثًا عما يمكن أن يفعله للكنيسة رد أنه طلب بسرعة عاجلة عودة خادمه الذي لا غنى عنه.[٨٦] وهكذا، بعد أربعة أشهر، عاد مِلِك في ٣١ ديسمبر ١٩٥٢، مما تسبب في اشمئزاز وإحراج للكل.[٨٧]

لم يعد أبونا مينا المتوحد قادرًا على الصمت بسبب تصرفات البابا يوساب غير المفهومة. كان يراقب الأمور بهدوء من كنيسة مارمينا في مصر القديمة. لقد رأى كنيسته المحبوبة ممزقة، وسمع عن إشاعات محبطة أدت إلى فساد وابتزاز صريحين لا

جدال فيهما، وهو الآن يتعاطف مع تلاميذه الذين تعرضوا للضرب والألم النفسي والجسدي في حضور البطريرك.[٨٨] وشعر أنه يجب أن يتكلم. هناك رسالة لم يتم نشرها كتبها أبونا مينا المتوحد للبابا يوساب الثاني في أوائل الخمسينيات - بما كانت في عام ١٩٥٣ تقريبا - وهي المصدر الوحيد الذي يسجل موقفه خلال هذه السنوات الصعبة:

> إلى قداسة البابا المعظم الأنبا يوساب مطران كرسي جرجا، وليس بطريرك كرسي مارمرقس، الله يحفظ حياتك... في هذه الأيام فقدت الكنيسة وكل الشعب سلامهم، لذلك أتوسل إليكم باسم يسوع الحبيب أن تجتمعوا بالمجمع المقدس وتعلنوا الخطأ الذي ارتكبه الآباء، والمطارنة عندما تطلعوا إلى الكرسي البطريركي. يجب عليك بعد ذلك اختيار لجنة لكي تبحث في الأديرة عن ثلاثة رهبان صالحين بلا لوم بشهادة الجميع، وأن تدعو إلى صوم لمدة ثلاثة أيام وعمل قرعة هيكلية، ومن سيختاره الرب سيكون نائبك. وبعد عمر طويل وحياة سلمية، سوف يتولى نائبك منصب البطريرك. إذا قمت بذلك، فسوف ترضي السماء والأرض، وسيكتب التاريخ عنك بحبر ذهبي...[٨٩]

يجب قراءة هذه الكلمات ببطء وحذر. لا يمكن كتابتها أو استقبالها باستخفاف. ليس لدينا سجل لرد فعل البابا يوساب ولا رده على الرسالة. لكن يمكننا تخيل ذلك جيدًا. حتى لو تمكنا بطريقة ما من تجاهل إشارة أبونا مينا المتوحد إلى أخطاء البابا يوساب ووفاته، فإن الجملة الأولى تشير إلى الفضيحة: لا يجب رسامة أي مطران و"بصورة قاطعة" في رتبة البطريرك.[٩٠] بالتالي، البابا يوساب في ذهن أبونا مينا المتوحد "ليس هو البطريرك". كانت هذه الكلمات الملتهبة للغاية محفوفة بالمخاطر بالنسبة للراهب، خاصة الراهب الذي يعيش خارج ديره، وتشير بقوة إلى أن اهتمام أبونا مينا الوحيد كان الكنيسة، بغض النظر عن التكلفة التي سيتحملها هو شخصيًا. سواء شاركه الآخرون في الكنيسة في آرائه أم لا، كان هناك شيء واحد واضح للجميع. كان لا بد من فعل شيء.

قبل منتصف ليل ٢٤ يوليو ١٩٥٤ بقليل، طرق ٣٣ شابًا، بقيادة محامٍ شاب اسمه إبراهيم هلال، باب البطريركية بجنون.[٩١] قام حارس الباب؛ داود من نومه مذهولاً

فاستفسر عن سبب هذه الضجة. "يؤانس مطران الجيزة... صاح الرجال... يؤانس.. تحول إلى أشلاء في حادث قطارا" فتح داود الأبواب ليجد نفسه معتقلاً مع الجنديين اللذين يحرسان الأبواب. عندما اقترب الرجال من حجرة البطريرك، صادفهم خادمان إثيوبيان مسنان وتم أسرهما أيضًا. عند سماع الضجة، فتح يوساب الباب عن غير قصد لخاطفيه. وعلق هلال في مقابلة أجريت معه بعد عدة سنوات على أن البطريرك كان "ممزقًا بين الدهشة وعدم التصديق، وهو يحدق فينا لأكثر من خمس دقائق قبل أن ينطق بكلمة".[٩٢] وترائي أمام عينيه، فيما يبدو بالتوازي، مشهد الإطاحة بالملك فاروق قبل عامين، كان الرجال يحملون مستندات تطالب البابا يوساب بالتوقيع على تنازله عن منصب البطريرك لصالح الأنبا ساويرس أسقف المنيا.[٩٣] ثم أُجبر البطريرك المسن بسرعة على ركوب سيارة أجرة كانت منتظرة. ووفقًا لتقرير سرى، نجا البابا يوساب بصعوبة من طلقات قوات الأمن النارية في مطاردة ساخنة، قبل أن يتم طرده إلى دير مارجرجس في مصر القديمة.[٩٤]

لقد تم اختطاف البطريرك. طالب الأشخاص الباقون المحاصرون في مقر البطريركية بواسطة عدد كبير من قوات الأمن، بأن يعترف المجمع المقدس فورًا بتنازل البابا يوساب عن منصب البطريرك. وفي خلال ساعات قليلة، تلقت الصحافة والأبروشيات الرئيسة نسخًا موقعة بتنازل البابا يوساب عن منصب البطريرك ومطالب المختطفين. ولكن بحلول مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٤، تم إنقاذ البطريرك واعتقال الخاطفين المشتبه فيهم.

كان هؤلاء الشباب، وجميعهم أعضاء في جماعة الأمة القبطية، جزءًا من حركة شبابية أسسها إبراهيم هلال في ١١ سبتمبر ١٩٥٢. اختلف المؤرخون في تقديم أسباب منطقية لظهور جماعة الأمة القبطية، فقد زعم البعض أنه تم تكوينها ردًا على جماعة الإخوان المسلمين وبالتالي تقليدًا لها، وأشار آخرون إلى أنه كان "رد فعل من الطبقة الوسطى" على "الفراغ السياسي" لتمثيل الكتلة القبطية بعد سقوط حزب الوفد.[٩٥] ولكن يبدو أنه ليس هناك سبب من هذه الأسباب، ولا حتى الدعوة إلى "التطهير"،

كان هو الدافع الأساسي للاختطاف. كشف هلال في مقابلة غير مشهورة عام ٢٠٠٣، عما شك فيه البعض: كان الاختطاف، في الواقع، رد فعل على حل البابا يوساب جماعة الأمة القبطية في أبريل ١٩٥٤ (بدعم من جمال عبد الناصر)، وبالتالي، رد فعل على الاستهانة بجماعة الأمة القبطية. على الرغم من ذلك، ادعى هلال أيضًا بشكل مشكوك فيه أن البابا يوساب تصرف بناءً على طلب مباشر من المجمع نفسه.[٩٦]

بينما تختلف التفاصيل الدقيقة للاختطاف، كان رد فعل الكنيسة الأوسع بالإجماع.[٩٧] من الغريب أن إصدار مجلة مدارس الأحد الدورية التي نُشرت مباشرة بعد الاختطاف لا يشير إلى الحدث، بل يدعو بدلاً من ذلك، بشكل واضح، إلى انتخاب البطريرك القادم من بين الرهبان.[٩٨] وتلاحظ فيفيان إبراهيم أن الجناة تلقوا "القليل جدًّا من اللوم" من المجتمع والحكومة. وبينما قام الإكليروس بتوبيخهم، كان المجمع "حريصًا على عدم إدانتهم".[٩٩] في الواقع، ذهب المجمع إلى حد تأمين حريتهم وبراءتهم. أعلن الأنبا ميخائيل، أسقف أسيوط، في اجتماع المجمع:

> لا يجب أن نقلل من شأن تصرفات جماعة الأمة القبطية بالقول إنهم إما عاطلون عن العمل أو عمال. إذا استمر الكرسي البطريركي بهذه الطريقة، فإن الكنيسة ستهتز باستمرار... إن شؤون الكنيسة وأمورها هي الآن في يد الخادم مِلِك.[١٠٠]

على الرغم من أن القليل منهم قد تغاضى عن تصرفات جماعة الأمة القبطية، فقد أعرب الجميع عن أن هناك مشكلة حقيقية ومظالم مشروعة. انعقد المجمع في ٢٥ سبتمبر ١٩٥٤، وأصدر قراره النهائي الذي وقعه ستة عشر أسقفًا: أن يقوم البابا يوساب بسحب التهم التي وجهها إليهم ويعفو رسميًّا عن حادثة اختطافه بواسطة جماعة الأمة القبطية، ويتم طرد مِلِك وخدمه المرتبطين به الذين يقيمون في المقر البطريركي على الفور، وتقوم لجنة من ثلاثة مطارنة بمساعدة البابا يوساب في إدارة الكنيسة.[١٠١] وافق البابا يوساب على القرار الأول فقط، رغم أنه على ما يبدو تم إجباره على الموافقة، لكنه رفض بشكل قاطع الشرطين الأخيرين.[١٠٢] طلب الأنبا يؤانس مطران الجيزة (الذي تمت رسامته كما ذكرنا سابقًا على يد يوساب ومِلِك) "شخصيًّا" من البابا يوساب أن

يلتفت مرة أخرى لقرارات المجمع.[١٠٣] رفض البابا يوساب بشدة قائلاً: ''قلت إن هناك مؤامرة في المجمع المقدس''.[١٠٤] رضخ البابا يوساب في النهاية بعد ''الانسحاب الطوعي'' لغالبية المجمع إلى دير القديس الأنبا أنطونيوس.[١٠٥]

لن يمر وقت طويل قبل أن يأمر البابا يوساب مرة أخرى بعودة خادمه مِلِك ''بحجة أنه لا يمكن تعويضه''، كان المجمع والجماعة في حالة عدم تصديق شديد.[١٠٦] في خلال أيام استأنف مِلِك تجارته المؤسفة. تناسى مِلِك بطريقة ما، التاريخ، في نوبة قاتلة من الجشع أو فقدان الذاكرة، ووضع الوقف الثمين والمحفوف بالمخاطر نصب عينيه. اقترح مِلِك في منتصف عام ١٩٥٥ أن يقيل البابا يوساب عدة أساقفة من أديرتهم وأن يعين آخرين للاستفادة من الوقف مباشرة. وهكذا، أقال البابا يوساب في ١٤ أغسطس ١٩٥٥ الأنبا غبريال رئيس دير القديس الأنبا أنطونيوس طاعة لخادمه الجشع.[١٠٧] استدعى الأنبا غبريال بدوره المجمع.[١٠٨] تم منع أعضاء المجمع المقدس الحائرين في ٢٠ سبتمبر من الوصول إلى البابا يوساب في المقر البطريركي بشكل غير رسمي ورفض مرة أخرى أن يستمع إليهم.[١٠٩] ستكون هذه الحادثة هي القشة الأخيرة. لا يمكن أن يكون هناك حل آخر. لم يكن المجمع، على حد تعبيرهم، مستعدًّا لترك ''الكنيسة في عار''، وأصدر قرارًا موجزًا بعزل البابا يوساب نهائيًّا من منصبه وكانت سابقة نادرة أن يتفق أعضاء المجلس على هذا القرار.[١١٠] أعلن السياسي القبطي جندي عبد الملك:

> وافقت الحكومة أن يعفي البطريرك من صلاحياته استجابة لرغبات الشعب القبطي وقادة الكنيسة، بعد أن اتفق الجميع على أن قداسته غير قادر على القيام بواجباته.[١١١]

بعد يومين، خلع المجمع البطريرك يوساب الثاني وتم نفيه خارج القاهرة والإسكندرية، وتم إسناد إدارة الكنيسة مرة أخرى إلى لجنة الأساقفة الثلاثية.[١١٢] رحل البابا يوساب الثاني إلى دير المحرق في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ - الدير الذي اختاره - وسَحب ستائر سيارته ومعه نحو ثلاثة عشر حقيبة.[١١٣] لأول مرة منذ أكثر من نصف

قرن يعمل كل من المجلس الملي والمجمع، والكهنة والعلمانيون، في انسجام تام بخصوص قرار عزل البطريرك.

فشلت محاولة أخيرة، بصورة غير مفاجئة، قام بها البعض للتفاوض على عودة البابا يوساب (من دون خادمه مِلِك).[١١٤] لم يرتدع البطريرك غير الهائب، لكن الكنيسة؛ الإكليروس والعلمانيين، لم تستطع تحمل المزيد. عندما وصل البابا يوساب - خلافًا لإرادة المجمع وقراراته - إلى البطريركية في ٢١ يونيو ١٩٥٦، كانت الأبواب مغلقة، وبدلاً من ذلك وجد نفسه يتم اصطحابه إلى المستشفى القبطي في وسط القاهرة والتي لن يتركها أبدًا. وبعد بضعة أشهر، في أواخر سبتمبر، نتيجة لحزنه وانكساره، بدأت صحته في التدهور، وفي النهاية دخل في غيبوبة في الأسبوع الأخير من حياته. سمح المجمع بنقل البطريرك الفاقد الوعي إلى الكاتدرائية خلال الأربع وعشرين ساعة الاخيرة من حياته احترامًا لكرامة منصبه.[١١٥] في ١٣ نوفمبر ١٩٥٦، تنيح البابا يوساب الثاني في مكانه، وكان لا يزال يرتدي نظارته الشمسية الداكنة.

إلى أي مدى كان البابا يوساب متواطئًا أو تم التلاعب به؛ يبقى الأمر غير معروف. وبالمثل، ليس لدينا أي سجل عن تأديبه أو توبيخه أو حتى اعتذاره عن سلوك خادمه مِلِك غير اللائق.[١١٦] إن إحجام البابا يوساب عن التخلي عن شخص مثل هذا في البداية، وبعد ذلك مناشداته من أجل عودة مِلِك على حساب كل شيء آخر، يشير إلى أنه كان يعاني جدًّا من اعتماده بصورة مضللة للغاية على خادمه مِلِك.

أعلن المجمع "حالة حداد" بعد بعض أسابيع فقط. قام عبد الناصر، فيما بدا أنه مؤامرة انتهازية ضد كنيسة نازفة ويائسة، بإلغاء المحاكم الدينية وتدخل بشكل صارخ في "قوانين الأحوال الشخصية" للأقباط.[١١٧] بادر المجمع، في "حركة مقاومة سلبية"، بالدعوة إلى قرع الأجراس وإلغاء الاحتفالات ومقاطعة الفعاليات وإغلاق الأبروشيات. وأن تقوم البطريركية والأبروشيات برفض أي تبادل للمعايدات مع الحكومة الإسلامية في عيد الميلاد الوشيك، وفي حالة فشل ذلك، فإن كل الأساقفة سيعودون إلى أديرتهم احتجاجًا على ما حدث.[١١٨] كان هذا تلخيصًا مؤسفًا ومناسبًا

للعقود الماضية بعيدًا عن سياقه المباشر وتاريخه. كانت الكنيسة في حالة حداد ولا تستطيع أن تتعزى.

الحواشي

[١] المصري، قصة الكنيسة القبطية ٦: ١٦١.

[2] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 22.

للحصول على ملخص مفيد لتاريخ المجلس، انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٣٨٧ - ٤١١.

[٣] تلاحظ فيفيان إبراهيم أن هذه الخطوة لها أسبقية تاريخية لدى ابن العسال، وهو فقيه قانوني من القرن الثالث عشر، يبرر تشكيل هيئة مكونة من "علمانيين متخصصين" لـ "مساعدة" رجال الكهنوت. انظر،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 34.

[4] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 23.

وعليه، نص الدستور الأصلي على إدارة المجلس الملي للأوقاف والمدارس والجمعيات الخيرية وقضايا الأحوال الشخصية. انظر،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 35–36. For a discussion of the PSL issues, see John Khalil, "A Brief History of Coptic Personal Status Law," Berkeley Journal of Middle Eastern & Islamic Law 3, no. 1/2 (2010): 81–139.

[5] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 88; Donald Reid, *Whose Pharaohs? Archaeology, Museums, and Egyptian National Identity from Napoleon to World War I* (Berkeley: University of California Press, 2002), 261.

تقترح نيللي فان دورن هاردر أن إصلاحًا مشابهًا كان يحدث في الأزهر مع ردود فعل مماثلة من علماء الشريعة الإسلامية التقليديين.

[6] Al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:352; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 89; Samir Seikaly, "Coptic Communal Reform: 1860–1914," Middle *Eastern Studies* 6, no. 3 (1970): 262.

[7] Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 28.

[8] Adel Azer Bestawros, "Community Council, Coptic," in *CE*, 580b–82b; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 37; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 23.

[9] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 90.

كان لقب باشا، في مصر قبل تحولها إلى جمهورية، من أعلى الرتب في النظام السياسي للإمبراطورية العثمانية.

[10] Ibid.

[11] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 23–24.

[١٢] للحد من الالتباس، ومراعاة للقراء، سأشير إلى "أوقاف الأديرة" من خلال استخدامها المفرد الشعبي (الوقف)، بدلاً من التفريق بين المفرد (الوقف) والجمع (الأوقاف).

[١٣] صيقلي، "الإصلاح الطائفي القبطي"، ٢٦٠-٦١. لمعلومات عن ضخامة القيمة، انظر،

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 42; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 126–27.

تقترح نيللي فان دورن هاردر أنه في عام ١٩٢٦ كان هناك ١٠٠ راهب يسكنون سبعة أديرة وكان تحت سلطتهم حوالي ٣٠٠ ألف جنيه مصري إيرادات من ٥٠٠٠–٩٠٠٠ فدان من الأرض، وهو رقم فلكي في ذلك الوقت. انظر،

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 92–93.

[14] Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 29.

[15] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 92; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 117.

وتشير فيفيان إبراهيم أيضًا إلى أن الكهنة المتزوجين كانوا يعيشون في حالة من الفقر: كان متوسط الراتب ٣ جنيهات في الشهر، وهو في الواقع يُمنح فقط كمساهمة خيرية ٣-٤ مرات في السنة، حيث يعيش معظمهم على العطايا الغذائية من المصلين وهذا يشير كذلك إلى اختلاس جذري للأموال. انظر،

ibid., 124–25.

[16] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 92.

يقترح واطسون أن الكثيرين رأوا أن المجلس كان يتحكم ويضبط التجاوزات البابوية،

Watson, *Among the Copts*, 47.

[17] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 117.

[18] Ibid., 118.

[19] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 25; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 119; al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 5:42.

[20] للحصول على منظور علماني لأسباب المنفى انظر،

al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:352–53. Also see Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 41.

كما تم نفي يوأنس التاسع عشر (البطريرك بعد كيرلس الخامس، وأمين سر المجمع آنذاك) إلى دير الأنبا بولا.

[21] S. H. Leeder, *Modern Sons of the Pharaohs* (London: Hodder and Stoughton, 1918), 260.

[22] For a discussion of the period see Seikaly, "Coptic Communal Reform," 251–60.

[23] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 120. For various interpretations of the event, see ibid., 121.

[24] For a discussion of the khedival intervention see Seikaly, "Coptic Communal Reform," 251–60; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 91.

[25] For a summary see Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 24–25; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 118–24.

[26] For details of the changes, see Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 24.

كان هناك تعديلان مهمان لصالح البطريرك في ٣١ ديسمبر ١٩٠٨ و١٢ فبراير ١٩١٢. في السابق، أُعطي البطريرك الحق في تعيين رئيس بالإنابة للمجلس في غيابه، وأعطي الإشراف على الوقف إلى البطريرك مع أربعة أعضاء من رجال الكهنوت. حدد الأخير أن أربعة أعضاء من المجلس سيتم انتخابهم من قبل البطريرك وثمانية من قبل الشعب، في حين أن الوقف الرهباني سوف يشرف عليه البطريرك وأربعة أساقفة.

[27] Ibid., 24–25.

[28] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 123–24. Also see Seikaly, "Coptic Communal Reform," 261.

يكتب صيقلي: "لقد نجت الكنيسة لقرون، على الرغم من تقلبات السياسة والأوضاع السياسية، من خلال الانسحاب، ومن خلال تلبية احتياجات أتباعها بصمت، والتعايش المتحفظ... إن قبول برنامج الإصلاح كان بمثابة جر الكنيسة والمجتمع بعيدًا عن غموضها الآمن، والإعلان عن وجودها، والسعي بقوة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي، والمخاطرة بالانتقام من حكومة مشبوهة وجماهير حسودة. كان البطريرك والعلمانيون مكرسون. ومع ذلك، كانوا مكرسين لأشياء مختلفة". ويضيف صيقلي أن الادعاء بأن البابا كيرلس الخامس كان يعوق الإصلاح أو يعارض العلمانيين "هو ادعاء سهل، لكنه خاطئ بشكل واضح". يحمل التاريخ احتمالية أن نية البابا كيرلس الخامس لم تكن إعاقة الإصلاح، بل بالأحرى التعلم ببساطة من الماضي - أي أن نياحة البابا كيرلس الرابع المفاجئة أشيع أن لها علاقة باستياء سعد باشا. يقترح الخواجة وكارتر أن المجلس والمجمع كان لهما الأهداف نفسها، مهما اختلفت وسائلهما.

"The Laity at the Heart of the Coptic Clerical Reform," in *BDC*, 144–45; Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 28.

[29] Leeder, *Modern Sons of the Pharaohs*, 248.

[30] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 26. By 1932 the committee had been abandoned.

[31] "Declaration of Patriarchal Election Law, July 18, 1928," reprinted in *al-Yaqazah*, August 1928; cited in Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 132.

[32] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 122; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 131.

٣٣ يسي عبد المسيح، "رسالة إلى السيد كامل، ٢٠ أغسطس ١٩٤٢"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، رسالة رقم ٣٥٧ (١٩٤٢). انظر أيضًا،

Tadros, *Motherland Lost*, 156.

٣٤ المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦. لمناقشة رائعة - دقيقة وعلمية وتاريخية - انظر رسالة من أمين المتحف القبطي (آنذاك): عبد المسيح، "رسالة إلى السيد كامل، ٢٠ أغسطس، ١٩٤٢".

[35] *Ibrahim,* The Copts of Egypt, *132.*

٣٦ يشير سرجيوس إلى أن التاريخ قد أثر أيضًا وتسبب في شعور باللامبالاة: "الأقباط لا يهتمون كثيرًا بالبابا أو بالدور الذي يلعبه، مما أدى إلى عدم تحمل المسؤولية عندما يتعلق الأمر بانتخابه. صورة البطريرك هي صورة رجل عجوز يمسك بخرز المسبحة بلا عمل. الناس لا يتدخلون لأنه ليس لديهم سبب لاختيار [بطريرك جديد]. أصبح الناس محبطين روحيًا وضعفت الكنيسة نتيجة لذلك. كل الباباوات الذين تنيحوا لم يتمكنوا من تحقيق الإصلاح. والنتيجة هي أن الناس ينتظرون التالي [البطريرك الجديد] ليحقق ما لم يستطع السابق تحقيقه. وقد أدى ذلك إلى خروج عشرات الآلاف من الناس عن الدين والكنيسة". سرجيوس، المنارة المصرية، ٢٢ يناير ١٩٤٤.

٣٧ المرجع السابق.

[38] Al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:409.

[39] Al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 6:126; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 121.

[40] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 120–22.

وتشير أيضًا إلى أنه، على سبيل المثال، استضاف المؤتمر القبطي، وافتتح المدارس في أبروشيته، وشجع التعليم، والخدم غير المتخصصين، والمثير للاهتمام، أنه وقف في الماضي مع المصلحين العلمانيين.

[41] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 135–37.

٤٢ محضر حديث لمكاريوس في ٢٩ يناير ١٩٤٤ في المنارة المصرية في ١ فبراير ١٩٤٤. المذكور في المرجع السابق، صـ ١٤٤.

٤٣ المرجع السابق. صـ ١٤٥.

٤٤ المرجع السابق. صـ ١٤٦.

٤٥ المرجع السابق. صـ ١٤٨.

٤٦ المرجع السابق. صـ ١٤٨ - ١٤٩.

[47] For instance, see Watson, *Among the Copts*, 47; Seikaly, "Coptic Communal Reform."

من المهم أن نلاحظ، كما يقترح أوماهوني، أن العديد من الإصلاحات التي اقترحها المجلس تبدو وكأنها قد صيغت على غرار الأساليب المشيخية الأمريكية الديمقراطية: "لقد كان اختيار نموذج غريب للكنيسة التي يقول بقاءها شيئًا ما عن ملاءمة طرقها". انظر،

O'Mahony, "Coptic Christianity," 495–96.

[48] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 26.

٤٩ إبراهيم منياوي، مصر، ١٩ يونيو ١٩٤٤.

[50] Al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 6:165.

[51] Al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 6:165.

٥٢ البابا مكاريوس لرئيس الوزراء أحمد ماهر، ١٩ نوفمبر ١٩٤٤، أعيد طبعه في المنارة المصرية، ٢١ أبريل ١٩٤٥، مقتبسًا في،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 153.

كان هذا ردًا وشرحًا لماهر الذي كان يستفسر عن الموعد الذي خطط فيه البابا مكاريوس للعودة، متعهدًا في بعض النواحي بالدعم الضمني.

٥٣ ذكرت الصحف المحلية أن إبراهيم منياوي سار خلف موكب جنازة البابا مكاريوس الثالث، مرتديًا حلة بيضاء وربطة عنق حمراء - وغني عن القول، إنها علامة على عدم احترام لا يصدق. الوطني، ٣ أكتوبر ١٩٤٥ م، مذكور في المرجع السابق. صـ ١٥٥.

[54] Wakin, *A Lonely Minority*, 94.

[55] Al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:417.

[56] Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 36; al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 6:13; Mounir Shoukry, "Yusab II," in *CE*, 2363.

يدعي الأخير أن القمص سرجيوس المثير للجدل قد تم حرمه كنسيًّا ردًّا على معارضته البابا يوساب في الانتخابات التمهيدية.

[57] Tadros, *Motherland Lost*, 156.

لمعرفة تزوير الانتخابات، انظر، المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ١٤-١٥؛

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 37.

٥٨ إيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ١٥.

[59] Wakin, *A Lonely Minority*, 93; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 123.

يضيف فان دورن هاردر: "ولم يكن صغيرًا جدًّا ولا كبيرًا في السن لتولي المنصب". للاطلاع على قضايا من بداية حكمه حتى اختطافه، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٣٧-٣٨.

[60] For biographical details, see van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 123; Shoukry, "Yusab II."

شغل منصب قائم مقام البطريرك مرة واحدة عندما سافر البابا يؤانس التاسع عشر إلى أوروبا وأيضًا بعد نياحته في عام ١٩٤٢، وأخيرًا بعد نياحة البابا مكاريوس الثالث في عام ١٩٤٥.

[61] Wakin, *A Lonely Minority*, 150.

[62] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 26; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 125.

في عام ١٩٤٧، حاول البابا يوساب استبدال أعضاء المجلس بأعضاء جدد، وتوقف المجلس عن العمل احتجاجًا على ذلك - "غادر البابا يوساب القاهرة في حالة إحباط". لمناقشة الفترة التي سبقت مواجهة يوساب مع المجلس، انظر،

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 37.

[63] *Al-Masri,* True Story of Christianity in Egypt, *2:418.*

[64] Wakin, *A Lonely Minority*, 94; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 42.

[65] Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 163; al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 6:37–38.

٦٦ أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ٩:٣٩.

[67] Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 38. Carter's reference for these claims is the *French Embassy Archives*, Box 144, File 31/2, the Ambassador to the Minister of Foreign Affairs, March 7, 1953; also see Wakin, *A Lonely Minority*, 94; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 42.

يمكن رؤية ذلك من دون مبالغة في التحرك الأولي الذي قام به البابا كيرلس السادس (كما سنرى) في مجمع مبكر لبطريركيته للتحقيق مع الأساقفة الذين كانت سيامتهم عملاً من أعمال السيمونية، قبل أن يخبرهم سكرتير المجمع أن هذا في الواقع يعني غالبية المجمع. للرجوع إلى المصدر انظر، أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٨. يجب أن نشير أيضًا إلى أن البابا يوساب قد رسم في الواقع أربعة وعشرين أسقفًا، لكن يبدو أنه في المصادر لم يتم وضع الأساقفة الإثيوبيين الخمسة في هذا الرقم المكون من تسعة عشر أسقفًا. إن الدعم غير العادي للإثيوبيين في مواجهة أحداث عام ١٩٥٤ يثير تساؤلات حول هذا الأمر. بالنسبة للأساقفة في زمن البابا يوساب، وكذلك أسقف سوهاج المزعوم المذكور في الدعوى، يمكن للمرء أن يستخلص استنتاجات من السجل الموجود في، نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٢١-٢٢. ومع ذلك، فقد امتنعت شخصيًا عن تقديم الأسماء، نظرًا لأنها - على عكس الأسماء التي ذكرتها - ليست معلومات عامة وتم اتهامهم

(في الإشاعات) دون محاكمة فعلية. ربما ينبغي أيضًا أن نلاحظ باختصار (على الرغم من أن هذا بالتأكيد ليس تبريرًا للسيمونية) أن هذه كانت "حقيقة" الرسامات التي تمت بيد البابا يوساب، حتى بالنسبة لهؤلاء الذين ربما كانوا يستحقون الرسامة؛ وهكذا، على سبيل التكهن، ربما لم يكن أمام العديد من المرشحين الجديرين (أو اللجان الأبروشية) خيار آخر سوى دفع الرسوم إلى مِلِك.

[68] Wakin, *A Lonely Minority*, 94. He cites "responsible Coptic sources"; also see Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 61.

[٦٩] إبراهيم لوقا، اليقظة، نوفمبر ١٩٤٧؛

cited in Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 61.

كانت زوجة أبونا إبراهيم قد توفيت منذ ذلك الحين، وبالتالي من الممكن نظريًا أن يُرسم أسقفًا.

[70] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[٧١] نظير جيد (البابا شنودة الثالث)، "لماذا تدخلنا"، مجلة مدرسة الأحد ٢، العدد. ٩ (١٩٤٩). المقالات كتبها "المحرر". نظير جيد (البابا شنودة الثالث) كان رئيس التحرير من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٥٤، وبعد ذلك غادر ليصبح راهبًا.

[٧٢] المرجع السابق. صـ ٥. أعربت حركة مدارس الأحد عن صدمتها لأن هذه المناقشة جرت بسرعة كبيرة نظرًا لأن العادات السابقة حالت دون مناقشة رسامة أسقف حتى يمر أربعون يومًا بعد نياحة الأسقف.

[73] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 155; Suryal, "Pope Kyrillos VI."

وتجدر الإشارة إلى أن مدارس الأحد في مقالهم المطول يرفضون ذكر طبيعة شكاواهم ضد الراهب باستثناء القول بأن الأسباب معروفة، وكان على البطريركية أن تكون على علم بذلك لو تحققوا. انظر نظير جيد (البابا شنودة الثالث) "لماذا تدخلنا"، ١٠.

[74] Cited in Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 155.

[75] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[٧٦] نظير جيد (البابا شنودة الثالث)، "لماذا تدخلنا"، ٢. ومن المثير للاهتمام أن نظير جيد (البابا شنودة الثالث)، في فبراير ١٩٤٩، امتنع عن تسمية مِلِك، وربما كان يعلم جيدًا القوة المأساوية التي كان خادم البابا يسيطر بها على البطريرك.

[٧٧] المرجع السابق، ٧.

[٧٨] المرجع السابق، ٨.

[٧٩] المرجع السابق.

[٨٠] المرجع السابق، ٩.

[81] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 157.

[82] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 157.

[83] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 167–68.

[84] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 42.

[٨٥] مصر، ٣١ أغسطس ١٩٥٢، مقتبسًا في،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 161.

قبل ذلك، أعلن القمص سرجيوس أمام اللواء نجيب أن البابا يوساب أمامه خمسة عشر يومًا لسن إصلاح إداري قبل أن يقود هو شخصيًا مسيرة ضد البطريركية، وهو تهديد أدى في النهاية إلى حرمانه الكنسي.

Lambeth Palace Archives LEC 87: *Crisis in the Coptic Patriarchate*, September 1952, in ibid.

[86] Bishop Serapion, "Choosing the Patriarch: Lessons from the History of Our Glorious Church" (Los Angeles, 2012), 26. Also see al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:419.

[87] *Misr*, January 3, 1953, cited in Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 168.

^٨٨ في هذا الصدد، فإن تقييم واكين لهذه الفترة عادل: "تنازع الأقباط داخليًا حول هذه القضية. كان قادة المجتمع على خلاف مع الأساقفة؛ تآمر رجال الكهنوت مع العلمانيين. انتشرت أنباء عن الفساد في المحاكم الدينية؛ تم وضع أسعار لرسامة الأساقفة لأن القصص التشهيرية عن البطريرك أحرجت الأقلية القبطية".

See Wakin, *A Lonely Minority*, 95.

^٨٩ القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى البابا يوساب الثاني، صـ ١٩٥"، (مصر القديمة، ١٩٥). الرسالة مكتوبة على ورق يحمل شعار دير القديس الأنبا صموئيل مع التاريخ المكتوب فقط كـ "١٩٥" حيث تم نسخ الأوراق التي تحمل الشعار عدة مرات، ثم قام المؤلف بملء التاريخ. لم يتم كتابة السنة وهذا ليس بالأمر الغريب بالنسبة لرسائله. نظرًا للاضطرابات التي حدثت في ١٩٥٢-١٩٥٣، يبدو أن الرسالة تمت كتابتها خلال هذا الوقت. يجب أن أقر أن لدي بعض الشكوك حول هذه الرسالة (نظرًا لمحتواها وعدم وجود توقيع) وقررت تقريبًا عدم تضمينها، إلى أن أجري تحليل خط اليد عن طريق الخبراء لتحديد ما إذا كانت بالفعل من يد البابا كيرلس. أشار مترجم عربي واحد إلى أنه ربما لم تكن بيد البابا كيرلس، في حين جادل أربعة آخرون بأنها أصلية.

^٩٠ كان المبدأ الرئيس والمستمد من القرون الأولى للكنيسة، أن الأسقف كان في الواقع "متزوجًا" من أبروشيته وبالتالي لا يمكنه ترك أبروشيته ليصبح بطريركًا. التزمت الكنيسة القبطية بهذا القانون منذ بدايته وحتى القرن العشرين.

^٩١ تقترح فيفيان إبراهيم، بناءً على روايات أخرى، أنه كان هناك في الواقع سبعة وثمانون شابًا، في حين يشير هلال في مقابلته عام ٢٠٠٣ إلى ثلاثة وثلاثين،

See Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 168.

مؤلف مجهول، "مواجهة مع الرجل الذي عزل البابا منذ خمسين عامًا"، المصور، ٤ يوليو ٢٠٠٣.

[92] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 169.

^٩٣ هلال يقترح أن المطران الأنبا ساويرس كان على استعداد، انظر، مؤلف مجهول "مواجهة مع الرجل". تقول إيريس حبيب المصري إنهم هددوا بإطلاق النار على البابا يوساب إذا لم يوقِّع (رغم أن هلال ينفي بشكل قاطع معرفته بكيفية استخدام السلاح). المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٨٠.

[94] *Misr*, July 31, 1954, cited in Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 171.

[95] Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 280–81; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 165; Gorman, *Historians, State, and Politics*, 169–73.

على الرغم من أن "بيان النقاط العشر" الصادر في أواخر عام ١٩٥٣ يشبه بالتأكيد "الوصايا العشر" للإخوان المسلمين، إلا أنه كان بلا شك أيضًا محاولة لملء الفراغ السياسي القبطي.

^٩٦ مؤلف مجهول، "مواجهة مع الرجل الذي عزل البابا منذ خمسين عامًا"، المصور، ٤ يوليو ٢٠٠٣. انظر أيضًا،

Carter, *The Copts in Egyptian Politics*, 281.

من المنطقي تمامًا أن يقوم هلال بإبداء عدد من التعليقات التحريرية حول ما إذا كان يمكن الوثوق بروايته تمامًا، خاصة أنه تم روايتها بعد أكثر من نصف قرن.

^٩٧ هناك ثلاث روايات رئيسة عن الحادث: (١) جريدة مصر، ٣١ يوليو ١٩٥٤، بعنوان "القصة الكاملة" المعاصرة للحدث واستندت إلى "مصادر تحقيقات الشرطة" بما في ذلك أقوال شهود العيان (حتى هلال نفسه). ولكن مرة أخرى، يجب ملاحظة أجندة جريدة مصر المؤيدة لمجلس قيادة الثورة والمجلس. (٢) مقابلة هلال مع ملاك لوقا عام ١٩٧٠، والتي كانت أقل حساسية من الناحية السياسية. (٣) مقابلة هلال عام ٢٠٠٣. لمناقشة المصدرين الأولين انظر،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 168–71.

بالنسبة إلى الأخير، انظر مؤلف مجهول، "مواجهة مع الرجل".

[98] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen* Kirche, 167–68.

[99] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 172.

[100] "تقرير لقاء المجمع المقدس" مصر، ١ أكتوبر ١٩٥٤ م، مذكور في المرجع السابق.
[101] لقراءة المرسوم بالكامل، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٨٣-٨٤.
[102] المرجع السابق، ٨٤. للرسالة التي سامح فيها خاطفيه، انظر المرجع السابق، صـ ٨٢.

[103] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 173.

[104] Ibid.

[105] المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٨٩.

[106] Ibid.

[107] كان الأنبا غبريال رئيس دير البابا يوساب حيث كان البابا قد ذهب إليه في السابق كمنفي اختياري.
[108] إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٩٠.
[109] ترد تفاصيل الحادثة في مرسوم المجمع. لقراءة المرسوم كاملاً، انظر، المرجع السابق. صـ ٩٠-٩٤. هناك بعض التقارير عن محاولة اغتيال فاشلة قام بها عبدالمسيح بشارة - أحد المعتقلين بسبب واقعة الخطف الحقيقية.
[110] نص مرسوم المجمع على كيف عمل الأساقفة منذ عام ١٩٥٤ على مقابلة البابا يوساب وتقويمه، وقد قام هو بغلق "البوابات في وجوههم"، ومن ثم دعا المجمع إلى: (١) عزل البابا يوساب، (٢) نفيه من القاهرة، (٣) إنشاء لجنة ثلاثية من الأساقفة لإدارة الكنيسة، (٤) إبلاغ الحكومة والبابا يوساب نفسه بهذا الحكم، و(٥) إبلاغ المجلس بالموافقة عليها. المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٩٠-٩٤.

[111] Wakin, *A Lonely Minority*, 98.

[112] Ibid., 98–99.

[113] المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٩٠-٩٤.
[114] المرجع السابق. تسهب إيريس المصري في شرح مدى تعقيد هذه المحاولة، بما فيها الدور الذي لعبته الكنيسة الإثيوبية.
[115] المرجع السابق.
[116] ومع ذلك، تشير فان دورن هاردر إلى أن عهد البابا يوساب لم يكن خاليًا من بعض الإيجابيات. على سبيل المثال، كان البابا الأول الذي يقبل حركة مدارس الأحد (على الرغم من أنه ربما على مضض)، وكان هناك تقدم كبير في الأنشطة المسكونية في أيام بأبويته.

Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 123. See also al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:148.

[117] Wakin, *A Lonely Minority*, 99.

[118] Ibid.

الجزء الثاني

بطريرك رغمًا عن إرادته

حبرية البابا كيرلس السادس

(١٩٥٩ - ١٩٧١)

٧

تكريس الإصلاح

(١٩٥٩)

الترشح والرسامة (١٩٥٩)

كنت أود أن أعيش غريبًا وأن أموت غريبًا. ولكن لتكن إرادة الله

البابا كيرلس السادس

إن نفي البابا يوساب - الذي وصفه أحد المراقبين الغربيين بأنه "بتر مؤلم وبطيء" - لم يفعل شيئًا يذكر لعلاج الضعف المستشري في الكنيسة.[١] شهدت الوفاة المؤسفة للبطريرك في أواخر نوفمبر ١٩٥٦ اندلاع نزاع فوضوي محموم، ومعارضة داخلية، وتحذيرات من انتفاضة وشيكة. ويمكننا أن نقول إن البتر قد شوه الجسد ولم يلتئم. سيمر ما يقرب من أربع سنوات قبل تنصيب بطريركًا آخر.

بعد أسبوع واحد من وفاة البابا يوساب، تم وضع قائم مقام البطريرك؛ الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف (١٨٨٣-١٩٦٢) محل لجنة الأساقفة الثلاثية التي تدير الكنيسة. سيحتاج الأنبا أثناسيوس إلى مساندة قوية، حيث إن انتخاب البطريرك كان شبه مستحيل في مواجهة مجتمع كنسي ممزق بشدة يتصارع بخصوص أي "نوع" من القادة يريده (أو يحتاجه)، في أعقاب ثلاثة بطاركة سابقين تم انتخابهم جميعًا في ظروف مشكوك فيها وفترات مؤسفة لقيادة الكرسي البطريركي.

كان هناك سؤال واحد يُطرح مرارًا وتكرارًا في الشوارع وفي المجمع: من يمكن أن يتم اختياره بطريركًا؟[٢] كان التاريخ، على الأقل بالنسبة للأقباط، متسقًا إلى حد ما؛ كان البطريرك يُنتخب من بين الرهبان.[٣] تفترض أقدم مخطوطات "طقس تكريس بطريرك الإسكندرية"، على سبيل المثال ببساطة، أن البطريرك المنتخب هو راهب. لاحظ بورميستر، وهو عالم قبطيات، أن هناك في الواقع "طقسان" داخل الطقس؛ أولاً تكريس ورسامة البطريرك المنتخب أسقفًا، ثم رسامته بطريركًا.[٤] المذهل، أنه مع ذلك، يسمح الطقس للشخص (العلماني) الذي ليس راهبًا أو كاهنًا أن يصبح بطريركًا، ولكن لا يمكن للأسقف أن يصبح بطريركًا.[٥] في عام ١٨٦٢، على سبيل المثال، عندما تجرأ أسقف على ترشيح نفسه، وقع تسعة أساقفة من المجمع على "صك حرمان" ضد كل من تجرأ على التصويت لمرشح كان بالفعل في رتبة الأسقفية.[٦] حدث هذا فقط مع البابا يؤانس التاسع عشر في عام ١٩٢٨، جنبًا إلى جنب مع البابا مكاريوس الثالث والبابا يوساب الثاني اللذين خلفوه، أن نسمع عن ترقية الأساقفة إلى رتبة بطريرك.[٧]

بعد وفاة البابا يوساب في نوفمبر ١٩٥٦، أصبح هذا الموضوع سبب انقسام أكبر. لقد تعلم المجمع درسًا مؤلمًا للغاية ودعا إلى حد كبير (وإن لم يكن بالإجماع) إلى انتخاب راهب "بلا لوم". ولكن الغريب أن المجلس فضل أسقفًا ذا خبرة، في تغافل شديد عن العقود الثلاثة الماضية. كان المطران الأنبا أثناسيوس قائم مقام البطريرك،[٨] الذي كان قد تم تجاهله قبل عقد من الزمان عندما توسل إلى المجمع ألا يرسم أسقفًا في منصب البطريرك، انتقد المجمع بشدة لأنه تجرأ حتى على التفكير مرة أخرى في إمكانية رسامة أسقف آخر في هذا المنصب.[٩]

لم يطغ على الخلاف المسعور الذي أعقب ذلك سوى الرعب الذي انتاب تقريبًا كل أعضاء المجمع من نتائج الانتخابات البطريركية الأولية: حصل أبونا متى المسكين وأبونا مكاري السرياني وأبونا أنطونيوس السرياني على أعلى الأصوات.[١٠] وكان الثلاثة رهبانًا، وينبغي أن نلاحظ أنهم كانوا تلاميذ للأب مينا المتوحد. لكن هذا لم يكن

هو مصدر القلق. لقد كانوا كما يدعى المجلس الملي رهبان "مدارس الأحد" سيئ السمعة الحاصلين على تعليم جامعي. لن يقبل المجلس ولا المجمع أن يتم اختيار أحد هؤلاء الرهبان المصلحين الشباب بطريركًا.[١١] أصدر المجمع مرسومًا في ٩ ديسمبر ١٩٥٦ يقضي بأن يكون عمر البطريرك المنتخب أكثر من أربعين عامًا، ويكون قد قضى خمسة عشر عامًا على الأقل راهبًا. لم يكن أمرًا مفاجئًا استبعاد الثلاثة: كان أبونا متى وأبونا مكاري يبلغان من العمر ستة وثلاثين عامًا، في حين كان أبونا أنطونيوس يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا.[١٢] ومع ذلك، كان أعضاء المجمع ما زالوا مصممين بشدة على رغبتهم في راهب - وليس راهبًا من "مدارس الأحد". خلال الشهر التالي وبعد خلاف شديد، تم طرح أسماء حوالي ٢١ راهبًا وأسقفًا واحدًا (الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط). ومن بينهم على ما يبدو أبونا مينا المتوحد الذي على الرغم من أنه لم يكن مهتمًا وكان يخطط بالصدفة أن يرحل إلى الصحراء خارج الإسكندرية حيث كان يحلم بإعادة بناء دير مارمينا؛ وهذا الاستنتاج هو ما نستطيع أن نصل إليه عند قراءة خطاباته.[١٣] على أي الأحوال لن يكون الأمر مهمًّا؛ لم تعد الحكومة قادرة على تحمل هذه الاضطرابات في النهاية واتخذت خطوة غير مسبوقة بالتدخل من أجل الكنيسة. أعلنت الحكومة في ١ فبراير ١٩٥٧:

> وجدت الحكومة... أن هناك قدرًا كبيرًا من الصراع بين الشعب القبطي والدوائر الدينية العديدة حول منصب البطريرك. وحيث إن الحكومة حريصة على الحفاظ على كرامة الكنيسة وقداستها، وتجنبًا للدعاية الانتخابية المريرة، وضمان اختيار مرشح يكون أبًا وراعيًا لجميع المسيحيين، وبما أن البلاد تواجه ظروفًا معينة، أصدر وزير الداخلية أمرًا بوقف انتخاب البطريرك.[١٤]

كان هناك عدد قليل من رجال الكهنوت أو العلمانيون الذين ناقشوا القرار بجدية.

أدى التأجيل الإجباري للانتخابات إلى تزايد قلق الشعب. كان يُقال في ذلك الوقت إن عبد الناصر ينتظر أن يُطلق أحد ضباط جيشه لحية طويلة بما يكفي

لرسامته بطريرك.[15] وبعد عام، في يناير ١٩٥٨، سمحت الحكومة أخيرًا بإجراء الانتخابات.[16] سمح الوقت للجروح بأن تلتئم، وساد العقل بشكل غير متوقع. حتى أن البعض حاول إقناع أبونا مينا المتوحد بقبول ترشيحه، لكنه لم يقبل أن يسمع حتى كلمة واحدة بخصوص الأمر. سوف يمر عام تقريبًا قبل الانتهاء من الترشيحات.

في اليوم السابق لإغلاق فترة الترشيح، كان هناك أربعة مرشحين، جميعهم من الرهبان.[17] لكن المطران الأنبا أثناسيوس؛ قائم مقام البطريرك، لم يقدِّم بعد الاسم الذي كان سيرشحه للمنصب.[18] قيل للأب مينا في كنيسته الصغيرة في مصر القديمة، أن الأنبا أثناسيوس كان على الهاتف. لحسن الحظ قام شقيقه حنا بكتابة هذا الحديث وحفظه.[19]

"يا أبونا مينا، لماذا لم ترشح نفسك في هذه الانتخابات؟... لا يجب أن يفوتك هذا الواجب"، تساءل المطران فجأة. أجاب أبونا مينا: "من أنا، الدودة الصغيرة، حتى أتطلع لهذه المسؤولية العظيمة والخطيرة، يجب أن تُعطى لمن يختاره الله، وليس لمن يشاء". شعر الأنبا أثناسيوس بالإحباط وقال للأب مينا "لكنني ما زلت أنتظر منك الجواب، لماذا لم ترشح نفسك وتترك الرب يختار حسب مشيئته؟" أجاب أبونا مينا: "قداستك، كل آبائي الرهبان الذين تم ترشيحهم أهل لهذا المنصب الخطير، أما أنا فتكفيني نعمة الله التي معي". أعلن المطران "يا أبونا مينا، أنا قدمت بالفعل تزكية باسمك!"[20]

لم يكن باستطاعة أبونا مينا فعل أي شيء. تم إغلاق الترشيحات فعليًّا. اتخذ الأنبا أثناسيوس الخطوة الفذة بترشيح أب اعتراف الرهبان الثلاثة الشباب؛ "رهبان مدارس الأحد" الذين تم رفضهم بسبب سنهم. يتذكر شقيقه حنا، أن أبونا مينا قبل على مضض، لكنه حذر من حوله بشدة "ألا يقوموا بحملات من أجله، سواء من خلال النشرات أو من خلال الاجتماعات، واحترم الجميع رغباته".[21] يجب أن نكون حريصين على ملاحظة أن هذا كان في زمن سابق لا يوجد به وسائل الإعلام المنتشرة الآن. وبالتالي، فإن راهبًا هادئًا في كنيسة صغيرة في مصر القديمة (وإن كان من

المعروف أنه يصنع المعجزات) كان بالكاد معروفًا للشعب في أنحاء الجمهورية، وبالتالي لم يكن لديه فرصة للنجاح. علاوة على ذلك، كان هذا مختلفًا تمامًا عن الانتخابات البابوية السابقة، التي كانت مليئة بالحملات الانتخابية، والدعاية الانتخابية في الصحف، والتشهير العلني بالمرشحين المتنافسين.

سيكون أبونا مينا أحد المرشحين الخمسة النهائيين، بما في ذلك أبونا دميان المحرقي، وأبونا تيموثاوس المحرقي، وأبونا أنجيلوس المحرقي، وأبونا مينا الأنطوني.[٢٢] كان يبدو أن أبونا مينا عازم على أفشال فرص نجاحه. عندما حاول الصحفيون التقاط صورته من أجل الإعلانات الصحفية عن المرشحين، أخفى أبونا مينا وجهه في شاله المعتاد، وسخر كثيرون: "وماذا سيفعل هذا الرجل الذي يرتدي الشال للكنيسة؟"[٢٣] وكان عدد ليس بقليل من الأساقفة أكثر وضوحًا في تشويه سمعة أبونا مينا ورفضه. وبدأت الشائعات والاتهامات تدور حول أنه كان "شخصية غريبة الأطوار" يمارس السحر في مصر القديمة، في محاولة لتفسير المعجزات، أو اتهامه أنه كان محتالاً بصورة معتادة.[٢٤] لكن أولئك الذين عرفوا الراهب الهادئ استطاعوا أن يشعروا بشيء يتم تدبيره يتجاوز الهمسات والادعاءات والتحريضات الانتخابية. كانوا يعرفون منذ فترة طويلة أنه مختلف. كان أيضًا، والأهم من ذلك، هو المرشح المفضل لحركة مدارس الأحد. على الرغم من أنه لم يكن "عضوًا" في الحركة، ألا أنه كان يقوم بإرشادهم وتعضيدهم لفترة طويلة، والأهم من ذلك أنه كان أب الاعتراف والمرشد الروحي للمرشحين الثلاثة السابقين (المرفوضين) للكرسي البابوي؛ رهبان مدارس الأحد الثلاثة المشهورين.[٢٥] كان أبونا مينا، بالنسبة للكثيرين، ناسكًا متوحدًا ليس لديه تحالفات مع رجال الكهنوت أو النخبة القبطية التي كانت قبل ثورة ١٩٥٢. كان ولاؤه لله وحده.

أعلن الدكتور كمال رمزي ستينو؛ وزير التموين في ٨ أبريل ١٩٥٩، عن لوائح التصويت لاختيار المرشحين الثلاثة النهائيين، وبعد تسعة أيام، في ١٧ أبريل، تجمع الناخبون المؤهلون في القاهرة وحصلوا على بطاقات انتخابية بخمسة أسماء، مع

إمكانية شطب اسمين أو أربعة أسماء. شارك أربعمائة وثمانية وستون ناخبًا يمثلون المجتمع بأكمله. رفض اثنان وعشرون من أعضاء المجلس، بالإضافة إلى خمسة من الأساقفة التصويت، مما يشير إلى أنهم غير راضين عن جميع المرشحين.[٢٦] حصل أبونا دميان المحرقي على ٣٢٣ صوتًا، وأبونا أنجيلوس المحرقي على ٣١٦ صوتًا، وأبونا مينا البرموسي على ٢٨٠ صوتًا. وبالرجوع إلى أحد تقاليد الرسامة التي كانت تتم في الماضي البعيد، كان القرار النهائي يجب أن يُؤخذ "بالقرعة الهيكلية".[٢٧] بعد يومين، في ١٩ أبريل، في الكاتدرائية، كُتبت أسماء المرشحين على ثلاث قطع من الورق "بالحبر الهندي". ووضعت الأوراق في مظروف مغلق على المذبح بحضور جميع المجتمعين، بمن فيهم مسئولي الحكومة.[٢٨] وفي الساعة ١٠: ٢٠ صباحًا، سحب الظرف صبي يبلغ من العمر خمس سنوات من طنطا، واختار ورقة، وأعطاها إلى المطران الأنبا أثناسيوس. انتظر شعب الكنيسة كلها وهم يحبسون أنفاسهم. قرأ الأنبا أثناسيوس الاسم: "القمص مينا البرموسي المتوحد".[٢٩]

انفجر المصلين في هتافات تصم الآذان، وأعلنت أجراس الكاتدرائية أنه تم اتخاذ قرار. أخيرًا بعد حوالي أربع سنوات، سيكون هناك بطريرك مرة أخرى. انتشر اسم "القمص مينا" في أنحاء القاهرة في خلال ساعة، وبثته الإذاعة، وكان يسمع في الشوارع. عند سماع الأخبار، بدأ خادم يقرع أجراس كنيسة مارمينا في مصر القديمة. كان أبونا مينا لا يزال يصلي القداس، وتوسل إليه، والدموع في عينيه، أن يتوقف حتى ينتهي من الخدمة.[٣٠] إن صورة أبونا مينا التي اُلتقطت في ذلك الصباح وهو يخرج من المذبح مرتديًا ثيابه الليتورجية، ممسكا صليبًا بيد واحدة، ومتكئًا على باب الهيكل باليد الأخرى، لا يمكن أن تكشف عن مشاعره إلا بصورة باهتة. كان يبلغ من العمر ستة وخمسين عامًا، وعيناه متعبتان، وتفيضان بالدموع، ولم يظهر على وجهه أي رد فعل، ليس هناك أي تعبير عن الصدمة أو الابتهاج، وكأنه قد استسلم منذ فترة طويلة للحمل الذي سيحمله الآن.[٣١] كان رده على المحيطين به عند خروجه من الكنيسة على الرغم من أنه بدا أنه لا يتحدث إليهم، بل إلى الله:

يا إلهي لقد عشت دائمًا متوحدًا، وكنت سأستمر في العيش والموت وحيدًا. لكنك لم ترد ذلك. يا إلهي، لتكن مشيئتك، لأن إرادتك لا يمكن رفضها وأنت عجيب يا رب.[٣٢]

قلة هم الذين يمكن أن يدركوا ما قد يعنيه هذا بالنسبة للراهب. تحدث الكثيرون عن ثقل المسئولية، وأنه كان يسير "في وادي الارتباك والسخط القبطي"، في مجتمع ممزق للغاية، ومنهك، ومحطم.[٣٣] ولكن هذه الكلمات ما زالت لا تعبر عن معنى كلامه. أن تصبح بطريركًا يعني بالنسبة للأب مينا - ويعنى فقط - فقدان حياة الوحدة. كان هذا هو الهم الحقيقي الوحيد الذي يؤرقه. يكاد الإنسان أن يراه في وجهه ويسمعه في كلماته. عندما سأله أحد الصحفيين بعد بضعة أيام، "هل فكرت يومًا أنك ستكون بطريركًا؟" فكان رده كاشفًا عن ألمه: "بالطبع لا".[٣٤]

وتطبيقًا لتقليد قديم، سافر أبونا مينا في ٩ مايو ١٩٥٩، قبل يوم من رسامته، إلى ديره الأصلي دير البرموس.[٣٥] ستكون هذه هي المرة الأولى منذ إبعاده عن الدير بسبب دفاعه عن الرهبان المسنين المطرودين قبل عقدين من الزمن في عام ١٩٣٦. رأى أبونا مينا أثناء القداس القمص باسيليوس، الذي لعب دورًا في إبعاد أبونا مينا عن الدير، وركع أبونا مينا أمامه طالبًا الحل والمغفرة.[٣٦] سيكون هذا السلوك من سمات حياته كبطريرك. زار الأديرة الأخرى في وادي النطرون قبل مغادرته، ورأى العديد من تلاميذه المحبوبين الذين أصبحوا رهبانًا الآن. يتذكر أبونا أنطونيوس السرياني (البابا شنودة الثالث لاحقًا): "عندما جاء إلى دير السريان، طلبوا مني إلقاء كلمة احتفالاً بالبطريرك المنتخب، تكلمت قليلاً ثم أمسك أبونا مينا منديله ومسح عينيه بالدموع... لقد تأثرت أنه بكى أمام الجميع".[٣٧]

عادت قافلة السيارات إلى القاهرة عند غروب الشمس، حيث رافقه الآلاف إلى الكاتدرائية. شق أبونا مينا طريقه بين الجموع، وركع أمام المذبح، ونهض ليصلي صلاة الغروب قبل أن يذهب إلى حجرته. وفي الثانية والنصف صباحًا، لاحظ حارس المقر البابوي وجود رجل غريب يسير في الفناء وصرخ الحارس مناديًا عليه، ليجد أنه

البطريرك المنتخب. طلب أبونا مينا منه فتح أبواب الكنيسة، وبدأ يصلي التسبحة وكانت مفاجأة للشمامسة الذين وصلوا بعد ساعات قليلة. على الرغم من أنه كان سيصلي الجزء الأخير من القداس أثناء سيامته، إلا أنه وقف بهدوء في ركن في حين كان كاهن آخر يصلى الساعات الأولى. كما يلاحظ أبونا رافائيل "لقد اعتبر القداس مصدر عزائه".[٣٨] وقضى تلك الليلة كما أمضى كل ليلة على مدى العقود الثلاثة الماضية.

قام عدة أساقفة بمرافقته بعد بضع ساعات، كما كان الطقس في العصور الماضية، عندما كان الرهبان يتم جلبهم مكبلين بأغلال من حديد، إلى الكاتدرائية، حيث تم تسليمه مفتاحًا، وفتح الباب بالكلمات: "افتحوا لي أبواب البر حتى أشكر الرب..."[٣٩] دخل وسجد أمام الهيكل، وظل ساجدًا هناك حتى قال له المطران الأنبا أثناسيوس برفق: "قم يا أبانا مينا لنبدأ". نهض أبونا مينا والدموع الغزيرة تتساقط من عينيه. طمأنه الأنبا أثناسيوس قائلاً: "الرب الذي اختارك يعينك، لا تخف".[٤٠] تلا الأنبا يؤانس مطران الجيزة خطاب الترشيح، ثم وضع الأساقفة أيديهم عليه واحدًا تلو الآخر حسب الأقدمية. حانت اللحظة ووضع الأنبا أثناسيوس يديه على رأس أبونا مينا وأعلن ثلاث مرات: "نرسمك باسم البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية".[٤١] فأجاب الشعب في كل مرة وصرخوا قائلين "آمين يا رب ارحم".[٤٢]

استغرق الأمر بضع لحظات حتى هدأ رنين الكلمات في الكاتدرائية. البابا كيرلس؟ كان الجميع يتوقعون أنه سيأخذ اسم مينا الثالث، على اسم شفيعه مارمينا. عندما سئل في مناسبة لاحقة عن سبب اختياره اسم "البابا كيرلس"، ذكر بشكل عابر أنه زار خلال الانتخابات البابوية طاحونة الهواء. هناك رأى البابا كيرلس الخامس (١٨٣١-١٩٢٧) في رؤية وهو يحمل طفلاً، قائلاً له: "احمل هذا الطفل يا أبونا مينا، ستقتني النعمة وأنت تربي هذا الطفل الذي في يديك. علاوة على ذلك، سوف تربيك النعمة تمامًا كما تربي أنت هذا الطفل".[٤٣]

لم يعد البابا كيرلس السادس أبونا مينا، لقد ارتدي الثياب الكهنوتية البطريركية وركع أمام الهيكل. أخذ الأنبا أثناسيوس العصا البابوية وسلمها إلى البابا كيرلس قائلاً: "تسلم عصا الرعاية من راعي الرعاة الأعظم يسوع المسيح... لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحيية... فقد ائتمنك على نفوس رعيته ومن يديك يطلب دمهم".[٤٤] بكى البابا كيرلس عند سماع هذه الكلمات. وعندما وقف بعد لحظات قليلة ليقرأ الإنجيل، وهو يفكر في هذا الكلام الذي سمعه حالاً، لم يجرؤ على قراءة "أنا الراعي الصالح..."، ولكن بدلاً من ذلك أضاف بشكل عفوي، قال المسيح، "أنا الراعي الصالح".[٤٥] وعند قراءة ذلك الجزء من الإنجيل، بكى البابا كيرلس بشدة ولم يقدر أن يضبط دموعه وكان يبكي وبيده منديل يمسح به دموعه طوال القداس. ربما كان هذا هو السبب في أنه طلب من الأنبا لوكاس أسقف منفلوط (١٩٣٠-١٩٦٥) أن يقرأ رسالته البابوية للشعب بصوت عالٍ، لكنني أظن، في الواقع، أن ما فعله هذا كان علامة على صمته الذي سيكون غير معتاد بصفته البطريرك. قرأ الأسقف في حين كان البابا كيرلس يقف بجانبه:

> أيها الأحباء، إني أشعر في قرارة نفسي بثقل المسئولية التي وضعت على عاتقي، وبالأمانة المقدسة التي ربطت في عنقي... ولكن أنا ما أنا، بل هي نعمة الله التي ستعمل فينا وبنا. إني كلي ثقة في مراحم إلهنا الذي يقول لكنيسته: "لقد تركتك للحظة".[٤٦]

كان البابا كيرلس يعلم جيدًا أن الكنيسة قد شعرت باليتم في العقود الماضية، ويشعر بالعبء الذي يحمله الآن حول رقبته. لكن الأمر المهم أنه لم يشر إلى الإصلاحات أو المشاريع، ولم يدن من كانوا قبله. كان اهتمام البابا كيرلس الوحيد، حسب كلماته، هو توفير الراحة لـ "النفوس المتعبة" وللإنسانية وأن "يشتموا فينا رائحة المسيح".[٤٧] كانت هذه الكلمات تعبيرًا عن استمرار خدمته التي بدأها قبل رسامته بطريركًا. لم يكن شخصًا كثير الكلام، وكانت قناعته الشخصية أن يجلب السلام للمتضايقين بهدوء وتواضع، مدركًا دائمًا حاجته إلى أن يتجدد حتى تتجدد الكنيسة. أعلن البابا كيرلس، ملمحًا إلى ما أسماه مار إسحق السرياني "الحب

المنير"، "لكم أتمنى أن أفتح لكم قلبي، لتبصروا المحبة العميقة التي نحو الجميع، وهي المحبة النابعة من قلب مخلصنا الذي أحبنا وافتدانا بدمه". ويتابع قائلاً:

> إذا كانت رسالتنا عظيمة وخطيرة بهذا المقدار، فالأمر يتطلب تضافر القوى والجهود... إنني واثق أن إخوتنا؛ المطارنة والأساقفة، وأبناءنا المباركين؛ الكهنة والشمامسة، وجميع أعضاء المجالس الملية العامة والفرعية، ومختلف الهيئات والجمعيات العاملة، وسائر الخدام في كرم الرب - سيعملون متضامنين معًا في محبة، وإخلاص، وبذل، وإنكار للذات، بقيادة رئيس الرعاة الأعظم ونعمته. ولنختفي نحن لكي يظهر هو بمجده المبارك. وأسأل الرب أن يعطينا جميعًا الروح الواحد والفكر الواحد، لنعمل برأي ومشورة واحدة هي مشورة الروح القدس الذي قاد الكنيسة خلال تاريخها الطويل المجيد، ولنا هدف مقدس واحد، هو مجد الله.[٤٨]

أدرك البابا كيرلس تمامًا الحاجة إلى الوحدة من أجل الشفاء، وكان مقتنعًا تمامًا بأن هذه الوحدة يجب أن تكون بالمعنى الحقيقي للكلمة، أي إخلاء الذات. يجب أن "تختفي" كل الأصوات المتنافسة على الإصلاح - الأساقفة والمجلس ورجال الكهنوت والعلمانيون، وقبل كل شيء البطريرك - حتى يظهر المسيح ويشفي كنيسته اليائسة. بهذه الكلمات في تلميحاتها التي تتناغم مع ما كتبه بولس الرسول في الترنيمة الخريستولوجية في رسالته لأهل فيلبي ("قلب واحد" و"فكر واحد") تكلم البابا كيرلس نبويًّا بما يمكن تسميته بـ "الإخلاء الكنسي".

وقف البابا كيرلس، بصبر بعد القداس، يسلم على الآلاف من الناس الذين يريدون أخذ بركته. توسل إليه كثير من الأساقفة أن يجلس ويستريح عندما رأوه يتصبب عرقًا وهو يرتدي زي البطريرك الثقيل في ظل الحر الشديد في شهر مايو لكنه رفض،[٤٩] ومن دون أي ترتيب مسبق في إشارة إلى "سياسة الباب المفتوح" التي انتهجها لاحقًا، تخلص البابا كيرلس بلطف من وضع الانقسام الشديد الذي كان قد فصل لفترة طويلة بين البطريرك والشعب. وهكذا بقي البابا كيرلس هناك، واقفًا

لساعات حتى استقبل كل الناس؛ الكهنة والعلمانيين، الأغنياء والفقراء، المثقفين والفلاحين.

وفى حين تجمع الشعب حول البطريرك الجديد، يتذكر أبونا صليب سوريال أنه لاحظ أن المطران الأنبا أثناسيوس، الذي كان حينها في منتصف السبعينيات من عمره، وكان منهكًا بسبب الاضطرابات التي حدثت في السنين القليلة الماضية، يدخل الهيكل ويبدو عليه التعب ويجلس على الدرجة الأولى من المذبح.[٥٠] وكان يتنفس بصعوبة، ونظر المطران المسن إلى الشعب برضا صامت. وصرخ بغتة: "أطلق عبدك الآن بسلام، لقد سلمت الكنيسة إلى الرهبان. إلى الشخص الذي سيقود الكنيسة إلى السلام. لقد امتلأت فرحًا، أطلق عبدك بسلام".[٥١] لم يعتقد الكثيرون في أن تزكية الأنبا أثناسيوس غير المتوقعة لراهب غير معروف نسبيًا وغير عادي سيغير أي شيء. لكن بعد حوالي سبعة وثلاثين عامًا من أسقفيته التي امتدت طوال فترة الظلام الحزين التي اجتاحت الكنيسة، أدرك الأنبا أثناسيوس في شعور حالم بالثقة أنه يمكن أن يستريح أخيرًا، وهكذا استراح بعد بضع سنوات وهو يشعر بإشعاع هادئ من الرضا.

بقي البطريرك راهبًا

كثيرًا ما تكلمت فندمت، أما على السكوت لم أندم قط

القديس أرسانيوس الكبير

بعد أيام من رسامته وتنصيبه باسم البابا كيرلس السادس، أقيم احتفال على شرفه في نادي محمد علي وهو نادى مرموق وحصري بوسط القاهرة. عندما دخل وسط ابتهاج وحفاوة الجميع، كان يشعر بالغربة. وعندما طُلب منه أن يبارك الوليمة الفخمة والفاخرة الموضوعة أمامه، جاهد حتى يخفي ألمه وهمس لأحد تلاميذه، "يا بني... هل هذا طعام الرهبان؟"[٥٢] ودون أن يتسبب في أي إحراج، أرسل التلميذ نفسه بهدوء للحصول على بعض الفلافل والسلطة، مما أثار عجب الموجودين وارتباكهم. ولا عجب أن أخاه حنا أنهى مذكراته بالكلمات: "لم يتغير حتى عندما أصبح البابا".[٥٣]

على الرغم من أنه أمضى ستة أعوام فقط في الدير من أربعة وأربعين عامًا من رهبنته إلا أنه في الواقع لم "يغادر" الدير أبدًا.[٥٤] كتب واكين، وهو صحفي غربي، بعد لقائه البابا كيرلس في أوائل الستينيات، "في التعامل الشخصي، يؤكد البطريرك ما تشير إليه إيماءاته وكلماته. هو عميق في تقواه... تتحدث وهو يسمع، لكنه لا يبدو أنه يستمع أو ينتمي إلى اللحظة الحالية... أنه قوي، تبدو تعبيراته مليئة بالتركيز العميق غير المشتت لساكن الصحراء".[٥٥] وحتى لفظ أنفاسه الأخيرة لم ينس أنه الراهب المسكين مينا.

فبدلاً من تخفيف جهاده النسكي - كما كان متوقعًا بالتأكيد، وإن لم يكن مطلوبًا، نظرا لسنه والتزاماته البابوية - زاد البابا كيرلس من نسكه، لأنه كان يعتقد، كما لاحظ أبونا رافائيل ذات مرة، أنه "كان يمر في محنة مريرة، وبالتالي فكان الأمر يتطلب مزيدًا من الصيام والصلاة بالدموع".[٥٦] قال تلميذه:

لم يغير قانونه اليومي قط، لقد أغلق عن عينيه كل أبواب العالم؛ الرغبات والاحتياجات، وتخلى عن كل شيء... لقد أهمل احتياجاته الجسدية حتى لا يكون لها أي سلطان عليه. فبعد أن تذوق واتحد وعاش مع المسيح... هل يوجد شيء آخر سيحتاج إليه؟[٥٧]

تقول المصادر هنا بالإجماع إنه كان شديد القسوة مع نفسه بعد رسامته بطريركًا. أما بالنسبة لقانونه، فلم يتغير إلى حد كبير منذ أيامه الأولى كراهب.

وفقًا لتلميذه المقرب الذي خدم معه بعد رسامته بطريركا؛ أبونا رافائيل آفامينا، كان طعام البابا كيرلس قليلاً ومتقشفًا.[٥٨] بعد أن يبدأ اليوم بالتسبحة في الثالثة صباحًا، كان يصوم إلى منتصف النهار، ثم يفطر بقطعة قربان ودقة.[٥٩] وقد يقبل بعد توسلات كثيرة أن يضيف أحيانًا بضع ملاعق صغيرة من البقوليات. غالبًا ما كان البابا كيرلس يتأخر بسبب الاجتماعات، ولا يتناول وجبة الإفطار إلا بعد الثالثة عصرًا. بالنسبة للغداء، كان عادة ما يتناول بعض الخبز اليابس مع كمية صغيرة من الخضار المطبوخ. لكن، يتذكر أبونا رافائيل، أنه لم يكن يأكل الخضروات أبدًا، بل يغمس خبزه في الصلصة فقط. وكان يكتفي قبل أن ينام ببعض الفاكهة أو الخبز على الأكثر. "لم أره قط يأكل قطعة من الفراخ أو اللحم، أو حتى يشرب رشفة من الحليب".[٦٠] كان ذلك في أيام الفطر. كان يأكل مرة واحدة فقط في وقت متأخر من المساء في أوقات الصيام، وخاصة الصوم الكبير وصوم السيدة العذراء والدة الإله، على الرغم من أنه يستيقظ منذ الساعات الأولى من الصباح.

حدث مرة خلال الخمسين المقدسة بعد عيد القيامة، أن أعطى البابا كيرلس طباخه أجازه لعدة أيام، حيث فكر أبونا رافائيل، الذي على حد قوله "لا يعرف كيف يطبخ"، في الاعتناء بالمطبخ بنفسه.[٦١] كان كل مساء يحضر دجاجة مشوية، وبضع قطع صغيرة من اللحم، والأرز، والخبز، والجبن. ليجد الدجاج واللحوم سليمة كما هي لم تمس، ماعدا الخبز والجبن. ونظرًا لحرارة الجو أثناء النهار، كانت هناك وجبة جديدة تُهدر كل ليلة. يتذكر التلميذ أنه أخبر الطباخ عندما رجع منَ إجازته "يجب أن أقول

لك إني أعتقد أنه لا يحب الدجاج". وفي حيرة من أمره، وبّخ الطباخ أبونا رافائيل قائلاً: "لن يأكلها بهذه الطريقة أبدًا. يجب تقطيع الدجاج جيدًا وخلطه مع الأرز حتى لا يراه!"[٦٢] كان البابا كيرلس رجلاً في الستين من عمره ويمتلك جسدًا قويًّا ورياضيًّا، ومع ذلك كان عليهم خداعه حتى لا يأكل سوى الخبز والكمون.

وعلى المنوال نفسه لم يقم بتغيير ملابسه بملابس أغلى أو أفضل عندما رُسم بطريركًا.[٦٣] كانت أثواب البابا كيرلس الداخلية مصنوعة من أقمشة خشنة ورخيصة، ومنسوجة من دون خياطة وتشبه الخيش، كما شهد الكثيرون بعد وفاته، وكان يحيطها بحزام جلدي والإسكيم وهو تقليد رهباني عظيم[٦٤] كان يرتدي فوق هذه الملابس ثوبًا داخليًّا خفيفًا سعره أغلى قليلاً، وفوقه الفراجية، ولا يقص شعره ويضع فوق رأسه شالاً أسود مميزًا. ارتدى الزي البطريركي خلال القداس في مناسبات قليلة فقط بعد رسامته، كان يفضل بشكل عام ثيابه الرهبانية البيضاء البسيطة، مع شال أبيض طويل ملفوف حوله. حتى أنه رفض ارتداء الملابس الباهظة التي أهداها إليه إمبراطور إثيوبيا عند افتتاح الكاتدرائية الجديدة.[٦٥] كان لا يمكن بسهولة لأي إنسان أن يتعرف عليه حيث يظن أنه كاهن أو راهب بسيط. لم يفكر أبدًا مرة واحدة أن يغير حذاءه في السنوات الخمس التي كان أبونا رافائيل يخدمه فيها، وعندما كان الشمامسة يندفعون بعد القداس لربط أربطة حذاء البطريرك المسن، كان يرفض قائلاً: "اتركها، يا بني، لكي ينتهي هذا المساء بسلام".[٦٦]

تعكس هذه المظاهر الخارجية البسيطة للغاية حياة سرية أكثر قسوة. كان من المعروف أن البابا كيرلس كان ينام قليلاً. ولكن كانت كمية الساعات القليلة هذه في معظم الأحيان غير معروفة. كان يستيقظ كل يوم في الثالثة صباحًا لعمل التسبحة والقداس الإلهي فيقضى في هذه الصلوات حوالي خمس ساعات.[٦٧] كان يقضي اليوم، حتى وقت متأخر، في اجتماعات وزيارات، ثم يصلى صلاة الغروب في الساعة السادسة مساءً. كان يختلي في معظم الليالي في قلايته في المقر البابوي قبل منتصف الليل بقليل. لم يكن ينام سوى لمدة ثلاث إلى أربع ساعات على الأكثر. لكن حتى

هذا المعدل يظل موضع تساؤل. عندما نفحص رسائله (غير المنشورة وبالتالي غير المعروفة حتى الآن)، أنه إذا استطعنا تحديد وقت للكتابة، فسيكون ذلك الوقت ثابتًا بين الساعة الواحدة إلى الثانية صباحًا.[٦٨] حتى ساعات النوم القليلة، على ما يبدو كان يضحي بها بانتظام.

كان ينام على سرير فردي (وهو أمر غير معتاد بالنظر إلى حجم البابا) مصنوع من النحاس، وكان يستعمل بطانية خفيفة سواء في الشتاء أو الصيف. في إحدى المرات قام مسؤول من الفاتيكان بزيارة البابا كيرلس أثناء مرضه وشعر بالضيق بسبب رؤية قلاية البابا كيرلس المتواضعة وعرض على الفور تأثيثها على نفقته الخاصة، فرد البابا كيرلس: "أنا أحب هذا المكان البسيط".[٦٩] يتذكر أبونا رافائيل أنه كان يذهب أحيانًا إلى القلاية للقيام ببعض المهام ليلاً ليجد البطريرك نائمًا. "لم يكن مثل أي إنسان نائم. كنت تخافه وهو نائم أكثر من ألف مرة وهو يرتدى الزي البابوي".[٧٠] عندما كان يدخل إلى القلاية خلال تلك السنوات الخمس، لاحظ التلميذ، أن البابا كيرلس كان دائمًا، من دون استثناء، ينام على جانبه وساقاه ممدودتان تمامًا. من الواضح أن السنوات التي أمضاها في طاحونة الهواء وفي مارمينا في مصر القديمة كان يمضيها نائمًا على مقعد خشن وضيق حتى يستطيع أن ينام بهذه الوضعية غير العادية دون ثني الركبة.[٧١]

يكاد يكون من المستحيل أن نتحدث عن نومه دون أن نتحدث عن الصلاة التي قطعت هذا النوم طوال نصف قرن. لا يمكننا أن نفهم شخصيته بطريقة أخرى. تجسدت خبرة البابا كيرلس من العظة المحبوبة لديه وهي العظة الرابعة والستين لمار إسحق السرياني وهي تحث على تقليل ساعات النوم من أجل سهر الليل.[٧٢] على الرغم من أن حياة الصلاة السرية للبابا كيرلس كانت سر يمارسه في قلايته، إلا أنها تسطع في بعض اللمحات التي كانت تظهر في صلاته العميقة أثناء القداس. يتذكر أبونا رافائيل:

> كان يصلي (في صلوات القداس) بصوت عميق، ورأس منحنية، وعينين مغمضتين تقريبًا بلا نغم ولا لحن، ولكن بخوف وإجلال. لم يسمح لنفسه أبدًا أن يستند على المذبح ولا أن يتحدث مع أي شخص أثناء القداس. كان يذرف دموعًا غزيرة أثناء الصلاة. كان قداسته يتلذذ بأن يصلي القداس الإلهي بمفرده لأن هذه الصلوات كانت تعطيه أعظم تعزية روحية.[٧٣]

وهذا ما يفسر أحد الأمور المميزة لعصره كبطريرك. كان غالبًا ما كان يُرى في قداس عيد الميلاد والقيامة، واقفًا بجانب المذبح دون أن يقوم بصلاة القداس، وذلك من أجل أن يصلي قداسًا أكثر هدوءًا بمفرده فيما بعد.[٧٤] تكشف نظرة سريعة على قصاصات الصحف عن الشيء نفسه، حيث يقوم بصلاة قداسات هذه الأعياد الكبرى في أحد الأديرة، وبعد ذلك يعود إلى القاهرة لتبادل التحيات والمقابلات الرسمية. كان المذبح مكان راحته. لاحظ تلاميذه أن المرة الوحيدة التي رأوه فيها منزعجًا حقًّا كانت عندما اضطر في الساعات الأولى من الصباح إلى أن يصلى القداس مشاركة مع أحد، وغالبًا ما كان يخبر الأساقفة أو الكهنة الذين يأتون للصلاة معه بأن يصلوا القداس في أحد المذابح الأخرى من المذابح الكثيرة الموجودة في الكاتدرائية.[٧٥] أعلن خليفته وتلميذه؛ البابا شنودة الثالث:

> إذا أردنا أن نختار أنسب صورة للبابا كيرلس السادس، فمن المؤكد أنها ستكون الصورة التي فيها تحيط به سحابة من البخور أو تلك الصورة التي كان فيها أمام المذبح؛ لأنه لم يبتعد أبدًا عن مذبح البخور... لم يكن يتحدث كثيرًا مع الناس أثناء الضيقة، لكنه كان دائمًا يتحدث إلى الله أثناء صلاة القداس.[٧٦]

هناك صورة واحدة، في رأيي، تكشف عن شخصيته أكثر من أي صورة أخرى؛[٧٧] صورة له واقفًا أمام المذبح فيما يبدو أنه كان في وقت مبكر، صامتًا، مستغرقًا في الصلاة المستمرة وعيناه المتعبتان مغلقتان ويداه متشابكتان على صدره، وشال أبيض طويل يغطي ويحجب معظم وجهه. إنه يقف وكأنه كان واقفًا منذ نصف قرن، ربما صلى حوالي أربعة عشر ألف قداس واقفًا أمام إلهه، لا يعرف أي مصدر آخر للراحة، ولا أمل آخر، ولا منقذ آخر. تفشل الكلمات في أن تصف تلك اللحظات.

أخبر البابا كيرلس صحفيًّا غربيًّا متحدثًا بصيغة الغائب، في كشف نادر، أنه "بصفته متوحدًا، كان لديه خبرة عميقة جدًّا في الصلاة" وأن طموحه الوحيد كان أن يرى كنيسته "تطور هذه الخبرة مع الصلاة".[٧٨] وعندما استجوبته الصحافة بعد رسامته حول استراتيجيته في الإصلاح، أجاب: "من الأفضل ألا نتكلم، بل أن نصلي".[٧٩]

ليست هذه الملاحظات عن حياته النسكية سوى "ملاحظات"، على الرغم من أهميتها بالتأكيد، إلا أنها تظل تصورات خارجية عن شخصه. لم يعظ البابا كيرلس أبدًا عظة بصفته بطريركًا، وكتب فقط عددًا قليلاً من الرسائل بمناسبة الاحتفال بالأعياد في بداية رسامته وأسند باقي العظات لآخرين، وماعدا القوانين الروحية غير المألوفة التي أعطاها لتلاميذه (والتي قد نفترض أنها أخف من قانونه الروحي الخاص به)، فهو نادرًا ما تحدث عن حياته الداخلية. عندما ضغطت عليه صحيفة الوطني قبيل تنصيبه مباشرة لمناقشة برنامجه الإصلاحي، أجاب بتواضع: "نحن نفضل القيام بمهمتنا في صمت".[٨٠] ووفقًا لحديثه هذا، فقد أصبح صامتًا لسبب غير مفهوم - والصمت هو أعلى الدرجات النسكية - وهو شيء شديد الغرابة والتناقض؛ بطريرك صامت.

إلى أي مدى إذن يمكن معرفة شخص صامت؟ يقول أولئك الذين عرفوه جيدًا إنهم لم يعرفوه على الإطلاق.[٨١] ولكن الغريب والذي لم يخطر ببال أحد، من الباحثين أو العلمانيين، أن يسأل: لماذا صمت. والأهم من ذلك: لماذا، بشكل غير متوقع، أصبح صامتًا بشكل متزايد عندما رُسِم بطريركًا؟ يتذكر أبونا رافائيل: "لقد أخبرني البابا نفسه، أن ما ربحه من الصمت فاق كثيرًا ما كان سيحققه بأي وسيلة أخرى".[٨٢] فماذا ربح؟

كما رأينا طوال المدة التي قضاها كبطريرك، فيما يمكن تسميته "بالتلمذة الآبائية"، كان البابا كيرلس مفتونًا بالعظة الرابعة والستين لمار إسحق السرياني.[٨٣] ولذلك، ليس من المستغرب أن يكون الصمت أحد نقاطها الرئيسة. في هذه العظة،

كما أظن، يكمن التفسير الأساسي لصمته غير الاعتيادي، بالإضافة إلى سببان وثيقي الصلة من الأسباب المنطقية الثانوية الأخرى.

يبدأ مار إسحق عظته "أحب الصمت فوق كل شيء، لأنه سيجعلك تتذوق ما لا يستطيع اللسان التعبير عنه. أولاً، دعونا نجبر أنفسنا على الصمت، ثم من هذا الصمت يولد شيء يقودنا إلى الصمت نفسه".[٨٤] يقترح أحد العلماء السريان أن هذا "الشيء" هو صمت داخلي.[٨٥] يقول مار إسحق: "إذا مارس المتوحد هذا الصمت، لا أعلم كم من النور سوف يشرق عليك منه". ويتابع مار إسحق[٨٦] "عندما يقترب الإنسان من الصمت، فإن ممارسة أعمال النسك الأخرى تكون سهلة بالنسبة له حيث إنه قد تجاوزها؛ لأنه اقترب من الكمال".[٨٧] وفوق ذلك، بالنسبة لمار إسحق، يؤدي الصمت إلى السكون، والذي يعرِّفه بأنه "الصمت تجاه كل شيء".[٨٨] في هذه المرحلة من العظة، أود أن أقترح أن البابا كيرلس أصبح أكثر انتباهًا من أي وقت مضى. يقول مار إسحق: "إنه من المستحيل، عندما نسكن في مكان يسكنه الكثيرون، ألا يقابلنا رجال آخرون". هنا يعطي المثال النموذجي للأنبا أرسانيوس الكبير (٣٥٠-٤٥٠) الذي "أحب السكون أكثر من كل الرجال الآخرين". يتابع مار إسحق قائلاً:

> عندما، إذن، نظر ذلك الرجل (أرسانيوس) إلى كل هذه الأشياء، ورأى أنه لن يكون من الممكن تجنبها مادام كان بالقرب من مكان معيشة الناس، وعندما وجد أنه كان من المستحيل في كثير من الأحيان، بسبب مكان إقامته، أن يكون بعيدًا عن مجاورة الناس والرهبان الذين استقروا في تلك الأجزاء، تعلم من النعمة طريقة الحياة هذه: الصمت غير المنقطع. وإذا حدث لضرورة ما أن يفتح بابه لبعضهم، فإنهم كانوا يفرحون فقط لمجرد رؤيته...[٨٩]

بالنسبة إلى البابا كيرلس، حتى أكثر من الأنبا أرسانيوس في القرن الخامس، كانت الوحدة مستحيلة نظرًا لمنصبه. عمل بجهد شديد عندما كان راهبًا في مصر القديمة، على اقتناء "البرية في قلبه". ولكن الآن بصفته بطريركًا، محاطًا بجموع لا

حصر لها، سيحتاج إلى أن يكون أكثر تماسكًا وأكثر راديكالية. لقد اعتنق "الصمت غير المنقطع"، وهو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على السكون والعزلة في وجه العالم. بالنظر إلى أن البابا كيرلس اقتبس من العظة الرابعة والستين في أغلب الأحيان وبصورة مستمرة، فإن هذه الكلمات يجب أن تكون العدسة التي نفسر من خلالها صمته غير الاعتيادي. لم يكن صمته بسبب عدم الكفاءة أو النقص أو عدم الثقة كما سخر الكثيرون في ذلك الوقت، ولم يكن فقط من أجل تفويض المسئوليات لمن هم أكثر قدرة. كان الصمت - وهذا ليس ادعاءً بسيطًا - وسيلة البابا كيرلس للحفاظ على العزلة في العالم.

يلمح أيضًا مار إسحق هنا إلى "ثمرة" الصمت الثانية: عندما "من أجل الضرورة فتح المتوحد بابه... كانوا سعداء لمجرد رؤيته. ومن دون الحاجة إلى التحدث معه يكفي مجرد رؤية المتوحد الصامت". قال أحد الرهبان لأنبا أنطونيوس الكبير: "يكفيني النظر إلى وجهك يا أبي".[٩٠] لذلك كان الصمت هو الطريقة غير التقليدية للإصلاح لدى البابا كيرلس، وتجسيد غريب للغاية لهذا المبدأ. إنسان كان من المفترض أن يحدث ضجة كبيرة خصوصًا أنه كان زعيمًا للملايين، ومع ذلك، مما أثار ارتباك الكثيرين، اختار ببساطة عدم الكلام.

يوجد في نهاية العظة سبب ثالث غامض لهذا الصمت والسكون، والذي يعكس بشكل صادق حياة البابا كيرلس. صرح مار إسحق:

> حتى لو ظُلمت أو خُدعت أو تعرضت للسخرية وما إلى ذلك، فلن تتأثر بسبب حبك للسكون. من يدخل في السكون من دون هذا الهذيذ المستمر لن يكون قادرًا على تحمل تلك الأشياء التي يجب علينا الخضوع لها وتحملها من جميع الجهات.[٩١]

عندما نفكر أن البابا كيرلس تعرض للسخرية والاضطهاد بشدة منذ بداية رهبنته حتى وفاته، على الرغم من أن مدى صعوبة هذه المواقف غير معروف لمعظم الناس؛ فإننا نبدأ في تقدير كلمات القديس مار إسحق هذه وفهمها؛ الكلمات التي

كتبها البابا كيرلس وحفظها وعاشها وتنفسها طوال العقود الأربعة الماضية؛ الكلمات التي أعطاها له شخص كان يعتز به كأب روحي. ورغمًا عن الاتهام أو الهجوم أو الإساءة، يصر المقربون منه على أنه "لم يفقد سلامه الداخلي أبدًا".[٩٢] لقد خلق الصمت في داخله، كما سنرى، سكونًا داخليًّا في وجه الضيقة التي بلا هوادة. ولأكثر من عقد من الزمن وهو بطريرك، كان له "النظرة غير المشتتة لإنسان يسكن في البرية"، لأن البابا كيرلس لم يترك بريته الداخلية أبدًا.

كان لدى البابا كيرلس هنا خبرة جيدة من الآباء الذين سبقوه. فالكثيرون في السنوات الأولى للمسيحية قد أدركوا بالفعل الأخطار الكامنة في منصب الأسقفية. في منتصف القرن الرابع، كان أثناسيوس يتوسل لدراكونتيوس لكي يعود إلى كرسي أسقفيته بعد أن هرب خوفًا من أن "تعرِّضه رتبة الأسقفية للخطيئة".[٩٣] بالنسبة للعديد من هؤلاء الأساقفة الرهبان الأوائل، لم يكن هناك سوى حل واحد؛ "أن يزيد الإنسان في نسكه".[٩٤]

عندما غادر أبا نيتراس قلايته على جبل سيناء في القرن الخامس ليصبح أسقف فاران، سأله تلاميذه لماذا يخضع نفسه الآن كأسقف لتقشف نسكي أكثر صرامة عما كان يفعله عندما كان في الصحراء. أجاب أبا نيتراس: "أفعل هذا حتى لا أدمر الراهب بداخلي".[٩٥] يُذكر عن يوحنا ذهبي الفم أيضًا، بصفته بطريرك القسطنطينية، أنه كان يأكل دائمًا بمفرده، ويرفض قبول أي دعوة إلى قصور الأغنياء، ويرفض تمامًا الترفيه.[٩٦] أصبح أمبروسيوس وهو أسقف رجلاً "كثير التعفف، ويقف كثيرًا للسهر بالليل للصلاة وتعب الجسد، وكان جسده هزيلاً بسبب الصوم كل يوم" على الرغم من أنه كان سابقًا حاكم إقليم.[٩٧] ولذلك شرع بعض الأساقفة الأوائل في تحويل مقراتهم بهدوء إلى تجمعات شبه رهبانية، وجمعوا الرهبان أو الكهنة غير المتزوجين من حولهم، مما أدى في الواقع إلى إعادة إنشاء تجمعاتهم الرهبانية في العالم.[٩٨] كان هذا هو الحال بالتأكيد مع البابا كيرلس، وبعيدًا عن نسكه الشديد، اختار البابا كيرلس في وقت مبكر جدًّا من حبريته الابتعاد عن ممارسات أسلافه، أعني في أسوأ الأحوال أن

يستعين بمثل هذا الفلاح الذي يسمى مِلِك، أو الكهنة المتزوجين في أفضل الأحوال، وبدلاً من ذلك، رسم شمامسة كخدام، واستعان بالرهبان في وظيفة سكرتير البابا. إن أسلوبه هذا يذكرنا بأسلوب مارتين التوروزي، الذي عاش، رغم كونه أسقفًا، في مجتمع رهباني خارج مدينته. كتب كاتب سيرة مارتن:

> التواضع نفسه في قلبه والقداسة نفسها في ثيابه. ممتلئ بالكرامة واللطف، وقد عاش في رتبة الأسقف بشكل لائق، ولكن بطريقة لا تتجاهل هدف وفضائل الراهب.[٩٩]

لكن ألن يكون هذا سببًا للتوتر؟ كيف يمكن للإنسان أن يكون راهبًا "رافضًا للعالم" ويعمل في الوقت نفسه أسقفًا إداريًّا؟ يشير روسو، على سبيل المثال، إلى أنه في حياة "الرهبان الأساقفة" خلال القرون الأولى، لم يظهر في الواقع سوى قليل من "التوتر والإحباط الذي يتسبب فيه مصطلح (راهب - أسقف)".[١٠٠] على الرغم من أننا قد نتوقع بعض الانقطاع أو الانفصال، فما نجده هو نمط سلوك ثابت بشكل ملحوظ ينبثق دائمًا من الغرض الفردي نفسه[١٠١] والشخصية الكاريزماتية نفسها". بعبارة أخرى، طُلب من "البعد النسكي" تغذية "البعد البراغماتي" وحمايته ومواءمته وتحويله في نهاية المطاف.[١٠٢] "ليس كل الأساقفة أساقفة"، هذا ما قاله القديس جيروم.[١٠٣] ويبدو - أو هكذا يشير التاريخ - أن البعد النسكي هو الوسيلة الأصيلة والشفافة لتصبح "أسقفًا حقيقيًّا".[١٠٤]

كتب إدوارد واكين في أوائل الستينيات: "لم يصبح الراهب بطريركًا فحسب، بل ظل البطريرك راهبًا".[١٠٥] وكتب واكين بخيبة أمل (وإن كان ذلك بتعاطف) عن "انغماس" البابا كيرلس في الصلاة والتقاعس الظاهر عن العمل، لقد فشل واكين في إدراك أهمية كلماته حتى بشكل خافت. على الرغم من أنه كان يقصد أن ينتقده، ولكن واكين أوضح دون قصد حقيقة الرجل: لم يكن هناك على الإطلاق انقسام في حياة البابا كيرلس، فقد كان راهبًا بطريركًا. على الرغم من أنه كان قائدًا للملايين، إلا أنه كان في الغالب بطريركًا صامتًا ومتوحدًا. عندما كان يعيش متوحدًا، انعزل عن

اهتمامات هذا العالم إلى عالم آخر، وهناك فقط، في بريته الداخلية، في عالم السكون الداخلي الخاص به، كان يتفرس في إلهه، هل سيكون هذا العالم منطقيًّا وله معنى بالنسبة له. ولهذا السبب، قد يكون قاسيًا القول (فلنستعر كلمات القديس جيروم ونختلف مع واكين) إنه ما لم يظل البطريرك راهبًا، لكان قد توقف عن كونه "بطريركًا حقيقيًا". لكن قلة، على الأقل في بداية عهده، سيوافقون على ذلك. كتب أحد الباحثين "أصيب كثير من الأقباط بخيبة أمل". ومن الغريب أن أكثر من عبروا بصوت عال عن خيبة الأمل كانوا من الرهبان والأساقفة أنفسهم.[١٠٦]

مواجهة الانقسام المتوقع (١٩٥٩ - ١٩٦٣)

وبطبيعة الحال، يمتلئ الناس بالنفور من فكرة القداسة

دوروثي داي

هناك حلقة غير معروفة وأكثر غرابة في مذكرات أولئك الذين عرفوا البابا كيرلس السادس. يتذكر أبونا بنيامين (١٩٤٤-١٩٨٧)، وهو ناسك متوحد في برية وادي النطرون، لقاءه مع البطريرك (الذي لم يكن معروفًا له) في أوائل الستينيات. كان أبونا بنيامين، الذي كان آنذاك شابًّا في العشرين من عمره، مفتونًا لسنوات عديدة بفكرة الرهبنة وقرر الذهاب إلى الدير في اللحظة التي يكمل فيها التجنيد العسكري الإجباري، حتى جاء يومًا كان فيه في إجازة وقابل فتاة جميلة تتجول في شوارع الإسكندرية. أعجب على الفور بالفتاة الصغيرة، وتواعدا أن يلتقيا في اليوم التالي مرة أخرى. يتذكر الناسك المتوحد:

> ذهبت إلى أحد الفنادق لقضاء الليل هناك وفي الصباح خرجت أبحث عنها في كنائس مختلفة. لكنني لم أجدها في أي مكان، فذهبت إلى إحدى الكنائس وأنا أشعر بالضيق. رأيت البابا كيرلس السادس وهو في دورة البخور في الكنيسة، لذلك وقفت في مكاني في الممر الذي كان يلف منه. وعندما أصبح أمامي مباشرة، أخذ المبخرة بيده الأخرى، وصفعني على وجهي واستمر في طريقه دون أن ينطق بكلمة واحدة وكأن شيئًا لم يحدث!... وقفت... وندمت... وخرجت على الفور إلى وحدتي العسكرية. كنت مستاء جدًّا من نفسي، كيف يمكنني أن أنشغل بأمر مثل هذا؟ والشيء الأكثر غرابة هو كيف عرف البابا؟[١٠٧]

يدل هذا اللقاء الغريب على أسلوب البابا كيرلس في سنواته الأولى كبطريرك. غالبًا ما يُتهم بالقساوة، كما حدث حرفيًّا في هذه الحادثة. لكن هل سترى الكنيسة في الوقت المناسب أن هناك أمرًا نبويًّا وغامضًا سيحدث مثلما حدث للأب بنيامين (الذي أصبح في النهاية ناسكًا قديسًا)؟

تعرض البابا كيرلس للهجوم والتشهير منذ الأيام الأولى لرسامته، وحتى أثناء ترشيحه للبطريركية. ومن المهم أن نلاحظ، مع ذلك، أن معظم المصادر الغربية، ربما جزئيًّا من أجل الاختصار في كتابة التفاصيل، تتجاهل تقريبًا المحن المستمرة التي مر بها. وبالمثل فإن نظراءهم الباحثين العرب أيضًا ليسوا أكثر تدقيقًا (إن وجد). لقد تعرض في السنين التي قضاها كبطريرك للضيقات، والإذلال، والتشهير، والاتهام وكانت هذه التجارب هي العلامات المميزة والمستمرة والمتواصلة لهذه السنين كما كانت أيضًا منذ سنواته الأولى كراهب. لقد تعرض للسخرية ونُفي من دير البرموس، وتم طرده لاحقًا من طاحونة الهواء، واُضطهد على الدوام من رؤسائه خلال السنوات التي قضاها في مارمينا في مصر القديمة.

لقد تم نسيان الكثير من هذه التفاصيل، إن لم يتم تجاهلها، من الدراسين والمؤمنين العلمانيين. ربما نتساءل هل هذا بسبب عدم الوصول إلى المصادر التاريخية؟ قد يكون هذا بالتأكيد جزء من القصة. لكنني أرى ما هو أكثر من ذلك، أنه بسبب التقوى الزائفة فضل الكثيرين عدم إدانة أو حتى تذكر أولئك الذين عارضوا البابا كيرلس. وفي محاولة "للحفاظ" على قدسيته، حاول الكثيرين إعادة تخيل التاريخ، وافتراض أنه إذا كان البابا كيرلس قديسًا حقًّا، فمن المؤكد أنه كان يجب على الجميع قبوله والاعتراف به على هذا النحو خلال حياته. هل يمكن أن تكون السخرية والعداء اللذين تعرض لهما البابا كيرلس - على الرغم من أنها تشهد بالفعل على قدسيته - شيئًا سعى معظم الأقباط (والباحثين أيضًا) إلى نسيانه في محاولة "لتبييض" "وتجميل" أوراق التاريخ؟ مهما كان السبب في الواقع، فقد عانى البابا كيرلس بلا انقطاع خلال الجزء الأكبر من حياته كراهب؛ وفي أغلب الاحيان على أيدي رجال الكنيسة. يلاحظ أحد الباحثين الأرثوذكس أن "القديسين بطبيعتهم مزعجون بقدر ما هم مصدر إلهام".[١٠٨] يبدو أن البابا كيرلس لم يكن ما يريده الناس، ولكن ما يحتاجونه.

هناك أسباب كثيرة خلف تعرضه "للاضطهاد" الذي لا هوادة فيه، خاصة في السنوات الأولى من بطريركيته. من الناحية التاريخية، ربما كان ذلك متوقعًا؛ كان نصف القرن الماضي قد شهد انقسامًا عميقًا في الكنيسة حيث أصبحت ممزقة بشكل متزايد. كان هناك العديد من الأصوات المتعارضة من أجل الإصلاح بحلول الوقت الذي أصبح فيه البابا كيرلس بطريركًا، وكانوا يمتلكون رؤى متضاربة في كثير من الأحيان، والأهم من ذلك في صور مختلفة من الغضب (دعونا لا ننسى اختطاف البابا يوساب الثاني). حتى في ذلك الوقت، بغض النظر عن "الصوت المعارض"، وبغض النظر عما إذا كان صحيحًا أم لا، إلا أنه نادرًا ما يتم الترحيب بالإصلاح والتغيير. يجب أن نتذكر أيضًا أن أكثر من كانوا ينتقدونه ويعادونه كانوا في الواقع من الأساقفة، وكثير منهم كانوا مذنبين بارتكاب السيمونية، وبالتالي من غير المرجح بشكل كبير أن يفضِّلوا البطريرك الذي جعل من همه الأول إدانة تلك السيمونية نفسها. لكن الغريب أن هناك مسألتين أخريين أزعجتا خصومه بالأكثر وضايقتهم: المعجزات الوفيرة والمتنوعة (التي صاحبها اتهامه لاحقًا بممارسة السحر)، بل وأكثر من ذلك، هوس البابا كيرلس الفريد بالصلاة.

يقول قس كان مقربًا منه؛ أبونا لوقا سيداروس:

> أكثر شيء تسبب في مضايقات للبابا كيرلس في بداية بطريركيته، والذي أثار انتقادات من الشيوخ والأساقفة والكهنة والأجانب، (كان هذا ما قالوه)، "أردنا بطريركًا، وليس مرتلاً، ما هذا أنت تصلي وتسبح طوال النهار والليل؛ صلاة باكر، وصلاة نصف الليل، وصلاة الغروب، والقداس. تاركًا الكنيسة كما هي؟... الكنيسة بحاجة إلى الإصلاح والشفاء، وهي بحاجة إلى من يمثلها أمام الحكومة والرئيس، وبحاجة إلى شخص يمكنه فهم هذه القضايا وتحقيق مكاسب للأقباط..." فحدثت موجة النقد ضده بسبب هذا الشيء الوحيد: الصلاة.[١٠٩]

كان النقد قاسيًا في المرحلة المبكرة لدرجة أن بعض الأساقفة في المجمع سعوا إلى تنحيته بسبب هذا الهوس نفسه بالصلاة - والذي زعموا أنه كان على حساب

الواجبات البابوية.[110] علق راهب شيخ قائلاً: "كان سلوك البابا غير عادي بالنسبة للناس في ذلك الوقت. ولم يستطع الرهبان تحمله. كانت أساليب البابا أيضًا مفاجأة لنا - نحن الشيوخ. لم نر شيئًا مثل ذلك من قبل".[111] حتى أولئك المقربون منه أصيبوا بالإحباط، كلما ذهبوا إليه من أجل أمر ما كان يُطلب منهم دائمًا ببساطة أن يصلوا. في إحدى المرات قامت مجموعة من الكهنة من الإسكندرية بزيارة البابا كيرلس بخصوص مشكلة "كبيرة"، وهم في طريقهم، وكانت المسافة لا تزال بعيدًة بعض الشيء، تحدث أحدهم كثيرًا، ولكن كان قلبه نقيًّا واشتكى قائلاً "ما الهدف من الزيارة؟ سيقول لنا فقط أن نصلي". بعد أن وصلوا وتبادلوا التحية، التفت البابا كيرلس إلى القس نفسه ونظر في عينيه بتمعن، وسأله، "أنت لا تحب الصلاة يا أخي؟" تمتم الكاهن بكلمات غير مترابطة وبندم صادق، في حين تابع البابا كيرلس، "هل يمكنك فعل أي شيء من دون صلاة؟" وغني عن القول، أن الرجل أخفى وجهه الذي احمر من الخجل وصمت تمامًا.[112] اشتكى كاهن آخر قابله واكين في أوائل الستينيات قائلاً: "البطريرك رجل قديس للغاية، إنه قديس... وتقام الكثير من الصلوات كل يوم في البطريركية، لكننا نحتاج إلى أكثر من الصلاة. الصلاة لا تكفي". لو أُتيحت الفرصة للبابا كيرلس للرد كان سيقول "الصلاة هي كل شيء".[113]

ظل البابا كيرلس في مواجهة هذا الإيذاء والافتراء المستمر بقدر ما يمكننا أن نقول؛ حليمًا ولطيفًا دائمًا، وسريع المغفرة. في أواخر عام ١٩٥٩، نظَّم اثنا عشر كاهنًا مرموقًا في القاهرة تحالفًا ضد البابا كيرلس وكان ذلك على ما يبدو بسبب انغماسه في الصلاة. بدأوا بشراسة بكتابة ونشر منشورات تشهيرية، وظلوا في معظم الأحيان يسهرون حتى الساعات الأولى من الصباح طوال أكثر من عام ونصف، واستمروا في جهودهم حتى تعطلت مطبعتهم فجأة. لم يثنهم ذلك العطل المفاجئ وسارعوا بإصلاحه واستأنفوا جهودهم، لكن توقفت الآلة على الفور تقريبًا مرة أخرى. لكن قيل لهم هذه المرة إن جزءًا آخر قد تضرر، مما جعل آلة الطباعة غير قابلة للإصلاح. عند هذه اللحظة، خاف أحد الكهنة من قادة هذا التحالف واندفع إلى البطريرك

راكعًا على ركبتيه وصرخ: "لقد أخطأت؛ أعطني الحِل قداستك". "ما الأمر يا بني؟" أجاب البابا كيرلس. قال الكاهن: "لقد أهنتك كثيرًا"، لكن قبل أن ينتهي، قاطعه البابا كيرلس، "نعم، تسهر حتى الساعة ١:٣٠ صباحًا كل يوم، تطبع المنشورات وتوزعها من الإسكندرية حتى أسوان حتى انكسرت آلة الطباعة". "لكن" - سأله الكاهن، وهو متعب للغاية - "كيف تعرف كل هذا؟ لماذا لم تتحدث معنا؟" أجاب البابا كيرلس "كنت أصلي من أجلكم" (يجب أن نلاحظ أن البابا كيرلس كان هو بذاته موضع اتهامهم). طلب الكاهن الحِل وهو مرعوب، فأكد له البابا كيرلس بلطف: "من كل قلبي أحالك يا ابني". وغُفِر بالمثل لبقية الكهنة على الفور، وأصبحوا، بحسب الرواية، من أكثر رجال الإكليروس إخلاصًا له.[١١٤]

هذه الحادثة تميز تلك الفترة: اضطهاد لا هوادة فيه للبابا كيرلس، وامتلاكه شفافية روحية تخترق أعماق النفس وتعرف أسرارها، وغفرانه للمسيئين بشكل فوري.[١١٥] كان الأمر الأكثر إثارة للفضول هو الاتهامات المشوشة التي وجهت إلى البابا كيرلس بسبب المعجزات التي لا نهاية لها والمذهلة. شارك ميناردس وهو عالم قبطيات ألماني الكثيرين في خيبة الأمل هذه بخصوص "البطريرك المصلي"، أقر ميناردس بأنه: "على الأقل ليس هناك شك في أنه صانع معجزات حقيقي ويمتلك مواهب روحية غير عادية".[١١٦] كان الآخرون أقل صدقًا بكثير - حيث رفضوا البابا كيرلس واعتبروه محتالاً بامتياز، وساحرًا في أسوأ الأحوال. يتذكر العديد من الأساقفة الحاليين (من بين العديد من الروايات) عندما دخلوا إلى الأديرة الخاصة بهم كشباب طالبي رهبنة في أوائل الستينات ليتم تحذيرهم فقط بأن "يبقوا بعيدًا" عن البابا كيرلس، الذي كما قيل لهم، كان يمارس السحر.[١١٧] كيف يمكن، كما زُعموا، تفسير المعجزات الغزيرة والخيالية بغير ذلك؟

ومن الأحداث المؤثرة بشكل خاص حالة نظمي بطرس.[١١٨] كان محاميًا وشخصية قيادية في المجلس الملي بالإسكندرية، وكان معروفًا أيضًا للعديد من أبرز الكهنة في ذلك الوقت، ولم يكن لدى بطرس صبر كثير بخصوص معجزات البطريرك الجديد،

على الرغم من أنه يعترف، "لم أكن أعرفه جيدًا، لكن سمعت عنه قصصًا متضاربة". بدأ نظمي الكتابة دون الكشف عن هويته، حتى أثناء عملية الترشح، في عدة صحف ("الجرائد الثلاث") ضد البطريرك، متهمًا إياه بشدة بأنه "محتال" و"ساحر". عندما وصل البابا كيرلس إلى الإسكندرية لأول مرة في منتصف عام ١٩٥٩، لم يكن قد التقى بطرس أو بقية المجلس. وعندما اقترب بطرس لتحية البطريرك، نظر إليه البابا كيرلس بعناية: "آه، أنت رجل الجرائد الثلاث". سقط بطرس أرضًا. يتذكر بطرس أن البابا كيرلس أمسك به على الفور وقال: "لا تقلق، هذه مجرد كلمات... أنا أمزح معك". لم يعرف بطرس كيف يرد. وبعد بضع دقائق، سأله البابا كيرلس عما إذا كان لديه أطفال. "لدي ابنة تبلغ من العمر عشر سنوات. لم يهب لي الله أي أطفال آخرين". فأعلن له البابا كيرلس، "سيكون لديك ولد العام المقبل، وسأعمده". وهذا ما حدث.

لم يتم تحويل الخد الآخر فقط، إذا جاز التعبير، ولكن تم إرجاع الاتهام ذاته إلى المتهم. فقد رد على من اتهموه بالمعجزات بعمل المعجزات. تتحدث المصادر مرارًا وتكرارًا، عن هذا الغفران غير الأناني والمصالحة. في إحدى الحالات اللافتة للنظر، ذهب البابا كيرلس إلى حد التصالح مع المتنيح القمص سرجيوس، خلال جنازة القمص سيرجيوس، لقد كان في جميع الأوقات يرفع الحرمان الكنسي الذي وضعه سلفه.[١١٩]

يقودنا هذا إلى أبونا صموئيل تواضروس السرياني (١٩١١-١٩٨٣) وهو راهب ومؤرخ وفي كتابه "تاريخ بطاركة الإسكندرية" (وهو كتاب نادر ويصعب الحصول عليه الآن)، نجد أحد الانتقادات الأكاديمية القليلة الموجهة للبابا كيرلس، وهو، باعتراف الجميع، سرد يشوبه إهانة شخصية عميقة.[١٢٠]

أصدر البابا كيرلس قرارًا في ٢٠ أغسطس ١٩٦٠ يأمر جميع الرهبان بالعودة إلى أديرتهم بحلول ٣٠ سبتمبر، مع التهديد بـ "بالشلح" إذا لم يطيعوا.[١٢١] لم يأخذ أبونا صموئيل، الذي كان آنذاك راهبًا يخدم خارج ديره في أبروشية المنصورة الأمر بمحمل

الجد رغم أنه كان يعلم جيدًا مشاكل الرهبان الذين يعيشون داخل المدن، ولكنه استاء من روح "التشهير والمواجهة" في القرار، ولم يكن هناك استثناء لأولئك "الرهبان المتميزين" (بما في ذلك أبونا صموئيل نفسه) الذين خدموا بنجاح في أبروشياتهم.[١٢٢] ويشتكي أبونا صموئيل من أن الأسوأ من ذلك هو أن البابا كيرلس نفسه كان في وضع مماثل عندما كان هو أيضًا راهبًا في مصر القديمة.[١٢٣] ومع ذلك، يتابع أبونا صموئيل أنه: "كان من أوائل الذين أطاعوا" وعاد إلى ديره. ولكن بعد ثلاثة أشهر، في ٣١ ديسمبر ١٩٦٠، عاد أبونا صموئيل مرة أخرى إلى الإسكندرية والتقى البابا كيرلس قائلاً: "ما زلت مرتبطًا بهذه الأبروشية التي جاهدت في بنائها، مثل ارتباطك بمارمينا في مصر القديمة. إذا كنت لا تريد أن تسمح لي بالخدمة هناك، على الأقل اسمح لي بالصلاة هناك في عيد الميلاد؟" لم يتأثر البابا كيرلس ورفض الطلب. أمضى أبونا صموئيل، الذي كان حزينًا ومكتئبا، الأيام السبعة التالية في الإسكندرية، وفي ليلة عيد الميلاد زار كنيسة هادئة ليصلي صلاة الغروب. ولسوء حظه، كان البطريرك هو الذي يزورهم، وكان قد مر حوالي ثلاثة أشهر بعد الموعد النهائي لعودة الرهبان إلى أديرتهم. عند رؤيته للراهب العاص، وبخه البابا كيرلس علنًا وأهانه، وأمر بإعادته فورًا إلى الدير.[١٢٤]

مع مرور الوقت، لم يستطع البابا كيرلس تجاهل قلبه المثقل. وزار بعد بضعة أشهر، أديرة وادي النطرون. استقبله جميع الرهبان، لكنه لم يستطع رؤية أبونا صموئيل. ظل البابا كيرلس يسأل عنه، وعندما سمع أنه ظل في قلايته، أرسل يطلبه مرارًا وتكرارًا طوال اليوم. وعلى حد قول أبونا صموئيل، "رفض تمامًا مقابلة البابا كيرلس".[١٢٥] وبعد إصرار كبير، وبتدخل من رئيس الدير الذي هدده بأن البابا كيرلس سيذهب إليه في قلايته، ذهب أبونا صموئيل إلى الكنيسة. كان البابا كيرلس ينتظر هناك، ويبتسم بلطف، وتوسل البابا كيرلس إلى أبونا صموئيل طالبًا المغفرة والحِل. حاول أحد مرافقي البطريرك الاعتراض، فصرخ البابا كيرلس قائلاً: "ابق هادئًا، فهذا ليس من شأنك!" فلم يستطع أبونا صموئيل إلا أن يعطى الحِل للبابا

ويطلب منه أيضًا المغفرة.[١٢٦] على الرغم من تفسير أبونا صموئيل للحدث، إلا أنه يبدو أنه كان في الحقيقة مخطئًا، ومع ذلك كان البابا كيرلس هو الذي "أخلى ذاته" وسعى وراء المصالحة. سيكون هذا الحدث نموذجًا لأسلوبه في الإخلاء الكنسي.

يجب قراءة نقد أبونا صموئيل للبابا كيرلس، المكتوب في عام ١٩٧٧، في سياق الاستهزاء الشخصي والألم (الذي سجله هو نفسه). ومع ذلك، فإن صوت أبونا صموئيل مهم - وإن كان - صوتًا منفردًا. تبدأ رواية أبونا صموئيل: "لم يكن خاليًا من العيوب، بل كان إنسانًا مثل أي إنسان آخر".[١٢٧] يدعي أبونا صموئيل أن البابا كيرلس فشل في التمييز بين من كرمه ومن خدعه؛ كان غالبًا ما يتأثر بإشاعات الإهانة ويقيس الأمانة بمقدار السجود أمامه، وعلى الأقل في تقدير أبونا صموئيل، تمتع بمدح الناس. ولكن كان تعامله مع رجال الكهنوت أكثر ما أثر على أبونا صموئيل، وخاصة الأساقفة، الذين وجدوا إجراءاته الإصلاحية "غير مألوفة". اعترف أبونا صموئيل أنه في وقت لاحق "تضاءلت حدة البابا كيرلس وأصبح أكثر لطفًا مع رجال الكهنوت".[١٢٨] يعترف أبونا صموئيل أيضًا بسهولة أن البطريرك سامح كل من آذوه عندما كان راهبًا - باستثناء، كما يدعي، القمص برنابا الباقوري (١٨٧٤ - ١٩٦٣).

تم نسيان اسم هذا الراهب بشكل مقصود لعقود من الزمن.[١٢٩] في أبريل ١٩٣٦، غادر البابا كيرلس السادس (أبونا مينا البرموسي آنذاك) دير البرموس دفاعًا عن الرهبان السبعة المسنين المطرودين. يجب أن نتذكر، مع ذلك، أنه لم يشكك في حكم رئيس الدير، وقال فقط أنه لا ينبغي طردهم عشية أحد الشعانين. هناك رسالة أحدث كُتبت بعد عقدين من الطرد تلقي الضوء على الحادث: يذكر الأنبا مكاريوس؛ أسقف دير البرموس، أن الرهبان السبعة قد تحدوا القمص باسيليوس (وكيل الدير)، وأن هذا التحدي تطور بعد ذلك إلى "تمرد" ضد القمص برنابا (رئيس الدير).[١٣٠] كان القمص برنابا هو نفسه المسؤول عن نفي البابا كيرلس عندما كان راهبًا. يذكر أبونا صموئيل في روايته أنه في ٩ مارس ١٩٤٨، "أُجبر القمص برنابا على التنازل" عن منصبه

كرئيس للدير (لم يُذكر السبب)، وخدم في مناصب مختلفة، قبل أن يصبح في نهاية المطاف وكيلاً للبطريركية في الإسكندرية. يوجه أبونا صموئيل اتهامه الأخير هنا؛ ففي عام ١٩٦٠، عندما زار البابا كيرلس السادس الإسكندرية، أمر "بطرد القمص برنابا فورًا".[١٣١] أُجبر القمص برنابا على الرحيل في سن السادسة والثمانين، وعاش مع أخته في كفر الدوار بشمال مصر، "غير قادر على إيجاد مكان في أي من الأديرة"، حيث توفي في ١٣ مارس ١٩٦٣.[١٣٢]

على الرغم من أن هذا الأمر بالتأكيد كان سيئًا، علينا أن نتذكر أن رواية أبونا صموئيل كانت مغلفة بخبرته الشخصية. ولكن، حتى لو لم يكن الأمر كذلك، فهل كانت تعليقاته بشكل عام مقلقة للغاية؟ إذا كان هذا هو أسوأ ما يمكن أن يقال عن حياة إنسان، إذا فالقداسة قريبة المنال. يعترف أبونا صموئيل بلا شك أن البابا كيرلس كان صانع معجزات وأنه كان شريفًا بشكل لا يصدق في خدمته. فيما يتعلق بالانتقادات المذكورة أعلاه نفسها، تجدر الإشارة في المقام الأول إلى أنه بحلول يناير ١٩٦١، عاد أبونا صموئيل إلى ديره، وبالتالي لم يتعامل مع البابا كيرلس إلا قليلاً جدًّا في خلال المدة الأكبر من توليه البطريركية. يشير هذا إلى أن انتقادات أبونا صموئيل كانت بناءً على الإشاعات. ثانيًا، تشير الروايات الأولية المختلفة بأغلبية ساحقة إلى أن البابا كيرلس تجاهل حتمًا إشاعات الاتهامات الموجهة إلى أبونا صموئيل، وفي أغلب الأحيان كان يحقق في الأمور شخصيًّا بنفسه. ثالثًا، كان البابا كيرلس (كما سنرى) معتادًا على الحفاظ على صداقة أولئك الذين كثيرًا ما يختلفون معه ويتحدونه. ورابعًا، جميع الروايات تقريبًا بشكل جماعي (بخلاف روايات صموئيل) تتفق على أن البابا كيرلس تعامل مع المديح بازدراء.[١٣٣] فيما يتعلق بالشكوى من أن البابا كيرلس تصرف بطريقة انتقامية تجاه القمص برنابا المسن، فيمكن أن نقول بشكل معقول إن ترحيله لم يكن عقابًا، بل عدم ثقة (خاصة إذا اعتبرنا "ترحيله رغمًا عن إرادته" عن دير البرموس)؛ لم يكن هذا انتقام، بل حل ملائم. سيكون هذا الرأي هو الأكثر

ترجيحًا عندما نفكر في معاملة البابا كيرلس لرجال الكهنوت الآخرين الذين عارضوه.

كان أبونا أغابيوس المحرقي، خلال سنوات الانتخابات الصعبة بعد وفاة البابا يوساب الثاني، يقوم بحملة ترشيح لأحد الرهبان من ديره. وأثناء ذلك قام بتشويه سمعة أبونا مينا المتوحد (البابا كيرلس السادس)، محاولاً "تشويه سمعته في بعض الأحيان حتى أمام عائلة أبونا مينا. ولما سمع أبونا مينا بذلك أجاب: "هذا فقط بدافع الحماسة يا أبنائي".[١٣٤] وبعد تنصيبه بطريركًا، دعا البابا كيرلس السادس أبونا أغابيوس وعينه كاهنًا لكنيسة مارمينا بمصر القديمة. خاف أبونا أغابيوس من أن يحدث ما هو أسوأ، واعتقد أنها كانت خدعة لمراقبته بعناية والسعي في النهاية إلى الانتقام منه. ولكن بدلاً من ذلك، بعد ثلاث سنوات، رسم البابا كيرلس أبونا أغابيوس مطرانًا على أكبر أبروشية في السودان. كان أبونا أغابيوس (لاحقًا المطران الأنبا اسطفانوس) يروي هذه القصة مرارًا وتكرارًا وهو يبكي.[١٣٥]

يتكرر هذا التوجه الإخلائي مرارًا وتكرارًا في محاضر اجتماعات المجمع القليلة المتبقية. إحدى الروايات الرائعة هي حادثة تتعلق بالأنبا غبريال رئيس دير القديس الأنبا أنطونيوس (١٩٥١-١٩٦٥) - لعب الأسقف نفسه دورًا حيويًا في عزل البابا يوساب الثاني. كان الأنبا غبريال، لأسباب غير معلنة، ينشر رسائل تهين وتحط من قدر البابا كيرلس السادس، وكان يأمل أن البابا كيرلس السادس سيعاني المصير نفسه لسلفه. وكرد فعل، اجتمع المجمع للتحقيق في هذا الأمر ومناقشته في ٢٢ يونيو ١٩٦١، بالإضافة إلى التحقيق في عدد من الاتهامات التي لا تقل أهمية (ذات طابع لاهوتي) ضد الأنبا غبريال.[١٣٦] سُجل في محضر الاجتماع أن البابا كيرلس قال "أنا حزين جدًا أن أحضر محاكمة أسقف في بداية بطريركيتي، على أي حال، لا تذكروا أي اتهامات تتعلق بي ضد الأنبا غبريال. أنا أسامحه وأتنازل عن حقوقي".[١٣٧] مرددًا صدى رسالة فيلبي مرة أخرى، كان البابا كيرلس، في تضحية شخصية كبيرة، يؤكد على إخلائه الكنسي؛ وسيكون هذا المنهج هو منهجه البابوي وطريقته في الإصلاح.

كان البابا كيرلس يعتزم، في اجتماع المجمع نفسه في عام ١٩٦١، التعامل مع مسألة أخرى أكثر خطورة تسببت في معاناته الشديدة، والتي، كما أقترح، قد تفسِّر المعاملة القاسية مع زملائه الأساقفة. يذكر الأنبا يؤانس مطران الجيزة قبل وفاته بوقت قصير، الأحداث غير المعروفة لذلك المجمع المصيري عام ١٩٦١، وكان الأنبا يؤانس قد رُسِم هو نفسه كما رأينا في ظروف مؤلمة من السِيمَونية المزعومة في زمن البابا يوساب.[١٣٨] يتذكر الأنبا يؤانس أن البابا كيرلس استدعاه (بصفته سكرتيرًا للمجمع) وطلب منه، دون مزيد من التفاصيل، أن يدرج في جدول الأعمال "الرسامات التي حدثت في زمن الأنبا يوساب الثاني". قال الأنبا يؤانس:

> وافقت، لكن عندما اجتمع المجمع، ظللت أعدد بنود جدول الأعمال المختلفة وتجاهلت عمدًا موضوع الأساقفة الذين تمت رسامتهم على يد البابا يوساب، والذي طلبه البابا كيرلس أكثر من مرة. وفي ختام الجلسة طلبت من البابا أن يصلي صلاة الختام. وبعد ذلك غادر بوجه حزين.[١٣٩]

في وقت متأخر من تلك الليلة، أيقظ خادم الأنبا يؤانس وأخبره باستدعائه فورا لحضور اجتماع مع البابا كيرلس والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف. بدأ البابا كيرلس يتكلم بصوت عميق وحزين، "أنت تعلم أنني أصلي قداسًا يوميًّا، لكن الليلة شعرت في داخلي بشيء تجاهك، وأردت إنهاء الأمر قبل أن أصلى القداس في الصباح... لقد طلبت منك رفع موضوع معين إلى المجمع المقدس كنت أنت على علم به ولا أعلم إن كنت قد قمت بتجاهله أو نسيانه. يذكر الأنبا يؤانس أنه قال:

> لم أنس، ولكنى تجاهلت الموضوع عمدًا تعاطُفا معك ومن أجل أن تكون معنا في وحدة مقدسة؛ لأن رسامات الأساقفة في زمن البابا يوساب كانت تتم في الغالب بالطريقة نفسها. لذا إذا رفضت هذه الرسامات الآن، فهذا يعني أنك ستضطر إلى سحب الثقة من المجمع."[١٤٠]

وعندما أدرك البابا كيرلس مدى انتشار هذه الممارسة وإلى أي مدى ستكون الفضيحة إذا تم استجواب غالبية المجمع، "نظر إلى الأرض وبعد فترة من الصمت

وقف وقال، 'إذن أعطني الحِل يا أبي' ". ويختتم الأنبا يؤانس قائلاً: "لقد حاللنا بعضنا البعض، وغادرنا الاجتماع ونحن على علاقة جيدة".[141] على الرغم من أن البابا كيرلس كان ينوي مواجهة المجمع بشكل مباشر - على الأقل أن يوضح بصورة جزئية تعامله المبدئي مع الأساقفة بسبب سيمونيتهم - فقد رأى مرة أخرى بحكمة أن يتجاوز عن مثل هذا الشر العظيم بدلاً من جر الكنيسة إلى محاكمة مأساوية أخرى. ومن هذا الوقت يبدو أن موقف البابا كيرلس تجاه أساقفته قد تغير بصورة كبيرة.

أما بالنسبة إلى الأنبا يؤانس، فلا يسعنا إلا أن نتخيل أنه لم يستخف بالاقتراح (وإن كان تم تجاهل الاقتراح). لكنه كان يعلم جيدًا أن البابا كيرلس كان على علم بسيمونيته المزعومة، خاصة وأن تلاميذ البابا كيرلس في مدارس الأحد (اثنان منهم أصبحا أساقفة في عام ١٩٦٢) قد عارضوا علانية رسامة الأنبا يؤانس. وقد تشير الأحداث اللاحقة إلى أن الأنبا يؤانس لم يغادر اجتماع المجمع وهو على علاقة جيدة بالبابا كيرلس كما افترض وادعى.

وعلق ذات مرة البابا الراحل شنودة الثالث: "لم ينجح أي شخص من الذين عارضوه".[142] كانت العواقب وخيمة في كثير من الأحيان ضد من تجرأ على التآمر ضد البابا كيرلس؛ كانت سيرهم المؤسفة متناثرة في جميع المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة، وباعتباره "قديسًا"، كان الأمر، كما كان كثيرون يقولون، إن الله نفسه كان يحميه.[143]

في عام ١٩٦٠، على سبيل المثال، حرم البابا كيرلس عائلة قبطية رائدة وقوية من "حقهم المعتاد" في اختيار الأسقف لأبرشية جرجا (أبروشية البابا يوساب السابقة). شرع رب الأسرة العنيد في إجراء "انتخابات مصغرة"، واختيار اسم واحد من الرهبان الثلاثة من الصندوق، وجميعهم كانوا "كهنة في المدينة خاضعين لسيطرة هذه العائلة".[144] مات هذا الرجل نفسه فجأة بعد ذلك بوقت قصير، وسافر باقي أفراد الأسرة، الذين لم يردعهم الموت بطريقة ما، إلى القاهرة لإخطار البابا كيرلس باختيارهم فرفض، فقاموا بتهديده قائلين: "سنتحول إلى الكاثوليكية ما لم تختر

الشخص الذي نريده". "لا لا لا..." رد البابا كيرلس بصوت مثل الرعد.[١٤٥] يبقى حتى الآن مصير هؤلاء الناس مجهولاً.

يتذكر أبونا رافائيل آفامينا، قصة أخرى مؤسفة عن شخص تظاهر بأنه المتحدث باسم أبروشية، وأعرب عن رفضه لرسامة راهب ما أسقفًا قائلاً: "إذا رسمته لنا، فسوف نعيده إليك!" ردًا على ذلك، صرح البابا كيرلس، "منك لله، منك لله..." لم يصل الرجل الفقير إلى منزله إذ صدمته سيارة وقتل.[١٤٦] آخر قال له البابا كيرلس الكلمات نفسها وأصيب بسكتة دماغية.[١٤٧] وكاهن مشهور لم يتب عن إهاناته اللفظية الشديدة للبطريرك لم يكمل الليلة قبل أن يموت بنوبة قلبية مفاجئة.[١٤٨]

كانت حادثة وفاة أحد المطارنة هي أكثر أمر أزعج البابا كيرلس. ففي قرب نهاية عام ١٩٦٢، ربما بسبب محاولة البابا كيرلس التحقيق في مسألة السيمونية في المجمع المقدس عام ١٩٦١، سعى مطران الجيزة الأنبا يؤانس إلى تعيين لجنة لعزل البطريرك.[١٤٩] يقترح البعض، مثل أبونا رافائيل، أن دافع الأنبا يؤانس كان أن البابا كيرلس كان "رجلاً غير متعلم وليس لديه أولويات غير الصلاة".[١٥٠] لكن توقيت هذه المحاولة كان بسبب موضوع السيمونية في الأساس. سافر الأنبا يؤانس إلى جميع أنحاء مصر لجمع التوقيعات، وحرض عددًا ليس بقليل من الأساقفة ضد البطريرك، قبل أن يعود في النهاية إلى أبروشيته. كان البابا كيرلس قد بدأ لتوه صلاة الغروب في الكاتدرائية في الإسكندرية عندما تم إخطاره بالمؤامرة. وبينما كان يرفع البخور بالقرب من أيقونة القديس مارمرقس الرسول، سُمع أنه يقول، "يا مارمرقس، ستكون هذه آخر مرة آتي فيها إليك... سأذهب إلى البرية ولن أعود أبدًا إذا نجح مشروع هذا الرجل".[١٥١] عُثر على الأنبا يؤانس مطران الجيزة ميتًا في مقر إقامته في اليوم التالي على بعد حوالي ٢٥٠ كيلومترًا. وكما ذكرت جريدة الأهرام في ١٢ فبراير ١٩٦٣:

> توفي الأنبا يؤانس، مطران الجيزة والقليوبية، أمس، على فراشه بمبنى الكاتدرائية بالجيزة. أخذ المطران ملعقة واحدة من الدواء من الزجاجة الموجودة بجوار سريره. وشعر على الفور بألم حاد. حاول أحد الأطباء إنعاشه لكنه فارق الحياة. كان

الطبيب يعالجه في الأصل من التهاب الشعب الهوائية، لكن المطران أخذ بالخطأ الدواء الذي تسبب في وفاته. طلبت الشرطة أثناء التحقيق أن يفحص الطبيب الشرعي جسده ويستخرج السائل لتحديد محتويات هذه الزجاجة.[١٥٢]

تكثر القصص حول محتويات الزجاجة، ولكن الكل يتفقون على أنها كانت تحتوي على مبيد حشري وأن الخادم تركه في الغرفة عن غير قصد.[١٥٣] بينما كان البابا كيرلس يصلي على الجسد في الجنازة، سمعه العديد من الناس يبكي بصوت عالٍ ويقول: "كل هذا... لماذا؟ من أجل بضع صفحات من الورق عليها توقيعات".[١٥٤]

تكررت هذه القصة في المصادر كثيرًا ولا سيما في الذاكرة الجماعية والشعبية، مع ذكر خاص لأسقفين آخرين زُعم أنهما تآمرا مع الأنبا يؤانس على البابا كيرلس؛ وكلاهما قتل، كما تقول المصادر في حادث قطار أثناء جمع التوقيعات. هذه مشكلة لعدة أسباب: أولاً، لم تذكر السجلات الكنسية أي أساقفة في عهد البابا كيرلس السادس قتلوا في حوادث قطارات. ثانيًا، لم يمت أسقفان في اليوم نفسه خلال فترة باباويته؛ وثالثًا، تم الإبلاغ عن الشيء نفسه بالضبط في عام ١٩٥٦ عندما سعى أسقفان للحصول على توقيعات (من المفارقات) ضد البابا يوساب الثاني.[١٥٥] من المحتمل إذن أن يكون هذا انعكاسًا لمحاولة "توليف القداسة" مع تبديل الأحداث، وبالتالي، يجب إجراء تصحيح ضروري: تصرف الأنبا يؤانس بمفرده بقدر ما تشير الأدلة.[١٥٦]

يتذكر تلاميذه أن البابا كيرلس على الرغم من هذه المؤامرة، كان يذكر الأنبا يؤانس في كل قداس لمدة أربعين يومًا متتالية. لم يكن يشعر بالفرح أو الانتصار. لم يكن عدوه هو من مات، بل ابنه. بغض النظر عمن كان يعارضه، يعلق أبونا ميخائيل داود، أن البابا كيرلس "اعتبر نفسه مسؤولاً عن شفاء تلك النفوس كراعٍ يبحث عن خرافه الضالة".[١٥٧] وعلى الرغم من أنه كان قاسيًا في البداية مع هؤلاء الأساقفة أنفسهم، إلا أن البابا كيرلس غيَّر موقفه في وقت مبكر جدًّا. هؤلاء الأساقفة، بغض النظر عن أنهم اشتروا (مارسوا السيمونية) رتبة الأسقفية أو ما هو

أسوأ، فقد كان يعتبرهم أبناءه. عندما عاقب المجمع بعد بضع سنوات الأنبا أبرام أسقف الأقصر (١٩٤٩-١٩٧٤)، كان البابا كيرلس هو الذي خفف العقوبة بشكل كبير. وفي مناسبة أخرى، يتذكر أبونا صليب سوريال أنه ناشد البابا كيرلس أن يقوم بتأديب مجموعة من الأساقفة الجامحين: "ما لك يا أخي؟" رد البطريرك. "هؤلاء هم أبنائي. أنا هنا لأعلِّمهم. وأنا الذي أختار كيف أعلِّمهم!"[158]

كان تعليمه، بشكل شبه دائم، هو تعليم الصمت. ومن الأحداث المميزة التي تدل على اقتنائه لفضيلة الصمت ما ذكره أحد الأساقفة المعاصرين له؛ عندما جلس البابا كيرلس مع مطران الخرطوم (١٩٢٢-٢٠٠٠) في بلكونة الكاتدرائية، بدأ عدد من الأساقفة والكهنة (غير مدركين أن البابا كيرلس يجلس في البلكونة فوقهم) يشتمونه - "بشتائم لا يمكن أن تسمعها حتى في الشارع" - لكن البابا كيرلس، كما يتذكر المطران، لم ينزعج تمامًا.[159] بدا الأمر كما لو أنه ببساطة لا يستطيع سماعهم. كتب أبونا رافائيل عن هؤلاء وغيرهم من الأساقفة:

> كان يعرف خططهم ورغم ذلك كان لا يزال يقابلهم بتواضع ويتحدث إليهم بحب. كل ما فعله هو الصلاة بدموع حتى تسير الكنيسة بسلام وأمان، لكنها كانت دموع نتيجة تعامل مؤلم وظالم. لم يمض فترة قصيرة فقط حتى رحلوا فيها جميعًا عن عالمنا، واحدًا تلو الآخر. كان البابا يحزن عليهم لسنوات، وكان يقول عندما يموت أي منهم: "كان الأمر كما لو أن جزءًا من روحي قد أخذ مني".[160]

يتذكر أحد تلاميذ البابا كيرلس: "دخلت مرة إلى غرفة، حيث كان أبونا مرقس داود والبابا كيرلس يتحدثان".[161] ربما يكون هذا هو السجل الوحيد الموجود، وإن كان موجزًا، لحديث خاص ونادر للبابا كيرلس مع أب اعترافه، لم يسمع سوى بضع كلمات فقط. ليس لدينا طريقة لنعرف السياق المباشر لتلك الكلمات، ولكن لا يمكننا إلا التكهن بأنها كانت مرتبطة بهذه السنوات الصعبة للغاية. سُمع أبونا مرقس وهو يتحدث في أذن البطريرك بهدوء، "هل علمتنا هذا؟ أنت لم تعلمنا هذا أبدًا...؟" همس البابا كيرلس قائلاً "إذن ماذا علمتك". رد أبونا مرقس "لقد علمتنا

أن نتحلى بالصبر وطول الأناة".[١٦٢] انتهى الاعتراف عند هذا الحد، أو على الأقل الجزء الذي سُمِع منه.

عاش البابا كيرلس لعدة عقود، نسكًا إخلائيًّا شخصيًّا، وهي وسيلة للخسارة، ولكن يبدو أنه بصفته بطريركًا، تصارع في البداية حول كيفية تطبيق ذلك على مستوى رتبة البطريركية. المعاناة من الخسارة الشخصية شيء؛ ولكن كيف سيتم النظر إلى "الخسارة على مستوى البطريركية"، خاصة مع الصعوبات المستعصية تقريبًا في تلك الفترة، في كنيسة دمرتها السيمونية، وترأسها لمدة عقود بطاركة لا يمكن المساس بهم ولا يمكن الوصول إليهم؟ يبدو أنه في هذه المرحلة المبكرة من بطريركيته، اختبر سيطرة ملموسة وتراكمية من حياة النسك وإخلائه التي عاشها سابقًا على رتبة البطريركية، الأمر الذي من شأنه أن يغيِّر هياكل المعنى الأساسية ليس فقط في حياته، ولكن الأهم من ذلك بكثير في حياة الكنيسة.[١٦٣] قد يفسِّر هذا أيضًا ليونته المبكرة تجاه الأساقفة زملائه (والذين غالبًا كانوا يتخذون موقفًا عدائيًا تجاهه).

ومع ذلك سيكون هناك صراع شديد؛ صراع بدموع. كتب البابا كيرلس، في رسالة إلى صديق عزيز في أواخر أغسطس ١٩٦٢ لا تتحدث عن هذا "الحزن" فحسب، بل تتحدث أيضًا عن "الراحة" الروحية السرية الدائمة التي كان يتلقاها البابا في وسط هذه، المعاناة ما يلي:

> يمكنك أن تلاحظ أن تاريخ هذه الرسالة هو قبل خمسة عشر يومًا، أردت أن أكتب إليكم يوميًّا، لكن الله يعلم أن ذلك بسبب كثرة الحزن والصعوبات... لم أتمكن من كتابة سطر واحد، لكن الرب القدير، الذي يعزينا في كل الأوقات بروحه المعزي القدوس، قد عزانا خلال هذه الأيام. نشكره من كل قلوبنا، ونسأله أن يسدد احتياجاتنا بحسن تدبيره.[١٦٤]

جمال من الرماد: إلقاء المال في الصحراء

ليس كل رجل هادئ متواضعًا، لكن كل رجل متواضع هادئ
القديس مار إسحق السرياني

التواضع الحقيقي ليس أن تنظر إلى نفسك على أنك أقل،
بل إنه أن تفكر أقل في نفسك

سي. إس. لويس

قيل لنا إن البابا كيرلس كان لديه كراهية شديدة للمديح منذ أيامه الأولى. في زيارة لأحد الأديرة في الإسكندرية، جلس خلال القداس يستمع إلى عظة كاهن من المدينة، وكان البابا كيرلس عادة يرفض أن يعظ. بدأ الكاهن يذكر المعجزة التي حدثت قبل أيام فقط بصلوات البطريرك. وقف البابا كيرلس على الفور وغادر. وعندما عاد أخيرًا، قال أحد تلاميذه: "يمكن للمرء ملاحظة أنه كان يبكي".[١٦٥]

يتذكر المقربون منه انزعاج البابا كيرلس الحقيقي عندما ظهر حدث خارق للطبيعة. على سبيل المثال، عندما صرخت فتاة صغيرة قائلة إن هناك ضوءًا غير طبيعي يحيط بالبابا كيرلس، أدار وجهه في حزن وسمع وهو يصلي، "احميني، يا الله. احميني!"[١٦٦] لم يكن الأمر مختلفًا في البطريركية بين تلاميذه. كان يشعر دائمًا بأنه غريب. وكلما اهتموا به، كان يهز رأسه بلطف مغمغمًا، "الولد أصبح بطريركًا".[١٦٧]

لكي نستطيع أن نعرف كيف أدرك البابا كيرلس التواضع، يجب أن نعود مرة أخرى إلى مرشده الروحي مار إسحق السرياني: "إن كونك هادئًا أو لطيفًا أو وديعًا بطبيعتك ذاك ليس تواضعًا حقيقيًا، لأن هناك فرقًا بين التواضع 'الطبيعي' والفائق للطبيعة' ".[١٦٨] التواضع الحقيقي، بالأحرى، هو اتحاد بتواضع المسيح نفسه، وهذا يستلزم قبل كل شيء اقتناء السكون في وجه التجربة والضيقة، كما فعل المسيح.[١٦٩] يقول مار إسحق: "حتى لو سقطت السماء والتصقت بالأرض، فلن يفزع الإنسان

المتواضع".[١٧٠] ومن أبرز مظاهر هذا التواضع الحقيقي هو احتمال الإهانة بصمت.[١٧١] "الرجل الذي يحتمل الاتهامات الموجهة إليه باتضاع؛ قد وصل إلى الكمال".[١٧٢] يقول مار إسحق:

> هذه ستكون علامة لك: قوة الإغراءات التي تواجهك. كلما اقتربت وتقدمت، تتضاعف الإغراءات ضدك. اعلم أنه في ذلك الوقت دخلت نفسك سرًّا إلى مستوى جديد وأعلى؛ لأن الله يقود النفس إلى ضيق التجارب بنسبة دقيقة تقاس إلى عظمة النعمة التي يمنحها.[١٧٣]

قد يفسر هذا جزئيًّا تزايد محنة البابا كيرلس بصورة غريبة حيث أصبحت معجزاته تتجلى بشكل متزايد، وفيما يتعلق بتقدمه الروحي، لا يسعنا إلا أن نجرؤ على افتراض الشيء نفسه.[١٧٤] يستنتج مار إسحق أن التواضع من أجل الله يجعل الإنسان مثل الطفل، "وقلة حيلة الأطفال الصغار تجبر الله على الاعتناء بهم بشكل خاص".[١٧٥] الله وحده هو الذي يدافع عن المتواضعين في مواجهة الإهانة. وبداية التواضع هو الإهانة.

العبارة التي كتبها البابا كيرلس أمام قلايته في البطريركية والتي نجدها في رسائله كثيرًا هي مقولة خاصة للقديس مار إسحق: "الذي يجرى وراء الكرامة تهرب منه؛ وأما من يهرب منها، فهي تجرى وراءه وترشد الناس عنه منادية بتواضعه".[١٧٦] لا يوجد موضوع سائد في مجلة ميناء الخلاص، التي كتبها في سنواته الأولى كراهب، في جميع المجلدات مثل التواضع. وفي رسالة نادرة إلى أبونا مكاري السرياني (الأنبا صموئيل لاحقًا)، كتب البابا كيرلس عن حبه للتواضع. فيكتب: "حقًا، يا ابني، أنا حزين جدًّا لأنني لا أستطيع اقتناء التواضع حتى الآن".[١٧٧] بغض النظر عن تقدمه الروحي وجهاده النسكي، كان البابا كيرلس يسعى جاهدًا لكي يقتنى التواضع.

عندما ألححت في السؤال على أبونا رافائيل (أقرب تلاميذه) عن سر قوة البابا كيرلس، أجاب بعد بضع لحظات من التفكير، "لقد أحاط نفسه بالذين عارضوه وليس بالذين يتملقونه".[١٧٨] هم، في رأي البابا كيرلس، سوف يحافظون على تواضعه.

عندما كان البابا كيرلس راهبًا شابًّا، كما رأينا في المراسلات الحارة مع أخيه الصريح حنا، وبخ حنا أبونا مينا على رغبته في الوحدة. وبعد ذلك بعدما رسم بطريركًا، أبقى البابا كيرلس شقيقه قريبًا للسبب نفسه. يتذكر أبونا رافائيل آفامينا قائلاً:

> كنت أخدم البطريرك لمدة خمس سنوات، ولم تكن هناك مرة واحدة أخبره فيها [حنا] أنه جيد، أو أنه قديس. بدلاً من ذلك، كان يسأله في كل مرة لماذا فعلت هذا أو ذاك. ولهذا السبب على وجه التحديد احترمه البابا كيرلس بشدة. لو أن [حنا] كان يمدحه لم يكن سيظل على علاقة به.[١٧٩]

أما أولئك الذين حاولوا تملق البابا كيرلس، على العكس من ذلك، قوبلوا تمامًا بعدم الاهتمام. في يوم انتخابه بطريركًا، ١٩ أبريل ١٩٥٩، وصل ضيف غير متوقع (أو ربما كان متوقعًا). بعد طرده من البطريركية قبل بضع سنوات، أصبح مِلِك؛ سيئ السمعة والفاسد وخادم البابا يوساب الثاني، مصدر إحراج لمدينة جرجا مسقط رأسه. أقام في كلوت بك (وشاع أنه يمتلك المبنى) الذي يقع مقابل الكاتدرائية القديمة.

طلب مِلِك من الرهبان تلاميذ البابا كيرلس في مارمينا في مصر القديمة: "أريد أن أقابل أبونا مينا المتوحد". فأجابوا: "إنه مشغول في الوقت الحالي". كرر مِلِك الغاضب: "أريد أن ألتقي به، أريد أن أكون يده اليمنى وخادمه... الناس في البطريركية كلهم أشرار... أخاف عليه ويمكنني حمايته. لا أريد منه حتى مليمًا!" نقل الرهبان ما حدث إلى أبونا مينا، الذي قال لهم أن يقدموا لمِلِك مشروبًا وأن يصرفوه بتعليمات صريحة: "لا يبقى هنا".[١٨٠] على الرغم من أنه بعد رسامته، كان البابا كيرلس يسمح لمِلِك المسن بحضور الصلوات الليتورجية في البطريركية، إلا أنه كان دائمًا يبقي الرجل الخبيث بعيدًا، ولكن حتى في ذلك الوقت، كما يشهد تلاميذ البابا كيرلس، فقد عامل البابا كيرلس مِلِك بحب أبوي، وفي إحدى المرات شفاه على ما يبدو من مرض في معدته.[١٨١]

سواء كان مع أب اعترافه، أو شقيقه حنا، أو العديد من الأساقفة الصريحين (والتلاميذ السابقين) الذين رسمهم، فقد أحاط البابا كيرلس نفسه بالحق. سأل أبونا

رافائيل "لماذا أحب هؤلاء الناس؟ لأنهم عارضوه!"[١٨٢] جعلوه يظل متواضعًا. في إحدى المرات، أعطى البابا كيرلس، وهو يشعر بالتعب الشديد من أحداث هذا اليوم، لتلميذه كومة من الرسائل الواردة وطلب منه أن يفتحها ويقرأها له. أخبر التلميذ البابا كيرلس أنه لا يستطيع قراءة هذه الكلمات المهينة والتي تحط من قدره، وأخبره بأنها غير لائقة وطلب منه أن يأذن له أن يتخلص منها على الفور. يتذكر التلميذ:

> لكن البابا أصر أن أقرأها له. بعد أن فعلت ذلك، ابتسم وقال، "لا تقلق يا بني، ولا تنزعج؛ فلينظر الرب إليَّ ويرحمني. لقد قيل أسوأ من ذلك كثيرًا، ولكن شكرا للرب أنه خلصني وحماني".[١٨٣]

سيحدث الشيء نفسه في مناسبات كثيرة، مع إصرار البابا كيرلس دائمًا على قراءة أو سماع تلك الرسائل المؤلمة. عندما تم فحص الأدراج الخاصة به بعد نياحة البابا كيرلس، كانت في الغالب فارغة، باستثناء تلك الرسائل وما شابهها المليئة بكلمات السخرية والاستهزاء والاحتقار. من الواضح أنها كانت الرسائل الوحيدة التي اعتقد البابا كيرلس أنها تستحق الاحتفاظ بها.[١٨٤]

سافر البابا كيرلس بعد شهر من تنصيبه بطريركًا، في ٢٢ يونيو ١٩٥٩، إلى صحراء مريوط، على بعد خمسة وأربعين كيلومترًا جنوب غرب الإسكندرية. ستكون خطوته الأولى نحو الإصلاح؛ خطوة من شأنها أن تقلب المجلس ضده بشكل قاطع وتثير احتجاجًا من الأقباط والأجانب على حد سواء. كان البابا كيرلس (الذي كان آنذاك راهبًا) مفتونًا لعقود من الزمان بمارمينا، وقد سيطر عليه حلم لا يمكن مقاومته وهو إعادة بناء دير مارمينا بمريوط. وبعد أن رُسم بطريركًا بأسابيع قليلة فقط، أصبح ذلك أولوية ملحة. كان هذا الأمر نقطة خلاف حادة، وبالتالي اختبار شديد للتواضع. يجب فحص هذا العمل باعتباره تتويجًا لتاريخ من افتتان البابا كيرلس بمارمينا ولفهم كل من البابا كيرلس وفهمه غير المتوقع للإصلاح.

في يوليو ١٩٠٥، اكتشفت بعثة ألمانية مجمع مزار ودير أبو مينا بعد ما يقرب من ألف عام، ليتم إهماله مرة أخرى في عام ١٩٢٠.[١٨٥] وعندما استشعر الفرصة، طلب

البابا كيرلس (حينها أبونا مينا) في أوائل عام ١٩٣٧ الإذن من البابا يؤانس التاسع عشر لإعادة بناء دير مارمينا في مريوط. فرد البابا يؤانس "هل انتهينا من إعادة بناء المدن حتى نبدأ في إعادة بناء الصحراء؟"[١٨٦] مع اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، وطرد أبونا مينا من الطاحونة عام ١٩٤١، وموت البابا يؤانس في عام ١٩٤٢، لم يحدث أي تقدم يذكر بخصوص هذا الأمر. لكن الغريب أن مارمينا لم يترك الموقع. في أكتوبر ١٩٤٢، سجلت صحف مختلفة ظهورًا مزعومًا للقديس في معركة العلمين المحورية، حيث زعموا حماية القديس للحلفاء من هجوم روميل.[١٨٧]

نزح أبونا مينا بعد إخلائه من الطاحونة، وسافر إلى الإسكندرية في منتصف عام ١٩٤٣ للقاء الأمير عمر طوسون (١٨٧٢-١٩٤٤) الذي "شجع" هذا الأمر، إذا وافقت البطريركية.[١٨٨] في غياب وجود بطريرك، سمح مدير وزارة الآثار العربية للأب مينا "بممارسة الطقوس الدينية" في الموقع بانتظار الموافقة الرسمية.

كتب أبونا مينا المتوحد في ٢٨ يونيو ١٩٤٣ متوسلاً إلى حبيب المصري للحصول على إذن المجلس: "أرجوك ساعدني في تنفيذ هذه الفكرة الجليلة والسامية، قبل أن يسبقنا شخص آخر ويفعلها. خاصة أن الشهيد مصري ويجب أن تكون آثاره تحت أيدينا وليس أيدي غيرنا".[١٨٩] تمكن أيضًا أثناء إقامته في الإسكندرية، من مقابلة بانوب حبشي، الذي شارك معه في تأسيس جمعية مارمينا.[١٩٠] ولكن مع وفاة الأمير عمر طوسون والخلافات الفوضوية التي حدثت في أعقاب رسامة البابا مكاريوس الثالث، تلاشى الحلم مرة أخرى.[١٩١] حاول مرة أخرى بعد سنوات قليلة، ولم تردعه الاضطرابات التي صاحبت انتخاب البابا يوساب الثاني (وقبل رسامة البابا يوساب بقليل). كتب أبونا مينا المتوحد لأخيه في ١٤ مايو ١٩٤٦:

> نتحلى في هذه الظروف بالهدوء والصمت، ونشكر الرب على كل حال، ونطلب مساعدته وسنده، وأن يمنحنا دير مارمينا في مريوط حتى نبدأ في تجديده والبدء في إقامة القداسات هناك. من فضلك يا حنا، ابذل قصارى جهدك بخصوص هذا الموضوع لأنه مهم جدًّا جدًّا جدًّا![١٩٢]

لم يحصل أبونا مينا إلا على رد صغير. وتعزية قليلة، حيث منحته وزارة الآثار العربية تصريحًا رسميًا في عام ١٩٤٨ لإقامة الطقوس الدينية في الأعياد في مريوط. سوف يقضي العقد القادم بطريقة مماثلة. كان يتم تقديم طلب كل بضع سنوات إلى البطريرك والوزراء المسئولين من أجل أن يقيم بشكل دائم في الموقع، وكان دائمًا يؤكد: "أتعهد بإعادة بناء الدير على نفقتي".[١٩٣]

بعد نياحة البابا يوساب الثاني في الخامس من مارس ١٩٥٨، ووسط الخلافات، وترشيحه للبطريركية، تلقى أبونا مينا فجأة كلمة مفادها أن المجلس قرر إعادة بناء دير مارمينا. كتب أبونا مينا بحماسة شديدة إلى منير شكري (رئيس جمعية مارمينا آنذاك):

> أكتب إليكم هذه الرسالة عند منتصف الليل، كنت فرحًا وسعيدًا بهذه الأخبار لدرجة أنني لم أستطع النوم قبل كتابة هذه الرسالة لك. قد تندهش، لكن إذا كنت تعرف السبب، فلن تندهش. لابد أن تعلم يا ابني العزيز أنني أتيت إلى الإسكندرية عام ١٩٤٣ والتقيت بالمتنيح بانوب حبشي، وعرضت عليه فكرة صلاة القداس والعيش في دير مارمينا. لكن إرادة الله لم تسمح بحدوث ذلك في ذلك الوقت حتى يحين الوقت المحدد، وأراد الله أن يحقق الآمال. خلال هذه الأيام...[١٩٤]

بهذه الكلمات تنتهي الرسالة فجأة. بعد ساعة، أعاد أبونا مينا المتوحد النظر في طريقة تعامله مع الموقف، وكتب بدلاً من ذلك رسالة إلى شقيقه حنا. يبدو أنه كانت هناك قضايا حساسة متعلقة بالأمر، وكان يأمل أن يتمكن شقيقه من مناقشة هذه القضايا مع منير شخصيًا. كتب أبونا مينا:

> أنا أكتب لك هذه الرسالة في ساعة متأخرة من الليل، الواحدة والنصف صباحًا، لا أعرف لماذا، ولكن ربما تكون من عند الله. أنت تعرف شوقي ورغبتي في إعادة بناء دير مارمينا في مريوط لمدة عشرين عامًا تقريبًا. الآن كل ما أتمناه هو لقاء الدكتور منير شكري بالإسكندرية ومناقشته فيما إذا كانت جمعية مارمينا مسجلة وما إذا كان قد أبلغهم بقرار إصلاح المذبح، لأني أرغب في المشاركة في

هذا المشروع؛ لكنني أعتزم حتى تسجيل كل شيء باسم دير مارمينا، لأن الجشع الشديد للأطراف الأخرى كان واضحًا جدًّا... في انتظار ردكم السريع... أناشد الرب يسوع القدير أن يعلن إرادته ويمنحني رغبة قلبي لأرى بعيني تجديد هذا الدير.[١٩٥]

كان يبدو أن الأمور تتقدم أخيرًا. "أما بالنسبة للقديس مارمينا"، فنجد رسالة غريبة من أبونا مينا إلى شقيقه في ٢٣ يونيو، "إن مارمينا يصر دائمًا على تجديد دير مريوط".[١٩٦] على الرغم من الشعبية والاستقرار النسبيين اللذين كان ينعم بهما (وإن كان ذلك مع اضطهاد الرؤساء من حين لآخر) على مدى العقدين الماضيين في كنيسته في مصر القديمة، إلا أنه كان مستعدًّا للتخلي عن كل شيء في لحظة لكي يذهب إلى مارمينا في مريوط. رغم أنه مكان لا يمكن الوصول إليه من خلال طريق ممهد، ومن دون ماء أو الاحتياجات الضرورية وعبارة عن صحراء جرداء. كانت الراحة والاستقرار والشعبية لا تعني شيئًا بالنسبة له. ولهذا السبب بالتحديد نصور تاريخ الافتتان هذا. لم يشغل باله شيء على مر السنين مثل هذا. ولكن فجأة بدأ الحلم يتلاشى مرة أخرى. ستكون هذه الرسالة هي الأخيرة التي نسمعها عن الدير، حيث تم تأجيل الأمر بسبب المخاوف الأكثر إلحاحًا وهي الانشقاق الكنسي في أواخر عام ١٩٥٨، وفي النهاية، بسبب ترشيحه وتنصيبه بطريركًا.

لا يسعنا إلا أن نتخيل سعادته عندما انطلق البابا كيرلس إلى مريوط في ٢٢ يونيو ١٩٥٩ لتكريس الموقع.[١٩٧] ثم عاد بعد بضعة أشهر في ٢٧ نوفمبر، ومعه قافلتان من السيارات، واحدة من القاهرة والأخرى من الإسكندرية، في الموقع المهجور. أقيم مذبح فوق قبر مارمينا، وتم الاحتفال بقداس في الهواء الطلق. عندما طلب منه بعض الحاضرين أن يستريح على كرسي رائع مُعد خصيصًا له، رفض البابا كيرلس بغرابة: "هذا الكرسي للقديس مارمرقس [مؤسس الكنيسة القبطية]".[١٩٨] قليلون قد يفهمون ما قصده. بعد ذلك، توجه البابا كيرلس إلى موقع قريب ووضع حجر الأساس لما سيصبح في النهاية دير مارمينا الضخم.[١٩٩] بعد أكثر من ألف عام، "عادت الحياة إلى

المزار".[200] قال البدو المحيطين إن البطريرك كان "فأل خير" حيث سقطت الأمطار إيذانًا بوصوله منهية الجفاف المستمر.[201]

لم يقتنع آخرون بذلك. كانت الخطوة الأولى التي اتخذها البابا كيرلس نحو الإصلاح غير مرحب بها على الإطلاق بالنسبة لمعظم الناس. كتب واكين منتقدًا البابا كيرلس في أوائل الستينيات:

ترمز الحادثة من بعض النواحي، إلى عهد البطريرك الجديد، العظمة الدينية التي أظهرها زعيم كاريزماتي يعاني، في رأى السياسيين، من أعراض الانسحاب. كانت الكنيسة محاصرة، والأقلية قلقة، والرئاسات الكنسية، ورجال الكهنوت والرهبان في حالة من الفوضى، والكنيسة مصابة بالاضطراب، والبطريرك يضع حجر الأساس في مكان مهجور لإنشاء دير آخر.[202]

كما أُصيب جيمس ويلارد مراقب بريطاني آخر بالإحباط وعلق في دراسته:

لقد أذهلني أحد الأديرة على وجه الخصوص لأنه يرمز إلى تراجع الكنيسة المصرية. لقد قيل لي إن هذا المشروع عزيز على قلب البطريرك الحالي... سيكون بالتأكيد تابوتًا ضخمًا [قبرًا فارغًا]، لكني أتساءل: من سيزوره، من يحتاج إليه؟ من إذن يملأ القلالي في حين أن الأديرة القديمة فارغة تقريبًا وستكون فارغة لولا قلة من كبار السن الذين يعتبرونها أماكن للتقاعد.[203]

ومع ذلك، كان الإصلاحيون الأقباط (خاصة المجلس، كما سنرى قريبًا) هم الأكثر صخبًا في شجب النفقات المهدرة والجهود المبذولة على دير "غير ضروري". حتى أقرب تلاميذ البابا كيرلس بدأوا في التذمر. يتذكر أبونا صليب سوريال: "كلنا كنا نقول ما هذا الرجل؟ أخذ أموال الأقباط ورماها في الرمال!"[204] وشعر الكثيرون ببساطة بالفزع والحيرة إزاء ما اعتبروه بادرة غير فعالة سياسيًّا واجتماعيًّا.[205] علق أبونا رافائيل "لكن البابا كيرلس رأى ما لم نتمكن من رؤيته، وعرف ما لم نكن نعرفه".[206] من المتصور أن هذا هو ما ألمح إليه البابا كيرلس عندما كتب إلى أخيه بطريقة غامضة أن مارمينا كان "يصر دائمًا" على إعادة بناء الدير.

لكن واكين كان على الأقل في بعض النواحي على حق. كانت خطوة البابا كيرلس لإنشاء دير مارمينا "رمزية" بالفعل، وكان بالتأكيد في حالة "انسحاب". لقد كان بناء الدير رمزًا لكل من شخصه وطريقته في الإصلاح، حيث كان إعادة اكتشاف لضرورة الصلاة والقداسة. أما بالنسبة "لأعراض الانسحاب" التي يعاني منها البابا كيرلس في رحيله عن حياة الوحدة، فقد كانت تمثل أعراض الكنيسة بشكل عام. كان بالضبط لأن الكنيسة كانت "محاصرة" و"قلقة" و"في حالة من الفوضى" و"مجروحة بالاضطرابات". في "الانسحاب" كما يتهمونه - وضع البابا كيرلس بسبب الحاجة الملحة حجر الأساس لدير "آخر".

قلة في ذلك الوقت يمكن أن يدركوا "تألق حركة البابا كيرلس".[٢٠٧] في مارمينا، الذي سيصبح في النهاية واحدًا من أكبر الأديرة وأكثرها زيارة في مصر، أعاد البابا كيرلس إحياء فكرة المولد، أي مفهوم الحج. في القرون السابقة للكنيسة، عمل المولد على توحيد وإحياء الروابط التي علت فوق الانقسامات الاجتماعية والاقتصادية والطبقية. لقد كانت هذه الاحتفالية الدينية (المولد) ذات طبيعة جماعية عميقة، وبالتالي، كانت قوية في قدرتها على شفاء الانقسامات الجماعية والكنسية التي ميزت نصف القرن الماضي.[٢٠٨] كان البابا كيرلس يستغل تيارًا غنيًا وقويًا ويجعله في الحال مرئيًّا وحاضرًا ومعاصرًا من أجل شعبه. من الجيد أن نتذكر أنه عندما كان صبيًّا صغيرًا، كان البابا كيرلس، بقدر ما نستطيع أن نقول، قد أحب وارتبط بالقديس مارمينا في واحدة من هذه الاحتفاليات. على حد علمي، فإن باحثة واحدة فقط، هي نيللي فان دورن-هاردر، قد أدركت وعبَّرت بوضوح عن الجاذبية المطلقة لهذا العمل الذي قام به البابا كيرلس.[٢٠٩]

وهي تجادل بشكل مقنع بأن إحياء ذكرى قديس مشهور، ولكنه "ليس شفيعًا لكثيرين" عمل على إعادة توجيه مفهوم زيارة الأديرة إلى قلب العقيدة القبطية. إلى موقع بالقرب من الإسكندرية - "ليس بعيدًا جدًّا وليس قريبًا جدًّا" - موقع جيد جغرافيًّا وبالتالي يمكن الوصول إليه بسهولة. هناك، تحت إشراف صريح من البابا

كيرلس، يجسد الرهبان إنكار الذات الجذري مثل مارمينا الذي سوف يشفي وُيشهَد له، وسوف يقتدى بحياته الرجال والنساء العلمانيين في حياتهم اليومية.[٢١٠] لذلك أعاد ترميم دير مارمينا إحياء أهم المؤسسات، وبذلك أعاد تأهيل الهوية القبطية.[٢١١] على غرار نموذج البابا كيرلس للقداسة والتشكيل لـ "ذوى الجلاليب البيضاء" في مصر القديمة (عندما كان راهبًا)، سيتم الآن تعميمه على مستوى أوسع بكثير، وربما حتى على المستوى الوطني.[٢١٢] منذ ذلك الحين تم إعادة اكتشاف العديد من المواقع الرهبانية المتداعية وترميمها، لتكون بمثابة "مراكز حاسمة" للإصلاح المستمر للكنيسة وإحيائها.[٢١٣]

كان واكين والعديد من الأشخاص الذين خلفوه مخطئين بشكل محزن. كان البابا كيرلس وهو يحي الرهبنة، ويجعلها مرئية وملموسة ويمكن الوصول إليها في الحال، في الواقع يضع حجر الأساس للإصلاح، وهو حجر من شأنه في خلال سنوات قليلة أن يعيد إحياء الكنيسة، وهذا ليس ادعاءً بسيطًا أو صغيرًا. هل يمكن أن يكون هذا ما قصده البابا كيرلس عندما قال إن الكرسي المميز في الحفل كان "لمارمرقس"؟ ليشهد، بمعنى غامض، نهضة كنيسته؟

لكي نكون منصفين، كان البابا كيرلس في حالة انسحاب. على الرغم من أنه كان يسكن لعقود عديدة في "برية نفسه الداخلية" في مدينة القاهرة الصاخبة والتي تصم الآذان بضجيجها، لكنه شعر كبطريرك بالحاجة المتزايدة إلى التراجع المتكرر إلى العزلة الصحراوية. هناك سيُنعَش بثمار العزلة والصمت والبصيرة، وهناك يجد الراحة وسط ضيقاته الكثيرة.[٢١٤]

لاحظ الكثير من الرهبان أنه كان يأكل قليلاً عندما يكون في الدير. ومما أثار استياء تلاميذه تمامًا أنه رفض دائمًا تناول الدواء. كان يقول: "مع مارمينا، ليست هناك حاجة لأدوية العالم".[٢١٥] في إحدى المرات، يتذكر أبونا رافائيل آفامينا رؤية البابا كيرلس محبطًا عند وصوله، بعد أن تعامل مع العديد من الأمور المؤلمة في البطريركية. قال البابا كيرلس: "يا ابني، لسنا بحاجة إلى العودة إلى العالم... ألن نجد

هنا رغيف خبز واحد لكل يوم مع كمية قليلة من ملح الجبل؟" لكن في خلال أيام قليلة، لاحظ تلميذه، أن فرحه عاد، وعاد إلى "العالم" ليعزي شعبه.[٢١٦] قد يفسر هذا جزئيًا لماذا اعتاد البابا كيرلس باستمرار أن يحتفل بالأعياد الكبيرة مثل القيامة والميلاد في الدير وحده ثم يسرع بالعودة إلى القاهرة أو الإسكندرية للاحتفال الرسمي.[٢١٧]

مما لا يثير الدهشة، يقال إن العديد من المعجزات حدثت في الدير.[٢١٨] ومع ذلك، هناك معجزة واحدة حُفرت في عمق ذاكرة الصحراء وشهدها العديد من الرهبان. في أبريل ١٩٦٦، بعد ساعات قليلة من وصول البابا كيرلس من الإسكندرية، كانت هناك عاصفة رملية شديدة وتعمي عن الرؤية ضربت الدير والصحراء المحيطة به.[٢١٩] مثل هذه العواصف الرملية (رياح الخماسين) تستمر عادة حوالي خمسين يومًا.[٢٢٠] لكن كان من المقرر أن يعود البابا كيرلس إلى الإسكندرية حيث كان لديه مواعيد في ذلك المساء. شاهد الرهبان البابا كيرلس يدخل الكنيسة بهدوء ويسجد أمام أيقونة مارمينا "هل أنت مستاء لأننا نتركك؟" سأل البابا كيرلس مارمينا أثناء النظر بعناية إلى أيقونته، "سنعود بأسرع ما يمكن". بهذه الكلمات، رفع البابا صليبه، وفي تلك اللحظة، تلاشت العاصفة الرملية فجأة ودهش الرهبان الذين كانوا ينظرون.[٢٢١]

كان مارمينا، شخصيًا ومن خلال ديره، مصدر قوة وراحة للبابا كيرلس. تلقى في الدير بصيرة وإلهامًا لطريقته الإصلاحية، وكان هناك دائمًا "يحل" مشاكل الكنيسة - غالبًا بأكثر الطرق روعة.[٢٢٢] يتذكر الأستاذ حنا يوسف حنا أحد أقرب شمامسة البابا كيرلس، وهو صديق من أيام مصر القديمة، أثناء حضور صلاة الغروب في دير مارمينا، وخلال التمجيد، أن البابا كيرلس وقف بصمت في الهيكل وفجأة ابتسم ابتسامة كبيرة وضحك. يتذكر حنا "صدمني المشهد، لأنني عرفته لسنوات عديدة، وعرفت عن قرب مدى جديته مع نفسه والآخرين داخل الهيكل".[٢٢٣] وبعد الخدمة سأله حنا عن السبب لكن البطريرك لم يرد، ولكن أخيرًا، بعد الضغط عليه، وعده

البابا كيرلس أن يخبره، ولكن بشرط صارم وهو ألا يتحدث عن هذا الأمر إلا بعد وفاته:

> قال البابا كيرلس: "عندما دخلت الهيكل شعرت بقلق شديد بسبب قضية تتعلق بالأقباط. فجأة ظهر لي مارمينا وسألني عن سبب حزني وعندما شرحت السبب، أجاب: هل تعتقد أنك وحدك؟ نحن جميعًا هنا نسندك، ثم دفعني برفق، ولذلك ضحكت".[٢٢٤]

الحواشي

[1] Wakin, *A Lonely Minority*, 103.

٢ كان الحال غالبًا، حتى القرن التاسع، أن يختار البطريرك المحتضر خليفته، ولكن في أغلب الأحيان يتم ترشيح المرشحين بالتشاور ويتم انتخابهم من قبل "الشعب" (رجال الكهنوت والعلمانيون). ستشهد القرون التالية الشيء نفسه، أحيانًا بالترتيب مع الحكومة أو عن طريق القرعة، ونادرًا، في حالة نشوء خلاف، سيتم الكشف عن البطريرك المنتخب في رؤية لراهب قديس أو أسقف قديس.

٣ كان المبدأ الرئيس، النابع من القرون الأولى للكنيسة، أن الأسقف كان في الواقع "متزوجًا" من أبروشيته، وبالتالي فأن يصبح الأسقف بطريركًا (أسقفًا للإسكندرية) يعني أن يترك زوجته (أبروشيته) ويتزوج أخرى. في كل نزاع متتالٍ بشأن هذه "القاعدة"، يتم تقديم حجتين متعارضتين بشكل عام: الأولى أن الأساقفة إداريون ذوو خبرة، وبالتالي، هم الأكثر ملاءمة للارتقاء إلى مرتبة البطريرك، في حين يقترح آخرون أن الرهبان، على الرغم من قلة خبرتهم، فهم قديسون ونسَّاك ومن الناحية المثالية "لم يختلطوا" بالعالم وبالتالي، فإنهم مناسبون بشكل مثالي لأن يشكلهم الله والكنيسة. هذه الحجة الأخيرة لديها الكثير من التاريخ والقوانين في دعمها في الكنيسة القبطية، في حين تفتقر الأولى إلى سابقة تاريخية.

[4] O. H. E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church: A Detailed Description of Her Liturgical Services* (Cairo: Printing Office of the French Institute of Oriental Archaeology, 1967), 177–87.

[5] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 117.

وتأكيدًا على هذه الممارسة الليتورجية، كان معظم البطاركة المنتخبين حتى أوائل القرن العشرين رهبانًا، وأربعة من العلمانيين، وكان أحدهم كاهنًا والآخر شماسًا.

[6] Ibid., 117, n. 4.

٧ هنا، يجب أن أكون واضحًا، لست منخرطًا في الجدل المستمر حتى يومنا هذا حول ما إذا كان يمكن ترقية الأسقف إلى مرتبة البطريرك، بدلاً من ذلك، أنا ببساطة أقدم سياق الخلاف فيما يتعلق بخليفة البابا يوساب. كان آخر البطاركة، البابا شنودة الثالث (١٩٧١-٢٠١٢) والبابا تواضروس الثاني (٢٠١٢-)، "أساقفة عامين" (وهي ممارسة بدأها البابا كيرلس السادس) قبل أن يصبحا بطاركة، حيث لم يتم رسامتهما أبدًا لأي أبروشية معينة، ولكن تم رسامتهم بدلاً من ذلك في أسقفيات مثل التعليم في الحالة الأولى، ومساعدة أحد المطارنة الكبار في الحالة الثانية.

[8] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 139.

٩ طلب الأسقف الكبير الذي قابلته عدم الكشف عن هويته. أسقف مجهول، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس". يدعي زقلمة أن الأنبا أثناسيوس، في وقت ما أثناء الانتخابات، سُمع وهو يصلي أمام صورة للبابا كيرلس الخامس، قائلاً: "تلقيت الكهنوت من يديك وآمل أن يمنحني الله رغبتي وأعطي الكرسي البابوي لراهب". انظر، نشأت زقلمة، الحياة الروحية والرسالة الرعوية للبابا كيرلس السادس، المجلد رقم ٢ (القاهرة: أبناء الإنجيلي، ٢٠٠٧)، صـ ٢١٨.

١٠ تقترح إيريس حبيب المصري أنه كان هناك ٥٥٠٠ ناخب يستطيع كل منهم الإدلاء بعدة أصوات: أبونا متى المسكين حصل على ٥٤٠٠ صوت. أبونا مكاري (الأنبا صموئيل) ٥٣٠٠؛ أبونا أنطونيوس (البابا شنودة الثالث) ٥٢٠٠. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٥.

[11] Hasan, *Christians versus Muslims*, 85.

تقتبس حسن من مقابلتها مع الأنبا بيمن: "شعرنا أنه إذا تم اختيار البابا من بين أعضاء حركة مدارس الأحد، فسيكون أصغر سنًا وأكثر نشاطًا وأكثر ديناميكية وأفضل خلقًا".

١٢ كان أبونا متى وأبونا مكاري رهبانًا لمدة ثماني سنوات، وأبونا أنطونيوس كان قد قضى حتى ذلك الوقت في الرهبنة سنتين فقط. وتلاحظ المصري أن هذا تجاهل الأسبقية التاريخية، حيث كان القديس أثناسيوس في

السابعة والعشرين من عمره، وكان القديس كيرلس في السادسة والثلاثين من عمره. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٥.

١٣ من الصعب للغاية العثور على أي دليل أولي على ذلك، ولكن ادعى واكين ذلك في كتابه،

Wakin, *A Lonely Minority*, 106.

والمصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٦. المصري غامضة إلى حد ما في ادعائها. بناءً على رسائل أبونا مينا عام ١٩٥٨ (وهو ما سنراه)، بالتأكيد، لم يكن مهتمًا.

[14] Cited by Wakin, *A Lonely Minority*, 105.

كانت "الظروف المعينة" هي الغزو الأنجلو-فرنسي-الإسرائيلي لقناة السويس، وفي مثل هذه الظروف يبدو أن الحكومة لا تستطيع تحمل المزيد من الإحراج.

[15] Ibid., 107.

١٦ في ٣ نوفمبر١٩٥٧، صادقت الحكومة أخيرًا على قرار المجمع السابق، والذي استبعد بشكل قاطع "رهبان مدارس الأحد"، ونص على أن يتم جمع الترشيحات من قبل لجنة مؤلفة من تسعة أساقفة وتسعة أعضاء من المجلس الملي، بالإضافة إلى قصر دائرة الناخبين المؤهلين على المثقفين والوجهاء. يجب أن يتمتع الناخبون بسمعة طيبة، أو من المواظبين على حضور الكنيسة، أو متعلمين على مستوى جامعي، أو على الأقل يدفعون أكثر من ١٠٠ جنيه ضرائب سنويًا.

See Mariz Tadros, "Vicissitudes in the Entente between the Coptic Orthodox Church and the State in Egypt (1952–2007)," International *Journal of Middle East Studies* 41, no. 2 (2009): 271.

For the regulations concerning the election and voting see Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 130–39.

وغني عن البيان، أن أعضاء حركة مدارس الأحد غضبوا، ونددوا في مجلتهم بحق المجمع المقدس في تسمية المرشحين "حق الشعب".

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 198–200.

مؤلف مجهول، "الانتخابات البطريركية"، مجلة مدارس الأحد ١١، العدد. ٧ (١٩٥٧). وجادلوا بأن من حق الأساقفة أن يضعوا أيديهم على الذي ينتخبه الشعب.

١٧ فوزي وكيرلس وعبد الناصر، صـ ٢٠. يذكر فوزي أنه كان هناك ١١ ترشيحًا إجمالاً، وتم استبعاد ستة. حنا ونصر يقترحان أن ترشيح أبونا مينا جاء بعد ترشيح الآخرين. عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٠.

١٨ وُلد الأنبا أثناسيوس في ٤ ديسمبر ١٨٨٣، ودخل دير البرموس في ١٠ يوليو ١٩٠٣. أصبح وكيلاً للبطريركية عام ١٩١٧، ورُسم أسقفًا بيد البابا كيرلس الخامس في ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥. كان معروفًا بحبه للإصلاح، وكان قائم مقام بعد نياحة البابا مكاريوس الثالث والبابا يوساب الثاني. تنيح الأنبا أثناسيوس في ٢٢ يوليو ١٩٦٢.

١٩ المحادثة سجلها حنا يوسف عطا (شقيق أبونا مينا). عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧.

٢٠ المرجع السابق.

٢١ المرجع السابق، أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٤.

٢٢ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٢؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧.

٢٣ أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٣٢.

[24] Hasan, *Christians versus Muslims*, 86.

تم تكرار ذكر الأمر نفسه لي في مقابلات مختلفة كما سنرى في فصول لاحقة.

[25] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 202; Hasan, *Christians versus Muslims*, 86; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 127.

[26] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 139.

أساقفة قنا، وأخميم، والخرطوم، وأسيوط.

٢٧ في حين أنه قد يبدو للكثيرين أن تقرير مصير الملايين عن طريق الصدفة قد يبدو أمرًا "قديمًا وسخيفًا"، لكن كما يلاحظ واكين، "عند التفكير في الأمر نجد حكمة بديهية".

Wakin, *A Lonely Minority*, 109.

إن التصويت لفائز واحد في بيئة من الخلاف والطموح المعارض - كما رأينا بالفعل - يشجع على إلى التلاعب، في حين أن الاقتراع يجبر المرشحين على الأقل على التفكير في إمكانية أن يصبح أحد المرشحين الآخرين يومًا ما بطريركهم. علاوة على ذلك، وبشكل أكثر جذرية، فإنه يوضح أنه على الرغم من أن الإنسان هو الذي يفكر، فإن الله هو الذي يقرر.

٢٨ صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، ١٧٦ - ٧٧.

[29] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 140.

وصدق الرئيس عبد الناصر على القرار في ٢٣ أبريل ١٩٥٩.

٣٠ مجهول، "أبونا مينا البرموسي: بطريرك الأقباط الجديد"، الأهرام، ٢٠ أبريل ١٩٥٩. عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧.

٣١ انظر الصورة ١٢.

[32] Wakin, *A Lonely Minority*, 104; Anonymous,

مجهول، "الطاحونة المهجورة". ويذكر حنا أن أبونا مينا قال لأحبائه بعد خروجهم من المذبح: "المجد لله. لقد اختار الرب أن يظهر قوته ومجده في ضعفي. إنني أرتعد من الخوف في مجد قوتك. أنت عادل ومحق. لا تنس أحبائك. منك ننال القوة والعون يا ربنا وفادينا". عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٧. انظر أيضا مجهول "أبونا مينا البرموسي".

[33] For instance, see Wakin, A Lonely Minority, 104.

٣٤ الجويلي، مقابلة مع الراهب. كان رده الكامل: "بالطبع لا، الحياة الرهبانية مبنية على الابتعاد عن المناصب العامة".

٣٥ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٨.

٣٦ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٧٨.

٣٧ البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس".

٣٨ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٥.

٣٩ مز ١١٨: ١٩.

٤٠ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٥.

٤١ لقب البابا (Papas باليونانية باباس "الأب") هو لقب أسقف الإسكندرية القبطي منذ زمن البابا هيروكلاس (٢٣٢-٢٤٨)، البطريرك الثالث عشر. لقد كان لقبًا مستخدمًا لعدة قرون، قبل أن يتخذه أيضًا البابا الكاثوليكي. لكن من الناحية الكنسية، يختلف نوعًا ما عن الاستخدام الكاثوليكي، ويشير ببساطة إلى البطريرك.

٤٢ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١٧؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٨.

٤٣ يقترح أبونا رافائيل أن البابا أخبر أخيه حنا بالرؤيا، وأنها حدثت في الطاحونة. انظر،

Fr Raphael Ava Mina, *The Miracles of Pope Kyrillos VI*, vol. 2 (Sydney: Coptic Orthodox Publication and Translation, 1990), 64–65.

المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٢٨. تشير الرواية الكاملة للحدث إلى أن الرؤية حدثت بعد نتائج الانتخابات الباباوية، ولكن قبل الرسامة. أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٢٧. هذا من شأنه أن يوحي بأن البابا كيرلس زار الطاحونة قبل رسامته مباشرة.

٤٤ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٥٩.

٤٥ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٨.

٤٦ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٥٩.

[٤٧] المرجع السابق.

Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 149.

[٤٨] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٥٩.

Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 149.

[٤٩] تشير صور الرسامة إلى أنه خلع الملابس البطريركية بعد قراءة الإنجيل وارتدى ثيابه البسيطة حتى نهاية القداس، وبعد ذلك عاد مرة أخرى وارتدى الملابس البطريركية. كان هذا يوضح بساطة البابا كيرلس في مدة بطريركيته.

[50] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[51] Ibid. Cf. Lk 2.29.

[٥٢] عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢١-٢٢.

[٥٣] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٨.

[٥٤] كان قد عاش في ديره فقط من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٣. من أوائل عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٣٦، كان في مغارة دير البرموس. من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٤١، في طاحونة الهواء في القاهرة، ومن عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٧ بين دير القديس الأنبا صموئيل والقاهرة القديمة، ومن عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٥٩ بكنيسة مارمينا مصر القديمة. ومن ١٩٥٩ إلى ١٩٧١ في البطريركية.

[55] Wakin, A Lonely Minority, 113.

[٥٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٩.

[٥٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٣٩. هذا مفقود في الترجمة الإنجليزية.

[٥٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٩.

[٥٩] خليط من الكمون المطحون ناعمًا والمكسرات والملح وبذور السمسم. يمكن إضافة هذا إلى الطعام أو غمسه بقطعة خبز.

[٦٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ١٩.

[٦١] أبونا رافائيل آفامينا، "محاضرة عن فضائل البابا كيرلس".

[٦٢] المرجع السابق.

[٦٣] يلاحظ واتسون، "أن أولئك المشهورين بحياتهم ذات العمق الداخلي والقوة يعيشون غالبًا حياة بسيطة للغاية". انظر،

Watson, *Among the Copts*, 48.

[٦٤] أبونا لوقا سيداروس، محاضرات عن البابا كيرلس، تسجيل صوتي (الإسكندرية، غير مؤرخ)، محاضرة ١.

[٦٥] أبونا رافائيل آفامينا، "بعض المفاهيم الخاطئة". أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي. يقول أبونا رافائيل آفامينا إنه استمر في تقديم الملابس للبابا طوال القداس، وأصر البابا كيرلس على رفضه ارتدائها.

[٦٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٠. يتذكر شماس البطريركية يوسف منصور أنه عندما رافق البابا كيرلس في رحلته إلى إثيوبيا، أخذ حريته في تغليف حقائب البابا. لقد لاحظ أن الجوارب والمناديل والملابس الداخلية كانت قديمة ومهترئة ولا تكاد تلائم البطريرك، وقام بشراء ثياب جديدة. يتذكر يوسف: "لن أنسى أبدًا كيف لامني قداسته عندما اكتشف كل الملابس الجديدة وقال البابا كيرلس: 'لماذا لا نكتفي بما أعطانا الله فالكثيرون يحتاجون إلى ما نعتقد أنه غير مناسب لنا. يجب أن نكون راضين عما لدينا من الطعام والملابس، دون أن نطلب المزيد' ". انظر أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ١١٥.

[٦٧] على سبيل المثال، انظر زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٥٩. يسجل "يوم في حياة البطريرك" في ١٧ مايو ١٩٥٩. انظر أيضًا، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٠.

[٦٨] ويوجد الشيء نفسه في الرسائل التي كتبها قبل البطريركية.

٦٩ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٠. في عمل آخر، يعلق أبونا رافائيل على إجابة البابا كيرلس عندما رأى الناس قلايته: "مهما كانت [إشارة إلى قلايته]، فهي لا تزال أفضل من المذود". انظر مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ١٢-١٣.

٧٠ أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

٧١ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

[72] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.450.

٧٣ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٢. يُقصد بهذا أن يصلي القداس دون أن يشاركه كاهن آخر. لكن وفقًا للطقس القبطي، يجب أن يكون هناك ما لا يقل عن ثلاثة أشخاص حاضرين: الكاهن والشماس وأحد أفراد الشعب.

٧٤ المرجع السابق. يقول أبونا رافائيل إنه غالبًا ما كان يصلي أيضًا تسبحة كيهك (تسبحة صوم الميلاد) وحده في قلايته.

٧٥ مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ٢٦؛ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

٧٦ البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى العاشرة للبابا كيرلس السادس".

٧٧ انظر الصورة ٢٣.

[78] Wakin, *A Lonely Minority*, 116.

[79] Ibid., 115.

٨٠ مجهول، "خطاب البطريرك الجديد المنتخب"، الوطني، ٢٦ أبريل ١٩٥٩. ورد أيضًا في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ١٥.

[81] Fr Tadros Malaty, "Interview about the Life of Pope Kyrillos: Part I," ed. Daniel Fanous (2015).

سيداروس، محاضرات عن البابا كيرلس، محاضرة ٢. ويعلق أبونا تادرس قائلاً: "أعتقد أنه حتى أولئك الذين كانوا يعتبرون قريبين منه لم يعرفوا كل جوانب شخصيته أو حياته. لأن جهوده أنفقت في إخفاء عطاياه السماوية". في حين يضيف أبونا لوقا، "لا أحد في العالم يعرف حياة البابا كيرلس. كان بإمكان الناس فقط رؤية ما كان من الخارج، لكن لا أحد يستطيع أن يرى السر الذي كان يعيش فيه مع الله".

٨٢ أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٢٢.

٨٣ كما رأينا، من بين جميع العظات، هذه العظة هي أكثر ما يستشهد به (حتى الآن)، وبشكل مثير للدهشة، يمكن أن نجد معظم أقواله مقتبسة منها.

[84] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.452.

[85] Ibid.

[86] Ibid.

يقترح مار إسحق أنه على الرغم من أن الأمر يتطلب في البداية جهدًا طوعيًا، إلا أنه بعد مرور بعض الوقت "تولد حلاوة معينة في القلب" و"تولد الدموع الغزيرة". انظر،

ibid., 64.453.

[87] Ibid.

[88] Ibid., 21.235.

[89] Ibid., 64.453.

[90] Ward, *Sayings of the Desert Fathers*, 7.

[91] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.460.

[92] Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 25.

[93] Athanasius, *Letter to Dracontius* 4.9.560.

[94] Rapp, *Holy Bishops*, 143.

[95] Ward, *Sayings of the Desert Fathers*, 157.

[96] Palladius, *Dialogue on the Life of St. John Chrysostom* 12.7–29, cited in Rapp, *Holy Bishops*, 149.

[97] Paulinus, *Life of Ambrose* 38.1, cited in Rapp, *Holy Bishops*, 149.

[98] Cf. Philip Rousseau, "The Spiritual Authority of the 'Monk Bishop': Eastern Elements in Some Western Hagiography of the Fourth and Fifth Centuries," *Journal of Theological Studies* 23, no. 2 (1971): 415–16.

[99] Sulpicius Severus, *On the Life of St. Martin* 10 (NPNF2 11:9).

[100] Rousseau, "Spiritual Authority," 407.

[101] Ibid., 415.

[102] Rapp, *Holy Bishops*, 149.

[103] Jerome, *Letter 14, to Heliodorus*, 9 (NPNF2 6:17).

[١٠٤] في حياة القديس باسيليوس الكبير، على سبيل المثال، على الرغم من أنه "استلم كنيسة محاصرة بالهرطقة، والتنافس الداخلي، والقيادة غير الملائمة وغير الكفؤة" - وهو موقف كان يمكن أن يتعامل معه البابا كيرلس السادس، جزئيًا على الأقل، بالسلطة النسكية، يقترح ستيرك، أن البابا كيرلس كان له هدف واحد: إصلاح رتبة الأسقفية.

See Andrea Sterk, *Renouncing the World Yet Leading the Church: The Monk-Bishop in Late Antiquity* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004), 63–64.

هذا، بالنسبة للقديس باسيليوس، ولاحقًا البابا كيرلس، لم يكن بالمعنى الاشتقاقي الصارم وهو العودة إلى الحالة الأصلية مقابل حالة التشوه الحالية، ولكن بالأحرى بالمعنى الوجودي، حيث يتم تحويل رتبة الأسقفية وتغييرها وتجليها لتكون على مثال الراعي الحقيقي الوحيد.

[105] Wakin, *A Lonely Minority*, 118.

[106] Watson, *Among the Copts*, 54.

[١٠٧] مجهول، حياة أبونا بنيامين الناسك (القاهرة: الناشر والتاريخ غير معروفين).

[108] Susan Ashbrook Harvey, "Holy Women, Silent Lives: A Review Essay," *St Vladimir's Theological Quarterly* 42, no. 3/4 (1998): 403.

[١٠٩] سيداروس، محاضرات عن البابا كيرلس، محاضرة ١.

[110] Ibid.; Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 175.

مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ٢٧. وتشير الرواية الأخيرة إلى أن "بعض رجال الكهنوت كانوا ضده. وتقدموا بشكوى للحكومة المصرية، مطالبين إياها بتشكيل مجلس بطريركي لإدارة شؤون الكنيسة. كانوا يعتقدون أن البابا كيرلس السادس كان شخصًا غير متعلم لا يعرف شيئًا سوى الصلاة. لذلك، خلصوا إلى أن البابا كثف صلاته عمدًا من أجل تغطية جهله وفشله في حل مشاكل الكنيسة الصعبة والمتراكمة".

[١١١] مجهول، مدرسة الفضائل، صـ ٢٧.

[١١٢] أبونا لوقا سيداروس، محاضرات عن البابا كيرلس، محاضرة ١. يروي القصة أبونا لوقا الذي كان يسافر مع الكهنة.

[١١٣] أبونا مينا البرموسي [البابا كيرلس السادس]، مجلة ميناء الخلاص، ٤: ٢.

[١١٤] أبونا رافائيل آفامينا، ثمار المحبة (القاهرة: مطبعة دير القديس مينا، ١٩٩٩)، صـ ١٣-١٤.

[١١٥] على سبيل المثال، للحصول على سرد نموذجي آخر، انظر قصة ألبرت جرجس في عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٨.

[116] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 45.

[117] This was repeated by several bishops and clergy; Bishop Yostos, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI," audio recording, ed. Daniel Fanous (2016); anonymous bishop, "Interview about

the Life of Pope Kyrillos"; Fr Jacob Magdy, "Interview about the Life of Pope Kyrillos," ed. Daniel Fanous (2015).

١١٨ روى القصة بنفسه نظمي بطرس للأب تادرس يعقوب ملطي وأبونا لوقا سيداروس. أبونا تادرس يعقوب ملطي، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس: الجزء الأول". أبونا لوقا سيداروس، "محاضرات عن البابا كيرلس" محاضرات ١، ٣.

١١٩ إبراهيم هلال، ملطى سرجيوس، الموسوعة القبطية تحرير عزيز سوريال عطية، ٢٠٩٧.

١٢٠ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، ١٧١–٢٠٠.

١٢١ كان المرسوم في محاولة لتصحيح أربع "مشاكل" في الكنيسة: (١) إحياء الحياة الرهبانية استلزم تأديبًا رهبانيًّا، وأفضل تطبيق لذلك كان داخل الدير. (٢) منع الرهبان الذين يعيشون خارج أديرتهم من رسامة الخريجين الجدد من الكلية الإكليريكية، حيث كان العديد من الأبروشيات يخدمها رهبان كهنة بدلاً من ذلك؛ (٣) كان متزامنًا مع مرسوم آخر، وهو أن جميع الكهنة الجدد يتخرجون من الإكليريكية؛ و(٤) الرهبان الذين يعيشون خارج أديرتهم تسببوا في عدد من القضايا للكنيسة في ذلك الوقت (وطبقا للمرسوم حدث بعض الاختلاس المالي). يجب أن نلاحظ أيضًا أن البابا كيرلس لم يكن البطريرك الأول الذي أصدر مثل هذا المرسوم؛ كما رأينا، فعل البابا يوساب الثاني الشيء نفسه في ٢٦ مايو ١٩٤٦ (على الرغم من أنه من الواضح أن ذلك كان لإسكات الخلاف حول رسامة البابا يوساب، مع خصمه أبونا داود المكاري). يقترح البعض أيضًا أن البابا كيرلس سعى للتعامل مع أبونا متى المسكين (سنرى). للمناقشة انظر المرجع السابق. ١٨٠ - ١٨٢؛

Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 44–45.

تقتبس المصري المرسوم بأكمله، الذي يحذر الشعب من دعم أو جمع الأموال لأي رهبان يخالفون المرسوم، كما يحذر الرهبان من جمع الأموال لأي منطقة من مناطق الكنيسة دون موافقة خطية مسبقة. انظر، المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٣٥.

١٢٢ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٨١.

١٢٣ انظر الفصل الخامس: "حركة حبيب جرجس ومدارس الأحد". حاول البابا يوساب على ما يبدو إعادة أبونا مينا إلى ديره عام ١٩٤٩ في خطوة لمعاقبة تلاميذه. انظر المرجع السابق صـ ١٨٠.

١٢٤ انظر المرجع السابق صـ ١٨٢.

١٢٥ انظر المرجع السابق صـ ١٨٣.

١٢٦ المرجع السابق. صـ ١٨٣ - ١٨٤.

١٢٧ ومن المثير للاهتمام أن سرد أبونا صموئيل يحتوي على العنوان الفرعي "الكمال لله وحده" عند مناقشة معجزات البابا كيرلس. النية واضحة.

١٢٨ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٨٤.

Also see van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 240.

يلاحظ أبونا رافائيل أن البابا كيرلس كان يسارع أحيانًا إلى الحكم في الأمور المتعلقة برجال الدين، لكنه كان يسامح بالسرعة نفسها. ذكر أبونا رافائيل أيضًا أنه كان معتدلاً للغاية بالنسبة إلى أسلافه، ومهما كانت القسوة التي قد تكون حدثت فإنها كانت "ضرورية لهذا الدور". أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

١٢٩ كما ذكرنا سابقًا، أثناء بحثي، ذكر رهبان دير البرموس أنهم سمعوا إشاعات فقط وبالتالي رفضوا مناقشة سبب حادثة ١٩٣٦، ولم يؤكدوا اسم رئيس الدير في ذلك الوقت.

١٣٠ الأنبا مكاريوس، رسالة إلى القمص يوسف البرموسي، ٢٠ أغسطس ١٩٥٦. لم يذكر أسباب التحدي.

١٣١ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٩. وقد أكد رهبان البرموس طرده.

١٣٢ المرجع السابق. للحصول على سيرة ذاتية لا تتضمن هذه التفاصيل، ولكنها تؤكد التفاصيل الأخرى، انظر أبونا أوغسطينوس البرموسي، دير البرموس، صـ ٢٢٥-٢٢٦.

[١٣٣] على سبيل المثال، انظر البابا شنودة الثالث "عظة في الذكرى العاشرة للبابا كيرلس السادس". قال البابا شنودة: "كان أول بابا في عصرنا يفتح أبوابه. يمكن للجميع التحدث معه مباشرة، وبالتالي فهو يعرف حقائق أي مسألة وليس من خلال أي قنوات أخرى". انظر أيضًا أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

[١٣٤] أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٥.

[١٣٥] المرجع السابق.

[١٣٦] يتعلق بكتاب كتبه عن "نبوءات من السماء". انظر أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٨.

[١٣٧] البابا كيرلس السادس، "محاضر المجمع المقدس" (القاهرة: غير منشور، ١٩٦١)؛ أبونا رافائيل آفامينا، ينبوع التعزية (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٨٩)، صـ ٧٠.

[١٣٨] أبونا صموئيل وهو مؤرخ، يحفظ الكلمات التي قالها له الأنبا يؤانس في بحثه التاريخي. انظر، أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٨.

[١٣٩] المرجع السابق.

[١٤٠] المرجع السابق. الجملة تكتمل بـ: "... إذا ناقشت هذا الأمر، فقد تجد أن بعض أعضاء المجمع المقدس، وربما أولادك، سيقولون 'ما أشبه الليلة بالبارحة'. يبدو أن الأنبا يؤانس كان يلمح بصورة غامضة للغاية إلى أن البعض قد يهدد البابا كيرلس بالاتهام نفسه. وتجدر الإشارة إلى أن محرر الطبعة الثانية من كتاب "تاريخ الباباوات" (نُشر عام ٢٠٠٢) قد حذف هذه الجمل، بالإضافة إلى العديد من انتقادات المؤلف الأخرى للبابا كيرلس. لم يقدم محرر الطبعة الثانية - وعلى ما يبدو دون استشارة المؤلف الذي توفي عام ١٩٨٣ - أي سبب للحذف، كما أنه لا يشير إلى مكان الحذف. وبناءً على ذلك، يجب على القراء الرجوع إلى الطبعة الأولى المنشورة في عام ١٩٧٧.

[١٤١] المرجع السابق.

[١٤٢] البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس".

[١٤٣] وقد أدلى براون بالعديد من التعليقات الرائعة حول ظاهرة "النقمة" في حياة "القديس". على سبيل المثال: "أن النقمة تشير إلى موقف القديس كمحكّم ووسيط. إن نقمة الله تقع فقط على الشخص الذي رفض القديس قضيته".

Brown, "The Rise and Function of the Holy Man," 88.

يبدو بالنسبة للبابا كيرلس أن هذا ليس نتيجة للرفض، بل هو نوع من الدفاع الإلهي عن "الشخص الأعزل" المتواضع كما وصفه مار إسحق السرياني. انظر،

Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 121; Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 72.499

[144] Wakin, *A Lonely Minority*, 114.

[١٤٥] بعد بضعة أشهر فقط، رسم أحد الرهبان الذين بلا لوم؛ الأنبا مينا (١٩١٩-٢٠٠٣)، الذي كان سكرتيرًا له ويثق به.

[١٤٦] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ٢٦.

[١٤٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١.

[١٤٨] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٨-٤٩.

[١٤٩] يجب أن نلاحظ أنه، في جميع المصادر تقريبًا، لم يذكر اسم الأنبا يؤانس.

[١٥٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١. يقترح فوزي أن الأنبا يؤانس حاول تشكيل لجنة وصاية تدعي أن البابا كيرلس كان أميًا (وهو من الواضح أنه لم يكن كذلك)؛ وأنه لا يكفي أن يكون البابا رجل صلاة. فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٨.

[١٥١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١.

[١٥٢] مجهول "وفاة مطران الجيزة بعد تناول الدواء"، الأهرام، ١٦ فبراير ١٩٦٣.

[١٥٣] وروت بعض المصادر الشعبية في ذلك الوقت أن الخادم اعترف بارتكاب "جريمة القتل"، لكن تم التراجع عن هذا في النهاية عندما ظهر أنه اعترف تحت الإكراه أثناء التعذيب على أيدي السلطات.
[١٥٤] مجدي، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس".
[١٥٥] تم جدولة السجلات الأسقفية في نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٢٠-٢٢٢.
[١٥٦] مات مطران القدس الأنبا يعقوب (١٩٤٦-١٩٥٦) ومطران الغربية الأنبا توماس (١٩٣٠-١٩٥٦) في ٢٤ مارس ١٩٥٦، في حادث قطار مأساوي، يقال إنهما كانا في طريقهما لجمع التوقيعات ضد البابا يوساب الثاني.
[١٥٧] عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢٨.

[158] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

أيضًا لقراءة رواية تتعلق بهذا الموضوع عن إنقاذ البابا كيرلس لأحد "أولاد" رجل كتب ضده بشدة من السجن، انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٢. رواية مماثلة هي رواية مطران (لم يتم الكشف عن اسمه) تجاهل البابا كيرلس ورسم كاهنًا. في وقت لاحق كان البابا كيرلس هو الذي أخلى نفسه وسامح "ابنه". انظر أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

[159] Yostos, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI."

[١٦٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١.
[١٦١] أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".
[١٦٢] المرجع السابق.
[١٦٣] نقاط التحول تتمحور حول الاستنارة "غالبًا ما تحدث في لحظات الأزمات". على الرغم من أن البابا كيرلس اختبر عدد من الاستنارات (غالبًا ما كانت ذات طبيعة إخلائية) خلال حياته الرهبانية، والتي كان العديد منها من نوع "الحدث الرئيس"، فإن ما نجده هنا هو، على حد تعبير دينزين، من نوع "الاستنارات التراكمية".

See Denzin, *Interpretive Biography*.

[١٦٤] البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى سلامة رزق، ٢٩ أغسطس ١٩٦٢"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٤٨ (الإسكندرية، ١٩٦٢). إن أوجه التشابه مع مار إسحق مثيرة للاهتمام. يلاحظ مار إسحق أنه يتم تمييز يد الله عندما "تمتزج في هذه التجارب كل من العزاء والحزن والنور والظلام والحروب والمساعدات".

Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 42.343.

[١٦٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٠.
[١٦٦] المرجع السابق.
[١٦٧] إذا طلب البابا كيرلس ببساطة كوبًا من الشاي، فإنهم جميعًا يسارعون بشكل محموم إلى تلبية طلبه، وكان البابا كيرلس غير مصدق، ويهز رأسه قائلاً: "قميصه عند ركبته وعشرة في خدمته". المرجع السابق.

[168] Part II/18, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 116.

[169] Part II/18, ibid.

يكتب مار إسحق: "الأفكار المتواضعة، والتمييز، والتفكير المضني، والتفاهة التي يجد فيها الشخص نفسه، والقلب المنكسر، وتدفق الدموع الناجم عن معاناة العقل وتمييز الإرادة... ستجد أنه ليس لديهم أي من هذا... إنهم لا يتأملون ولا يتذكرون تواضع ربنا؛ لا يثقبهم الألم الحاد الناجم عن معرفة خطاياهم".

[170] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 71.497. Also see Part II/37, cited in Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 119.

[١٧١] يردد البابا كيرلس (حينها أبونا مينا) هذه المشاعر للأب مكاري. انظر، القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مكاري السرياني، دون تاريخ"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٤٩٧ (القاهرة: التاريخ غير معروف).

[172] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 5.157.

[173] Ibid., 42.341.

١٧٤ في رأى أحد الكهنة المستنيرين أن "عطية المعجزات" يمكن، وفقًا لذلك، أن تُعطى فقط لأولئك الذين يخضعون لإحدى تجربتين مؤلمتين من المعاناة: المرض الجسدي المؤلم أو الإذلال الدائم. مجدي، مقابلة حول حياة البابا كيرلس.

[175] Alfeyev, *World of Isaac the Syrian*, 121; Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 72.499.

[176] Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 5.166.

تحتوي رواية أبونا رافائيل على الجزء الأول من الحكمة التالية: "من يزهد في العالم، يحبه الله؛ ومن يزهد فيما للناس يحبه الناس. من يجرى وراء الكرامة..." أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٢٧. الجزء الأول من هذا القول في الواقع ليس مقتبسًا من مار إسحق السرياني ويبدو أنه في الأصل تلمودي، قول مأثور رابيني. ومن المثير للاهتمام، أنه عندما يستشهد البابا كيرلس بنفسه بهذا القول، فإنه لا يذكر سوى الجزء الثاني من القول، والذي هو في الواقع من مار إسحق السرياني. على سبيل المثال، انظر أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى رهبان دير الأنبا صموئيل" ٧ يناير ١٩٥٠.

١٧٧ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى أبونا مكاري الصموئيلي، ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠". تحدث البابا كيرلس (أبونا مينا) عن خوف الشياطين في حضرة التواضع، وكيف تم ترويض الحيوانات الشرسة برائحة التواضع - من الواضح أنها كانت تجربته الشخصية عندما كان راهبًا في طاحونة الهواء.

١٧٨ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

١٧٩ المرجع السابق.

١٨٠ أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

١٨١ المرجع السابق. في عام ١٩٦٧، أعد البابا كيرلس الميرون المقدس ووجد أن الأواني الكبيرة المخصصة لهذا الغرض مفقودة. باعهم مِلِك الذي تصادف تواجده أثناء الحدث (رغم أنه أنكر ذلك)، مما أغضب شمامسة البطريركية. في تلك الليلة، كما يقول أبونا رافائيل، جاءت عائلة مِلِك إلى البابا كيرلس وهي تصرخ أن مِلِك يحتضر بسبب ألم شديدة في البطن. طمأنهم البابا كيرلس قائلاً: "لا تقلقوا بشأن الأواني، أنا أسامحه؛ قولوا له أن يأتي ويراني". في اليوم التالي تعافى مِلِك. أما نهاية مِلِك: فقد خسر كل ماله وعاش آخر أيامه في فقر وهو يتسول في الشوارع. حتى وفاته في ١٥ مايو ١٩٧٣".

See Serapion, "Choosing the Patriarch: Lessons from the History of Our Glorious Church," 25–27.

١٨٢ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

١٨٣ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٢.

١٨٤ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس". صرح أبونا رافائيل أثناء المقابلة أنه أتلف هذه الرسائل المؤلمة في عام ٢٠١٠؛ لقد احتفظ بها حتى ذلك الوقت وبعد ذلك لم يعد قادرًا (بعد حوالي أربعة عقود) على تحمل وجودها في قلايته.

١٨٥ للحصول على تاريخ مزار مارمينا (الذي كان مشهورًا عالميًا في وقت ما) والموقع، انظر،

Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 168–78.

١٨٦ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس، صـ ٤٢.

[187] *Egyptian Gazette* November 10, 1942, cited in Meinardus, *Monks and Monasteries* (1961), 354.

قال ونستون تشرشل عن المعركة: "قبل العلمين لم يكن لدينا نصر قط. بعد العلمين لم نتعرض للهزيمة قط".

Winston S. Churchill, *The Hinge of Fate* (Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 1985), 541.

لمناقشة الشهود والمصادر، انظر الأنبا كيرلس آفامينا، الشهيد المصري الكبير والقبطي: القديس مينا العجائبي (مريوط: مطبعة دير القديس مارمينا، ٢٠٠٥)، صـ ٥٢-٥٧.

١٨٨ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حبيب باشا المصري، ٢٨ يونيو ١٩٤٣". الأمير عمر طوسون، المعروف باسم "الأمير الأكاديمي"، كان الحفيد الأكبر لمحمد علي، وكان له اهتمام عميق بعلم الآثار، حتى أنه أصبح رئيسًا لجمعية الآثار القبطية.

١٨٩ المرجع السابق.

[١٩٠] يذكر حنا أنه التقى ببانوب عام ١٩٤٣ بالإسكندرية. انظر أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٥ مارس ١٩٥٨". كان بانوب حبشي عالم آثار وأول رئيس لجمعية مارمينا. توفي عام ١٩٥٥.
[١٩١] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى منير شكري، ٥ مارس ١٩٥٨". تم الاستشهاد بالرسالة في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٤٤-٤٥.
[١٩٢] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٤ مايو ١٩٤٦"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة رقم ٢٩، (دير القديس الأنبا صموئيل: ١٩٤٦).
[١٩٣] على سبيل المثال، انظر رسالة البابا كيرلس التي تتوسل سكرتير يوساب؛ أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٩٥٠"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة رقم ٣٥، (دير القديس الأنبا صموئيل: ١٩٥٠). انظر أيضًا رسالة البابا كيرلس إلى المدير العام لوزارة الآثار في الخمسينيات (التاريخ المحدد بـ ـ١٩٥)، القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى المدير العام لوزارة الآثار، ـ١٩٥"، في مجموعة رضا، الجزء الأول، الرسالة ٣٧ (مصر القديمة، ـ١٩٥).
[١٩٤] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى منير شكري، ٥ مارس ١٩٥٨". تم الاستشهاد بالرسالة في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٤٤-٤٥.
[١٩٥] أبونا مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٥ مارس ١٩٥٨". تم الاستشهاد بالرسالة في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٤٨.
[١٩٦] القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ٢٣ يونيو، ١٩٥٨" (مصر القديمة، ١٩٥٨). يتابع الخطاب، "تعاونوا مع الدكتور منير شكري... أولاً، سنبني قلاية أو اثنتين خارج الاستراحة الموجودة هناك. ثم نبدأ في ترميم المذبح من خلال مدير المتحف القبطي، لأنه المسؤول عن هذه العملية. بمجرد أن نضع أقدامنا هناك، تأكد من أن الرب سيعمل معنا. من المهم جدًّا الاهتمام بالدكتور منير شكري واللقاء به، ومن له علاقة بهذا الأمر. يوجد في البطريركية بالإسكندرية رسالة من قسم الآثار بتصريح لأداء شعائر دينية في دير مارمينا في مريوط".
[١٩٧] منير شكري، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ٢٤ يونيو ١٩٥٩"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا، الجزء رقم ٢، الرسالة رقم ٦٥ (الإسكندرية، ١٩٥٩).
[١٩٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣٩.

[199] Wakin, *A Lonely Minority*, 112.

[200] Meinardus, *Monks and Monasteries (1989)*, 178.

[٢٠١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٠٥. هذا مفقود في عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس.

[202] Wakin, *A Lonely Minority*, 112.

[203] James Wellard, *Desert Pilgrimage: A Journey into Christian Egypt* (London: Hutchinson & Co, 1970), 198.

[204] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

تستمر المحاضرة، "لكننا لم نفهم التاريخ... لهذا السبب نحن بحاجة إلى قراءة تاريخ وطننا وكنيستنا".

[205] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 236.

[٢٠٦] أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٣٦.

[207] Van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 230.

[208] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 214–19; Hasan, *Christians versus Muslims*, 217.

[209] Gruber, "Sacrifice in the Desert," 154.

يعزو جروبر نجاح دير مارمينا إلى "المواقف الثقافية" الحذرة للبابا كيرلس، وهو مصطلح يستخدمه لاستكشاف الاختلال الوظيفي المتطور بشكل غير عادي و"الانقسام وعدم الكفاءة الجماعية" للبيروقراطية الكنسية القبطية كوسيلة "لإظهار عدم الأذى إلى الأبد تجاه أغلبية مسلمة حذرة"، أي أن هذه الخطوة تبدو

مختلة وغير فعالة للعيون الخارجية ومع ذلك فهي تبدأ بمهارة وحذر في إجراء لم يكن من الممكن أن يتم اتخاذه بشكل مباشر. لدي ملاحظات عديدة حول هذا الاقتراح: فهو فلسفي على حساب التاريخ. تم انتقاد عمل البابا كيرلس بشكل أساسي من داخل المجتمع (وليس من قبل الأغلبية المسلمة)؛ وأخيرًا، يفترض مسبقًا أن البابا كيرلس كان متعمدًا في مواقفه.

[210] Van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 230; Nelly van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns* (Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1995), 274; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 142.

[211] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 142.

[٢١٢] جروبر، على سبيل المثال، يجادل بأن الأديرة هي "الرابطة الثقافية للحياة الاجتماعية والثقافية القبطية، ورابط حيوي للطموح العرقي والنهضة الروحية".

See Mark Francis Gruber, "The Monastery as the Nexus of Coptic Cosmology," in *BDC*, 81.

[213] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 143.

[٢١٤] البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس" يقول: "عندما أصبح البابا... لم يترك حياة الوحدة. غالبًا ما كان يذهب إلى دير مارمينا في صحراء مريوط... أراد أن يمتلئ بثمار الوحدة".

[٢١٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٠٥. هذا مفقود في الترجمة الإنجليزية.

[٢١٦] المرجع السابق. هذا مفقود في الترجمة الإنجليزية.

[٢١٧] على سبيل المثال التعليق: "أما عنه؛ فهو فيصلي وحده". انظر مجهول، "البابا كيرلس، في معنى العيد"، الأهرام، ١ يناير ١٩٦٧.

[٢١٨] للحصول على رواية رائعة، انظر رواية أبونا صليب عن شاب تقطعت به السبل في محطة قطار؛

Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[٢١٩] نعتقد أنه كان في شهر أبريل، حيث إنه شهر الربيع الذي تحدث فيه هذه العواصف الرملية.

[٢٢٠] اسم الخماسين يعني "خمسين"، على الرغم من أن العديد من المصادر تشير إلى أن هذه العواصف الرملية غالبًا ما تنتهي خلال أسبوع واحد.

[٢٢١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣٠. لاحظ أيضًا معجزة أخرى مماثلة ذكرها أبونا رافائيل: "في عام ١٩٦٤، كان البابا في دير القديس مينا عندما كانت هناك عاصفة شديدة. جاءه الرهبان يطلبون صلاته لإنهاء العاصفة. ثم رفع صليبه وقال: 'أعط مزاجًا حسنًا للهواء'. فأصبحت العاصفة هادئة لدرجة أنه لم يكن هناك نسيم. ثم قال البابا، 'يا مارمينا، عندما طلبنا منك تهدئة العاصفة، هل كان عليك إيقاف النسيم أيضًا؟' ثم أحاط نسيم لطيف بالمنطقة، وأصيب الجميع بالدهشة". تم تسجيل رواية مماثلة في أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ١: ٧٩.

[٢٢٢] يرصد أبونا رافائيل العلاقة بين زيارات البابا كيرلس لدير مارمينا وإنجازات بطريركيته. انظر عطا وأبونا رفائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ١٠٥. هذا مفقود في عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس.

[٢٢٣] تم رواية القصة بصورة شخصية للأب تادرس. انظر أبونا تادرس يعقوب ملطى، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس: الجزء الأول".

[٢٢٤] المرجع السابق.

٨

شفاء العداوة

في الداخل والخارج

حل مفاجئ: الكنيسة الإثيوبية والإمبراطور (١٩٥٩)

ما يجذبني هو دعوة الخسارة - حياة تبذل نفسها بحرية.
حياة معروفه عند الله وحده.
باختصار، أن يخسر المرء نفسه من أجل العثور على نفسه
الأب ليف جيليه

طرح صحفي أمريكي، في أوائل الستينات، سلسلة من الأسئلة المكتوبة على البطريرك على أمل أن يسمع شيئًا عن طموحاته للكنيسة.[١] كتب البابا كيرلس ردًّا أن طموحه الوحيد هو أن يرى شعبه يختبر "تجربة عميقة للصلاة". ثم أضاف أن الصلاة قد حلت بالفعل، في خلال سنوات قليلة، المشاكل الرئيسة الثلاث للكنيسة القبطية. والمفاجأة هي أن المشكلة الأولى التي تم حلها من بين الثلاث كانت "المشكلة الإثيوبية" قبل لم شمل جسد الكنيسة الممزق، ومشكلة أوقاف الكنيسة.

تعود جذور هذه "المشكلة الإثيوبية"، على الرغم من أن الناس اليوم يدركون أهميتها في حياة البابا كيرلس، إلى القرن الرابع. وفقًا لروفينوس من أكويليا (٣٤٠-٤١٠)، أبحر تاجر سوري يُدعى ميروبيوس إلى الهند، وفي طريقه تحطمت سفينته على ساحل إثيوبيا. على الرغم من أن ميروبيوس وطاقمه قد تعرضوا للقتل بالسيف على يد السكان الأصليين الذين كانوا فضوليين بشكل مفرط، إلا أن ولديه الصغيرين؛

فرومنتيوس وأيديوس، تم إعفاؤهما وإرسالهما إلى القصر حيث ارتقوا إلى مناصب بارزة. بعد بضع سنوات، أرسل فرومنتيوس (بعدما أصبح مستشارًا في الحكومة) إلى البابا أثناسيوس (٢٩٨-٣٧٣)، بطريرك الإسكندرية، يطلب أسقفًا مناسبًا لشعبه. وبناءً على ذلك، قام البابا أثناسيوس - الذي لم يجد رجلاً آخر أكثر جدارة - بتعيين فرومنتيوس كأول أسقف لإثيوبيا وعُرف لاحقًا باسم أبونا. عاد فرومنتيوس وعمد الملك إيزانا وحوَّل مملكة أكسوم (إثيوبيا الحالية) إلى المسيحية.[٢]

أرست هذه الحادثة تقليدًا راسخًا في الصخر: كان البطاركة الأقباط يرشحون ويرسمون رئيس الكنيسة الإثيوبية، الذي سيكون حتمًا قبطيًّا. وهكذا استمر التقليد على مدى ألفية ونصف، دون انقطاع إلى حد ما، بخلاف التدخلات القصيرة لـ "الإرساليات" الكاثوليكية في القرنين السادس عشر والسابع عشر.[٣] ولكن بحلول أوائل القرن العشرين، أصبح الوضع لا يطاق على نحو متزايد. كانت الكنيسة الإثيوبية، وهي تعتبر ديانة الدولة، متفوقة عدديًا على الكنيسة القبطية في مصر، والتي يمكن أن نضيف أنها كانت فعليًّا تحت حكم الأغلبية المسلمة.[٤]

عندما توفي أبونا متاؤوس مطران إثيوبيا، في عام ١٩٢٦، تم تحقيق مكاسب متواضعة. رسم المجمع القبطي مطرانًا مصريًّا بعد سلسلة من المفاوضات وهو الأنبا كيرلس (١٩٢٦-١٩٣٦، ١٩٤٥-١٩٥٠)، على أن يساعده أربعة أساقفة إثيوبيون (أبرام وبطرس وإسحاق وميخائيل). ومع ذلك كان نجاح هذا الأمر قصير الأجل. أدى الغزو الإيطالي العنيف لإثيوبيا في عام ١٩٣٥، فيما أسماه أحد العلماء "عدوان موسوليني الإمبريالي ضد شعب يبدو أعزل"، إلى تعقيد الأمر ودفعه في الحال إلى الاتجاه نحو الاستقلال الكنسي.[٥] سعى الإيطاليون لزعزعة استقرار الكنيسة وقطع أي علاقة مع الأقباط. كان الأنبا كيرلس؛ أبونا إثيوبيا، قادرًا على العودة إلى مصر، لكن مساعديه الأساقفة لم يحالفهم الحظ. قاوم الأنبا بطرس الاحتلال وقتل برصاص الإيطاليين في ساحة عامة. أما الأنبا ميخائيل والأنبا إسحق فقد "اختفيا" في حين اختار الأنبا أبرام بدلاً من ذلك التحالف مع الغزاة، الذين "نصبوه" بطريركًا لإثيوبيا.[٦]

عندما انشغل الإيطاليون بالحرب العالمية الثانية في نهاية عام ١٩٤٠، أعاد الإثيوبيون تأكيد استقلالهم بمساعدة القوات البريطانية والفرنسية. على الرغم من فشل الإيطاليين في نهاية المطاف في قطع الروابط بين الكنيسة الإثيوبية والكنيسة القبطية، بشكل غير مباشر (نظرًا لاستقلال إثيوبيا عن الإيطاليين)، ظهرت دعوة تحريضية بشكل متزايد للاستقلال الكنسي عن كنيسة الإسكندرية.[٧] وجعل هيلاسيلاسي (١٨٩٢-١٩٧٥)؛ إمبراطور إثيوبيا، هذه الدعوى أولوية عاجلة وشخصية.[٨] بحلول عام ١٩٤٢، كان الكهنة الإثيوبيون يتم رسامتهم على يد الايشجي (وهو ثاني رتبة في سلطة الكهنوت بعد الأبونا).[٩] وهكذا، يستنتج ميناردس، "أصبحت وظيفة المطران القبطي بالية نظرًا لكل الأسباب الواقعية".[١٠] على الرغم من ذلك، في عامي ١٩٤٢ و١٩٤٥، رفض مجمع الأساقفة القبطي الدعوات الإثيوبية للاستقلال عن الكنيسة القبطية الأم. وفي المقابل، وجه الإمبراطور تهديدات غير مباشرة، وألمح إلى أن إثيوبيا قد تقطع علاقاتها مع الكنيسة القبطية.[١١] أوضح الإمبراطور هيلاسيلاسي موقفه في يونيو ١٩٤٧ أنه لن يتفاوض مرة أخرى. أعلن هيلاسيلاسي أنه عند وفاة المطران المصري الحالي، يجب رسامة مطران إثيوبي يمتلك سلطة كاملة لرسامة أساقفة إثيوبيين آخرين. عندما توفي الأنبا كيرلس (آخر مطران قبطي) في أكتوبر ١٩٥٠، شعر البابا يوساب الثاني أنه ليس لديه خيار آخر سوى الامتثال لمطالب هيلاسيلاسي. في ١٣ يناير ١٩٥١، رسم البابا يوساب أول أبونا إثيوبي؛ الأنبا باسيليوس (١٩٥١-١٩٧٠)، الذي بدأ بدوره في رسامة أساقفته.[١٢] ولكن، يجب أن نكون واضحين، لم يكن هذا استقلالاً تامًا عن الكنيسة القبطية الأم بعد، ولكن منح سلطة تفويضية بصورة أكبر، وظل البطريرك القبطي يوجه الكنيسة الإثيوبية من خلال مطران إثيوبي. كان لا يزال هناك خوف دائم داخل مجمع الأساقفة القبطي من أن الاستقلال الذاتي للكنيسة الإثيوبية قد يعني انقسامًا كنسيًّا معينًا وفقدانًا للمكانة الباباوية.

لكن الفوضى والظلام سرعان ما حلا على الكنيسة القبطية خلال السنوات المؤسفة للبابا يوساب الثاني. هل ستستمر السلطة المنتقلة حديثًا للمطران الإثيوبي الآن بعد خلع البابا يوساب؟

كان القلق مبررًا. تم رسامة المطران الإثيوبي؛ باسيليوس، على يد البابا يوساب، وبالتالي تم التشكيك في مصداقية رتبته العالية. علاوة على ذلك، غضب الإثيوبيون لعدم حصولهم على حق التصويت، أو حتى استشارتهم، فيما يتعلق بإقالة البابا يوساب.[١٣] على مدى السنوات القليلة التالية، كان الإثيوبيون يصرون بشدة ومن دون وعي نوعًا ما على عودة البابا يوساب إلى الكرسي البطريركي من خلال تدخلات عديدة، والتوسل إلى السفير المصري، وحتى عقد "المجمع الكنسي" الخاص بهم للتفاوض بشأن عودته مما أدى إلى اتساع حالة القلق وسط رتب الكهنوت الإثيوبيين.[١٤] على الرغم من أنه كان من غير الحكمة، وربما من دون مبرر، الادعاء بأنه كان هناك أمر أكثر شرًا (وباء السيمونية في عهد البابا يوساب على سبيل المثال)، فإن المطالب الإثيوبية في مواجهة المجمع القبطي الحازم تؤكد أنهم شعروا بأن مكسب الاستقلال الذي حصلوا عليه يستند على أرضية مهزوزة على نحو غير عادى. ومع هذا القلق حدث استياء عميق. وسرعان ما تطور هذا الأمر إلى تهديدات واضحة للروابط المتوترة والهشة بالفعل بين إثيوبيا ومصر.[١٥] كانت الوحدة بين الكنيستين التي ظلت لأكثر من ألفية ونصف قد وصلت إلى نقطة انهيار حرجة كانت هذه باختصار "المشكلة الإثيوبية".

بعد ستة أيام من اختيار اسمه في القرعة الهيكلية، في ١٩ أبريل ١٩٥٩، كان أبونا مينا المتوحد يكتب من كنيسته في مصر القديمة، وفى حين كانت الاستعدادات جارية لرسامته وتجليسه كان هو مشغولاً بخطة أخرى. تم إرسال وفد إلى الإمبراطور هيلاسيلاسي، مع رسالة في يده من أبونا مينا المتوحد والبطريرك المنتخب. كتب أبونا مينا في ٢٥ أبريل:

> أبعث هذه الرسالة إلى جلالتكم بعد أن شاءت نعمة الرب واختارت ضعفي لهذا المنصب، وإني أشعر بدعوة الرب وبجسامة المسئوليات التي تتطلبها رعاية النفوس، وأثق أن الذي دعاني هو القادر أن يعينني على توجيه سفينة كنيسته إلى ميناء الخلاص. ويسرني أن أعبر لجلالتكم عما يكنه قلبي من المحبة الفائضة وتقديري لشعبنا الإثيوبي العزيز، ولا شك أنه متى سادت روح المحبة المسيحية الحقيقية والفهم والتقدير المتبادل، فإنه يمكن تذليل كل الصعوبات، والوصول إلى حلول مرضية وبدء عهد جديد يساعد على توطيد هذه الرابطة المقدسة التي طالما حاميتم عنها جلالتكم وسهرتم على رعايتها وتوطيدها طوال حياتكم. المحبة تستطيع أن تفعل كل شيء وتنتصر على كل المعطلات بسلام. يأتي على رأس أولوياتي في اجتماع المجمع المقدس بعد الرسامة احتياجات الكنيسة الإثيوبية العزيزة. ومما يزيد ابتهاجي أن يشترك إخوتي المطران وأساقفة إثيوبيا في وضع أيديهم على رأس بابا الإسكندرية في صلاة الرسامة لأول مرة في تاريخ كنيستنا، مما سيزيدني شعورًا بعمق هذه الرابطة وقوتها، وأني أتطلع بعين الفرح إلى ذلك اليوم الذي التقى فيه بجلالتكم في إثيوبيا العزيزة وفي مصر أيضًا.[١٦]

هناك القليل من المزاح السياسي في الرسالة، حيث يصر أبونا مينا على أن أكثر أولوياته إلحاحًا هي "المشكلة الإثيوبية". فهو لا يطلب حضور الكنيسة الإثيوبية في رسامته فحسب، بل يشتاق لأول مرة في التاريخ أن "يضعوا أيديهم على رأسه" وبالتالي يشاركون في رسامته. كان الاقتراح، بعد ستة أيام فقط من انتخابه، تقريبًا بمثابة ثورة تاريخية. من الواضح أن الرئيس عبد الناصر - الذي اتخذ موقفًا معقدًا إلى حد ما تجاه إثيوبيا - قد أدرك أهمية هذه الخطوة وذهب إلى حد منع أي ممثل إثيوبي بالقوة من حضور الرسامة.[١٧] وأما أبونا مينا فلم يتراجع، فبعد ستة أيام من تنصيبه بطريركًا باسم البابا كيرلس السادس، في ١٦ مايو ١٩٥٩، كتب مرة أخرى إلى الإمبراطور هيلاسيلاسي:

> لقد تأثرنا بالغ التأثر وقدرنا شعور الألم التي عبرتم عنه جلالتك في رسالتك الشفهية لعدم تمكنكم من المشاركة في حفل السيامة. ونحن نتضرع إلى الرب أن تحل نعمة روحه القدوس فترد إلى الكنيسة سلامها وطمأنينتها بروح المحبة

المخلصة والتسامح التي ضمناها في رسالتنا السابقة. ولشعورنا بازدياد التبعات الملقاة على كنيسة القديس مارمرقس في إثيوبيا، في نهضتها الحالية، بفضل تشجيع جلالتكم واهتمامكم، يسرنا أن يكون رفع مركز رئيس كنيسة مارمرقس في إثيوبيا موضع عنايتنا بصفة خاصة.[18]

أعلن البابا كيرلس في ٢٩ يونيو ١٩٥٩، بعد فترة وجيزة من رسامته استقلال الكنيسة الإثيوبية ورفع أبونا باسيليوس إلى مرتبة "بطريرك كاثوليكوس".[19] علق أحد الباحثين بأنه سيكون "أعظم عمل شفاء للبابا كيرلس".[20] في حين لاحظ الكثيرون "السرعة الكبيرة" (بالكاد ستة أسابيع) التي تصرف بها البابا كيرلس لعلاج الكسور التي كانت تهدد بالانفصال، فقد اتخذ القرار في الواقع بعد أيام من رسامته - إن لم يكن قبل ذلك، كما رأينا.[21]

من الصعب تفسير الحل الفوري والحاسم الذي قام به البابا كيرلس؛ خاصة عندما ننظر إلى الخلاف والمقاومة المحتدمة في القرون السابقة، وأن البابا كيرلس كان يحل محل البابا يوساب الذي يفتقدونه بشدة (على الأقل بالنسبة للإثيوبيين) في مواجهة رئيس مصري يرفضه بصورة واضحة. اقترح واتسون، الذي يتفق معه الكثيرون، أن البابا كيرلس لابد أنه ناقش الوضع منذ أيامه الأولى كراهب متوحد في دير البرموس عندما كان يعيش بالقرب من القديس عبد المسيح الحبشي ("الإثيوبي"). ولكن كما رأينا سابقًا، هذا الرأي غير موثوق فيه للغاية نظرًا لأن الروايات عن هذه العلاقة بين أبونا مينا المتوحد وأبونا عبد المسيح الحبشي مبالغ فيها إلى أقصى الحدود. كان تواصلهما محدودًا، ولم يدخل القديس الإثيوبي الصحراء المحيطة بدير البرموس إلا بعد طرد أبونا مينا (البابا كيرلس السادس فيما بعد) من الدير.[22] الرأي الأكثر ترجيحًا هو أن يكون إصرار البابا كيرلس نتيجة لعلاقة أخرى: علاقة تخص أقرب تلاميذه وصديقه أبونا مكاري السرياني. ففي منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، خدم أبونا مكاري في إثيوبيا وعمل في تعليم وبناء وتأسيس الكلية اللاهوتية.[23] قد يفسر هذا في تصوري، إلحاح البابا كيرلس على حل "المشكلة الإثيوبية". لكني أقترح أنه كان لديه أيضًا دافع آخر.

من المهم أن نرى أنه حتى إلى وقت انتخابه بطريركًا، كان الإثيوبيون هم من طالبوا بالاستقلال الكنسي. ومع ذلك، هنا، فإن البابا كيرلس هو الذي يكتب ويبدأ ويتنازل ويتبنى كفاحهم بنفسه. ما الذي تسبب في مثل هذا التحول الجذري؟ هل يمكن أن يكون ذلك هو أن البابا كيرلس درس التاريخ المعقد والمأساوي؟ ورأى ما وراء عدسة السياسة والكبرياء المشوهة بصورة شخصية وكنسية على حد سواء وتصرف بحزم، كما فعل مرات عديدة من قبل، فيما يسمى "الإخلاء الكنسي". وهذا يعني، تحويل إخلائه الشخصي إلى إخلاء كنسي. ما كان ضروريًّا وحيويًّا للملكوت قد تم، وتم على الفور. لقد كانت لحظة مضيئة لإخلاء الذات العرقي والوطني. لقد كان خسارة للمكانة، والتأثير، والسلطة الكنسية، والباباوية، نعم هي خسارة كنيسة إثيوبيا التي كانت تحت رئاسة كنيسته؛ كنيسة الإسكندرية. خسارة كنيسة من أجل الكنيسة.

سيكون البابا كيرلس أول بطريرك في التاريخ يزور إثيوبيا مرتين، في الواقع، لم يكن هناك سوى ثلاث زيارات باباوية مسجلة أخرى في الألفية والنصف الماضية.[٢٤] سافر البابا كيرلس إلى إثيوبيا في ٢٦ أكتوبر ١٩٦٠، في جولة رعوية لمدة أسبوعين، وكان آخر يومين في إريتريا.[٢٥] وأقام طيلة تلك الفترة في قصر منليك (محل الإقامة الشخصي للإمبراطور). كان الإمبراطور هيلاسيلاسي يربي الكثير من الأسود من ضمن ممتلكاته، والتي كان قد تم تقييدها بالسلاسل. اقترب البابا كيرلس في إحدى المرات من الأسود، وتعامل هو والأسود معًا بلطف. يُذكر عن الإمبراطور أنه قال هذا للأشخاص الموجودين الذين كانوا مذهولين "لماذا تندهشون؟ إنه قديس".[٢٦]

عاد البابا كيرلس مرَة أخرى بعد خمس سنوات، في ١٣ يناير ١٩٦٥، كان هذه المرة سيرأس المؤتمر الأرثوذكسي الشرقي الافتتاحي في أديس أبابا. عند نزوله من الطيارة، تم تحيته بإحدى وعشرين طلقة وهتف الآلاف. عندما اقترب الإمبراطور لتقبيل يده، كانت أولى كلمات البابا كيرلس: "أريد أن أذهب إلى الكنيسة لأصلي القداس".[٢٧] وبالفعل كان مستعدًّا، وكان صائمًا، وأحضر معه الحمل (الخبز الذي يتم

تقديسه في سر الإفخارستيا) من مصر. كان مقتنعًا بهذا الأمر "إذا كان الكاهن حاضرًا، والطحين في متناول اليد والمذبح موجود"، كان مولعًا بالقول: "عندئذ إذا لم نصلِّ، فماذا نقول لله؟"[٢٨] على الرغم من أنه نتج عن المؤتمر عدد قليل من القرارات الملموسة، فإن "تقارب الاحتياجات والتعبير عن التضامن" سيكون له نتيجة بعيدة المدى.[٢٩]

يتذكر البابا شنودة الثالث محادثة مع الإمبراطور هيلاسيلاسي تحدث فيها عن حبه للبابا كيرلس؛ إذ يذكر الإمبراطور باعتزاز "كلما جلست مع البابا كيرلس كنت أشعر بأنني طفل صغير مع أبي".[٣٠] توحي صور تلك الفترة بالشيء نفسه، حيث كان الإمبراطور يمسك بيد البابا كيرلس على الدوام وينظر إلى البابا كيرلس بإعجاب ورهبة وربما أيضًا بمخافة كبيرة. لكن سُتمتحن علاقتهما مرارا كثيرة.

اندلع على الفور تقريبًا صراع آخر قديم، نزاع معقد ومظلم بشكل لا يصدق (خارج موضوعنا هذا) بين الرهبان الأقباط والإثيوبيين بشأن ملكية دير السلطان الذي يقع بجوار كنيسة القيامة.[٣١] اتسم الخلاف بالارتباك والالتواء، لأنه كان متشابكًا مع كل المسائل السياسية الملتوية بين مصر، وإثيوبيا، والأردن، وإسرائيل. ولكن وسط تلك المراسلات الفوضوية يبرز الموقف والاتجاه الفريد للبابا كيرلس. بينما كان مختلف الأساقفة من كلا الجانبين يصرخون ويلجؤون إلى المحاكم المدنية والسلطات الحكومية العليا، تحذر رسائل البابا كيرلس خلال هذه الفترة من أن مثل هذه المناشدات من شأنها ببساطة "تأجيج الموقف وإزعاج الجو الهادئ المطلوب للتوصل إلى حل".[٣٢] وعلى الرغم من ذلك، على سبيل المثال، كان الإمبراطور هيلاسيلاسي يتظاهر بالبراءة دائمًا ويدعى الجهل بالموضوع على الرغم من تورطه ومكائده الصريحة، ظل البابا كيرلس متواضعًا دائمًا، وعبر برقة على الأرض الحرجة والمحفوفة بالمخاطر بين الكنيستين، دون تصعيد الموقف أو إصدار أي تهديد. سوف يصبح الأمر أكثر تعقيدًا بعد ذلك في قصة الكنيسة الإثيوبية، سواء في الداخل أو في الخارج - لقد كانت قصة تتسم بالثورة والمجاعة والإبادة الجماعية. مما لا يثير الدهشة

أن الخلاف حول دير السلطان، وربما نتيجة لتلك الظروف، لا يزال مشتعلاً حتى يومنا هذا. ولا يسعنا إلا أن نأمل أن روح الحب والتسامح التي قدمها البابا كيرلس بحنان إلى الكنيستين المهشمتان في عام ١٩٥٩ قد تشفيهما مرة أخرى ذات يوم.

لقد كنت متآمرًا لفترة طويلة لدرجة أنني لا أثق في كل من حولي

جمال عبد الناصر

زار البابا كيرلس المستشفى القبطي في القاهرة في منتصف الستينات، ووفقًا للروايات، قام بشفاء أحد المطارنة الكبار في السن وكان صديقًا قديمًا.[٣٣] ولدى خروجه من حجرة المستشفى، التفت البابا كيرلس، دون أي تفسير، إلى سكرتيره وقال: "لنذهب لزيارة الشيخ حسن مأمون، شيخ الأزهر". كان مأمون (١٨٩٤-١٩٧٣) الإمام الأكبر لجامع وجامعة الأزهر، وهو أعلى سلطة إسلامية في مصر. وبعد عدة مكالمات هاتفية، رد السكرتير بأن الشيخ كان مشغولاً في اجتماعات وأنه من الأفضل تحديد موعد (خاصة أنها ستكون المرة الأولى التي يزور فيها بطريرك قبطي الأزهر). أصرَّ البابا كيرلس: "سنذهب الآن، الله سيجعل كل الأشياء تعمل للخير".[٣٤]

حرص البابا كيرلس على عدم التسبب في أي إحراج عند وصوله إلى الأزهر، وترك عصا الرعاية البابوية في السيارة ووضع صليبه في جيب فراجيته. على الرغم من أن الزيارة لم يتم الترتيب لها مسبقًا، غادر الشيخ على الفور اجتماعه لتحية البطريرك. وعند دخوله المكتب، لاحظ البابا كيرلس أن يد الشيخ المسن ترتعش، حيث كان يبلغ من العمر ثمانين عامًا وكان يعاني من مرض باركنسون. ودون أن يتكلم، أخذ البابا كيرلس يدي الشيخ بين يديه وأمسكهما. تأثر الشيخ مأمون بمحبة البابا كيرلس ولطفه، وانفتح قلبه له قبل عقله.

بدأ البابا كيرلس الحديث قائلاً: "كان ينبغي أن نتقابل منذ فترة طويلة". وتابع البابا كيرلس: "اسمح لي أن أطرح عليك سؤالاً، هل كانت الحروب الصليبية حربًا بين مسيحيي مصر ومسلميها، أم بين أجانب غربيين ومسلمين؟" (كانت الصحف

ومحطات الإذاعة في أوائل الستينيات تعج بالتشهير والافتراء الخطير بأن الأقباط قادوا الحروب الصليبية ضد المسلمين).

أجاب الشيخ مأمون: "كان الأمر بلا شك بين الأجانب والمسلمين!"

وتابع البابا كيرلس "اسمح لي فضيلتكم أن أطلب منك في هذه الحالة إصدار بيان يتم نشره في الصحف وبثه في الإذاعة حتى يتم توضيح الأمر للأمة المصرية كلها. لأن كثيرين يتحدثون على عكس كلامك، وربما يتسببون في قتل مسلم لأخيه المسيحي".[٣٥] وفي اليوم التالي وصل سكرتير الأزهر إلى البطريركية ومعه نسخة من البيان.[٣٦]

يرى البعض أن هذه كانت نقطة تحول في الصراعات الطائفية في الستينيات.[٣٧] بينما قد يكون هذا صحيحًا جزئيًّا، لكن كان هناك العديد من العوامل المعقدة الأخرى. في وسط هذا التفاعل بين العوامل، وقف البابا كيرلس، واضعًا بين يديه بحنان الأيدي المرتجفة والمضطربة لرئيس مسلم غير مبالٍ ولا يمكن التنبؤ بقراراته، وكان على رأس دولة ذات أغلبية مسلمة يتصاعد فيها العداء بشكل متزايد.

بدأت قصة الرئيس المسلم والبطريرك القبطي قبل عقد من الزمان. استولى الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو على الحكم في رد فعل مخطط لأحداث فلسطين في عام ١٩٤٨، والفساد المنهجي، وزيادة انتفاضات الفلاحين، وإحراق القاهرة في أوائل عام ١٩٥٢؛ وتم الاستيلاء على المباني الحكومية ومراكز الشرطة ومقرات الجيش، والأهم من ذلك، محطات الراديو. في خلال ساعات تمت الإطاحة بالنظام الملكي، وأجبر الملك فاروق على التنازل عن العرش، وبث عبر الراديو إعلان تشكيل حكومة جديدة. لكن هؤلاء الضباط "لم يكن لديهم برامج، ولا أيديولوجيا تقريبًا، ولا أي رؤية".[٣٨] على الرغم من أن الضباط الأحرار كانوا الجناح المسلح للحركة الثورية، إلا أن قاعدتهم العسكرية كانت مرتبطة فعليًّا بالمجتمع من خلال قوتين أخريين: اليسار الماركسي، وأيضًا بالأخص مع جماعة الإخوان المسلمين. وهذان التياران "لا يمكن التوفيق بينهما".[٣٩]

ظهر أول تشكيل للحكومة في أوائل عام ١٩٥٤ مع تولي جمال عبد الناصر الرئاسة، والذي كان في الواقع بعد اعتقال منافسه؛ رئيس الوزراء نجيب (١٩٠١-١٩٨٤) و"عودة الجيش إلى ثكناته".[٤٠] أصبح من الواضح على الفور تقريبًا أن استقرار الحكومة استلزم قمع هاتين القوتين المتعارضتين؛ الشيوعيين، الذين قطعوا بالفعل العلاقات مع مجلس قيادة الثورة، والإخوانِ المسلمين، الذين تجرأوا على دعم نجيب ضد عبد الناصر.[٤١] على الرغم من أن جماعة الإخوان سعت رسميًّا لتحقيق أهداف مؤسسها، أي الإغاثة والتدين والتضامن، ولكن بدلاً من ذلك قامت بالاغتيالات العشوائية وأعمال العنف. وسعت أيضًا جماعة الإخوان إلى فرض سياسات مجلس قيادة الثورة، لاسيما تلك المتعلقة بالتعليم والجنس والثقافة. لقد كانت إلى حد كبير "ثورة اجتماعية".[٤٢] أمر عبد الناصر، بحلول يوليو ١٩٥٤، بحل جماعة الإخوان المسلمين على أساس معارضتهم لسياسة الإصلاح الزراعي، ومحاولة اختراق وتخريب الجيش، وتكوين جناح عسكري سري، وأخيرًا محاولة التأثير والسيطرة على مجلس قيادة الثورة.[٤٣] سيستغرق رد فعل جماعة الإخوان المسلمين بضعة أشهر، ففي ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤، في حين كان عبد الناصر يلقي خطابًا في الإسكندرية، أطلق عليه محمد عبد اللطيف، عضو الإخوان المسلمين، تسع طلقات من سبعة أمتار، وكلها أخطأت عبد الناصر لسبب غير مفهوم. اندلع الذعر، لكن عبد الناصر وقف ثابتًا على المنصة وصرخ طالبًا الهدوء قائلاً وهو يصرخ مشحونًا بالمشاعر وبكلمات مؤثرة جدًّا لدرجة أن البعض ادعى أن الحدث بأكمله كان مرتبًا:

> أبناء وطني، إن دمي يسيل من أجلكم ومن أجل مصر. سأعيش من أجلكم وأموت من أجل حريتكم وكرامتكم. دعوهم يقتلونني، لا يهمني ما دمت قد غرست فيكم الكبرياء والشرف والحرية. إذا مات جمال عبد الناصر، فكل واحد منكم سيكون جمال عبد الناصر. جمال عبد الناصر هو لكم ومنكم وهو على استعداد للتضحية بحياته من أجل الأمة![٤٤]

وتم بث الخطاب على الهواء مباشرة عبر الإذاعة. اندلع الهتاف في مصر والعالم العربي. في تلك اللحظة، أُعطي عبد الناصر ذريعة لكي يقوم بقمع الإخوان تمامًا

ونهائيًّا، لكن الأهم من ذلك، في تلك اللحظة نفسها، وقعت الجماهير في حبه تمامًا.[٤٥] تجاوز عبد الناصر منصب الرئيس، لقد أصبح الرئيس زعيم مصر بلا منازع. تبع ذلك قمع شديد وعنيف لجماعة الإخوان المسلمين. وشُنق ستة منهم، وحوكم المئات، واعتُقل عشرات الآلاف. يتذكر زكريا محيي الدين قائلاً: "كانت هذه هي المرة الأولى التي تعاملنا فيها معهم بصورة صعبة".[٤٦] وفي خلال أسابيع، تم حل جميع الأحزاب السياسية المعارضة، وسُجنت الأصوات المعارضة، وأُغلقت الصحف المعارضة.[٤٧]

اتجه الإخوان إلى العمل السري حيث سيكونون مختبئين عن أعين الحكومة، وأصبحت رؤية جماعة الإخوان بلا شك إلى حد ما عنيفة، بسبب القمع العنيف الذي تعرضت له. لكن سرعان ما تغير عبد الناصر وتعامل بتسامح نسبي مع الإخوان. كتب روسيلون: "إني أتساءل هل كانت الحرية التي أعطيت للإخوان المسلمين بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٥، تعكس إغراءً داخل دوائر الفكر الناصري لاستعادة ليس فقط أيديولوجية الإخوان، ولكن قدرتهم على إدارة تلك القيم المرتبطة بالدين سياسيًّا".[٤٨] فقط عندما أصبح من غير الممكن إنكار أن جماعة الإخوان المسلمين كانت تعيد تنظيم نفسها سراً (بدعم خفي من "الوهابية السعودية الغنية بالنفط") للتآمر ضد الدولة، أصبح القمع الوحشي غير قابل للقمع. أُلقي القبض على الآلاف، وتم شنق أقوى مفكري جماعة الإخوان؛ سيد قطب، في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.[٤٩] كانت علاقة عبد الناصر والإخوان معقدة. كان هناك قلة توقعوا أن تكون الكنيسة أفضل حالاً.

على الرغم من أن والد عبد الناصر وُلد في بني مر، وهي قرية كان ٤٠ في المائة من سكانها مسيحيين أقباطًا، فقد نشأ في الإسكندرية، وبدا أنه "ليس لديه آراء قوية بشأن [الأقباط]".[٥٠] كما أنه، على الأقل شخصيًّا، لم يعتبر الإسلام عقيدة مركزية لأيديولوجيته. كان الدين بالنسبة لعبد الناصر وسيلة لتثبيت قيادته، وبقدر ما كان يخدم سياسته.[٥١] لا تعتمد المواطنة، على سبيل المثال، على الدين ولا يحددها الدين.

كانت المواطنة بالأحرى، حقًّا من الحقوق. أملى عبد الناصر في الميثاق الوطني لعام ١٩٦٢:

> حرية المعتقد الديني يجب اعتبارها أمرا مقدسًا في حياتنا الحرة الجديدة. لا يتعارض جوهر الدين مع حقائق حياتنا. تحتوي جميع الأديان على رسالة معاصرة ومتقدمة. إن جوهر جميع الأديان هو تأكيد حق الإنسان في الحياة والحرية.[٥٢]

يمكن اعتبار الدين عنصرًا إيجابيًّا، كما تقترح أيديولوجية عبد الناصر، مادام أنه لا يقيِّد حرية الآخرين ولا يعوق تقدم الأمة. عندما سُئل ناصر عن سياسته الدينية، أجاب: "ليس لدي سياسة دينية، بل سياسة وطنية".[٥٣] بمعنى آخر، يبدو أن ناصر لم يكن مهتمًّا إلى حد كبير بالأقباط.[٥٤] ومع ذلك، كان دعم الكنيسة أمرًا حيويًّا لصورة عبد الناصر في الشرق الأوسط كزعيم للعروبة. وهكذا، ألمح البعض إلى أن هم ناصر الوحيد كان أن يتم التقاط الصور له وهو يقف بجانب البطريرك القبطي.[٥٥]

لكن على الرغم من الدعاية، كان الواقع (على الأقل في البداية) عكس ذلك. وعلى الرغم من أنه يبدو علماني، لا يجب أن نغفل، وكما يلاحظ أحد الباحثين أنه "في الوقت نفسه تم وضع الأساس للتفوق الثقافي للإسلام".[٥٦] مهما كانت تصريحات الأمان والتأكيدات التي تم وعد الأقليات الدينية بها، إلا إنه سرعان ما طغت عليها سياسات عبد الناصر القومية. كانت هذه السنوات، سواء عن قصد أو بغير قصد، أرضًا خصبة للحركات الإسلامية العنيفة في السبعينيات: وكانت بصورة مباشرة بسبب مواقف الدولة المعقدة تجاه جماعة الإخوان المسلمين، والتي تأرجحت بشكل تعسفي بين التسامح الهادئ والقمع العنيف. وبصورة غير مباشرة نتيجة سياسات عبد الناصر التي رفضت "الأسلمة الضمنية للحياة العامة".[٥٧]

تم بسرعة استبدال التمثيل والنفوذ السياسي القليل للأقباط في النظام الجديد، وحصلوا على مقاعد برلمانية رمزية (١ في المائة على الأكثر) في حكومة تأسست على أيديولوجية قومية عربية ناشئة عن الثقافة الإسلامية فيما وصفه نيسان بأنه

"تهميش سياسي لا يحمل أي قوة".[٥٨] أصبح تدريس القرآن وحفظه إلزاميًّا في المدارس المصرية في إطار سياسات عبد الناصر التعليمية لعام ١٩٥٥، وتم إغلاق العديد من المدارس القبطية (جزئيًّا بسبب السياسات الاقتصادية)، واستبعدت في معظم الأحيان المنح الجامعية للدراسة في الخارج الأقباط.[٥٩] ومع تأميم المدارس حدثت أيضًا نتيجة نادرًا ما يلاحظها الناس وربما غير متوقعة. كانت المدارس القبطية قد خدمت المسيحيين والمسلمين بما في ذلك عبد الناصر (ووالده). كان إغلاقها يعني أن الأطفال المسلمين ستتاح لهم فرص أقل للتعرف على الأقلية المسيحية.[٦٠]

لكن سياسات عبد الناصر الاقتصادية كانت هي أكثر ما أضر بالكنيسة. حصر الإصلاح الزراعي في سبتمبر ١٩٥٢، الحيازات العائلية على مائتي فدان كحد أقصى، وكان الاشتراكي العظيم يأمل في إعادة توزيع الثروة بعيدًا عن ملاك الأراضي إلى الفلاحين.[٦١] على الرغم من أحلام عبد الناصر وآماله، كانت نتائج هذه السياسة في الغالب مبالغ فيها، كما لاحظ الكثيرون. أثر الإصلاح بالكاد على عشرة بالمائة من الأراضي الصالحة للزراعة ولم يستفد منه إلا نسبة صغيرة نسبيًّا من الفلاحين المعدمين.[٦٢] لكن هناك أمرًا واحدًا لم يتم أخذه في الاعتبار: شكل الأقباط أغلبية غير متناسبة من تلك الطبقة من ملاك الأراضي.[٦٣] أدى إصلاح الأراضي إلى تفكيك الأملاك القبطية الكبيرة لعائلات ويصا وخياط وأندراوس، في حين أدى تأميم الشركات إلى شل الشركات القبطية القوية مثل شركة مقار ومرجان للأتوبيسات وبنك القاهرة الذي كان يهيمن عليه الأقباط. في خلال سنوات قليلة، تمت إعادة توزيع الثروة فعليًّا بعيدًا عن الأقباط إلى جيرانهم المسلمين.[٦٤]

وعلى الرغم من أن النظام سعى في الأصل إلى إزاحة النفوذ والنسب عن طريق اعتبار الجدارة معيارًا للتقدم - الأمر الذي استفاد منه الأقباط في البداية، الذين حصلوا عمومًا على قدر أكبر من التعليم العالي - إلا أنه تم كبحه في النهاية من خلال انخفاض توظيف الأقباط في الوزارات الحكومية وكليات الجامعات.[٦٥] تم قمع

القطاع الخاص، الذي كان في السابق معقلاً للأقباط، في حين أصبح التعيين في القطاع العام شديد الصعوبة. وبدأ الخطاب المعادي للغرب يتزايد وقام عبد الناصر بترحيل المجتمعات الصغيرة غير المسلمة (معظمهم من اليونانيين واليهود ومن أوروبا الغربية) رغمًا عن إرادتهم. أصبح الأقباط وكأنهم غرباء في أرضهم.[٦٦] تأخرت تصاريح الكنائس (معظمها إلى أجل غير مسمى)، في حين استولت وزارة الشؤون الإسلامية على العديد من الكنائس. تم إغلاق المحاكم الدينية القبطية، وأعيد توزيع الثروة، وأصبح العلمانيون الأقباط الذين كانوا ذوي نفوذ عاجزين. "أصبحت الفجوة شديدةً اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا".[٦٧]

ستفشل سياسات التأميم التي جاء بها عبد الناصر وسياساته الاقتصادية في النهاية، مع تلاشي المكاسب قصيرة المدى في مواجهة الخسائر طويلة الأجل في الإنتاجية والكفاءة. لكن أدت هذه التغييرات من الناحية الثقافية إلى مصير صعب للأقباط؛ أي على الأقل بالنسبة لأولئك الذين بقوا. شهدت الستينيات هجرة جماعية للأقباط إلى العالم الغربي، مما أدى إلى ضعف الكنيسة.[٦٨] يبدو أن عبد الناصر، خلافًا لما تحتفظ به الذاكرة الشعبية، وعلى الأقل حسب تقدير العديد من المؤرخين، "قمع الأقباط بطريقة مسيئة".[٦٩]

يعلن بنينجتون "كان هناك قليل من التوتر الطائفي، أو الأزمة بين الكنيسة والدولة، في عهد عبد الناصر".[٧٠] هذا يقلل إلى حد ما من المشكلة. كانت هناك في الواقع العديد من الكنائس التي تعرضت للهجوم (من قبل كل من الحشود والحكومة).[٧١] لكن هذا صحيح عند مقارنته بالسنوات التي سبقت عبد الناصر وبعده. هناك سببان بارزان لهذا: عدم ثقة عبد الناصر بأحد وعظمة نسك البابا كيرلس.

يعلق أنتوني نوتنغ؛ نائب وزير الخارجية البريطاني: "الشك كان خطيئة عبد الناصر المحيرة وضعفه الأساسي، فلم تتسبب عدم ثقته بزملائه في حدوث تنافر فقط، ولكنه جعله يتدخل باستمرار في عملهم. والأسوأ من ذلك أنه تدخل في الحياة

الخاصة لوزرائه، الذين تم التنصت على هواتفهم".[٧٢] لم تتسامح أيديولوجية عبد الناصر العلمانية مع وجود جماعة الإخوان المسلمين وخصوصًا بسبب إجراءاته الأمنية الشرسة، والحفاظ على سرية المعلومات بصورة أسطورية. ولم يحدث هذا حتى عندما تقاربت رؤاهم الأيديولوجية. وهكذا، في أعقاب التفكك العنيف للإخوان، مع قبضة النظام الشديدة للغاية، لم يكن هناك مجال كبير للفوضى التي غالبًا ما ينتج عنها الصراع الطائفي (بخلاف ما قد يحدث بسبب الحكومة). ضمن هذا أن عهد عبد الناصر لن يكون "سلبيًا تمامًا" بالنسبة للأقباط.[٧٣]

ربما لم يكن هناك اضطهاد صريح، لكن الأقباط، الذين عانوا (بدرجات متفاوتة) من الاضطهاد والإقصاء لمدة ألفية ونصف، استطاعوا فهم ما تنبئ عنه هذه العلامات، وهاجر الكثيرون بناء على ذلك. لقد أصاب الإصلاح الزراعي الكنيسة بالشلل الاقتصادي، في حين أن التهميش السياسي والتعليم التلقيني والاضطهاد الشعبي أصاب مستقبلها بعمق. ضاعت الأرض، ودمرت الصناعة الخاصة، وتم تخريب التعليم القبطي. يعبر أبونا تادرس يعقوب ملطى، ربما أكثر العلماء الاقباط إنتاجًا في جيله، عن مشاعر الكثيرين: "في تلك الفترة الأولى من حكم عبد الناصر، كان لديه هو وحكومته خطة جادة وخفية للغاية ضد الكنيسة".[٧٤]

على الرغم من أن عبد الناصر، إذا أمكننا أن نقول، لم يكن لديه أي عداء شخصي تجاه المسيحيين، فمن الواضح أنه كان متشككًا في الجميع ويخشى ما لا يستطيع السيطرة عليه. ما لم يدركه عبد الناصر (على الأقل في تلك السنوات الأولى) هو أنه على عكس الأطراف الأخرى الجامحة والمضطربة في عصره، لن يحتاج إلى السيطرة على البابا كيرلس وكنيسته. قد يستغرق هذا الإدراك بضع سنوات، وحتى ذلك الحين، مهما كانت النيات الحقيقية لعبد الناصر، كانت الكنيسة في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي تقف على أرض هشة ومحفوفة بالمخاطر. كان باستطاعة عبد الناصر في لحظة ما أن يحظر المسيحية أو يقوم حرفيًا "بترحيلها"، إن

لم يكن أسواء من ذلك، بحجة أنها لا تتوافق مع سياساته. كل هذا لم يحدث بسبب تسامي نسك البابا كيرلس.[٧٥]

البطريرك ورئيس الجمهورية (١٩٥٩-١٩٦٥)

الصديق المخادع أسوأ من العدو الحقيقي.
إما أن يكون الإنسان صديقًا أو عدوًا، حتى نعرف حينئذ كيف نتعامل معه
حكايات إيسوب

دخل إلى البطريركية رجل مسلم في أوائل أكتوبر ١٩٥٩، كان الرجل عضوًا بارزًا في المجلس الوطني وصديقًا مقربًا لجمال عبد الناصر. كان البابا كيرلس قبل بضعة أشهر قد شفى نجل ذلك الرجل نفسه من مرض ما. من الواضح أنها كانت معجزة كبيرة إلى حد ما؛ لأن الرجل، تم إخفاء اسمه بسبب حساسيات منصبه الحكومي، قد تحول إلى المسيحية بعد فترة وجيزة.[٧٦] وجد الرجل البابا كيرلس جالسًا، مشتتًا، ومحبطًا بشكل غير عادي وسأله بلطف "ما الذي يضايقك يا سيدنا؟"

اشتكى البابا كيرلس قائلاً "ذلك الرجل (عبد الناصر)، لقد طلبت منه أكثر من عشر مرات تحديد موعد، ولكن من دون فائدة!"

قاطعه الرجل: "هل هذا كل شيء؟ أنا نفسي سوف أحصل على الموعد، وسنذهب معًا". ناصر، كما أفاد الرجل لاحقًا، لم يكن مهتمًا تمامًا عندما قيل له إن البابا كيرلس كان يأمل في مناقشة مشاكل الأقباط.

"مشاكل مع ماذا ومن؟" استنكر الرئيس: "الأقباط عندهم كل خير. ما هي مشكلتهم، انهم بخير الآن!"[٧٧] لكن الرجل ضغط مرة أخرى، وتم في النهاية تحديد موعد الاجتماع بعد بضعة أيام.

تم تقديم العديد من الاقتراحات حول سبب رفض عبد الناصر مقابلة البابا كيرلس لمدة خمسة أشهر بعد رسامته. من المحتمل أن تكون هناك مجموعة من الأسباب: في أحسن الأحوال يمكن أن تكون اللامبالاة، أو في أسوأ الأحوال المكائد الخفية. ويقول أبونا ميخائيل داود، نجل أب اعتراف البابا كيرلس، إن السبب يعود

إلى موقف البطريرك من قوانين الأحوال الشخصية التي تحكم الزواج والطلاق، ودعوته بسبب ذلك إلى فترة صوم في تحد للحكومة.[٧٨] من ناحية أخرى، يلفت مؤرخ آخر الانتباه إلى فترة الانتخابات التي سبقت سيامة البابا كيرلس.[٧٩] لقد تركت السنوات الأخيرة من بطريركية البابا يوساب في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي - نتذكر اختطافه المؤلم وتنازله عن الكرسي البابوي - انطباعًا لدى عبد الناصر بأن الأقباط كانوا مصدر مشاكل. وقد تفاقم هذا بسبب التقارير التشهيرية التي تلقاها عبد الناصر خلال الانتخابات البطريركية، والتي تشير إلى أن البابا كيرلس (حينها أبونا مينا) كان يمارس السحر. "حلها! لا أريد أن أتدخل" يقال إن عبد الناصر قد أخبر سياسيًّا قبطيًّا في ذلك الوقت بهذا الكلام.[٨٠] ويشير آخرون إلى أن عبد الناصر لم يكن مهتمًّا بالأقباط ولم يكن لديه سوى القليل من الوقت لهم.[٨١] ولكن ربما يكون أكثر التفسيرات واقعية، وإن كان بالتأكيد هذا رأى من يطرحون هذا التفسير، هو أن البابا كيرلس كان هو نفسه المسؤول.

يزعم واكين وميناردس، بدعم من عدة مصادر عربية بارزة، أن التوتر يعود إلى فترة رسامة البابا كيرلس (والتي يجب أن نلاحظ أن عبد الناصر لم يحضرها).[٨٢] بعد الرسامة مباشرة، أرسل عبد الناصر رسالة تفيد أن على البابا كيرلس أن يقوم "بزيارة شرفية "للرئيس، ولا شك أن ذلك كان من أجل الدعاية. وبحسب ما ورد أن البابا كيرلس رد أن "البطريرك يُزار، لكنه لا يزور أحد".[٨٣]

أرسل عبد الناصر بعد فترة وجيزة مندوبًا لتحية البطريرك الجديد. فأرسل البابا كيرلس في المقابل أسقفين كبادرة تحية جيدة. لم يبد الرئيس إعجابه، وعلق بإحباط: "هل هذه دولة داخل دولة؟"[٨٤] حاول رمزي ستينو، نائب رئيس الوزراء لاحقًا، أن يتدخل وذلك بأمر من عبد الناصر لإقناع البابا كيرلس. قال البابا كيرلس للوزير: "لقد أرسل عبد الناصر مندوبًا، وأرسلت مندوبين. لم يكن هو من اختارني، لكن اختارني الله وعنايته الإلهية". وعندما أراد ستينو أن يرحل، أضاف البابا كيرلس بحزم، "من فضلك لا تحاول حماية الكنيسة، إنه دوري أنا".[٨٥] لقد كانت رسالة عنيدة

إلى عبد الناصر معناها أن البابا كيرلس لا يدين له بأي فضل. وأيضا رسالة لستينو وغيره من الأراخنة الأقباط العلمانيين أن البابا كيرلس ليس لعبة في أيديهم.

يبدو أنه بعد حوالي خمسة أشهر من التوتر سعى البابا كيرلس في النهاية، لأسباب غير معروفة، للقاء عبد الناصر.[٨٦] عندما التقيا من خلال وساطة الرجل المذكور أعلاه والذي كان صديقًا مقربًا من الرئيس، سار الأمر بالكاد وفقًا لخطة اللقاء. بخلاف البيانات الموجزة الرسمية المسجلة في الصحف، هناك سرد تفصيلي واحد فقط لتلك الزيارة سجله أبونا صليب سوريال.[٨٧] كما يقول أبونا صليب سوريال وهو من المقربين للبابا ومن أفراد عائلته، وتلميذه: "بخصوص هذه الزيارة أخبرني البابا كيرلس نفسه - على الرغم من أن هذه التفاصيل ليست معروفة ولم يكن من الممكن أن تقال سابقا".[٨٨] وكما سيتضح قريبًا، لم يكن من الممكن نشر تفاصيل اللقاء على الملأ خلال سنوات رئاسة عبد الناصر بسبب التفاصيل الشخصية والتي كان من المحتمل أن تسبب انقسامًا في وقت اتسم بحساسية طائفية عميقة، وفي ظل حكم رئيس، يجب أن نتذكر، كان حفاظه على سرية المعلومات أسطوريًّا".

ذهب البابا كيرلس في ١٢ أكتوبر ١٩٥٩ للقاء عبد الناصر. وبعد تبادل التحيات المعتادة، ساروا في الممر إلى مكتبة الرئيس. يروي أبونا صليب سوريال أنه في حين كانوا لا يزالوا يمشون، التفت عبد الناصر إلى البابا كيرلس وقال: "حسنًا، ماذا يريد الأقباط؟ ما الذي ينقصكم بالضبط؟" يبدو أن عبد الناصر لم يستطع احتواء شهور التوتر.

"ما هذا؟" رفض البابا كيرلس هذا الرد وأضاف قائلاً لعبد الناصر "ما زلنا نمشي ولم نجلس حتى". بحلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى المكتبة، شعر البابا كيرلس أيضًا بالإحباط. قال البطريرك: "أهذا هو كرم الضيافة الذي تستقبلني به؟" (يتدخل أبونا صليب في روايته ويكرر: "هذه الكلمات سمعتها من فم البابا كيرلس نفسه").

"نعم" أجاب عبد الناصر بسرعة "أقول لك إن الأقباط لا ينقصهم شيء لكي تأتي وتخبرني بطلباتهم!"

لم يستطع البابا كيرلس تحمل المزيد وقال "يكفي هذا!" وبنظرة حادة غير معتادة من عينيه. قال لعبد الناصر "منك لله، منك لله. يكفي هذا؛ لا أريد منك أي شيء!" بهذه الكلمات غادر البابا كيرلس بسرعة.

وركض الرجل المسلم الذي نظم الاجتماع وراءه. قال له البابا كيرلس عندما انتبه إلى وجوده أخيرًا: "شكرًا لك على جهودك، لكن هذا الرجل لم يُظهر أي بادرة من كرم الضيافة. على الأقل كان بإمكاننا الجلوس والحوار أثناء شرب القهوة؛ عندها كان بإمكانه على الأقل أن يسمع كلامي وألا يهتم به إن أراد". عند وصوله إلى البطريركية في المساء، صلى البابا كيرلس على الفور صلاة الغروب، حيث وجد الراحة كما كان يجدها دائمًا في الصلاة، قبل أن يذهب إلى قلايته في مقر البطريركية في منتصف الليل.

بعد ساعتين طرق هذا الرجل المسلم بشكل محموم باب البطريركية وهو يوضح للخادم "جمال عبد الناصر، يريد البابا على الفور!"

"لا يمكنني إيقاظه"، قال الخادم بصوت خافت، مدركًا جيدًا أن البابا كيرلس كان رجلاً مسنًّا وسينهض في خلال ساعة من أجل عمل التسبحة. وبعد نقاش خافت، وصل الرجل المسلم أخيرًا إلى باب البطريرك. لكن قبل أن تتاح له الفرصة للطرق - يتذكر أبونا صليب - فتح البابا كيرلس الباب على الفور وهو يرتدى ملابسه الباباوية وقال: "تعال، دعنا نذهب بسرعة". يبدو أن البابا كيرلس لم ينم وكان عارفًا ومستعدًا ومنتظرًا تلك اللحظة. عادوا إلى عبد الناصر، لكنهم التقوا به هذه المرة في منزل عائلته.

عندما وصلوا وخرجوا من السيارة، قال البابا كيرلس بضع كلمات فقط: "أين هي؟" يبدو أن ابنة عبد الناصر أصيبت بمرض شديد. يشير أبونا صليب إلى أنها

"بدت وكأنها ممسوسة بروح شريرة". اتفق الكثير من الأطباء الذين تم استدعاؤهم في ذلك المساء على أنه لم يمكن تشخيص إصابتها بأي مرض عضوي. تذكر عبد الناصر الكلمات الغامضة التي قالها البابا كيرلس في وقت مبكر في اليوم نفسه "منك لله"، وفهم أن الحدثين مرتبطان بعضهما بالبعض. ذهب البابا كيرلس إلى منزل عبد الناصر (لم يصطحب سكرتيره أو أي كاهن) وصلى بهدوء من أجل الفتاة لمدة خمس عشرة دقيقة. وعندما انتهى، عادت للفتاة صحتها وعافيتها.

كان عبد الناصر في حالة صدمة حقيقية وتمتم الرئيس للبطريرك: من هذه اللحظة، سأدعوك يا والدي، وفي المستقبل لا تذهب إلى القصر الرئاسي، بل عندما تقابلني سنتقابل في منزلي. وقال عبد الناصر وهو يقدم عائلته للبابا كيرلس "هؤلاء الأولاد هم أولادك. صل لأولادي كما تصلي لأولادك".[٨٩] وهكذا تنتهي هذه المقابلة الرائعة.

مهما كان رأينا في رواية أبونا صليب سوريال، فلا يمكن إنكار حدوث شيء ما. عند فحص تاريخ تلك الفترة، لا يمكن أن يكون هناك حجة على أن فترة من العداء العميق تم إنهاؤها بشكل مفاجئ وقوي في تلك الزيارة في أكتوبر ١٩٥٩، ليس لأنه تم إنهاء التوتر أو أن علاقة بناءة قد بدأت أخيرًا، وهذا بالطبع يمكن توقعه بشكل طبيعي بعد أي اجتماع، ولكن بالأحرى أن هناك صداقة عميقة وملموسة وحقيقية قد نشأت فجأة في ذلك المساء. وعلى مدى العقد التالي، عبَّر الكثيرون عن صدمتهم عندما سمعوا الرئيس المسلم يشير إلى البطريرك القبطي بكلمة "والدي"، ورؤية أبناء عبد الناصر يسهمون في بناء دير مارمينا في مريوط.[٩٠] كان عبد الناصر والبابا كيرلس يظهرون علنًا أيدي بعضهم في أيدي بعض (وهو تعبير عربي عن الصداقة العميقة)، حتى أن عبد الناصر قام بالاتصال بالبابا وهو على سريره في المستشفى في الاتحاد السوفيتي، وتوسل البابا كيرلس شخصيًّا إلى الرئيس لإلغاء تنحيه عن الحكم في أعقاب الأحداث المأساوية لعام ١٩٦٧. تتفق جميع المصادر، كما سنرى، على أن العلاقة تحولت بشكل ملحوظ، وعلى الفور تقريبًا.

حتى أفراد عائلة ناصر كانوا يستغربون قوة هذه الصداقة. سألت منى جمال عبد الناصر، ابنة الرئيس، ذات مرة المحامي زكي شنودة (وعميد المعهد القبطي لاحقًا) الذي كانت تعمل معه "ما هي قصة البابا؟" رد المحامي "ماذا تقصدين؟" أضافت ابنة الرئيس "كلما زارنا أحد الرؤساء كان والدي (عبد الناصر) يودعهم عند باب غرف الضيوف. لكن مع البابا كيرلس، كان يودعه عند باب السيارة ويبقى هناك حتى تغادر سيارة البابا".[٩١] إذا كانت هذه الرواية صحيحة، فهذا أمر رائع لثلاثة أسباب: السبب الاول، يبدو أن منى (وإن كان ذلك يعود إلى أن القصة مختصرة) لم تكن مدركة سبب صداقة والدها مع البابا؛ ثانيًا، لاحظتْ منى في الوقت نفسه أن العلاقة كانت غير عادية بالنسبة لوالدها؛ والثالث، سجله المحامي القبطي البارز؛ زكي شنودة، الذي أشار في الوقت نفسه إلى شفاء أحد أبناء عبد الناصر، على الرغم من عدم علم منى على ما يبدو بالمعجزة. قد تكون هذه الملاحظات، مع ذلك، غير متوقعة تمامًا. كانت منى في ذلك الوقت تبلغ من العمر اثني عشر عامًا فقط، وكان ناصر شديد السرية حتى مع عائلته، على سبيل المثال، أخفى عبد الناصر النوبات القلبية التي يعاني منها عن زوجته.[٩٢]

حاولت في عدة مناسبات التأكد من رواية الشفاء مع أبناء جمال عبد الناصر. رفض معظمهم إجراء أي اتصال. كان الاستثناء عبد الحكيم عبد الناصر، الذي كان لطيفًا بما يكفي وسمح لي بحوار مطول. قال عبد الحكيم إنه لم يسمع عن حادثة الشفاء هذه من قبل، لكنه أضاف أنه كان يبلغ من العمر أربع سنوات فقط في ذلك الوقت، وبالتالي لم يتذكر هذا اللقاء. وأضاف لاحقًا إنه كان أمرًا معروفًا أن أحد إخوته ربما كان مريضًا في ذلك الوقت، وكانت هناك بعض الآراء بأن البابا كيرلس ربما يكون قد صلى من أجل الطفل، على الرغم من أنه يوضح أنه لم يكن لديه أي علم بحدوث معجزة شفاء.[٩٣]

منذ أن تم الكشف عن هذه القصة- في أواخر السبعينيات أو أوائل الثمانينيات - ظهرت بعض الاختلافات الطفيفة التي تتساءل في معظمها عما إذا كان ابن عبد

الناصر أو ابنته هي التي شُفيت.[٩٤] يدعي أبونا صليب سوريال، على وجه التحديد، أنها كانت ابنة عبد الناصر - على الأرجح، هدى جمال عبد الناصر التي كانت تبلغ في ذلك الوقت ثلاثة عشر عامًا (كانت من مواليد ١٩٤٦).[٩٥] لكن بخلاف تلك التفاصيل المحددة، لم يشكك أو يعترض أي مصدر قبطي آخر على رواية أبونا صليب سوريال، أي باستثناء أبونا رافائيل آفامينا تلميذ البابا كيرلس الآخر.[٩٦] يعترف أبونا رافائيل بحدوث معجزة شفاء في منزل عبد الناصر. لا يوافق أبونا رافائيل آفامينا ببساطة على أن هذه المعجزة حدثت في تلك الظروف وفي تلك الليلة المشؤومة في أكتوبر ١٩٥٩.[٩٧] وكدليل إضافي على الشفاء، يدعي أبونا رافائيل أن البابا كيرلس كشف بشكل غير مباشر عن الأحداث للراهبة الشهيرة والقديسة الأم إيريني (١٩٣٦-٢٠٠٦)؛ رئيسة دير أبو سيفين بمصر القديمة. في إحدى المرات، سمعت الأم إيريني مكالمة بين الرئيس عبد الناصر والبابا كيرلس. بعد أن أغلق البابا كيرلس الهاتف، سألته الأم إيريني: "ما كل هذه الكلمات الرائعة والمحبة من الرئيس عبد الناصر؟ "أي كلمات؟" قال البابا كيرلس دون تفكير كبير. "ألم يرِهِ الله المعجزات؟" يقول أبونا رافائيل: "إذن، فإن البابا كيرلس اعترف دون أن يدري أن هناك شيئًا ما حدث بالتأكيد".[٩٨]

ومع ذلك، ولعله لا يقل أهمية عن المعجزة نفسها، فقد أخطأ الباحثون (من الذين يكتبون باللغة العربية والغربيين على حد سواء) في إدراك أوجه التشابه بين هذه القصة مع ما حدث في حياة الأنبا صرابامون في أوائل القرن التاسع عشر.[٩٩] أوجه التشابه لافتة للنظر. وعلى الرغم من أنها قد توحي بتخيلات في سير القديسين، فإن حقيقة أن جميع الباحثين الأقباط والعرب (ونظرائهم الغربيين) قد فاتهم أوجه التشابه تدل على خلاف ذلك.

رُسم الأنبا صرابامون (تنيح ١٨٥٣) رغما عن إرادته، والذي انتهت "حياته الخفية التي لا يعرفها إلا الله"، وأصبح أسقفًا للمنوفية في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.[١٠٠] ومن اللافت للنظر، أنه كان مثل البابا كيرلس يحيا حياة نسك شديد. وفي خلال سنوات قليلة، اشتهر في جميع أنحاء مصر بمواهبه في طرد الأرواح الشريرة

والشفاء والشفافية الروحية.[١٠١] في السنوات الأولى لتوليه رتبة الأسقفية، دعا محمد علي، خديوي مصر، الأنبا صرابامون لشفاء ابنته زهرة (ولدت سنة ١٧٩٥).[١٠٢] وبعد محاولات عديدة من الأنبا صرابامون ألا يذهب بسبب تواضعه، شفى الأنبا صرابامون الفتاة في ظل عدم تصديق الديوان الملكي. حاول محمد أن يعطى القديس ثروة صغيرة، ولكن بدلاً من ذلك رد عليه القديس قائلاً: "لا يحق لي أن أتكسب من المواهب التي أعطاني الله، الله لم يجعلني في حاجة إلى أي شيء. كما ترون ثوبي من الصوف الأحمر، ووجباتي تتكون من الخبز والعدس البارد".[١٠٣] كان طلب الأنبا صرابامون الوحيد بعد الضغط عليه "أن نبني الكنائس كما نريد" وأن محمد علي "يجب أن يعامل أبناءنا على قدم المساواة".[١٠٤] يُقال إنه بعد ذلك مباشرة قد تغير مصير الأقباط: ويُذكر أن العقود التالية كانت فترة استقرار للأقباط، والأروع من ذلك أن محمد علي، مثل عبد الناصر، كان يفضل التعامل فقط مع البطريرك كممثل وحيد للأقباط.[١٠٥]

نجد أيضًا، بالعودة إلى العصور القديمة المتأخرة، أحداثًا مهمة عن معجزات شفاء للعائلة الإمبراطورية على يد الأساقفة القديسين والتي، في معظم الحالات، أدت إلى معمودية الأسرة الإمبراطورية.[١٠٦] على الرغم من عدم وجود دليل على أن الشفاء المتداول لابنة ناصر (ولا محمد علي) قد بلغ ذروته في المعمودية، ولكن بالمعنى الحقيقي تمامًا، قد نكون لا نزال نتحدث عن التحول؛ أي من العداء (أو على الأقل، اللامبالاة) إلى صداقة عميقة.

في النهاية، كما يعلق أبونا تادرس يعقوب ملطى، سواء شفي البابا كيرلس ابنة عبد الناصر أو لا، هناك شيء واحد لا مفر منه: فقد تغيرت علاقتهما ومكانة الأقباط في مصر فجأة.[١٠٧] لم يكن مجرد تغيير في الظروف، بل تحول عبد الناصر من موقفه الناقد غير المهتم (والسلبي إلى حد كبير) تجاه لمسيحيين إلى دعوة البطريرك والتعامل معه كما لو كان البابا هو نفسه والده. يجب أن يكون قد حدث شيء جذري. لكن

يظل مدى الدقة التي حدث بها هذا التحول فجأة مخفي عن التاريخ مثل الكثير من تفاصيل الحياة الشخصية للبابا كيرلس.

كتب محمد حسنين هيكل:

> لقد تلاقى عبد الناصر والبابا كيرلس السادس، معًا لقد أعجبا بعضهما ببعض، ومن المعروف أن البطريرك كان يمكنه أن يأتي ويرى عبد الناصر متى شاء. استغل البابا كيرلس، الذي كان حريصًا دائمًا على تجنب المواجهة، هذه الصداقة لحل أي مشاكل تواجه الكنيسة.[١٠٨]

من المؤكد أن هيكل كان ملمًا بذلك، فقد كان "التوأم غير المتماثل" لعبد الناصر، وأحد أقرب مستشاريه والناطق بلسانه كرئيس تحرير لصحيفة الأهرام. ولكن على الرغم من ذلك، فقد تم سرد القصة بشكل واضح بما فيه الكفاية في صور تلك الفترة حيث كان عبد ناصر ينظر دائمًا إلى البابا كيرلس بإعجاب (إن لم يكن بتعجب).[١٠٩] يسأل باحث فرنسي، وله الحق في ذلك تمامًا، "ماذا يكون لدى ضابط مسلم شاب، حليق الذقن ورمز دولي لمناهضة الاستعمار وللقومية العربية، وراهب قبطي عجوز بلحية غير مرتبة وجلباب أسود رخيص الثمن من القواسم المشتركة؟"[١١٠] في الواقع لديهما قواسم مشتركة كثيرة جدًّا، فكلاهما كانا نتاج نزوح جماعي من الريف، وعاشا حياة متقشفة، وسكنا في مساكن متواضعة نسبيًّا، وكانا يرتديان ملابس بسيطة - غالبًا ما كان عبد الناصر يفضل القمصان والبنطلونات البسيطة، ونادرًا ما كان البابا كيرلس يرتدي الثياب البابوية الباهظة. لكن الأهم من ذلك، أود أن أضيف: كلاهما أظهر افتتانًا نادرًا وثابتًا تجاه "رسالته".[١١١]

شهدت علاقتهما شفاء التوترات الطائفية في السنوات القليلة الأولى.[١١٢] ولكن بعد ذلك ساد ببطء هدوء غريب. بحلول أوائل عام ١٩٦٤، وعلى عكس روايات بعض المؤرخين الغربيين، تحرك المد مرة أخرى ضد الكنيسة. أُلغيت تصاريح البناء، وأُوقفت أعمال الترميم بالقوة، وأقام الأساقفة الصلوات في الشارع بعد أن طردت السلطات شعبهم من الكنائس، وتم الاستيلاء على الكنيسة في حدائق حلوان (ليس

لسبب سوى أنها كانت ملاصقة لمنزل وزير في الحكومة)، في حين قام جمهور من المسلمين بهدم كنيسة القديسة العذراء مريم تمامًا.[١١٣] كتب البابا كيرلس بغضب إلى عبد الناصر ولم يتلق ردًّا. ظل عبد الناصر صامتًا بغض النظر عن الدمار، وبغض النظر عن الاحتجاج.

انعقد المجمع المقدس في الإسكندرية في مارس ١٩٦٥، ونصح المجمع البابا كيرلس بأن يذهب إلى عبد الناصر مباشرة. لكن البابا كيرلس كان لم يكن قد تحدث إلى عبد الناصر منذ عدة سنوات، وبالتالي "كانت النتائج غير متوقعة تمامًا".[١١٤] أمضى البابا كيرلس الصوم الكبير بأكمله في الإسكندرية في ذلك العام، وذهب في بداية أسبوع الآلام إلى دير مارمينا في مريوط. يتذكر أبونا رافائيل؛ تلميذه، "كان يصلي طوال الأسبوع، ولم يعرف أحد ماذا كان يفعل".[١١٥] في عشية القيامة، ٢٤ أبريل ١٩٦٥، طلب البابا كيرلس فجأة من جميع الزائرين مغادرة الدير (حتى أقاربه) وطلب من الرهبان إيقاف المولدات. عندما سُئل عن السبب، أجاب: "لا حاجة للأنوار هذه الليلة، القديسون لا يريدون الأنوار" لم يفهمه الرهبان وظنوا أنه كان يمزح لكنهم أطاعوا أمره. في تلك الليلة رفض البابا كيرلس أن يصلي قداس العيد وصلى بدلاً من ذلك لاحقًا قداسًا مع عدد قليل من الرهبان. في الواحدة والنصف صباحًا، بعد أن بدأ الصلاة للتو، التفت البابا كيرلس إلى تلميذه وسأله عن الوقت قبل أن يقول، "[يلا يا ابني] بسرعة يا بني، تأخرنا، أسرع". ولكن بعد ذلك، ولدهشتهم، بدأ البابا كيرلس في الصلاة بطريقة غير عادية. يتذكر أبونا رافائيل:

> لقد بدأ يبكي وكانت الدموع تتساقط على الصينية، ويمسح خديه من اليمين واليسار. لم نستيقظ من النوم إلا عندما اضطررنا لترتيل المردات (ألحان القداس). صلينا من الواحدة والنصف حتى الثالثة والنصف صباحًا دون أن نفهم كلمة واحدة. كأنه كان يصلي بمفرده. كانت الكنيسة مظلمة باستثناء شمعة واحدة. عندما بدأنا التناول من الأسرار المقدسة، لم نكن نعرف ماذا كان يحدث.[١١٦]

بعد القداس قال البابا كيرلس للأب رافائيل، "يا ابني، ألا يجب أن تذهب وتطعم الزوار؟" أجاب تلميذه "أي زوار؟ لقد أرسلتهم جميعًا إلى المنزل". كرر البابا كيرلس كلامه "يا ابني، ألا تسألهم أولاً؟ الكنيسة مليئة حتى آخرها، لم يكن هناك مكان واحد فارغ. لا يمكننا إضاءة مصباح واحد. لتكن بركتهم معنا". ثم استدار إلى صحن الكنيسة، وأضاف، "اذهبوا بسلام، اذهبوا بسلام، اذكرونا في صلواتكم".[١١٧] ثم رسم البابا كيرلس علامة الصليب على الكنيسة وغادر.

يعلق أبونا رافائيل: "كنت مرتبكا. ووضعنا الطعام لاحقًا أمام سيدنا، لكنه لم يأكل شيئًا".[١١٨] من الواضح أن أولئك السواح قد زاروا البابا كيرلس، الذين يطلق عليهم "المحمولين بالروح" الذين غالبًا ما يتم وصفهم في الأدب الرهباني بالنساك الذين يقتنون مواهب روحية لا توصف.[١١٩]

من الواضح أن صلواتهم سُمعت على الفور. في اليوم التالي وصل وكيل البطريركية بأخبار أن عبد الناصر قد طلب لقاء مع البابا. وبعد أسبوعين سافر البابا كيرلس في ٩ مايو ١٩٦٥، إلى القاهرة للقاء الرئيس. قال الرئيس بعد أن صافح البابا بحرارة: "لم يصلني منك أي شيء على الإطلاق". شكي عبد الناصر من أن وزيرًا ما في الحكومة لم يذكر اسمه: "أخفى كل شيء عني. رأيت الملف مليئًا بالطلبات والقضايا التي لم يطلعني على شيء بشأنها".[١٢٠] قام عبد الناصر على الفور بعزل الوزير من منصبه وأمر بإجراء تحقيق شخصي في كل قضية. تم حل الأمور وأعيد فتح كنيسة حلوان التي كانت مغلقة منذ أكثر من عام.[١٢١] ثم طلب عبد الناصر من البابا كيرلس زيارة منزله، حيث أراد أولاده - الذين ربما لم يروا البابا كيرلس منذ معجزة الشفاء - مقابلة البطريرك.[١٢٢] طلب البابا كيرلس من عبد الناصر زيارته في البطريركية، لكن "الكاتدرائية القديمة" في الأزبكية لم تكن مؤهلة لهذه الزيارة. كانت قديمة وبحاجة إلى التجديد، وكانت محاطة بأسواق المواد الغذائية التي تعج بفوضى الطيور الحية، والمعروفة باسم "شارع الدجاج والحمام". وهكذا، اقترح عبد الناصر بلطف

أن على البابا كيرلس أن يفكر في بناء بطريركية أخرى.[١٢٣] ولكن هذا سيكون مشكلة في حد ذاته.

بموجب المخطوطة العثمانية لعام ١٨٥٦، "قد يُسمح للأديان الأخرى غير الإسلام ببناء معابد لممارسة شعائرها، ولكن لا يجوز التوسع فيها".[١٢٤] كان مطلوبًا الحصول على إذن من "رئيس الدولة" لتجديد الكنائس القديمة وبناء كنائس جديدة، حيث يواجه مقدمو هذه الطلبات (الأقباط فقط بشكل أساسي)، على حد تعبير محمد حسنين هيكل، "ما هو أكثر من التأخيرات البيروقراطية المعتادة".[١٢٥] من الناحية العملية والتاريخية كان من النادر أن يتم الموافقة على الطلب. وبدلاً من ذلك، كان المصلون في كثير من الأحيان يشترون الأرض ثم يبنون ببطء وهدوء محلات على السور، قبل إقامة مذبح سري على أمل ألا تلاحظه السلطات. ولكن عندما فعلوا ذلك، وكانوا يفعلون ذلك دائمًا، يتلو ذلك كل أنواع الاضطرابات.

يعلق هيكل: "كان مفهومًا أنه أمر مهين أن يجد البطريرك أن أي طلبات للحصول على تصاريح البناء التي قدمها قد ضاعت في متاهة وزارة الداخلية".[١٢٦] يبدو أنه خلال هذا الاجتماع في مايو ١٩٦٥، انتهز البابا كيرلس الفرصة، خاصة بعد أن اقترح عبد الناصر بناء كاتدرائية جديدة. يتذكر هيكل: "كان عبد الناصر متعاطفًا، وسأل عن عدد الكنائس الجديدة التي يعتقد البطريرك أنه بحاجة إليها. كان الجواب بين عشرين وثلاثين في السنة. قال عبد الناصر، حسنًا، وأعطاه على الفور الإذن ببناء ٢٥ كنيسة سنويًا".[١٢٧] أما فيما يتعلق ببناء الكاتدرائية، فقد قال هيكل إنه قد تدخل شخصيًا، و"تحدث إلى عبد الناصر" نيابة عن الأقباط، ولم يحصل فقط على الإذن بالبناء، ولكن أيضًا على قدر كبير من المساعدة المالية. في حين أن كلام هيكل بخصوص تدخله لبناء الكاتدرائية يتسم بالغرور، إن استطعنا أن نقول هذا بطريقة لطيفة، فإن ما ذكره من معلومات موثوق فيها بشهادة كثيرين يؤكدون التفاصيل بمن فيهم أبونا صليب سوريال، وإن كان هناك تصحيح واحد مهم، وهو أن الأنبا صموئيل؛[١٢٨] تلميذ البابا كيرلس، التقى بهيكل مسبقًا واقترح في ضوء التوترات

الطائفية الأخيرة فكرة الكاتدرائية على أنها "نقطة وحدة" بين الحكومة والكنيسة.[١٢٩] أوضح الأنبا صموئيل، "سيعترف أولئك الذين في الخارج (خارج مصر) بوجود سلام، وسيتأكد من في الداخل أن الحكومة ليست ضد الكنيسة".[١٣٠]

نسب عبد الناصر الفضل لنفسه بعد بضعة أشهر، في ٢٤ يوليو ١٩٦٥، عند وضع حجر الأساس للكاتدرائية الجديدة، وأعلن الرئيس في خطابه الرسمي: "لقد طرحت الموضوع، لم تكن الحكومة مستعدة فقط للإسهام المالي، ولكن أيضًا المعنوي، لأن الثورة قامت على أساس الحب والوحدة، وليس على الكراهية والتمييز".[١٣١] تبرع عبد الناصر بمائة ألف جنيه بالإضافة إلى تكاليف العمالة الكبيرة. لا شك أنه أدرك الفوائد، كما يدعي أحد الباحثين، لأنه سيكون مشروعًا "وطنيًا" من شأنه أن يرسخ مكانة مصر كدولة رائدة في الشرق الأوسط.[١٣٢] بدأت أعمال الحفر في ٢٤ أغسطس ١٩٦٧، وفي خلال عشرة أشهر فقط اكتملت الكاتدرائية العظيمة. كان تدشين الكاتدرائية في ٢٥ يونيو ١٩٦٨ أشبه باحتفال ثلاثي: إحياء ذكرى تسعة عشر قرنًا على استشهاد القديس مارمرقس، واستعادة رفات القديس التي طال انتظارها من فينيسيا إلى القاهرة، وافتتاح الكاتدرائية.[١٣٣]

حضر ممثلون عن الكنائس من حول العالم، حيث اجتمعت الحكومة والكنيسة معًا في وحدة وطنية.[١٣٤] أرسل الإمبراطور هيلاسيلاسى ثيابًا بطريركية باهظة الثمن، وبالطبع رفض البابا كيرلس ارتداءها، مفضلاً بدلاً من ذلك ثوبه البسيط والشال الأبيض.[١٣٥] وقفت الكنيسة قبل سنوات قليلة فقط على حافة إراقة دماء طائفية في وجه رئيس لا يمكن التنبؤ بقراراته. ولكن الآن ينظر البابا كيرلس إلى الآلاف المتجمعين في الكاتدرائية، وشهد تجمع الكنيسة العالمية في كاتدرائيته.[١٣٦] وهو ينظر إلى عبد الناصر، الذي لم يستطع احتواء فرحته (على الرغم من أنه كان يكافح على ما يبدو ضد آثار تصلب الشرايين في ذلك اليوم).

عاد البابا كيرلس في نهاية الاحتفالات إلى البطريركية مع تلميذه أبونا رافائيل، قال البابا كيرلس بعد قليل من الصمت وهو بجانبه في السيارة: "يا ابني، هل رأيت مجد هذا اليوم؟"

أجاب الشماس الشاب: "لقد رأيت".

"وهل رأيت البطاركة؟"

أجاب مرة أخرى: " لقد رأيت".

"والرئيس والإمبراطور هيلاسيلاسي؟"

أجاب مرة أخرى: "نعم سيدنا، لقد رأيت".

قال البابا كيرلس بحزن: "يا ابني كل هذا، وكل شيء، لا يساوى حتى يومًا واحدًا من أيام طاحونة الهواء..."

كل المجد، كل الانتصارات الكنسية والوطنية، لم تكن تعني شيئًا له في مقابل طاحونة هوائية متهالكة، وقاسية، ومقفرة كان قد سكنها كراهب غير معروف في ضواحي القاهرة قبل حوالي ثلاثة عقود. يعلق أبونا رافائيل قائلاً: "كنت صغيرًا جدًّا وخائفًا جدًّا من أن أسأله عما كان يقصده، ما الذي كان يمكن أن يكون هناك. ماذا رأى في الطاحونة؟"[١٣٧]

المجلس الملي و"لعنة المومياء" (١٩٦٤-١٩٦٧)

إن التشهير أسوأ من أكل لحوم البشر

القديس يوحنا الذهبي الفم

كان القمص سرجيوس؛ الكاهن المشهور والمثير للجدل، قد أطلق في مرة من المرات على الوقف (أوقاف الأديرة التي يديرها المجلس الملي) لقب "لعنة المومياء".[١٣٨] فكل بطريرك تجرأ على "لمس" القضية وجد نفسه على ما يبدو ملعونًا. كان الانتصار على رئيس مسلم معادٍ على ما يبدو همًّا، والمجلس الملي والوقف كانا همًّا آخر. ستعاني علاقة البابا كيرلس بعبد الناصر خلال العقد القادم من "لعنة المومياء".

كانت بداية البابا كيرلس واعدة للغاية. لقد أوضح عند رسامته أنه مصمم على العمل على "التضحية بالنفس وإنكار الذات" مع المجلس (الذي يغلب عليه الطابع العلماني) أو "مجلس الجماعة".[١٣٩] في اجتماع مبكر في يوليو ١٩٥٩، كان من الواضح أن هذا هو الحال، حيث صرح سكرتير المجلس، "لقد كان اجتماعًا تاريخيًّا في حياة المجلس"، اجتماع محبة وتقدير وتعاون.[١٤٠] قال البابا كيرلس لأحد الصحفيين بعد عام:

> لمدة سبعين عامًا كانت الأوقاف حجر عثرة في حياة الكنيسة، والآن أعيد تنظيمها. فعلت الصلاة كل هذا دون أن نضطر للتحدث بشأنها. سيتم حل بقية مشاكلنا بهذه الطريقة.[١٤١]

لكن على الرغم من تسوية الخلاف غير المستقر حول الوقف في البداية، فإن لعنة الوقف ستظل قائمة لما يقرب من عقد من الزمان.

في ظل حكومة عبد الناصر تحول المجلس إلى "خيال مآته".[١٤٢] تم نقل نطاق "قوانين الأحوال الشخصية" إلى المحاكم المدنية، وتم نقل السيطرة المتبقية على

المدارس إلى وزارة التربية والتعليم، والجمعيات الخيرية إلى وزارة الشؤون الاجتماعية فيما بعد مع سياسات التأميم. ومع الإصلاحات الزراعية لعام ١٩٥٢ وما تلاها من مصادرة لأراضي الأديرة، تُرك المجلس مع الأوقاف فقط، مما زاد من قيمة الوقف.[١٤٣] لقد كانت هذه القرارات تشكل تعطيلاً منظمًا وفعليًا للمجلس الملي وتحجيم دوره (وأيضا أي منظمة خاصة أخرى في هذا الشأن). لكن عبد الناصر لم يكتف بهذا، ففي ١٩ يوليو ١٩٦٠، استبعد مرسوم رئاسي الأراضي البابوية من تشريعات المجلس وحصر ملكية كل وقف بمئتي فدان من الأراضي الصالحة للزراعة ومائتي فدان من الأراضي القاحلة، وتم تأميم البقية.[١٤٤] تم تفويض إدارة الإصلاح الزراعي لمصادرة الحيازات الزائدة من أي وقف وتعويض الكنيسة في المقابل.[١٤٥] لم يكن المرسوم من دون علم البابا كيرلس، كان على ما يبدو هو من طلب هذا.[١٤٦] هو لم يكن بأي حال مستبدًا، لقد استشار المجلس في كل مرحلة.[١٤٧] كان من المقرر أن تقوم هيئة الأوقاف القبطية الأرثوذكسية بإدارة حيازات الوقف المتبقية والتي لا تزال كبيرة جدًا. تكونت هيئة الأوقاف القبطية الأرثوذكسية من ستة أساقفة وستة من العلمانيين (معظمهم أعضاء سابقون في المجلس).[١٤٨] لم يعد المجلس يدير الوقف الثمين. يعلق أحد العلماء الإنجليز أن "هذه الحيلة الإدارية الصغيرة كانت في الواقع انعكاسًا للبصيرة الروحية للبابا كيرلس".[١٤٩]

سارع العديد من كبار الأقباط لكتابة "نعي" للمجلس الملي. كتب مؤسس جريدة وطني أنطون سيدهم:

> نريد من الحكومة أن تلغي المجلس الملي، إنه لم يفعل شيئًا خلال اضطرابات السنوات الأخيرة. تسبب المجلس طوال فترة وجوده في المتاعب فقط. لقد أمضى المجلس السنوات الثماني الماضية يتشاجر مع البطريرك. نريد أن نلغيه. لقد فقد دوره.[١٥٠]

في المقابل استمر آخرون، مثل القاضي فريد فرعوني، وهو عضو قيادي في المجلس الملي السكندري، كما فعل الكثيرون قبله، في الإصرار على أن "الشيء الوحيد الذي يستطيع

الكاهن التعامل معه هو الأمور الروحانية".[151] ولكن كانت غالبية الناس ببساطة سعداء لأنهم لم يسمعوا شيئًا عن الخلاف الذي ابتليت به الكنيسة لفترة طويلة. في ١١ يوليو١٩٦١، انتهز البابا كيرلس فرصة انتهاء فترة السنوات الخمسة للمجلس الملي لإبلاغ الحكومة بأنه "لا يحبذ إجراء انتخابات جديدة"، وبالتالي ضمان تمديد المجلس المنتخب في عام ١٩٥٦ في الوقت الحاضر.[152] أصبح عمل المجلس معطلاً وليس لديه شيء ليفعله "المجلس الملي الذي كان مرعبًا في يوم من الأيام أصبح لا يفعل شيئًا سوى النحيب".[153] تحول ذلك "النحيب" الذي تم تجاهله بشكل متزايد بعد سنوات قليلة إلى استياء يحاول أعضاء المجلس جاهدين ضبطه.

لم يتم التلميح لمدة حوالي خمسين عامًا إلى تفاصيل صدام البابا كيرلس مع المجلس الملي إلا على سبيل الإشاعات والتخمين، إلا الآن مع اكتشاف العديد من الرسائل الرسمية المتعلقة بالفترة.[154] تمثل مثل هذه المراسلات دليلاً وثائقيًا مباشرًا (وليست مثل الافتراءات المثيرة التي تنشر في الجرائد) للاتهامات الموجهة ضد البابا كيرلس في منتصف الستينيات، كان الأهم هو رد البابا كيرلس على هذه الاتهامات. يجب بالطبع قراءة هذه الادعاءات في سياق ما يقرب من قرن من الخلاف الساخن.

في ٢٥ أبريل ١٩٦٤، كتب المجلس الملي إلى البابا كيرلس يعبر عن ولاء أعضائه له وقال المجلس إن المستشارين داخل البطريركية قد أفسدوا علاقتهم مع البابا. تحدد الرسالة المطولة سبع "مشاكل": البابا كيرلس، كما ادعى المجلس، قد قام برسامة الأساقفة بطريقة استبدادية - على وجه التحديد رسامة الأساقفة؛ الأنبا إسحق لطنطا والأنبا مينا لجرجا (على الرغم من أن المجلس اعترف "بصفاتهم الحسنة") - دون استشارة المجلس أو شعب الكنيسة. وأن البابا كيرلس رَسم قساوسة من غير خريجي الكلية الإكليريكية، وأن البابا كيرلس نقل الكهنة بين الأبروشيات، مما تسبب في عدم الاستقرار. أيضًا زعم المجلس أن البابا كيرلس منع توحيد ميزانيات الأبروشيات، وأنه كان قد تدخل في الإدارة المالية للمجلس، وتحديدًا في طلب

"مخصصات البطريرك"، وأنه كان لديه نيات سلبية تجاه المجلس الملي من خلال عرقلة عملية الانتخابات في عام ١٩٦١، وأخيرا، "الحد" من سلطة المجلس.[١٥٥]

رد البابا كيرلس بعد بضعة أسابيع في ١٣ مايو،[١٥٦] وقبل أن يقوم بتفنيد "الاتهامات الحادة" السبعة، شرح البابا كيرلس سبب تجنبه لرئاسة اجتماعات المجلس. وباعتباره رجل الكهنوت الوحيد من بين أربعة وعشرين رجلاً عاديًا، أصبح هو الأقلية داخل المجلس في الاجتماعات السابقة، ومما زاد الأمر إيلامًا هو تورط المجلس مع الصحافة. كتب البابا كيرلس:

> كان الأمر محزنًا حقًا؛ أن أقرأ كل يوم هذه الدعاية الطائشة ضدي في جريدة مصر والمجلس صامت، والصمت معناه القبول. في الوقت نفسه، يقوم المجلس بتزويد هذه الصحيفة بالمال من دخل الأوقاف، الأمر الذي شجع على استمرارها. يعلم المجلس جيدًا أن إهانة كرامة الرئيس الروحي لا تقتصر على الشخص فقط، ولكنها تحط أيضًا من قدر المجلس الذي يرأسه.[١٥٧]

يبدو أن البابا كيرلس كان على علم بتورط المجلس مع هذه الصحيفة التي تثير المشاكل. أما بالنسبة لاتهاماتهم السبعة: يكشف البابا كيرلس عن أسباب الرسامات الأسقفية، ويقدم أدلة على استحقاق المرشحين، ويشرح فعاليات أبروشياتهم وترشيحاتهم، ويدافع عن رسامته للكهنة، ويقول إنهم كانوا في الواقع من خريجي الكلية الإكليريكية باستثناء عدد قليل منهم تم إرسالهم إلى مناطق ريفية ذات دخل محدود، ويوضِّح أن العديد من قضايا الكهنة المنقولين تتعلق "بمسائل الاعتراف" و"الحكمة" الكهنوتية من أجل السلام الذي لا علاقة له بسلطة المجلس.[١٥٨] ومع ذلك، يصر البابا كيرلس على أنه لم يتدخل في الإدارة المالية للمجلس، على العكس من ذلك، فقد أساءوا هم بأنفسهم إدارة الأمور المالية حتى اقتربوا من الإفلاس. ولم يكن لديه أي نية سلبية أو يريد أن يحد من سلطتهم. ذكَّرهم البطريرك أن عبد الناصر، في الواقع، هو الذي حد من سلطتهم بسياساته المدنية والتعليمية والزراعية قبل سنوات من رسامة البابا كيرلس.[١٥٩] ويناقشهم البابا كيرلس قائلاً إذا كان هناك

أي شيء، فإن دورهم "المحدود" يوحي بأنه "ليست هناك حاجة لانتخاب أربعة وعشرين عضوًا ليس لهم دور"، ومن هنا جاءت عرقلة انتخابات المجلس عام ١٩٦١.[١٦٠] يتابع البابا كيرلس "ولكن حتى ذلك الحين، لقد حاول بالفعل تشكيل لجنة فرعية للمجلس في بني سويف والجيزة، وبالتالي نواياه واضحة".[١٦١] أما الاتهام بأنه طلب "مخصصات بطريركية" من الوقف، فهذه مسألة سيطول حلها وستثير خلافًا كبيرًا مع هيئة الوقف القبطية الأرثوذكسية الجديدة. وهم أيضًا سينقلبون على البطريرك.

في ١٨ سبتمبر ١٩٦٥ قدم حنا جرجس سعد ورئيس مجلس إدارة هيئة الأوقاف راغب حنا خطاب استقالتهما إلى البابا كيرلس.[١٦٢] تشير الرسالة إلى درجة من الالتباس فيما يتعلق بدورهما، ربما أخطئا في أن يدركا نطاق سلطتهما بالنظر إلى قيمة الوقف حيث إن العديد من شكاواهما ليس لها علاقة تذكر بالوقف وتتعلق أكثر بمعاملة البابا كيرلس للمجلس. على سبيل المثال، القشة التي قصمت ظهر البعير والتي تسببت في استقالتهما كانت رفض البابا كيرلس لمرشح لرتبة الأسقفية اقترحه اثنان من أعضاء الهيئة. من الواضح تمامًا أنها قضية لا تتعلق بالوقف.[١٦٣] (استقالتهما كانت في الواقع ردة فعل للأخبار التي كانت تقول إن البابا كيرلس سيقوم في اليوم التالي برسامة الأنبا ديوسقوروس أسقفًا على المنوفية [١٩٦٥-١٩٧٦] بدلاً من مرشحهم.)[١٦٤] وحول إصرار البابا كيرلس على تلقي "حصته البابوية" من الأوقاف،[١٦٥] كان هناك حوالي مائتي فدان من "الوقف البابوي" الذي، كما قال البابا كيرلس، كان يحق له الحصول على دخل منه.[١٦٦] اتهم رئيس هيئة الاوقاف برقة البابا كيرلس قائلاً "هذا الطلب يصدم هؤلاء الذين يعرفون عن نسكك في حياتك السابقة".[١٦٧]

أصر البطريرك على أن هذا كان ضمن حقوقه على الرغم من تلميحاتهم، لكنها لم تكن للنفقات الشخصية كما كان واضحًا لأي شخص رأى قلايته البابوية. لم يكن الأمر واضحًا إذا كان البابا كيرلس قد أوضح في البداية نيته في استخدام هذه

الأموال لإعادة بناء دير مارمينا (كما كان سيفعل في النهاية). على الرغم من أن الأمر واضح بالتأكيد في الوثائق اللاحقة وخطاباته الشخصية.[١٦٨] كتب البابا كيرلس إلى شقيقه أبونا ميخائيل "إذا كنا نطالب بتخصيص الأموال، فلدينا الحرية الكاملة في إنفاقها على إعادة بناء دير مارمينا على سبيل المثال، أو أي مشروع آخر".[١٦٩] كتب البابا كيرلس في ١٦ ديسمبر ١٩٦٤ إلى شقيقه الأكبر حنا:

> دعونا نصبر على هؤلاء الذين يؤذوننا رغم أننا فعلنا معهم أعمالاً صالحة. اطمئن، نحن نسافر فقط حسب مشيئة الله، سواء إلى الإسكندرية أو القاهرة، لأننا به نتحرك ونوجد. التنقل أو الاستقرار هو بين يدي الله. لا يمكننا أن نتحرك خطوة واحدة دون أمره. أردت أن أكتب أكثر بكثير، لكن الكتابة متعبة؛ على أي حال، كن مطمئنًا ولا تفكر في الأمر كثيرًا.[١٧٠]

كان الأمر الأكثر إزعاجًا في كثير من النواحي، هو "النشر" العام والمثير للنزاع في عام ١٩٦٤ في صحيفة مصر. لم يكن سرًا أن المجلس، أو على الأقل أعضاء معينين، كانوا بصورة معنوية وراء هذه التقارير، إن لم يكونوا قد دعموا الجريدة ماليًا. كانت مصر هي أقدم صحيفة للمجتمع القبطي، وقد أسسها تادرس شنودة عام ١٨٩٥. كانت في الأصل جريدة موالية لبريطانيا، ثم تحولت لاحقًا إلى تبني أجندة إصلاحية علمانية، خاصة فيما يتعلق بالصراعات الطويلة الأمد بين المجلس الملي والبطريرك.[١٧١] بحلول الوقت الذي تولى فيه البابا كيرلس مهام البطريركية، أصبحت الجريدة مناهضة للإكليروس بشكل متزايد، وبدأت في الاستهزاء بالبطريرك والسخرية من. "كان هدفهم الوحيد هو تشويه صورته"،[١٧٢] ومما لا يثير الدهشة، أن تشهيرها الصريح بالبابا كيرلس يتزامن مع صراع المجلس الملي في عام ١٩٦٤ ويوازيه.

كتبت جريدة مصر في ٧ مارس ١٩٦٤:

> إن عجلة الإصلاح توقفت تمامًا في الوقت الحاضر؛ الأقباط متخلفون ولا يتقدمون. من المفترض أن يكون البابا هو القائد، لكن العجلة مشلولة، فقد منعها من الحركة والتطور؛ إنه لا يرعى عجلة الإصلاح. الفوضى في كل مكان. إنه

> لا يهتم ولا يبدي أي اهتمام، لا هو ولا من حوله. بدأ الناس يقلقون وأصبحوا غير سعداء؛ بدأوا يتساءلون: متى تنتهي هذه المواكب والاحتفالات، حتى يتحول قداسة البابا إلى الأعمال الجادة ويعوضنا عن الوقت الضائع.[١٧٣]

البابا كيرلس، على حد قول جريدة مصر، "ليس لديه خطة للإصلاح".[١٧٤] وقد تم اتهامه بـ "الكثير من الأشياء المخزية"، بما في ذلك الشائعات القديمة عن ممارسته السحر لتفسير التقارير المتزايدة عن المعجزات.[١٧٥] عندما بدأت المقالات الأولى في الظهور، وتضاعفت المبيعات على ما يبدو، قال البابا كيرلس مازحًا "أرسل لهم بعض المال، فلا شك أن الورق والحبر لديهم قد نفد".[١٧٦] حتى جهوده التبشيرية في إفريقيا لم تكن خالية من أن تتعرض:

> أما بالنسبة لتوغلات وغزوات البابا كيرلس في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والدول الغربية والشرقية التي امتدت إلى المريخ وزحل وبقية النظام الشمسي. إنه تقرير مضحك للغاية يستمتع به المدخنون فقط. التدخين ليس من شأننا، لذا سنترك الأمر لهم ليشعروا بالسعادة بضباب دخانه المتصاعد، ويطيروا في رائحته، وتأملاته، وتخيلاته.[١٧٧]

لم تكن الكرازة، على حد قول محرري "مصر"، ذات فائدة تذكر للكنيسة في مصر، ولكن التاريخ بالطبع سيثبت العكس، ومن الواضح بالتأكيد أن الصلاة أيضًا لم تكن لها أي فائدة في نظرهم. كتب المحررون في ١٨ أبريل ١٩٦٤:

> لا يمكننا أن نفهم حكمة قداسة البابا في الذهاب إلى الكنائس في ساعة مبكرة في الساعة الرابعة أو الخامسة صباحًا 'وطرق أبوابها وإيقاظ خدامها؛ في هذا الوقت يكون معظم الشعب ما زالوا نائمين. هل هي خطة معدة لإرهاق الكاهن وخدام الكنيسة أم مجرد نزهة في الصباح لاستنشاق الهواء النقي في الصباح الباكر؟[١٧٨]

لم تكن هذه سوى عدد قليل من المقالات المزعجة التي ظهرت يوميًا تقريبًا من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٦٥ عند المزايدة المزعومة من المجلس. لكن البابا كيرلس، وهو

الآن في أوائل الستينيات من عمره، لم يرد قط على الاتهامات ولم يدافع عن نفسه ضدها. على الرغم من اعتراضات أقرب الأساقفة والمستشارين، فقد ظل صامتًا حتى أنه منع بشدة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف من كتابة دفاع نيابة عنه.[١٧٩] يتذكر أبونا رافائيل:

> لم ينشر قداسته قط تقرير نفي أو مذكرة دفاع. لقد طعنوه عدة مرات، وحاولوا تشويه صورته سنين كثيرة. ظنوا أنهم سيجرونه ذات يوم إلى الصراع، وأصبحوا أقسى وأقسى، وبالغوا في إيذائه ومهاجمته، على أمل أن يقول كلمة واحدة وبالتالي يقع في فخهم.[١٨٠]

تكشف الرسائل الموجهة لأخيه عن صلاة البابا كيرلس الصامتة. فقد كتب البطريرك لأخيه الأصغر؛ أبونا ميخائيل في ١٨ ديسمبر١٩٦٤: "إنني أتوسل إلى رب الكنيسة، لينتقم لعدله من أولئك الذين يرغبون في نشر الإشاعات الكاذبة، ومن خلال شفاعات مارمينا نحن نريد فقط أن تظهر الحقيقة".[١٨١] ظل البابا كيرلس صامتًا حتى عام ١٩٦٦، ولم يخرج عن صمته إلا عندما هنأه أحد تلاميذه على أن الحكومة قد أصدرت قرار بالإغلاق الإجباري لصحيفة مصر. صرخ البطريرك "ماذا تقول؟ تم إغلاق الصحيفة؟ يا ولدي، هذه الصحيفة لديها مائتا عامل جميعهم لديهم عائلات، فمن أين سيطعمونهم؟"[١٨٢] سارع إلى إجراء مكالمات هاتفية إلى المسؤولين الحكوميين الذين أبلغوه أنه لا يمكن فعل أي شيء على الرغم من مناشداته بألا يعاني العمال الفقراء بسبب أخطاء المسؤولين.[١٨٣] لم يرتح البابا كيرلس، على حد قول تلاميذه المصدومين حتى حصل على عمل لأولئك الذين فقدوا وظائفهم.[١٨٤] خرج عن صمته فقط لكي يعلن التضامن والرحمة لأعدائه.

تم إعلان إفلاس جريدة مصر رسميًا، وزُعم أنها فشلت في الحصول على الترخيص اللازم من الحكومة للعمل.[١٨٥] اقترح معظم الباحثين والمراقبين بناء على الذاكرة الشعبية وليس الأدلة أن عبد الناصر أغلق جريدة مصر بناءً على طلب البابا كيرلس، وهذا الطلب كما يقترحون يمتحن قوة صداقتهما.[١٨٦] لكن هذا يتعارض

بشكل مباشر مع روايات المقربين من البابا كيرلس عن حزنه عند سماعه خبر غلق الجريدة. يبدو، على عكس ذلك، أن جريدة مصر واجهت المصير نفسه الذي واجهته العديد من الصحف المصرية المعارضة الأخرى في منتصف الستينيات، أي التأميم. كان عبد الناصر قد حدد عمل الراديو والصحافة على تلك المؤسسات القليلة التي شعر أنها تتماشى مع أهدافه القومية.[١٨٧] يبدو أن جريدة مصر أخطأت في رؤية هذا التوجه من عبد الناصر، لا سيما أنه كان على الملأ، ولم يكن هناك أي تلاعب من البابا كيرلس من أجل غلق الجريدة.

بإغلاق جريدة مصر في عام ١٩٦٦، يكون قد تم إسكات الناطق الرسمي باسم المجلس الملي، لكن المجلس نفسه لم يسكت. كانت إحدى المسؤوليات القليلة المتبقية للمجلس هي الإدارة المالية للبطريركية، والتي تضمنت رعاية الكهنة في القاهرة والإسكندرية، بالإضافة إلى الموظفين الآخرين. بحلول أبريل ١٩٦٧، واجه المجلس عجزًا ماليًا حادًا. نشأت الأزمة بسبب سوء الأحوال الجوية الذي أفسد محاصيل القطن، مما أدى إلى انخفاض حاد في دخل الوقف الخاص بالمجلس، وزاد الأمر سوءًا الانكماش الاقتصادي لعام ١٩٦٧.[١٨٨] لم يتقاضَ حوالي خمسمائة كاهن رواتبهم، وكان المجلس بحاجة إلى واحد وثلاثين ألف جنيه. وهذا كان من شأنه أن يشعل شرارة أزمة المجلس عام ١٩٦٧. وجَّه المجلس اللوم بشكل مباشر إلى البابا كيرلس. اتهم المجلس البابا علانية على صفحات جريدة الأهرام المملوكة للدولة في أبريل ١٩٦٧ بأنه قد أنفق أكثر من خمسين ألف جنيه على دير مارمينا، وجنَّب ما يقرب من عشرين ألف جنيه من ميراث المطرانين الذين تنيحا، وتدخل في إدارة المجلس للأبروشيات المحلية والتجديدات في الكاتدرائية القديمة، وأنه طلب مرة أخرى "المخصصات البابوية" من الوقف ومن العوائد الأخرى.[١٨٩] قال المجلس إن "رعونة" البابا كيرلس، وخاصة الإنفاق على "دير غير ضروري" آخر، هو سبب الأزمة المالية الرهيبة، على حد زعمهم.

رد البابا كيرلس بعد أيام قليلة، في ٢٥ أبريل، من خلال وكيل البطريركية في صحيفة الأهرام. لن يصمت في هذه المرة. تفاجأ البابا كيرلس كثيرًا بهذه الاتهامات، لا سيما أن الأموال التي تم صرفها على دير مارمينا لم تُؤخذ من المجلس، بل من دخل البابا الخاص ومن "تبرعات قُدمت خصيصًا للدير"، ولم تصل إلى خمسين ألف جنيه كما زعموا، وأي أموال تركها المطرانان السابقان قد ورثها خلفاؤهما. ومع ذلك، لم ينكر البابا كيرلس أنه تدخل في تجديد الكاتدرائية القديمة - فقد أُجبر على تصحيح الأعمال التي قام بها مقاول غير كفء - لكنه كان متعجبًا كيف أمكن أن يتسبب ذلك في حدوث عجز عندما تم تنفيذه على نفقته الخاصة (وليس نفقة المجلس)، كما أنه لا ينفي أنه طلب "المخصصات الباباوية" من الوقف لبناء دير مارمينا، لكن على أي حال المجلس رفض، مما أثار استياءه. وتختتم الرسالة بالكلمات: "هذا يكفي، ونشكر الله على كل حال".[١٩٠] ذكرت جريدة الأهرام (الأمر الذي لم تنكره البطريركية في تصويباتها في مقال لاحق) تعليقات البابا كيرلس الأخيرة:

> المجلس، حسب لائحته هو الهيئة الحاكمة لإدارة الشئون البطريركية، وبالتالي تدهور الوضع المالي بسبب قراراته السيئة. لن أمد يدي إليهم بعد موقفهم تجاهي. الحل الوحيد هو أن يستقيل المجلس.[١٩١]

نشر المجلس تعقيبًا مذعورًا في اليوم نفسه، وقدم التماسات يشرح فيها أن الأمر "لم يكن خلافًا في حد ذاته، ولكن اختلافًا في الرأي" و"أننا حريصون على التعاون مع قداسته".[١٩٢] ربما كانوا يتوقعون أن يلتزم البابا كيرلس الصمت، كما كان يفعل دائمًا. لكنهم تعروا الآن. كان الدعم القليل الذي تم التعهد به قد جاء بعد فوات الأوان؛ كان المجلس قد تسبب للكنيسة في أزمة مالية رهيبة مع مئات الكهنة (شريان الحياة للأبروشيات) الذين ظلوا دون أجر لأشهر.[١٩٣] لم يكن من الغريب، كما يتذكر أبونا رافائيل، أن البابا كيرلس، الذي من الواضح أنه كان يحب اللعب بالكلمات، أطلق على المجلس الملي، "مجلس المفلِّس".[١٩٤]

التقى البابا كيرلس في ١٠ مايو ١٩٦٧ بالرئيس عبد الناصر الذي كان متعاطفًا، وأصدر مرسومًا جمهوريًا، وتم ضمان الحفاظ على الأصول البابوية، والتبرع بمبلغ عشرة آلاف جنيه للمساعدة في استئناف الأنشطة. تم وضع الوقف تحت سلطة لجنة من اثني عشر عضوًا، وفي ضوء العجز الحاد وسوء الإدارة المالية الواضح، تم تعليق المجلس قبل أن يتم حله في نهاية المطاف بعد بضعة أشهر.[١٩٥] أصبحت المسؤوليات القليلة المتبقية للمجلس، والإدارة المالية للبطريركية والمؤسسات اللاهوتية تحت إدارة البطريرك مباشرة. كان لهذه الاجراءات نتائج جيدة. بعد ذلك بعامين، ستحقق البطريركية فائضًا ماليًا.[١٩٦]

أنهى البابا كيرلس ملحمة صراع المجلس الملي مع البطريرك التي كانت مستعرة منذ ما يقرب من قرن.[١٩٧] اقترحت فيفيان إبراهيم أن هذه الخطوة "ستؤسس بنية هرمية داخل الكنيسة القبطية. سيكون الإرشاد الديني الكامل والسلطة من خلال شخصية البطريرك".[١٩٨] في حين أن هذا الرأي يبالغ في تقدير القضية، في ضوء تراجع التأثير الاجتماعي والاقتصادي للأقباط العلمانيين في عهد عبد الناصر، فضلاً عن المواهب الروحية الكثيرة التي يمتلكها البابا كيرلس، إلا أن هذا الرأي سيضع الأساس لمركزية السلطة البابوية في مواجهة الحكومة، أو على الأقل سيعيد تأكيدها.[١٩٩]

بالرجوع إلى عبد الناصر، حدث خلال اجتماع معه في ١٠ مايو، أن البابا كيرلس سعى مرتين، وهو مدرك للتوقيت، إلى إنهاء الاجتماع، ولكن الرئيس استأنف الكلام قائلاً: "لم يحن الوقت بعد". ثم وقف الرئيس قائلاً: "أود أن أهنئك مع كل أولئك الذين يهنئونكم بالذكرى الثامنة لتوليكم البابوية" (مرت ثماني سنوات على اليوم)".[٢٠٠]

حينئذ وقف البابا كيرلس، ووضع يده بشكل غريب، على صدر عبد الناصر. قال البطريرك: وهو يستعير الآية التي وردت في سفر الأمثال "أضع يدي على يدي الله كما هو مكتوب: قلب الملك في يد الرب".[٢٠١] تأثر عبد الناصر جدًا بهذه اللفتة التي قام بها

البابا كيرلس، وتشهد العديد من الروايات أن مسؤولاً حكوميًّا أَخطر البابا كيرلس بأن الرئيس شعر بسعادة غامرة بسبب هذه الاجتماع وأن الذبحة الصدرية (ألم الصدر) قد زالت في اللحظة نفسها التي لمسه فيها البابا كيرلس.[٢٠٢] إن الذبحات الصدرية التي أصيب بها عبد الناصر كان يتم كتمانها عن الشعب وتعتبر معلومات سرية، ولكن تم توثيق اثنتين منها في ١٩٦٩ و١٩٧٠، وواحدة أخرى مشتبه بها في عام ١٩٦٥، وحتى زوجته لم يتم إخبارها حتى عام ١٩٦٩.[٢٠٣] ومع ذلك، هكذا تزعم المصادر، أن البابا كيرلس كان على علم في ١٩٦٧.

ومع ذلك، فمن المستبعد جدًّا أن يكون عبد الناصر قد عرف كيف انتهت هذه الآية: "قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله".[٢٠٤] لا يمكنني إلا أن أتخيل بريق عيون البابا كيرلس عندما مر بصمت على تلك الكلمات القليلة الأخيرة وهو يلمس (ويشفي) قلب الرئيس.

الحواشي

[1] Wakin, *A Lonely Minority*, 116.

[2] Meinardus, *Two Thousand Years*, 132; Bengt Sundkler and Christopher Steed, *A History of the Church in Africa* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), 34–41.

يعطي ميناردس في مكان آخر ثلاث روايات تقليدية مختلفة حول كيفية وصول المسيحية إلى إثيوبيا. انظر،
Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 369–71.

[3] Meinardus, *Two Thousand Years*, 133.

[4] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 382.

يقترح ميناردس أن الحساسية بين الكنيستين كانت بسبب "المشاكل المتبادلة للأقليات".

[5] Sundkler and Steed, *A History of the Church in Africa*, 695.

[٦] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٢٢٠ - ٢٢١.

[7] Meinardus, *Two Thousand Years*, 133.

[8] Sundkler and Steed, *A History of the Church in Africa*, 695.

[٩] الايشجى هو راهب من أقوى دير في إثيوبيا، ولكن يبدو أنه ليس أسقفًا.

[10] Meinardus, *Two Thousand Years*, 133.

[11] Watson, "Abba Kyrillos," 23.

[12] Donald Crummey, "Church and Nation: The Ethiopian Orthodox Täwahedo Church," in *The Cambridge History of Christianity: Eastern Christianity*, ed. Michael Angold (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 485; Meinardus, *Two Thousand Years*, 134.

[13] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 394.

[١٤] على سبيل المثال، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٦: ٨١، ٩٥-٩٦. هذا ما تم اقتراحه أيضًا من خلال رسالة هيلاسيلاسي إلى السفير التي أعرب فيها عن تضامنه مع البابا يوساب، فضلاً عن عدم طلب رسامة أسقف محلي آخر (ضمنيًّا، مقابل دعمه).

[15] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 394.

[١٦] أبونا مينا البرموسي، "رسالة إلى الإمبراطور هيلاسيلاسي، ١٩ أبريل ١٩٥٩"، مذكور في، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٢٢٢ - ٢٢٤؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ١٢٣ - ١٢٤.

[17] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 138.

ويدعم هذا الادعاء حقيقة عدم ظهور أساقفة إثيوبيين في صور الرسامة. من ناحية أخرى، يشير زقلمة إلى أن الأمر يتعلق فعلاً بالأساقفة الإثيوبيين الذين يحتجون بسبب دير السلطان. انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٣٧٦.

[١٨] أبونا مينا البرموسي، "رسالة إلى الإمبراطور هيلاسيلاسي، ١٦ مايو ١٩٥٩"، مذكور في، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ١٢٥؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ١٢٣ - ١٢٤.

[١٩] في ١ يونيو ١٩٥٩، أرسل البابا كيرلس وفدًا إلى إثيوبيا استعدادًا لإعلان ٢٩ يونيو. أُعيد نشر الإعلان في:
Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 395–96.

وحدد أن بابا الإسكندرية هو "الرئيس الروحي الأعلى لكنيسة إثيوبيا". سيتم ترقية رئيس أساقفة إثيوبيا إلى مرتبة البطريرك الكاثوليكوس الذي يمكنه رسامة الأساقفة والمطارنة، وستتم دعوته إلى جميع اجتماعات المجمع المقدس القبطي، وسيشارك الإثيوبيون في الانتخابات البطريركية القبطية، وأن جميع الاتفاقات السابقة التي لا تتفق مع هذا الإعلان ستلغى.

[20] Watson, "Abba Kyrillos," 21.

[21] For instance, see ibid., 23.

[22] انظر الفصل ٣، "القديس مار إسحق السرياني: التلمذة الآبائية والتغيير المطلوب".

[23] For a brief discussion, see Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 175.

ودعماً لذلك، يجب أن نلاحظ أن أبونا مكاري كان الراهب الوحيد الذي حضر الوفد المهم في أوائل عام ١٩٥٩ والذي تفاوض على شروط إعلان الاستقلال الذاتي. انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٢٢٧.

[24] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٣٧.

[25] Al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:438.

[26] المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٣٧؛ فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٠-٤١.

[27] هذه الكلمات سجلها خليفته. انظر البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى العاشرة لنياحة البابا كيرلس السادس".

[28] أبونا رافائيل آفامينا، القيادة الروحية، صـ ١١.

[29] Watson, "Abba Kyrillos," 25. Also see al-Masri, *Story of the Coptic Church*, 7:44–46.

دعت هذه القرارات جميع الكنائس إلى التمسك بالكتاب المقدس. وتشجيع مشاركة الشباب، والتركيز من جديد على أهمية العائلة. وتنمية فهم أعمق للأسرار، وإعطاء الأولوية للتعليم اللاهوتي والمنح الدراسية والنشر، وإحياء الرهبنة. وعقد المؤتمر التالي في يناير ١٩٦٦، حيث تم إقامة صلوات الليتورجيا الشرقية الأرثوذكسية، وصلت كل كنيسة حسب طقسها ولغتها.

[30] البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى العاشرة لنياحة البابا كيرلس السادس". انظر أيضًا نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ٣٠٥-٦؛ فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٢.

[31] For a fair study, see Otto Meinardus, *The Copts in Jerusalem* (Cairo: Commission on Ecumenical Affairs, 1960). He later updated his study in Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 436–37.

[32] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٣٧٨.

[33] كان المطران الذي شُفي هو الأنبا كيرلس مطران البلينا (١٩٤٨-١٩٧٠)، وهو صديق عزيز للبابا منذ أن كانا رهبانًا شباب في كلية حلوان اللاهوتية. تنيح المطران في العام السابق لنياحة صديقه. سجل القصة أبونا رافائيل آفامينا الذي حضر في ذلك اليوم. انظر رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

[34] المرجع السابق.

[35] المرجع السابق.

[36] ربما كان هذا هو إعلان ٧ مايو ١٩٦٧. للإعلان، انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٩٦ - ٩٧.

[37] للعلاقة البابا كيرلس والشيخ، انظر،

Sandrine Keriakos, "Saint Marc: Enjeux communautaires et dynamiques politiques," *Conserveries Mémorielles* 14 (2013): 43–47.

[38] Alain Roussillon, "Republican Egypt Interpreted: Revolution and Beyond," in *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century*, ed. M. W. Daly (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), 338.

[39] Ibid.

لن تتم مناقشة الحركة الماركسية نظرا لـ "تفككها الذاتي" المبكر في يناير ١٩٥٦.

[40] أجبر محمد نجيب على التنحي وظل قيد الإقامة الجبرية حتى وفاة عبد الناصر. انظر،

ibid., 340; Jason Thompson, *A History of Egypt: From Earliest Times to the Present* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2008), 294.

للاطلاع على مناقشة لسيطرة عبد الناصر للسلطة من نجيب، انظر،

P. J. Vatikiotis, *Nasser and His Generation* (London: Croom Helm, 1978), 138–51; Vatikiotis, *The History of Egypt*, 383–85.

[41] Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 135.

لمدة عامين تقريبًا، تمكنت جماعة الإخوان ومجلس قيادة الثورة من التعايش في حالة من الاعتماد المتبادل.

[42] Roussillon, "Republican Egypt Interpreted," 341.

لمناقشة تطور الإخوان المسلمين فيما يتعلق بعبد الناصر، انظر

Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 85–96; Joel Gordon, *Nasser's Blessed Movement: Egypt's Free Officers and the July Revolution* (New York: Oxford University Press, 1992), 92–108.

[43] Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 135.

[44] Gordon, *Nasser's Blessed Movement*, 179; see also 179–83.

[45] Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 144–45.

[46] Cited in Gordon, *Nasser's Blessed Movement*, 184.

[47] Thompson, *A History of Egypt*, 294.

[48] Roussillon, "Republican Egypt Interpreted, "349.

[49] Ibid. For a discussion of the 1964 plot, see Gilles Kepel, *Muslim Extremism in Egypt: The Prophet and Pharaoh* (Berkeley: University of California Press, 1985), 31–35.

[50] Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 163. For a biographical sketch of Nasser see Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 23–42.

[51] See Peter E. Makari, "Christianity and Islam in Twentieth Century Egypt: Conflict and Cooperation," *International Review of Mission* 89, no. 352 (2000): 94.

[52] National Charter June 20, 1962; ibid., 95.

[53] Cited in Keriakos, "Saint Marc," 53.

[54] See for instance Tadros, *Motherland Lost*, 169.

يدعي تادرس، "لم يكن لدى ناصر أي عداوة شخصية تجاه المسيحيين. ببساطة لم يكن مهتمًا بالكنيسة... كان كافيًا بالنسبة له إقامة علاقة جيدة مع قيادة الكنيسة".

[55] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 210.

[56] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 134.

[57] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 56.

[58] Mordechai Nisan, *Minorities in the Middle East: A History of Struggle and Self-Expression* (Jefferson, NC: McFarland, 2002), 144.

[59] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 56. Also see Nisan, *Minorities in the Middle East*, 144.

[60] Nelly van Doorn-Harder, "Copts: Fully Egyptian, but for a Tattoo?" In *Nationalism and Minority: Identities in Islamic Societies*, ed. Maya Shatzmiller (Montreal: McGill-Queen's University Press, 2005), 26.

[٦١] حدد الإصلاح مائتين إلى ثلاثمائة فدان.

[62] Thompson, *A History of Egypt*, 297.

[63] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 129; David Zeidan, "The Copts—Equal, Protected or Persecuted? The Impact of Islamization on Muslim–Christian Relations in Modern Egypt," *Islam And Christian-Muslim Relations* 10, no. 1 (1999): 57.

[64] Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 164.

[65] Ibid., 164–65.

[66] Ibid., 165.

[67] Thompson, *A History of Egypt*, 307.

٦٨ وهذا بالطبع سيغير مصير الكنيسة منذ أواخر الثمانينيات. مع تزايد نفوذ وثروة المهاجرين، جاء الدعم المتزايد للكنيسة في الوطن.

[69] Nisan, *Minorities in the Middle East*, 144.

[70] Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 165.

[71] Maura Heardon, "Lessons from Zeitoun: A Marian Proposal for Christian-Muslim Dialogue," *Journal of Ecumenical Studies* 47, no. 3 (2012): 414.

[72] Anthony Nutting, *Nasser* (London: Constable & Robinson Limited, 1972), 304.

[73] Anthony McDermott, *Egypt from Nasser to Mubarak: A Flawed Revolution* (Abingdon, UK: Routledge, 2013), 186.

٧٤ أبونا تادرس يعقوب ملطي، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس: الجزء الأول". يسرد ثلاثة عوامل رئيسة: أُعطيت وسائل الإعلام الضوء الأخضر لمهاجمة الكنيسة، والإصلاح الزراعي، ورفض ناصر في البداية مقابلة البابا كيرلس.

٧٥ على سبيل المثال، انظر إلى ترحيل عبد الناصر للمجتمعات غير المسلمة.

[76] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

للحصول على تفاصيل عن منصب ذلك الرجل في الحكومة؛ انظر: فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٥٥.

[77] Suryal, "Pope Kyrillos VI";

عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس.

٧٨ عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٣١. كان الافتراض هو أن قوانين الأحوال الشخصية الموحدة ستخلق التوازن في الحد من حالات الطلاق بين المسلمين وكذلك في زيادة حالات الطلاق بين الأقباط. يقترح أبونا ميخائيل أن رد فعل البابا كيرلس كان بـ "صيام ثلاثة أيام" في تحد للقرار. أرسل ناصر "مسؤول الاتصال القبطي"، رمزي ستينو، الذي قيل إن البابا كيرلس قال له: "تعال يا رمزي، يا حبيبي، قل للرئيس، كيرلس يصوم لك ولبلدك، وليس ضدك. هو من رعيتك. قل له هذا، نحن نخضع للوطن".

٧٩ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٤٩.

٨٠ المرجع السابق.

[81] Tadros, *Motherland Lost*, 169.

[82] Otto Meinardus, *Patriarchen unter Nasser und Sadat* (Hamburg: Deutsche Orient-Institut, 1998), 34; Wakin, *A Lonely Minority*, 113; Zaki Shenouda, *My Memories of Pope Kyrillos VI* [in Arabic] (Cairo: Egyptian Brothers Press, 1992), 17.

[83] Wakin, *A Lonely Minority*, 113.

يقترح البعض، مثل جرجس حلمي عازر، وهو عضو سابق في المجلس الملي، أن بعض تلاميذه اللامعين نصحوا البابا كيرلس بعدم الزيارة. انظر، مجهول، "البابا كيرلس: صانع المعجزات للأقباط"، روز اليوسف، ١١ نوفمبر ١٩٩٦.

٨٤ زكي شنودة، ذكرياتي، صـ ١٧.

[85] Wakin, *A Lonely Minority*, 113–14; Meinardus, *Patriarchen unter Nasser und Sadat*, 34.

يقترح واكين أنه عندما قام البابا كيرلس بالزيارة في نهاية المطاف في وقت مبكر، لم يقابل ناصر، ولكنه كتب اسمه في سجل الزوار فقط.

٨٦ مما يمكن تقديمه من الروايات، يبدو أن (١) البابا كيرلس رفض في البداية زيارة ناصر دون أن يقوم عبد الناصر بزيارته أولاً كدليل على كرامة المنصب البابوي. (٢) بعد مرور عدة أشهر، وبسبب الظروف التي تواجه المجتمع القبطي، سعى البابا كيرلس لمقابلة ناصر. و(٣) أن ناصر في تلك المرحلة رفض زيارة البابا كيرلس.

٨٧ التقى البابا كيرلس برئيس تحرير جريدة مصر مساء اليوم التالي وطلب منه نشر ما يلي: "البابا كيرلس حريص على الوحدة الوطنية ويشكر الرئيس عبد الناصر على ما شعر به من محبة وتقدير في اللقاء الودي الذي

عقد بالأمس، والذي أبرز جوهر معنى الوحدة الوطنية". مقتبس في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٧٩. كان هذا، بالطبع، البيان الرسمي ولا يمكن توقع تفاصيل أي من أحداث الليلة السابقة.

[88] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[89] Ibid.

انظر أيضًا، نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٠. تسجل معظم المصادر مناقشة واحدة أخرى في "المرحلة الثانية" من ذلك الاجتماع الأول في عام ١٩٥٩، حيث عبر البابا كيرلس عن مشاعره بأن الإيمان سيؤمن الإنتاجية للأمة. للحوار انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٧٩.

٩٠ أكد ذلك ابن ناصر؛ عبد الحكيم عبد الناصر،

"Interview About Nasser and Kyrillos VI," ed. Daniel Fanous (2017).

٩١ زكي شنودة، ذكرياتي، صـ ١٨.

[92] Tahia Gamal Abdel Nasser Nasser, *Nasser: My Husband* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2013), 103–5.

٩٣ ناصر، "مقابلة حول الرئيس عبد الناصر والبابا كيرلس السادس". الأهم من ذلك، أكد عبد الحكيم أن عبد الناصر كان محبوبًا للبابا كيرلس السادس وعامله باحترام أكثر من أي شخصية أخرى، رغم أنه لم يكن على علم بأي عداوة في علاقتهما المبكرة. في وقت هذا الاجتماع في عام ١٩٥٩، كانت هدى تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا. منى، اثنتا عشرة سنة. خالد، تسع سنوات. عبد الحميد سبع سنوات. وعبد الحكيم أربع سنوات.

٩٤ هذه يمكن أن ترجع عمليًا إلى تأكيد إيريس حبيب المصري الخاطئ (من الواضح أنها تتبع رواية أبونا صليب حتى تلك النقطة) أنه كان في الواقع نجل عبد الناصر، عبد الحكيم البالغ من العمر أربع سنوات (مواليد ١٩٥٥) هو الذي شُفي. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٤٨؛ فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ١٨.

٩٥ قد يكون هذا اقتراحًا لأن منى يبدو أنها لم تكن على دراية بالمعجزة، وفقًا لرواية زكي شنودة، ولم يتبق سوى هدى.

٩٦ على الرغم من أن أبونا رافائيل اعترف خلال مقابلة مع المؤلف بوجود بعض الخلاف في العلاقة (ويقول إنه كان بسبب رفض البابا كيرلس مقابلة الرئيس عبد الناصر) في عام ١٩٥٩، إلا أنه اعترض على تفاصيل رواية أبونا صليب عن العلاقة بين معجزة الشفاء وإصلاح العلاقة بينهما في ليلة واحدة: "لا أحب تلك القصة [يكرر التعليق مرتين أخريين]، قلت ذلك ثلاث مرات". لكنه يقول إن معجزة حدثت في وقت ما من عام ١٩٦٠ (وليس تلك الليلة)، مؤكدًا أن تفاصيلها لم تُعرف أبدًا، حيث رفض البابا كيرلس التحدث عنها: "لقد دخل إلى المنزل وحده، لكن عندما دخل، لم نكن نعرف ما فعله... اتضح أنه شفى شخصًا ما، وأن شخصًا ما كان مريضًا... لكن لم يفتح الرئيس عبد الناصر ولا البابا كيرلس فمهما بشأن الأمر. دخل البابا كيرلس المنزل. كيف يمكنه بعد ذلك أن يقول ماذا فعل أو ماذا رأى هناك؟" انظر أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس". يجب علينا بالطبع أن نتذكر أن أبونا رافائيل كان شابًا يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا في عام ١٩٥٩، ولن يصبح شماسًا وتلميذًا للبابا كيرلس إلا بعد مرور خمس سنوات، وبالتالي لا يجب بالضرورة أن نعارض رواية أبونا صليب على هذا الأساس، ويجب أن نذكر اعتراف أبونا رافائيل بأن البابا كيرلس لم يتحدث معه أبدًا، ولا إلى أي شخص آخر، عن معرفته بتلك الحادثة.

٩٧ على الرغم من أننا يجب أن نقبل هذا كاحتمال، على عكس اقتراح أبونا رافائيل في وقت ما في عام ١٩٦٠، فإن الاحتمال البديل هو أن المعجزة حدثت خلال اجتماع عام ١٩٦٥. كان هناك صمت نسبي بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٥ (على الرغم من وجود أسباب لذلك كما سنرى)، وهذا بديل منطقي. ولكن بالنظر إلى الوصف التفصيلي من أبونا صليب؛ المقرب من البابا كيرلس (والذي صادف أنه كان أستاذًا في القانون الكنسي)، فمن غير المرجح أن يكون قد أخطأ في هذه التفاصيل. نحن، بالطبع، لا نلزم بحدوث معجزة، ولكن ببساطة إما أن

نأخذ مصدر القصة على أنه أخطأ (أي أن البابا كيرلس لم يخبره بالفعل) أو نقبل تفاصيل مركزية مثل تاريخ حدوث المعجزة، خاصة في أنه ضروري للسرد الموسع لهذا الموضوع.

٩٨ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

٩٩ الاستثناء الوحيد هي فوال - وهذا ما يقال، إنه ذكر عابر دون مزيد من التفصيل بخلاف ملاحظة أن كليهما قد شفى طفل الزعيم الوطني. انظر،

Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 167.

[100] For a biography, see Rudolph Yanney, "Saint Sarabamon: Bishop of Menoufia," *Coptic Church Review* 8, no. 4 (1987).

[101] Ibid., 110–11.

١٠٢ كانت تُعرف أيضًا باسم الأميرة خديجة نازلي هانم. من الصعب الحصول على سجلات الأنساب، لكن يُقال إنها تعرضت للتسمم أو أنها انتحرت بعد عقود.

[103] Yanney, "Saint Sarabamon: Bishop of Menoufia," 111.

[104] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 18.

[105] Magdi Guirguis, *The Emergence of the Modern Coptic Papacy: The Egyptian Church and Its Leadership from the Ottoman Period to the Present* (Cairo: The American University Press in Cairo, 2011), 65.

[106] For instance, see Polybius and John, *Life of Epiphanius of Cyprus* (PG 41:84–89); and the account concerning the household of Theodosius, reported in the *Life of Donatus of Euroia* (223–319), cited in Rapp, *Holy Bishops*, 299.

١٠٧ يلاحظ أبونا تادرس: "بغض النظر عما يقال عن شفاء نجل وابنة جمال عبد الناصر [يبدو أنه على علم بهذين الروايتين المتداولتين]، كنا على اتصال وشاهدنا اختلاف تعامل الرئيس في الفترة الأولى والثانية من حكمه.

Fr Tadros Malaty, "Interview about the Life of Pope Kyrillos: Part II," ed. Daniel Fanous (2016).

[108] Heikal, *Autumn of Fury*, 166.

١٠٩ أفاد أبونا صليب سوريال أن زكريا محيي الدين (١٩١٨-٢٠١٢)، رئيس وزراء مصر الأسبق، سُمع وهو يهتف بصوت عالٍ في جنازة البابا كيرلس: "كل ما كان يطلبه البابا كيرلس، كان يُنفذ... جمال عبد الناصر كان يوافق على الفور".

See Suryal, "Pope Kyrillos VI."

كما قال البابا شنودة الثالث في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس: "لقد أحبه الرئيس جمال عبد الناصر بصورة خاصة وكان يحترمه جدًّا". البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى الأولى لنياحة البابا كيرلس السادس".

[110] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 208.

[111] Meinardus, *Patriarchen unter Nasser und Sadat*, 35; Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 309–11.

لقد أوضح فاتيكيوتيس بساطة عبد الناصر النسبية وعدم حبه للفخامة.

١١٢ سجل واكين إجابة البابا كيرلس على السؤال حول تعامله مع الحكومة: "نحن دائمًا على اتصال بالحكومة كلما لزم الأمر. ستينو هو مسؤول الاتصال الحكومي في الشؤون القبطية. نرسل له معظم التماساتنا ويرسلها إلى الرئيس. في بعض الأحيان نتواصل مع الرئيس عبد الناصر مباشرة أو بوزراء الحكومة المعنيين. في معظم الأوقات نتلقى ردودًا إيجابية وحسن نية". انظر،

Wakin, *A Lonely Minority*, 117.

يقترح التعليق الاتصال المتكرر، في بعض الأحيان بشكل غير مباشر وفي أحيان أخرى بشكل مباشر. ومع ذلك، يجب أن نلاحظ أنه على الرغم من نشر الكتاب في عام ١٩٦٣، إلا أن المقابلة جرت بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦١.

١١٣ هذا مخالف لتأكيد بنينجتون أن هناك "توترًا طائفيًا ضئيلاً" في عهد عبد الناصر. انظر،
Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 165. For instance, see Suryal, "Pope Kyrillos VI," 80–81;
أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس"؛ أبونا أنطونيوس حنين، محاضرة عن البابا كيرلس السادس، تسجيل صوتي (القاهرة، غير معروف)؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، صـ ٢. يتذكر أبونا حنين أنه ردًا على الوزير الذي أغلق كنيسة حدائق حلوان، أرسل البابا كيرلس الأنبا بنيامين مطران المنوفية ليأخذ مذبحًا مؤقتًا ويصلي في هذه الأرض - وبالتالي تكريس الأرض وفقًا لفتوى مبكرة - لكنه تعرض للعرقلة وبدأ يصلي القداس في الشارع، مما أدى إلى تجمع حشود من الأقباط.

١١٤ أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي، تسجيل صوتي.

١١٥ المرجع السابق.

١١٦ المرجع السابق.

١١٧ المرجع السابق. راجع، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٠.

١١٨ وفي مناسبة لاحقة، سأل أبونا رافائيل البابا كيرلس عما إذا كان قد رأى السواح "الذين يحملهم الروح"، ولم ينكر البابا ذلك. انظر، أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

١١٩ ربما تعود فكرة السواح "الذين يحملهم الروح" إلى القديس أنطونيوس الكبير (٢٥١-٣٥٦): "يقول البعض... لقد كان 'محمولاً بالروح'، أي أنه يحمله الروح القدس، لكنه لن يتحدث عن هذا أبدًا مع الناس. هؤلاء الرجال يرون ما يحدث في العالم، بالإضافة إلى معرفة ما سيحدث في المستقبل". انظر،
Ward, *Sayings of the Desert Fathers*, 7.

وللمناقشة أيضاً، انظر أبونا سمعان السرياني، الآباء السواح، قام بترجمته ليزا عجايبي وماري جرجس،
The Hermit Fathers, trans. Lisa Agaiby and Mary Girgis (Sydney: St Shenouda Monastery Press, 1993).

١٢٠ أبونا رافائيل آفامينا "مذكراتي"، تسجيل صوتي؛ أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس"؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٨٠-٨١.

١٢١ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٨٠-٨١، فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٦٨.

١٢٢ يذكر أبونا صليب سوريال أن عبد الناصر طلب من أبنائه التبرع بمصروفهم للكنيسة كما يفعلون للمسجد. يقول أبونا صليب أن تبرعهم في تلك المناسبة كان يساوي المبلغ المحدد المتبقي لشراء أرض إضافية لدير مارمينا. انظر،

Suryal, "Pope Kyrillos VI";

نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٦.

١٢٣ أبونا رافائيل آفامينا، "بعض المفاهيم الخاطئة"؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢:٨١.

124 Heikal, *Autumn of Fury*, 165; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 137.

125 Heikal, *Autumn of Fury*, 165; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 137.

126 Heikal, *Autumn of Fury*, 166.

127 Ibid.

لقد اتبع معظم العلماء هيكل هنا لأنه المصدر الوحيد لتلك المفاوضات بالذات. تم منح حوالي ٦٨ تصريحًا، وفقًا لأنصاري، في الستينيات، والتي، حتى لو سمحنا بوضع هذا التوجيه في عام ١٩٦٥، لا يزال أقل من النصف على الأقل. لكن، بالطبع، ليس لدينا معرفة بعدد التصاريح التي تم التقدم للحصول عليها بالفعل.
See Hamied Ansari, "Sectarian Conflict in Egypt and the Political Expediency of Religion," *Middle East Journal* 38, no. 3 (1984): 399.

١٢٨ علق الكثيرون على أن هيكل لم يكن أكثر المراقبين حيادية، فقد أمضى سنوات في كتابة خطابات عبد الناصر - وعلى سبيل المثال، يدعي بشكل غير دقيق، في مكان آخر، أن أبونا متى المسكين كان أسقفًا. انظر،
Heikal, *Autumn of Fury*, 168.

[129] Suryal, "Pope Kyrillos VI';

نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٢. يقترح أبونا صليب أن البابا كيرلس أرسل أسقفين (بما في ذلك الأنبا صموئيل) ليصلوا قداسًا في منزل هيكل كعلامة شكر، وهنا يمكننا أن نتساءل وهذا سؤال بديهي كيف يمكن أن يصلوا القداس في منزل هيكل المسلم.

[130] Suryal, "Pope Kyrillos VI."

[١٣١] لقراءة الخطاب بأكمله، انظر زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٤٩٠. لخطابات وضع حجر الأساس، انظر نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ٢٦٩ - ٢٧٤.

[132] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 137.

[١٣٣] لقراءة خطاب الرئيس عبد الناصر أثناء تدشين الكاتدرائية، انظر نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٨٤.

[١٣٤] أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٨١.

[١٣٥] أبونا رافائيل آفامينا، "بعض المفاهيم الخاطئة"؛ أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي. يقول أبونا رافائيل إنه استمر في تقديم الملابس للبابا كيرلس طوال القداس، وأصر البابا كيرلس على عدم ارتدائها.

[١٣٦] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، ١٥٥. يزعم نصر أن الرئيس عبد الناصر كان يعاني من الألم في ذلك اليوم بسبب مرض الأوعية الدموية الطرفية المزمن. لقراءة وصف حالة الرئيس عبد الناصر الطبية (التي سافر من أجل علاجها إلى الاتحاد السوفيتي)، انظر،

Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 304.

[١٣٧] أبونا رافائيل آفامينا، "بعض المفاهيم الخاطئة"؛ أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

[١٣٨] سرجيوس، المنارة المصرية، ١٤ مارس ١٩٤٤، مقتبسًا في،

Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 150.

[١٣٩] في رسالة رائعة كتبها إلى المجلس الملي (عندما كان لا يزال راهبًا في مصر القديمة) في الخمسينيات - يمكن أن نقترح أنها كانت في عام ١٩٥٦، عند انتخاب الأعضاء الجدد للمجلس - أخبرهم البابا كيرلس أنه كان يصلي من أجل نجاحهم قبل انتخابهم بفترة طويلة، وأنهم يحصلون على دعمه الكامل، وشجع المجلس على البدء فورًا في أعمال الإصلاح، مشيرًا من بين اقتراحات أخرى، "بدلاً من إرسال راهب واحد في منحة دراسية إلى أثينا، أرسلوا سبعة ممن يمكنهم بناء [الكنيسة]". انظر القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، رسالة إلى المجلس الملي، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٣٢٠، (مصر القديمة، _١٩٥).

[١٤٠] مجهول، "قداسة البابا يرأس اجتماع المجلس بالإسكندرية"، الأهرام، ١٩ يوليو، ١٩٥٩.

[141] Wakin, *A Lonely Minority*, 116.

[142] Hasan, *Christians versus Muslims, 103*; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 139.

[143] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 235.

كما تم تكليفهم بالإدارة المالية للبطريركية والمؤسسات اللاهوتية.

[١٤٤] أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٥.

[145] Wakin, A Lonely Minority, 151.

[١٤٦] قال البابا كيرلس عن المرسوم: "سيؤدي إلى التنظيم السليم للوقف القبطي الذي كان دائمًا يسبب الشقاق بين الشعب القبطي... كما أنه سيمكننا من استخدام قيمة الأراضي المتبادلة في المشاريع الصناعية ومشاريع إعادة الإعمار التي تنفذها الثورة"؛

ibid.

[147] Watson, *Among the Copts*, 59.

[١٤٨] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٤٠٤ - ٤٠٦.

Watson, *Among the Copts*, 59. Adel Azer Bestawros, "Coptic Community Council," in *CE*, 582.

[149] Watson, *Among the Copts*, 59.

[150] Cited in Wakin, *A Lonely Minority*, 152.

[151] Ibid.

[152] Bestawros, "Coptic Community Council," 582.

لمعرفة السبب وراء ذلك، انظر اتهام المجلس ورد البابا كيرلس، انظر، نائب المجلس الملي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ٢٥ أبريل ١٩٦٤"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٣٧٢، (القاهرة: ١٩٦٤)؛ البابا كيرلس السادس، "رد على مذكرة المجلس الملي، ١٣ مايو ١٩٦٤"، (القاهرة، ١٩٦٤).

[153] Wakin, *A Lonely Minority*, 153.

[١٥٤] تم العثور عليها بواسطة المؤلف مثبتة بين رسائل البابا كيرلس المحفوظة من قبل أبونا رافائيل آفامينا.

[١٥٥] نائب المجلس الملي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ٢٥ أبريل ١٩٦٤". تنتهي الرسالة بطلب إلى البابا كيرلس أن يترأس اجتماعات المجلس، وأن يتعامل مع مخاوفهم، وبنداء من أجل صلواته: "يا صاحب القداسة، ما زلنا أبناءك المخلصين، آمل أن تذكرنا في صلواتك، أمام عرش النعمة".

[١٥٦] من غير الواضح ما إذا كانت الرسالة كتبها البابا كيرلس أم سكرتيره.

[١٥٧] البابا كيرلس السادس، "رد على مذكرة المجلس الملي".

[١٥٨] المرجع السابق.

[١٥٩] المرجع السابق.

[١٦٠] المرجع السابق.

[١٦١] المرجع السابق.

[١٦٢] راغب حنا وحنا جرجس سعد، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٨ سبتمبر ١٩٦٥"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا، رقم ١، الرسالة ٣٦٨ (القاهرة، ١٩٦٥). ليس لدينا رد البابا كيرلس على هذه الرسالة. لكن يمكن إعادة بناء اعتراضات البابا كيرلس على تلك الاتهامات الخاصة بدقة إلى حد ما من خلال الرجوع إلى المراسلات اللاحقة (كما سنرى) عندما يتم توجيه الاتهامات نفسها مرة أخرى من قبل المجلس في عام ١٩٦٧ في أعقاب إفلاسهم.

[١٦٣] كما يتهمون أيضًا البابا كيرلس بتجاهل تقريرهم عن الإصلاح الديني، مرة أخرى يتجاوزون نطاق مؤسسة الأوقاف القبطية.

[١٦٤] حنا وجرجس سعد، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٨ سبتمبر ١٩٦٥".

[١٦٥] يشير خطاب المجلس المؤرخ في ١٥ أبريل ١٩٦٤ إلى أن البابا كيرلس طلب ذلك لأول مرة في خريف عام ١٩٦٢، وقد تم تفصيل الطلب في خطاب استقالة راغب وحنا لعام ١٩٦٥؛ راجع نائب المجلس الملي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ٢٥ أبريل، ١٩٦٤". حنا وجرجس سعد، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٨ سبتمبر ١٩٦٥".

[١٦٦] رسالة كتبها البابا كيرلس قبل ذلك بشهور إلى شقيقه الأصغر؛ أبونا ميخائيل، توضح معرفته بالأوقاف التي تم تخصيصها قانونيًا للعديد من الأساقفة، بالإضافة إلى الإشارة إلى أن البابا كيرلس كان على علم بتواطؤ المجلس ورسائل متكررة إلى راغب حنا (رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأوقاف القبطية). يبدأ البابا كيرلس: "تلقيت أيضًا رسالة من السيد راغب حنا، تتضمن نسخة من خطاب المجلس، وهو لا يحتوي على المجاملة والتأدب والدين... ناقش الموضوع مع السيد راغب ووضح أن له سؤالي هو: هل لدي اعتمادات أو فوائد من الدخل من الأوقاف تحت اسم البطريرك أم لا؟" انظر البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى أبونا ميخائيل، ١٨ ديسمبر ١٩٦٤"، في مجموعة أبونا رافائيل رقم ١، الرسالة رقم ٤٧ (القاهرة، ١٩٦٤).

[١٦٧] حنا وجرجس سعد، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٨ سبتمبر ١٩٦٥".

[١٦٨] يمكننا أن نقترح بأنه نظرًا للاستجابة السلبية من المجلس تجاه رغبته في إعادة بناء دير مارمينا في أوائل الستينيات، ربما سعى البابا كيرلس لتأمين الأموال بشكل غير مباشر من خلال أوقافه الباباوية بدلاً من طلب الدعم المالي مباشرة.

[169] البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى أبونا ميخائيل دون تاريخ، _١٩٦"، في مجموعة أبونا رافائيل رقم ١، الرسالة ١٤٨ (القاهرة: _١٩٦). الرسالة مؤرخة فقط بـ "_١٩٦" كن المحتوى يشير إلى أواخر عام ١٩٦٤ إلى أوائل عام ١٩٦٥.
[170] البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى حنا يوسف عطا، ١٦ ديسمبر ١٩٦٤"، في مجموعة رضا، الجزء الثاني، الرسالة رقم ٣٢ (١٩٦٤).
[171] Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 51; B. L. Carter and Mirrit Boutros Ghali, "Coptic Press," in *CE*, 2011; Elizabeth Iskander, *Sectarian Conflict in Egypt: Coptic Media, Identity and Representation* (New York: Routledge, 2012), 26.
[172] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١.
[173] مصر، ٧ مارس ١٩٦٤، مذكور في أبونا رافائيل آفامينا، ينبوع التعزية، صـ ٥٩-٦٠.
[174] مصر، ١٧ أبريل ١٩٦٥، المرجع السابق، صـ ٦٠.
[175] مصر، ١٨ أبريل ١٩٦٤، مقتبس من فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، ٤٧-٤٨.
[176] عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢٩.
[177] مصر، ١١ أبريل ١٩٦٤، مذكور في أبونا رافائيل آفامينا، ينبوع التعزية، صـ ٦٥. التقرير المشار إليه صادر عن المنظمات القبطية بالإسكندرية في الذكرى الخامسة لرسامة البابا كيرلس.
[178] مصر، ١٨ أبريل ١٩٦٤، مقتبس من فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٧-٤٨.
[179] عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢٩. وبالمثل انظر إلى الموقف نفسه في رواية أخرى، أبونا رافائيل آفامينا، معجزات البابا كيرلس السادس، ٢: ٤٤.
[180] أبونا رافائيل آفامينا، ينبوع التعزية، صـ ٦٦.
[181] البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى أبونا ميخائيل، ١٨ ديسمبر ١٩٦٤".
[182] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١.
[183] عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢٩.
[184] عطا وأبونا رفائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤١؛ عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٢٩.
[185] Mary Massad, "The Story of the Misr Newspaper," *Watani International*, May 3, 2015; Carter and Ghali, "Coptic Press," 2011; Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 88.
[186] Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 88.

تقدم فوال كمرجع مقابلة مع شخص علماني بارز.
[187] Iskander, *Sectarian Conflict in Egypt*, 28–35.
[188] مجهول، "خلاف خطير بين البابا كيرلس السادس والمجلس"، الأهرام، ٢١ أبريل ١٩٦٧.
[189] Hasan, *Christians versus Muslims*, 86.
[190] البابا كيرلس السادس، "بيان من البطريركية القبطية الأرثوذكسية، ٢٤ أبريل ١٩٦٧"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة ٣٩٣ (القاهرة، ١٩٦٧). نُشر البيان في جريدة الأهرام في ٢٥ أبريل ١٩٦٧. يوضح البابا كيرلس في البيان أيضًا مدى سوء الإدارة المالية من قبل المجلس، بما في ذلك اختلاس الأموال لاستخدامات أخرى غير تلك المحددة في دستوره.
[191] مجهول، "خلاف خطير".
[192] مجهول، "المجلس يصدر بيانًا حول خلافاته مع البابا كيرلس"، الأهرام، ٢٤ أبريل ١٩٦٧.
[193] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٦. وذهب المجلس إلى حد اقتراض ٢٠٠٠ جنيه من منظمة التوفيق لدفع رواتب عمال البطريركية الأشد فقرًا.
[194] أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.
[195] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٧؛ أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٩٦؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٨١. في ٦ ديسمبر ١٩٦٧، أصدر الرئيس مرسومًا (استجابة لطلب البابا

كيرلس) يقضي بأن وزير الداخلية سيختار اثني عشر عضوًا جديدًا لإدارة الوقف لمدة ثلاث سنوات؛ وأن يتولى البطريرك جميع الشؤون المالية والمؤسسات اللاهوتية للكنيسة. انظر المرجع السابق. ١: ٤٠٨-٩.

١٩٦ فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٤٦؛ أبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

١٩٧ وعاد المجلس في نهاية المطاف إلى الانعقاد في عهد البابا شنودة الثالث في عام ١٩٧١، وإن كان ذلك بصورة متغيرة تضمن علاقة سلمية ومستقرة نسبيًا مع البطاركة المستقبليين. ولن يُدار الوقف دائمًا دون تدخل. يتذكر أبونا ميخائيل داود حدثًا في عام ١٩٦٨ عندما طالبت هيئة الإصلاح الزراعي أن تدفع البطريركية ١٥٠ ألف جنيه. تم حل المشكلة بعد ثلاثة أيام من الصلاة، عندما كما قال أبونا ميخائيل أن مارمينا ساعده ووجد أن الحكومة مدينة بنحو ٢٥٠ ألف جنيه للكنيسة. مقتبس في أبونا رافائيل آفامينا، الخدمة والتواضع، صـ ٢٠-٢١. يدعي ماهوني أيضًا أنه في عام ١٩٦٨، صادرت الحكومة حوالي ١٥٠-٢٠٠ وقف على أساس أنه قد تكون بحوزة بعض المستفيدين المسلمين. ستبقى هذه قضية حساسة بين الدولة والحكومة لعقود.

see O'Mahony, "Coptic Christianity," 500.

198 Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 177.

199 Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 166; Tadros, "Vicissitudes in the Entente," 271–72.

٢٠٠ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢:٨٢.

٢٠١ أمثال ٢١: ١. ومن المثير للدهشة أنه لم يلاحظ أي من العلماء التشابه مع البابا ديمتريوس الثاني (١٨٦١-١٨٧٠) - لكنني أظن أن البابا كيرلس كان على علم بذلك. وفي الاحتفال بافتتاح قناة السويس، قبَّل البابا ديمتريوس السلطان على صدره. انزعج السلطان، وسأل الحراس البابا عن السبب. قال البابا: "يقول كتاب الله: 'قلب الملك في يد الرب' (أمثال ٢١: ١)، فعندما قبلت قلبه، قبلت يد الله". فسُر السلطان وأعطاه أرضًا وافرة لمساعدة الفقراء والمدارس. للاطلاع على مناقشة مختصرة للبابا ديمتريوس الثاني، انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 71; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 85.

٢٠٢ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٧.

203 Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 304–5.

تقول زوجة عبد الناصر إنها لم تكن على علم بأي نوبة قلبية حتى عام ١٩٦٩، وحتى ذلك الحين لم يتم إخبارها، لكنها أدركت فقط عندما رأت الأطباء يتدفقون بسرعة وأنه يتم تركيب مصعدًا في منزل العائلة. انظر،

Nasser, *Nasser: My Husband*, 103–5.

٢٠٤ ومرة أخرى، والغريب أن أحدًا من المعلقين لم يلاحظ ذلك في إشارة إلى البابا كيرلس السادس. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن نيللي فان دورن توصلت إلى النتيجة نفسها عند مناقشة حقبة البابا ديمتريوس الثاني والسلطان. انظر،

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 85.

٩

ثلاثة أساقفة وراهب

الإخلاء الكنسي

فكرة الإصلاح: تأثير النسك الشخصي

لكي تحيا يجب أن تتغير، ولكي تكون مثاليًا يجب أن تتغير دائمًا

كاردينال نيومان

"من هو البابا كيرلس؟ هل هو من يصنع المعجزات؟ من يخرج الشياطين؟" سأل أبونا رافائيل بهدوء وهو يهز رأسه: "هذا ليس كل شيء عن البابا كيرلس، ولكن إذا كنت تريد أن تعرف من هو حقًّا، فسأخبرك:

في عام ١٩٦٨، كان هناك كاهن محبوب للغاية، نقله البابا كيرلس إلى البطريركية لمدة ستة أشهر ليخدم معه عن قرب. ثار الشعب كله [وهم غير مدركين السبب]؛ خدام مدارس الأحد، واجتماعات الشباب، ولجنة الكنيسة وكانوا كلهم يسألون: "كيف يمكنك نقل هذا الكاهن المحبوب؟" بدأ الناس يشتمون، ووصلت الأتوبيسات إلى البطريركية مليئة بالناس. وصرخوا قائلين "نريد عودة كاهننا". ثم بعد ستة أشهر، نقله البابا كيرلس إلى أبروشية أخرى (مزدهرة أكثر بكثير من التي كان يخدم بها). ولكن مرة أخرى قامت الثورة. بدأوا يشتمون وينتقدون البابا كيرلس مرة أخرى. ومع ذلك، ظل البابا كيرلس صامتًا. واستمر هذا الأمر لبعض الوقت حتى وبخه صديق قديم كان يعرفه منذ وقت إقامة البابا كيرلس في مصر القديمة قائلاً: "إنك تصنع المشاكل، والكل منزعج وغاضب؛ أرْجِعْ فقط الكاهن إلى رعيته، فهل نحن بحاجة إلى مزيد من المشاكل؟" أسرَّ البابا

كيرلس بهدوء لصديقه العزيز: "لو كنت تعرف الحقيقة، هذا الكاهن لا يستحق الكهنوت".[1]

في هذه اللحظة، غَلبت أبونا رافائيل مشاعره بصورة واضحة وقال:

لا يستحق الكهنوت؟ ومع ذلك ظل صامتًا لمدة ستة أشهر، يتعرض للسخرية والانتقاد والشتائم القبيحة. ولم يفتح البابا كيرلس فمه ليوضِّح موقفه ولو لمرة واحدة. لم يكن الأمر مجرد خطأ بسيط قام به الكاهن، الرجل لم يكن مستحقًّا للكهنوت على الإطلاق، ومع ذلك يحتضنه البابا كيرلس ويأخذه معه في البطريركية، ثم يعيده مشفيًّا. هذا هو البابا كيرلس. هذا هو البابا كيرلس![2]

كان القس الفاسد إلى حد كبير نتاج عصره؛ ويُقال إنه كان متورطًا في مخالفات مالية، وكان يستحق العقاب والإذلال العلني، وحتى الشلح إلا أن البابا كيرلس أحبه وشفاه، واحتمل البابا كيرلس على حساب كرامته النقد لمدة ستة أشهر. قد تكون هذه الخطوة بالنظر إلى الخلافات الكنسية الغربية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين بالطبع ليست مثالية، وربما حتى موضع تساؤل، مما يضع بمعنى ما سمعة الكاهن فوق حقوق المؤمنين. لكن هذا يغيب عن اهتمام البابا كيرلس بالسمعة الشخصية أو غير ذلك. لم تكن سمعة الكاهن هي التي تهمه، بل بالأحرى شفاؤه. رفض البابا كيرلس أن يغض الطرف عن الفساد، لكنه لم يكن على استعداد للتخلي عن الكاهن الفاسد.

كان هذا الحدث نموذجًا لمنهج الإصلاح الذي اتبعه البابا كيرلس: كان هو الذي يدفع الثمن دائمًا من خلال قداسته الشخصية وتأثير حياة النسك التي كان يعيشها، وفوق كل شيء، يفعل هذا بهدوء، من دون محاكمة، ويسعى إلى أن يقدم الشفاء فقط. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن البابا كيرلس كان ("صانع معجزات")، لكن كان قبل كل شيء يشفي كنيسته. تمامًا كما شفى الكاهن، أخذ البابا كيرلس في حضنه كنيسة محطمة ومكسورة وفقيرة، وتحمل بصمت كل أنواع السخرية، وشفى بلطف المرض بنفسه. سيكون هذا من سمات "أسلوبه" في الإصلاح.

إن فكرة الإصلاح قديمة، ومع ذلك، على الأقل بالنسبة للعالم المسيحي الأرثوذكسي، فإنه يظل مصطلحًا غير مرغوب فيه إلى حد ما بعد قرون من الخضوع للحكم العثماني التركي في مصر، وأكثر من ذلك الخضوع تحت اليد القمعية للحكام المسلمين. أيضًا كانت الكنيسة عالقة بين العداء الكاثوليكي والحماس التبشيري البروتستانتي "مما يعني أن مصطلحات مثل الإصلاح والمراجعة والتطور والابتكار أصبحت من المحرمات".[٣] حصنت الأرثوذكسية نفسها إلى حد ما وكانت تقاتل من أجل الاستمرارية التاريخية من خلال "تحجرها" في التركيز على التقليد.[٤] ناهيك عن الانقسامات المتزايدة (والاغتراب اللاهوتي) في العالم الغربي بعد "الإصلاح"، الأمر الذي من شأنه أن يعزز الشكوك العميقة حول كلمة "الإصلاح" ذاتها. يعلق أحد العلماء: "مثل هذه المصطلحات إن لم تكن ممنوعة تمامًا، على الأقل سيُنظر إليها على أنها مصطلحات إشكالية وغريبة على التقاليد والروحانية الأرثوذكسية".[٥] لم تكن الأولوية العاجلة هي التجديد أو الإصلاح، بل مجرد البقاء على قيد الحياة.

ولكن على الرغم من التأكيد على "التقليد"، إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية كانت تتميز دائمًا بفهم عميق لعمل الروح القدس؛ النفخة المجددة التي للروح القدس وبالتالي توجد في تاريخ الكنيسة لحظات عديدة من "الفهم النقدي للرسالة الأصلية؛ فهم حدسي عميق، ومن خلال عملية ديناميكية وخلاقة.[٦] وهكذا في حين أن فكرة "الإصلاح" موجودة عادة في البروتستانتية، إلا أنها يمكن تطبيقها في الأرثوذكسية، كما يقول ميندورف "إن فكرة الإصلاح يمكن تطبيقها على العناصر الإنسانية فقط ويوجد الكثير منها في تاريخ الكنيسة".[٧]

يجب أن نلاحظ هنا أن "الإصلاح "بالمعنى الدقيق للكلمة ليس التجديد التنظيمي أو المؤسسي، أو التكيف مع روح العصر، ولا هو إعادة ترسيخ العقيدة، على الرغم من أن هذه مرتبطة بالتأكيد بالإصلاح"، على الأقل في دراستنا هذه، أنه يعني التصحيح والشفاء والتحول بدلاً من التشوه والخلل والخراب والفساد، أي عودة إلى الهدف، هدف خلقة الإنسان.

بدأت دراسة فكرة الإصلاح بصورة ملموسة مع جيرهارت لادنر (١٩٠٥-١٩٩٣). ما وجده كان غير متوقع تمامًا عندما درس العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة. في حين أن التجديد قد يكون له أصول قبل المسيحية، فإن الإصلاح كان "مسيحيًّا أساسًا في أصله وتطوره المبكر".[٨] كان الإصلاح بلا شك نموذجًا مثاليًّا منذ البداية؛ لكن الفكرة المسيحية الأولى لم تكن تتعلق بإصلاح الكنيسة، كانت تتعلق بإصلاح الشخص.

ربطت المسيحية المبكرة فكرة الإصلاح بفكر بولس الرسول عن الإنسان "خبرة الإنسان الجديد في المسيح".[٩] لغة الكتاب المقدس عن التغير والتجدد (على سبيل المثال، رسالة رومية١٢: ٢؛ رسالة كورنثوس الثانية ٣: ١٨؛ فيلبي ٣: ٢١)، تتكلم عن "عملية فردية" وعلى وجه التحديد "إصلاح شخصي" تجاه "أن يكون الإنسان على صورة الله".[١٠] عندما نظر لادنر إلى الأدب الآبائي المبكر، وجد الشيء نفسه.[١١] يتمحور الإصلاح دائمًا حول توبة الفرد وتحوله. وصف القديس غريغوريوس النيصي، على سبيل المثال، "إصلاح" الإنسان بأنه "إعادة المثال" من خلال التطهير، إلى صورة الله.[١٢] كان الوصف المفضل هو عن لوحة يتم ترميمها "فسدت اللوحة ولكن لم تتلف تمامًا بسبب استخدام الألوان الخاطئة وخاصة بسبب تراكم الأوساخ والغبار".[١٣] ولكن، يضيف القديس أثناسيوس الرسولي أنه لا يمكن للصورة أن تتجدد إلا إذا كان الشخص الذي صُنعت على مثاله؛ المسيح في حالة الصورة الإلهية في الإنسان - حاضرًا مرة أخرى.[١٤] لم يكن الإصلاح في البداية استجابة للركود المؤسسي ولا عودة عقيمة إلى ماضٍ عفا عليه الزمن. كان للإصلاح علاقة بتحول الإنسان إلى صورة الله - الذي هو المسيح. باختصار، الإصلاح بالنسبة للآباء يعني الإصلاح الشخصي.[١٥]

على مر القرون، اتخذت الفكرة، بشكل تدريجي، طابعًا يتخطى الفردية، طابعًا جماعيًّا.[١٦] مثلت الرهبنة المبكرة، ولا سيما في فكر باسيليوس الكبير واستاثيوس من سبسطية، "حركة إصلاح جذري أكثر عمومية تطلب من جميع المسيحيين التمسك

التام بأسلوب الحياة الرسولي الإنجيلي".[١٧] وجد الإصلاح الشخصي الذي كان أيضًا جماعيًّا، تعبيره الأعمق هناك في الطبيعة الراديكالية للرهبنة. حاول يوحنا ذهبي الفم لاحقًا إصلاح المجتمعات المسيحية في أنطاكية والقسطنطينية على الأساس نفسه. ولكن، يعلق لادنر، "لم ينجح، ربما لأنه حاول الوصول إلى ما هو أبعد من دائرة التأثير النسكي".[١٨] سيلقى الإصلاح، من أعلى، مهما كانت النية حسنة، منذ ذلك الحين مصيرًا مماثلاً. الإصلاحات الكارولنجية (في فرنسا) والغريغورية الغربية في القرنين التاسع والحادي عشر، والتي كانت في الأساس عبارة عن إصلاح داخلي تشريعي، لم تستطع إلا أن تفشل. يجادل بيليتو بأن قدرتها على "الإصلاح" كانت محدودة، لأنها لم تكن إصلاحًا للقلوب.[١٩] كان إصلاحًا من الخارج لا من الداخل.

ينبثق من هذه الدراسة الموجزة للغاية للإصلاح نتيجتان حيويتان. الأولى هي أن الإصلاح المسيحي الحقيقي والأصيل والشامل هو قبل كل شيء إصلاح وجودي شخصي؛ التحول الشخصي الرائع إلى صورة الله.[٢٠] وإذا كان الإصلاح شخصيًّا في نهاية المطاف، فإن أي توضيح للإصلاح في الكنيسة القبطية في منتصف القرن العشرين يجب أن يكون شخصيًّا إلى حد كبير. الثانية تستمد من ملاحظات لادنر وبيليتو أن محاولات الإصلاح فوق الفردية (أو المؤسسية) قد فشلت حتمًا. يقترح لادنر، في حالة ذهبي الفم في القرن الرابع، أن هذا كان نتيجة تجاوز "مجال تأثيره النسكي" أبعد من تأثيره على تلاميذه، وبالتالي، تجاوز قدرته على تغيير القلوب. من غير الواضح ما إذا كان لادنر قد أدرك المعنى الكامل لهذه الكلمات (لم يعلق بعد ذلك). لكن كلماته العابرة تستدعي السؤال التالي: إذا كان قدر الإصلاح الداخلي مقصورًا على "مدى" تأثير النسك الشخصي، فهل هناك أي طريقة لكي يمتد هذا التأثير بصورة أكبر؟

ماذا لو، على سبيل المثال، يمكن للإصلاح أن يتحرك من خلال "التأثير النسكي"، من خلال ثورة القلوب، من فرد إلى فرد؛ شيء من التلمذة للإصلاح؟ ماذا لو استمر عدد قليل من التلاميذ في أن يصبحوا مصلحين، وقاموا أولاً بإصلاحاتهم الشخصية؟ ماذا لو تجاوزوا هم أيضًا نطاق تأثيرهم النسكي؟ وماذا لو كان هناك خلفهم

شبكة من التلمذة تم تشكيلها من خلال نظام فريد لمدارس الأحد، هذا النظام كان لديه القدرة على توسيع مجال التأثير النسكي إلى ما هو أبعد من متناولهم الفردي؟ كما في حالة مصر الحديثة.

أقترح أن هذا هو بالضبط ما فعله البابا كيرلس. لقد تحرك من خلال تأثير نسكه الفريد وأحدث ثورة غير عادية في القلوب تجاوزت شخصه إلى حد بعيد. إن حياة النسك الشخصي للبابا كيرلس قد تبعها تلمذة ونشر لهذا النسك، وأحدثت تحولاً في كنيسة بأكملها في اثني عشر عامًا قصيرًا، وهو عمل لا يقل عن أن يكون معجزة. ربما كان هذا ما تصوره لادنر عندما تحدث عن فكرة الإصلاح الآبائية: "يمكنها في ظل ظروف معينة أن تحرك قلب حضارة بأكملها".[٢١]

لقد احتضن البابا كيرلس كنيسة باكية ومهشمة، كما فعل مع ذلك الكاهن الفاسد الذي لا يستحق، وشفاه من خلال إصلاحه النسكي الشخصي ودفع البابا كيرلس ثمنًا غاليًا على حساب كرامته الشخصية نتيجة لذلك. لهذا السبب، فإن الروايات التالية لتلاميذه؛ سعد عزيز (الأنبا صموئيل)، ووهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس)، ونظير جيد (البابا شنودة الثالث)، ويوسف إسكندر (أبونا متى المسكين)، ستكون وجهة شخصية للغاية في فهم تأثير نسك البابا كيرلس، وهو التأثير الذي أحدث أحد التحولات الأكثر عمقًا في تاريخ المسيحية.

”الأساقفة العموميون“: الإبداع الأسقفي والأنبا صموئيل (١٩٦٢-١٩٦٦)

أي كان المكان الذي تعيش فيه، لا تتركه بسهولة

القديس أنطونيوس الكبير

كانت إحدى أولى خطوات البابا كيرلس للإصلاح ابداعًا مقصودًا غير معروف للجميع باستثناء القليل. نادرًا ما كُتب عن تفاصيل هذا الحدث، وحتى عندما ذُكر، تم ذكره فقط في تلميحات عابرة. في خلال أسابيع من رسامته بطريركًا، في مايو ١٩٥٩، طلب البابا كيرلس من الأستاذ وهيب عطا الله أحد تلاميذه أن يقترح فكرة جديدة (كان عميد الكلية الإكليريكية آنذاك)، يتذكر وهيب قائلاً: ”لقد طلب مني اقتراح خطة لكرسي القديس مارمرقس، لذا اقترحت على قداسته اقتراحًا مكتوبًا مفصلاً لرسامة عدد من ’الأساقفة العموميين‘ ويكون مقرهم في القاهرة“.[٢٢]

لم تكن الخطة، المتواضعة والعادية في ظاهرها، أقل من خطة إصلاح لرتبة الأسقفية. واقترح وهيب رسامة أربعة ”أساقفة عموميين“، لا يتم رسامتهم لأبروشية محددة، بل لتلبية احتياجات وظيفية: تعليم اللاهوت، والشؤون العامة والاجتماعية، والمهجر، والطقوس الليتورجية.[٢٣] إذا وضعنا جانبًا للحظة الحرية التي يمكن أن يتحرك بها ”الأساقفة العموميون“ دون قيود احتياجات الأبروشية والشعب، كان لدى البابا كيرلس دوافع أخرى. بعبارة مهذبة، لا يمكن رسامة أسقف آخر لأبروشية إلا عندما يتنيح أسقف هذه الأبروشية. إن انتظار نياحة الأسقف، وبالتالي أن يكون هناك مكان للأسقف الجديد، هو أمر من شأنه أن يؤخر الإصلاح العاجل لسنوات، إن لم يكن لعقود. هذه الفكرة المبتكرة، التي جاءت بعد ألفي عام من ممارسة الإصلاح، أعطت البابا كيرلس الوسائل الفورية لبث الإصلاح من خلال تلاميذه في التسلسل الرأسي للسلطة الكنسية. وهذا يوضح أن الإصلاحات الجذرية التي ستحدث في العقد التالي لم تكن مجرد صدفة أو عشوائية في طبيعتها؛ لقد تم في

الواقع التخطيط لها إلى حد ما خلال الأسابيع الأولى من رسامة البابا كيرلس بطريركًا.

بالنسبة للبعض من تلاميذه المقربين، كان هذا الاقتراح نابعا مباشرة من شخصية البابا كيرلس. كتب وهيب بعد عدة عقود: "كان يدرك ضعفاته بصدق وبقي معه هذا الشعور طوال أيامه. ظل متواضعًا تمامًا، ونتج عن هذا نمو موهبة إضافية، وهي القدرة على التفويض".[٢٤] يقول أبونا يوسف أسعد:

> لم يعمل البابا كيرلس بمفرده أبدًا، ولكن كان دائمًا يسمح للآخرين أن يشتركوا معه. عندما كان يجد شخص ما يصلي القداس بطريقة يحبها الناس، فإنه يفرح بشدة قائلاً: "أحضره ليصلي معي". إذا وجد أحدهم موهوبًا في الوعظ كان يجلس ويستمع إلى العظة مثل أي فرد آخر في الشعب.[٢٥]

كان البابا كيرلس قد قال الشيء نفسه في رسامته: "أما نحن، فلنختفي حتى يظهر المسيح". لم يشعر البابا كيرلس أبدًا بالخوف من أي مطران أو أسقف آخر أو أي شخص أكثر قدرة منه؛ بدلاً من ذلك، احتضن، وفوض، وأسند، ولم يهتم بنفسه إلا قليلاً، ورسم على مدى العقد التالي ثلاثة من "الأساقفة العموميين" الأربعة المقترحين. ومع ذلك بذل مجهودًا وربما بعض القوة من أجل إقناعهم بقبول الرسامة.

في منتصف عام ١٩٦٢، بعد ما يزيد قليلاً عن ثلاث سنوات بعد اقتراح هذه الفكرة الجديدة بخصوص الرتب الأسقفية، اعترض البابا كيرلس (من بين كل الأشياء) على ملابس وهيب.[٢٦] اعتاد وهيب بعد أن تمت رسامته رئيس شمامسة عازب قبل سنوات قليلة، على ارتداء الفراجية السوداء كثيرًا.[٢٧] قيل له، بعبارات لا لبس فيها، إما أن يتوقف عن لبس الثوب أو أن يُرسم راهبًا. وهكذا رُسم راهبًا.

لم يكن هذا القرار بأي حال من الأحوال قرارًا متهورًا أو تحت ضغط. كان وهيب دائمًا يفكر في الرهبنة ولهذا السبب رفض الزواج والدعوة للكهنوت مرات كثيرة.[٢٨] من ناحية أخرى ظل البابا كيرلس يشجعه على الرسامة لمدة ثلاث سنوات على الأقل.[٢٩] ساعدت حادثة ارتدائه الزي على وضع الأمور في نصابها. كتب وهيب

(الآن الراهب باخوم) من دير المحرق إلى البابا كيرلس في منتصف سبتمبر ١٩٦٢:
"قبلت دعوتك على أنها صوت الله، أشعر أن الله قد تكلم من خلال فمك".[٣٠]

كان أبونا أنطونيوس السرياني (المعروف سابقًا باسم نظير جيد) من تلاميذ البابا كيرلس، وكان قد دخل دير السريان منذ ثماني سنوات، وكان أيضًا من تلاميذ وهيب. عندما سمع أن أستاذه قد رُسم راهبًا، كتب إلى الراهب باخوم فرحًا، ولكن أيضًا محذرا. كتب أبونا أنطونيوس في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٢ من مغارته في الصحراء:

> السلام لروحك الطاهرة أيها الأب المبارك، أهنئك لأنك اخترت الرهبنة على الأستاذية، ليقويك الرب، أهنئك من كل قلبي. ولى بعض الكلمات أحب أن أقولها لك يمنعني عنها الخجل، ويقف بيني وبينها وقارك كمعلم كبير لي. أنا تلميذك الصغير الذي لا أستحق أن أتكلم في حضرتك، لكنى بدالة المحبة الكبيرة التي بيننا، أقول لقدسك كلمة صريحة: احذر يا أبي المبارك من الرجوع إلى الإكليريكية، على الأقل في السنوات الأولى من رهبنتك. أنا أعرف من كل قلبي وفكري أنك تدرك الرهبنة في حقيقتها، وفي عمقها، وفلسفتها الأصيلة وفي روحها الذي عاش به الآباء. أنا أعرف تمامًا أنك تدرك أن الرهبنة انحلال من الكل وارتباط بالواحد. وقد سمعت كلامًا كثيرا من بعضهم. لهذا أردد مرة أخرى: احذر يا أبي المبارك، من الرجوع إلى الإكليريكية. أنا متأكد أنه فضول منى أن أقول هذا.[٣١]

من الواضح أن أبونا أنطونيوس قد كتب هذا الخطاب بعد سماعه شائعات - ربما يكون بعضها شريرًا - بأن رهبنة أستاذه السابق لن تدوم طويلاً.[٣٢] وتكلم أبونا أنطونيوس أيضًا من خلال خبرته؛ فقبل ذلك ببضع سنوات، حاول الكثيرون (بمن فيهم وهيب) إغراء أبونا أنطونيوس أن يغادر الصحراء من أجل قبول منحة دراسية لدراسة الدكتوراه في ستراسبورغ، لكنه رفض بشدة، مفضلاً طريق الوحدة "العالي والجميل".[٣٣] وخوفًا من أن يحدث الشيء نفسه لصديقه العزيز، شعر أبونا أنطونيوس أنه ليس لديه خيار سوى أن يحذره من العودة إلى الكلية الإكليريكية. لكن التوقيت كان مؤسفًا للغاية.

في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي - كرد فعل على أمر لا صلة له بالموضوع - أيقظ الأنبا ثاؤفيلوس؛ رئيس دير السريان، أبونا أنطونيوس قائلاً: "البابا كيرلس مستاء للغاية" قال الأنبا ثاؤفيلوس لاهثًا، بعد أن مشى في الصحراء لكي يصل إلى مغارة أبونا أنطونيوس "لقد رفض حتى أن يقابلني إلى أن أحضرك معي".[٣٤] قال أبونا أنطونيوس: "لكن ليس لدي حتى حذاء"، ناظرًا إلى حذائه غير اللائق إلى حد ما.[٣٥] ومع ذلك، لم يكن الاستدعاء المفاجئ غير متوقع. فقبل أسابيع قليلة، عندما كان يتولى منصب رئيس الدير بدلاً من الرئيس الغائب، قرر أبونا أنطونيوس إغلاق الدير في "حظر كامل" أمام جميع الزوار. خلال هذه الفترة القصيرة، حاولت مجموعة من أربعين سائحًا ألمانيًا، تحمل خطابًا استثنائيًا من يد البابا كيرلس نفسه دخول الدير. لكن أبونا أنطونيوس رفض باختصار دخول الزوار، وهذا ما كان سيتبادر إلى ذهنه فورًا عندما أيقظه الأنبا ثاؤفيلوس.[٣٦] لذلك لم يكن لديه اختيار سوى مرافقة الأنبا ثاؤفيلوس لمقابلة البابا كيرلس.

يتذكر أبونا أنطونيوس:

> عندما وصلت، نظر البابا كيرلس إلى "الجلابية" التي كانت مغطاة بالتراب وقال، "ما هذا؟" أجبته "إنه أفضل ما لدي". "... وأين العمة؟" "أخذها الأنبا أثناسيوس مني عندما أصبح أسقفًا". سأله البابا كيرلس بصرامة: "لماذا؟ هل كانت عمة أسقف؟" توقف للحظة، ثم سأل: "ولماذا لم تستقبل الضيوف الألمان؟" أجبته "فعلتُ، لكن خارج الدير". ثم أعطاني البابا كيرلس بعض الماء وطلب مني أن أستريح، قبل أن يسألني: "لماذا ترفض العمل معي؟" بجهد تمكنت من الرد "يا سيدنا أنا أحب الرهبنة". استفسر البابا كيرلس بسرعة: "ماذا لو رسمناك أسقفًا في الخارج" أجبته بسرعة "الدير أفضل". حاول البابا كيرلس مرة أخرى "ماذا لو رسمناك أسقفًا للكلية الإكليريكية؟". أجبت بجراءة "لمن؟ إن عدد المدرسين أكثر من الطلاب؟" لم نصل إلى نتيجة وانتهت المحادثة عند هذه النقطة.[٣٧]

بعد أن استشعر أن البابا كيرلس كان مستاءً، استعد أبونا أنطونيوس للمغادرة. وكما هو معتاد، ينحني الكاهن الراهب أمام البطريرك وهو يغادر، ويصلي البطريرك من أجله. يتذكر أبونا أنطونيوس أنه انحنى وهو مطمئن.

> وهكذا، وضع يده على رأسي وقال: "شنودة أسقف التعليم!" صرخت، "ماذا يحدث!؟" لم تكن يدا البابا كيرلس مثل يدي، فقد أمسك رأسي بسرعة، ولم أستطع التحرك على الإطلاق، ثم وضع الأنبا ثاؤفيلوس يده على رأسي. وأضاف البابا كيرلس: "لا حِل لك أن تترك هذا المكان".[٣٨] تم خداعي ورُسمت أسقفًا.[٣٩]

كان الأسقف الأنبا ثاؤفيلوس، الواسع الحيلة دائمًا، متورطًا في هذا الموضوع من بدايته. كلاهما كان يعلم أن أبونا أنطونيوس سيرفض بعناد مغادرة مغارته في الصحراء بغض النظر عن الظروف، ولن يقبل أن يصبح أسقفًا. كانت الرسامة، بكل المقاييس، غير متوقعة. لم تكن هناك أبروشيات شاغرة في ذلك الوقت، ولم يكن مفهوم "الأسقف العام" معروفًا.[٤٠] تم منع أبونا أنطونيوس تحت تهديد الحَرم من أن يترك مقر البطريركية قبل الرسامة.[٤١] لكنه، وهذا أمر يجب النظر فيه، كان قد كتب قبل أيام قليلة إلى الراهب باخوم، يتوسل إليه أن يبقى في الصحراء، محذرًا إياه من العودة إلى الكلية الإكليريكية؛ ومع ذلك الآن سيُرسم أبونا أنطونيوس أسقفًا للكلية الإكليريكية نفسها. لا يمكن أن يكون التوقيت أسوأ من ذلك.

بدأت الشائعات تنتشر على الفور تقريبًا. تلقى الراهب باخوم رسالة من مجهول تفصل الرسامة "السرية" للأب أنطونيوس. كتب الراسل الذي لم يذكر اسمه في ٢٥ سبتمبر:

> أنا آسف أن أُخبرك بأن رسامتك راهبًا كان سببًا في إثارة حقد بعض حاسديك من زملائك. وأرادوا أن يقطعوا الطريق عليك للتقدم في المهام المختارة من الله. فأسرعوا في عمل المؤامرات والاجتماعات. تم اختيار أبونا أنطونيوس السرياني، وقد تم تعيينه بالكامل، وسيرسم في يوم الأحد القادم أسقفًا على الإكليريكية. هذا ما لزم أن نعرِّفك به قبل حدوثه، وهو يحاط بكتمان شديد في البطريركية.[٤٢]

أتاح التوقيت المؤسف أرضية مناسبة للتكهنات، منها أن الراهب باخوم تم إبعاده لإفساح المجال للأب أنطونيوس. حتى أن الباحثين قد اقترحوا فيما بعد معلومة غير صحيحة أن أبونا باخوم غادر متحديًا بعد أن رُسم أنطونيوس أسقفًا على الكلية الإكليريكية.[٤٣] لكن المصادر الأولية توضح تمامًا أن أبونا باخوم كان رقيقًا عندما كان أبونا أنطونيوس لا يزال يعيش في مغارته. في حين أن التوقيت والرسالة المجهولة قد توحي بالخبث والتآمر، فإن الواقع، كما يتضح من الرسائل التي تعود لتلك الفترة، كان عكس ذلك.

أعرب أبونا أنطونيوس عن أسفه في غضون ساعات من لقائه مع البابا كيرلس،

> قبل أيام قليلة، كتبت رسالة أهنئك فيها بالرهبنة وأنصحك بعدم النزول إلى الإكليريكية. ثم بعد أيام قليلة أرسل لي قداسة البابا برقية وجاء الأنبا ثاؤفيلوس وأخذني. وأثناء مغادرتي، مد يده ليباركني كالمعتاد، ولكن بدلاً من ذلك، رسمني أسقفًا للكليات الإكليريكية. كانت مفاجأة! ورجوته فقال لي: "هذه إرادة الله، ولا حِل لك أن تغادر مقر البطريركية". لقد نصحتك أن تعيش حياة الزهد، وأنا نفسي لم أستطع أن أكمل هذا الطريق. أنا في خجل شديد وأنا أكتب إليك هذا الخطاب.[٤٤]

بعد ثلاثة أيام، كتب أبونا أنطونيوس مرة أخرى إلى أبونا باخوم "شعرت بحرج كبير كيف أقول لكم لا تنزلوا إلى الإكليريكية، وأصير أنا أسقفًا للإكليريكية!"[٤٥] ذكر أبونا أنطونيوس، في الرسالة نفسها، أنه كان على علم أيضًا بالإشاعات الخبيثة، لكنه لم يستطع سوى أن يكرر شعوره بالإحراج بسبب توقيت رسامته وأن الأمر كان ضد إرادته إلى حد كبير.[٤٦] لم يكن يستطيع أن يفعل شيء. في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢، رسم البابا كيرلس أبونا أنطونيوس بالقوة باسم شنودة "أسقف الكلية اللاهوتية والمعاهد الإكليريكية". وكتب الأنبا شنودة ردًا على خطاب تهنئة من عالم ألماني:

> أشكرك على كلمات التهنئة اللطيفة. في واقع الأمر فإن هذه الظروف تحتاج أكثر إلى رسالة تعزية وليس رسالة تهنئة. كيف يهنئ راهب على خروجه من هدوء

البرية وأن يحيا من جديد وسط اضطراب المدينة؟ إنها بالفعل مسألة مخجلة بالنسبة لي، إني أتذكر يوم رسامتي للأسقفية بالدموع والحسرة.[٤٧]

على الرغم من اكتئاب الأنبا شنودة، وعلى الرغم من كلام النميمة المهيج، كان الراهب باخوم، على العكس من ذلك، سعيدًا حقًّا برسامة تلميذه السابق، حيث أرسل برقيتي تهنئة ورسالة أكثر تفصيلاً. كتب أبونا باخوم كيف لا يشعر بسعادة غامرة وقد كان هو من أقترح فكرة "الأساقفة العموميين" قبل حوالي ثلاث سنوات؟[٤٨] كانت لديه أيضًا أسباب أخرى لعدم الشك مطلقًا في النيات النقية للأنبا شنودة المرسوم حديثًا (وفي هذا الصدد أيضًا النيات النقية للبابا كيرلس). في هذه الرسالة الكاشفة، كشف أبونا باخوم عن محادثة خاصة سابقة مع البابا كيرلس بشأن الفترة التي سبقت رسامته. كتب أبونا باخوم إلى الأنبا شنودة في ٥ أكتوبر ١٩٦٢:

> سأخبرك تفاصيل محادثة جرت بيني وبين البابا، في يوم الاثنين ١٠ سبتمبر ١٩٦٢ نفسه (قبل أيام قليلة من مغادرتي الكلية ورسامتي راهبًا). قلت لقداسة البابا: سأترك كل شيء. سأسلم أوراقي ووظيفتي. تسائل البابا "لماذا؟" فأجبته "لأنني أدرك أن الرهبنة هدوء وسكون وصمت وانقطاع وعزلة ورياضات روحية، وهذا كله يقتضي أن أترك كل شيء". لكن قداسته لم يوافق على أن أترك عملي بالكلية وقال: "فإذا استدعيتك للعمل في الكلية لأمر؟" قلت: "ستكون المسألة حينئذ أمرًا، والأمر يجب أن يطاع؛ وعليَّ حينئذ أن أخضع مفهوم الرهبنة في ذهني لمفهوم الطاعة". واختتم البابا كيرلس حديثه قائلاً: "وهو كذلك، إني بعد شهر، سأستدعيك. اذهب سريعًا، الليلة إن أمكن ذلك، فكلما ذهبت سريعًا، ستعود سريعًا" هذه هي تفاصيل القصة، من دون رتوش ولا إضافات، أخبرتك بها كما هي.[٤٩]

لم يكن لدى البابا كيرلس أي نية لكي يبعد أبونا باخوم عن الكلية اللاهوتية. حتى قبل رسامته، كان قد أوضح خططه؛ إن قراره لم يكن عشوائيًّا ولا مخادعًا. حتى بعد شهر واحد، في ٢٥ أكتوبر "تم استدعاء" الراهب باخوم فجأة لكي يغادر الدير

ويعود إلى الكلية اللاهوتية. هناك سيصبح عميدًا مشاركًا تحت قيادة الأنبا شنودة، وربما يجب أن نذكر، سيكون أيضًا السكرتير الرئيس للبابا كيرلس.

منذ ذلك الحين كان هناك شيئًا واحدًا واضحاً، وبغض النظر عن النية، فإن إصلاحات البابا كيرلس من خلال تلاميذه ستظل دائمًا يطاردها الشائعات والاتهامات والأكاذيب التي ينشرها المحرضون المثيرون للجدل. لذلك، فإن تمييز ما هو الحق في الروايات هو أمر ضروري، ليس فقط كتصحيح للتاريخ (بقدر ما يكون هذا أيضًا مطلوب)، ولكن أيضًا للكشف عن البيئة التي كانت مليئة بالمشاكل والتي سعى هؤلاء الرجال إلى أن يكونوا قادرين على أن يتنفسوا فيها، في حين في الوقت نفسه يتشبثون بمظهر من مظاهر الوحدة.

لا يمكن التقليل من أهمية تلك الفترة غير المعروفة. ففيها تتشابك مصائر "الأساقفة العموميين" الثلاثة؛ التلاميذ المصلحين الذين اختارهم البابا كيرلس، اثنان من الثلاثة، الأنبا شنودة والراهب باخوم (الأنبا غريغوريوس فيما بعد)، كانا موضع حديثنا حتى الآن. والثالث كان غير مرتاب.

في صباح اليوم المقرر لرسامة الأنبا شنودة في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢، كان البابا كيرلس ينزل السلم ذاهبًا إلى الكاتدرائية.[٥٠] وفجأة توقف دون تفسير. هناك وقف لبضع دقائق، محاطًا بحاشيته الحائرة، ساكنًا وصامتًا، مستغرقًا في التفكير العميق (أو ربما الصلاة). قال البابا كيرلس: "اذهب وأحضر أخاه، اذهب بسرعة وأحضر أخاه!" كان يقصد بكلمة "أخيه" السكرتير البطريركي أبونا مكاري السرياني، الذي قال عنه أحد الصحفيين الغربيين في أوائل الستينيات، بأنه "عادة ما يشار إليه بـ 'الرجل الذكي' في البطريركية".[٥١] أبونا مكاري، أحد أقرب تلاميذ البابا كيرلس في السنوات التي قضاها في مارمينا في مصر القديمة، حضر دون أدنى شك استجابة لطلب البابا كيرلس. أشار إليه البابا كيرلس، "اذهب وقف بجوار أخيك".[٥٢] لم يكن أبونا مكاري يعلم أنه ستتم رسامته في ذلك اليوم باسم الأنبا صموئيل وهو يقف بجوار "أخيه" الأنبا شنودة.[٥٣]

الأنبا صموئيل (١٩٢٠-١٩٨١)، كان اسمه سعد عزيز، وفقد والده في سن مبكرة.[٥٤] كان لوفاة والده تأثير ملحوظ على والدته، فقد فتحت منزلها للفقراء والمعوزين، والأهم من ذلك، لأعضاء حركة مدارس الأحد، الذين رفضتهم الأبروشية في الجيزة في ذلك الوقت.[٥٥] ستصبح هذه السنوات هي النموذج الذي سيعيش به سعد؛ سيعيش منذ ذلك الوقت من أجل الآخرين. ويتم ذكره دائمًا على أنه كان يبحث دائمًا عن أصعب القرى لكي يخدم فيها خدمته القروية.[٥٦] أثناء دراسته في كلية الحقوق في جامعة القاهرة ملأ هوامش دفاتره بسؤال واحد هو: "يا رب، ماذا تريدني أن أفعل؟"[٥٧] درس اللاهوت على يد حبيب جرجس مؤسس حركة مدارس الأحد، وحصل كذلك على درجة البكالوريوس في التربية وعلم النفس من الجامعة الأمريكية في القاهرة، ثم أرسله حبيب جرجس بصفته "خادمًا مكرسًا" إلى إثيوبيا في عام ١٩٤٤ لمدة عامين حيث ساعد في تأسيس كلية لاهوتية، وفتح قلبه للشباب الإثيوبيين، وقام بتدريس الكتاب المقدس، وأصدر منهجًا لمدارس الأحد.[٥٨] عند عودته، ومما أثار استياء أصدقائه وعائلته، رُسم باسم الراهب مكاري تحت تلمذة أبونا مينا (البابا كيرلس لاحقا) في أوائل عام ١٩٤٨،[٥٩] كأول "رهبان مدارس الأحد". استقر أخيرًا في دير السريان بوادي النطرون.

لم تمر مواهب الراهب الشاب مرور الكرام، فقد فوضه البابا يوساب؛ البطريرك في ذلك الوقت في عام ١٩٥٤، ليكون ممثل الكنسية الرسمي في الاجتماع الثاني لمجلس الكنائس العالمي في إيفانستون، إلينوي.[٦٠] لقد كان حدثًا تاريخيًّا مهمًّا للكنيسة القبطية، حيث انهى فعليًّا أكثر من ألف عام من العزلة في ظل الإسلام.[٦١] وقد أُعجب منظمي الاجتماع بأبونا مكاري إلى درجة أنه، نتيجة لذلك، حصل على منحة دراسية في جامعة برينستون، حيث أكمل درجة الماجستير في التربية.[٦٢] عندما بدأ التحضير للدكتوراه، تم استدعاؤه مرة أخرى إلى مصر للخدمة في الكلية اللاهوتية في عام ١٩٥٥.[٦٣] على الرغم من أنه لم يستكمل دراساته، إلا أنه في هذه الفترة القصيرة، قام بأول خدمة للمهاجرين في الولايات المتحدة.

لكن حبه الأول وهو خدمة الفقراء والمعوزين وغير المتعلمين والأميين هو الذي سيستحوذ على كيانه إلى الأبد. أعاد أبونا مكاري في عام ١٩٥٩ إشعال خدمة "الدياكونية الريفية". لقد كان نظامًا لخدمة الذين هم خارج النطاق التقليدي للكنيسة في القرى حيث لم يكن هناك كنيسة في كثير من القرى، ولا كاهن. على الرغم من وجود بعض الاقتراحات بأن هذه الخدمة ربما تكون بدأت في عام ١٩٥٧ بالتعاون الوثيق مع أبونا بولس بولس من دمنهور، إلا أن المصادر العربية تشير بدقة إلى أنها بدأت تزدهر فقط عندما رُسم البابا كيرلس بطريركًا.[٦٤] كانت إحدى أولى خطوات البابا كيرلس هي تعيين تلميذه السابق؛ أبونا مكاري، في منصب سكرتيره الأول عبر قسم الخدمات الاجتماعية في المعهد العالي للدراسات القبطية.[٦٥] وصل المشروع إلى ما هو أبعد بكثير من هدفه الأصلي. تمشيًا مع النهج التكاملي لمركز مدارس الأحد بالجيزة، تم إنشاء برامج خدمات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبنية التحتية وتعليم الكبار وبرامج محو الأمية والمساعدات الطبية وحملات التطعيم والخدمات الزراعية بالتوازي مع مشاريع التعليم الديني.[٦٦] يؤكد الكتابان المنشوران الوحيدان للأب مكاري: "تنظيم الأسرة من وجهة نظر مسيحية" و"مع الشباب" انشغاله بالتأثير الاجتماعي لإيمانه.[٦٧] كان الشغل الشاغل هو الوصول إلى أولئك الذين لا يستطيعون "الوصول" إلى الكنيسة ومساعدتهم على تلبية احتياجاتهم الملموسة بطريقة شاملة".[٦٨]

في البداية، تم اختيار حوالي عشرين قرية في البحيرة من أجل "تجربة الدياكونية".[٦٩] كانت مجموعة من الخدام تسافر بالأتوبيس، أو بالدراجة في أغلب الأحيان، ويزورون من أربع إلى خمس قرى يوميًّا، خمسة أيام في الأسبوع.[٧٠] من المدهش وعلى الرغم من صدمة الخدام إلى حد كبير، أن كثيرين في القرى لم يكونوا قد نالوا سر المعمودية.[٧١] لم يكتف أبونا مكاري بمجرد إرسال الكهنة لأجراء سر المعمودية، فقد اتخذ أبونا مكاري خطوة مبتكرة وأرسل كهنة بانتظام ومعهم "مذابح محمولة" تم تحضيرها حديثًا.[٧٢] ذهبت الكنيسة حرفيًّا بكل طاقاتها إلى الشعب.

بعد أن رسم البابا كيرلس أبونا مكاري أسقفًا باسم الأنبا صموئيل عام ١٩٦٢، في المكان المناسب بصفته "الأسقف العام للشؤون المسكونية والعامة والاجتماعية". ستنمو هذه "التجربة" بسرعة وبقوة تقريبًا. من حوالي ٣٢٧٥ عائلة في عام ١٩٦١ في أبروشية البحيرة فقط، إلى ١٢ أبروشية بحلول عام ١٩٦٦، تخدم ٧١٩١٤ أسرة في ٢١٥٤ قرية في الوجه البحري والصعيد.[٧٣] كانت حركة في حد ذاتها. لذلك كانت "أبروشية" الأنبا صموئيل "هي أسقفية" العمل الذي قام به طوال حياته. بالإضافة إلى أنها قامت بتلبية الاحتياجات الملموسة لهذه القرى، لا يمكن أن نكون مبالغين في تقدير أهمية "الدياكونية الريفية" في ربط هذه القرى البعيدة بشبكة مدارس الأحد. أصبحت المناطق القروية في مصر، التي لم يكن من الممكن الوصول إليها في يوم من الأيام، قريبة جدًّا من "مجال تأثير نسك" البابا كيرلس.

لكن كانت هناك أيضًا مجموعات أخرى من الأقباط المغتربين، وكانوا أيضًا قريبين من قلب كل من البابا كيرلس والأنبا صموئيل.[٧٤] لقد أدت الإصلاحات الاقتصادية والزراعية التي قام بها الرئيس عبد الناصر، ثم صعود التيارات الإسلامية في وقت لاحق، إلى الإضرار بالأقباط أصحاب الأراضي، وأثارت هجرة جماعية، خاصة من المتعلمين والطبقة العليا، إلى أوروبا، ودول الخليج، والولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا.[٧٥] سرعان ما انتبه البابا كيرلس وفوَّض الأنبا صموئيل لإنشاء وتنظيم هذه المجتمعات الجديدة. بحلول عام ١٩٦٥، تم إنشاء الأبروشيات ورسامة الكهنة في تورنتو ونيوجيرسي ولوس أنجلوس والكويت، وبعد فترة وجيزة في سيدني وملبورن.[٧٦] الآثار المالية والسياسية والاجتماعية لهذه المجتمعات الشابة والضعيفة في العالم الغربي "ستثبت في النهاية أنها حيوية للكنيسة في مصر".[٧٧] على سبيل المثال، بدأ المهاجرون ذوو التعليم العالي، ومعظمهم من الطبقة المتوسطة والعليا على الفور تقريبًا في تنظيم التبرعات لأقاربهم الذين هم بأمس الحاجة إليها في مصر المتعثرة اقتصاديًا.[٧٨] كان الأنبا صموئيل، بصفته أسقفًا للشؤون المسكونية، قادرًا أيضًا على الاستفادة من

اتصالاته العديدة في العالم الغربي لتأمين المساعدات والمنح والأموال لهذه الجاليات المهاجرة، فضلاً عن مشاريعه المتنوعة السريعة والمتزايدة في داخل مصر.[٧٩]

من هنا ستجوز حياة الأنبا صموئيل العديد من التقلبات خلال العقد ونصف العقد التاليين، إلى ما بعد نياحة البابا كيرلس. تذخر معظم سنوات حياته بالتضحية المستمرة بالذات من أجل كنيسته، وبعضها يكتنفه الغموض، والبعض الآخر مؤلم. لكن مما لا شك فيه أن هذا الرجل؛ أحد أقرب تلاميذ البابا كيرلس الإصلاحيين، بذل حياته من أجل الكنيسة. وهكذا وكأنه كان يجب أن تكون نهاية حياته، بشكل مأساوي، نهاية الشهيد، ففي ٦ أكتوبر ١٩٨١، كان يقف بجوار الرئيس السادات، واغتيل على يد جهاديين إسلاميين في سن الستين المبكرة. ذكره نعي في جريدة التايمز اللندنية بعد أيام قليلة على أنه "لعب دورًا رئيسًا في قيام النهضة القبطية" وتم وصفه بأنه "رجل صغير نشيط جدًا ويملك قلبًا كبيرًا".[٨٠]

على الرغم من أن المساحة هنا لا تسمح بسرد تفاصيل كاملة عنها، إلا أن إصلاحات البابا كيرلس في رتبة الأسقفية لم تقتصر بأي حال من الأحوال على "الأساقفة العموميين".[٨١] في يونيو ١٩٥٩ رسم البابا كيرلس أول أسقف منذ رسامته بطريركًا؛ الأنبا باسيليوس مطران القدس (١٩٢٣-١٩٩١) وهو تلميذ سابق لحبيب جرجس وحصل على درجة الدكتوراه من تسالونيكي.[٨٢] وقبل أسابيع قليلة من رسامة الأسقفين؛ الأنبا شنودة والأنبا صموئيل، في ٩ سبتمبر ١٩٦٢، رسم البابا كيرلس أحد تلاميذه؛ أبونا مكاريوس السرياني باسم الأنبا أثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا. سيكون الأنبا أثناسيوس (١٩٢٣-٢٠٠٠) أول "راهب من مدارس الأحد" يُرسم أسقفًا.[٨٣] وحتى يومنا هذا، يُذكر بأنه "نموذج ومثال للأسقف"، حيث عمل عن قرب مع الأنبا صموئيل في تغيير البنية التحتية والمجتمع في أبروشيته، وكذلك تغيير وشفاء جزء كبير من مشاعر العداء من خلال الحوار مع العلماء والشيوخ المسلمين.[٨٤] به ومعه سيظهر البابا كيرلس موقفًا غير عادي تجاه المرأة، مع الأخذ في الاعتبار التوقيت والسياق.[٨٥] تأسست راهبات القديسة مريم، وهي حركة نسائية مكرسة

لخدمة المجتمع. وتولت الأم إيريني الشهيرة رئاسة دير أبو سيفين عام ١٩٦٢، لتبدأ رسالتها الرائعة والمعجزية في إحياء الحياة الرهبانية التأملية للمرأة.[٨٦]

لكن ربما لا توجد رسامة ترمز إلى قوة الإصلاح الذي قام به البابا كيرلس مثل تلك التي قام بها لتلميذ آخر وهو أبونا متياس السرياني، لاحقًا الأنبا دوماديوس مطران الجيزة (١٩٢٥-٢٠١١). تمت رسامته في ٣١ مارس ١٩٦٣، بعد نياحة سلفه المثير للجدل؛ الأنبا يؤانس مطران الجيزة. يجب أن نتذكر أن الأنبا يؤانس قاوم منذ فترة طويلة حركة مدارس الأحد، والأهم من ذلك أنه مات فجأة بعد تناول السم عن غير قصد أثناء التآمر ضد البابا كيرلس. كانت الأبروشية موطنًا لحركة مدارس الأحد بالجيزة ومن الغريب أنها كانت في الوقت نفسه أيضًا آخر معقل ضد الإصلاح.[٨٧] كان الإصلاح في شخص تلميذ البابا كيرلس قد غزا بالتالي مناطق حاسمة.

كانت هذه التحركات، وفي مقدمتها "الأساقفة العموميين"، غير مسبوقة؛ وبهم توغل البابا كيرلس في المجمع المقدس "من دون أن يعزل الحرس القديم بصورة كاملة"، ودون انتظار نياحتهم.[٨٨] دخل المجمع "رهبان مدارس الأحد" وهم كل تلاميذ البابا كيرلس في السنوات التي قضاها في تلك الكنيسة الصغيرة المتواضعة للقديس مارمينا في مصر القديمة. علق أحد العلماء الغربيين قائلاً: "من المستحيل أن نعرف هل كان البابا كيرلس يعرف ما هي القوى التي كان يطلق لها العنان".[٨٩] أود أن أقترح أنه فعل ذلك بالتأكيد. لم تكن الرسامات انفعالية ولا متهورة، بل كانت محسوبة ومقصودة وملهمة بعمق. كان كل واحد من هؤلاء الأساقفة الشباب قد اتخذ البابا كيرلس أب اعتراف له في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي؛ كل منهم كان قد عاش معه، وصلى معه، وتتلمذ على يديه. لم يكونوا، إذا جاز التعبير، "مجهولين". كان البابا كيرلس قد شجع هؤلاء الإصلاحيين الشباب عمدًا ومكّنهم، وكان العديد من الإصلاحيين الشباب متحمسين، وخاصة هؤلاء. يمكنني أيضًا أن أضيف - بعبارة صريحة - أن التوترات التي حدثت بسبب هؤلاء التلاميذ كثيرًا ما يتم فحصها (فقط) من خلال عدسة التاريخ الذي يليهم، والذي يؤرخ لحياة

البابا كيرلس (على الرغم من أنه لا يمكن للمرء أن ينكر الطابع الشخصي المتزايد للصراعات لاحقًا). لكن ما يشغلني هنا هو فحص هذه المزاعم خلال سنوات بطريركيته، أي النظر إلى الأمام بدلاً من النظر إلى الوراء. أود أن أقترح مرة أخرى أن البابا كيرلس كان يتوقع الخلاف إلى حد ما. فعلى خط المواجهة في معركة الإصلاح، تشتعل المشاعر حتمًا.

الواجهة الساخنة للإصلاح: الأنبا غريغوريوس والأنبا شنودة (١٩٦٧)

لا توجد أيام سيئة وأيام جيدة، ولكن هناك أيام صلاة وأيام بلا صلاة
البابا كيرلس السادس

لم تكن سنة ١٩٦٧ سنة جيدة. لكن بالنسبة إلى البابا كيرلس، من الواضح أنه لم يكن هناك شيء من هذا القبيل، لم يكن هناك سوى سنوات بصلاة وسنوات بلا صلاة. على الرغم من الخلافات والصراعات الكثيرة لتلاميذه، والأزمة المالية البغيضة للمجلس الملي، وحتى حرب الأيام الستة المؤلمة، يبدو أن البابا كيرلس ظل ثابتًا. ربما كانت سنة من الصراع المتنوع، لكن مع الصلاة، لا يمكن أن نقول إنها "سنة سيئة". أما التوترات بين تلاميذه، فكانت متوقعة.

ربما كان الراهب باخوم هو مهندس فكرة "الأساقفة العموميين"، وكان اثنان منهما قد تم رسامتهما بالفعل وهما الأنبا شنودة والأنبا صموئيل، لكنه لم يكن يتخيل أبدًا كيف يمكن تنفيذ هذه الخطة في هذا العام.

كان أبونا باخوم (١٩١٩-٢٠٠١)، واسمه بالميلاد وهيب عطا الله، "رجلاً هادئًا، وعالمًا بالفطرة".[٩٠] عندما كان في أواخر سن المراهقة تسلق التلال الوعرة إلى طاحونة أبونا مينا "ليجلس عند قدميه".[٩١] على الرغم من أن وهيب كان قد حصل على "درجات عالية جدًّا" في الثانوية العامة (البكالوريا حينذاك) إلا أنه قد صدم عائلته برفضه الالتحاق بكلية الطب، وبدلاً من ذلك اختار أن يدرس تحت إشراف حبيب جرجس، وأكمل دراسته في اللاهوت وحصل على درجة البكالوريوس بامتياز في عام ١٩٣٩.[٩٢] وعلى الرغم من صلته الشديدة بحركة مدارس الأحد خلال هذه السنوات، لم يكن يعتبر "ممثلاً لأي مركز من مراكز الحركة".[٩٣] ولكن مثل الكثيرين من هؤلاء الشباب، تمت تلمذته على يد أبونا مينا (البابا كيرلس) وحبيب جرجس - وهو أمر متفرد لا ينبغي أن نعبر عليه بسرعة.

كان دائمًا منجذبًا إلى الرهبنة، وقد نحى هذه المشاعر جانبًا وذهب لإكمال بكالوريوس الفلسفة في عام ١٩٤٤ من جامعة القاهرة في حين كان يحاضر في الوقت نفسه في الإكليريكية.[٩٤] وفي نهاية المطاف، تم تعيينه عميدًا وأستاذًا للاهوت بعد وفاة حبيب جرجس عام ١٩٥١.[٩٥] وبعدما حصل على دبلوم في الآثار المصرية، أكمل درجة الدكتوراه، وهو أول من يحصل عليها من حركة مدارس الأحد. حصل على الدكتوراه في الدراسات الكتابية والقبطية في جامعة مانشستر عام ١٩٥٥ تحت قيادة المستشرق الكبير والتر تل (١٨٩٤-١٩٦٣).[٩٦] وأصبح مشهورًا أثناء وجوده هناك في مانشستر، حتى أنه ألقى محاضرات في أماكن متميزة مثل جماعة القديس ألبان والقديس سرجيوس.[٩٧] عند عودته إلى القاهرة، واصل البحث والتدريس وإرشاد العديد من الخدام المكرسين الآخرين.[٩٨] أخيرًا، في عام ١٩٦٢ أقنعه البابا كيرلس (كما رأينا) أن يُرسم راهبًا، وتمت رسامته راهبًا باسم باخوم في دير المحرق، وأصبح في النهاية سكرتير البابا للشؤون الدينية.[٩٩]

يذكر أحد العلماء أبونا باخوم على أنه "بعيد قليلاً عن التقلبات السياسية الكنسية".[١٠٠] كان هذا هو الحال بالتأكيد في وقت لاحق من الحياة، ولكن في ظل باباوية البابا كيرلس كان أبونا باخوم منخرطًا بشكل وثيق وشرس في إرساء أسس الإصلاح على الرغم من أن قلة من العلماء قد يكونون على علم بذلك. في مقابلة مع واكين في أوائل الستينيات، على سبيل المثال، قدَّر أبونا باخوم عدد الكهنة "الجيدين" بمائتين، من أصل حوالي سبعمائة كاهن. قال واكين: "لقد أوضح أن الباقين إما أن يكونوا غير أكفاء أو غير مبالين".[١٠١] ستكون مسألة رجال الكهنوت "غير الأكفاء" هي التي ستؤدى بأبونا باخوم إلى الخلاف مع الأنبا شنودة في أوائل عام ١٩٦٧، وهو أمر لا يختلف كثيرًا عن قضية الرسولين بولس وبطرس.

في اجتماع المجمع المقدس عام ١٩٥٩، في وقت مبكر من بطريركية البابا كيرلس، تقرر عدم رسامة أي مرشح للكهنوت إلا إذا كان خريج الكلية الإكليريكية "بغض النظر عن المؤهلات الشخصية أو الأكاديمية".[١٠٢] أصبح هذا هو الحال في خلال

سنوات قليلة. كان تأثير قصة الإصلاح مستمرًا. وهكذا، بالصدفة عندما أمسك أبونا باخوم بنسخة من جريدة الأهرام، استطاع بالكاد ضبط نفسه. كتب أبونا باخوم إلى الأنبا شنودة في ١٨ مارس ١٩٦٧:

> قرأت صباح اليوم دعوة بالأهرام لرسامة السيد زكريا محروس كاهنًا يوم الأحد. وصدقني أن صدري ثقيل ويكاد ينفجر، أريد أن أبكي، ولكنى عاجز عن البكاء. أن يُرسم قسيس غير إكليريكي في وجود أسقف الإكليريكية ومديرها! إن الأنبا شنودة الذي اعتكف بالدير خمسة أشهر احتجاجًا على رسامة البابا لغير الإكليريكيين يُرسم في وجوده شخص غير إكليريكي. وربما أيضًا يشترك في رسامته. إن رأسي يكاد ينفجر.[١٠٣]

لم تكن هذه السيامة شيئًا جديدًا. على الرغم من كون البابا كيرلس هو الذي أصدر المرسوم، إلا أنه، إذا تذكرنا صراع المجلس، قام أحيانًا برسامة غير الإكليريكيين للمناطق القروية. لكن القلق هنا كان أن أسقف الكلية الإكليريكية؛ الأنبا شنودة سيشترك في الرسامة، وهو الأنبا شنودة نفسه الذي أمضى خمسة أشهر يحتج في منفى اختياري (أو ربما تم وقفه) عندما تصرف البابا كيرلس بالمثْل.[١٠٤]

أجاب الأنبا شنودة في رسالة مطولة في ٢٢ مارس:

> سلامي وحبي لشخص عزيز على قلبي. أنا لم أشترك في سيامته. وكان نيافة الأنبا مكاريوس يود أن أقوم أنا بالسيامة كلها، لكنني اعتذرت ووضحت له رأيي. إنه يعلم جيدًا أن هذا وضع خاص.[١٠٥]

كانت الرسامة استثناء. وتابع الأنبا شنودة أن المصلين معجبون جدًّا بزكريا في المقام الأول وحضر نحو أربعة آلاف شخص الرسامة. خدم زكريا في حركة مدارس الأحد لمدة ستة عشر عامًا، وكان أمين الخدمة في نجع حمادي، وكان "محبوبًا ومحل ثقة الجميع"، وبالتالي كان "من لحمنا وعظامنا". على الرغم من اعتراف الأنبا شنودة بأن التربية اللاهوتية "بلا شك عنصر أساسي" في التكوين الكهنوتي، فإن بعض

المرشحين قد يعوقهم محل إقامتهم. إن "زكريا متزوج ولديه أطفال ولديه مسؤوليات عائلية؛ لا يستطيع أن يستقيل ويأتي إلى القاهرة [لدراسة علم اللاهوت]، ويصبح عبئًا مع أسرته، فماذا يمكنه أن يفعل؟" كانت قنا تبعد ٥٩٠ كيلومترًا جنوب القاهرة في صعيد مصر. لعلمه بذلك يكشف الأنبا شنودة، أنه أمضى العام الماضي في البحث عن خريج إكليريكي لملء المنصب الشاغر، لكنه لم يجد أحدًا مناسبًا. كانت الحقيقة أن بعض المناطق القروية والقرى كانت غير مناسبة للكهنة المتعلمين؛ كانوا بحاجة إلى شخص يمكن أن يرتبط بهم (ويعيش معهم). ويخلص الأنبا شنودة إلى أن:

> هذه مناسبة جيدة لكي نناقش هذا الأمر معًا يا أستاذي الحبيب، لأن هذا يمكن أن يحدث مرة أخرى في أي وقت. يا أبي المبارك، أنت تعلم كم أحب الكلية الإكليريكية وكيف أضع ثقتي بها. أنت تعلم أنني اعتكفت في الدير خمسة أشهر من أجلها، ومن أجلها أيضًا تركت اعتكافي، ومن أجلها أيضًا أنا مستعد بنعمة الله أن أبذل كل ما أستطيع. لذلك أرجو أن تكون كل كلماتي في هذا الخطاب داخلة في هذا الإطار. الرسامات مثل رسامة زكريا هي حالة استثنائية. أرجو أن تغفر لي؛ وإن وجدت خطأ فِيَّ أحب أن تذيبه في محبتي لك، ومحبتي للإكليريكية، كن معافى في الرب.[١٠٦]

لقد ولَّد الصراع الخلاف، وبالتالي، مبدأ الإصلاح؛ أي أن المثل الأعلى قد يتطلب في بعض الأحيان المرونة. وبالمثل، أوضح رد أبونا باخوم بعد أيام قليلة، في ٢٦ مارس أن همه الوحيد هو إرساء المبدأ.[١٠٧] كتب أبونا باخوم:

> اسمح لي مؤقتًا، بأن أنسى أنني أتحدث معك كأسقف، لأنني أرغب هنا في التحدث إليك كصديق عزيز. هل أخطأت، يا أنبا شنودة، إذا أنا قلت إنك نسيت نفسك ومبادئك. ماذا حدث يا نيافة الأنبا شنودة؟ قد يكون زكريا مناسبًا جدًّا لتلك الرسامة، وقد يكون أيضًا قديسًا، وقد يكون أفضل من جميع الكهنة على الأرض في الحاضر والماضي والمستقبل، لا أعرف، قد يكون أفضل شخص على وجه الأرض، أنا لا أحكم عليه، فقد يكون مناسبًا ليس فقط لأن يكون

كاهنًا، ولكن أسقفًا وبطريركًا. أنا لا أتحدث عن هذا، لكني أتحدث عن مكانة الأنبا شنودة كمدير وأسقف للكلية الإكليريكية.[١٠٨]

يكرر أبونا باخوم أن همه الأساسي هو أن ذلك تم على يد الأنبا شنودة.[١٠٩] كانت هذه أولى الأيام في قصة الإصلاح. لم يكن وقت المرونة مناسبًا الآن. وتابع أبونا باخوم: "ما زلنا في مرحلة إرساء المبدأ". لم يكن هذا هو الوقت المناسب للاستثناءات وبالتأكيد ليس على يد الشخص "المسؤول عن إرساء المبدأ". يحذر أبونا باخوم من أنه من دون الحزم والموقف الثابت في هذه المرحلة المبكرة، لن يكون للأنبا شنودة أي أساس لمعارضة المطارنة أو الأساقفة الآخرين الذين ما زالوا يخشون رجال الكهنوت خريجي الإكليريكية. ويختتم أبونا باخوم بالقول: "لنتعاون معًا في الطريق الضيق والصعب المليء بالصخور والغبار. أمامنا رحلة طويلة، مهمة ثقيلة على أكتافنا. سامحني وأعفني من الألم الذي سببته لك بسبب موقفي وقسوة رسالتي".[١١٠]

من المناسب أن يوضح أبونا باخوم أنهما كانا مثقلَيْن بعبء إصلاح الكنيسة. في هذا السياق ومما لا يمكن مناقشته بشكل كافٍ هو أن نفهم آراء تلاميذ البابا كيرلس في الواجهة الساخنة للإصلاح.

بمجرد أن استقرت الأمور بعد عدة أشهر في ٩ مايو ١٩٦٧، أُخبر أبونا باخوم أن البطريرك يرغب في التحدث معه. توجد الرواية التفصيلية لتلك المقابلة غير المعروفة في مذكرات أبونا باخوم. يتذكر أبونا باخوم:

> دخلت [مكتب] قداسة البابا ثم أغلق الباب، وكنا نحن الاثنين فقط. قال البابا: "لقد دعوناك لتكون أسقفًا لديروط ورفضت، أسقفًا لمنفلوط ورفضت، أسقفًا للمنوفية ورفضت ومع ذلك لم نغضب". قلت، "يا قداسة البابا أنا لم أرفض، لكني اعتذرت". شعر البابا بالارتياح وابتسم... [قائلاً]: "اعتذرت، كما قلت، عن البقاء في الكلية الإكليريكية؟ ستبقى في الكلية الإكليريكية وسنرسمك أسقفًا لمعهد الدراسات القبطية". أصابني الذعر: "ماذا؟ قداستكم؟ هل معهد الدراسات القبطية بحاجة لأسقف؟ وهو تحت إدارة الأنبا شنودة".[١١١]

على الرغم من الجدل الحاد، وكذلك توسل الأستاذ عزيز عطية (مؤسس معهد الدراسات القبطية)، والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف، والأنبا صموئيل، إلا أنه لم يمكن إقناع أبونا باخوم. شعر البابا كيرلس أن الأمر لا يمكن إنهاؤه الآن. أثناء مغادرته إلى حجرته الخاصة، التفت وقال له "هل ستأتي هذا المساء؟"

أجاب أبونا باخوم: "بالطبع، يجب أن آتي، إنه الاحتفال بسيامتك بطريركًا". يتذكر في وقت لاحق: "لم أكن قلقًا".[١١٢] ولم يكن لديه أي سبب لذلك. عندما حاول البابا كيرلس رسامة أبونا باخوم لأبروشية ديروط قبل ذلك بسنوات قليلة، وخوفًا من أن يلقى مصير الأنبا شنودة نفسه، اختبأ أبونا باخوم لمدة أربعة أشهر حتى طمأنه البابا كيرلس، "هل سأرسمك رغمًا عنك؟ لقد فعلت ذلك من أجل الأنبا شنودة فقط. الحمد لله أنني لم أرسمك، لو كنت قد فعلت ذلك، كنت ستريني وقتًا عصيبًا!"[١١٣]

يتذكر أبونا باخوم الاحتفال بالذكرى في ذلك المساء:

> دخلت الكنيسة في وقت متأخر وفي نهاية الصلاة. خرج البابا من الهيكل متجهًا نحوي، لكنني كنت ما زلت لم أفهم، واعتقدت أن البابا سيدعوني لإلقاء كلمة عند إنجيل العشية أو كلمة عن الاحتفال. جاء نحوي مبتسمًا، ثم قبض على بيده اليسرى، وأمسك بيمناه يدي الأخرى، وشدني اتجاه الهيكل. عندئذ، وعندئذ فقط تنبهت إلى أن البابا يقصد شيئًا جديدًا. ولم يمهلني البابا لأفكر، وفى حين أنا أرجع إلى الوراء محاولاً الهرب والخروج من الكنيسة، وعندما كنت أحاول عبثًا أن أستل يدي من قبضته في أدب بقدر الإمكان، ومعترضًا بلساني ناطقًا بكلمات لا أكاد أذكرها وربما كان من بينها "ليس بهذه الطريقة"، "هذا ليس مناسبًا"، "لماذا"، لكن البابا لم يلتفت إلى استغاثتي. وإذا به ويده اليسرى لا تزال قابضة بقوة على يدي اليسرى، وبقوة أمسك بيده اليمنى جبهتي وهو يقول: "غريغوريوس أسقف معهد الدراسات القبطية" كنت في ذهول كبير ولا أدرى ماذا أفعل، وهل أخرج من الكنيسة؟ أخذت أصلي بصوت غير مسموع، وكان قلبي ثقيلاً، وكنت شاردًا، وقال لي بعض الكهنة إن وجهي امتقع وكنت في ذهول ودهشة.[١١٤]

اقترب عدد من الأساقفة لتهنئته. لم يستطع الأنبا غريغوريوس- كما سيُعرف قريبًا - إلا أن يجيب: "إذا كانت هناك ضرورة لهذه السيامة، فلن تكون لمعهد الدراسات القبطية". بقدر ما لم يرغب في أن يُرسم أسقفًا، فقد أدرك جيدًا مشكلة "أبروشيته". ولم يكن قلقه في غير محله. كانت مخاوفه قد أثبتت صحتها بحلول الصباح. وصل عدد من المحيطين بالأنبا شنودة لكي يتحدثوا معه. وقدموا اقتراحات بضرورة هروب أبونا باخوم من البطريركية قبل الرسامة. رن الهاتف بلا هوادة. وبحلول الساعة الثانية عشر صباحًا، أرسل الأنبا شنودة برقية إلى البابا كيرلس: "إن رسامة أسقفين للأبروشية ذاتها يتعارض مع قوانين الكنيسة. ربنا موجود!"[١١٥]

كلما تم رواية هذه الأحداث في الماضي، وإن كان ذلك نادرًا جدًّا، يتم سردها بشكل سلبي دائمًا. تظهر الرسائل والمراسلات الفعلية عكس ذلك. يجب أن نؤكد مرة أخرى أن المبدأ هو الذي كان مصدر قلق بالغ.

ونشكر الله أن الأنبا غريغوريوس دون مكالمته الهاتفية مع الأنبا شنودة بعد تسلمه البرقية مباشرة:

> بدأ الأنبا شنودة قائلاً: "قوانين الكنيسة تمنع رسامة أسقفين للأبروشية ذاتها. كما تعلم أنا شخصيًّا لا أمانع في ترك كل شيء لك. في الواقع، كنت سأترك كل شيء من أجلك، لكنني أتحدث عن الوضع القانوني". أجبته: "يا أنبا شنودة، تأكد تمامًا من أنني لن أقبل أبدًا أن أتعدى على اختصاصاتك. لقد أُجبرت على هذه الرسامة. لم يخطر ببالي هذا الأمر. لقد حاولت الهروب من الكنيسة. أما الآن فقد رسمني ونطق بالبركة الرسولية الكنسية. تحدثت كثيرًا مع البابا حول هذا الموضوع وقلت له إن هذا وضع مستحيل وإن معهد الدراسات القبطية من اختصاص الأنبا شنودة. وافق البابا على تغيير "اللقب" إلى أسقف الدراسات العليا والثقافة القبطية. تَأَكَّدَ أنني لن أقبل أبدًا أن أتعدى على اختصاصاتك. أنا لا أقول هذا من باب المجاملة لك، ولكن من أجل أبديتي."[١١٦]

يتذكر الأنبا غريغوريوس: "لم أنم لدقيقة واحدة في تلك الليلة".[117] في اليوم التالي قبل البابا كيرلس اقتراحه. تم رسامة الأنبا غريغوريوس في ذلك اليوم، ١٠ مايو ١٩٦٧، "أسقفًا عامًا للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي".[118] طلب الأنبا غريغوريوس أيضًا أن يحضر الأنبا شنودة الرسامة، لكنه لم يصل أبدًا. ولكن بدلاً من ذلك، بعد يومين، كتب الأنبا شنودة رسالة تهنئة:

> أنا مستعد، بصورة رسمية أو ودية، أن أتخلى عن كل شيء لنيافتك، وسأكون في ملء الفرح، وفي ملء الرضا، وفي ملء الاقتناع أمام الله، وأمام نفسي، وأمام الناس، شاعرًا أنك أصلح مني في كل شيء. ليست أزمة اختصاصات بيني وبينك. فحبنا العميق الطويل المدى هو أعمق من ذلك وأعلى، وكل ما لي فهو لك، وكل مالك فهو لي، بغض النظر عن الرسميات والشكليات. إنك جزء مني، وأنا جزء منك، أنا وأنت واحد، أمام ضميرنا، وأمام الله وأمام الناس. لكن ماذا عن الوضع القانوني للمشكلة؟ أنا على استعداد أن أتنازل لك رسميًا في ورقة مكتوبة عن أي اختصاص يتم كتابته في تقليد سيامتك. يمكنني أن أتنازل عن التربية الكنسية، وسيكون اسمك أسقف التربية الكنسية، ويمكنني أن أتنازل عن معهد الدراسات القبطية أو الكلية الإكليريكية إذا شئت. أنا مستعد لأي حل آخر تقترحه نيافتك؛ أنا مستعد حتى أن أبذل نفسي لأجلك لكي أضمن لك وضعًا مريحًا.[119]

كان الأنبا شنودة معنياً بالمبدأ. كان سعيدًا أن يتخلى عن "تخصصاته" من أجل ذلك.[120] وعلى الرغم من أنه لم يحضر الرسامة، والتي، كما سنرى، كانت بسبب مشكلة ترتيبات البطريركية للحدث، فقد حضر وألقى الخطاب في حفل "تسليم التقليد" للأنبا غريغوريوس في ١٨ مايو.[121] كان الكلام البليغ مليئًا بالحب الحقيقي والإعجاب والتقدير. لكن الأنبا شنودة رفض التهرب من مناقشة موضوع تداخل أبروشيتهما:

> ربما طرح بعضكم سؤالاً مهمًا وخطيرًا: ما هي اختصاصات الأنبا غريغوريوس وما هي اختصاصات الأنبا شنودة؟ إن كل شيء من اختصاصاتي هو من اختصاصاته، وكل شيء من اختصاصاته هو من اختصاصاتي. ولا أبالغ إذا قلت إنني أنا شخصيًا من اختصاصات الأنبا غريغوريوس.[122]

مرة أخرى، كان هناك أكثر مما تراه العين عندما يتعلق الأمر بالأنبا شنودة والأنبا غريغوريوس. الرواية أعلاه ليست فقط تصحيحًا تاريخيًّا ورائعًا، ولكن الأهم من ذلك أنها تسمح لنا برؤية أن الإشارات السطحية لوجود "برقية غاضبة" ونزاع شخصي ساخن يشوِّه إلى حد ما حقيقة خلافهما وأهميته. على الرغم من أن علاقتهما ستختبر مرارًا وتكرارًا على مدى العقود التالية، ومن دون شك سيزداد العداء، فإن مراسلاتهما (على الأقل في هذه المرحلة المبكرة) تكشف أنهما كانا يكافحان لتمييز الحقيقة وهما يسيران في طريق الإصلاح.[١٢٣] كان البابا كيرلس يراقب ويرشد ويصلي طوال الوقت. كان بإمكانه أن يرى احتمالية أن ينشأ صراع شخصي، ولكن بالنسبة له، كانت المواهب التي لا تقدر بثمن والتي سيقدمها كل واحد من هؤلاء التلاميذ للكنيسة أكثر أهمية بكثير. ومن اللافت للنظر أن "الأساقفة العموميين" الثلاثة الذين رسمهم البابا كيرلس؛ مندوبيه ووكلاءه من أجل الإصلاح - أُجبروا حرفيًّا على أن يصبحوا أساقفة في ظروف متطابقة.[١٢٤]

لم تكد السنة تنتهي بعد وقد كانت سنة مؤلمة وصعبة بما فيها حرب الأيام الستة التي حدثت قبل بضعة أشهر، حتى حدثت أحداث أكتوبر ١٩٦٧ الأكثر إيلامًا وصعوبة وفي قلب هذه الأحداث كان أحد أكثر تلاميذ البابا كيرلس شهرة، الأنبا شنودة (١٩٢٣ - ٢٠١٢).

بدأ الأنبا شنودة حياته باسم نظير جيد في ٣ أغسطس ١٩٢٣، في بلدة أبنوب الزراعية المتواضعة في صعيد مصر.[١٢٥] "ربما كانت سنوات طفولتي قصيرة" كما يتذكر لاحقًا.[١٢٦] كان هذا لسببين. بعد الولادة بوقت قصير، توفيت والدته، وتركته مع خمس شقيقات وشقيقين، أحدهما: رافائيل الذي سيتحمل مسئولية تربيته. انتقلت الأسرة في جميع أنحاء مصر، قبل أن تستقر في نهاية المطاف في حي شبرا في القاهرة.[١٢٧] والثاني هو أن نظير كان موهوبًا بشكل استثنائي، وبعد أن تفوق كثيرًا على أقرانه، كرس وقته في مرحلة مبكرة للدراسة الأكاديمية. التحق في سن السادسة عشرة بحركة مدارس الأحد في كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، وسرعان ما أصبح مدرسًا بها، ثم

قائدًا لها فيما بعد.[١٢٨] حصل عام ١٩٤٧ على بكالوريوس الآداب تخصص اللغة الإنجليزية والتاريخ من جامعة القاهرة. وفى حين كان في السنة الأخيرة، سُمح له بالتسجيل في الكلية الإكليريكية للدراسات العليا - في استثناء سمح به عميد الكلية حبيب جرجس. كان يعمل نهارًا مدرسًا في مدرسة ثانوية، ودرس للحصول على دبلوم في علم الآثار والكلاسيكيات، حتى أنه خدم أيضًا كضابط مشاة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، بينما كان يدرس في المساء الكلية الإكليريكية حتى حصل على درجة البكالوريوس في اللاهوت.[١٢٩] بعد تخرجه في عام ١٩٤٩، تم تعيين نظير محاضرًا في دراسات الكتاب المقدس، وفي العام نفسه أسس مجلة مدارس الأحد وأصبح رئيس تحريرها. بعد استقالته من العمل العام وتوليه منصب محاضر متفرغ في الكلية الإكليريكية، عاش من سنة ١٩٥٠ إلى ١٩٥١ مع البابا كيرلس (أبونا مينا المتوحد) في مارمينا في مصر القديمة.[١٣٠] إن التكوين المزدوج لشخصيته تحت قيادة حبيب جرجس وأبونا مينا المتوحد كان ظاهرًا بصورة واضحة ومهمة.

في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٤، بتوجيه من أبونا مينا، تمت سيامته باسم الراهب أنطونيوس في دير السريان. وهناك أصبح مسئولاً عن مكتبة الرهبان في الدير، قبل أن يسكن في نهاية المطاف مغارة على بعد ثلاثة كيلومترات من الدير ويخضع لتلمذة أبونا متى المسكين.[١٣١] في منتصف عام ١٩٥٦، غادر أبونا متى الدير بعد خلاف حاد مع رئيس الدير، وتبعه أبونا أنطونيوس (وحوالي عشرين آخرين).[١٣٢] كتب أبونا أنطونيوس بعد ذلك بقليل: "كل ما أتمناه... هو أن ينسى الناس كل شيء عن هذا الأمر، وعنا، حتى نتمكن من أن نعيش في الهدوء الذي كنا نهدف إليه من خلال هذا الأمر".[١٣٣] عاد الرهبان إلى أبونا مينا المتوحد؛ أب اعترافهم الأصلي في مصر القديمة، الذي وجههم إلى دير القديس الأنبا صموئيل.[١٣٤] سيبقى أبونا أنطونيوس هناك مدة أقل من عام.

على الرغم من أن الظروف الدقيقة لا تزال غير معروفة، فإن رسائله - التي يلمح فيها بالدموع إلى تلك السنة الصعبة تشير إلى شكوك شديدة ونزاع مؤلم مع أبونا

متى.[١٣٥] ما لا يعرفه الكثيرون، أنه على الرغم من نزاعاتهم المعلنة بعد بضعة عقود، كان أبونا أنطونيوس، منذ هذه السنوات الأولى، قد اعترض على العديد من كتابات أبونا متى.[١٣٦] ولكن في الوقت نفسه، لا يمكن إنكار التأثير الخلاق للأب متى على أبونا أنطونيوس. ربما تكون محادثاتهم في الصحراء قد شكلت أسس كتاب أبونا أنطونيوس الرائع "انطلاق الروح" والذي يدعو فيه أبونا متى "أبي الراهب".[١٣٧] ترك أبونا أنطونيوس أبونا متى في مايو ١٩٥٧، وعاد إلى دير السريان. وبعد فترة وجيزة، اختفى أبونا متى فعليًا في الصحراء لمدة عقد من الزمان، مما يضمن إيقاف خلافه مع أبونا أنطونيوس إلى حد كبير، وبالتالي إلى ما بعد نياحة البابا كيرلس.[١٣٨]

عين البابا كيرلس أبونا أنطونيوس سكرتيرًا خاصًّا له بعد وقت قصير من توليه البطريركية، في أوائل عام ١٩٥٩.[١٣٩] يتذكر أبونا أنطونيوس فيما بعد "مكثت ثلاثة أشهر فقط، لكن بعد ذلك هربت مرة أخرى إلى مغارتي في الجبل، شعرت أنني لا أفعل أي شيء، لذلك رحلت".[١٤٠] لاحظ صحفي غربي في ذلك الوقت أن أبونا أنطونيوس "لم يغادر أبدًا غرفته إلا لأداء واجباته".[١٤١] لكنه لم يهرب لمدة طويلة (كما رأينا) ورُسم بالقوة أسقفًا باسم الأنبا شنودة في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢. وبتمكينه حقق رؤية حبيب جرجس وحوَّل جميع جوانب التعليم "من فصول روضة أطفال مدارس الأحد إلى تعليم اللاهوت على مستوى الدراسات العليا".[١٤٢]

في عهد الأنبا شنودة، تم تشجيع المرأة على دراسة اللاهوت لأول مرة، وتضاعف عدد طلاب القسم النهاري في الكلية الإكليريكية ثلاث مرات، وزاد عدد طلاب القسم المسائي عشرة أضعاف.[١٤٣] من هذا الوقت فصاعدًا سوف يتغذى كل طفل قبطي، وقائد علماني، وكاهن، وأسقف، وحتى البطريرك من روح الإصلاح. إن آثار العمل الأسقفي للأنبا شنودة لا تُحصى. إن نهضة التعليم اللاهوتي ومدارس الأحد، على حد تعبير أحد العلماء الإنجليز، "قامت بما يمكن اعتباره نهضة ثقافية وفكرية بين الأقباط".[١٤٤]

كتب جون هـ. واتسون، "اشتهر الأنبا شنودة باستخدامه الجذاب للغة. إنه متكلم جماهيري بالمعنى الكلاسيكي الأدق. إنه يستطيع بصورة خطيرة إثارة الجماهير"[١٤٥] ولا عجب إذن أن معظم العلماء، إن لم يكن جميعهم، قد تتبعوا أحداث أكتوبر ١٩٦٧ حتى محاضرات الأنبا شنودة الأسبوعية.

هذه المحاضرات الرائعة التي كانت تعقد في مساء الجمعة ويحضرها الآلاف كانت بمثابة القناة التي يستخدمها الأنبا شنودة في الإصلاح. لقد تميزت محاضراته بروح الدعابة المتواضعة الحاسمة والجذابة في آن واحد، كانت المحاضرات أكاديمية، ولكن كان يتم إلقاؤها بلغة بسيطة يفهمها عامة الناس. زعم محمد حسنين هيكل (١٩٢٣-٢٠١٦)؛ رئيس تحرير جريدة الأهرام ووزير الإعلام الموثوق به لدى عبد الناصر أن "دروس الجمعة" كانت مثيرة عن عمد ردًا على "دروس الثلاثاء" التي كان يلقيها حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين.[١٤٦] يقترح باحث آخر أن "محتوى محاضرات الأنبا شنودة كان به تلميحات تنتقد نظام الحكم".[١٤٧] كانت هذه "السياسة العدوانية والظاهرة لحركة مدارس الأحد" هو ما يقترح الكثيرون أنه بدأ "يقلق" البابا كيرلس وتسبب في منع الأنبا شنودة بصورة مفاجئة وحادة من إلقاء المحاضرات.[١٤٨] هذه التعليقات التي صرح بها هيكل والجزء الأكبر من تعليقات الباحثين من بعده، لم تبالغ فقط بشكل كبير في تصوير الاختلافات السياسية بين البابا كيرلس والأنبا شنودة، ولكنها قامت أيضًا بتحويل الصراع بشكل غير عادل وغير دقيق. ولكن حقيقة الأمر أن التفاصيل التي تم تجميعها معًا من خلال تحليل المراسلات والمقابلات التاريخية تقول إن الواقع كان على خلاف ذلك تمامًا. تم تحريف الأحداث بأكملها على مدى نصف القرن الماضي، وتفسيرها وعرضها أيضًا بصورة خاطئة. إن عنوان "درس الجمعة" في المقام الأول لم يكن من وضع الأنبا شنودة، بل كان من اختراع محمد حسنين هيكل.[١٤٩] كانت المحاضرات في الواقع روحية وعملية ونسكية.[١٥٠] ومن المهم أن نذكر أن هذا الخلاف نتج عن الحاجة إلى الإصلاح قبل ذلك بعامين، في عام ١٩٦٥.

بعد وفاة الأنبا كيرلس مطران قنا في أغسطس ١٩٦٥، جرت مناقشات بشأن خليفته. وكتب الأنبا شنودة علانية في مجلة الكرازة: "من حق الشعب اختيار راعيهم".[151] لم تكن القضية هي الشخص الذي رشحه البابا كيرلس (الذي كان جديرًا جدًّا واعتبره الكثيرون قديسًا)؛ كانت القضية هي المبدأ. كتب الأنبا شنودة بحرص:

> إنها فرصة جميلة لكي يكسب قداسة البابا الشعب كله بأن يقوم بسيامة الشخص الذي يختارونه. من السهل جدًّا أن نخضع الناس لسلطتنا ثم نفقدهم، لكنه من الأفضل والمرضى عند الله أن نكسب محبتهم، والراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف.[152]

أصبح هذا شعار الأنبا شنودة منذ ذلك الحين، عندما كان طالبًا جامعيًّا شابًّا، عارض السيامة المثيرة للجدل التي قام بها البابا يوساب برسامته لأنبا يؤانس مطرانًا على الجيزة.[153] ولكن الآن، كان ذلك تحديًا علنيًا للبابا كيرلس.[154] على الرغم من أن الأنبا شنودة بدا معتدلاً، إلا أنه في مقابلة أجريت معه بعد بضعة عقود، وكذلك في مراسلات من تلك الفترة، يشير إلى أنها كانت واحدة من أهم نقاط الخلاف بينهما.[155] كان هذا المبدأ، مرة أخرى، هو الذي كان مصدر قلق. وبالمثل، في منتصف الستينيات، أمضى الأنبا شنودة خمسة أشهر يحتج في منفى اختياري - وربما تم وقفه - بعد أن رسم البابا كيرلس مرشحًا غير إكليريكي للكهنوت (على الرغم من أن الأنبا شنودة، كما رأينا، فعل الشيء نفسه لاحقًا في عام ١٩٦٧).[156] توترت علاقة الأنبا شنودة مع البابا كيرلس أكثر في مايو ١٩٦٧، عندما رُسم الأنبا غريغوريوس على "أسقفية" متداخلة معه في اختصاصاته (أو بتعبير أكثر دقة على معهد). ومرة أخرى عندما تم تفويض الأنبا صموئيل لرئاسة لجنة "تعليم الكرازة"، وهي مهمة اعتبرها الأنبا شنودة من "اختصاصات أسقفيته".[157] كانت الأحداث التالية ببساطة هي القشة الأخيرة.

كتب أبونا جرجس عشم؛ مدير البطريركية، في ٢٧ يوليو إلى الأنبا شنودة. بدأت الرسالة "نود أن نعلمكم أن البطريركية مثقلة بمصروفات الكلية الإكليريكية في وقت انخفضت فيه مواردها المالية بشكل كبير بسبب الآفات الزراعية التي دمرت المحاصيل، مما أدى إلى عجز في مدفوعات إيجار الأراضي".[158] وأضاف في رسالته "ونتيجة لذلك كان من المقرر زيادة الرسوم الدراسية، ولن يُسمح للطلاب بعد الآن بالإقامة، ولن يتم تقديم وجبات الطعام".[159] تم إرسال رسالة مماثلة في اليوم نفسه أيضًا إلى معهد ديديموس وكذلك المعهد العالي للتعليم، وكلاهما تحت إشراف الأنبا غريغوريوس.[160] كان الأمر كأنه قطع للرأس، لكن يدي البطريركية كانت مقيدة بالفعل رغم أن الأنبا شنودة لم يستطع رؤية هذا.[161]

واجه المجلس الذي كان يدير الشؤون المالية للبطريركية حتى أبريل في وقت مبكر من ذلك العام عجزًا ماليًا حادًا تسببت فيه كارثة محاصيل القطن التي قللت من دخل الوقف. وفي الوقت نفسه أدى الانكماش الاقتصادي الذي تفاقم بسبب الخسائر الفادحة في حرب الأيام الستة، إلى الأزمة المالية التي (كما رأينا) من شأنها أن تجبر البابا كيرلس على طلب تدخل عبد الناصر في تفكيك المجلس، ونقل سلطة الإدارة المالية للبطريركية والمعاهد اللاهوتية إلى البطريركية.[162] هذا أمر مهم يجب تقديره؛ لم تذكر الدراسات، بأي صورة، أن إيقاف الأنبا شنودة جاء نتيجة لهذه الظروف.

في الوقت نفسه، أصبح الأنبا شنودة يتمتع بشعبية كبيرة. بدأت محاضراته الأسبوعية في قاعة محاضرات صغيرة، قبل أن تملأ بسرعة قاعة مارمرقس، ثم ركنًا صغيرًا من الكاتدرائية، حتى وصل الأمر في النهاية أن الناس كانوا يتدفقون من كل مدخل وممر.[163] لم يمر هذا النمو المذهل مرور الكرام، وكما يذكر الأنبا شنودة في مقابلة "قام العالم ضدي، بدأ المشيرون الأشرار بتحريض البابا ضدي، كما لو كنت وأنا أسقف أسيطر على الكنيسة بأكملها".[164] في وقت ما بدأ الأنبا شنودة إلقاء العظات في كثير من المؤتمرات في مختلف الأبروشيات وكان أسقف الأبروشية التي

قام الأنبا شنودة بإلقاء العظة فيها يسافر إلى المؤتمر التالي في الأبروشية الأخرى ليسمعه، حتى بدأت مجموعة من الأساقفة في نهاية المطاف بالسفر للاستماع إلى محاضراته. وتابع الأنبا شنودة: "بدأوا يقولون للبابا إنني كنت أقوم باستقطاب الأساقفة... وبدأ المشهد كله ينقلب رأسًا على عقب..."[١٦٥] بدأت الإشاعات تنتشر.

تم استدعاء الأنبا شنودة إلى مركز الشرطة في صباح أحد أيام الجمعة. قدم أحد المهندسين خطابًا يوضح بالتفصيل أن سقف الكلية الإكليريكية غير آمن ويمكن أن ينهار في أي لحظة. كان الأنبا شنودة يعلم أنه لا يستطيع أن يفعل شيء؛ لم يمكنه الوصول إلى البابا كيرلس عبر الهاتف. تم نقل المحاضرة في اللحظة الأخيرة إلى الفناء. ولكن تم قطع التيار الكهربي، فأمر الأنبا شنودة بإضاءة مصابيح الكيروسين. ثم تم قطع المياه، ويقول الأنبا شنودة "وجدت في النهاية أن الوضع لا يمكن تحمله، لذلك كتبت مقالاً في الكرازة".[١٦٦] بقي الأنبا شنودة صامتًا حتى هذه اللحظة، لكن العوائق "العشوائية" المستمرة والسحب المالي لم تترك له أي اختيار. وكتب في صحيفة الكرازة في أكتوبر ١٩٦٧:

> صمتنا مدة طويلة، نحاول التوصل إلى حل من خلال المفاوضات حتى لا نزعج الشعب بأخبار مزعجة. وقد اقترب موعد العام الدراسي الجديد المقرر أن يبدأ في ٢٦ سبتمبر. تم تعليق الميزانية، وتراكمت الديون إلى حد مخجل، ولا توجد إمدادات مياه في المبنى، وسيتم قطع الكهرباء قريبًا، وهناك قرارات بإلغاء الإقامة الداخلية للطلبة، ومنع الطلاب من الإقامة، ومنع الوجبات، بالإضافة إلى عدم وجود عدد كاف من المدرسين والموظفين المساعدين. إنه إغلاق غير مباشر للكلية، لأننا نعرف جيدًا قدرات الطلاب.[١٦٧]

ثم شرع الأنبا شنودة في نسخ رسائل يوليو التي كتبها أبونا جرجس له بالكامل، وكذلك رده على كل منها. قام بكتابة تفاصيل فواتير المياه والكهرباء والهاتف والطعام التي لم يتم دفعها. وعبَّر عن أسفه لإغلاق قاعة المحاضرات، لكنه امتنع عن "الإفصاح عن التفاصيل". وأخيرًا، أعرب عن شعوره بالإحباط والحرج لأنه لا يتم تقدير أهمية الكلية الإكليريكية

ويتم التعامل معها باستخفاف.[١٦٨] لقد قام بشرح علني وصادم للغاية لصراعه مع البطريركية، وبالتالي مع البابا كيرلس نفسه. واختتم الأنبا شنودة في نهاية المقال:

> بعد صمت طويل يا إخواني، اضطررت، وأنا متألم، أن أتحدث بصراحة كي أجد حل لمصير كليتكم الإكليريكية. أما أنتم يا إخوتي الطلاب، إذا كنت أنا سبب هذه العاصفة العظيمة، فأنا مستعد للانسحاب حتى تهدأ الأمور. أنا على استعداد للعودة إلى الدير، إلى مغارتي الحبيبة في الجبل، لقضاء بقية أيام حياتي لكي أعيش بسلام وأريح الآخرين "يكفي اليوم شره".[١٦٩]

وتعبيرًا عن احتجاجه، أغلق الأنبا شنودة الكلية الإكليريكية وانسحب إلى ديره.[١٧٠] ثار الطلاب في البطريركية،[١٧١] أرسل البابا كيرلس بسرعة برقية إلى الأنبا شنودة في ٨ أكتوبر: "إن عنادك وسفرك وإصرارك على عدم إرسال رسائل إلى الطلاب تستدعيهم للعودة إلى الكلية يحكم عليك. لا حِل لك أن ترجع إلى القاهرة إلا بإذن منا".[١٧٢] وهذا يشير إلى أن الأنبا شنودة هو من غادر أولاً إلى الدير، ونتيجة لقيامه بإغلاق الكلية الإكليريكية، رفض البابا كيرلس السماح له بالعودة. ولذلك كان السبب المنطقي للإيقاف متعدد الأوجه؛ كان رد فعل لمجموعة من العوامل، معظمها يتعلق بموضوع الإصلاح.

أرسل الأنبا شنودة برقية بعد أسابيع قليلة يطلب فيها محاكمته أمام المجمع المقدس.[١٧٣] نستطيع أن نقول إنه قد تم تجاهلها. كتب الأنبا شنودة إلى صديق عزيز في ١٥ نوفمبر ١٩٦٧:

> ما حدث كان متوقعًا، لذلك لم أتفاجأ، إنه صراع يجب أن يواجهه كل من يدافع عن الحقيقة. لكنني متأكد من أن الرب سيعمل. لست مستعدًّا في أي وقت أن أعيش في سلام وأتجاهل الدفاع عن الحقيقة، أو أن أربح المزيد من الامتيازات والخدمات الخاصة وأتوقف عن إعلان كلمة الله. أحاول الآن أن أستفيد، بقدر الإمكان، من وحدتي، وشعرت أنه نعمة من الرب أن يكون لديَّ وقت هادئ أستطيع أن أقوم فيه بعمل شيء ما من أجل مجد اسمه.[١٧٤]

تم إيقاف الأنبا شنودة لمدة ثمانية أشهر ونصف، بعد "مفاوضات كثيرة لحل المشكلة" سمح له البابا كيرلس بالعودة إلى القاهرة لافتتاح الكاتدرائية الجديدة في ٢٥ يونيو ١٩٦٨.[١٧٥] استقبله البابا كيرلس بابتسامته الكبيرة المميزة. وعلق الأنبا شنودة قائلاً: "لم يكن الخلاف شخصيًّا، بل خلافًا على المبدأ، ولم يتعارض أبدًا مع مشاعر المحبة".[١٧٦] مرة أخرى، كان الاهتمام الأساسي يدور حول "طريقة" الإصلاح. وينهى الأنبا شنودة حواره بأنه "مرت فترة الخلاف، لكن المحبة القديمة كان لها تأثيرها: عدت أجلس مع البابا كيرلس لأتحدث وأضحك كما اعتدنا سابقا"، ثم قال، وهو يضحك: "ولكن اعتدنا على أن نختلف إذا دخلنا في مناقشة قوانين الكنيسة".[١٧٧] أوضح تلاميذ كل من البابا كيرلس والأنبا شنودة أن العداء انتهى في ذلك الوقت وبعد ذلك عاد الاثنان إلى صداقتهما القديمة.[١٧٨]

من الصعب أن نتكلم بصورة مؤكدة فيما يتعلق بمقاصد البابا كيرلس في القضية برمتها. ولكن هناك بصيص من النور مؤكد، وإن كان خافتًا، يتراقص عبر الرسائل والمقابلات والمقالات في تلك الفترة، من المستحيل أن نؤكده أو حتى نتخيله، كما لو كان هذا الحدث بأكمله تقريبًا مقصودًا وعن وعي وحتى أيضًا نستطيع أن نقول تم التخطيط له. يمكننا أن نقول، وإن كان الأمر غامضًا للغاية، إن البابا كيرلس كان لا يزال "يُشكِّل" تلميذه السابق؛ يشكله للسنوات القادمة.

خميرة النهضة الرهبانية: أبونا متى المسكين (١٩٦٩)

قال الأب بيمن عن الأب إيسيذورس إنه أينما خاطب الإخوة في الكنيسة كان يقول شيئًا واحدًا فقط:

"اغفر لأخيك، حتى يُغفر لك أنت أيضًا"

أبا إيسيذورس

كان التلميذ الرابع هو الأقل طاعة. لم يصبح أسقفًا أبدًا. ومع ذلك، على يد البابا كيرلس، وكثمرة غير عادية وغير متوقعة لعدم طاعته، سيشارك هذا التلميذ نفسه في نهضة الحياة الرهبانية بصورة غير متوقعة ولا مثيل لها.

آخر مرة تكلمنا فيها عن هذا الشاب، وهو صيدلاني اسمه يوسف إسكندر (١٩١٩-٢٠٠٦)، كان قد باع صيدلياته وممتلكاته وسياراته، ليخضع لتلمذة أبونا مينا المتوحد (البابا كيرلس فيما بعد) في مارمينا في مصر القديمة.[١٧٩] كان الشاب قد توسل إلى أبونا مينا في منتصف ١٩٤٨، ليرسمه في الدير وليس في مصر القديمة. وافق أبونا مينا في النهاية، وهكذا، في ١٠ أغسطس رُسِمَ الراهب متى الصموئيلي في دير الأنبا صموئيل، حيث كان أبونا مينا رئيس الدير "عن بعد".[١٨٠] عندما اتصل أبونا مينا بالراهب متى لكي يرجع إلى مصر القديمة بعد بضعة أشهر، رفض الأخير. كتب الراهب مكاري (الأنبا صموئيل فيما بعد) إلى الراهب متى في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨، بعد وصوله إلى القاهرة:

> وجدنا أبانا القمص مينا ينتظرنا لفترة طويلة. حالما دخلنا سألنا عنك فأعطيته رسالتك. لقد كان متضايقًا جدًّا ومتألمًا لأنك لم تأت. طلب مني أبونا مينا أن أكتب هذه الرسالة خصيصًا لك، لأبلغك أنه متضايق لأنك لم ترد على طلبه. قال لي: "اكتب أن الطاعة أفضل من تقديم الذبيحة". طلبت من قدسه أن يكتب لك، لكن يبدو أنه متضايق للغاية.[١٨١]

اعترف أبونا متى بعدم طاعته في سيرته الذاتية.[١٨٢] بعد ذلك بعام طلب أبونا مينا أن يعود كل من أبونا مكاري وأبونا متى إلى مصر القديمة "لإنهاء تعليمهما".[١٨٣] عرف أبونا مينا، جيدًا، أن تكوينهما الرهباني (في تلك الفترة التاريخية) سيتعطل، وإن كان هذا أمر عكس المتعارف عليه، بسبب إقامتهما في دير. يبدو أنه حتى في هذه السنوات الأولى كان لديه برنامج إصلاح. لكن من الواضح أن أبونا متى لم يطعه مرة أخرى. ومع ذلك، رأى أبونا مينا شيئًا ما في تلميذه العنيد.

في مارس ١٩٥١، أصيب أبونا متى بعدوى في عينيه واضطر إلى مغادرة الصحراء بظروفها القاسية.[١٨٤] باعتراف أبونا متى نفسه، تصالح أبونا مينا معه مرة أخرى، وأرسله إلى دير السريان في وادي النطرون لينضم إلى تلاميذ أبونا مينا الآخرين؛ "رهبان مدارس الأحد" الذين يتزايدون،[١٨٥] رُسِم أبونا متى كاهنًا هناك في ١٩ مارس بالاسم الذي اشتهر به عالميًّا: أبونا متى المسكين.

سرعان ما سيصبح قلقًا. كتب أبونا متى في سيرته الذاتية:

> لم أستطع تحمل حياة رهبنة الشركة في دير السريان لأنها كانت حياة مصطنعة مستحيلة بالنسبة لرجل أراد حرية العبادة بالروح والحق. غادرت الدير وحفرت بيدي مغارة. قمت بتقسيم مؤونتي الخاصة حتى لا أذهب إلى الدير أبدًا إلا لحضور القداس والتناول كل شهرين تقريبًا.[١٨٦]

سيقضي السنوات في أعماق الصحراء، في التأمل والسهر والنسك الشديد. هناك سيلتقي بأبونا عبد المسيح الحبشي (الناسك والقديس الإثيوبي). هناك سيتتلمذ على يديه أبونا أنطونيوس (الأنبا شنودة لاحقًا). وهناك اتخذه الكثير من رهبان مدارس الأحد أب اعتراف.[١٨٧] وفي مارس ١٩٥٤، دعاه البطريرك في ذلك الوقت؛ البابا يوساب الثاني، ليكون وكيلاً للبطريركية بالإسكندرية، ولكن بعد خلاف مرير مع المجلس الملي، اختفى بعد عام وذهب إلى مغارته.[١٨٨] بعد فترة وجيزة في يوليو ١٩٥٦، كان لسوء الحظ، يتعامل أيضًا مع الأنبا ثاؤفيلوس أسقف الدير.[١٨٩] ولم يلجأ إلى غيره، فترك الصحراء وعاد إلى أبونا مينا بمصر القديمة. يتابع أبونا متى:

بعد ساعتين فُتح الباب ووجدت واحدًا وعشرين راهبًا [بما فيهم أبونا أنطونيوس] من أولادي قادمين إليَّ، الأمر الذي أزعجني كثيرًا. حاولت أن أجعلهم يعودون إلى الدير الذي تمت فيه رسامتهم، وأخبرتهم أنني أريد أن أعيش بمفردي، كانت محاولاتي عديمة الفائدة أمام حماس الرهبان الذين قالوا إنهم سيعيشون ويموتون معي.[١٩٠]

ومن هناك سافرت مجموعة "رهبان مدارس الأحد" بمباركة أبونا مينا المتوحد إلى دير القديس الأنبا صموئيل. بعد ذلك بوقت قصير سيتم رسامة أبونا مينا بطريركًا.

وبعد ثلاث سنوات من وصولهم، تلقى الرهبان رسالة عاجلة من البطريركية. يتذكر أبونا متى في سيرته الذاتية:

لقد فوجئنا ببرقية مرسلة إلى المسؤول عن دير الأنبا صموئيل تطلب منا أن نغادر الدير فورًا. غادرنا جميعًا على الفور في ٢٧ يناير ١٩٦٠. تاركين كل شيء وراءنا وكأننا سنصبح رهبانًا من جديد. لقد كان خروجًا جماعيًا جديدًا. قابلت البطريرك [البابا كيرلس السادس] سألته باحترام عن سبب هذا الإجراء. فأجاب أنه يجب علينا أن نعيش في دير السريان.[١٩١]

لم يُعطِ البطريرك الجديد أي توضيح إضافي. وكما يعلق أحد المؤرخين "كان الأمر صعبًا ولأسباب غير معروفة".[١٩٢] هذا الحدث والأحداث التي تلته، طيلة النصف القرن الماضي، كانت محاطة بالغموض، وبالتالي، أصبحت مياهًا عكرة لا يمكن الغوص فيها وسبر أغوارها وهناك الكثير من الافتراضات والتوصيفات الخاطئة بخصوصها. لكن اكتشفت رسالة مختبئة وغير معروفة حتى الآن في وسط مجموعة من الوثائق المتربة والمنسية والمتحللة في دير بالصحراء الغربية، قد تفسر تصرفات البابا كيرلس.[١٩٣] كتب الرسالة رئيس دير القديس الأنبا صموئيل قبل أشهر فقط من البرقية المذكورة.

بعد أقل من ثلاثة أشهر على رسامته، في أغسطس ١٩٥٩، أرسل البابا كيرلس راهبين إلى دير القديس الأنبا صموئيل هما أبونا عبد السيد الأنبا بولا وأبونا يؤانس

السرياني، حيث كان أبونا متى يسكن مع رهبانه. وحمل كل منهما خطاب توصية من البابا كيرلس. لكن عند وصولهما قامت مشاجرة وكتب أبونا مينا الصموئيلي (رئيس الدير الجديد) منزعجًا إلى البابا كيرلس في ١٨ أغسطس ١٩٥٩:

> ما إن وصل الراهبان إلى الدير حتى استقبلهم جميع "الرهبان الجامعيين" عند بوابة الدير ورفضوا قبولهم. بعد قراءة خطاب التذكية، أبلغوهم أنه يجب عليهم العودة في القافلة نفسها؛ وفي الواقع، كان هذا ما حدث، فقد نفذوا هدفهم وجعلوا الآباء يعودون في القافلة نفسها.[١٩٤]

كان رئيس الدير مصدومًا، ثم تابع رسالته قائلاً:

> توجهت مساء الأربعاء إلى الدير بخصوص هذا الموضوع... لكي أناقش معهم موقفهم من الأبوين. لكنني وجدت أنهم اتفقوا على ضرورة أن يغادر الراهب سيداروس (الذي أرسله البابا كيرلس مؤخرًا أيضًا) الدير مثل الأبوين الآخرين. تناقشت لوقت طويل مع "الرهبان خريجي الجامعة" برئاسة القمص متى المسكين حول موقفهم. سألتهم ماذا فعل الأبان ولماذا أعادوهما؟ أجابوا: "الآباء لم يفعلوا شيئًا على الإطلاق، لكننا قررنا جميعًا، مجموعة خريجي الجامعة، عدم قبول أي راهب من أي دير آخر لأنه لا يتماشى مع أفكارنا وعملنا، ولكي نعيش في بيئة هادئة". حاولت إقناعهم بأي وسيلة، لكنهم رفضوا تمامًا السماح له بالبقاء معهم في الدير.[١٩٥]

أخذ رئيس الدير الراهب سيداروس معه خوفًا من وقوع "ثورة"، واختتم رئيس الدير رسالته إلى البابا كيرلس قائلاً: "أنا لا أقبل هذا الوضع، ولا يمكنني التعايش معه!"[١٩٦]

كان يعيش في دير القديس الأنبا صموئيل رهبان أميون وريفيون. في حين أن "الرهبان الجامعيين"، كما يسمون أنفسهم، كانوا في الأصل تلاميذ البابا كيرلس منذ كان متوحدًا في مصر القديمة، وهم المجموعة نفسها من التلاميذ الذين أرسلهم إلى دير السريان، والمجموعة نفسها التي اتبعت أبونا متى المسكين إلى دير القديس الأنبا

صموئيل.[١٩٧] شعروا "تحت رئاسة أبونا متى" أن الاختلاف بينهم وبين الرهبان غير المتعلمين سيكون مصدر احتكاك. لم يعودوا يقبلون انضمام أي رهبان آخرين إليهم، وفي تحدٍ لرسائل وتعليمات البابا كيرلس، قاموا حتى بطرد الراهب المسكين سيداروس.

هذه الرسالة الفريدة كاشفة ويرجع ذلك لسببين. إنها تشير مرة أخرى إلى عدم طاعة أبونا متى، ولكن الأهم من ذلك أنها تشير أيضًا إلى السبب (تقريبًا) الذي يستحق المدح خلف عدم طاعته: لقد اشتبك هؤلاء "الرهبان خريجي الجامعة" بالفعل مع الرهبان غير المتعلمين القدامى ولذا سعوا الآن لكي ينفصلوا عنهم. هل كان هذا إذن هو السبب الذي جعل البابا كيرلس يرسل برقيته التي وجهت أبونا متى و"الرهبان خريجي الجامعة" إلى أن يعودوا إلى دير السريان؟ هل كان يأمل أن يكون الخلاف أقل بين الرهبان ذوي التعليم العالي؟ أم أنه كان يتعامل بصورة قاطعة مع عدم الطاعة المستمرة للأب متى؟ أظن أن الأمر يتعلق أكثر بالسبب الأول. خاصة وأن البابا كيرلس، كما سنرى، سيصرح في النهاية لصديق عزيز أنه كان يأمل أن يكون هؤلاء خريجي الجامعة هم "الخميرة" التي ستختمر بها الأديرة في مصر يومًا ما.[١٩٨]

على أي حال، عاد الرهبان كما طُلب منهم إلى دير السريان في ٢٨ يناير ١٩٦٠. لكنهم لم يشعروا بالترحيب، وهكذا بعد سبعين يومًا فقط في ٩ أبريل، رحل أبونا متى ورهبانه إلى بيت التكريس الذي كان أبونا متى قد أسسه قبل بضع سنوات في حلوان جنوب القاهرة.[١٩٩] يبدو أن اتجاههم للحياة هناك كان فكرة البابا كيرلس الخاصة؛ كان يأمل في إرسالهم قريبًا إلى الأديرة، نظرًا لعدم رغبتهم في أن يستمروا في دير السريان.[٢٠٠]

لكن بحلول منتصف أغسطس، قرر البابا كيرلس خلاف ذلك وأصدر مرسومًا في جميع أنحاء مصر يأمر جميع الرهبان بالعودة إلى أديرتهم الأصلية بحلول ٣٠ سبتمبر، وهدد أنه سيتم شلح الراهب الذي لن يطيع القرار.[٢٠١] من غير الواضح نوعًا ما إذا كان هذا المرسوم موجهًا إلى رهبان أبونا متى على وجه التحديد.[٢٠٢] كان هناك في ذلك الوقت

نحو مائة وخمسين راهبًا من بين ثلاثمائة راهب "خارج" أديرتهم ويخدمون في الأبروشيات.[٢٠٣] هؤلاء "الكهنة الرهبان الأرخص تكلفة" أعاقوا بشكل فعال رسامة الكهنة المتزوجين الذين تحتاجهم الكنيسة بشدة (وإن كانوا أكثر تكلفة)، بالإضافة إلى أنه بالكاد يمكن إصلاح الأديرة عندما لا يكون الرهبان هناك.[٢٠٤] وهكذا، على سبيل المثال، عندما سأل أبونا صليب سوريال البابا كيرلس عما إذا كان هذا المرسوم يستثني أبونا متى قيل له بعبارة واضحة إنه ينطبق على "الكل".[٢٠٥] من الواضح أن لدى البابا كيرلس مخاوف أكبر من أبونا متى، لكن هذا لا يعني أن البابا كيرلس لم يتوقع رد فعل من أبونا متى.

يذكر أبونا متى في سيرته الذاتية أنه في الساعة الثانية من صباح يوم ١١ أغسطس، وبالتزامن مع المرسوم، أرسل البابا كيرلس الأنبا بنيامين مطران المنوفية والأنبا مينا مطران جرجا إلى رهبان أبونا متى "برسالة تهدد بالحرمان الكنسي" إذا لم يغادروا القاهرة في خلال أربع وعشرين ساعة.[٢٠٦] وبعد ساعات قليلة عاد الأنبا بنيامين وحده إلى أبونا متى. لم يوافق الأنبا بنيامين على خطاب البابا كيرلس.

أعلن الأنبا بنيامين "أنا أسقف الكنيسة وأعرف قوانينها. أنتم جميعًا محالون ومباركون. ابنوا مذبحًا وصلوا واحتفلوا بالقداس. أنا المسؤول أمام الله".[٢٠٧] في اليوم نفسه أخبر الأنبا بنيامين البابا كيرلس بما فعله. لم يكن البابا كيرلس راضيًا عما فعله الأنبا بنيامين.[٢٠٨] ركب أبونا متى وعدد من الرهبان سيارتين جيب واختفوا في منطقة غير مأهولة في الصحراء على بعد ١٥٠ كيلومترًا جنوب غرب القاهرة، في وادي الريان الأسطوري، ولكن كان بعض الرهبان قد تركوا أبونا متى بالفعل.[٢٠٩]

ساد الصمت بعد ذلك ولم يكن هناك رد فعل لمدة شهرين. ثم في ١٧ أكتوبر ١٩٦٠ نُشر نص الحرمان المُتوقع في جريدة الأهرام:

> بموجب مرسوم من قداسة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وتنفيذًا له يعلن أسقف دير السريان أن أبونا مينا والقمص متى المسكين والرهبان أسطفانوس وكيرلس وإشعياء وديونيسيوس. الذين لم يمتثلوا للمرسوم البابوي،

على الرغم من الإعلان عنه في الصحف عدة مرات، تم تجريدهم الآن من رتبهم الكهنوتية والرهبانية؛ هم الآن علمانيون كما كانوا من قبل، ولم تعد الكنيسة تعترف بحياتهم الرهبانية."[٢١٠]

سبب هذا الإعلان ارتباكًا كبيرًا. يزعم تلاميذ أبونا متى أنه لم يكن حرمًا كنسيًّا حقيقيًّا، بل "تصريحًا مدفوع الأجر" أصدره الأنبا ثاؤفيلوس رئيس دير السريان.[٢١١] تصمت السيرة الذاتية للأب متى بصورة غريبة عن ذكر هذا الموضوع. وتتعارض المصادر حول حقيقة الأمر، حيث يقترح البعض أنه كان مجرد إعلان مستقل لم يأمر به البابا كيرلس، والبعض الآخر يعتبرونه "إيقافًا غامضًا للرهبان"، وآخرون لا يزالون يعتبرونه حرمًا رسميًّا. هذا الأخير هو الأرجح. أولاً، أرفق تلاميذ أبونا متى في سيرته الذاتية رواية عن حوار بين أبونا صليب سوريال والبابا كيرلس، والذي ينص بوضوح على أنه كان حرمانًا من المجمع. ثانيًا، لم يقم البابا كيرلس بتصحيح تصريح الأنبا ثاؤفيلوس. ثالثًا، شعر الأنبا بنيامين بالحاجة إلى العفو عن الرهبان. وأخيرًا، يبدو أن أبونا متى نفسه قد أخذ "الحرمان الكنسي" بكل جدية، على الأقل على المستوى الشخصي. يتذكر أبونا صليب: "من باب الصدق والحق، لم يصل أبونا متى أبدًا القداس في فترة حرمانه".[٢١٢] عندما زاره عالم القبطيات الألماني الشهير؛ أوتو ميناردس خلال هذه السنوات، ذكر أيضًا أن أبونا متى لم يصل القداس.[٢١٣] على الرغم من عدم طاعته للمرسوم، إلا أن أبونا متى كان، على الأقل شخصيًّا، مطيعًا لمضمونه.

محرومًا أم لا؟ لم يكن وادي الريان مكانًا للراحة. كتب أبونا متى:

إنه وادٍ ليس به ساكن ومساحته سبع كيلومترات عرضًا وثلاثون كيلومترًا طولاً، وفيه عيون ماء مالحة، ولكن يمكن الشرب منها، وفيه أشجار نخيل متباعدة. فحفرنا لأنفسنا مغائر متباعدة تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي نصف كيلومتر تقريبًا. وعشنا كلنا حياة التوحد والصلاة. وكان الله يرسل لنا طعامنا كل شهرين في قوافل جمال بواسطة أحبائنا في القاهرة. عشنا حياة صعبة لتسع

سنوات كاملة. كانت بالنسبة لي أصعب وأشق فترة في حياتي من ناحية إمكانياتي الجسدية.[٢١٤]

كان الوادي مقفرًا تمامًا، ومثل الرهبان، منعزلاً عن الحضارة. كانت الصحراء في الغالب جافة وغير صالحة للزراعة، مما تسبب أن يكون سوء التغذية مصدر قلق دائم، وأن "المياه المالحة، ولكن الصالحة للشرب" ستؤدى إلى تسممهم تقريبًا. بالإضافة إلى ذلك تعرضوا لهجوم من مهربي المخدرات ثلاث مرات على الأقل، ولكنهم نجوا.[٢١٥] زاد عدد الرهبان الستة الأصليون في النهاية إلى عشرة بحلول عام ١٩٦٦، ثم اثنان وعشرون بحلول عام ١٩٦٩.[٢١٦] كان الرهبان هناك، على الرغم من الظروف القاسية، يحاكون الرهبنة القديمة ويعيدون خلقها.[٢١٧] وعلى حد تعبير أحد العلماء إنها "تجربة رهبانية اتخذت أبعادًا أسطورية".[٢١٨]

بخلاف السيرة الذاتية للأب متى، فإن اللمحة الوحيدة التي لدينا عن هذه السنوات الثمينة هي مقابلة ميناردس مع الرهبان.[٢١٩] في يناير١٩٦٦، ركب ميناردس طائرة صغيرة وفاجأ الرهبان وهبط على بعد أمتار قليلة من أحد مغائرهم. وأشار ميناردس إلى أن النساك أمضوا وقتهم في التأمل والعمل اليدوي وكتابة النصوص القديمة: "كانت كتابات مار إسحق؛ أسقف نينوى، بمثابة دليل روحي لأبونا متى المسكين. بعد ذلك، نسخ جميع تلاميذ أبونا متى كتابات مار إسحق".[٢٢٠] كانت هذه المخطوطة في الواقع هدية من يد البابا كيرلس للأب متى قبل عدة عقود. تكرر مرة أخرى، مفهوم "التلمذة الآبائية"، حيث أصبح مار إسحق السرياني "مرشدًا روحيًا" لهذه "الخبرة الرهبانية" الفريدة. هذه السنوات التسع، التي عاشها مجموعة قليلة من النساك، لن تنساها الكنيسة أبدًا وستضع بصمتها على عملية إصلاح الرهبنة.

عندما سأل ميناردس عند مغادرته أبونا متى عما إذا كان يأمل يومًا ما أن يزور أورشليم، أجاب أبونا متى:

أورشليم المقدسة هنا، داخل وحول هذه المغائر، ماذا يوجد داخل مغارتي سوى المكان الذي وُلد فيه مخلصي المسيح، ماذا يوجد داخل مغارتي سوى المكان الذي

أُخذ فيه مخلصي المسيح للراحة، ماذا يوجد داخل مغارتي سوى المكان الذي قام منه ممجدًا مرة أخرى من بين الأموات. أورشليم هي هنا، هنا في هذا المكان نفسه.[٢٢١]

ولكن على الرغم من أن أبونا متى وجد المدينة المقدسة في صحرائه المقفرة، إلا أنه كان لا يزال هناك مسألة حرمانه الكنسي.

لم ينس البابا كيرلس أبونا متى أبدًا. وكتب إلى أبونا صليب سوريال في ٤ فبراير ١٩٦٧:

أما أولادنا الذين ذكرتهم هم كانوا موضوع اهتمامنا ورعايتنا منذ البداية، وما زلنا نهتم. مرات عديدة فتحنا قلوبنا ومددنا أيدينا لهم بفرح. ليس لدينا شيء تجاه أي أحد إلا المحبة في قلوبنا. ما يهمنا حقًّا هو الطاعة. والطاعة التي طلبناها منهم هي الطاعة نفسها التي سيطلبونها من الآخرين لأنهم قدوة للآخرين. تأكد يا ابني أن بابنا مفتوح.[٢٢٢]

مد البابا كيرلس يده للمصالحة أكثر من مرة خلال هذه السنوات التسع،[٢٢٣] لكن أبونا متى لم يرغب. في ١٤ أبريل ١٩٦٩ يوم الاثنين التالي لعيد القيامة، اعتقد صديق مشترك، في الواقع، الشخص الذي قدمهم قبل عقود، أنه يمكن أن يحاول مرة أخيرة؛ كان هو أبونا صليب سوريال، من تلاميذ البابا كيرلس ويمت له بصلة قرابة من بعيد، وأحد كهنة مدارس الأحد الأوائل، وكان رجلاً بلا لوم، وكان محل ثقة الجميع. سمع البابا كيرلس في صباح ذلك اليوم، أن أبونا متى كان يزور حلوان، بالقرب من القاهرة، وسرعان ما أرسل كاهنًا لإقناع أبونا متى بإعادة النظر في طلب المجمع بإرسال رهبانه اثنين إلى اثنين إلى أديرة مختلفة. عندما سمع أبونا صليب هذا، شعر أن الباب قد فُتح مرة أخرى. وبما أن الذكرى العاشرة لرسامة البابا كيرلس بطريركًا كانت بعد أسابيع قليلة فقط، تحدث أبونا صليب مع البطريرك البالغ من العمر ستة وستين عامًا.

احتفظ أبونا صليب بكل تفاصيل حديثهم، والأهم من ذلك، يؤكد هذه التفاصيل تلاميذ أبونا متى.[٢٤] على الرغم من أن الحديث كان طويلاً إلا أنه مهم في فهم تاريخ نهضة الرهبنة في مصر، بل إنه أكثر أهمية لفهم شخص البابا كيرلس ذاته.

نصح أبونا صليب البابا كيرلس قائلاً: "لا يوجد حل آخر. يجب أن يعودوا جميعًا إلى دير واحد، إنهم يفهمون أن ما تفعله هو تشتيتهم". أصر البابا كيرلس منذ البداية وكرر على مدى السنوات التسع الماضية أن لديه هدفًا محددًا لهؤلاء الرهبان. أجاب بصوت عميق: "لا، يا ابني"، أمام الله، لم يكن هذا هو الحال أبدًا، ما أقوله هو إنهم خميرة جيدة، وعندما يذهب كل اثنان منهم إلى دير، سيكونون مثل النبيذ القديم عند إضافته إلى النبيذ الجديد، يكون طعمه أفضل بكثير". لكن البابا كيرلس كان يعلم أيضًا أن الرهبان عانوا بشدة خلال هذه السنوات الماضية.

كرر أبونا صليب بلطف: "حان الوقت لحل هذه المشكلة". لقد حللتم مشكلة إثيوبيا والعديد من المشاكل الصعبة الأخرى. تبقى فقط هذه المشكلة عالقة طوال الوقت. ظل البابا كيرلس صامتًا لبعض الوقت، ثم قال البطريرك المسن "فليكن ليذهبوا جميعًا إلى دير واحد، إلى دير المحرق". انحنى أبونا صليب أمامه وقال: "أنت الآن أب". ورد البابا كيرلس "وماذا كنت من قبل؟" قال أبونا صليب "كنت بطريركًا".

عندما ذهب أبونا صليب إلى حلوان في اليوم التالي، نام. وأفاق بحسب روايته على صوت يردد كلمات: دير أبو مقار، أبو مقار. لم يكن أبونا صليب يعرف شيئًا عن هذا الدير، ولم يزره من قبل، وهذا لم يكن مفاجئًا. لم يكن به سوى عدد قليل من الرهبان، وكان ديرًا فقيرًا للغاية، وفي حالة انهيار وشيك.

عندما وصل أبونا صليب وبخ أبونا متى على الفور لأنه تسبب في انقسام في الكنيسة. أصبح أبونا متى من خلال كتاباته الغزيرة ذائع الصيت عالميًا، وكان حرمانه لا يؤدى إلى وحدة في الكنيسة. لكن أبونا صليب أضاف أن لديه أخبارًا لا تصدق: وافق البابا كيرلس أخيرًا على أن يذهب جميع الرهبان إلى دير واحد. أدرك أبونا

صليب كان يعلم أنه كان يغير خطط البابا كيرلس "بالطبع، لم أذكر دير المحرق على الإطلاق". كان دير القديس مقاريوس مثاليًا، كما قال للأب متى، كان الدير يحتاج إلى إعادة بناء، وبه رهبان مسنون يحتاجون إلى الخدمة، وقريب من القاهرة. والأهم من ذلك، أن رئيس الدير الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط، يعيش على بعد حوالي خمسمائة كيلومتر، لأن أبونا صليب ذكر أبونا متى "أنت صعب في التعامل مع أي إدارة".[٢٢٥]

يذكر أبونا متى في سيرته الذاتية أنه رفض في البداية مقابلة البطريرك ووافق فقط بعد أن "أصر أبونا صليب، قائلاً لي إن البابا كيرلس كان مريضًا ومتألمًا وأمضى ثلاث ليال بلا نوم وضميره يؤنبه".[٢٢٦] لكن كانت هناك مشكلة صغيرة لم يكن أبونا متى على علم بها. في المفاوضات الضعيفة والهشة، جعل أبونا صليب أبونا متى يعتقد بأنه ذاهب إلى دير القديس مقاريوس، في حين أن البابا كيرلس وافق على دير المحرق فقط. يتذكر أبونا صليب لقاءه اللاحق مع البابا كيرلس:

> يا رب ساعدني. قلت له: الأفضل أن يذهبوا إلى دير القديس مقاريوس. وبصوت مثل الرعد تساءل البابا كيرلس "ماذا؟" لم أره أبدًا ثائرا جدًّا بهذه الصورة، كان وجهه غاضبًا، وكان على وشك أن يصفعني على وجهي! "هل قلت لك دير القديس مقاريوس؟ قلت لك دير المحرق. أنت تتخذ القرار بنفسك، وتعتقد أنك تعرف كل شيء، أنا أرسلتك تحمل رسالة محددة، وأنت تقول ما تريده؟" قررت أن ألتزم الصمت تمامًا. ثم كان عليه أن يتلقى مكالمة هاتفية...

بمجرد أن هدأ البابا كيرلس قليلاً، ذكَّره أبونا صليب بأن الأنبا قزمان، رئيس دير المحرق، يتمتع "بشخصية جبارة"، وأن هذا الأمر، ونظرًا لشخصية أبونا متى، سينتهي حتمًا بمزيد من الانقسام. ثم أخبر أبونا صليب البابا كيرلس بهدوء عن سماعه صوتًا وهو في القطار ذاهبًا إلى حلوان يهمس في أذنه ثلاث مرات قائلاً "أبومقار". "إذن، هل هبط عليك الوحي؟" قال البابا كيرلس وهو غير مصدق لما يسمعه. أجاب صليب: "الوحي لا يأتي فقط إلى البطاركة، بل قد يأتي أحيانًا إلى كاهن

لا قيمة له". لكن في هذه اللحظة، كان البابا كيرلس يحتاج إلى قليل من الإقناع. وبعد تفكير عميق أدرك أن اختيار الدير المحرق كان سيسبب له المزيد من الألم.

بعد عدة أيام، وفي وقت متأخر من المساء، قام أبونا متى وأبونا صليب والأنبا ميخائيل بزيارة البطريركية. يتذكر أبونا صليب:

> جلست بجانب أبونا متى عمدًا. كانت المحادثة في البداية قاسية للغاية. قال قداسته للأب متى: "لقد شبت". أجاب أبونا متى، "البركة فيك يا سيدنا". دُست على رجله وقلت له "كن حكيمًا". قال قداسته: "لا، أريد فقط أن أخبرك أن التجارب التي مررت بها مدرسة نافعة، وثق أنك استفدت من كل الظروف التي مرت بك؛ سوف تفيدك لبقية حياتك وسوف تفيد الناس الذين يمرون بمصاعب. لن تندم أبدًا على تلك الأيام التي كانت بمثابة مدرس لك.

في السيرة الذاتية للأب متى، كان موجزًا بشكل غير عادي: "اعتذر البابا كيرلس وطلب مني أن أغفر له وأحاله عما حدث، وأعطاني هو أيضًا الحل والمغفرة".[٢٢٧] اتصل أبونا متى على الفور وأرسل سيارات جيب ليجمع الواحد وعِشرين راهبًا من أعماق الصحراء. وفي وقت مبكر من صباح يوم الجمعة ٩ مايو ١٩٦٩، صلى البابا كيرلس طقس "تغيير الشكل" للرهبان تلاميذ أبونا متى (خدمة ليتورجية يتم بموجبها "تغيير اسم" الراهب من دير إلى آخر). يستذكر أبونا صليب الحدث التاريخي:

> أتى الرهبان، وقام البابا كيرلس بتغيير الشكل لكل منهم حتى جاء دور أبونا متى. قال البابا كيرلس: "متاؤوس راهب..." فقاطعه أبونا متى، وهو يخفض رأسه، "أرجو قداستكم متى المسكين". تابع البابا كيرلس، "متاؤوس راهبًا في دير..." قاطعه أبونا متى مرة أخرى، "أرجو قداستكم متى المسكين". فقال البابا كيرلس: "متى المسكين راهبًا بدير القديس مقاريوس".[٢٢٨]

بقي أبونا متى عنيدًا كما هو الحال دائمًا، حتى في إصراره على الاسم. لكن بغض النظر، رأى البابا كيرلس شيئًا ما فيه - شيئًا يجعله يستحق أن يُغفر له دائمًا.[٢٢٩]

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، اتصلت البطريركية بأبونا صليب، فقد طلبه البابا كيرلس بشكل عاجل. يتذكر أبونا صليب قائلاً: "لقد أصبت بالذعر، ظننت أن شيئًا سيئًا قد حدث".[٢٣٠] قال البابا كيرلس لصليب: "اسمع يا ابني، لم أنم طوال الليل". طمأنه أبونا صليب، بأنه قد قام "بعمل مصالحة تاريخية"، وهو يفكر في الأسوأ. صحح البطريرك: "لا لا، أعني كيف يعيش اثنان وعشرون راهبًا في مثل هذا الدير الفقير لذلك فكرت في أن أدعو إلى اجتماع عاجل للجنة الأوقاف وأطلب اعتماد راتب شهري لهؤلاء الرهبان. هذا الأمر يضايقني يا ابني. لم أنم طوال الليل". ابتسم أبونا صليب.[٢٣١] كان هذا هو قلب البابا كيرلس. لم يكن يكفيه فقط أن يغفر، بل لن تهدأ عيناه ويرتاح حتى يعلم أن هؤلاء الرهبان قد ارتاحوا.

عندما وصل أبونا متى المسكين إلى دير القديس مقاريوس بوادي النطرون، وجده على حد قوله في "حالة يرثى لها". لم يبق إلا أربعة رهبان: أحدهم أعمى والآخر طريح الفراش. يتذكر قائلاً: "لا توجد قلاية واحدة تصلح للسكن".[٢٣٢] كيف ستتغير الأحوال!

بعد أقل من عقد من الزمان، أصبح هناك ثمانون راهبًا، من بينهم الجراحون وأطباء العيون وأطباء الأسنان والمهندسون والأساتذة في التنمية الزراعية. تم ترميم المواقع القديمة وبناء مائة وخمسين قلاية، واستصلاح الأراضي الصحراوية في إنجاز زراعي مذهل.[٢٣٣] كانت الثورة الإدارية والزراعية والمؤسساتية التي تم انجازها في دير القديس مقاريوس عظيمة جدًّا. ولكن كانت الثورة الروحية أعظم، كتب أحد العلماء الغربيين.[٢٣٤] كانت جهود أبونا متى المسكين الروحية والزراعية سريعة جدًّا، ولا يمكن تصورها، وعميقة لدرجة أن البابا كيرلس أطلق عليه لقب "متى المسكون".[٢٣٥]

بالنسبة إلى البابا كيرلس، على الرغم من عدم طاعة أبونا متى والتي كانت من سمات شخصيته، كان هؤلاء الرهبان المميزون بمثابة "الخميرة" التي من خلالها نهضت الحياة الرهبانية مرة أخرى. لم يوافق أبونا متى ورأى أنه من الأفضل إنشاء

مجتمع منعزل يظل منفصلاً تمامًا عن التأثير الخارجي. في النهاية، ستلتقي كلتا الرؤيتين بطرق متشابهة، أي رؤية البابا كيرلس في الانتشار، ورؤية أبونا متى المسكين في الانعزال، ستلتقي الرؤيتان مع انتشار الكثير من رهبان أبونا متى المسكين الأوائل إلى أديرة أخرى وتحقيق نهضة غير مسبوقة. وعلى الرغم من أنه في السنوات اللاحقة غادر عدد قليل من رهبان أبونا متى المسكين محرابهم الصحراوي، فإن كتابات أبونا متى المسكين الغزيرة غادرت أيضًا بالتأكيد.[٢٣٦] لذلك سينتشر التركيز الروحي إلى مدى متسع جدًّا وغير محدود.

على سبيل المثال، الكتاب الأول والذي يعتبر حجر الأساس في كتابات أبونا متى المسكين؛ حياة الصلاة الأرثوذكسية، الذي يحتوي على شرح عميق لمختارات من أقوال آباء الكنيسة المتعلقة بالصلاة، اجتذب بمفرده المئات (إن لم يكن الآلاف) إلى حياة الرهبنة.[٢٣٧] يجسِّد هذا الكتاب خبرة وجودية عميقة تشكلت على مدى عقود من الجهاد النسكي وغيَّرت وجه حياة الرهبنة. يعلق واتسون: "لقد كانت بذرة، زُرعَت في أرض قاحلة في وادي الريان في الخمسينيات، لكنها في عصرنا نمت وأصبحت غابة، غابة مسكونية".[٢٣٨] وكانت فعلاً بالحقيقة كذلك، إلا أن البذرة كانت قد زرعت قبل وادي الريان منذ زمن بعيد.

في الواقع، كان لدى أبونا متى المسكين مخطوطتان في عام ١٩٤٨، وكلاهما سيؤدي إلى هذا العمل البارز. الأول هو المختارات المذكورة أعلاه من أقوال آباء الكنيسة المتعلقة بالصلاة. والثاني هو مخطوطة عظات مار إسحق السرياني النسكية التي كتبها البابا كيرلس (أبونا مينا المتوحد) بخط يده.[٢٣٩] في أيام خبرة الحياة الرهبانية في الستينيات في وادي الريان، أشار أبونا متى المسكين نفسه إلى أن مار إسحق كان "مرشدًا روحيًّا" لمجمع الرهبان. والأمر الرائع الذي يجب أن نلاحظه أن البابا كيرلس، إلى جانب الأنبا شنودة وأبونا متى المسكين (اثنان من تلاميذه اللامعين)، كانوا جميعًا نساكًا أُخرجوا بالقوة من حياة الوحدة لكي يشتركوا في تحقيق واحدة من أعظم الإصلاحات الكنسية في التاريخ. تم تشكيل كل من الأنبا شنودة وأبونا متى

المسكين بواسطة البابا كيرلس من خلال خبرته الخاصة في "التلمذة الآبائية" على عظات مار إسحق السرياني، الذي عاش منذ ألف وثلاثمائة عام. كان الثلاثة مفتونين بحياة التوحد، وسينقل الثلاثة جميعًا، على مضض، تلك الحياة إلى العالم. منذ ذلك الحين، سيتم نسج الأديرة الصحراوية بدقة "في نسيج كنائس أبروشيات المدن الكبيرة والبلاد والقرى".[٤٠] كان الإصلاح الكنسي، مرة أخرى نتيجة للإصلاح النسكي الشخصي من خلال المجال النشط والفعال للتأثير النسكي. لا يسع المرء إلا أن يسأل، إذن، كم من تلك الخيوط النسكية حملت بصمة مار إسحق السرياني؟

وقد نسب العديد من العلماء فضل هذه الثورة الرهبانية للأب متى المسكين، واقترح البعض الآخر الأنبا ثاؤفيلوس، أو حتى أبونا عبد المسيح الحبشي.[٤١] ولكن في الواقع كان البابا كيرلس هو الأب الروحي لهذه الثورة (وإن كان بمساعدة الآخرين)؛ هو الذي حمل ميراث مار إسحق السرياني من أبيه الروحي أبونا عبد المسيح المسعودي.[٤٢] إذن، على الرغم من أن أبونا متى المسكين كان له دور مهم لا يمكن إنكاره، إلا أن الرهبنة القبطية ولدت من جديد بروح مار إسحق الذي عاش في قلب وعقل البابا كيرلس السادس.

ربما لا يوجد شاهد مناسب لهذه النهضة الرهبانية أكثر من المقال الذي كتبه بعد أقل من عشر سنوات الأب ألكسندر شميمان (١٩٢١-١٩٨٣)، عميد مدرسة القديس فلاديمير اللاهوتية الأرثوذكسية. فهو لم يتوقع أبدًا أن يقرأ أي شخص سوى نفسه كلماته الحقيقية والبسيطة والتي كتبت من دون تنقيح. كتب الأب ألكسندر في ١١ فبراير ١٩٧٨ خلال رحلته إلى مصر:

> لقد حظيت بيوم استثنائي، قمت بزيارة إلى الصحراء لثلاثة أديرة تعيش في حياة رهبانية تشكل استمرارية لا تنقطع لرهبنة أنطونيوس الكبير ومقاريوس وغيرهم. والمدهش بالطبع هو مدى حيوية هذه الحياة: أنهم رهبان حقيقيون! لم أر في حياتي كلها إلا محاكاة للرهبنة فقط، صور مصطنعة لحياة الرهبنة، حوارات كاذبة، منمقة؛ وغالبًا ما تكون حوارات فارغة وطويلة ومملة عن الرهبنة والروحانية.

وها هم رهبانًا في صحراء حقيقية. إنه إنجاز بطولي حقيقي. رهبان شباب كثيرون. من دون إعلانات أو نشرات عن الروحانية. لا أحد يعرف شيئًا عنهم، وهم لا يهتمون بذلك. أنا ببساطة مذهول. لدي آلاف من الأسئلة، وأحتاج أن أرتبها تدريجيًّا كلها بالكامل.[٢٤٣]

ملاحظة حول الإصلاح: مجال التأثير النسكي

سألني أحد الإخوة: "أخبرنا ماذا رأيت في الرؤيا؟"
عندما ترى رجلاً نقيًا ومتواضعًا تكفي هذه الرؤية!
ماذا يمكن أن يكون أعظم من هذه الرؤية:
أن ترى الله غير المنظور في إنسان منظور؛ هيكل الله؟

القديس باخوميوس

من الأمور غير العادية في حياة البابا كيرلس أنه كان لديه قدرة غير عادية ليس فقط على شفاء الأمراض، ويبدو أنه صنع عددًا هائلاً من المعجزات لعشرات الآلاف، ولكن أيضًا قدرته على إخراج الأرواح الشريرة. شهد على ذلك وشاهده فعليًّا اثنان من أكثر الشخصيات مصداقية في نصف القرن الماضي؛ أبونا متى المسكين وأبونا صليب سوريال، من بين آخرين كثيرين. ولكن كان من اللافت للنظر أيضًا طريقة إخراج الأرواح الشريرة.

أصبح البابا كيرلس في سنواته الأخيرة مريضًا بصورة متزايدة. أصيب في وقت من الأوقات بالتهاب رئوي ولم يقدر أن يصلي القداس. ومن أجل أن يشعر بالتعزية، استمر يصلي صلاة عشية مساء كل يوم سبت. تزامن أحد صلوات العشية مع ليلة الامتحانات النهائية للمدارس، وتجمع الشباب والشابات في الكاتدرائية لكي يصلي البابا كيرلس من أجلهم ويتبركوا منه. كان غالبًا ما يقترح صفحة عشوائية من كتاب مدرسي فإذ بها تأتى دائمًا في امتحاناتهم المتنوعة. في هذا المساء بالذات، حيث كان عدد أفراد الشعب الحاضرين كبيرًا جدًّا وكان البابا كيرلس يعاني من التهاب رئوي، جلس البابا كيرلس في الهيكل في حين دخل الشباب، واحدًا تلو الآخر ليأخذوا بركته. يتذكر أبونا رافائيل آفامينا:

> كان البابا كيرلس جالسًا ومستيقظًا لمدة ثلاثين دقيقة تقريبًا يحييهم، لكن بعد ذلك غلبه النوم. ظل الناس منتظرين في الطابور بلا كلل، عندما يأتي دورهم

يركعون أمامه ويقبلون يده، وإذا كان لدى أحدهم قلم أو بعض الأوراق كانوا يضعونها بجوار يده ليلمسه ثم يغادرون. وصادف أن يأتي رجل أمامه وفجأة ألقى بنفسه على الأرض. كان البابا كيرلس نائمًا، ولم يكن يصلي ولم يفعل شيئًا، لكن مع ذلك، بدأ الشاب يصرخ بطريقة هستيرية (كان به على ما يبدو أرواح شريرة). استيقظ البابا كيرلس ووقف ونظر إلى الشاب ورفع صليبه. نهض الشاب وقبل الصليب. سأله البابا كيرلس "ماذا بك يا ابني؟ انتهى الأمر؛ أنت الآن بخير".[٤٤]

يتذكر أبونا رافائيل وهو في ذهول "هذا الشاب الذي كان به أرواح شريرة عبر فقط أمام البابا كيرلس وهو جالس على كرسيه نائمًا، لم يفعل شيئا آخر؛ كان البابا كيرلس نائمًا. حتى أثناء نومه يمكنه طرد الشياطين!"[٤٥] الشفاء كان ينبع حتى من مجرد حضوره الشخصي فقط؛ ليس عن طريق السحر أو الصلاة أو أي فعل؛ وهكذا أيضًا، يبدو أن الإصلاح بدأ من البطريرك القديس. لأنه وكما لاحظ أبا باخوميوس في القرن الرابع؛ ما الذي يمكن أن يكون أعظم من أن ترى إنسانا طاهرًا ومتواضعًا "الإله غير المرئي يُرى في إنسان مرئي؟"[٤٦] كان هناك في شخص البابا كيرلس موهبة لا شك فيها، شيء يتحدث بقوة أكبر من الكلمات، وهو الشيء الذي شفي القلوب وغيرها.

كانت الفكرة المسيحية المبكرة للإصلاح، كما أُعلنت في كل من العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة، هي فكرة الإصلاح النسكي الشخصي. ولكن، كما رأينا، كان مدى هذا الإصلاح دائمًا مقيدًا بمجال "التأثير النسكي" للشخص، أي مدى قدرة الشخص على تلمذة آخرين. يفسر هذا الفشل الغريب للإصلاحات الكنسية التشريعية التي كانت يتم وضعها بواسطة الرئاسات الكنسية؛ أي من الأعلى إلى الأسفل في الألفي سنة الماضية، لأن القلوب لا يمكن أبدًا أن تتغير من الأعلى. كتب أحد العلماء أن برامج الإصلاح قد تعطي مظهرًا من الفعالية، وقد يجتذب رجال الكهنوت النشطاء الناس إلى الكنيسة، لكن لا يمكن لأحد هذه البرامج أن ينتج

تغييرًا دائمًا في مقابل "لقاء واحد مع قداسة حقيقية".[٢٤٧] وعلى حد تعبير الأسقف ميليتيوس أسقف بريفيزا "القداسة سُتولِّد المزيد من القداسة".[٢٤٨]

لهذا السبب، كانت هذه الدراسة تركز على شخصية البابا كيرلس بصورة مكثفة وسعت إلى اقتفاء أثر النسك الشخصي للبابا كيرلس الذي نُقل إلى تلاميذه ومن خلالهم إلى الكنيسة بأسرها. ولهذا السبب نفسه، فإن روايات هؤلاء التلاميذ هي روايات شخصية عن تلمذتهم، وتفويضهم، وخلافاتهم. لأن كل واحد منهم من بين كثيرين وبطريقته الخاصة سيتغير من خلال هذا اللقاء مع القداسة الحقيقية. وفيما أسماه ميناردس "أحد الأحداث العظيمة في المسيحية في العالم"، سيتجاوز كل واحد منهم في معية البابا كيرلس ما هو أبعد من التأثير النسكي الخاص به شخصيًّا.[٢٤٩]

ستكون رساماتهم (أو تفويضهم في حالة أبونا متى المسكين) من بين أكثر قرارات البابا كيرلس واقعية وجوهر فكره الإصلاحي.[٢٥٠] لقد كان يحوِّل المراكز المختلفة وبالتالي رُؤى حركة مدارس الأحد إلى "أسقفيات". يعلق ريس على ذلك قائلاً: "كلٌّ منها كان يجسد خطًا واتجاهًا معينًا، ولكن الآن بسلطة أسقفية".[٢٥١] في الأسقف صموئيل، رؤية حركة مدارس أحد الجيزة كانت "أسقفية" الإصلاح الاجتماعي. في الأنبا شنودة، تم "إضفاء الطابع الأسقفي" على روحانية ونسك حركة مدارس أحد كنيسة الأنبا أنطونيوس في شبرا من أجل تحقيق الإصلاح التربوي. في الأنبا غريغوريوس تحول التوجه الثقافي لحركة مدارس أحد جزيرة بدران إلى "أسقفية" ترتكز على الفنون، والبحث العالي، والثقافة القبطية. وأخيرًا، في أبونا متى المسكين (رغم أنه بقي راهبًا)، ستلتقي مراكز مدارس الأحد هذه في نهضة رهبانية غير مسبوقة.[٢٥٢] تم "رسامة" "الرؤى المتنافسة" المختلفة لمراكز مدارس الأحد.

وعلى الرغم من أنهم سيتنافسون مع بعضهم البعض بالتأكيد، أدرك البابا كيرلس أهمية كل واحد من تلاميذه للإصلاح.[٢٥٣] كانت سيامة تلاميذه وتمكينهم في رتب وظيفية، بدلاً من الأبروشيات الإقليمية، يعني تداخل مجالات الخلاف - الخلاف الذي كان في بعض الأحيان موجهًا ضد البابا كيرلس نفسه. لكن الأمر لم يكن

يقلقه كثيرًا. كان البابا كيرلس قد أوضح بشكل قاطع، فوق كل شيء، في يوم رسامته بطريركًا، أن رسامته بطريركًا كانت دعوة للخسارة، وأن همه الوحيد هو "الاختفاء" حتى يظهر المسيح مرة أخرى تطبيقًا لمنهجه وهو الإخلاء الكنسي. كان ما يهمه هو الكنيسة وليس نفسه.

وكما تقترح نيللي فان دورن هاردر بدقة، كانت طريقة البابا كيرلس للإصلاح "حتى في الإطار القبطي متسامية بصورة غير عادية".[٢٥٤] إن العمل الذي بدأه البابا كيرلس وتلاميذه الصغار في كنيسة مارمينا الصغيرة الهادئة والمتواضعة في مصر القديمة، كان من شأنه تغيير الكنيسة خلال اثني عشر عامًا من بطريركيته. إذا أردنا أن نفكك أو أن نعيد تصميم طريقته في الإصلاح، بقدر ما أن هذا سيكون مصطنعًا، يجب أن ننظر إلى هؤلاء التلاميذ.

غالبًا ما يقتصر دور الأنبا صموئيل في قصة الإصلاح على برنامجه الذي كان هدفه تلبية الاحتياجات الملموسة للقرى التي يتعذر الوصول إليها. ولكن، كما تم التلميح سابقًا، فإن هذا يتجاهل أهمية مشاريع "الدياكونية الريفية" في ربط هذه القرى (وكذلك المهجر) بشبكة مدارس الأحد. أصبحت المناطق القروية في مصر، التي كانت تعاني في السابق من عدم وجود أسقفية أو كهنة أو تعليم ديني، في متناول خدام مدارس الأحد (ذكورًا وإناثًا) وكذلك الكهنة، وبالتالي، في نطاق "التأثير النسكي" للبابا كيرلس. من دون تلبية هذه الاحتياجات الأساسية، ومن دون نظام مدارس الأحد والرعاية الأسقفية، ونقل التلمذة ذاتها، لكانوا قد بقوا بعيدًا عن متناول تأثيره النسكي.

في الوقت نفسه، من دون تسلسل هرمي متشابه في التفكير، كان سيتم إعاقة الإصلاح النسكي بصورة دائمة. ولا يمكن إصلاح التسلسل الهرمي حتى يتم تغيير "مسقط رأسه" أي الأديرة.[٢٥٥] اتخذ البابا كيرلس منهجًا مزدوجًا بقدر ما يمكننا أن نقول، لأنه سيكون من غير المجدي عمل نهضة رهبانية، وبالتالي ظهور رهبان أكفاء وقديسين؛ إذا كان مجمع الأساقفة غير المتعاون يعوق رسامتهم أساقفة. ولكي يجد

طريقة للتغلب على هذا الأمر، ودون أن يحتاج إلى أن ينتظر حتى تخلو أحدى الأبروشيات، قام البابا كيرلس بسيامة "أساقفة عموميين" (الأنبا شنودة، والأنبا صموئيل، والأنبا غريغوريوس) سيتم تكليفهم بمناطق وظيفية بدلاً من مناطق جغرافية. وفي خلال سنوات قليلة، استطاع المجمع أن يرسم رهبانًا "نهضويين" لأبروشيات المستقبل، وهنا كان لا غنى عن أبونا متى المسكين.

على الرغم من أن أبونا متى المسكين اختلف مع معظم (إن لم يكن كل) رؤسائه على مر السنين، فقد رأى البابا كيرلس شيئًا في تلميذه. فلو لم يغفر البابا كيرلس للأب متى المسكين عام ١٩٦٩ ونقل هؤلاء الرهبان إلى دير القديس مقاريوس، لكانوا قد ظلوا يعانون من الحرمان الكنسي في وادي الريان. أدت مصالحة البابا كيرلس الجذرية، وهي فعل من أفعال الاتضاع الشخصي، إلى انطلاق تلك الخبرة الرهبانية في دير القديس مقاريوس، ثم سمحت لها بالازدهار.[٤٥٦] لذلك، يصبح من الصعب للغاية فصل الإخلاء الكنسي للبابا كيرلس عن برنامجه، إذا جاز أن نتكلم عن برنامج عن الإصلاح. ينبع الإصلاح، مرارًا وتكرارًا، من إخلائه لذاته.

إذا أضفنا هذا إلى استخدام البابا كيرلس لهؤلاء الرهبان كـ "خميرة" في جميع الأديرة، بالإضافة إلى رؤيته في جمع عشرات من تلاميذه السابقين في دير السريان تحت قيادة الأسقف الأنبا ثاؤفيلوس، تم زرع البذور من أجل تحقيق تحول رهباني. أصبحت الأديرة مرة أخرى ساحات التدريب الحقيقية لرتبة الأسقفية. لكن الأهم من ذلك، أن الأديرة سيُعاد ربطها بالشعب كرمز للقداسة. كان من شأن هذا التحول الرهباني السريع أن ينسج خيوط النهضة والقداسة، خيوط حملت بصمة مار إسحق السرياني عبر نسيج الكنيسة في القرن العشرين. وهناك، كانت هذه "الخيوط الرهبانية" ستتلاقى مع حركة مدارس الأحد.

سعى الكثيرون إلى أن ينسبوا قصة الإصلاح إلى شخصيات مختلفة في القرنين؛ التاسع عشر والعشرين وفي الغالب أن ينسبوها إلى حبيب جرجس أو البابا كيرلس السادس. لكن لم يتمكن أي نموذج أو اقتراح تم تقديمه من تفسير التحول الرائع

للكنيسة الذي تم في خلال اثني عشر عامًا قصيرة. أقترح أن أفضل طريقة لتوضيح قصة الإصلاح هذه هي طرح سؤال واحد: ماذا لو كان لدى البابا كيرلس وتلاميذه المتميزين شبكة فريدة من التلمذة لديها القدرة على توسيع مجال تأثيرهم النسكي؟

أسس حبيب جرجس قبل نصف قرن حركة مدارس الأحد على مبدأين: تربية الصغار والتلمذة. كلاهما، كما أقترح، يفسِّر الانتشار السريع للإصلاح. كان الإصلاح في أبسط أشكاله يتم عن طريق تلمذة كل فصل تحت إشراف خادم في مدارس الأحد. وبالتالي، أصبح كل طفل وشاب وبالغ داخل الكنيسة بالفعل داخل الدائرة، وهذا أمر مهم يجب أن ندركه، ويتم تلمذته تحت إشراف خادم، أو معلم، أو محاضر، أو كاهن. وهذه "الحركة" كلها، متمثلة في أبرز شخصياتها، كانت تحت رعاية "أب اعتراف مدارس الأحد" نفسه، البابا كيرلس السادس. لقد أنشأت حركة مدارس الأحد شبكة تحفيزية لنشر تأثير البابا كيرلس النسكي الذي سينتشر في جميع أنحاء شبكة مدارس الأحد بأكملها (بما في ذلك المناطق الريفية التي لم تكن تصلها الخدمة، ولكنها أصبحت مهمة في عهد الأنبا صموئيل). تم نقل الإصلاح النسكي الشخصي الخاص بالبابا كيرلس، هذا الإصلاح الذي غيَّر تلاميذه، إلى شبكة التعليم والتلمذة التي صاغها حبيب جرجس مما سمح لمجال تأثير نسك البابا كيرلس أن ينتقل إلى ما هو أبعد من دائرة تلاميذه الداخلية. من خلال عمل الأنبا شنودة والأنبا غريغوريوس والأنبا صموئيل أصبح كل طفل وشاب وبالغ وعلماني وكاهن وبصورة لا يمكن تصديقها، تلميذًا للبابا كيرلس. قد نتحدث بعد ذلك عن طريقة إصلاح شخصية (وإن كانت غير عادية) رائعة وقادرة في الحال على الانتشار كالنار في الهشيم في خلال عقد من الزمن في قلوب مسيحي مصر.

لذلك، مما لا شك فيه، أن قصة الإصلاح هذه تم تنفيذها من خلال عدد لا يحصى من الرجال والنساء الآخرين (والمجهولين)؛ الكهنة والعلمانيين على حد سواء. اعتمدت هذه الدراسة على دراسة شخصية تلاميذ البابا كيرلس المقربين لتوضيح طريقة الإصلاح. لكن في مقابل كل هؤلاء، كان هناك أمهات وآباء وإخوة، وجميعهم،

بطريقتهم الخاصة، قاموا بخلق بيئة مقدسة داخل منازلهم، وخلقوا في هؤلاء التلاميذ قلوبًا متقبلة للإصلاح. نظرت هذه الدراسة إلى تلك الشخصيات الذين نشروا دعوة البابا كيرلس النسكية عبر شبكة مدارس الأحد. لكن في مقابل كل هؤلاء التلاميذ المشهورين، كان هناك عدد لا يحصى من العلمانيين غير المرئيين والمنسيين إلى حد كبير (ذكورًا وإناثًا) يتلقون هذا الإصلاح ويلقون هم شخصيًّا دروس مدارس الأحد الصغيرة الخاصة بهم مع كل طفل على حدة، وأسهموا في تغيير عقلية الجيل التالي. على الرغم من أن التاريخ ربما يكون قد نسيهم، إلا أن إرثهم لا يزال حيًّا ولا يمكن تجاهله.[٢٥٧]

العمل الذي بدأ في كنيسة مارمينا في مصر القديمة سينتهي بعد عقود قليلة إلى تحول كنيسة بأكملها. قلة هم الذين يمكن أن يشتبهوا في تأثير راهب متوحد صامت يعيش في المدينة في معظم الأحيان وحفنة من تلاميذه الذين يعملون بلا هوادة. في خلال سنوات، حل البابا كيرلس "المشكلة الإثيوبية" التي كانت ستؤدى إلى مزيد من الانقسامات الكنسية، وحقق السلام وأنهى صراعات المجلس والإكليروس في القرن الماضي، وقام بحل مشكلة الوقف المتأزمة التي مزقت حياة الكنيسة بشكل كان لا يمكن إصلاحه تقريبًا. انتقلت طريقة الإصلاح نفسه المبني على الإخلاء والنسك الشخصي إلى تلاميذه، ومن خلالهم قام بتلمذة الجيل القادم من الإكليروس والعلمانيين. على حد علمي، هذا العمل هو أحد أكثر الثورات الروحية قوة وانتشارًا وتحويلاً في تاريخ المسيحية منذ العصر الرسولي.

الحواشي

[١] أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".
[٢] المرجع السابق.
[3] Pandelis Kalaitzidis, "Challenges of Renewal and Reformation Facing the Orthodox Church," *The Ecumenical Review* 61, no. 2 (2009): 137.
وتجدر الإشارة، مع ذلك، إلى أن بانيليدس يناقش في المقام الأول "العقيدة" التطبيقية بدلاً من إصلاح "التشويه / الفساد". ومع ذلك، فهو لا يحافظ دائمًا على هذا التمييز في مناقشته، ورغم ذلك فإن العديد من تعليقاته لا تزال لها علاقة بالموضوع.

[4] Ibid., 151.

[5] Ibid., 137.

[6] Ibid., 145.
يعطي بانيليدس عدة أمثلة على "الإصلاح" داخل الأرثوذكسية الشرقية كدليل على أن الكنيسة ليس لديها مشكلة من حيث المبدأ مع فكرة الإصلاح.
[7] John Meyendorff, *Orthodoxy and Catholicity* (Lanham: Sheed and Ward, 1966), 133.
[8] Gerhart B. Ladner, *The Idea of Reform: Its Impact on Christian Thought and Action in the Age of the Fathers* (Eugene, OR: Wipf & Stock, 2004),
يلاحظ لادنر أن "فكرة الإصلاح هي اشتقاق مختلف من فكرة التجديد الأكثر عمومية". لقراءة ملخص للجوانب الأربعة المتشابكة لتصور لادنر للتجديد، انظر،

ibid., 9–34.

لمناقشة مصطلحي "التجديد" مقابل "الإصلاح"، انظر،
Christopher M. Bellitto, *Renewing Christianity: A History of Church Reform from Day One to Vatican II* (New York: Paulist Press, 2001), 6.
[9] Ladner, *The Idea of Reform*, 2.
[10] Ibid.
[١١] بالنسبة للجوانب الثلاثة للإصلاح في الفكر الآبائي الشرقي - أي العودة إلى الفردوس، واستعادة الصورة الشبه المفقودة، وحضور الملكوت السماوي على الأرض، انظر،

ibid., 63–132.

[12] Ibid., 91.

[13] Ibid., 91.

[14] Ibid., 92. Ladner is paraphrasing St Athanasius, *On the Incarnation*, Popular Patristics Series 3 (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1996), 41–43.
[15] Bellitto, *Renewing Christianity*, 23.
يلاحظ لادنر أيضًا الدور الذي تلعبه المعمودية والإفخارستيا في "إعادة الفهم"، حيث تقف الإفخارستيا في قلب الإصلاح بعد المعمودية. وغني عن القول إن الآثار المترتبة على حياة البابا كيرلس رائعة. انظر،
Ladner, *The Idea of Reform*, 319. For a profound discussion of Ladner's connection of the Eucharist to the idea of reform see Ann W. Astell, " 'Memoriam Fecit': The Eucharist, Memory, Reform, and Regeneration in Hildegard of Bingen's *Scivias* and Nicholas of Cusa's Sermons," in *Reassessing Reform: A Historical Investigation into Church Renewal*, ed. Christopher M. Bellitto and David Zachariah Flanagin (Washington, DC: The Catholic University of America Press, 2012), 191–213.

[16] تجدر الإشارة، على حد تعبير بوكن، إلى أن جميع المحاولات "لتحقيق إصلاحات مؤسسية أو ثقافية منذ المسيحية المبكرة تتعلق بطريقة أو بأخرى بالبحث الشخصي عن إصلاح الرابطة الأصلية بين الروح البشرية ومصدرها الإلهي". انظر،

Inigo Bocken, "Visions of Reform: Lay Piety as a Form of Thinking in Nicholas of Cusa," ibid., 215.

[17] Ladner, *The Idea of Reform*, 342.

[18] Ibid., 343. For what Ladner meant by "failed," see pp. 125–30.

[19] Bellitto, *Renewing Christianity*, 42.

[20] يمكننا أن نضيف إلى صوت لادنر صوت كونجار. من المثير للاهتمام، على الرغم من أن دراسة كونجار الضخمة للإصلاح كانت استكشافًا لاهوتيًّا، فإنها غالبًا ما تنظر إلى أبعد من "الإصلاح" إلى "المصلح". الأكثر إثارة للاهتمام هو استنتاج كونجار. يذكر كونجار المثال الرائع في حالة لامينيه ولاكوردير. كان كلاهما من رجال الكهنوت الفرنسيين في أوائل القرن التاسع عشر. كان لامينيه مصلحًا نافذ الصبر، وفي النهاية ترك الكهنوت وتوفي منشقًا عن الكنيسة، في حين ظل تلميذه؛ لاكوردير، مصلحًا داخل الكنيسة. يوضح كونجار بالتفصيل الطريقة اللاهوتية للإصلاح، لكن استنتاجه، في نهاية المطاف، هو أن الإصلاح يظهر بقوة ووضوح في الحياة الشخصية للاكوردير. بالنظر إلى أن كونجار نفسه سار على طريق مماثل في سعيه للإصلاح، أود أن أقترح أن لاكوردير (أو على الأقل ما يمثله) كان جوهر لاهوت كونجار للإصلاح.

See Yves Congar, *True and False Reform in the Church* (Collegeville, MN: Liturgical Press, 2011), 331–35. Also see Yves Congar, "Attitudes Towards Reform in the Church," *CrossCurrents* 1, no. 4 (1951): 98.

قد نلاحظ بالمصادفة أن لاكوردير والبابا كيرلس كان بينهما الكثير من القواسم المشتركة. قد نسأل حتى: إذا كان الإصلاح هو التحول إلى صورة الله (الذي هو المسيح نفسه)، فربما يكون هذا هو السبب في أن البابا كيرلس ولاكوردير - بالإضافة إلى بعض الأرواح الثمينة الأخرى عبر القرون - تبدو جميعها متشابهة جدًّا، وباختصار "تمسحنت"؟ هل هذا هو السبب في أن "القديس" في أعمال بيتر براون الأساسية يتحول حتمًا إلى صورة "المسيح النموذج"؟

[21] Ladner, *The Idea of Reform*, 82.

[22] الراهب باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٢ أكتوبر، ١٩٦٢"، في منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس. ٣ مجلدات. ليس من الواضح إلى أي درجة اقترح البابا كيرلس الفكرة وبناها وهيب. أوضح وهيب أيضًا في الرسالة نفسها: "لقد رأيت دائمًا أن الكلية اللاهوتية ومدارس الأحد يجب أن يكون لهما أسقف، وكانت هذه أمنيتي للكلية اللاهوتية منذ حوالي عشرين عامًا، وقد كتبتها في مذكراتي الخاصة على الأرجح عندما كنت طالبًا في كلية اللاهوت".

[23] كتب ريس هذا في حاشية صغيرة يستشهد بها من الوثيقة التي بحوزة الأنبا غريغوريوس.

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 221, n. 79.

ومن المثير للاهتمام أن وهيب يورد تفاصيل هذه "الوثيقة المكتوبة بخط اليد" في إحدى رسائله. انظر أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٢ أكتوبر، ١٩٦٢". انظر أيضًا،

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 147–48.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الأساقفة دون أبروشيات (الأساقفة الفخريون) ظهر إلى حد ما - ولكن ليس بالصفة الوظيفية نفسها - على سبيل المثال، في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الأخرى.

[24] الأنبا غريغوريوس، "البابا كيرلس السادس"، الوطني، ١٨ مارس ١٩٩٠. كما سجل أنه قال: "أحب البابا أن يتنازل عن عظات لإخوانه الأساقفة وأبنائه الكهنة، ومنحهم فرصة للخدمة معه كشركاء في الخدمة الرسولية، وإعلان منه أنه هو لهم أبًا وراعيًا، وبصفته الرأس، لا يمكنه الاستغناء عنهم وعن خدماتهم وجهودهم معه لبناء الكنيسة المقدسة". مقتبس في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ١٧.

٢٥ أبونا يوسف أسعد، ذكرى نياحة البابا كيرلس السادس، مارس١٩٨٤، تم الاستشهاد به في أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ١٧.

٢٦ منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ١٧٧.

٢٧ بشكل عام، يرتدي الشمامسة في الكنيسة القبطية ملابس الشموسية فقط من أجل الخدمات الرسمية أو الصلوات الليتورجية.

٢٨ أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٦ سبتمبر ١٩٦٢".

٢٩ انظر وصف الأنبا غريغوريوس في أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٥ أكتوبر ١٩٦٢".

٣٠ أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٦ سبتمبر ١٩٦٢".

٣١ أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٢ سبتمبر ١٩٦٢"؛ المصدر السابق.

٣٢ يقدم أبونا أنطونيوس إشارة موجزة وغامضة لهذه الشائعات في الرسالة نفسها. ويشرحها أيضًا بعد أيام قليلة في شرحه لسبب كتابته لتلك الرسالة: "فجأة، سمعت عن رهبنة رئيس الشمامسة وهيب عطا الله. انتشر حديث كثير حول هذا الموضوع. كان بعض من هذه الأحاديث يقول إنه كان مجرد حل لمشكلة [الزي]. أو أنه دُفع إليه من قبل البابا؛ أو أنه سيعود بعد أسبوع ليعمل كالمعتاد في الكلية اللاهوتية... حبي لك دفعني للدفاع عنك، فقلت إنه من المستحيل أن يُدفع الدكتور وهيب عطا الله أو يضطر للانضمام إلى الرهبنة... إنه ليس مجرد تغيير في [الزي]، ولكنه تغيير في الحياة. شعرت أن الناس سوف يسيئون فهم رهبنتك... خلال هذه الظروف، قمت بإرسال رسالتي الأولى إليك، محذرًا أو متحدًا بدافع الحب من عدم العودة إلى الكلية اللاهوتية بسرعة، والاهتمام بسمعتك... كشخص يحبك، والذي سيتألم بشدة عند سماعه عن معلمه، معلم الجيل بأكمله أنه تم دفعه إلى الرهبنة، أو أن رهبنته كانت مجرد وضع رسمي". انظر أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢".

٣٣ أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى وهيب عطا الله، ١٥ سبتمبر ١٩٥٦"؛ منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، مجلد رقم ١.

٣٤ "همسة حب: مقابلة مع البابا شنودة الثالث"، تسجيل فيديو (CTV، غير مؤرخ).

٣٥ أبونا أنطونيوس يونان، "عن البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (القاهرة، غير معروف).

٣٦ "همسة حب: مقابلة مع البابا شنودة الثالث"، تسجيل فيديو (CTV، غير مؤرخ).

٣٧ المرجع السابق.

٣٨ المرجع السابق.

٣٩ كمال، مقابلة مع البابا شنودة الثالث، الجزء الثاني.

٤٠ قال البابا شنودة الشيء نفسه في مقابلة: "رسامتي كانت غير متوقعة، عندما رُسِمت أسقفًا، لم تكن هناك أبروشية دون أسقف". انظر: فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ١٣٣.

٤١ كان هذا تهديدًا صارمًا جدًّا. انظر أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢".

٤٢ مجهول، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢"؛ منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، صـ ٢٠٧. تنتهي الرسالة: "لا تحاول أن تعرف من أنا، لأنك ستعرفني لاحقًا من خلال هذا التوقيع، الأخ والصديق والحبيب". تم نشر الرسالة بواسطة الأنبا غريغوريوس، لكنه لم يكشف عما إذا كان قد اكتشف لاحقًا هوية المؤلف.

43 Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 233.

٤٤ أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢".

٤٥ أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢".

٤٦ المرجع السابق.

47 Meinardus, *Two Thousand Years*, 5.

٤٨ أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٢ أكتوبر، ١٩٦٢".

٤٩ أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٥ أكتوبر، ١٩٦٢". كان، مثل الأنبا شنودة، ملتزمًا بصورة لا يمكن إنكارها بالرهبنة. في محاضرة ألقاها في عام ١٩٨٨، قال كلمات كانت انعكاسًا لشخصيته: "ذبيحة المحرقة [للراهب] مميزة. إنها ذبيحة تحترق بالكامل على مذبح الله. ولا نصيب فيها لأحد، لا الفقير ولا الكاهن ولا الذي قدمها. الذبيحة بأكملها لله". انظر،

Gruber, "Sacrifice in the Desert," xiv.

٥٠ أبونا أنطونيوس يونان، "عن البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (القاهرة، غير معروف).

[51] Wakin, *A Lonely Minority*, 123.

يلاحظ واكين، بالمناسبة، أن هناك ثلاثة رهبان أحدثوا "تأثيرًا خاصًا" في وقت كتابته عام ١٩٦٠: أبونا مكاري (الأنبا صموئيل)، أبونا أنطونيوس (البابا شنودة الثالث)، وأبونا متى المسكين. من المثير للدهشة أن هؤلاء الرهبان كانوا إلى حد ما مقدرًا لهم أن يكونوا مصلحين. يظهر وهيب عطا الله، بصورة غير مفاجئة ومختصرة في دراسة واكين لأنه كان لا يزال راهبًا.

٥٢ أبونا أنطونيوس يونان، "عن البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (القاهرة، غير معروف).

٥٣ على الرغم من أن الأنبا شنودة والأنبا صموئيل اتخذا مناهج مختلفة في لاهوتهما وخدمتهما، إلا أن أوجه التشابه في السيرة الذاتية بينهما رائعة. فقد كلاهما والديهما في سن مبكرة، وكلاهما كانا من حركة مدارس الأحد، وكلاهما كان من تلاميذ أبونا مينا، وكلاهما كان من رهبان حركة مدارس الأحد في دير السريان. تمت رسامتهما في اليوم نفسه أساقفة عموميين، وتم ترشيحهما سابقًا للبطريركية عام ١٩٥٦ وعام ١٩٧١؛ ويمكنني أن أضيف أنهما كانا يجسدان الإنجيل بصورة لا هوادة فيها. انظر على سبيل المثال،

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 225–26.

٥٤ مجهول، الأنبا صموئيل: صفحات من حياته وخدمته وفكره (القاهرة: أنطون يعقوب ميخائيل، ١٩٨١)، صـ ١٤. بدأ الأنبا صموئيل مع حركة مدارس الأحد لأول مرة في كنيسة مارمرقس بالجيزة في عام ١٩٣٧ بعد أن انتقلت عائلته هناك نظرًا لظروف دراسته، لكن والده توفي في أوائل عام ١٩٣٨. مجهول، حياة الأنبا صموئيل المبكرة (الجيزة: أصدقاء الأنبا صموئيل، ١٩٩١)، صـ ١١، ٣٢. هناك سيصبح ظريف عبد الله (أبونا بولس بولس) أول مرشد روحي له، على الرغم من كونه شخصًا علمانيًا، ويكبره بثلاث سنوات فقط. لقراءة مجموعة من مراسلاتهما الروحية، انظر المرجع السابق. صـ ١٢-٢٣.

٥٥ مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ١٤.

[56] Suryal, "On the 'Takrees' Movement: Part 1"; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 103.

مجهول، حياة الأنبا صموئيل المبكرة، صـ ٤٠-٤٤. لقد كان مسعى صعبًا، لكنه كان سيجهزه للصعوبات والعقبات التي قد تواجهها حركة مدارس الأحد في الجيزة من الرئاسة المعادية إلى حد ما. في النهاية، على الرغم من أنه واجه صعوبة في ذلك، فقد تعلم أن يقول "عندما يتم إغلاق أحد أبواب الخدمة، يريد ربنا أن نجد بابًا آخر.." المرجع السابق. صـ ٤٤.

٥٧ مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ١٧.

٥٨ مجهول، حياة الأنبا صموئيل المبكرة، صـ ٤٦-٦١؛ مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ١٨-٢٠.

٥٩ تشير كتاباته في مذكراته اليومية إلى أنه سعى إلى الرهبنة منذ عام ١٩٤٤ على الأقل. ولأسباب مختلفة، تم إعاقته حتى قام أبونا مينا (البابا كيرلس) برسامته. انظر، مجهول، الحياة المبكرة للأنبا صموئيل، صـ ٦٢-٦٩

٦٠ مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٢٤.

[61] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 229.

[62] Al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:420; Anonymous, *Life, Service, and Thought*, 24–25. The thesis was "The Religious Education in the Coptic Church."

٦٣ مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٢٨.

[٦٤] يقترح ريس وميناردس أنها بدأت في عام ١٩٥٧، في حين أن جميع المصادر العربية المبكرة - بما في ذلك أقدم السير الذاتية للأنبا صموئيل - وضعتها في عام ١٩٥٩. انظر،

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 226–27; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 46. See also Maurice M. Assad, "The Coptic Church and Social Change," *International Review of Mission* 61, no. 242 (1972): 127.

مجهول، حياة الأنبا صموئيل المبكرة، صـ ٣٠-٣١.

[65] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 226–27.

[66] Ibid., 227–28.

مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٣١.

[67] Hasan, *Christians versus Muslims*, 96.

تعليقات حسن هنا بشأن الأنبا صموئيل هي، على الأقل، مثيرة، وفي أسوأ الأحوال ملفقة - وعلى هذا النحو فهي تظل هنا مصدرًا ثانويًا للغاية.

[68] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 227–28.

[٦٩] مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٣٠-٣١.

[٧٠] أسعد، "الكنيسة القبطية والتغيير الاجتماعي"، صـ ١٢٧.

[٧١] ومن المثير للاهتمام، كما يلاحظ ميناردس، أن الغرض من المشروع كان "تعزيز الهوية القبطية في جميع أنحاء مصر، وخاصة في تلك المناطق التي يشكل فيها الأقباط أقلية مميزة".

Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 45.

[٧٢] مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٣٠-٣١؛ أسعد، "الكنيسة القبطية والتغيير الاجتماعي"، صـ ١٢٨.

[73] Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 46.

كان ٨٤ منهم يعملون في "الدياكونية الريفية"، ٦٠ في المائة منهم من خريجي الكلية الإكليريكية في القاهرة.

[٧٤] ومن اللافت للنظر، كتب واكين في عام ١٩٦١، في حين كان سكرتير البطريركية، قبل أن يتم رسامته أسقفًا، "كان أبونا مكاري منخرطًا بشكل وثيق في صنع السياسة للبطريرك، وأي دمج لوجهات نظر الرجلين يعزز صحة الردود".

Wakin, *A Lonely Minority*, 116.

[75] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 141; Tadros, *Motherland Lost*, 197–98.

[٧٦] لمناقشة أكثر تفصيلاً عن أبروشيات المهجر هذه، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٤٢-٥١؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٨٦-٩١.

[77] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 141. Also see, Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 231–32.

[78] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 141.

لمعرفة إلى أي مدى كان يستطيع المساعدة، كما يدعي هيكل أنه عند وفاته، تم العثور على مبلغ ١١ مليون جنيه إسترليني في حسابه المصرفي السويسري - على الرغم من أنه كان مكتوبًا في وصيته أن هذا ليس لاستخدام الأسرة وكان فقط لاستخدام الكنيسة، انظر،

Heikal, *Autumn of Fury*, 167.

[٧٩] لمناقشة عمله المسكوني، انظر مجهول، الحياة والخدمة والفكر، صـ ٤٦-٥٢؛

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 139–40, 48.

[80] "Obituary of Bishop Samuel," *Times of London*, October 12, 1981.

[٨١] لرؤية كتالوج أساقفة "مدارس الأحد"، انظر نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٨٣.

[٨٢] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢:١٨٢. لم يكن الأنبا باسيليوس أيضًا راغبًا في قبول الرسامة: "أصر [البابا كيرلس] على إثقال كاهلي بهذه المسؤولية، على الرغم من مناشدته بالدموع لإعفائي".

[٨٣] لقراءة سيرة مختصرة انظر المرجع السابق، صـ ١٩٥-١٩٦؛

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 149.

[84] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 222.

[85] Van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 231.

[86] Ibid.; van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, 37–38, 62.

[87] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 223.

[88] Tadros, *Motherland Lost*, 175.

[89] Watson, "Abba Kyrillos," 43.

[90] Tadros, *Motherland Lost*, 178.

[91] Hasan, *Christians versus Muslims*, 86.

[٩٢] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٢٠٤؛

Tadros, *Motherland Lost*, 177.

[93] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 232–33.

[94] Watson, *Among the Copts*, 99; Tadros, *Motherland Lost*, 177.

[95] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 233.

[96] Watson, *Among the Copts*, 99. His 538-page dissertation was titled: "The Etymology of Greek words in the Coptic Language"; Hasan, *Christians versus Muslims*, 205.

[97] Watson, "Abba Kyrillos," 36.

[98] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 149.

[٩٩] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٢٠٤.

[100] Watson, "Abba Kyrillos," 44.

[101] Wakin, *A Lonely Minority*, 131.

[١٠٢] منير عطية شحاتة، التربية الدينية والكلية الإكليريكية ومدارس الأحد الكنسية (القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥)، ٢٥٦-٢٧٥. يلاحظ الأنبا غريغوريوس أنه بحلول ٣١ يناير ١٩٦١، عندما ألقى هذا الخطاب عند افتتاح الكلية الإكليريكية الجديدة، كان جميع الكهنة الأحد عشر الذين تم تعيينهم حديثًا في القاهرة والإسكندرية من خريجي الكليات الإكليريكية - بمن فيهم أبونا ميخائيل داود وأبونا بيشوي كامل. انظر أيضًا مذكرات الأنبا غريغوريوس (أبونا باخوم آنذاك) في ٢٩ يناير ١٩٦٥، والتي تشير إلى مناقشته مع البابا كيرلس السادس فيما يتعلق بهذه الرسامات. منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٣٥٨ -٣٥٩.

[١٠٣] الراهب باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ١٨ مارس ١٩٦٧"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٣٨٣ - ٣٨٤. في نهاية المطاف، سيتم رسامة زكريا باسم أبونا تيموثاوس محروس.

[١٠٤] الأنبا شنودة، "رسالة إلى الراهب باخوم المحرقي، ٢٢ مارس ١٩٦٧"، المرجع السابق. من غير الواضح متى حدث هذا الإيقاف الأول، ولكن يمكن اقتراحه في الفترة من ١٩٦٥-١٩٦٦.

[١٠٥] المرجع السابق.

[١٠٦] المرجع السابق.

[١٠٧] الراهب باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٢٦ مارس ١٩٦٧"، المرجع السابق.

[١٠٨] المرجع السابق.

[١٠٩] على الرغم من أن الأنبا شنودة لم يقم بالرسامة بالفعل، إلا أنه حضر ووافق على الترشيح. وتوضح الرسالة نفسها أن أسقف قنا طلب في الواقع رأي الأنبا شنودة الذي قدم توصيته الصادقة.

[١١٠] الراهب باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ٢٦ مارس ١٩٦٧".

[١١١] منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٠١ -٤٠٢.

[١١٢] المرجع السابق، ٤٠٣.

[١١٣] المرجع السابق، ٣٥٨، انظر أيضًا رسالته السابقة: الراهب باخوم المحرقي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٦ مايو ١٩٦٤"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٣١٨ - ٣١٩. وهرب أبونا باخوم من محاولة رسامته في وقت سابق أسقفًا على ديروط. اختبأ من ١٧ مايو ١٩٦٤ حتى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤.

[١١٤] منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٠٤ - ٤٠٥. تقول إيريس حبيب المصري إن البابا كيرلس فاجأ المصلين، لكن في الحقيقة كان أبونا باخوم (الأنبا غريغوريوس) هو الذي فوجئ. انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٥٢. يلاحظ غريغوريوس في روايته أن جميع الحاضرين بدا أنهم يعرفون ما عداه هو. قبل ثلاثة أشهر، على سبيل المثال، كتبت هيئة التدريس في المعهد إلى البابا كيرلس تطلب تعيين الراهب باخوم أسقفًا "مخصصًا" لـ "معهد الدراسات القبطية" نظرًا لأن الأنبا شنودة كان مشتتًا "بأمور أخرى". انظر، أعضاء هيئة التدريس في معهد الدراسات القبطية، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٠ فبراير ١٩٦٧"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٣٩٨ - ٣٩٩.

[١١٥] منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٠٨؛

Tadros, *Motherland Lost*, 127.

بصفته أسقفًا في منطقة وظيفية وليس أبروشية بالمعنى الدقيق للكلمة، كان مجال تداخل السلطة والواجبات والذات حاضرًا دائمًا، نظرًا للحدود غير الواضحة للسلطة.

[١١٦] منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٠٨ - ٤٠٩.

[١١٧] منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٠٩.

[١١٨] انظر أيضًا المرسوم المذكور في، البابا كيرلس السادس، "رسامة أسقف التعليم العالي والبحث العلمي"، الكرازة (يونيو ١٩٦٧).

[١١٩] البابا شنودة "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ١٢ مايو ١٩٦٧". رُسم أسقفًا للكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية والمعاهد الدينية والجمعيات الخيرية ومدارس الأحد في جميع أنحاء الجمهورية.

[١٢٠] كرر الأنبا شنودة ذلك في رسائله خلال الأيام القليلة القادمة. انظر الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ١٤ أيار ١٩٦٧"؛ الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ١٥ مايو ١٩٦٧".

[١٢١] أسباب عدم الحضور في، الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ١٤ مايو ١٩٦٧".

[١٢٢] خطاب الأنبا شنودة في ١٨ مايو ١٩٦٧، مذكور في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ٤٢٤ - ٤٢٦.

[١٢٣] على الرغم من أن علاقتهما سوف تلتئم في هذه اللحظة، إلا أن علاقتهما اللاحقة بعد نياحة البابا كيرلس ستتعرض للاختبار عدة مرات. نظرًا لأن هذا الصراع قد يرجع تاريخه إلى ما بعد حياة البابا كيرلس، فهو خارج نطاق دراستنا.

[١٢٤] كان هؤلاء هم الأساقفة الثلاثة الوحيدون الذين أُجبروا على الرسامة بهذه الطريقة - رغم أن آخرين احتاجوا إلى قدر كبير من الإقناع. هرب أبونا متياس، وهو سكرتير آخر من سكرتارية البابا كيرلس، من الرسامة في عام ١٩٦٩، وهو يعرف جيدًا أساليب البابا كيرلس. ولكنه رُسم على يد البابا شنودة الثالث عام ١٩٧٧.

[125] For a brief biography, see Meinardus, *Two Thousand Years*, 79–80; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 157–58; Matthias Gillé, *Der Koptische Papst Schenuda III: Beobachtungen zu Theologie und Biografie* (Marburg: Tectum Verlag, 2017), 39–49.

[١٢٦] كمال، مقابلة مع البابا شنودة الثالث، الجزء الأول.

[127] Gillé, *Der Koptische Papst Schenuda*, 39; Watson, *Among the Copts*, 64.

[128] Meinardus, *Two Thousand Years*, 3; Gillé, *Der koptische Papst Schenuda*, 42–43.

[129] O'Mahony, "Coptic Christianity," 507.

[١٣٠] البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى العاشرة لنياحة البابا كيرلس السادس".

[131] Meinardus, *Two Thousand Years*, 4.

[١٣٢] يبدو أن ريس يشير إلى أن أبونا أنطونيوس أثر على المجموعة بأكملها لتتبع أبونا متى،

Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 188–89.

[١٣٣] أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى وهيب عطا الله، ١٥ سبتمبر ١٩٥٦".

[134] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 188.

[١٣٥] أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى وهيب عطا الله، يونيو ١٩٦٠"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ١٦٣ - ١٦٤، و"رسالة إلى وهيب عطا الله، ١٣ يوليو ١٩٦٠"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ١: ١٦٤ - ١٦٥.

[١٣٦] أبونا أنطونيوس السرياني، "رسالة إلى وهيب عطا الله، يونيو ١٩٦٠" و"رسالة إلى وهيب عطا الله، ١٣ يوليو ١٩٦٠"، تم الاستشهاد به للتو. في هذه الرسائل حذر أبونا أنطونيوس وهيب من تحرير أي من كتابات أبونا متى، بالنظر إلى أنها كانت، بالنسبة له على الأقل، مشبوهة إلى حد ما.

[137] Pope Shenouda III, *The Release of the Spirit*, trans. Wedad Abbas (Cairo: COEPA, 1997). Also see Maged S. A. Mikhail, "Matta al-Maskin," in *The Orthodox Christian World*, ed. Augustine Casiday (Abingdon, UK: Routledge, 2012), 362.

وتجدر الإشارة إلى أن الأنبا شنودة (نظير جيد) اقترب أولاً من أبونا متى في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي حتى قبل رسامته - وهو ما يفسر كتابة نظير "التمهيد" الأصلي للكتاب في طبعته الأولى.

[138] For a brief discussion see Mikhail, "Matta al-Maskin," 363; Cornelis Hulsman, "Reviving an Ancient Faith," *Christianity Today* 45, no. 15 (2001): 38; Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 168.

تعليقات ميخائيل المتوازنة مميزة: "بحلول الوقت الذي تم فيه ترشيح كليهما للبطريركية في عام ١٩٧١... كانت العلاقات متوترة بالفعل. كانت نزاعاتهما غير مباشرة أو بالوكالة دائمًا سرًّا مكشوفًا بشكل عام، ولم يدافع أبونا متى عن نفسه أبدًا، وامتنع البطريرك [البابا شنودة الثالث] عن تحديد رئيس الدير بالاسم في انتقاداته... لا شك في أن أحد مكونات نزاعاتهم الشخصية لن يدركه المتابعون من خارج؛

Mikhail, "Matta al-Maskin," 362–63.

[١٣٩] رُسم أبونا أنطونيوس كاهنًا في ٣١ أغسطس ١٩٥٨.

[١٤٠] كمال، مقابلة مع البابا شنودة الثالث، الجزء الثاني.

[141] Wakin, *A Lonely Minority*, 124.

[142] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 158.

[143] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 224.

[144] Watson, *Among the Copts*, 66.

[145] Watson, "Abba Kyrillos," 40; Pennington, "The Copts in Modern Egypt," 167–68.

[146] Heikal, *Autumn of Fury*, 168.

[147] Sedra, "Class Cleavages and Ethnic Conflict," 225.

[١٤٨] تعليقات هيكل هنا مضللة: "بدأت وتيرة التطورات تثير قلق [البابا كيرلس]. لقد شعر أن مدارس الأحد والكليات الإكليريكية أصبحت ذات توجه سياسي بشكل متزايد، لذلك طلب من البابا شنودة أن يوقف دروس يوم الجمعة وأن يعود إلى الدير في وادي النطرون".

Heikal, *Autumn of Fury*, 168. Similarly, see Sedra, "Class Cleavages and Ethnic Conflict," 225; Vatikiotis, *The History of Egypt*, 418. Ibrahim and McCallum both follow Hasan in making this same claim; see Ibrahim, *The Copts of Egypt*, 176; Fiona McCallum, "The Political Role of the Patriarch in the Contemporary Middle East" (St Andrews, Scotland: University of St Andrews, 2006), 138; Hasan, *Christians versus Muslims*, 87–88.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجب توخي الحذر عند دراسة حسن. كما لوحظ سابقًا، فإن العمل مثير إلى حد ما. على سبيل المثال، تعليقاتها: "بدأ البابا كيرلس السادس، الذي رحب في البداية بهذين الراهبين الإصلاحيين [الأنبا

شنودة والأنبا صموئيل] في إدارته، يتعب منهم". أو، مرة أخرى، "كان البابا يتعرض لضغوط من نظام عبد الناصر الاستبدادي لكبح جماح أسقفه الصريح الآن". الموقف مألوف للغاية. من الحكمة أن تحذر الأجيال القادمة من العلماء من العديد من ادعاءاتها. للحصول على مراجعات عادلة لدراستها،

see Paul Sedra, "Review of *Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality*," *Middle East Journal* 58, no. 3 (2004); Ralph M. Coury, "Review of *Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality*," *The American Historical Review* 110, no. 2 (2005).

[149] Watson, "Abba Kyrillos," 40.

[١٥٠] أظن أن محاضرات الأنبا شنودة اللاحقة في سياق تصاعد التطرف الإسلامي وأفعال السادات في أواخر السبعينيات قد تم ربطها في أذهان الكثيرين بمحاضراته في منتصف الستينيات.

[١٥١] الأنبا شنودة، افتتاحية، الكرازة (أغسطس ١٩٦٥): ٢.

[١٥٢] المرجع السابق.

[١٥٣] سيُرَسَّم المرشح في النهاية. اكتشف الأنبا شنودة لاحقًا بصفته بطريركًا أن المبدأ لم يكن دائمًا ممكنًا أو عمليًا أو مفيدًا؛ ربما يكون نموذجًا مثاليًا، لكنه كان مستحيلاً في ظروف معينة.

[١٥٤] كان المرشح هو الأنبا مكاريوس أسقف قنا (١٩٢٣-١٩٩١). ويشير كاتب سيرته إلى أنها لم تكن في الواقع رسامة بسيطة: "بعد أن تنيح المطران الراحل الأنبا كيرلس مطران قنا، أجرى قداسة البابا كيرلس السادس قرعة على المذبح، حيث كتب أسماء أبونا إقلاديوس الأنطوني، وأبونا أنطونيوس البرموسي، وقطعة ورق فارغة أخرى. بعد القداس الإلهي، دعا قداسته أحد الشمامسة لسحب ورقة من القطع الثلاث من الورق بحضور كل المصلين. اختار الشماس الورقة البيضاء، مما يعني أن الله أراد شخصًا آخر لهذه الأبروشية. لذلك، اختار البابا كيرلس أبونا بولس البرموسي لهذه المهمة". انظر الأنبا شاروبيم، الخادم المبارك: حياة ومعجزات الأنبا مكاريوس أسقف قنا (قنا: أبروشية قنا القبطية، التاريخ غير معروف) صـ ١١.

[١٥٥] كمال، مقابلة مع البابا شنودة الثالث، الجزء الثاني. انظر أيضا مقابلة فوزي مع الأنبا شنودة: "كنت أتبع قواعد الكنيسة، وهذا حق الناس في اختيار راعيهم. اعتبر البابا كيرلس هذا ضمن سلطته لأنه كان يعرف الرهبان بعمق... هذا ما نفعله الآن.." فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ١٤٣. من المهم أن نلاحظ أن البابا شنودة في بعض الأحيان كان يرسم أساقفة بهذه الطريقة - كما هو الحال دائمًا، فإن المبدأ (كما سيكتشف لاحقًا) يتطلب التدبير. ويذكر أيضًا في المقابلة السابقة أن النقطة الحاسمة الثانية في الخلاف، والتي كتب عنها علنًا، كانت تلك المتعلقة بـ "ورث الأسقفيات"، والتي كان يعتقد أنها يجب أن تكون للأبروشية فقط.

[١٥٦] أبونا باخوم المحرقي، "رسالة إلى الأنبا شنودة، ١٨ مارس ١٩٦٧". يجب أن نلاحظ أيضًا أن البابا كيرلس كان في الغالب - أكثر من أي بطريرك قبله أو بعده - قد عين مرشحين من الكلية الإكليريكية؛ انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ١٠٠.

[١٥٧] يقول الأنبا باخوميوس أن الأنبا صموئيل تم تكليفه بالتعليم اللاهوتي على وجه التحديد في "التبشير" لعدد من المجموعات الإثيوبية.

Bishop Pachomious, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI," audio recording, ed. Daniel Fanous (2016).

[١٥٨] الخطاب بأكمله مُعاد نشره في، الأنبا شنودة، "كلمة مفتوحة عن الكلية اللاهوتية والمعاهد الدينية"، الكرازة (أكتوبر ١٩٦٧): ٤.

[١٥٩] المرجع السابق.

[١٦٠] الرسائل مذكورة في العمل نفسه، ٧: ١٠. كان المعهد العالي للدراسات القبطية مهتمًا بشكل أساسي بالتراث والثقافة القبطية، وبالتالي كان له دور حيوي في الترجمة، والدراسات الأثرية، والمتاحف، وترميم الأديرة، وتسجيل الصلوات القديمة والترانيم، وإحياء الأيقونات والفنون والعمارة القبطية. انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ١: ٤١٤-٤٤٢.

[161] ذكر الأنبا شنودة في عدد أكتوبر من صحيفة الكرازة أنه كان على علم بالأزمة المالية، لكنه اختلف في نطاقها. انظر الأنبا شنودة، "كلمة مفتوحة"، ٦. كما رأينا في الفصول السابقة، كان الأمر أشد بكثير مما يقر به. ويقترح الأنبا شنودة أنه مثلما حافظت الحكومة المصرية على التزامها بالجامعات على الرغم من حرب الأيام الستة، يجب على الكنيسة أيضًا إعطاء الأولوية للمؤسسات اللاهوتية.

[162] انظر المناقشة السابقة، الفصل ٨: "المجلس الملي و'لعنة المومياء': ١٩٦٤-١٩٦٧".

[163] "همسة حب: مقابلة مع البابا شنودة الثالث"، تسجيل فيديو (CTV، غير مؤرخ).

[164] المرجع السابق.

[165] المرجع السابق. وهذا على الأرجح ما قصده الأنبا شنودة عندما كتب في صحيفة "الكرازة": "القصة بدأت منذ فترة طويلة، أشعر بالخجل من ذكر تفاصيلها". الأنبا شنودة "كلمة مفتوحة"، ٢. يتذكر أسقف طلب عدم الكشف عن هويته أنه كانت هناك شائعات كاذبة في ذلك الوقت أن الأنبا شنودة يحاول الإطاحة بالبابا كيرلس؛ أسقف مجهول، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس".

[166] "همسة حب: مقابلة مع البابا شنودة الثالث"، تسجيل فيديو (CTV، غير مؤرخ).

[167] الأنبا شنودة، "كلمة مفتوحة عن الكلية اللاهوتية والمعاهد الدينية"، الكرازة (أكتوبر ١٩٦٧) ٢، ٥.

[168] المرجع السابق.

[169] المرجع السابق.

[170] مجهول، "صانع المعجزات للأقباط". رسالة لاحقة تتحدث عن قلق الأنبا شنودة على طلابه. الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ٨ أكتوبر ١٩٦٧"، في، منير عطية شحاتة. سيرة الأنبا غريغوريوس، ٢: ١٦ - ١٧.

[171] يقول أسقف مجهول إن هذا بالتحديد هو الذي تسبب في التعليق. أسقف مجهول، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس". راجع أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس". يذكر كل من سيدرا وهيكل أن الثورة والغضب "أجبرا البابا على التراجع عن القرار" - في الحقيقة كان العكس. تسببت الثورة في اتخاذ قرار الإيقاف - الذي سيستغرق حوالي ثمانية أشهر حتى يتم حله من قبل البابا كيرلس.

[172] قام الأنبا شنودة بنسخ البرقية في رسالته. الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ٨ أكتوبر، ١٩٦٧".

[173] قام الأنبا شنودة بنسخ البرقية في رسالته. الأنبا شنودة، "رسالة إلى الأنبا غريغوريوس، ٢٣ أكتوبر، ١٩٦٧".

[174] الأنبا شنودة، "رسالة إلى سليمان نسيم، ١٥ نوفمبر ١٩٦٧" (صحراء الأسقيط، ١٩٦٧). يذكر الأنبا شنودة في تلك الرسالة سبب توقعه لذلك، أي أنه "دافع عن حق الشعب في اختيار راعيهم".

[175] "همسة حب: مقابلة مع البابا شنودة الثالث"، تسجيل فيديو (CTV، غير مؤرخ). انظر أيضًا، حنا يوسف عطا، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٧ يونيو ١٩٦٨"، في، مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة رقم ٤٠٧، (الإسكندرية: ١٩٦٨). كتب حنا لأخيه البابا كيرلس السادس قبل أسبوع من افتتاح الكاتدرائية يطلب فيه أن يغفر للأنبا شنودة. وبحسب المقربين من الأنبا شنودة، فقد وصل في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، وبالتالي لم يكن حاضرًا في أثناء التكريس.

[176] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ١٤٤. عندما سُئل لاحقًا في تلك المقابلة، "لكن البابا كان غاضبًا منك في ذلك اليوم؟" فقال الأنبا شنودة: "الناس يصرون على آرائهم. ثم، إذا كان هناك خطأ، فإنهم يصلحون الأمر بالمصالحة والانفتاح، [و] الأمر ينتهي بالشعور السابق؛ إنها مجرد عواطف مؤقتة وتنتهي".

[177] كمال، مقابلة مع البابا شنودة الثالث، الجزء الثاني. انظر أيضًا، فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، ١٤٤، ٤٩-٥٠.

[178] أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس"؛

Yostos, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI".

أسقف مجهول، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس"؛ الأنبا باخوميوس، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس". الأنبا شنودة نفسه يذكر أنه مع ذلك، تم وضع بعض القيود على وعظه في المستقبل - ربما لمنع تكرار ذلك. راجع "همسة حب".

[179] For other biographical details, see John H. Watson, "Abouna Matta el-Meskeen: Contemporary Desert Mystic," *Coptic Church Review* 27, nos. 3 and 4 (2006); Mikhail, "Matta al-Maskin."

[١٨٠] مينا الصموئيلي [الأصغر]، "رسالة إلى القمص مينا المتوحد، ١٠ أغسطس، ١٩٤٨". كانت مكتوبة في يوم الرسامة.

[١٨١] مكاري الصموئيلي، "رسالة إلى أبونا متى، ١٤ ديسمبر١٩٤٨".

[١٨٢] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٢٠. يكتب أبونا متى أيضًا: "الرهبنة هي الطاعة. هذا القول صحيح ولا جدال فيه، لكن أصل الطاعة في الرهبنة أنها تخص الأب الروحي الذي اختبر، وأطاع الله على أساس أن الطاعة ستقوده إلى الحرية. وهكذا اقتصرت الطاعة معي على الإنجيل والحق، دون أن تمس حريتي في الصلاة والعبادة". المرجع السابق، صـ ١٩.

[١٨٣] القمص مينا المتوحد [البابا كيرلس السادس]، "رسالة إلى الرهبان في دير القديس صموئيل، ١١ نوفمبر ١٩٤٩"، في مجموعة القديس الأنبا صموئيل. أرشيف مراسلات البابا كيرلس من دير القديس الأنبا صموئيل، الرسالة رقم ٤٩.

[١٨٤] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٢١.

[١٨٥] المرجع السابق.

[١٨٦] المرجع السابق.

[١٨٧] المرجع السابق. صـ ٢٢ - ٢٣.

[١٨٨] المرجع السابق. ٢٧ - ٣٠. انظر أيضًا ويليام سليمان، "القمص متى المسكين"، مجلة مدارس الأحد ٩/٨ (١٩٥٥). ومن اللافت للنظر أن أبونا متى يقول إن أفضل أعماله في الإصلاح كانت "نفوذه الشخصي" بين المثقفين الأقباط. انظر أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٢٨.

[١٨٩] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٣١.

[١٩٠] المرجع السابق، صـ ٣٢. كان هذا في ٢٠ يوليو ١٩٥٦.

[١٩١] المرجع السابق، صـ ٣٣.

[١٩٢] ميخائيل، "أبونا متى المسكين"، صـ ٣٦١.

[١٩٣] الرسالة وجدت في مجموعة خاصة في حوزة أبونا رافائيل آفامينا.

[١٩٤] أبونا مينا الصموئيلي، "رسالة إلى البابا كيرلس السادس، ١٨ أغسطس ١٩٥٩"، في مجموعة أبونا رافائيل آفامينا رقم ١، الرسالة ١٩٥ (جبل القلمون، ١٩٥٩).

[١٩٥] المرجع السابق.

[١٩٦] المرجع السابق.

[١٩٧] ومن المثير للاهتمام، أن أبونا متى في سيرته الذاتية، أعطى الاسم نفسه "الرهبان خريجي الجامعة" لمجموعته. أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، ٣٣.

[198] Suryal, "The Theological College."

[١٩٩] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٣٣.

[٢٠٠] المرجع السابق. ٣٤، ح. ٤. يضيف محرر السيرة الذاتية للأب متى (أحد تلاميذه) الملاحظة التالية: "الحياة هناك كانت فكرة البطريرك، الذي وافق عليها حتى تم حل مشكلتهم. لكن البابا قرر تفكيك هذه المجموعة المتماسكة، ونشر الرهبان في جميع الأديرة، وتعيينهم في مختلف الخدمات في الكنيسة. لقد بدأ في الواقع في تنفيذ فكرته واختار اثنين منهم ليكونوا في سكرتاريته، ولكنه وجد أن تمسكهم بأب اعترافهم [أبونا متى] لم يتأثر، لكنهم بدلاً من ذلك أظهروا عدم اهتمامهم بأي شيء".

[٢٠١] انظر المناقشة والحواشي المتعلقة بالمرسوم في الفصل ٧: "مواجهة الانقسام المتوقع: ١٩٥٩-١٩٦٣". نُقل المرسوم في، المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٣٥.

[٢٠٢] لقراءة وجهات نظر مختلفة حول ما إذا كان للمرسوم علاقة بأبونا متى، انظر أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس"؛

Rubenson, "Matta el-Meskeen," 417; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 237, n. 4; Wakin, *A Lonely Minority*, 128; Samuel Tawadros el-Syriany, *The History of the Popes*, 181; Suryal, "The Theological College."

ادعاء أبونا صليب هو ادعاء رمزي بأن المرسوم لا علاقة له بأبونا متى. في حين، من ناحية أخرى، يعتقد أبونا صموئيل تواضروس - الذي عانى بموجب هذا المرسوم - أن الأمر له علاقة بأبونا متى. ماجد ميخائيل يعطي صوتًا لبعض هذه الاحتمالات ويخلص إلى أنه إما أن يكون له علاقة مباشرة بأبونا متى، أو أن البابا كيرلس على الأقل كان يعلم أن مجموعة أبونا متى ستقاوم. انظر ميخائيل، أبونا متى المسكين، صـ ٣٦١.

[203] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 237, n. 143.

[٢٠٤] يقتبس واكين كلمات البابا كيرلس فيما يتعلق بالمرسوم: "ستصبح الأديرة مرة أخرى مدارس دينية حيث سيخصص الرهبان وقتًا للدراسة والكتابة". انظر،

Wakin, *A Lonely Minority*, 128.

[205] Suryal, "The Theological College."

ذكّر أبونا صليب في هذه المرحلة البابا كيرلس بأنه قضى أيضًا معظم فترة رهبنته خارج الدير.

[٢٠٦] يزعم أبونا صموئيل تواضروس أن تاريخ المرسوم هو ٢٠ أغسطس، أبونا صموئيل تواضروس السرياني، تاريخ الباباوات، صـ ١٨١.

[٢٠٧] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٣٤.

[٢٠٨] المرجع السابق.

[٢٠٩] زار أبونا متى المسكين وادي الريان عام ١٩٥٨. أثناء نومه تحت شجرة نخيل، ورد أنه رأى رؤية لرجل يقول له: "لقد انتظرتك لسنوات عديدة". انظر،

Otto Meinardus, "The Hermits of Wadi Rayan," *Studia Orientalia Christiana* 11 (1966): 301.

[٢١٠] مجهول، "تجريد الكهنة والرهبان"، جريدة الأهرام، ١٧ أكتوبر ١٩٦٠. وأُعلن الشيء نفسه في جريدة مصر في ١٢ أكتوبر ١٩٦٠ م.

[٢١١] لإثبات هذا الادعاء، لاحظ الرهبان أن البابا كيرلس قد كتب رسالة في عام ١٩٦٦ إلى أبونا متى المسكين طلب فيها نقل ثلاثة رهبان إلى دير وأشار إلى أبونا متى (دون أي إشارة إلى الحرم الكنسي) على النحو التالي: "أبونا القمص متى المسكين". كتب محرر السيرة الذاتية أن "هذه الرسالة احتفظ بها الراحل الأنبا أندراوس، أسقف دمياط، الذي قدمها في عام ١٩٧١ للانتخابات البطريركية كدليل على عدم وجود عقوبة كنسية". لكن هذا يدعو إلى التساؤل عن سبب انطباع المجمع بأن أبونا متى حُرم كنسيًّا في المقام الأول. انظر أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٤١؛ ميخائيل: أبونا متى المسكين، صـ ٣٦١.

[212] Suryal, "The Theological College."

[213] Meinardus, "The Hermits of Wadi Rayan, "303, n. 1.

يلاحظ ميناردس أنه لم يكن هناك في عام ١٩٦٦ سوى ثلاثة كهنة: أبونا متى وأبونا موسى وأبونا مينا. يلاحظ أن الذي قام بصلاة القداس هو أبونا موسى في الغالب، وإن كان من حين لآخر يصليه أبونا مينا. لم يذكر أن أبونا متى قام بصلاة القداس، رغم أنه كان كاهنًا - والأهم من ذلك، من منظور ليتورجي، كان أبونا متى كبير الكهنة وأبونا الروحي للجماعة.

[٢١٤] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٣٥.

[٢١٥] في أبريل ١٩٦١، غادر الرهبان وادي الريان بحثًا عن سكن يكون مناسبًا بصورة أفضل لكي يعيشوا فيه، لكنهم عادوا في نهاية المطاف في نوفمبر ١٩٦١، بعد مؤامرة من البدو العرب ومحاولة تسميمهم بالزرنيخ. انظر،

Meinardus, "The Hermits of Wadi Rayan," 302.

أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٣٨-٤٠.

[216] Meinardus, "The Hermits of Wadi Rayan," 302–3.

بدأوا ستة رهبان، لكن أبونا داود وأبونا ديونيسيوس غادرا في نهاية المطاف إلى دير السريان، وانضم رهبان آخرون إلى أبونا متى بين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٥.

[217] Watson, "Fr Matta el-Maskeen," 69.

[218] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 158.

[219] Meinardus, "The Hermits of Wadi Rayan."

[220] Ibid., 304, n. 2.

[221] Ibid., 308.

[٢٢٢] البابا كيرلس السادس، "رسالة إلى أبونا صليب سوريال، ٤ فبراير ١٩٦٧" (القاهرة، ١٩٦٧). الرسالة مقتبسة في،

Suryal, "The Theological College."

[٢٢٣] على سبيل المثال، انظر مقابلة فوزي مع البابا شنودة الثالث. فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ١٤٨.

[224] Suryal, "The Theological College."

تم نسخ المحاضرة بواسطة تلاميذ أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٤٣-٥٠. ومن اللافت للنظر، أن الكثيرين قد اقترحوا أن أبونا متى قد أُعيد بسبب ضغوط من الفاتيكان (بشكل غريب) أو بسبب إصرار الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط. في المقام الأول، لم يكن الأنبا ميخائيل يعرف أبونا متى شخصيًا حتى لحظة المصالحة بينهما؛ وثانيًا، ادعى فوزي في مقابلة مع البابا شنودة مع أن الإشاعات غير دقيقة. انظر: فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، ١٤٧-٤٨.

[225] Suryal, "The Theological College."

[226] Ibid.

[٢٢٧] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٤٢.

[228] Suryal, "The Theological College."

[٢٢٩] ليس هناك جدال في أن أبونا متى كان لا يمكن أن يكون هناك من يعلوه - ولا حتى البطريرك. بعد قولي هذا، ربما رأى البابا كيرلس شيئًا آخر، أي أنه إذا تم وضعه في دير يتمتع بسلطة مطلقة، يمكن للأب متى أن يخلق نهضة رهبانية تزدهر بسبب رؤيته الطاغية لتحقيق نهضة رهبانية خالصة. أدرك البابا كيرلس أن أبونا متى، بغض النظر عن عدم طاعته، كان له دور حيوي سيلعبه في تاريخ النهضة.

[230] Suryal, "The Theological College."

[٢٣١] أجاب صليب: "لا، استرح ونم واسترخي، المال ينهمر على أبونا متى من كل مكان. لا داعي للجنة الأوقاف أو تحديد مبلغ شهري من المال، سترى هذا الدير بعد عام أو عامين.." كان أبونا متى يتمتع بشهرة دولية في تلك المرحلة.

[٢٣٢] أبونا متى المسكين، السيرة الذاتية للأب متى المسكين، صـ ٥١.

[٢٣٣] للاطلاع على ملخص لترميم دير القديس مقاريوس. انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 163–64; Watson, "Contemporary Desert Mystic," 70; Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 52–53; Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 239–41.

[234] Watson, "Contemporary Desert Mystic," 70.

[235] Heikal, *Autumn of Fury*, 168.

أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس". رغم ذلك، من الجدير بالذكر، أن هيكل وصف بشكل غير صحيح أبونا متى المسكين بأنه "أسقف".

[٢٣٦] لقد لاحظ روبنسون بدقة أن أبونا متى المسكين "لم يكن لاهوتيًا منهجيًا مدربًا أكاديميًا، ولكنه كاتب روحي قرأ بعمق الأدب الآبائي واللاهوتي الحديث". انظر،

Rubenson, "Matta el-Meskeen," 415.

[٢٣٧] أبونا متى المسكين، حياة الصلاة الأرثوذكسية. لتطورها وتأثيرها، انظر،

Rubenson, "Matta el-Meskeen," 417.

[238] Watson, "Contemporary Desert Mystic," 71.

٢٣٩ أبونا متى المسكين، حياة الصلاة الأرثوذكسية، صـ ١٠، صـ ٢٩٢.

[240] O'Mahony, "Coptic Christianity," 502.

[241] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 179.

على سبيل المثال، يقترح ريس أن النهضة كان لها جذورًا مع أبونا متى في الستينيات. ومع ذلك، يدعي ميناردس أن النهضة لم تبدأ عندما فوَّض البابا كيرلس السادس أبونا متى المسكين في عام ١٩٦٩، بل في الخمسينيات من القرن الماضي في عهد الأنبا ثاؤفيلوس. انظر،

ibid., 212, n. 40; Otto Meinardus, "Review of Albert Gerhards and Heinzgerd Brakmann, *Die Koptische Kirche. Einführung in das Ägyptische Christentum*," *Ostkirchliche Studien* 44, nos. 2/3 (1995): 212–13.

يلاحظ ريس بصورة صحيحة أنه في حين فتح الأنبا ثاؤفيلوس الأبواب لرهبان "مدارس الأحد"، لم يكن الأنبا ثاؤفيلوس بالمعنى الصحيح هو أبيهم الروحي. لكن حتى هذا ينقصه أن يذكر أن أبونا مينا كان أب اعترافهم وأبيهم والمشجع على رهبنتهم.

٢٤٢ هذا نادرًا ما يُلاحظ في الدراسات، بخلاف ذكر عابر في دراسة ميناردس للرهبنة القبطية: "بصفتها إحياءً لمدرسة رهبانية قديمة، ينتمي البابا كيرلس السادس إلى جماعة الإصلاحيين اللامعة"، للحصول على بعض الاستثناءات المختصرة، راجع،

Samuel Rubenson, "Tradition and Renewal in Coptic Theology," in *BDC*, 189.

[243] Schneemann, *Journals of Alexander Schmemann*, 188–89.

يلاحظ روبنسون ببصيرة ثاقبة: "إن مصر ليست فقط أرض الأصول الرهبانية المسيحية فحسب، بل هي أيضًا أرض النهضة الرهبانية الحديثة". انظر،

Rubenson, "Tradition and Renewal," 35.

٢٤٤ أبونا رافائيل آفامينا، "محاضرة عن فضائل البابا كيرلس".

٢٤٥ المرجع السابق.

[246] Veilleux, *Pachomian Koinonia*, 1:330.

[247] Stephen R. Lloyd-Moffett, *Beauty for Ashes: The Spiritual Transformation of a Modern Greek Community* (Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2009), 114.

[248] Ibid.

تأتي هذه التعليقات في سياق تحول عميق مماثل - وإن كان على نطاق أصغر بكثير - لواحدة من أبروشيات اليونان التي حدث بها فضائح وانقسام، مدينة بريفيزا. على الرغم من أن الأسقف ميليتيوس (مثل البابا كيرلس) لم يكن لديه برنامج رسمي للإصلاح، كما أنه خيب آمال الكثيرين في سنواته الأولى بسبب الافتقار إلى التخطيط الاستراتيجي، فقد جمع حوله العديد من الرهبان القديسين ليُغني الأبروشية بلقاءات متكررة وواسعة الانتشار مع القداسة الشخصية الحقيقية، وكانت النتيجة تحولاً ملحوظًا لتلك الأبروشية في خلال بضع سنوات فقط. كان ذلك مرة أخرى، من خلال مجال "نفوذه النسكي".

[249] Meinardus, *Two Thousand Years*, 3.

[250] Watson, "Abba Kyrillos," 44.

[251] Reiss, *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche*, 236.

[252] Ibid.

يذكر ريس الأساقفة الثلاثة فقط في هذا الصدد. ومن اللافت للنظر أن ريس يلاحظ أيضًا أنه في العقود اللاحقة ستختفي هذه المميزات في النهاية.

[٢٥٣] يكتب تادرس: "اختلف الآباء المؤسسون لنهضة الكنيسة القبطية في مناهجهم وكثيرًا ما تصادموا... لكنهم معًا حققوا ثورة كاملة... لقد أسقطوا النظام القديم وبنوا نظامًا جديدًا... لكن نجاحهم في النهاية كان بسبب العملاق الذي كان يلوح في الأفق فوقهم؛ البابا كيرلس السادس".

Tadros, *Motherland Lost*, 180–81.

[254] Van Doorn-Harder, "Planner, Patriarch and Saint," 240.

[255] Van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 149.

[٢٥٦] يجب أن نلاحظ، مع ذلك، أنه بعد نياحة البابا كيرلس، لم يُرسم سوى عدد قليل من الرهبان من دير القديس مقاريوس أساقفة، وهذا يرجع جزئيًا إلى فلسفة أبونا متى المسكين في الرهبنة، وجزئيًا بسبب عمق صراعه مع البابا شنودة الثالث؛ خليفة البابا كيرلس، ومع ذلك، فإن هذا لا يستبعد دور أبونا متى في إحياء الرهبنة، ولا تأثيره على الرهبان الآخرين (في الأديرة الأخرى) الذين سيصبحون في النهاية أساقفة.

[٢٥٧] على الرغم من أنه إلى حد ما خارج نطاق العمل الحالي، إلا أنني أتمنى بشدة أن التاريخ الرائع لهؤلاء الرجال والنساء الذين لا حصر لهم - وخاصة أولئك الذين لا يحصون من خدام مدارس الأحد - الذين شاركوا في حركة الإصلاح في منتصف القرن العشرين، قد يتم تناوله يومًا ما بواسطة علماء المستقبل من أجل تعميق فهمنا للأحداث الرائعة في تلك الفترة.

١٠

استعلان حياة خفية

(١٩٦٨ - ١٩٧١)

الظهور في الزيتون (١٩٦٨)

الذي يحزن على نفسه ساعة واحدة أعظم من الذي يقيم الموتى بصلواته.
والذي يستحق أن يرى نفسه هو أعظم ممن يستحق أن يرى الملائكة

مار إسحق السرياني

عندما اندلعت حرب الأيام الستة في ٥ يونيو ١٩٦٧، اقتحم أبونا رافائيل آفامينا مكتب البابا كيرلس. تم في الحال بث أخبار نجاح الجيش المصري. قال أبونا رافائيل، "بدأت الحرب، جيشنا يتقدم وينتصر!" "ماذا تقول... هل أنت مجنون!؟" صرخ البابا كيرلس وهو يرفع يديه إلى السماء، "أبنائي! أبنائي! أبنائي في حالة حرب، حفظهم الله! حفظهم الله!" في ذلك المساء كان البطريرك المسن يتحرك صعودًا وهبوطًا وهو يردد تلك الكلمات.

يتذكر أبونا رافائيل:

ظللت أفكر فيما قاله، على الرغم من التقارير الإخبارية المتكررة عن التقدم الكبير للجيش المصري. حاولت أن أجعله يرى كيف كان أداء جيشنا جيدًا، وأنه لا داعي للقلق بشأن شعبه، لكن البابا كيرلس أجاب قائلاً: "أنت لا تفهم، يا ابني؛ الله يحفظهم". في الواقع لم أكن أفهم، وبعد أربعة أيام اكتشفنا أن الأخبار كانت غير صحيحة.[١]

على الرغم من الدعاية، رأى البابا كيرلس شيئًا لا يمكن لأي شخص آخر رؤيته. لقد عانت الكنيسة من عدة صراعات في عام ١٩٦٧، والآن هذه الحرب المأساوية ستجعل الأمة في حالة حداد.

ردًّا على حشد مصر للقوات سرًّا على طول الحدود، شنت إسرائيل ضربة استباقية ضد المطارات المصرية. وفي خلال لحظات، تم تدمير الجزء الأكبر من سلاح الجو المصري. وفي الوقت نفسه، فاجأ هجوم بري إسرائيلي على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء الجيش المصري، وأوقع خسائر فادحة وارتباكًا جماعيًّا. وقُتل حوالي أقل من ألف جندي إسرائيلي مقارنة بأكثر من عشرين ألفًا من القوات العربية. في خلال خمسة أيام فقط، تم القضاء على القوات الجوية، وقُتل عشرات الآلاف، والاستيلاء على شبه جزيرة سيناء، ومحو الأصول غير الملموسة، وضياع الكبرياء الوطني والمصداقية الإقليمية.[٢] سقطت مصداقية نظام الرئيس عبد الناصر وسياساته.[٣] استقال الرئيس من منصبه في بث عام في ٩ يونيو لأنه شعر أنه غير قادر على تحمل هذا الفشل المريع والإحراج.[٤] لكن حجم الهزيمة لم يكن معروفًا بعد.[٥] اندلعت مظاهرات مجنونة. وصف إريك رولو، مراسل لوموند الأجنبي، رد الفعل:

> ثم (بعد البيان) سمعنا من الدور الثاني عشر للمنزل الذي كنا فيه ضجيجًا متزايدا مكتومًا ومخيفًا - مثل هبوب عاصفة رغم أن الطقس كان مثاليًّا. رأينا أشخاصًا يخرجون من منازلهم من جميع الجهات مثل النمل، ورؤوسا تنحني من النوافذ. نزلنا إلى أسفل. كان هذا المشهد ليلاً وكانت المدينة نصف مغمورة في ظلام انقطاع التيار الكهربائي. كان مشهدًا غير عادي أن أرى كل هؤلاء الناس يهرعون من جميع الجهات، يصرخون، يبكون، بعضهم يرتدون البيجامات، وبعضهم حافي القدمين، ونساء في ثياب النوم، وأطفال، جميعهم يعانون من معاناة تفوق القدرة على التحمل، ويتوسلون: "ناصر، لا تتركنا، نحن نحتاج إليك". سقطت النساء على الأرض، وكانوا يبكون مثل النساء في العصور القديمة. وانفجر الرجال في البكاء.[٦]

حالما سمع البابا كيرلس البث، أسرع هو أيضًا إلى القصر الرئاسي. كانت الطرق مقطوعة حيث احتشد مئات الآلاف من الرجال والنساء الحزانى. أرسل عبد الناصر على الفور قافلة عسكرية لمرافقة سيارات البطريركية إلى منزله. لكن حتى هناك، لم يستقبل عبد الناصر أي زائر. بعد مرور بعض الوقت، تم إحضار هاتف إلى البابا كيرلس؛ كان الرئيس جمال عبد الناصر على الخط، اعتذر: "لم أرفض مقابلتك في منزلي أبدًا، لكنني مريض ومحاط بالأطباء". أجاب البابا كيرلس: "أتمنى أن أسمع وعدًا واحدًا منك فقط". "قلها يا والدي". أجاب البابا كيرلس: "الشعب يطالبكم بالبقاء في السلطة". قال عبد الناصر: "وأنا تحت أمرهم وأمرك".

عندما عاد البابا كيرلس إلى البطريركية في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، قرع أجراس الكاتدرائية احتفالاً.[٧] بعد دقائق كان هناك بث آخر: ناصر سيبقى رئيسًا. حتى زوجة عبد الناصر نفسها لم تكن تتوقع أن يتراجع الرئيس عن قرار الاستقالة.[٨]

عندما أدرك الشعب المصري أخيرًا حجم خسائر الأمة في الحرب، طلبوا إعدام العديد من كبار الضباط. تم القبض على عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بتهمة التآمر ثم انتحر بعد ذلك. تم منع الجيش من التدخل في السياسة، وتم إقصاء الموالين لعبد الحكيم عامر. خلَّص الرئيس عبد الناصر نفسه فعليًّا من حمل مسئولية الحرب الفاشلة بأكملها، وكذلك تداعياتها.[٩] يعلق الكاتب المسرحي المصري الشهير توفيق الحكيم "عندما تحب الجماهير، لا يسألون ولا يناقشون. عندما كان الرئيس عبد الناصر يقول بقوة لدولة تمتلك الطاقة النووية إنها إذا لم يعجبها ما فعلناه، فعليها أن تشرب من النيل، شعرنا بالفخر. الثقة في قائدنا شلت أفكارنا".[١٠] ولكن على الرغم من أن الحرب الكارثية تركت الرئيس على حاله بطريقة ما، إلا أن الكنيسة تُركت معرضة للخطر مرة أخرى.

عانى الأقباط على جبهتين من نتائج الحرب فقد فقدوا آباءً وأزواج وأبناءً أيضًا إلى جانب إخوانهم المسلمين. لكن كل هذا لم ينجح في إسكات اتهام المسيحيين

بالتجسس. كانت الكنيسة القبطية، على أية حال، عضوًا في مجلس الكنائس العالمي الذي دعم تأسيس دولة إسرائيل.[١١] في الوقت نفسه تصاعدت المشاعر الدينية ببطء من بين الرماد. شعر الكثيرون أن الحرب كانت بمثابة "عقاب" على "نقص الإيمان"، وفي مصر، يمكن أن يؤدي ظهور "الإيمان" في الحال إلى التطرف وإثارة العنف الطائفي.[١٢] اشتدت التوترات بسرعة. واضطر ناصر إلى الإشادة علانية بشجاعة ووطنية الجنود الأقباط لتخفيف الاتهامات المتزايدة إلى حد ما من جماعة الإخوان المسلمين.[١٣] ولكن في حين كان المسيحيون يستعدون لموجة جديدة من الضيقات، شهدت مصر فجأة تحولاً في الأحداث من مصدر غير متوقع.[١٤] تم نسيان عام ١٩٦٧ المؤلم في لحظة. العام الذي شهد حرب الأيام الستة، وتصاعد التوترات الدينية، والأزمة المالية للمجلس الملي، والخلافات بين تلاميذ البابا كيرلس، ووقف البابا شنودة.

في مساء يوم ٢ أبريل ١٩٦٨، كان ثلاثة ميكانيكيين مسلمين؛ فاروق محمد عطوة، وحسين عوض، وياقوت علي مكامون، يعملون في جراج حكومي يقع مقابل كنيسة القديسة العذراء مريم بالزيتون، إحدى ضواحي القاهرة.[١٥] في حوالي الساعة الثامنة والنصف من تلك الليلة، لاحظ عطوة فتاة صغيرة تمشي على قبة الكنيسة، وخوفًا من أن تقفز، بدأ بالصراخ. وصف أحد هؤلاء العمال المشهد:

> كانت هناك فتاة تقف على قمة قبة الكنيسة ترتدي رداء أبيض. اعتقدت أنها ستنتحر وصرخت فيها خوفًا عليها أن تسقط. اتصل صديقي بالشرطة، وأيقظت البواب. فخرج ونظر وصرخ، "إنها العذراء"، ثم ركض لكي يستدعى الكاهن.[١٦]

كان الكاهن مذهولاً بالقدر نفسه. يتذكر أبونا قسطنطين موسى (تنيح عام١٩٨٢):

> على بعد خطوات فقط من الكنيسة جاء إبراهيم [البواب] وهو في حالة ارتباك شديد قائلاً: "لقد ظهرت القديسة العذراء مريم على القبة" ذهبت بنفسي ورأيت نصف جسد القديسة مريم المضيء. قام بعض عمال جراج الأتوبيسات بتسليط الأضواء في اتجاهها، لكنها أضاءت أكثر.[١٧]

بدأ الناس يتجمعون بأعداد كبيرة ووصلت الشرطة وحاولت تفريقهم، قائلة إن ما يسمى بالظهور كان مجرد وهم ناتج عن انعكاس أضواء الشوارع المجاورة. وبدأوا في تحطيم المصابيح الكهربائية القائمة بالشارع والقريبة من الكنيسة، لكن الظهور أصبح أكثر وضوحًا. أفاد أحد الشهود أن "المأمور أُصيب بالخوف وقال إنه لا يريد أن يتدخل مرة أخرى في هذا الأمر، في حين اقترب الآخرون للتأكد مما رأوه".[18] بعد أسبوع تكرر الظهور مرة أخرى لمدة سبعين ليلة خلال الأربعة عشر شهرًا التالية. اشتبه مسؤولو المدينة، أغلبهم كانوا مسلمين، في البداية في وجود خدعة متقنة وفصلوا جميع الأضواء والكهرباء في المناطق المحيطة. استمر الظهور كما كان.[19]

على مدى هذه الأشهر الأربعة عشر، كان متوسط عدد الناس الذين يأتون ليلاً لمشاهدة الظهور من عشرة إلى مائة ألف شخص. تم أخذ شهادات الشهود والشهادات المسجلة من الأطباء والمهندسين والصحافة ومسؤولي الحكومة، والرئيس عبد الناصر نفسه. كانت سينثيا نيلسون (١٩٣٣-٢٠٠٦)، أستاذة الأنثروبولوجيا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، إحدى شهود العيان. زارت موقع الظهور عدة مرات وتوقعت أن الأمر لن يكون سوى أوهامًا جماعية للطبقة الفقيرة غير المتعلمة، وبدلاً من ذلك وجدت أن معظم الحاضرين كانوا من الطبقات الوسطى والعليا، بما في ذلك العديد من الأوروبيين العاملين في السفارات.

تتذكر نيلسون:

> أمكنني تتبع الخطوط الخارجية لجسم الظهور، لم يكن هناك شك في ذهني أن هناك ضوءًا وأنه إذا بحثت عن الصورة، فسوف أراها. فَسرت نيلسون على الفور هذه الخبرة الإدراكية على أنها خداع ناجم عن الضوء المنعكس. لكن مصدر الضوء كان لغزًا، فقد تم فصل مصابيح الشوارع التي تحيط بالكنيسة لعدة أيام. وفي خلال أسبوع آخر سيتم قطع جميع الأشجار المحيطة بالكنيسة.[20]

والعجيب، أن نيلسون شعرت بالحاجة إلى "تفسير" هذا الظهور ومع ذلك لم تجد أي تفسير. كانت العذراء في بعض الأحيان تظهر ساكنة. أفاد آخرون أنها كانت تنتقل

من جانب إلى آخر وتبارك الجماهير، وفي بعض الأحيان، كان تمسك بغصن زيتون في يدها، ويحيط بها حمام أبيض. قام البابا كيرلس السادس بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق، وأيضًا البطريرك اسطفانوس الأول بطريرك الأقباط الكاثوليك، شكلت أيضًا الحكومة لجنة لتقصى الحقائق. أكدت كل لجنة على حدة الظهور، دون أي يكون لديهم أي توضيح آخر لما يحدث.[21] ذكر تقرير الحكومة "أُجريت تحقيقات رسمية. لقد تم إثبات حقيقة لا يمكن إنكارها أن السيدة العذراء مريم ظهرت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالزيتون بجسم واضح ومشرق، يراه جميع الحاضرين، سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين".[22] أرسل البابا كيرلس مجموعة من أكثر الأساقفة والأطباء والعلماء ثقة للتحقيق في الظهور، على الرغم من أنه هو نفسه تجنب بشكل غريب أن يقوم بزيارة كنيسة الظهور. في ٤ مايو ١٩٦٨، أعلنت البطريركية أن الظهور حقيقي. وبعد يوم نُشر في الأهرام:

> تمركزت هذه اللجنة في الزيتون لأيام دون انقطاع. لقد شهد آلاف الأشخاص من مختلف الفئات على الظهورات غير العادية التي حدثت في الأسابيع الماضية، من المصريين والأجانب من مختلف الجنسيات. واتفقت مجموعات منهم على زمان ومكان الظهور. وبناء على الحقائق التي تم جمعها، توصلنا إلى أن الظهورات ليست رؤى فردية زائفة أو هلوسة جماعية، ولكنها حقيقية.[23]

تشير روايات متعددة إلى أن الرئيس عبد الناصر ذهب مع حسين الشافعي (أمين المجلس الإسلامي الأعلى في ذلك الوقت) إلى الزيتون. كان يشاهد من شرفة منزل تاجر فواكه يقع مقابل الكنيسة حتى الساعة الخامسة صباحًا.[24] قال البابا شنودة الثالث لاحقًا إن عبد الناصر كان في حاجة ماسة إلى الراحة بعد الهزيمة المهينة عام ١٩٦٧. أكثر من مليون من شعبه شهدوا الظهورات وسعوا لكي يحصلوا على الراحة نفسها. لذلك كان من المستحيل في أذهان معظم المصريين فصل الظهورات عن الحرب الفاشلة.[25] قالت زوجة أنور السادات (خليفة عبد الناصر) ذات مرة: "كان الإيمان هو الملاذ الوحيد لمعظم المصريين".[26] يقال إن عبد الناصر أعلن أن الظهور كان تعزية، وأن الهزيمة كانت بالفعل إرادة الله.[27] ورأى بعض الناس أن الله يعين

العرب في حربهم ضد إسرائيل. بالنسبة للآخرين، كان هذا بمثابة إبراء ذمة المسيحيين في مصر، مما أدى إلى تهدئة التوترات الطائفية جزئيًّا. في حين اعتبرها آخرون أنها كانت شهادة على قدسية البابا كيرلس نفسه.[٢٨] أيًّا ما كان التفسير فقد أعطت الظهورات الرجاء.[٢٩] أعلن الأنبا غريغوريوس في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ٤ مايو "إنها علامة من السماء، أن الله معنا وسيكون معنا".[٣٠]

كانت هذه الظهورات غير عادية تمامًا في تاريخ الكنيسة القبطية وفي تاريخ المسيحية في ذلك الوقت، لم يسبق أن يحدث ظهور متكرر جدًّا بهذا الشكل، وأن يشهده هذه الأعداد الضخمة من البشر. لم تتكلم والدة الإله ولا مرة طوال مدة الظهور؛ لم يكن هناك كلام ولا وحي.[٣١] كأنها تكلمت صمتًا يزيل هموم أمة محطمة. مثلما يمكن للإنسان أن ينال راحة لا توصف من الصمت اللطيف لأمه، بالمثل، كانت والدة الإله تعزي الأمة طيلة أربعة عشر شهرًا.

بغض النظر عما يمكن أن يفهمه الإنسان من هذه الظهورات غير العادية، فإن نيلسون؛ عالمة الأنثروبولوجيا، بذلت قصارى جهدها لتوضيح أن هذا لم يكن "خيالاً مفرطا" للطبقة الفقيرة التي تؤمن بالخرافات أو للفلاحين الذين يمكن خداعهم بسهولة، بل بالعكس، كان الشهود بأغلبية ساحقة من الطبقة الوسطى والعليا.[٣٢] قال عالم اجتماع ماركسي (ومسلم) لنيلسون أن هذا هو أكثر ما أزعجه، أن الظهورات شوهدت وشهدت عليها "النخبة المثقفة" في مصر:

> سيكون الأمر مفهومًا لو حدث شيء من هذا القبيل في صعيد مصر، حيث من المعروف أن الفلاحين يؤمنون بظواهر خارقة للطبيعة مثل هذه؛ لكن الأطباء والعلماء والأساتذة، هؤلاء الناس أكثر عقلانية! يجب أن يرتبوا أفكارهم، وإلا سيكونون مصابين بالفصام.[٣٣]

إن رأى عالم الاجتماع هذا كان غير واقعي، حيث إن في هذه الحالة سيكون حوالي مليون أو نحو ذلك من الرجال والنساء "المفكرين" (العديد منهم من المثقفين)، على مدى عدة أشهر، جميعًا حسب وجهة نظره "مصابون بالفصام" في حين أن معظمهم لم يظهر أبدًا

أي علامات للمرض العقلي سواء قبل أو بعد الأحداث. هذا الرأي، على أقل تقدير، يدل على عدم التمييز والتحيز. ما رواه أحد الجراحين البارزين في القاهرة يثبت حقيقة الظهور:

> جاء أحد المرضى الذين أجريت لهم عملية جراحية منذ عامين لعلاج السرطان إلى عيادتي منذ ثلاثة أسابيع لإجراء كشف طبي. عندما قمت بفحصه، اكتشفت أن الرجل مصاب بورم آخر. في الواقع شعرت بالورم أثناء الفحص الداخلي وأزلت قطعة من النسيج لأخذ عينة. عندما أظهر الفحص أن الورم خبيث، أوصيت بأنه يجب إجراء عملية فورية، لكن الرجل رفض، قائلاً إنه ليس لديه ما يكفي من المال. عاد بعد أسبوعين وطلب فحصًا آخر. لدهشتي لم أجد الورم، ولكن وجدت فقط أن بعض الأنسجة بها خدوش بيضاء. أخبرني الرجل أنه ذهب إلى الزيتون وصلى للعذراء طلبًا للمساعدة. أنا لا أؤمن بمثل هذه المعجزات، لكن لا يمكنني تفسير اختفاء الورم وهذا يقودني إلى الجنون.[٣٤]

كان يتم الإعلان عن معجزة يليها معجزة، معظمها دون أي تفسير طبي. وتكررت الظهورات، شهرًا بعد شهر، وأصبح الأمر أشبه بمعضلة وجودية. لم ينجح أحد مهما حاول قدر استطاعته أن يفسِّر الظهورات. في النهاية، كان على الإنسان أن يختار إما أن يؤمن أو لا يؤمن. لكن الجميع؛ المؤمنون وغير المؤمنين على حد سواء، بدأوا يسألون ما رأي البابا كيرلس؛ صانع المعجزات الشهير، في الظهورات؟ ولماذا لم يزر الزيتون قط؟

في مقابلة رائعة وغير متداولة مع مايكل خليل، نشرتها جريدة الأخبار في ١١ مايو ١٩٦٨، نجد أثمن ما كشفه البطريرك الصامت.[٣٥] تساءل خليل لماذا لم يترأس البابا كيرلس المؤتمر الصحفي ليعلن أن الظهورات حقيقية؟ والأهم من ذلك، لماذا لم يذهب لكي يرى الظهورات بنفسه؟ قال البابا كيرلس وهو يبتسم: "كل هذه الاتهامات معتادة خلال مثل هذه الظواهر المقدسة، لأن ظهور أم النور هو شيء يفوق العقل البشري".[٣٦] لم يحضر البابا كيرلس المؤتمر الصحفي لأنه كان قد فوض بالفعل ثلاثة

أساقفة للتحقيق والحضور نيابة عنه، ولكن كما يوضِّح "لقد عبروا عن وجهة نظري الشخصية ومعتقداتي وآرائي". ويضيف البابا كيرلس:

أما عن زيارتي للكنيسة، سأذهب في الوقت المناسب الذي يختاره الله للصلاة بحسب نفس النظام الذي أفعله في جميع الكنائس. سأذهب إلى هذا المكان المقدس بعد أن يقتنع الجميع بالظهور. لم أكن أرغب في أن يقال إنني أؤثر على الناس ليفعلوا ما أفعل. وهكذا، تركتهم لكي يصلوا إلى قناعاتهم الخاصة بشأن هذه المسألة.[٣٧]"

لكن كانت لديه أيضًا أسباب أخرى لعدم الزيارة. وتابع:

الحقيقة أنا أرى أم النور؛ الحمامة المسالمة، السيدة العذراء مريم الطاهرة، والدة يسوع المسيح، لقد رأيتها منذ صغرى، وأنا أراها بإيمان. اختبرت علامات معجزاتها في المنزل الذي نشأت فيه بشارع النيل بالإسكندرية. كان ذلك في عام ١٩١٠، ظهرت العذراء في منزل والديَّ بملابسها المضيئة وتاجها اللامع. في ذلك اليوم، عالجت القديسة العذراء مريم مريضًا في ذلك المنزل. أثرت هذه الحادثة بعمق في جميع أفراد عائلتي بمن فيهم أنا. ظلت أيقونتها مصدر بركات في منزل والديَّ، لذلك نشأنا جميعًا على حبها. هذه الحادثة المباركة والمقدسة لم تغادر ذهني أبدًا.[٣٨]

هذا تصريح نادر للغاية. نادرًا ما تحدث البابا كيرلس عن نفسه، ولم يتحدث علنًا أبدًا. لكنه يكشف هنا عن ظهور لوالدة الإله، ومعجزة شفاء في منزل عائلته عندما كان في الثامنة من عمره. لا يمكننا إلا أن نفترض أن هذه المعجزة قد حدثت لوالدته التي توفيت بعد سنوات قليلة. لهذا السبب، لم يشعر بالحاجة إلى زيارة الزيتون ليشهد ظهور القديسة العذراء مريم، لأنه كان دائمًا وبصورة سرية يراها.

"اعتنوا بالكنيسة": اللحظات الأخيرة للقديس (١٩٧١)

سأل أبا موسى الأب زكرياء الذي كان على وشك الموت، "ماذا ترى؟"
قال: "أليس من الأفضل أن أسكت يا أبي؟"

أبا زكريا

توفي الرئيس جمال عبد الناصر بنوبة قلبية في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بعد ساعات فقط من انعقاد القمة الطارئة لجامعة الدول العربية. وعلى الرغم من أنه كان مدخنًا شرهًا وله تاريخ عائلي قوي في الإصابة بأمراض القلب، وقد لقي اثنان من إخوته المصير نفسه في الخمسينات من العمر، إلا أن وفاة عبد الناصر كانت بمثابة صدمة للشعب (وحتى لعائلة عبد الناصر).[٣٩] عبَّر بيان البابا كيرلس في ذلك المساء عن ألم الجميع: "الحزن يغمر أمتنا. لا نصدق أن هذا الرجل الذي كان يحمل في داخله آمال كل المصريين والعرب، قد مات".[٤٠] دقت أجراس الكاتدرائية، والغريب أنه تم إقامة صلاة تأبين من أجل الرئيس المسلم. يجب أن نتذكر جيدًا أن جمال عبد الناصر كان دائمًا ينادي البابا كيرلس بـ "والدي" ولذا صلى البطريرك من أجل ابنه.[٤١]

يلاحظ مؤرخ بارز أنه مهما كان ما شعر به المصريون للرئيس، "لم تحل السنوات الخمس عشرة من نظام عبد الناصر الثوري أيًّا من المشاكل الدائمة لبلدهم".[٤٢] على الرغم من جهوده الجديرة بالثناء، زاد النمو السكاني بشكل لا يمكن السيطرة عليه، وظهرت طبقة عليا جديدة مسرفة لم تقع تحت طائلة سياساته الاشتراكية، ولم يتم القضاء على الأمية، وارتفعت البطالة بصورة ثابتة، وتحطمت العلاقات السياسة الخارجية بسبب حرب ١٩٦٧، واستمر الفساد.[٤٣] ولكن على الرغم من أن مصر لم تتحسن كثيرًا في عهد عبد الناصر، إلا أنه لا يمكن قول الشيء نفسه عن الكنيسة في عهد البابا كيرلس.

قبل ذلك بعدة سنوات، في عام ١٩٦٦، ألقى أحد تلاميذ البابا كيرلس خطابًا أثنى فيه على عمل البطريرك وتمنى أن يطيل الله حياته. أجاب البابا كيرلس بكلماته المختصرة التي تتميز بالغموض دائمًا، "يا ابني، الأمر كله مسألة خمس سنوات".[٤٤]

هناك حالات عديدة لقديسين في جميع المصادر النسكية كانوا يصرحون بتنبؤات عن موعد نياحتهم.[٤٥] لاحظ قليلون، إن وُجدوا، كم من هذا الأدب النسكي يدور حول "نقطة الموت". وُجدت هذه العبارة، على سبيل المثال، في ستة عشر مصدر من "بستان الرهبان"، وتعتبر الكلمات الأخيرة في حياة الكثيرين، مسيحيين أو غيرهم، تلخيصًا عميقًا لحياة الإنسان. لكن بالنسبة لآباء البرية، فإنهم لا يكشفون فقط عن معدنهم الحقيقي في مواجهة الموت، حيث لا يمكن في هذه اللحظات التصنع أو التمثيل، ولكن تكشف هذه الكلمات عن الاحتياج الضروري المطلق والإيجابي الذي نحب أن نعرفه من كلماتهم الأخيرة، وهو أن يكشفوا بكلمات رائعة عن كيف وجدوا "طريقهم" إلى المسيح. بالنسبة لأبا زكريا، على سبيل المثال، كان طريقه هو الصمت، وبالنسبة لأنبا أرسانيوس كان هو الترك والتضحية وتغيير شكل حياته، وبالنسبة إلى الأنبا بيصاريون، يجب أن يكون الراهب "كله عين"، أي متيقظًا وساهرًا دائمًا، وبالنسبة لأبا إسحق أن يتبعه تلاميذه في طريقه كما تبع هو أبيه. وكان الطريق بالنسبة لأبا يوسف المتوحد وبصورة مذهلة:

> عندما كان على وشك الموت، في حين كان بعض الرهبان كبار السن يجلسون حوله، نظر نحو النافذة ورأى الشيطان جالسًا بالقرب منها. ثم نادى على تلميذه وقال له: "أحضر عصاي، لأن هناك من يظن أنني قد تقدمت في السن وليس لدي قوة ضده".[٤٦]

بالنسبة إلى البابا كيرلس؛ البطريرك الصامت، فإن السنوات الأخيرة من حياته ستتميز بأقوال مماثلة، لا سيما عبارة "السفر ورعايته للكنيسة". لم يكن "وقت الموت" بالنسبة إلى البابا كيرلس عدة ساعات، ولا حتى عدة أيام أو أسابيع، فعند دراسة المصادر الموجودة في الحكايات والمذكرات والرسائل التي تخص حياته، يبدو أن

"لحظة الموت" بالنسبة إلى البابا كيرلس استمر حوالي خمس سنوات، ربما منذ لحظة تنبُّئِهِ بهذا الوقت في عام ١٩٦٦، والذي تزامن أيضًا مع نوبات الذبحة الصدرية الأولى.[٤٧] منذ تلك اللحظة عاش مثل مار إسحق السرياني من قبله؛ "بتذكر الموت".[٤٨] لكن ترجمة المثل القديم وهو "تذكر الموت" يفتقد إلى حد ما المعنى الحرفي لهذا المثل وهو "لا تنس أن تموت".[٤٩] عاش البابا كيرلس السنوات الأخيرة في "لحظة الموت"، وكان البابا كيرلس يتذكر كل يوم الموت. في أواخر عام ١٩٦٨، على سبيل المثال، كان البابا كيرلس يصر على أن يصلي صلاة باكر في الكاتدرائية الجديدة. كانت النوافذ لا تزال بحاجة إلى تركيب، إلى جانب الأسقف المرتفعة، وكان البرد قارسًا في منتصف الشتاء. يتذكر أبونا رافائيل: "كان يحضر الصلاة عدد قليل جدًّا من الناس في مثل هذه الليالي"،[٥٠] ومع ذلك لم يهتز البابا كيرلس أو يتأثر وكان يذهب مسرعًا وبنشاط إلى الكاتدرائية في الساعات الأولى من الصباح. في بعض الأحيان كان يصلي على الرغم من ارتفاع درجة حرارته عن أربعين درجة مئوية. بغض النظر عن احتجاج الأساقفة؛ "تذكر البابا كيرلس باستمرار أن يموت".

في ٥ مايو ١٩٧٠، طلب أبونا مرقس داود؛ الصديق العزيز وأب اعتراف البابا كيرلس، من ابنه أبونا ميخائيل داود تنظيم رحلة إلى دير مارمينا. ولأنه كان يعلم أن البابا كيرلس كان في الدير في ذلك الوقت، أصر أبونا مرقس على أن يذهب إلى الدير، على الرغم من أنه كان مريضًا في ذلك الوقت. يتذكر ابنه أبونا ميخائيل داود:

> "حاولت منعه" فأجاب: "إذا رفضت، فسوف تندم إلى الأبد". هناك، بقي أبونا مرقس وحيدًا مع البابا. عند مغادرتنا، قال أبونا مرقس: "قداستك، أنا مسافر؛ هل تريد شيئا؟" أجاب البابا كيرلس، "شكرًا لك، أنا سأسافر بعدك". في اليوم التالي طلب مني والدي أن أزور أحد أقاربه، لكنني اعتذرت، فأجاب: "غدًا ستكون مشغولاً".[٥١]

في اليوم التالي أصبح مشغولاً بالفعل. توفي أبونا مرقس يوم ٧ مايو. لقد سمع الكثيرون كلمات البابا كيرلس هذه، لكن القليل منهم فهمها. عندما تنيح كاهن

عزيز آخر وهو أبونا بيمن، بدا أن البابا كيرلس كان على علم بذلك قبل أن يصله أي أخبار. يتذكر أحد تلاميذ البابا كيرلس ارتباكه. فجأة قال البابا كيرلس: "أبونا بيمن، لقد سافر يا ابني". أجاب التلميذ: "لقد سافر ببركتك". كرر البابا كيرلس: "إنني أقول لك، لقد سافر يا ابني". أضاف التلميذ، وهو لا يزال غير متأكد مما يقصده البابا "في محبتك يا سيدنا". أوضح البابا كيرلس: "ما قصدته يا ابني أنه قد سافر إلى السماء".

أثناء هذه الزيارة نفسها إلى دير مارمينا، كان الرهبان في حيرة من أمرهم. يتذكر أبونا رافائيل آفامينا؛ تلميذه الذي تم سيامته راهبًا بعد رسامة البابا كيرلس بطريركًا مغادرة البابا كيرلس للدير بصورة غريبة:

> في مايو ١٩٧٠، قام البابا بتوديعنا بطريقة مختلفة تمامًا [عن المعتاد]. استدعى القمص مينا آفامينا، رئيس الدير، وتحدث معه بإيجاز شديد في حين كان يقاوم دموعه، التي غلبته في النهاية. أهداه قلنسوة (غطاء الرأس الرهباني) لكل واحد من الرهبان في الدير، ثم صلى تمجيد القديس مارمرقس والقديس مارمينا في كنيستي الدير. كان يحمل أيقونة القديس مارمرقس التي كانت لديه منذ أن كان في وحدته في الصحراء، وحاول أن يبتسم لنا، لكن دموعه استمرت تفيض بغزارة. لم يجلس مع أي أحد منا، بل ركب سيارته ودموعه تتساقط من وجهه. رأينا ذلك وسألنا أنفسنا: أين ابتسامة البابا؟ أين جلساته الطويلة مع كل واحد منا؟ ما السر وراء تلك الدموع؟ لماذا كان يحمل أيقونة القديس مرقس في يده؟ ظلت هذه الأسئلة دون إجابة.[٥٢]

كانت هذه هي زيارته الأخيرة لدير مارمينا. كان من المستحيل تقريبًا أن يضبط مشاعره، لأنه من الواضح أنه كان يعرف أنه لن يمكنه فعل ذلك. على مدى الأشهر التالية، بدأ البابا كيرلس في تفويض المهام، وإسناد وظائف غريبة لبعض تلاميذه الكهنة والأساقفة. قام بتحضير أظرف الخطابات التي كان يرسلها للأرامل والمعوزين؛ النفوس التي كان يساعدها سرًّا لعقود.[٥٣] كان يعلم أن النهاية كانت قريبة.

ستؤثر عليه سنوات النسك الشديد في النهاية. أصيب البابا كيرلس بجلطة في الأوردة العميقة، ولكن حتى في ذلك الوقت، ظل يلتزم بقانونه الروحي. حاول الأطباء علاج البابا كيرلس بالأدوية والراحة، لكنه لم يلتزم بذلك.[٥٤] انتشرت الجلطة نتيجة لذلك حوالي عشرة سنتيمترات. في هذه المرحلة، وافق البابا كيرلس على مضض على أوامرهم بالراحة في الفراش لمدة شهرين.[٥٥] بعد ذلك بوقت قصير، في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٠، أصدرت البطريركية بيانًا في الأهرام جاء فيه أن البابا كيرلس مريضًا وسيلزم الفراش وأن وزير الصحة شكَّل فريقًا من أطباء القلب لتقديم الرعاية الطبية له على مدار الساعة.[٥٦] على الرغم من أن الإعلان لم يذكر صراحة سبب مرضه، فقد أصيب البابا كيرلس، البالغ من العمر في ذلك الوقت ثمانية وستين عامًا، بنوبة قلبية. يذكر أبونا رافائيل في مذكراته:

> يمكنك أن تتخيل الحزن الذي عانى منه قداسته عندما أمره الأطباء بالبقاء في الفراش بعد إصابته بعدة نوبات قلبية. أثر بعده عن المذبح عليه بشكل كبير، خاصة بعد أربعين عامًا من المواظبة على صلاة التسبحة والقداس اليومي. بناءً على طلب البابا، تم تركيب سماعات صوتية في قلايته حتى يتمكن من متابعة الصلاة في الكاتدرائية...[٥٧]

لا يمكن مقارنة ألم النوبات القلبية بإجباره على الابتعاد عن المذبح؛ مكان راحته اليومية لحوالي أربعين عامًا. كان يستيقظ كل صباح مبكرًا، ويشغل السماعات الصوتية، ويشترك في صلاة القداس في الكاتدرائية. يذكر أبونا رافائيل: "كان البابا كيرلس يستمع بتركيز حتى أنه كان يصحح للكهنة لاحقًا، قائلاً لا تتسرع في الصلاة، أو حتى يصحح نطقهم للغة القبطية".[٥٨] كان على البابا كيرلس أيضًا مواجهة عداوة قديمة في حين كان طريح الفراش في هذه الأشهر القليلة. في وقت من الأوقات ظهرت مجموعة تطالب على ما يبدو أن يتقاعد البابا كيرلس قبل الأوان ومناقشة مسألة خليفته.[٥٩] حتى وقت نياحته كان يجلس في شرفته ويسمع رتب كبيرة في الكنيسة يشتمونه، لكنه لم يرد أبدًا مرة واحدة، مما تسبب في استياء المقربين منه.[٦٠]

لن يكون هذا مهمًّا على أي حال. لقد فات الأوان. على الرغم من أنه ربما أصبح مريضًا وضعيفًا جدًّا، إلا أن الكنيسة قد شُفيت بالفعل من الداخل.

بعد أن تعافى وعاد لفترة وجيزة إلى مهامه لعدة أشهر، مرض البابا كيرلس بالإنفلونزا في الأسبوع الأول من مارس ١٩٧١.[٦١] قال البابا كيرلس بصوته العميق إلى أحد أقاربه الذي كان يزوره في ذلك الوقت "أريد. أريد.." أجاب الزائر "ماذا تريد قداستك؟ سوف نجلبه لك". "أريد... أريد أن أسافر". ظن الزائر أنه يقصد دير مارمينا فأجاب: "لكن الطقس لا يزال شديد البرودة".[٦٢]

تعافى البابا كيرلس بما فيه الكفاية في ٧ مارس حتى أنه، خلافًا لأوامر أطبائه، صلى القداس.[٦٣] ليس لدينا تسجيل لذلك القداس، ولكن لا يمكننا إلا أن نتخيل مشاعر البطريرك المسن. في اليوم التالي استدعى سكرتيره؛ القمص بنيامين كامل، إلى غرفته وطلب منه أن يجلس.[٦٤] قال البابا كيرلس "خلاص يا أبونا".

"يعني إيه يا سيدنا؟" أجاب أبونا بنيامين.

"خلاص، كل شيء انتهى".

قاطعه أبونا بنيامين "متقلش كدا يا سيدنا، ربنا يعطيك الصحة وطول العمر".

قال البابا كيرلس بهدوء "الصحة ما خلاص... العمر! ما انتهى.." قبل أن يتوقف ويضيف: "خلي بالكم من الكنيسة يا أبونا اهتموا بيها... وربنا معاكم ويدبر أموركم". قبل أن يفهم القمص بنيامين الكلمات، مد البابا كيرلس يديه وباركه، وسلمه بعض الدفاتر المهمة التي لم يتركها أبدًا لأي شخص، وأعطاه الصليب ليقبِّله، كعلامة على انتهاء اجتماعهم. ترك القمص بنيامين الغرفة صامتًا.

استيقظ البابا كيرلس يوم الثلاثاء، ٩ مارس، في الساعة الخامسة والنصف صباحًا، وشغل سماعات الصوت وصلى مع الآباء في الكاتدرائية من غرفته.[٦٥] قام الطبيب ميشيل جرس؛ طبيب القلب الذي كان يقيم في البطريركية منذ النوبة القلبية التي تعرض لها البابا كيرلس قبل بضعة أشهر، بفحص البطريرك الضعيف

قبل السماح لأي زائر بالدخول. وباركهم البابا كيرلس واحدًا تلو الآخر، مكررًا: ''الرب يدبر أموركم''. بعد عدة ساعات، جاء البابا كيرلس إلى الباب وسأل ''هل بقي أي أحد من أبنائه يريد رؤيته''.[٦٦] ثم رفع صليبه ونظر إلى كل من حوله وقال مرة أخيرة ''الرب يدبر أموركم''.[٦٧]

عندما أُغلق الباب، أصيب البابا كيرلس فجأة بدوار وسقط. تمكن تلميذه من مساعدته وسنده حتى أصعده على سريره ونادى على الطبيب. وعندما وصل الطبيب بعد دقائق فقط، كان البطريرك الصامت؛ البابا كيرلس السادس قد لفظ أنفاسه الأخيرة الساعة العاشرة والنصف صباحًا.[٦٨] كان البابا كيرلس، على حد قوله، قد سافر.

سُمح للمقربين من البطريرك بدخول غرفته. وجدوه يرتدي ثوبًا داخليًا من قماش خشن يشبه قماش الخيش.[٦٩] غيروا ملابسه وهم يبكون بدموع وألبسوه الثياب البطريركية البيضاء والذهبية التي نادرًا ما كان يلبسها. لم يكونوا قد قاموا بقراءة وصية البابا كيرلس بعد التي هددت بالحرمان الكنسي لأي شخص يتجرأ على تجاهل رغبته في أن ''أُدفن بالملابس التي أرتديها، دون أي شيء آخر''.[٧٠] قال أحد تلاميذه المقربين: ''كانت هذه إرادة الله أن يتم تكريمه في نياحته على الرغم من أنه لم يكرم نفسه خلال حياته''.[٧١] وجدوا على مكتبه مظاريف بأسماء مختلفة: بعضها للأرامل، والبعض الآخر للأبروشيات والأديرة، وعلق أحد تلاميذه ''كان يعرف بالضبط يوم رحيله''.[٧٢] عندما تم فحص الأدراج الخاصة به، تم العثور على رسائل موجهة إلى البابا كيرلس. رسائل مليئة بالتحقير، والسخرية، والإهانة. من الواضح أنها كانت الرسائل الوحيدة التي اعتقد البابا كيرلس أنها تُستحَق الاحتفاظ بها.[٧٣]

انتشر الخبر بسرعة. بدأت الأجراس تدق في جميع أنحاء القاهرة والإسكندرية والأمة بأسرها. وصل وفد من دير مارمينا ومعه نسخة من وصية البابا كيرلس.[٧٤] في اليوم التالي، ١٠ مارس، تم وضع جسده على الكرسي البطريركي في الكاتدرائية، الذي نادرًا ما جلس عليه في حياته. تبارك مئات الآلاف من البطريرك الذي أراد أن يظل

مختبئًا ومجهولاً.[٧٥] رفض سبعة آلاف شخص المغادرة وظلوا في الكاتدرائية تلك الليلة حتى الساعة الخامسة من صباح ١١ يوم مارس. عندما تم تحضير الجثمان للجنازة.[٧٦] وبمجرد قراءة وصيته، أعادوا إلباسه ثوبه الأسود البسيط؛ تم وضع عصا الرعاية البطريركية في يده اليسرى والصليب في يمينه.[٧٧]

وقف الأنبا أنطونيوس؛ مطران سوهاج؛ قائم مقام البطريرك بجوار الجثمان وألقى كلمة التأبين:

> عسير علينا أن نقف لنرثيه، لكن هذه هي إرادة الله... عسير علينا أن نرى للمرة الأخيرة جثمانه الطاهر بيننا في هذه الكاتدرائية العظيمة التي شيدها. كان قلب البابا كيرلس مفتوحًا للجميع، وكان بابه مفتوحًا للفقير قبل الغنى والصغير قبل الكبير. كان يقابل الجميع بترحاب، ويصغي إليهم في أناة وحب، ولا تفارق الابتسامة شفتيه أبدًا. كان رجلاً حقيقيًّا والرجال قليلون. سيسجل التاريخ فضائله التي نادرًا ما تُمنح لأحد، وخاصة تواضعه المذهل الذي رافقه باعتباره ناسكًا متوحدًا. إنه خالد لا يُنسى ولن ننساه. الأمة لن تنساه. لقد رقد على رجاء القيامة.[٧٨]

وبعد ذلك، في الكلمات الموجهة إلى البابا كيرلس وليس إلى المصلين، تطلع الأنبا أنطونيوس إلى جسد القديس:

> نم يا سيدي مستريحا تتبعك أعمالك. أنا سيدي إذا تكلمت قد يخونني لساني، وقد تخونني مشاعري وبغض النظر عما أقوله؛ فمهما قلت لا أوفيك حقك، فقد كنت قديسًا عظيمًا بمعنى الكلمة.[٧٩]

قام المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة بحمل الجثمان وطافوا به في موكب حول المذبح ثلاث مرات قبل وضع الصندوق للراحة تحت الكاتدرائية. في مكان دفن مؤقت كما نصت وصية البابا كيرلس على دفنه في دير مارمينا. استغرق الأمر ما يقرب من عامين لإعداد موقع مناسب.[٨٠] في ذلك الوقت رُسم أحد تلاميذ البابا كيرلس؛ الأنبا شنودة، بطريركًا في ١٤ نوفمبر ١٩٧١. على الرغم من أن البابا شنودة

الثالث قد نُصح من قبل الكثيرين، بما في ذلك بعض أفراد عائلة البابا كيرلس، أن يترك الجسد في سلام، إلا أنه لم يكن يريد أن يتجاهل إرادة أبيه الروحي السابق.[٨١] ففي عشية عيد مارمينا، ٢٢ نوفمبر ١٩٧٢، تم إخراج الصندوق من القبر. لم يكن الأنبا غريغوريوس مندهشًا عندما اكتشف أن الجثة لم تتحلل على الإطلاق.[٨٢] في اليوم التالي تم نقل الصندوق إلى دير مارمينا. اشتعلت الصحافة بأخبار أحداث أرصاد جوية غير عادية في ذلك اليوم: برق غير مسبوق وأمطار غزيرة في القاهرة (وهو أمر نادر في ذلك الوقت من العام)، والعكس عند وصولهم إلى مريوط.[٨٣] علق البابا شنودة قائلاً: "لا أعرف، كيف ستستقبل روح البابا كيرلس السادس روح مارمينا، بأي طريقة سيستقبلان بعضهما البعض؟" قبل أن يضيف ببهجة لطيفة "لم يحب أحدًا في حياته كما أحب مارمينا".[٨٤]

بعد صلاة الغروب، تم أخيرًا وضع جسد البطريرك المتوحد للراحة في ذلك المكان الذي كان يشتاق إليه منذ عام ١٩٣٦؛ مكان الوحدة حيث يمكن أن يكون مختبئًا في الله. لقد حاول قدر استطاعته، ولكن الحياة المختبئة في الله قد أُظهرت الآن.

إن العمل الذي بدأ في مغارة في دير البرموس، وتعمقت جذوره في طاحونة الهواء، وشع في كنيسة مارمينا المتواضعة في مصر القديمة، سينتهي في النهاية، بعد بضعة عقود فقط، إلى تحول كنيسة بأكملها. تم اختطاف البطريرك السابق للبابا كيرلس وعزله، وتُركت الكنيسة دون قائد لما يقرب من أربع سنوات. الحال الآن هو العكس: أعيد إحياء الأديرة التي كانت متداعية وعلى وشك الإغلاق، وصارت رموزًا للقداسة. كان رجال الكهنوت في يوم من الأيام أميين وفاسدين وغير فاعلين؛ أصبحوا الآن من خريجي الكلية الإكليريكية ومتعلمين تعليما لاهوتيًا، وحولوا الأبروشيات إلى مراكز للنهضة والشفاء، وأصبحت رتبة الأسقفية، التي كانت في يوم من الأيام مسكن السيمونية المهين، نورًا للكنيسة كقيادة نبوية. لقد أنجبت القداسة القداسة. قال الأنبا أنطونيوس؛ مطران سوهاج في الجنازة: كان البابا كيرلس "قديسًا بمعنى

الكلمة". قبل تقديسه بفترة طويلة، أعلنته الكنيسة قديسًا. وبالنسبة للكثيرين، كان هذا هو الحال حتى قبل نياحته.

تعرضت الكنيسة لمأساة أخرى في منتصف عام ١٩٨١، بعد عقد من نياحة البابا كيرلس. فقد اتجه أنور السادات؛ رئيس مصر الجديد، إلى الإسلام السياسي في محاولة لترسيخ سلطته. تم إطلاق سراح العديد من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وتم تمويل الجماعات الإسلامية، وإعلاء شأن منابر الوعظ في المساجد، والتسامح مع الأيديولوجيات المتطرفة، ومن أجل تقديم نفسه على أنه "الرئيس الورع" أطلق السادات العنان لقوى لا يمكن التنبؤ بها في اتجاه الانقسام الطائفي الهش دائمًا. تم تفجير الكنائس وتدمير المحال التجارية التي يملكها المسيحيون وذبْح المسيحيين وتعديل الدستور ليصبح قريبًا من الشريعة الإسلامية. لم يستطع البابا شنودة أن يسكت. كانت مصر في حالة اضطراب. رد السادات في ٣ سبتمبر ١٩٨١ بسجن حوالي ثمانية أساقفة وأربعة وعشرين قسًّا وعشرات من الأقباط البارزين مع مجموعة كبيرة من الشخصيات الإسلامية والسياسية. وبعد يومين قام السادات بوضع البابا شنودة الثالث تحت "الإقامة الجبرية" في دير الأنبا بيشوي، حيث مكث أكثر من ثلاث سنوات، وعين مكانه لجنة من خمسة أساقفة.

تم سجن الكهنة في اثنتي عشرة زنزانة، كل اثنين منهم في زنزانة. وفي رواية غير معروفة لأحد هؤلاء الكهنة؛ أبونا إبراهيم عبده، تحافظ هذه الرواية على أكثر الأحداث غرابة أثناء سجنهم. لم يكونوا يملكون شيئًا إلا أن يلجؤوا إلى مراحم الله، فوافق كل منهما على عمل المطانيات مرددين كيري إليسون (يا رب ارحم) أربعمائة مرة كل يوم. يتذكر أبونا إبراهيم:

> هذا التاريخ الذي أسجله لأبنائنا وأطفالنا، حتى يعرفوا قوة كنيستهم وما يمكن أن تفعله روحانية كنيستهم. في ذلك اليوم الثاني والثلاثين من تاريخ دخولنا السجن، في يوم ٥ أكتوبر، كنا نقف في الساعة الثالثة عصرًا نصلي صلاة الساعة التاسعة من صلوات الأجبية. نظرنا وإذ بنا نرى البابا كيرلس السادس يدخل

> زنزانتنا، وكنت مع كاهن آخر. كان البابا كيرلس واقفًا يعلو فوق الأرض قليلاً، وفي يده صليب. رأيناه تمامًا كما تروني الآن. ليس حلم أو رؤية. لم نكن نائمين. قلت لكم كنا في الثالثة عصرًا نصلي صلاة الساعة التاسعة. وبابتسامة عريضة قال البابا كيرلس "لا تخافوا. تم حل المسألة" واختفى. وفي وسط الصلوات وضعت فمي في فتحة الزنزانة وصرخت، "أيها الأقباط! سأخبركم بأخبار سارة؟" أجابوا، "ماذا؟ ما الأمر يا أبونا؟" قلت لهم، "نحن سنغادر السجن اليوم!" "كيف علمت بذلك؟!" قلت، "كان البابا كيرلس هنا حالاً وقال: 'لا تخافوا. تم حل المسألة'. لذلك، نحن سنخرج اليوم!" ثم وجدت أبونا تادرس يعقوب، كنت في الزنزانة السادسة عشرة وكان هو في الزنزانة السابعة عشرة مع أب آخر قائلاً: "حسنًا، بما أن أبونا إبراهيم قد قال هذا، إذن البابا كيرلس يريدني أن أقول أيضًا؛ لقد جاء إلينا في زنزانتنا أيضًا وقال الكلمات نفسها، 'لا تخافوا. تم حل المسألة' وأشياء أخرى كثيرة لن أفصح عنها".[٨٥]

اغتيل السادات في اليوم التالي، ٦ أكتوبر ١٩٨١، من سخرية القدر، على يد متطرف من الجماعات الإسلامية، حين كان في موكب احتفال سنوي بنصر أكتوبر. عندما نقل المأمور الخبر إلى الكهنة المسجونين، لم يفجؤوا على الإطلاق.

قد تبدو هذه القصة، بطبيعة الحال، لا تصدق بالنسبة للبعض. سألت أبونا تادرس يعقوب ملطي، الذي أعرفه جيدًا، والذي كان، حسب رواية الأحداث، في الزنزانة التالية للأب إبراهيم عبده، هل هذه الأحداث قد حدثت بالفعل؟ كان رده في البداية حذرًا.[٨٦] أبونا تادرس، الرجل الذي لا غبار عليه من ناحية النزاهة والصدق (وربما أكثر العلماء الأقباط إنتاجًا في جيله)، رفض لمدة ستين سنة التحدث عن نفسه. وأضاف أبونا تادرس بتردد: "بالنسبة لي، لا أتذكر التفاصيل، لكني أتذكر أن البابا كيرلس كشف لنا أننا سنخرج من السجن ولن يضرنا شيء". لقد ضغطت عليه للحصول على مزيد من التفاصيل. أجاب: "لا أتذكر التفاصيل، لأنني غير مهتم بهذه الأمور". عندما ضغطت عليه مرة أخرى قائلاً إنني أفضل عدم إعادة إنتاج رواية أبونا إبراهيم لئلا تكون مبالغ فيها أو غير دقيقة، اعترف أبونا تادرس أخيرًا،

"هذه الأحداث صحيحة ويجب كتابتها".[87] أما بالنسبة لتعليق أبونا تادرس الأخير في الرواية أعلاه أن البابا كيرلس قال لهم "الكثير من الأشياء الأخرى التي لن أفصح عنها" لم أستطيع أن أتجرأ واسأله عنا.

حتى بعد نياحته، عاش البابا كيرلس كلماته الأخيرة: "خدوا بالكم من الكنيسة". في أكثر اللحظات ضعفًا في تاريخ الكنيسة القبطية في عام ١٩٨١، بعد إطلاق العنان للتطرف الإسلامي، وعزل البابا شنودة الثالث، ونمو الانقسامات الطائفية العميقة، مرة أخرى يتدخل البابا كيرلس بصورة سرية روحية. لا تكشف هذه الرواية عن أحداث سبتمبر ١٩٨١، التي أعتبرها بلا شائبة، فقط عن أن البابا كيرلس كان بالفعل قديسًا، ولكن أنه حتى بعد نياحته، كان همه الوحيد هو أن يفي بوعده. وها هو يستمر في فعل الشيء نفسه حتى الآن لعشرات الملايين حول العالم، مع ظهور عدد كبير من معجزاته بعد نياحته كل عدة سنوات. لذلك، لا يسعني إلا أن أتذكر رؤية البابا كيرلس في عام ١٩٤٢ عندما تسلم عصا الرعاية الباباوية المكسورة من يد البابا يؤانس التاسع عشر. تلك العصا المكسورة، التي ترمز إلى الكنيسة المكسورة والمهشمة والتي تنزف بغزارة التي وُضعت في يدي البابا كيرلس؛ وفي خلال اثني عشر عامًا قصيرة، تم إصلاحها وشفاؤها بطرق لن نستطيع حقًّا فهمها. سلم البابا كيرلس تلك العصا (الكنيسة) وقد شُفيت وامتلأت بالنور والحياة إلى خلفائه. لكن بالنسبة لعشرات الملايين من الأقباط (والمسلمين)، لم تترك يده أبدًا - ولو للحظة - العصا البابوية الأبوية نفسها.

كانت حياة البابا كيرلس حياة مميزة جدًّا؛ حياة تتجاوز الموت. لم يكن هناك في تاريخ المسيحية الطويل والغني والعميق سوى عدد قليل من قصص الإصلاح والشفاء الكنسي التي يمكن أن تكون بصدق جميلة وثورية ومغيرة مثل هذه القصة.

الحواشي

١ أبونا رفائيل آفامينا، ثمار المحبة، صـ ٧-٨؛ وكذلك تسجيله الصوتي "مذكراتي".

2 Laura M. James, *Nasser at War: Arab Images of the Enemy* (New York: Palgrave Macmillan, 2006), 102.

3 Vatikiotis, *The History of Egypt*, 406.

4 McDermott, *Egypt from Nasser to Mubarak*, 10.

5 Vatikiotis, *The History of Egypt*, 406–7.

6 Eric Rouleau, *Middle East Record*, 1967, 554; cited in McDermott, *Egypt from Nasser to Mubarak*, 34–35.

٧ للاطلاع على روايات زيارة كيرلس لناصر، انظر، زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٨٢-٨٣؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٥٨. فوزي، والبابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٧٤-٧٥.

8 Nasser, *Nasser: My Husband*, 96–97.

تتذكر زوجة عبد الناصر أنه لم يكن على ما يرام ولذلك تناول المسكنات قبل النوم. بحلول صباح اليوم التالي كان قد غير رأيه. اقترح البعض أنها كانت مجرد "خطوة تكتيكية". انظر،

McDermott, *Egypt from Nasser to Mubarak*, 10.

٩ لمناقشة دور عبد الناصر ومسؤوليته في فشل الحرب، انظر،

Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 255–60.

10 Cited in ibid., 319–20.

١١ من جهة اتُهم الأقباط بالتجسس والتعاطف مع دولة إسرائيل؛ فقد كانوا، بعد كل شيء، أعضاء في مجلس الكنائس العالمي، الذي أيد تأسيس إسرائيل، ومن ناحية أخرى، وقف البابا كيرلس علنًا، جنبًا إلى جنب مع عبد الناصر، وتماشيًا مع كنائس الشرق الأوسط الأخرى، في رفض احتلال القدس، التي يُنظر إليها على أنها إمبريالية صهيونية غربية مستمرة لم تؤد إلا إلى تقسيم المنطقة، بالإضافة إلى معارضة *Nostra aetate* التي للفاتيكان بصورة واضحة. في أغسطس ١٩٦٧، ألغى البابا كيرلس الحج السنوي خلال عيد القديسة مريم احتجاجًا على هذا الإعلان الأخير، كما أرسل الأنبا صموئيل لشرح المنظور العربي المسيحي في جميع أنحاء مصر. انظر: فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٧٥. جاءت تبرئة الفاتيكان للأمة اليهودية في صلب المسيح في وقت حساس للغاية بالنسبة للكنيسة القبطية وصعود القومية العربية، وتهجير المسيحيين العرب في فلسطين، ونقل الأماكن المقدسة إلى سلطة إسرائيل، والمشكلة الدائمة بخصوص دير السلطان، وهكذا، يحتاج المرء إلى قراءة جميع التصريحات من البطريركية في هذه السنوات في إطار هذا السياق لدولة في حالة حرب. علينا أيضًا أن نضع في اعتبارنا - كما كرر ذلك أمثال أبونا تادرس يعقوب ملطي، أننا لا نستطيع أن نقول ما يجب أن نثق به من هذه التصريحات المتعلقة بإسرائيل في الصحف ووسائل الإعلام التي يسيطر عليها عبد الناصر. لمنظورات متعددة، انظر،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 84; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 136; Watson, *Among the Copts*, 131.

لمناقشة مواقف الكنائس المسيحية (بما في ذلك غير الأرثوذكسية) بعد حرب الأيام الستة، انظر،

Paul Charles Merkley, *Christian Attitudes to the State of Israel* (Montreal: McGill-Queen's University Press, 2001), 37–43.

وفي هذا السياق أيضًا، لمعرفة حساسيات تلك الفترة، انظر رواية راهب مخز يسمى أرمانيوس، الذي نشر في عام ١٩٦٠ رسالة مزورة من البابا كيرلس إلى بن جوريون، رئيس وزراء إسرائيل، في محاولة لدق إسفين بين عبد الناصر والبابا كيرلس. انظر، فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٩٤-١٢٥.

١٢ مكاري، "صراع وتعاون"، صـ ٩٥.

[13] For instance, see Cynthia Nelson, "The Virgin of Zeitoun," *Worldview* 16, no. 9 (1973): 10.

[14] Heardon, "Lessons from Zeitoun," 410.

[15] شيدت الكنيسة عام ١٩٢٥ على يد خليل إبراهيم باشا لعائلته،

Meinardus, *Two Thousand Years*, 201.

[16] Cited from his testimony in major newspapers by Cynthia Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 5.

للاطلاع على تقرير آخر، انظر، عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣٦؛ فايق اسحق، "ظهور العذراء مريم"، الموسوعة القبطية تحرير عزيز سوريال عطية، م، ٢٣٠٨ ب - ٢٣١٠ أ؛ إيريس حبيب المصري؛ مؤرخة قبطية، شاهدت الظهور بنفسها، انظر،

al-Masri, *True Story of Christianity in Egypt*, 2:447–48.

[17] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢٢:٢ - ٢٣.

[18] Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 5.

[19] Heardon, "Lessons from Zeitoun," 415.

[20] Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 6.

[21] See Heardon, "Lessons from Zeitoun," 415.

[22] Ibid.; van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 153.

[23] Cited in Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 6.

لقراءة المرسوم بأكمله (الذي غاب عن الترجمة الإنجليزية)، انظر عطا وأبونا رافائيل آفامينا، "مذكراتي عن حياة البابا كيرلس"، صـ ٧٦، فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٨٠-٨٢.

[24] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، صـ ٧٨؛

Sundkler and Steed, *A History of the Church in Africa*, 924–25.

المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧:٥٣؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٠١. نصر، على سبيل المثال، يذكر أن الأنبا شنودة قال إن عبد الناصر مكث طوال الليل لرؤية الظهور لأنه أيضًا، مثل مصر، كان بحاجة إلى الراحة بعد الحرب. ومن المثير للاهتمام، تقول فوال إنها بحثت في أرشيف الأهرام عن إشارة إلى أن عبد الناصر زار الزيتون لكنها لم تجد شيئًا، لكنها اعترفت بأنه تم تأكيد ذلك لها (على الرغم من أنها لم تذكر التفاصيل) أثناء فحصها للميكروفيلم؛ كان الأمر معروفًا، وإن لم يكن موثقًا. انظر،

Voile, *Les Coptes d'Égypte*, 229.

[25] Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 8; van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 232.

[26] Watson, *Among the Copts*, 62.

[27] McDermott, *Egypt from Nasser to Mubarak*, 183.

[28] يدعي نلسون أن الأنبا صموئيل قال الرأي الأول هذا بعد المؤتمر الصحفي في ٤ مايو. انظر،

Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 6. For the other interpretations, see Sundkler and Steed, *A History of the Church in Africa*, 925;

عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٣٦؛ أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٣٦؛

van Doorn-Harder, *Modern Coptic Papacy*, 153; van Doorn-Harder, "Practical and Mystical," 153.

إحدى الروايات المهمة والرمزية هي قصة حاج مسلم عاش على طول الطريق الذي سلكه العديد من الحجاج المسيحيين إلى الكنيسة؛ كان يصرخ عليهم، حتى أنه كان يرشقهم بالحجارة، إلى أن ظهرت له القديسة العذراء مريم، وعند هذه النقطة رسم منزله بالصلبان البيضاء، وإن كان، على ما يبدو، بقي مسلمًا. انظر،

Ronald Bullivant, "The Visions of the mother of God at Zeitun," *Eastern Churches Review* 3 (1970–1971): 76.

[29] لاحقًا، يلاحظ نيلسون أن الظهور سيأخذ معانٍ وأغراض أخرى، مثل "تحول" المسلمين إلى المسيحية.

Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 10.

[30] Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 221–23.

[31] Heardon, "Lessons from Zeitoun," 416; Voile, *Les Coptes d'Égypte,* 220; Meinardus, *Christian Egypt: Faith and Life*, 264–69.

[32] Nelson, "The Virgin of Zeitoun," 10–11.

[33] Ibid., 11.

[34] Ibid.

٣٥ خليل، "مقابلة مع البابا كيرلس". كما استشهد بالمقابلة، والأهم من ذلك، أبونا رافائيل آفامينا. انظر أبونا رافائيل آفامينا، مذكراتي: الجزء الثاني، صـ ٢٢-٢٥.

٣٦ خليل، "مقابلة مع البابا كيرلس".

٣٧ المرجع السابق.

٣٨ المرجع السابق. ومما يثير الاهتمام أيضًا سرد استقبال رفات القديس مارمرقس من الفاتيكان عندما ظهرت رؤية الحمام (التي نادرًا ما تطير في الليل). وقد تسبب هذا في قيام المطران وأبونا رافائيل بالاندفاع للخروج من سيارتهما ورؤية هذا المشهد؛ استدارا ووجدا البابا كيرلس في السيارة، غير منزعج تمامًا، وغير مهتم، وليس لديه على الأقل أي رغبة في "رؤية هذا المشهد". انظر أبونا رافائيل آفامينا "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

[39] Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 303–4.

٤٠ مقتبس في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٨٥.

٤١ لم تكن هذه بالطبع جنازة، بل كانت مجرد طاعة لصلوات الليتورجيا التي تأمر بالصلاة من أجل رئيس البلاد.

[42] Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, 361.

٤٣ للحصول على تقييم عادل لرئاسة عبد الناصر، انظر،

ibid., 348–64.

٤٤ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٣.

[45] Rapp, *Holy Bishops*, 296.

[46] Ward, *Sayings of the Desert Fathers*, 68, 18, 42, 101–4.

٤٧ لمعرفة تاريخ إصابته بالذبحة الصدرية، انظر المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٧١.

٤٨ ومن اللافت للنظر، أنه أحد الموضوعات الأخيرة في عظة مار إسحق المفضلة لدى البابا كيرلس. انظر،

Isaac the Syrian, *Ascetical Homilies* 64.458; Alfeyev, *World of Isaac the Syrian,* 74.

٤٩ لمناقشة رائعة حول هذه الفكرة انظر،

David Bentley Hart, *The Hidden and the Manifest: Essays in Theology and Metaphysics* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2017), 253.

على سبيل المثال، "الوصية القديمة؛ تذكرة الموت *memento mori* التي همسها عبد في أذن جنرال منتصر في عربته الحربية المنتصرة أو من راهب في قلبه في عزلة قلايته، كثيرًا ما تُترجم على أنها 'تذكر أنك بشر فان'، الذي قد يكون مطابقًا للقوة الخاصة للعبارة؛ لكن المعنى الحرفي للأمر بالطبع هو 'تذكر أن تموت' ".

٥٠ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢١؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٤٥. ينص الأصل العربي على أنه كان هناك "عدد قليل جدًا" من الحضور، في حين ذكرت الإنجليزية أنه "لم يكن هناك أحد".

٥١ عدلي، مذكرات أبونا ميخائيل داود، صـ ٣٦. انظر أيضاً المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٧: ٧١.

٥٢ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٣.

٥٣ المرجع السابق.

٥٤ المرجع السابق، صـ ٤٢.

[٥٥] في مناسبة أخرى، كان البابا كيرلس مطيعًا جدًّا لفريقه الطبي، حتى عندما كان ذلك على حساب جسده؛ على سبيل المثال، راجع النظام الغذائي الخاص الذي أدى إلى فقدان شديد للعضلات، في أبونا رافائيل آفامينا "مذكراتي"، تسجيل صوتي.

[٥٦] مجهول، "مرض البابا كيرلس: بيان من البطريركية"، الأهرام، ٢٤ أكتوبر ١٩٧٠.

[٥٧] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٢٣.

[٥٨] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، مذكرات عن حياة البابا كيرلس، صـ ٥١. هذا مفقود في الترجمة الإنجليزية.

[٥٩] أسقف مجهول، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس".

[60] Yostos, "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI."

[٦١] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٣٩٧.

[٦٢] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٣.

[٦٣] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٣٩٧.

[٦٤] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٧٧؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٣.

[٦٥] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٣٩٧.

[٦٦] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٤-٤٥.

[٦٧] المرجع السابق.

[٦٨] فوزي، البابا كيرلس وعبد الناصر، ١٥٦-٥٧؛ نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ١٧٨؛ حبيب بين الآباء، صـ ٨؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢:٣٩٨.

[٦٩] أبونا لوقا سيداروس، محاضرات عن البابا كيرلس، محاضرة ١.

[٧٠] "وصية البابا كيرلس السادس" مذكور في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٤٧٨.

[٧١] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٥.

[٧٢] المرجع السابق. صـ ٤٣.

[٧٣] أبونا رافائيل آفامينا، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس السادس".

[٧٤] الوصية: "أنا الموقع أدناه، بتوقيعي وختمي وخطي، المدعو بحمد الله، كيرلس السادس، أطلب ما يلي: ١. الخمسين فدانًا في صحراء مريوط وجميع المساكن فيها هي ملك لدير مارمينا العجايبي ٢. قطعة أرض السيوف بالإسكندرية. ٣. العقار في كينج مريوط. ٤. الممتلكات في محرم بك؛ ٥. جميع الممتلكات والأراضي والكنيسة في مصر القديمة. كل هذه ملك لدير مارمينا. كما أطلب بعد رحيلي ووفاتي دفن جسدي في القبر تحت كنيسة الدير في مريوط. وأن أدفن بالملابس التي أرتديها في ذلك الوقت دون حاجة إلى أي شيء آخر. كل من يرى هذه الوصية ولا ينفذها يتم حرمانه... توقيع البابا كيرلس". مقتبس في زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٤٧٨.

[٧٥] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٥.

[٧٦] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٣٩٩.

[٧٧] المرجع السابق؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٥.

[٧٨] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٤٠١-٤٠٢.

[٧٩] المرجع السابق. ٤٠٣.

[٨٠] عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٦.

[٨١] زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢:٤٧٨.

[٨٢] الأنبا غريغوريوس، "مقابلة حول رفات البابا كيرلس السادس"، تسجيل صوتي (غير مؤرخ).

[٨٣] نصر، قراءات في حياة أبونا مينا، صـ ٢٠١؛ أبونا رافائيل آفامينا، قيادة روحية، صـ ٢٦؛ عطا وأبونا رافائيل آفامينا، حياة البابا كيرلس، صـ ٤٦؛ زقلمة، البابا كيرلس السادس، ٢: ٤٧٣.

[٨٤] البابا شنودة الثالث، "عظة في الذكرى العاشرة لنياحة البابا كيرلس السادس". انظر أيضًا المصري، القصة الحقيقية للمسيحية في مصر، ٢: ٤٥٢.

[85] أبونا إبراهيم عبده، مذكراتي ١٩٨١، تسجيل صوتي (غير معروف التاريخ). استنادًا إلى زكي شنودة، "زراعة الغموض"، ٢٥٤ - ٢٥٥.
[86] أبونا تادرس يعقوب ملطي، "مقابلة حول حياة البابا كيرلس: الجزء الثاني".
[87] المرجع السابق.

الجدول الزمني

السنة	التاريخ	الحدث
١٩٠٢	٢ أغسطس	ولادة عازر يوسف عطا (البابا كيرلس السادس) في دمنهور
١٩٠٦	قبل أغسطس	نبوءة أبونا تادرس البرموسي: "هو من نصيبنا"
	١٣ يونيو	حادثة دنشواي
١٩١٠		انتقال العائلة إلى الإسكندرية
١٩١٢		وفاة إستير؛ والدة عازر
١٩١٩	٩ مارس	ثورة ١٩١٩
	١٣ أكتوبر	ولادة وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس)
	١٩ ديسمبر	ولادة يوسف إسكندر (أبونا متى المسكين)
١٩٢٠	يوليو	أنهى عازر دراسته الثانوية وانضم إلى شركة توماس كوك
	٨ ديسمبر	ولادة سعد عزيز (الأنبا صموئيل)
١٩٢٢	٢٢ فبراير	إعلان استقلال مصر عن بريطانيا
١٩٢٣	٣ أغسطس	ولادة نظير جيد (البابا شنودة الثالث)
١٩٢٧	٢٧ يوليو	عازر يدخل دير البرموس
	٧ أغسطس	وفاة البابا كيرلس الخامس
١٩٢٨	٩ فبراير	العدد الأول من مجلة ميناء الخلاص
	٢٥ فبراير	عازر (الراهب مينا البرموسي)
	مارس	حسن البنا يشكّل جماعة الإخوان المسلمين
	١٦ ديسمبر	رسامة البابا يؤانس التاسع عشر
١٩٣١	١٨ يوليو	رسامة الراهب مينا كاهنًا
		يبدأ دراسته بكلية حلوان اللاهوتية

١٩٣٣	مبكرًا	يحاول البابا يؤانس التاسع عشر رسم أبونا مينا المتوحد أسقفًا
		أبونا مينا المتوحد يهرب إلى دير الأنبا شنودة رئيس المتوحدين
	قبل أغسطس	أبونا مينا المتوحد يعود إلى دير البرموس
١٩٣٤	يناير	أبونا مينا المتوحد يبدأ حياة الوحدة ويسكن مغارة في دير البرموس
١٩٣٥	١٥ مارس	نياحة أبونا عبد المسيح المسعودي
١٩٣٦	٤ أبريل	أبونا مينا المتوحد يترك حياة الوحدة ويرافق سبعة رهبان مطرودين إلى القاهرة
	٢٣ يونيو	أبونا مينا المتوحد يسكن طاحونة الهواء في المقطم في ضواحي القاهرة
	متأخر	أول تسجيل "لمعجزة شفاء"
١٩٣٧	فبراير	الرفض الأول لطلب الانتقال إلى دير مارمينا بمريوط
١٩٤١	٢٨ أكتوبر	طردته مصلحة الآثار العربية من الطاحونة لأول مرة
		يعيش بين كنائس مصر القديمة
		وفاة يوسف عطا والد أبونا مينا
١٩٤٢	٤ فبراير	"إذلال الملك فاروق"
	٢١ يونيو	وفاة البابا يؤانس التاسع عشر
	٣١ يوليو	رؤية أبونا مينا لـ "عصا الرعاية"
١٩٤٣	٢٨ يونيو	أول مرة يُلقب باسم "المتوحد"
	ديسمبر	عُيِّن رئيسًا لدير القديس صموئيل
١٩٤٤	١٩ فبراير	رسامة البابا مكاريوس الثالث
١٩٤٥	٢٥ فبراير	أبونا مينا المتوحد أب اعتراف لدير أبو سيفين
	١٦ مارس	ترقيته إلى رتبة القمصية بيد الأنبا أثناسيوس

	منتصف	يترك دير القديس الأنبا صموئيل
		يعود إلى طاحونة الهواء. طرده البريطانيون بعد بضعة أشهر
		أبونا مينا يعيش مرة أخرى بين كنائس مصر القديمة
	٣١ أغسطس	نياحة البابا مكاريوس الثالث
	٢ سبتمبر	انتهاء الحرب العالمية الثانية
١٩٤٦	١٢ يونيو	رسامة البابا يوساب الثاني
١٩٤٧	سبتمبر	أنشأ أبونا مينا كنيسة مارمينا في مصر القديمة
١٩٤٨		بناء بيت لطلبة الجامعة بجوار كنيسة مارمينا مصر القديمة
	١٤ أبريل	رسامة سعد عزيز باسم الراهب مكاري الصموئيلي
	٣٠ مايو	رسامة وهيب زكي باسم أبونا صليب سوريال
	١٠ أغسطس	رسامة يوسف إسكندر باسم الراهب متى الصموئيلي
١٩٤٩	٢٣ يناير	البابا يوساب الثاني يرسم الأنبا يؤانس أسقفًا للجيزة
	٢٦ يناير	البابا يوساب الثاني يحاول إخراج أبونا مينا من القاهرة
	١٢ فبراير	مقتل حسن البنا (مؤسس جماعة الإخوان المسلمين)
١٩٥١	٢١ أغسطس	نياحة حبيب جرجس
١٩٥٢	٢٣ يوليو	ثورة الضباط الأحرار
١٩٥٤	١٨ يوليو	رسامة نظير جيد باسم الراهب أنطونيوس السرياني
	٢٤ يوليو	اختطاف البابا يوساب الثاني
١٩٥٥	٢٧ سبتمبر	عزل البابا يوساب ونفيه إلى دير المحرق

١٩٥٦	٢٣ يناير	جمال عبد الناصر رئيسًا لمصر
	٢٠ يوليو	أبونا متى المسكين يغادر دير السريان
	١٣ نوفمبر	نياحة البابا يوساب الثاني
١٩٥٩	١٠ مايو	رسامة أبونا مينا المتوحد باسم البابا كيرلس السادس
	٢٢ يونيو	تكريس دير مارمينا في مريوط
	٢٩ يونيو	منح الكنيسة الإثيوبية الاستقلال الذاتي
	١٢ أكتوبر	البابا كيرلس يزور الرئيس عبد الناصر لأول مرة
	٢٧ نوفمبر	وضع حجر الأساس لدير مارمينا
١٩٦٠	٢٧ يناير	يطلب من أبونا متى المسكين العودة إلى دير السريان
	٢٠ أغسطس	يصدر قرارات بعودة الرهبان إلى أديرتهم
	١٧ أكتوبر	أبونا متى المسكين (وتلاميذه الرهبان) "محرومون"
	٢٦ أكتوبر	أول جولة رعوية للبابا كيرلس في إثيوبيا
١٩٦٢	٩ سبتمبر	رسامة مكاريوس السرياني باسم الأنبا أثناسيوس أسقف بني سويف
	١٦ سبتمبر	رسامة وهيب عطا الله باسم الراهب باخوم المحرقي
	٣٠ سبتمبر	رسامة الأنبا شنودة والأنبا صموئيل "الأساقفة العموميين".
	٢٥ أكتوبر	عودة الراهب باخوم إلى الكلية الإكليريكية
١٩٦٣	١١ فبراير	نياحة الأنبا يؤانس مطران الجيزة
	٣١ مارس	رسامة أبونا متياس السرياني باسم الأنبا دوماديوس أسقف الجيزة
١٩٦٤	مارس	خلافات المجلس الملي مع البابا كيرلس

١٩٦٥	١٣ يناير	يترأس المؤتمر الأرثوذكسي الشرقي الافتتاحي في إثيوبيا
	٢٥ أبريل	يصلي القداس مع "السواح" في دير مارمينا
	٩ مايو	يزور الرئيس عبد الناصر
	٢٤ يوليو	وضع حجر الأساس لكاتدرائية القديس مارمرقس الجديدة
١٩٦٦	٧ يناير	يحتفل بالقداس مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية في القاهرة
	أبريل	البابا كيرلس "يوقف" عاصفة رملية في دير مارمينا
١٩٦٧	٢١ أبريل	المجلس الملي يتسبب في عجز مالي حاد للبطريركية
	١٠ مايو	البابا كيرلس يلتقي عبد الناصر بخصوص المجلس الملي
		رسامة الراهب باخوم باسم الأنبا غريغوريوس
	٥ يونيو	حرب الأيام الستة مع إسرائيل
	٨ أكتوبر	البابا كيرلس يوقف الأنبا شنودة
١٩٦٨	٢ أبريل	ظهور القديسة العذراء مريم بالزيتون
	٢٣ يونيو	استقبال رفات القديس مارمرقس من الفاتيكان
	٢٥ يونيو	البابا كيرلس يعيد الأنبا شنودة من الدير
		تدشين كاتدرائية القديس مارمرقس
١٩٦٩	٩ مايو	البابا كيرلس يتصالح مع أبونا متى المسكين
١٩٧٠	٥ مايو	آخر زيارة لدير مارمينا
	٢٨ سبتمبر	وفاة الرئيس جمال عبد الناصر
	٢٤ أكتوبر	البابا كيرلس يعاني من نوبة قلبية ويقتصر على الراحة في الفراش
١٩٧١	٧ مارس	البابا كيرلس يصلي آخر قداس له

	٩ مارس	نياحة البابا كيرلس السادس
	١٤ نوفمبر	رسامة البابا شنودة الثالث
١٩٧٢	٢٢ نوفمبر	نقل جسد البابا كيرلس إلى دير مارمينا في مريوط

ملاحظة على المصادر

خلال بحثي، اكتشفت ثروة من المصادر الأولية. جاءت هذه المواد في الغالب من دير مارمينا في الصحراء الغربية، ودير القديس صموئيل في جبل القلمون، والمحفوظات البطريركية في القاهرة، وعائلة البابا كيرلس السادس، وقد حصلت أيضًا على مواد بحوزة أصدقاء وتلاميذ البابا كيرلس. تم العثور من حين لآخر على نسخ مكررة من هذه المواد في مواقع مختلفة. تشمل الوثائق مذكرات السيرة الذاتية، والرسائل، والمراسيم، والبيانات، والصلاة، ومذكرات موجزة. تم تقييم هذه المواد من خلال منهجيات راسخة للطرق التاريخية لفحص / نقد المصدر بالإضافة إلى تحليل السيرة الذاتية الحديث. يوجد أدناه وصف مختار للمصادر الأولية المكتشفة، والتي قمت بقصرها هنا (من أجل المساحة) على المذكرات والخطابات والمراسيم والبيانات التي تم العثور عليها كمجموعات رئيسة. آمل أن أنشر مجموعة محررة من بعض الرسائل والوثائق كمجلد ثانٍ في المستقبل، وعند هذه النقطة سيظهر كتالوج جميع المصادر الأولية المكتشفة بالكامل. من أجل الإيجاز، تم استخدام التصنيف التالي لتجميع المجموعات الرئيسة حسب مكان اكتشافها.

تم العثور على المجموعة الأولى من المجموعات الرئيسة، والتي تتكون مما يقرب من مائة رسالة، في منزل عائلة البابا كيرلس في الإسكندرية، والذي احتفظ به مرقس حنا يوسف عطا. يُعرف أيضًا باسم "رضا"، وهو ابن شقيق البابا كيرلس السادس وابن كاتب سيرته الذاتية حنا يوسف عطا (١٨٩٥-١٩٧٦). تم اكتشاف هذه المجموعة في جزأين: الأول في ٢٠١٥، مجموعة رضا، الجزء الأول؛ والثاني سنة ٢٠١٦ مجموعة رضا الجزء الثاني. هذه الرسائل، ومعظمها ذات طابع شخصي، تم نقلها مباشرة من والد رضا، حنا، الذي تلقى هذه الرسائل من البابا كيرلس. تعود الرسائل من يناير ١٩٢٩ إلى يناير ١٩٦٥ - بما في ذلك أقدم رسالة معروفة من يد البابا كِيرلس. كما ذكر رضا أن

والده أتلف بعض الخطابات ذات الطبيعة الحساسة. وتجدر الإشارة إلى أن الأسرة طلبت أن يكون محتوى بعض هذه الرسائل (يتعلق في الغالب بشؤون عائلية غير ذات صلة) سريًّا، وهو طلب احترمته على النحو الواجب. كان من المقرر هدم المبنى السكني لمنزل عائلة البابا كيرلس، الذي تم العثور فيه على هذه الخطابات، بعد شهر واحد فقط أو نحو ذلك من زيارتي في عام ٢٠١٦، وبالتالي لا يسعني إلا أن أعبر عن شكره لأنه تم اكتشاف الرسائل قبل حدوث ذلك.

المجموعة الثانية؛ مجموعة دير القديس الأنبا صموئيل، محفوظة في دير القديس الأنبا صموئيل في جبل القلمون، حيث كان البابا كيرلس رئيسًا للدير. تم العثور على حوالي خمسين رسالة، يعود تاريخها بشكل أساسي إلى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، مدفونة ضمن مئات الوثائق الأخرى في قلاية البابا كيرلس الأصلية (حينها أبونا مينا) في الدير، وتركت كل هذه الوثائق مكشوفة لعوامل الطبيعة الموجودة في ركن مقفل، في غرفة مجاورة. تضمنت هذه المجموعة أيضًا العديد من الوثائق التاريخية التي تصف حالة الدير وشؤونه قبل أن يصبح البابا كيرلس رئيسًا للدير في منتصف الأربعينيات، بالإضافة إلى تحركات الرهبان الشباب الذين أرسلهم إلى الدير (بما في ذلك أبونا متى المسكين وأبونا مكاري السرياني).

المجموعة الثالثة، وربما الأكثر أهمية، تم حفظها من قبل أبونا رافائيل آفامينا (م. ١٩٤٢) الذي شغل منصب شماس البابا كيرلس لمدة خمس سنوات (يناير ١٩٦٤ إلى أغسطس ١٩٦٩) قبل أن يصبح راهبًا في دير مارمينا في الصحراء الغربية، وبعد ذلك أصبح مرشحًا باباويًّا. مثل المجموعات الأخرى، تم إخفاء هذه المصادر فعليًّا - لأسباب مختلفة - لما يقرب من نصف قرن. صرح أبونا رافائيل أنه بعد وفاة البابا كيرلس بفترة وجيزة، زاره العديد من الأديرة، وكذلك الشخصيات القريبة من البطريرك، وجمع هذه الوثائق على مدى عدة سنوات. لسوء الحظ، هناك القليل داخل المجموعات للإشارة إلى مكان العثور على هذه المستندات، على الرغم من أن فحص المرسل إليه والمتلقي غالبًا ما يكون موحيًا. يوضح هذا أيضًا التكرارات التي تم

العثور عليها في المجموعات المختلفة. تم العثور على المجموعة في جزأين: مجموعة أبونا رافائيل الجزء الأول ومجموعة أبونا رافائيل الجزء الثاني. يتضمن كلاهما مئات من الرسائل من المراسلات بين البابا كيرلس والعديد من الشخصيات المهمة، التي يرجع تاريخها إلى الفترة من أبريل ١٩٣٣ إلى يونيو ١٩٧٠، بما في ذلك الرسائل طوال فترة توليه البطريركية، والمراسيم الرسمية والمراسلات الأبوية، والصلوات المكتوبة، وإدخالات اليوميات العرضية. والمدهش أن المجموعة تتضمن أيضًا النسخة الأصلية من السيرة الذاتية للبابا كيرلس والتي لم يتم نشرها حتى الآن إلا في أجزاء صغيرة وغير مكتملة ومنفصلة. بعيدًا عن هذه المواد، احتفظ أبونا رافائيل أيضًا بسبعة عشر مجلدًا من مجلة ميناء الخلاص المكتوبة بخط يد البابا كيرلس من أواخر عشرينات القرن الماضي، تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن أبونا رافائيل طلب أن تظل هذه المجموعات سرية، بخلاف النشر الانتقائي والسياق المحدد.

بالنسبة للسؤال المطروح في المقدمة: كيف ترتبط هذه المصادر الأولية بالسير الذاتية الأولى المعروفة؟ اسمحوا لي أن أجيب بإيجاز شديد: تمكن حنا (والد "رضا") شقيق البابا كيرلس، وأبونا رافائيل من الوصول إلى العديد من هذه الرسائل. يبدو أن كلاً منهم كتب سيرته بعد فحص بعض الرسائل التي بحوزته. تم وصف العديد من هذه المصادر الأولية هنا - مجموعتان من المجموعات المذكورة أعلاه مأخوذة مباشرة من يدي أبونا رافائيل وحنا (عن طريق ابنه رضا). لكن، يجب أن نلاحظ، أن كل واحدة كانت تحتوي على مجموعات متنوعة من الرسائل مستقلة عن الأخرى. لا يسعنا إلا أن نفترض أن حنا يوسف عطا، وهو كاتب السيرة الوحيد الموثوق به لحياة البابا كيرلس قبل البطريركية، اعتمد على هذه الرسائل وذاكرته ومصادر أخرى غير مسماة عندما كتب القسم الأول (السيرة الذاتية الأولية) من ذكريات عن حياة البابا كيرلس السادس، الذي شارك في تأليفه مع أبونا رافائيل آفامينا في أوائل السبعينيات. في مقدمة تلك السيرة الذاتية، ذكر أنه وافق على كتابة القسم الأول أيضًا للتأكيد على

أن حياة أبونا رافائيل ما بعد البطريركية في القسم الثاني كانت دقيقة وموثوقة في رأيه، مما يؤكد أيضًا أن كل مصدر كان متفقًا مع الآخر.

قائمة المراجع

ملحوظة عن المصادر العربية

لقد اخترت في أغلب الأحيان في النص تقديم ترجمات إنجليزية للاقتباسات من المصادر العربية، دون أي ترجمة صوتية. كان هذا ثانويًا بالنسبة لطبيعة السيرة الذاتية للكتاب ولجمهوره الأساسي. عندما يتم توفير الترجمة الصوتية في اقتباس من مصدر عربي، يتم تمثيلها في شكل عام دون علامات التشكيل، للسبب نفسه - أي كما سيتم نطقها في المحادثات اليومية المعاصرة. وبالمثل، في الاستشهادات الببليوغرافية، تُقدم ترجمات إنجليزية للعناوين العربية، دون ترجمة إضافية، مع إلحاق العبارة "[بالعربية]" بالعنوان.

المصادر الأولية

Abdel-Messih, Yassa. "Letter to Mr. Kamel, August 20, 1942" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 357. 1942.

Abdo, Fr Ibrahim. "My Memoirs of 1981." Audio recording. Date unknown.

Adly, Nabil. *Fr Mikhail Dawood's Memoirs with Pope Kyrillos VI* [in Arabic]. Cairo: Egyptian Brothers Press, 1993.

Anonymous. *Archdeacon Iskander Hanna (1880–1944)* [in Arabic]. Nasr, Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, date unknown.

______. "Confrontation with the Man Who Deposed the Pope Fifty Years Ago" [in Arabic]. *Al-Musawwar,* July 4, 2003, 52–54.

______. "Death of the Metropolitan of Giza after Taking Medicine" [in Arabic]. *Al-Ahram,* February 16, 1963.

______. "Excommunication of Priests and Monks" [in Arabic]. *Al-Ahram,* October 17, 1960.

______. "Kyrillos on the Meaning of the Feast" [in Arabic]. *Al-Ahram,* January 1, 1967.

______. "Letter to Monk Pakhoum el-Muharraqi, September 25, 1962" [in Arabic]. In BBG, 1:207.

______. "The *Maglis* Issues a Statement About Its Disagreements with Pope Kyrillos" [in Arabic]. *Al-Ahram,* April 24, 1967.

______. "The Patriarchal Elections" [in Arabic]. *Sunday School Magazine* 11, no. 7 (1957): 13–17.

______. "Pope Kyrillos' Illness: A Statement from the Patriarchate" [in Arabic]. *Al-Ahram,* October 24, 1970.

______. "Serious Rift between Pope Kyrillos VI and the *Maglis*" [in Arabic]. Al-Ahram, April 21, 1967.

______. "Speech of the New Patriarch-Elect" [in Arabic]. *Al-Watani,* April 26, 1959.

Anonymous bishop. "Interview about the Life of Pope Kyrillos." Audio recording. Edited by Daniel Fanous, 2016.

Antonious el-Syriany, Fr. "Letter to Monk Pakhoum el-Muharraqi, September 22, 1962" [in Arabic]. In *BBG*, 1:203.

______. "Letter to Monk Pakhoum el-Muharraqi, September 25, 1962" [in Arabic]. In *BBG,* 1:207–8.

______. "Letter to Monk Pakhoum el-Muharraqi, September 28, 1962" [in Arabic]. In *BBG,* 1:208–9.

______. "Letter to Waheeb Attallah, July 13, 1960" [in Arabic]. In *BBG,* 1:164–65.

______. "Letter to Waheeb Attallah, June, 1960" [in Arabic]. In *BBG,* 1:163–64.

______. "Letter to Waheeb Attallah, September 15, 1956" [in Arabic]. In *BBG,* 1:144–47.

Athanasius, Bishop. "Interview about Pope Kyrillos VI." Audio recording. 1990.

Athanasius, Metropolitan. "Letter to Fr Mina el-Baramousy, December 29, 1943" [in Arabic]. 1943.

______. "Letter to Fr Mina el-Baramousy, March 12, 1945" [in Arabic]. In SSC: Letter 7. Beni Suef, 1945.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, December 17, 1943" [in Arabic]. In RC-2: Letter 1. 1943.

Athanasius, Saint. Letter to Dracontius. In NPNF 2 4:558–560.

______. *Life of Antony.* In NPNF 2 4:194–221.

______. *On the Incarnation.* Translated by a Religious of C.S.M.V. Popular Patristics Series No. 3. Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1996.

Atta, Hanna Youssef. "Letter to Pope Kyrillos VI, June 17, 1968" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 407. Alexandria, 1968.

Atta, Marcos Hanna Youssef. "Personal Correspondence, January 28, 2015." Edited by Daniel Fanous, 2015.

______. "Personal Correspondence, March 5, 2015." Edited by Daniel Fanous, 2015.

Basil the Great. *Letter to Gregory* 2. In NPNF 2 8:110–112.

Budge, E. A. Wallis. *Texts Relating to St Mena of Egypt and Canons of Nicaea: In a Nubian Dialect.* London: Trustees of the British Museum, 1909.

Burmester, O. H. E. *The Egyptian or Coptic Church: A Detailed Description of Her Liturgical Services.* Cairo: Printing Office of the French Institute of Oriental Archaeology, 1967.

Clarke, W. K. Lowther. *The Lausiac History of Palladius.* New York: Macmillan Company, 1918.

Clement of Alexandria. *Stromata.* In Ante-Nicene Fathers, ed. Philip Schaff, vol. 2:299–567. Reprint. Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1999.

Deputy of *maglis al-melli.* "Letter to Pope Kyrillos VI, April 25, 1964" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 372. Cairo, 1964.

Drescher, James. *Apa Mena: A Selection of Coptic Texts Relating to St. Menas. Cairo*: Publications de la Société d'Archéologie Copte, 1946.

El-Gowaily, Galal. "Interview with the Monk That Will Become Patriarch" [in Arabic]. *Al-Ahram*, April 25, 1959.

Gayed, Nazir. "Why We Interfered" [in Arabic]. *Sunday School Magazine 2*, no. 9 (1949): 1–10.

Gregorious, Bishop. "Interview About the Relics of Pope Kyrillos VI." Audio recording. Undated.

Hanna, Ragheb, and Hanna Girgis Saad. "Letter to Pope Kyrillos VI, September 18, 1965" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 368. Cairo, 1965.

Henein, Fr Antonios. "Lecture on Pope Kyrillos VI." Audio recording. Cairo, date unknown.

Hopko, Fr Thomas. "Fifty-Five Maxims for Christian Living." Unpublished, 2008.

Isaac the Syrian, St. *The Ascetical Homilies of St Isaac the Syrian.* Translated by Holy Transfiguration Monastery. Boston: Holy Transfiguration Monastery, 2011.

Jerome. *Letter 14, to Heliodorus.* In NPNF 2 6:13–18.

Kamal, Atef. "An Interview with Pope Shenouda III." Video recording. CYC, undated.

Khalil, Michael. "Interview with Pope Kyrillos" [in Arabic]. *Al-Akhbar*, May 11, 1968.

Kyrillos VI, Pope. "Article Twenty-Nine on Prayer" [in Arabic]. Unpublished, undated.

______. "Letter to Fr Mikhail Undated, 196_" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 148. Cairo, 196_.

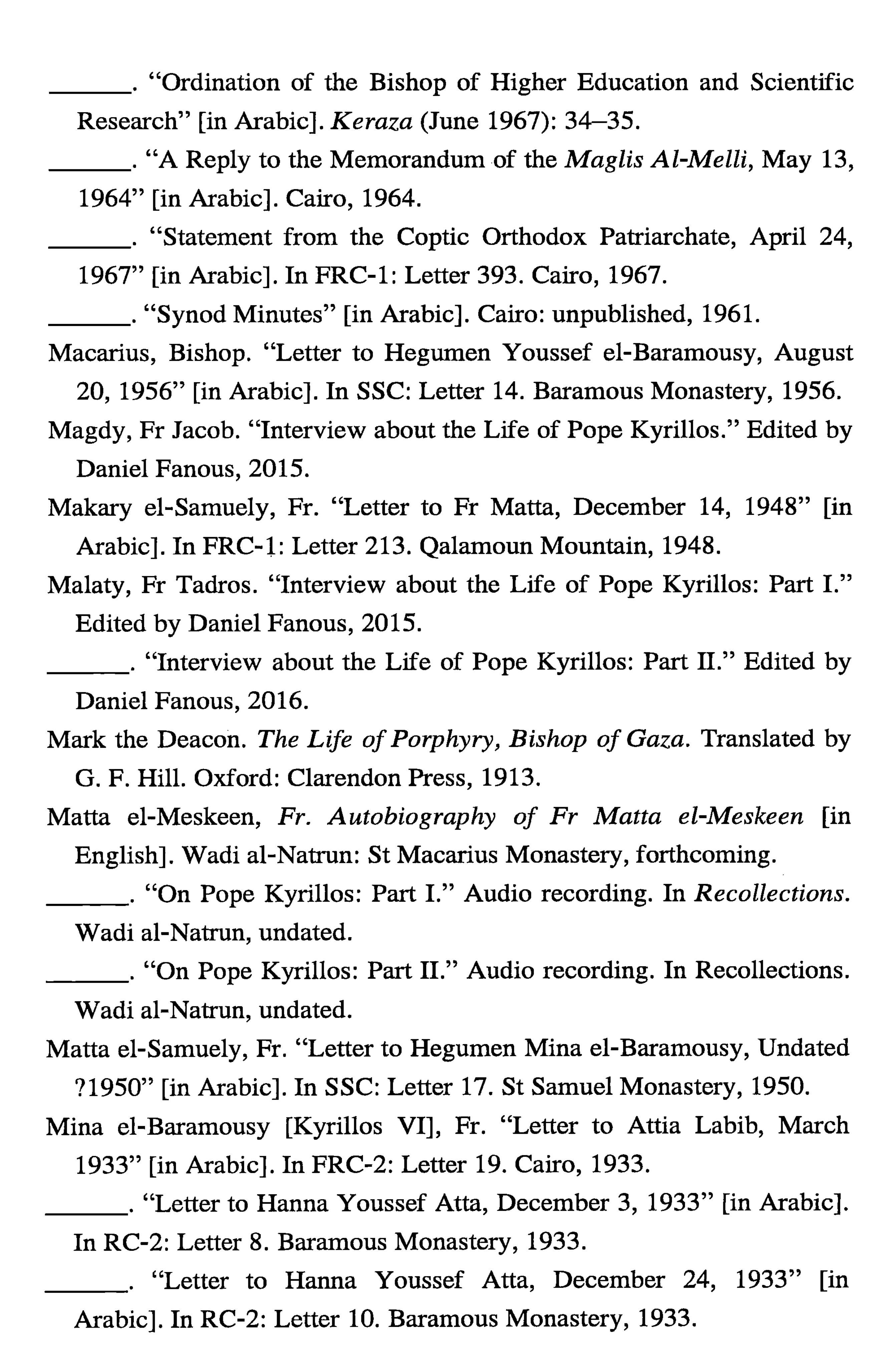
______. "Letter to Fr Mikhail, December 18, 1964" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 47. Cairo, 1964.

______. "Letter to Fr Salib Suryal, February 4, 1967" [in Arabic]. Cairo, 1967.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, December 16, 1964" [in Arabic]. In RC-2: Letter 32. 1964.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, Undated ?1959–1962" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 280. Old Cairo, undated.

______. "Letter to Salama Rizq, August 29, 1962" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 48. Alexandria, 1962.



______. "Ordination of the Bishop of Higher Education and Scientific Research" [in Arabic]. *Keraza* (June 1967): 34–35.

______. "A Reply to the Memorandum of the *Maglis Al-Melli*, May 13, 1964" [in Arabic]. Cairo, 1964.

______. "Statement from the Coptic Orthodox Patriarchate, April 24, 1967" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 393. Cairo, 1967.

______. "Synod Minutes" [in Arabic]. Cairo: unpublished, 1961.

Macarius, Bishop. "Letter to Hegumen Youssef el-Baramousy, August 20, 1956" [in Arabic]. In SSC: Letter 14. Baramous Monastery, 1956.

Magdy, Fr Jacob. "Interview about the Life of Pope Kyrillos." Edited by Daniel Fanous, 2015.

Makary el-Samuely, Fr. "Letter to Fr Matta, December 14, 1948" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 213. Qalamoun Mountain, 1948.

Malaty, Fr Tadros. "Interview about the Life of Pope Kyrillos: Part I." Edited by Daniel Fanous, 2015.

______. "Interview about the Life of Pope Kyrillos: Part II." Edited by Daniel Fanous, 2016.

Mark the Deacon. *The Life of Porphyry, Bishop of Gaza.* Translated by G. F. Hill. Oxford: Clarendon Press, 1913.

Matta el-Meskeen, *Fr. Autobiography of Fr Matta el-Meskeen* [in English]. Wadi al-Natrun: St Macarius Monastery, forthcoming.

______. "On Pope Kyrillos: Part I." Audio recording. In *Recollections.* Wadi al-Natrun, undated.

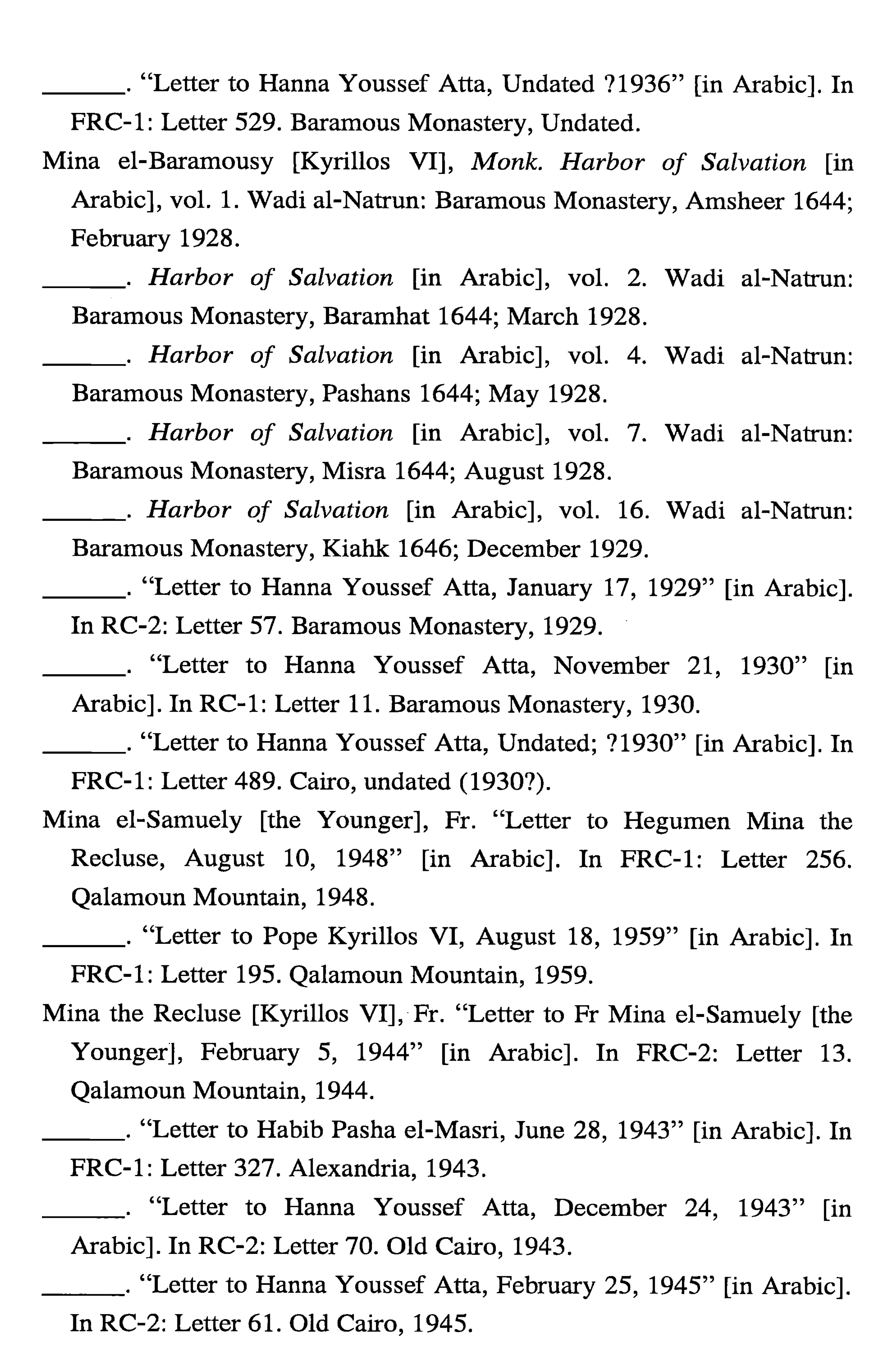
______. "On Pope Kyrillos: Part II." Audio recording. In Recollections. Wadi al-Natrun, undated.

Matta el-Samuely, Fr. "Letter to Hegumen Mina el-Baramousy, Undated ?1950" [in Arabic]. In SSC: Letter 17. St Samuel Monastery, 1950.

Mina el-Baramousy [Kyrillos VI], Fr. "Letter to Attia Labib, March 1933" [in Arabic]. In FRC-2: Letter 19. Cairo, 1933.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, December 3, 1933" [in Arabic]. In RC-2: Letter 8. Baramous Monastery, 1933.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, December 24, 1933" [in Arabic]. In RC-2: Letter 10. Baramous Monastery, 1933.


______. "Letter to Hanna Youssef Atta, Undated ?1936" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 529. Baramous Monastery, Undated.

Mina el-Baramousy [Kyrillos VI], *Monk. Harbor of Salvation* [in Arabic], vol. 1. Wadi al-Natrun: Baramous Monastery, Amsheer 1644; February 1928.

______. *Harbor of Salvation* [in Arabic], vol. 2. Wadi al-Natrun: Baramous Monastery, Baramhat 1644; March 1928.

______. *Harbor of Salvation* [in Arabic], vol. 4. Wadi al-Natrun: Baramous Monastery, Pashans 1644; May 1928.

______. *Harbor of Salvation* [in Arabic], vol. 7. Wadi al-Natrun: Baramous Monastery, Misra 1644; August 1928.

______. *Harbor of Salvation* [in Arabic], vol. 16. Wadi al-Natrun: Baramous Monastery, Kiahk 1646; December 1929.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, January 17, 1929" [in Arabic]. In RC-2: Letter 57. Baramous Monastery, 1929.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, November 21, 1930" [in Arabic]. In RC-1: Letter 11. Baramous Monastery, 1930.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, Undated; ?1930" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 489. Cairo, undated (1930?).

Mina el-Samuely [the Younger], Fr. "Letter to Hegumen Mina the Recluse, August 10, 1948" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 256. Qalamoun Mountain, 1948.

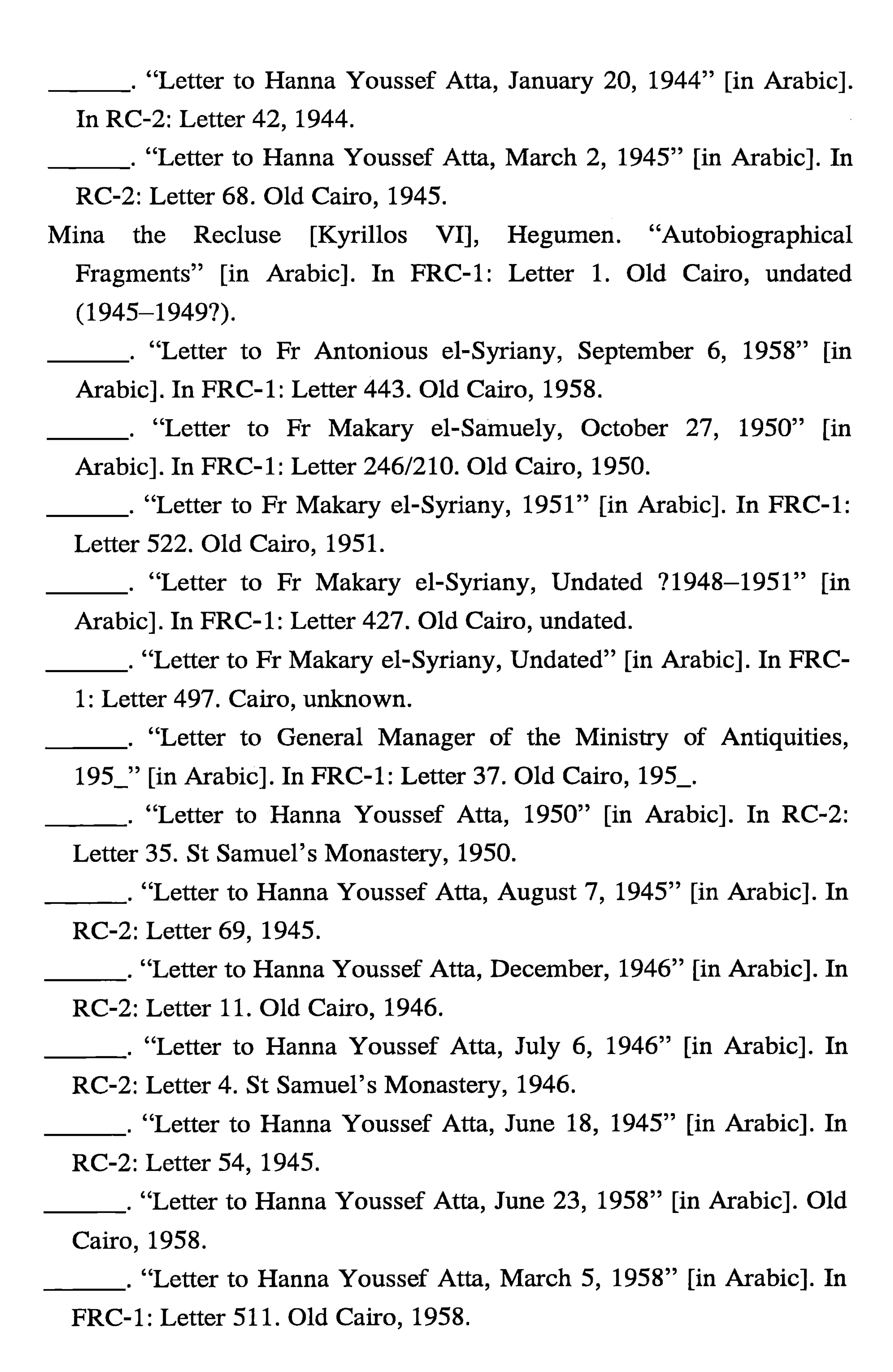
______. "Letter to Pope Kyrillos VI, August 18, 1959" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 195. Qalamoun Mountain, 1959.

Mina the Recluse [Kyrillos VI], Fr. "Letter to Fr Mina el-Samuely [the Younger], February 5, 1944" [in Arabic]. In FRC-2: Letter 13. Qalamoun Mountain, 1944.

______. "Letter to Habib Pasha el-Masri, June 28, 1943" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 327. Alexandria, 1943.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, December 24, 1943" [in Arabic]. In RC-2: Letter 70. Old Cairo, 1943.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, February 25, 1945" [in Arabic]. In RC-2: Letter 61. Old Cairo, 1945.


______. “Letter to Hanna Youssef Atta, January 20, 1944” [in Arabic]. In RC-2: Letter 42, 1944.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, March 2, 1945” [in Arabic]. In RC-2: Letter 68. Old Cairo, 1945.

Mina the Recluse [Kyrillos VI], Hegumen. “Autobiographical Fragments” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 1. Old Cairo, undated (1945–1949?).

______. “Letter to Fr Antonious el-Syriany, September 6, 1958” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 443. Old Cairo, 1958.

______. “Letter to Fr Makary el-Samuely, October 27, 1950” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 246/210. Old Cairo, 1950.

______. “Letter to Fr Makary el-Syriany, 1951” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 522. Old Cairo, 1951.

______. “Letter to Fr Makary el-Syriany, Undated ?1948–1951” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 427. Old Cairo, undated.

______. “Letter to Fr Makary el-Syriany, Undated” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 497. Cairo, unknown.

______. “Letter to General Manager of the Ministry of Antiquities, 195_” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 37. Old Cairo, 195_.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, 1950” [in Arabic]. In RC-2: Letter 35. St Samuel’s Monastery, 1950.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, August 7, 1945” [in Arabic]. In RC-2: Letter 69, 1945.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, December, 1946” [in Arabic]. In RC-2: Letter 11. Old Cairo, 1946.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, July 6, 1946” [in Arabic]. In RC-2: Letter 4. St Samuel’s Monastery, 1946.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, June 18, 1945” [in Arabic]. In RC-2: Letter 54, 1945.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, June 23, 1958” [in Arabic]. Old Cairo, 1958.

______. “Letter to Hanna Youssef Atta, March 5, 1958” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 511. Old Cairo, 1958.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, May 14, 1946" [in Arabic]. In RC-2: Letter 29. St Samuel's Monastery, 1946.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, November 1, 1945" [in Arabic]. In RC-2: Letter 55. Old Cairo, 1945.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, October 11, 1949" [in Arabic]. In RC-2: Letter 14. Old Cairo, 1949.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, September, 1947" [in Arabic]. In RC-2: Letter 12. Old Cairo, 1947.

______. "Letter to Hanna Youssef Atta, Undated March ?1945" [in Arabic]. In RC-2: Letter 30. St Samuel's Monastery, Undated.

______. "Letter to Maglis al-Melli" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 320. Old Cairo, 195_.

______. "Letter to Monk Makary el-Samuely, January 11, 1950" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 438. Old Cairo, 1950.

______. "Letter to Monks at the Monastery of St Samuel, November 11, 1949" [in Arabic]. In SSC: Letter 49. Old Cairo, 1949.

______. "Letter to Monks at the Monastery of St Samuel, Undated" [in Arabic]. Old Cairo, Undated.

______. "Letter to Mounir Shoukry, March 5, 1958" [in Arabic]. Old Cairo, 1958.

______. "Letter to Pope Yusab II, 195_" [in Arabic]. Old Cairo, 195_.

______. "Letter to Syrian Monastery Superintendent, October 7, 1950" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 89. Old Cairo, 1950.

______. "Letter to the Monks at the Monastery of St Samuel, January 7, 1950" [in Arabic]. In FRC-1: Letter 429. Old Cairo, 1950.

Nasser, Abdel Hakim. "Interview About Nasser and Kyrillos VI." Edited by Daniel Fanous, 2017.

"Obituary of Bishop Samuel." *Times of London*, October 12, 1981, 10.

Pachomious, Bishop. "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI." Audio recording. Edited by Daniel Fanous, 2016.

Pakhoum el-Muharraqi, Monk. "Letter to Bishop Shenouda, March 18, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:383–84.

______. "Letter to Bishop Shenouda, March 26, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:388–93.

______. "Letter to Bishop Shenouda, October 2, 1962" [in Arabic]. In *BBG*, 1:217–18.

______. "Letter to Bishop Shenouda, October 5, 1962" [in Arabic]. In *BBG*, 1:219–22.

______. "Letter to Pope Kyrillos VI, May 16, 1964" [in Arabic]. In *BBG*, 1:318–19.

______. "Letter to Pope Kyrillos VI, September 16, 1962" [in Arabic]. In *BBG*, 1:192–93.

Paulinus. *Life of St Ambrose, Bishop of Milan.* Translated by R. J. Deferrari. Pages 33–68 in *Early Christian Biography*, Fathers of the Church Series, vol. 15. Washington, DC: Catholic University of America Press, 1952.

Raphael Ava Mina, Fr. "Interview about the Life of Pope Kyrillos VI." Audio recording. Edited by Daniel Fanous, 2016.

______. "Lecture on the Virtues of Pope Kyrillos." Audio recording. Alexandria: St Menas' Monastery, undated.

______. "My Memories of the Life of Pope Kyrillos VI." Audio recording. St Menas' Monastery, Mareotis: St Menas' Monastery, undated.

______. "Pope Kyrillos VI—Some Misconceptions." Audio recording. In *Liturgy in the Coptic Orthodox Church.* Alexandria, 2015.

Rufinus of Aquileia. *The Church History of Rufinus of Aquileia: Books 10 and 11.* Translated by Philip R. Amidon. Oxford: Oxford University Press, 1997.

Rufus, John. *The Lives of Peter the Iberian, Theodosius of Jerusalem, and the Monk Romanus.* Translated by Cornelia B. Horn and Robert R. Phenix. Atlanta: Society of Biblical Literature, 2008.

Schmemann, Fr Alexander. *The Journals of Fr Alexander Schmemann 1973–1983.* Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2000.

Shehata, Monir Atteya. *BBG* [in Arabic]. Vol. 1 of 3. Cairo: Association of Anba Gregorious, 2005.

Shenouda, Bishop. "Editorial" [in Arabic]. *Keraza* (August 1965): 2.

______. "Letter to Bishop Gregorious, May 12, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:413–15.

______. "Letter to Bishop Gregorious, May 14, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:415–416.

______. "Letter to Bishop Gregorious, May 15, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:417.

______. "Letter to Bishop Gregorious, October 8, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 2:16–17.

______. "Letter to Bishop Gregorious, October 23, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 2:18–19.

______. "Letter to Monk Pakhoum el-Muharraqi, March 22, 1967" [in Arabic]. In *BBG*, 1:384–86.

______. "Letter to Soliman Nessim, November 15, 1967" [in Arabic]. Desert of Scetis, 1967.

______. "An Open Word About the Theological College and Religous Institutes" [in Arabic]. *Keraza* (October 1967): 1–13.

Shenouda III, Pope. *The Release of the Spirit*. Translated by Wedad Abbas. Cairo: COEPA, 1997.

______. "Speech at the First Year Commemoration of Kyrillos VI" [in Arabic]. Cairo, 1972.

______. "Speech at the Funeral of Kyrillos VI" [in Arabic]. Cairo, 1971.

______. "Speech at the Tenth Year Commemoration of Kyrillos VI" [in Arabic]. Cairo, 1981.

Shenouda, Zaki. *My Memories of Pope Kyrillos VI* [in Arabic]. Cairo: Egyptian Brothers Press, 1992.

Shoukry, Mounir. "Letter to Pope Kyrillos VI, June 24, 1959" [in Arabic]. In FRC-2: Letter 65. Alexandria, 1959.

Sidarous, Fr Louka. "Lectures on Pope Kyrillos." Audio recording. Alexandria, undated.

Sulpicius Severus. *On the Life of St. Martin*. In NPNF 2 11:1–17.

Suryal, Fr Salib. "On the 'Takrees' Movement: Part 1." Audio recording. In *Lectures on the History of the Modern Church*. Cairo, 1988.

______. “On the ‘Takrees’ Movement: Part 2.” Audio recording. In *Lectures on the History of the Modern Church.* Cairo, 1988.

______. “Pope Kyrillos VI.” Audio recording. *In Lectures on the History of the Modern Church.* Cairo, 1988.

______. “The Theological College.” Audio recording. In *Lectures on the History of the Modern Church.* Cairo, 1988.

Teaching Staff of the Coptic Studies Institute. “Letter to Kyrillos VI, February 10, 1967” [in Arabic]. In *BBG*, 1:398–99.

Veilleux, Armand. *Pachomian Koinonia.* Vol. 1 of *The Life of St Pachomius and His Disciples.* Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 1980.

Ward, Bendicta. *The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection. Kalamazoo,* MI: Cistercian Publications, 1984.

“A Whisper of Love: Interview with Shenouda III [Video Recording].” CTV, undated.

Yostos, Bishop. “Interview about the Life of Pope Kyrillos VI.” Audio recording. Edited by Daniel Fanous, 2016.

Younan, Fr Antonious. “On Pope Kyrillos VI.” Audio recording. Cairo, date unknown.

Yusab II, Pope. “Letter to Bishop Athanasius and Bishop Macarius, January 26, 1949” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 259. Patriarchate, Cairo, 1949.

______. “Letter to Hegumen Mina el-Baramousy, October 18, 1946” [in Arabic]. In FRC-1: Letter 199. Cairo, 1946.

المصادر الثانوية

Al-Masri, I. H. *The Story of the Coptic Church: 1870–1927* [in Arabic]. Vol. 5. Cairo: Maktabat al-Mahabba, 1986.

______. *The Story of the Coptic Church: 1928–1946* [in Arabic]. Vol. 6. Cairo: Maktabat al-Mahabba, 1988.

______. *The Story of the Coptic Church: 1956–1971* [in Arabic]. Vol. 7. Cairo: Maktabat al-Mahabba, 1988.

______. *The Story of the Copts: The True Story of Christianity in Egypt.* Vol. 2. Newbery Springs, CA: St Anthony Coptic Orthodox Monastery, 1982.

Alfeyev, Hilarion. *The Spiritual World of Isaac the Syrian.* Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 2000.

Anonymous. *Bishop Samuel: Pages from His Life, Service, and Thought* [in Arabic]. Cairo: Antoun Yacoub Michael, 1981.

______. *Early Life of Anba Samuel* [in Arabic]. Giza: Friends of Anba Samuel, 1991.

______. "From the Deserted Windmill of Bonaparte to the Throne of St Mark" [in Arabic]. *Al-Watani*, May 10, 1959.

______. "His Holiness Chairs the *Maglis* Meeting in Alexandria" [in Arabic]. *Al-Ahram,* July 19, 1959.

______. *Life of Fr Benjamin the Hermit* [in Arabic]. Cairo: Publisher and date unknown.

______. "Mina el-Baramousy: The New Patriarch of the Copts" [in Arabic]. *Al-Ahram,* April 20, 1959, 1–3.

______. *The Path of Virtue* [in Arabic]. Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, Undated.

______. *Pope Kyrillos VI: School of Virtue.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, Undated.

______. "Pope Kyrillos: A Miracle Worker for Copts" [in Arabic]. *Rose al-Yusuf,* November 11, 1996.

Ansari, Hamied. "Sectarian Conflict in Egypt and the Political Expediency of Religion." *Middle East Journal 38,* no. 3 (1984): 397–418.

Assad, Maurice M. "The Coptic Church and Social Change." *International Review of Mission 61,* no. 242 (1972): 117–29.

Astell, Ann W. " 'Memoriam Fecit': The Eucharist, Memory, Reform, and Regeneration in Hildegard of Bingen's Scivias and Nicholas of Cusa's Sermons." *In Reassessing Reform: A Historical Investigation into Church Renewal,* edited by Christopher M. Bellitto and David Zachariah Flanagin, 190–213. Washington, DC: Catholic University of America Press, 2012.

Atiya, Aziz Suryal. "Abd al-Masih Salib al-Masudi." In *CE*, 7b.

Atta, Hanna Youssef, and Fr Raphael Ava Mina. *The Life of Pope Kyrillos the Sixth.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 2002.

______. *My Memories about the Life of Pope Kyrillos VI* [in Arabic]. Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1981.

Augustinos el-Baramousy, Fr. *The Baramous Monastery: Past to Present* [in Arabic]. Cairo: Baramous Monastery, 1993.

Ayad, Boulos. "Fr Ibrahim Luka: His Deeds, Program, Struggle for the Renaissance of the Coptic Church and the Christian Unity." *Coptic Church Review 27,* nos. 3 & 4 (2006): 113–18.

Ayalon, Ami. *The Press in the Arab Middle East:* A History. Oxford: Oxford University Press, 1995.

Beadnell, H. J. L. *The Topography and Geology of the Fayum Province of Egypt.* Cairo: National Printing Department, 1905.

Behr-Sigel, Elisabeth. *Lev Gillet: A Monk of the Eastern Church.* Translated by Helen Wright. Oxford: Fellowship of St Alban and St Sergius, 1999.

Bellitto, Christopher M. *Renewing Christianity: A History of Church Reform from Day One to Vatican II.* New York: Paulist Press, 2001.

Bestawros, Adel Azer. "Community Council, Coptic." In *CE*, 580b–82b.

Bocken, Inigo. "Visions of Reform: Lay Piety as a Form of Thinking in Nicholas of Cusa." In *Reassessing Reform: A Historical Investigation into Church Renewal 214–31*. Edited by Christopher M. Bellitto and David Zachariah Flanagin. Washington, DC: Catholic University of America Press, 2012.

Botman, Selma. "The Liberal Age, 1923–1952." In *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century,* edited by M. W. Daly, 285–308. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Brock, S. P. "Early Syrian Asceticism." Numen 20, no. 1 (1973): 1–19.

Brown, Peter. "The Rise and Function of the Holy Man in Late Antiquity." *Journal of Roman Studies* 61 (1971): 80–101.

______. "The Saint as Exemplar in Late Antiquity." *Representations* 1, no. 2 (1983): 1–25.

Browning, Robert. "The 'Low Level' Saint's Life in the Early Byzantine World." In *The Byzantine Saint,* edited by Sergei Hackel, 117–27.. Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2001.

Bullivant, Ronald. "The Visions of the Mother of God at Zeitun." *Eastern Churches Review* 3 (1970–1971): 74–76.

Carter, B. L. *The Copts in Egyptian Politics.* London: Croom Helm, 1986.

Carter, B. L., and Mirrit Boutros Ghali. "Coptic Press." In *CE*, 2010a–13b.

Cherubim, Bishop. *Blessed Servant: Life and Miracles of Bishop Makarios of Qena.* Qena: Coptic Diocese of Qena, Date unknown.

Chesterton, G. K. *St. Thomas Aquinas and St. Francis of Assisi.* San Francisco: Ignatius Press, 2002.

Chiala, Sabino. "The Arabic Version of St Isaac the Syrian: A Channel of Transmission of Syriac Literature." In *St Isaac the Syrian and His Spiritual Legacy.* Edited by Hilarion Alfeyev, 59–68. Yonkers, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2015.

Churchill, Winston S. The Hinge of Fate. Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 1985.

Congar, Yves. "Attitudes Towards Reform in the Church." *CrossCurrents* 1, no. 4 (1951): 80–102.

______. *True and False Reform in the Church.* Minnesota: Liturgical Press, 2011.

Coquin, René-Georges, Maurice Martin, and Peter Grossmann. "Dayr Anba Samu'il of Qalamun." In *CE*, 758a–60b.

Coury, Ralph M. "*Review of Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality.*" *American Historical Review 110,* no. 2 (2005): 591.

Cromer, Evelyn Baring, Earl of. *Modern Egypt.* Vol. 2. New York: Macmillan, 1908.

Crummey, Donald. "Church and Nation: The Ethiopian Orthodox Täwahedo Church." In *The Cambridge History of Christianity: Eastern Christianity,* edited by Michael Angold, 457–87. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.

Daly, M. W. "The British Occupation, 1882–1922." In *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century,* edited by M. W. Daly, 239–51. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

de Certeau, Michel. *The Mystic Fable.* Vol. 1, *The Sixteenth and Seventeenth Centuries.* Chicago: University of Chicago Press, 1992.

Den Heijer, Johannes. "History of the Patriarchs of Alexandria." In *CE,* 1239b–42b.

Denzin, Norman K. *Interpretive Biography.* London: Sage Publications, 1989.

Drijvers, Han J. W. "Hellenistic and Oriental Origins." In *The Byzantine Saint,* edited by Sergei Hackel, 25–33. Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2001.

El-Khawaga, Dina. "The Laity at the Heart of the Coptic Clerical Reform." In *BDC*, 143–67.

Evdokimov, Paul. *The Struggle with God.* Mahwah, NJ: Paulist Press, 1966.

Fakhry, Ahmed. "The Monastery of Kalamoun." *Annales du Service des Antiquités de l'Egypte* 46 (1947): 63–83.

Fanus, N. "Man of Prayer and Goodness" [in Arabic]. *Nahdat al-Kanais* 3 (1966): 85–99.

Fawzi, Mahmud. *Pope Kyrillos and Abdel Nasser* [in Arabic]. Cairo: Al Watan Publishing, 1993.

Gillé, Matthias. *Der koptische Papst Schenuda III: Beobachtungen zu Theologie und Biografie.* Marburg: Tectum Verlag, 2017.

Girguis, Ramzy Wadie. *Pope Kyrillos: The Heavenly Harp.* Translated by Safwat Youssef. Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 2003.

Gordon, Joel. Nasser's *Blessed Movement: Egypt's Free Officers and the July Revolution.* New York: Oxford University Press, 1992.

Gorman, Anthony. *Historians, State, and Politics in Twentieth Century Egypt: Contesting the Nation.* New York: RoutledgeCurzon, 2003.

Gorman, Michael J. *Inhabiting the Cruciform God: Kenosis, Justification, and Theosis in Paul's Narrative Soteriology.* Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2009.

Gorodetzky, Nadejda. *Saint Tikhon of Zadonsk: Inspirer of Dostoevsky.* Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1976.

Gregorious, Bishop. *Muharraq Monastery: History, Description, Content* [in Arabic]. Al-Qusiya: Muharraq Monastery, 1992.

______. "Pope Kyrillos the Sixth" [in Arabic]. *Al-Watani,* March 18, 1990.

Gruber, Mark Francis. "The Monastery as the Nexus of Coptic Cosmology." In *BDC*, 67–81.

______. "Sacrifice in the Desert: An Ethnography of the Coptic Monastery." Ph.D. dissertation, State University of New York at Stony Brook, 1990.

Guirguis, Magdi. *The Emergence of the Modern Coptic Papacy: The Egyptian Church and Its Leadership from the Ottoman Period to the Present.* Cairo: The American University Press in Cairo, 2011.

Habib, Youssef. *Goodbye Pope Kyrillos: Among the Fathers and Leaders* [in Arabic]. 1971.

Hart, David Bentley. *Atheist Delusions: The Christian Revolution and Its Fashionable Enemies.* New Haven: Yale University Press, 2009.

______. *The Hidden and the Manifest: Essays in Theology and Metaphysics.* Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2017.

Harvey, Susan Ashbrook. "Holy Women, Silent Lives: A Review Essay." *St Vladimir's Theological Quarterly* 42, no. 3/4 (1998): 397–403.

Hasan, S. S. *Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality.* New York: Oxford University Press, 2003.

Hatch, William Henry. "A Visit to the Coptic Convents in Nitria." *American School of Oriental Research Annual,* no. 6 (1924): 93–107.

Heardon, Maura. "Lessons from Zeitoun: A Marian Proposal for Christian-Muslim Dialogue." *Journal of Ecumenical Studies* 47, no. 3 (2012): 409–26.

Heikal, Mohamed. *A utumn of Fury: The Assassination of Sadat.* London: Corgi, 1984.

Hilal, Ibrahim. "Malati Sarjiyus." In *CE,* 2096b–97b.

Hulsman, Cornelis. "Reviving an Ancient Faith." *Christianity Today* 45, no. 15 (2001): 38–40.

Ibrahim, Vivian. *The Copts of Egypt: Challenges of Modernization and Identity.* New York: Tauris Academic Studies, 2011.

Ishak, Fayek. "Apparition of the Virgin Mary." In *CE,* 2308b–10a.

Iskander, Elizabeth. *Sectarian Conflict in Egypt: Coptic Media, Identity and Representation.* New York: Routledge, 2012.

James, Laura M. *Nasser at War: Arab Images of the Enemy.* New York: Palgrave Macmillan, 2006.

Kalaitzidis, Pandelis. "Challenges of Renewal and Reformation Facing the Orthodox Church." *The Ecumenical Review* 61, no. 2 (2009): 136–64.

Kepel, Gilles. *Muslim Extremism in Egypt: The Prophet and Pharaoh.* Berkeley, CA: University of California Press, 1985.

Keriakos, Sandrine. "St Marc: Enjeux communautaires et dynamiques politiques." *Conserveries Mémorielles* 14 (2013): 1–58.

Khalil, John. "A Brief History of Coptic Personal Status Law." *Berkeley Journal of Middle Eastern & Islamic Law* 3, no. 1/2 (2010): 81–139.

Kyrillos Ava Mina, Bishop. *The Great Egyptian and Coptic Martyr: The Miraculous St Mina.* Mariout: St Mina Monastery Press, 2005.

Ladner, Gerhart B. *The Idea of Reform: Its Impact on Christian Thought and Action in the Age of the Fathers. Eugene,* OR: Wipf & Stock, 2004.

Leeder, S. H. *Modern Sons of the Pharaohs.* London: Hodder and Stoughton, 1918.

Lloyd-Moffett, Stephen R. *Beauty for Ashes: The Spiritual Transformation of a Modern Greek Community.* Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2009.

Macarius, Bishop. *The Ethiopian Servant of Christ: The Life of Fr Abdel Mesih el-Habashy.* Translated by Michael Cosman. Sydney: St Shenouda's Monastery Press, 2009. First published by Baramous Monastery, 1996.

Makari, Peter E. "Christianity and Islam in Twentieth Century Egypt: Conflict and Cooperation." *International Review of Mission* 89, no. 352 (2000): 88–98.

Massad, Mary. "The Story of the *Misr Newspaper.*" *Watani International,* May 3, 2015.

Matta el-Meskeen, Fr. *Orthodox Prayer Life: The Interior Way. Crestwood,* NY: St Vladimir's Seminary Press, 2003.

McCallum, Fiona. "The Political Role of the Patriarch in the Contemporary Middle East." St Andrews, Scotland: University of St Andrews, 2006.

McDermott, Anthony. *Egypt from Nasser to Mubarak: A Flawed Revolution.* Abingdon, UK: Routledge, 2013.

McDonald, Matthew. "The Nature of Epiphanic Experience." *Journal of Humanistic Psychology* 48, no. 1 (2008): 89–115.

Meinardus, Otto. *Christian Egypt: Faith and Life.* Cairo: The American University in Cairo Press, 1970.

______. *Coptic Saints and Pilgrimages.* Cairo: The American University in Cairo Press, 2002.

______. *The Copts in Jerusalem.* Cairo: Commission on Ecumenical Affairs, 1960.

______. "The Hermits of Wadi Rayan." *Studia Orientalia Christiana* 11 (1966): 295–317.

______. *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts (1961).* Cairo: The American University Press in Cairo, 1961.

______. *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts (1989).* Revised ed. Cairo: The American University Press in Cairo, 1999.

______. *Patriarchen unter Nasser und Sadat.* Hamburg: Deutsche Orient-Institut, 1998.

______. "Review of Albert Gerhards, and Heinzgerd Brakmann, *Die Koptische Kirche. Einführung in das Ägyptische Christentum.*" *Ostkirchliche Studien* 44, no. 2/3 (1995): 212–14.

______. *Two Thousand Years of Coptic Christianity.* Cairo: American University Press in Cairo, 1999.

Merkley, Paul Charles. *Christian Attitudes to the State of Israel.* Montreal: McGill-Queen's University Press, 2001.

Mettaous, Bishop. *The Sublime Life of Monasticism.* Putty, Australia: Saint Shenouda Monastery Press, 2005.

Meyendorff, John. *Orthodoxy and Catholicity.* Lanham: Sheed and Ward, 1966.

Mikhail, Maged S. A. "Matta al-Maskin." In *The Orthodox Christian World,* edited by Augustine Casiday, 359–65. Abingdon, UK: Routledge, 2012.

Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers.* Oxford: Oxford University Press, 1993.

Morton, H. V. *Through Lands of the Bible.* London: Dodd, Mead & Company, 1938.

Nasim, Sulayman. "Habib Jirjis." In *CE,* 1189a–89b.

Nasr, Amir. *Readings in the Life of Abouna Mina el-Baramousy the Recluse* [in Arabic]. Cairo: Al-Nesr Press, 1996.

Nasser, Tahia Gamal Abdel Nasser. *Nasser: My Husband.* Cairo: The American University in Cairo Press, 2013.

Nelson, Cynthia. “The Virgin of Zeitoun.” *Worldview* 16, no. 9 (September 1973): 5–11.

Nisan, Mordechai. *Minorities in the Middle East: A History of Struggle and Self-Expression.* Jefferson, NC: McFarland, 2002.

Nutting, Anthony. *Nasser.* London: Constable & Robinson Limited, 1972.

O’Leary, De Lacy. *The Saints of Egypt.* New York: Macmillan, 1937.

O’Mahony, Anthony. “Coptic Christianity in Modern Egypt.” In *The Cambridge History of Christianity: Eastern Christianity,* edited by Michael Angold, 488–510. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.

Pennington, J. D. “The Copts in Modern Egypt.” *Middle Eastern Studies* 18, no. 2 (April 1982): 158–79.

Plekon, Michael. *Hidden Holiness.* Notre Dame, IN: Notre Dame University Press, 2009.

Raphael Ava Mina, Fr. *Christian Behaviour: According to the St Pope Kyrillos the Sixth.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 2000.

______. *The Fruits of Love.* Cairo: Saint Mina Monastery Press, 1999.

______. *The Miracles of Pope Kyrillos VI.* Volume 1. Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1983.

______. *The Miracles of Pope Kyrillos VI.* Volume 2. Sydney: Coptic Orthodox Publication and Translation, 1990.

______. *The Miracles of Pope Kyrillos VI.* Volume 3. Sydney: Coptic Orthodox Publication and Translation, 1992.

______. *The Miracles of Pope Kyrillos VI* [in Arabic]. Vol. 9. Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1989.

______. *My Memories about the Life of Pope Kyrillos VI: Part 2* [in Arabic]. Shoubra: Sons of Pope Kyrillos, 1985.

______. *Pope Kyrillos VI and the Spiritual Leadership.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1977.

______. *Service and Humility in the Life of Pope Kyrillos VI.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1999.

______. *A Stream of Comfort.* Cairo: Sons of Pope Kyrillos VI, 1989.

Rapp, Claudia. "'For Next to God, You Are My Salvation': Reflections on the Rise of the Holy Man in Late Antiquity." In *The Cult of Saints in Late Antiquity and the Middle Ages: Essays on the Contribution of Peter Brown,* edited by James Howard-Johnston and Paul Antony Hayward, 63–82. New York: Oxford University Press, 1999.

______. *Holy Bishops in Late Antiquity.* Berkeley, CA: University of California Press, 2005.

Reid, Donald. *Whose Pharaohs? Archaeology, Museums, and Egyptian National Identity from Napoleon to World War I.* Berkeley, CA: University of California Press, 2002.

Reiss, Wolfram. *Erneuerung in der Koptisch-Orthodoxen Kirche: Die Geschichte der Koptisch-Orthodoxen Sonntagsschulbewegung und die Aufnahme ihrer Reformansätze in den Erneuerungsbewegunen der Koptisch-Orthodoxen Kirche der Gegenwart.* Hamburg: Lit Verlag, 1998.

Rousseau, Philip. "The Spiritual Authority of the 'Monk Bishop': Eastern Elements in Some Western Hagiography of the Fourth and Fifth Centuries." *Journal of Theological Studies* 23, no. 2 (1971): 380–419.

Roussillon, Alain. "Republican Egypt Interpreted: Revolution and Beyond." In *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the End of the Twentieth Century.* Edited by M. W. Daly, 334–93. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Rubenson, Samuel. "Matta el-Meskeen." In *Key Theological Thinkers: From Modern to Postmodern,* edited by Staale Johannes Kristiansen and Svein Rise, 415–25. Surrey: Ashgate, 2013.

______. "Tradition and Renewal in Coptic Theology." In *BDC,* 35–51.

Samaan el-Syriany, Fr. *The Hermit Fathers.* Translated by Lisa Agaiby and Mary Girgis. Sydney: St Shenouda Monastery Press, 1993.

Samuel Tawadros el-Syriany, Fr. *The History of the Popes of the Chair of Alexandria, 1809–1971* [in Arabic]. Cairo: Hijazi Press, 1977.

Schmemann, Fr Alexander. *The Eucharist: Sacrament of the Kingdom.* Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 1988.

Sedra, Paul. "Review of *Christians versus Muslims in Modern Egypt: The Century-Long Struggle for Coptic Equality.*" *Middle East Journal* 58, no. 3 (2004): 510–11.

______. "Class Cleavages and Ethnic Conflict: Coptic Christian Communities in Modern Egyptian Politics." *Islam and Christian-Muslim Relations* 10, no. 2 (July 1999): 219–35.

Seikaly, Samir. "Coptic Communal Reform: 1860–1914." *Middle Eastern Studies* 6, no. 3 (1970): 247–75.

Serapion, Bishop. "Choosing the Patriarch: Lessons from the History of Our Glorious Church." Los Angeles, 2012.

Shehata, Monir Atteya. *Religious Education and the Clerical College and the Church's Sunday School* [in Arabic]. Cairo: Association of Anba Gregorious, 2005.

Sheldrake, Philip. "Christian Spirituality as a Way of Living Publicly: A Dialectic of Mystical and Prophetic." *Spiritus* 3, no. 1 (2003): 19–37.

Shenoda, Anthony. "Cultivating a Mystery: Miracles and a Coptic Moral Imaginary." Dissertation, Harvard University, 2010.

Shenouda III, Pope. *A Model of Service: The Life of Hegumen Mikhail Ibrahim* [in Arabic]. Cairo: Patriarchate, 1977.

______. "Our Teacher Archdeacon Habib Girgis: Pioneer of Religious Education in Modern Times" [in Arabic]. *Al-Watani,* August 18, 1991.

Shoukry, Mounir. "John XIX." In *CE*, 1351a–51b.

______. "Yusab II." In *CE*, 2363b–64a.

Sisters of Abu Sefein. *Abu Sefein: Biography and History of the Convent* [in Arabic]. Old Cairo: Abu Sefein Convent, 1989.

Skedros, James. "Hagiography and Devotion to the Saints." In *The Orthodox Christian World,* edited by Augustine Casiday, 442–52. Abingdon, UK: Routledge, 2012.

Sladen, Douglas. *Egypt and the English.* London: Hurst and Blacket Limited, 1908.

Soliman, William. "Hegumen Matta el-Meskeen" [in Arabic]. *Sunday School Magazine* 8/9 (1955): 27–42.

Sozomen. *Ecclesiastical History*. In NPNF 2 2:179–427.

Sterk, Andrea. *Renouncing the World Yet Leading the Church: The Monk-Bishop in Late Antiquity*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2004.

Strauss, Anselm *Mirrors and Masks: The Search for Identity*. Cambridge: Cambridge University Press, 1959.

Sundkler, Bengt, and Christopher Steed. *A History of the Church in Africa*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

Suriel, Bishop. *Habib Girgis: Coptic Orthodox Educator and a Light in the Darkness*. Yonkers, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2017.

______. "Habib Girgis: Coptic Orthodox Educator and a Light in the Darkness." Dissertation, Fordham University, 2010.

Swanson, Mark N. *The Coptic Papacy in Islamic Egypt*. Cairo: American University Press in Cairo, 2010.

Tadros, Mariz. "Vicissitudes in the Entente between the Coptic Orthodox Church and the State in Egypt (1952–2007)." *International Journal of Middle East Studies* 41, no. 2 (2009): 269–87.

Tadros, Samuel. *Motherland Lost: The Egyptian and Coptic Quest for Modernity*. Stanford, CA: Hoover Institution Press, 2013.

Thompson, Jason. *A History of Egypt: From Earliest Times to the Present*. Cairo: American University in Cairo Press, 2008.

Tignor, Robert L. *Egypt: A Short History*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010.

Tischendorf, Constantin von. *Travels in the East*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

Vatikiotis, P. J. *The History of Egypt: From Muhammad Ali to Mubarak*. 3rd ed. Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1985.

______. *Nasser and His Generation*. London: Croom Helm, 1978.

Vlachos, Hierotheos. *Orthodox Psychotherapy: The Science of the Fathers*. Translated by Esther Williams. Levadia, Greece: Birth of the Theotokos Monastery, 1994.

Van Doorn-Harder, Nelly. *Contemporary Coptic Nuns*. Columbia: University of South Carolina Press, 1995.

______. "Copts: Fully Egyptian, but for a Tattoo?" In *Nationalism and Minority: Identities in Islamic Societies,* edited by Maya Shatzmiller, 22–57. Montreal: McGill-Queen's University Press, 2005.

______. *The Emergence of the Modern Coptic Papacy: The Egyptian Church and Its Leadership from the Ottoman Period to the Present.* Cairo: The American University Press in Cairo, 2011.

______. "Kyrillos VI (1902–1971): Planner, Patriarch and Saint." In *BDC*, 231–42.

______. "Practical and Mystical: Patriarch Kyrillos VI (1959–1971)." *Currents in Theology and Mission* 33, no. 3 (2006): 223–32.

Van Doorn-Harder, Nelly, and Kari Vogt, editors. *Between Desert and City: The Coptic Orthodox Church Today.* Eugene, OR: Wipf & Stock, 2012.

Voile, Brigitte. *Les Coptes d'Égypte sous Nasser: Saintété, Miracles, Apparitions.* Paris: CNRS Éditions, 2004.

Wakin, Edward. *A Lonely Minority: The Modern Story of Egypt's Copts.* New York: William Morrow & Company, 1963.

Ware, Kallistos. *The Orthodox Way.* Crestwood, NY: St Vladimir's Seminary Press, 2003.

Watson, John H. "Abba Kyrillos: Patriarch and Solitary." *Coptic Church Review* 17, no. 1 & 2 (1996): 4–48.

______. "Abouna Matta el-Meskeen: Contemporary Desert Mystic." *Coptic Church Review* 27, no. 3 & 4 (2006): 66–92.

______. *Among the Copts. Brighton,* UK: Sussex Academic Press, 2000.

______. "The Ethiopian Servant of Christ: Abuna Abdel Mesih el-Habashy." *Coptic Church Review* 27, no. 2 (Summer 2006): 34–57.

______. "Signposts to Biography—Pope Shenouda III." In *BDC*, 243–53.

Wellard, James. *Desert Pilgrimage: A Journey into Christian Egypt.* London: Hutchinson & Co., 1970.

Yanney, Rudolph. "Light in the Darkness: The Life of Habib Girgis (1876–1951)." *Coptic Church Review* 5, no. 2 (Summer 1984): 47–52.

______. "Pope Cyril (Kyrillos) VI and the Liturgical Revival in the Coptic Church." *Coptic Church Review* 4, no. 1 (Spring 1983): 32–33.

______. "Saint Sarabamon: Bishop of Menoufia." *Coptic Church Review* 8, no. 4 (1987): 109–13.

Zaklama, Nashaat. *The Spiritual Life and Pastoral Message of Pope Kyrillos VI* [in Arabic]. Two volumes. Cairo: Sons of the Evangelist, 2007.

Zeidan, David. "The Copts—Equal, Protected or Persecuted? The Impact of Islamization on Muslim-Christian Relations in Modern Egypt." *Islam and Christian-Muslim Relations* 10, no. 1 (1999): 53–67.

ملحق الصور

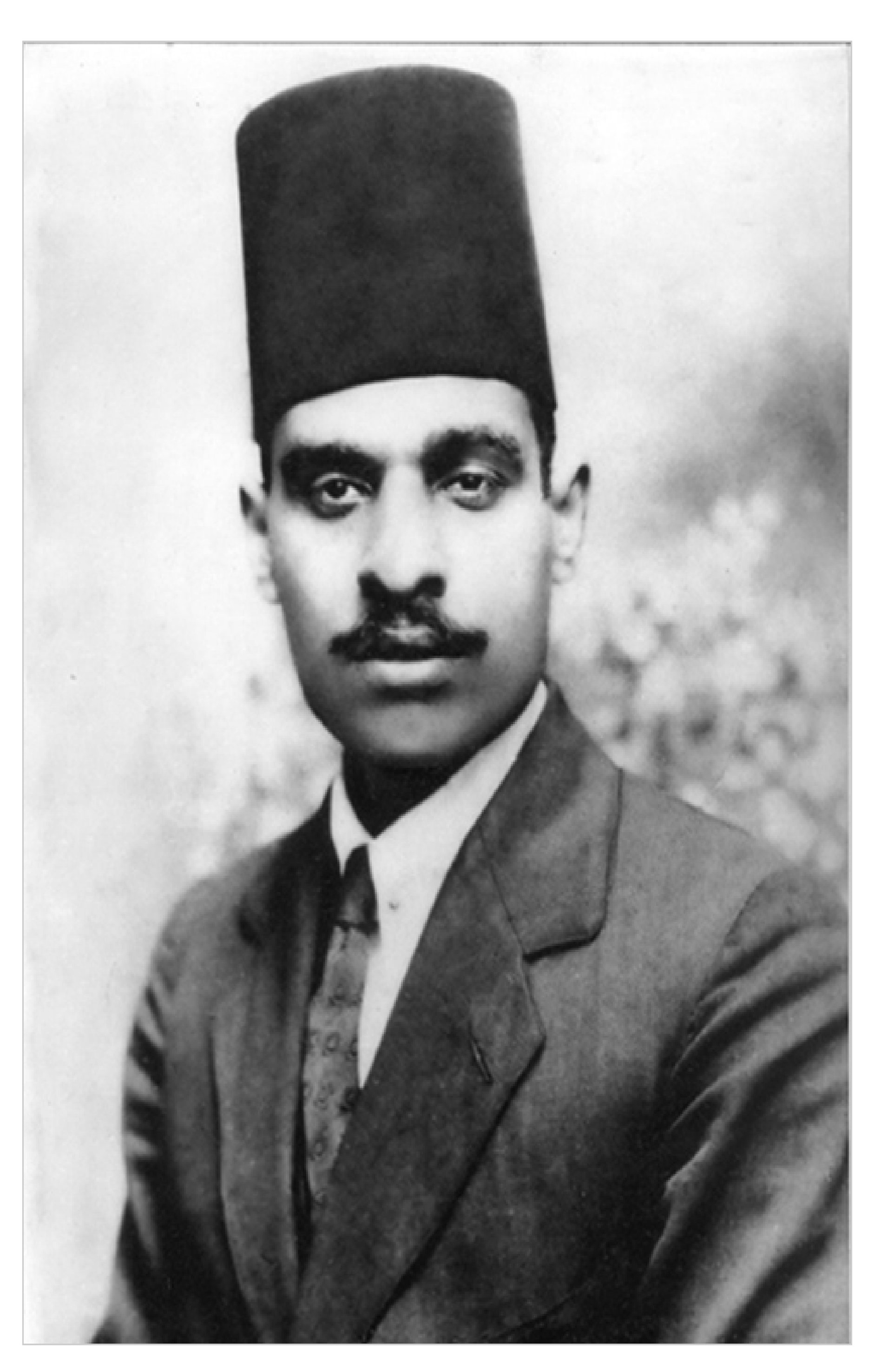


Figure 1
Azer Youssef Atta



Figure 2
Youssef Atta

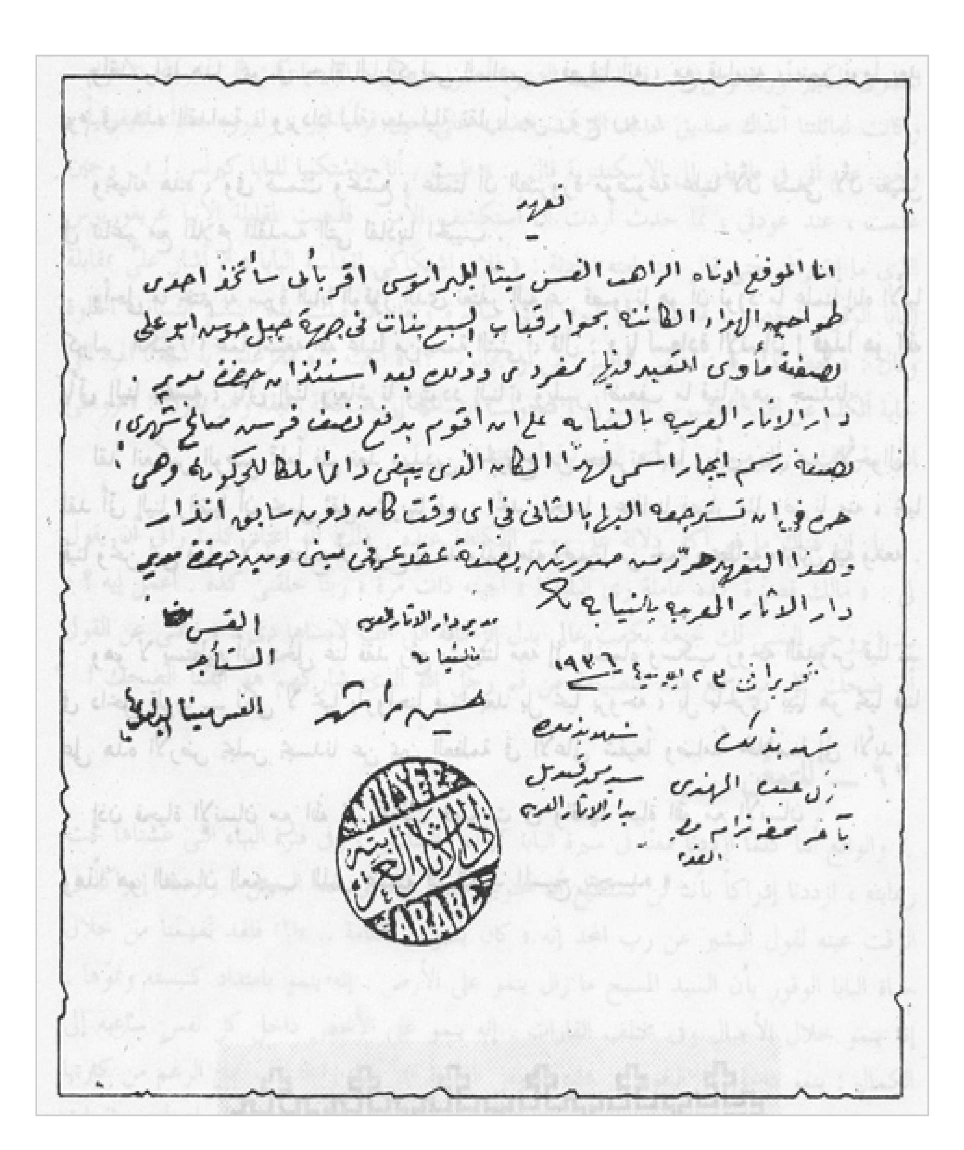


Figure 3
Hanna Youssef Atta

CERTIFICATE OF IDENTITY
Calling (

No.
Name
Birth
Residence
Age
Height

Figure 4
National ID Card, 1925



تعهد

انا الموقع ادناه الراهب القس مينا البرامـوسي اقر بأني سآخذ احدى
طواحين الهواء الكائنة بجوار قباب السبع بنات في جبانة جبل موشى ابو علي
بصفة مأوى للتعبد فيها منفرداً وذلك بعد استئذان حضرة مدير
دار الآثار العربية بالنيابة على ان اقوم بدفع نصف قرش صاغ شهرياً
بصفة رسم ايجار اسمي لهذا المكان الذي يبقى دائماً ملكاً للحكومة وهي
حرة في ان تسترجعه البرج بالثاني في اي وقت كان دون سابق انذار
وهذا التعهد حرر منه صورتين بصفة عقد عرفي بيني وبين حضرة مدير
دار الآثار العربية بالنيابة

مدير دار الآثار العربية بالنيابة

القس المستأجر

القس مينا البرموسي

تحريراً في ٢٣ يونيو ١٩٣٦

شهد بذلك

Figure 5
Lease of the Windmill, June 23, 1936



Figure 6
Windmill Diagram



Figure 7
Father Mina at the Windmill, 1936



Figure 8
Father Mina as an Urban Monastic

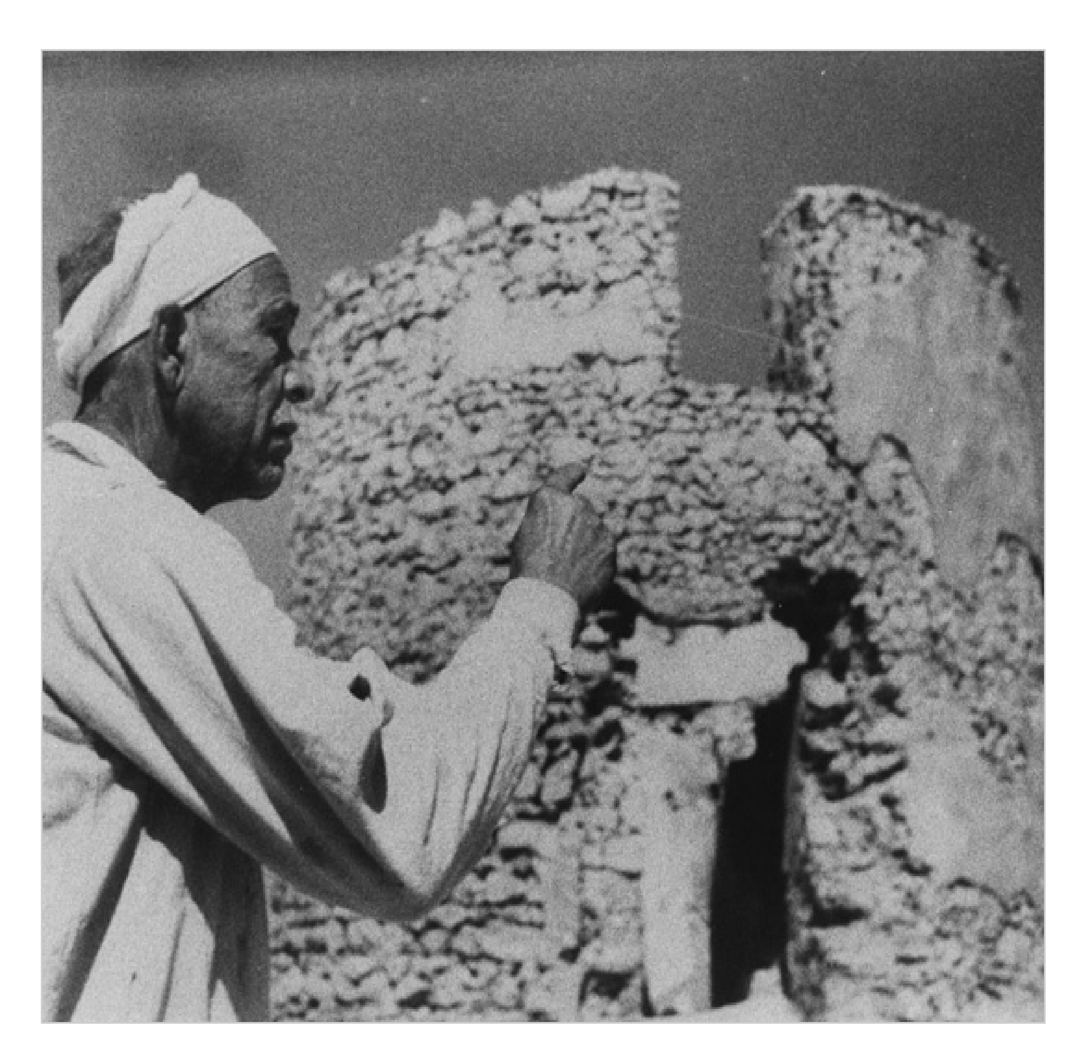


Figure 9
The Windmill on the outskirts of Old Cairo



Figure 10
The Ruins of the Windmills

Figure 11

First Page of Father Mina’s Unfinished Autobiography

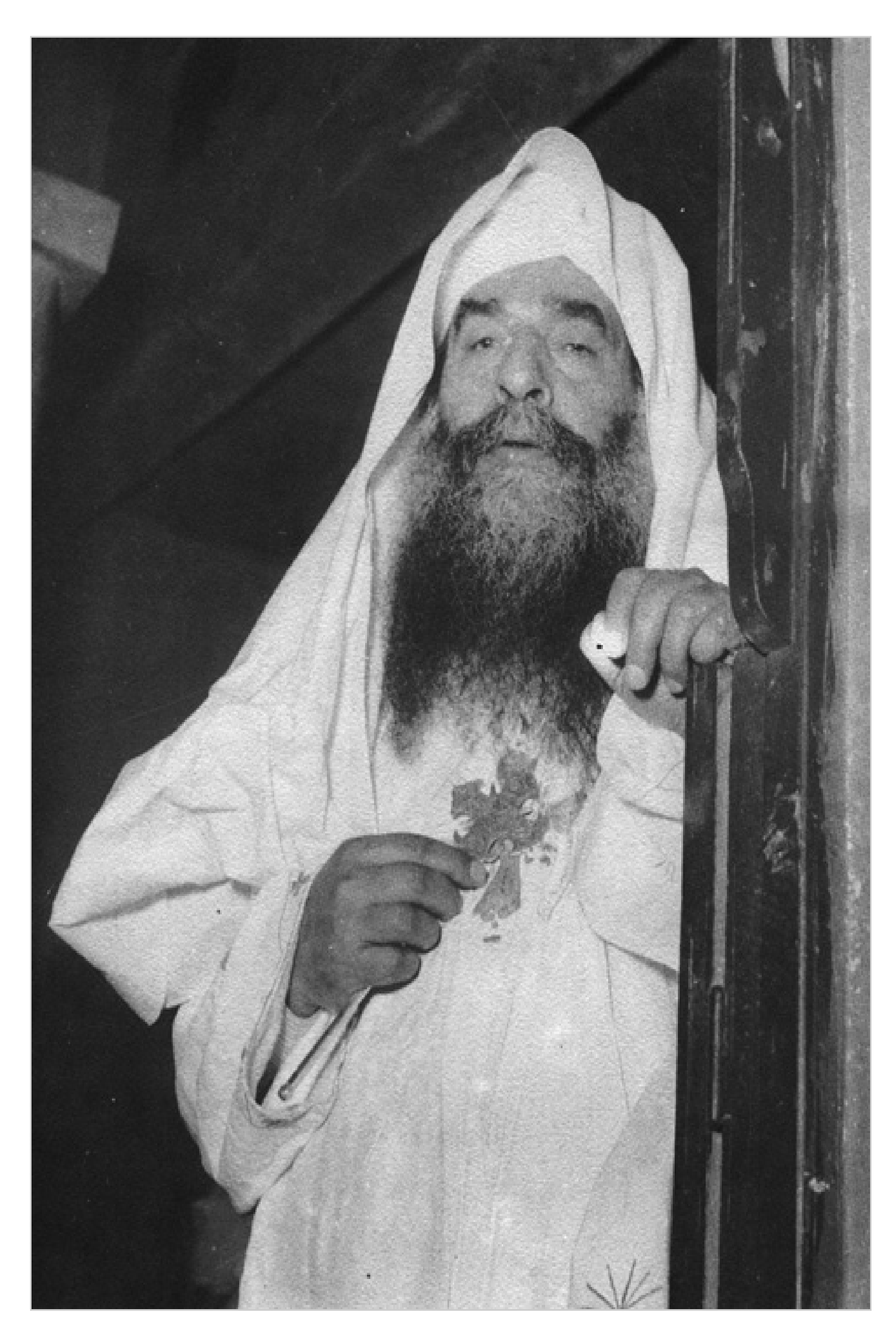


Figure 12
Father Mina in Old Cairo on hearing the news of the Altar Ballot

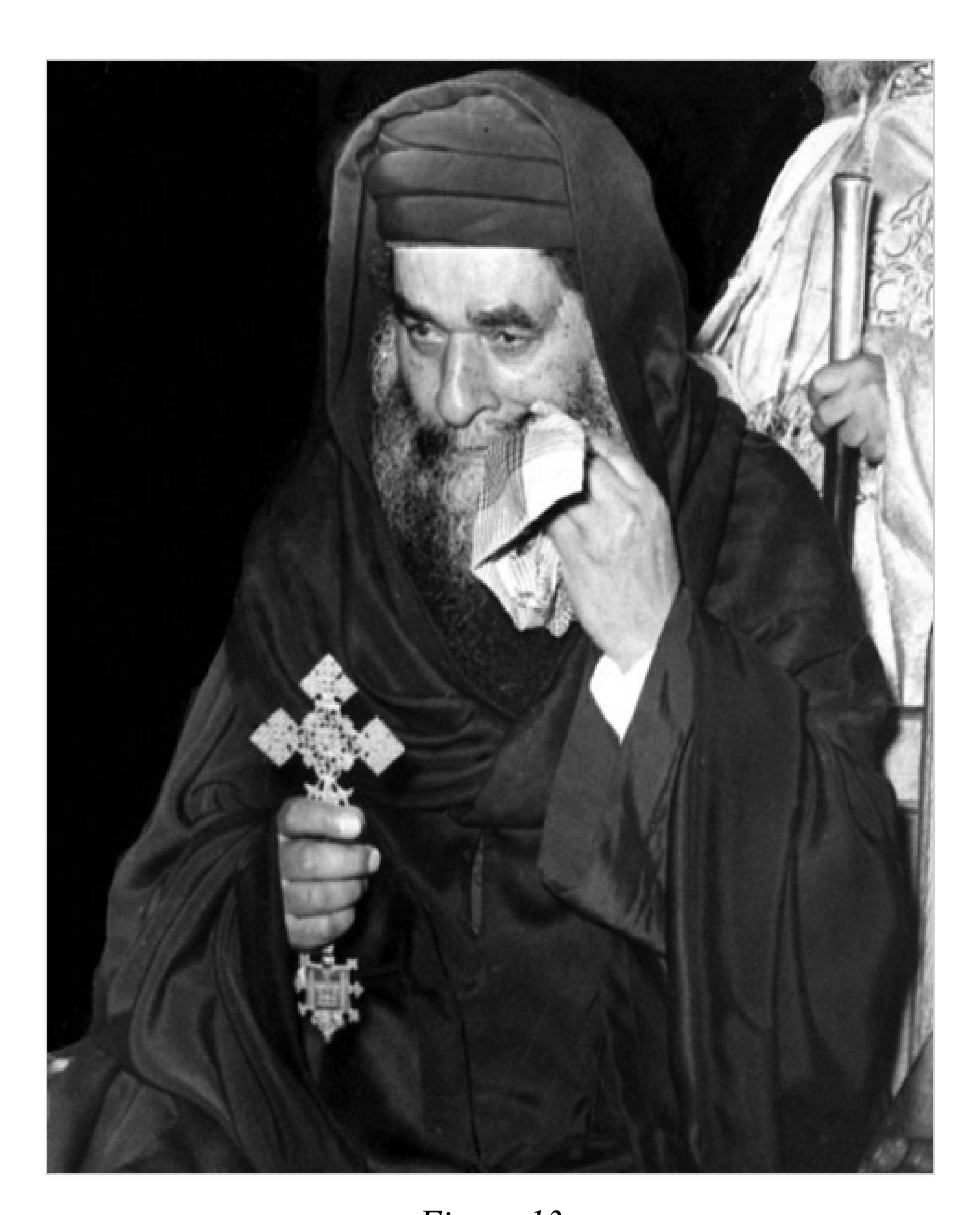


Figure 13
After the Altar Ballot



Figure 14
Ordination, being lead into the Cathedral next to his brother, Hanna



Figure 15
Ordination



Figure 16
Ordination

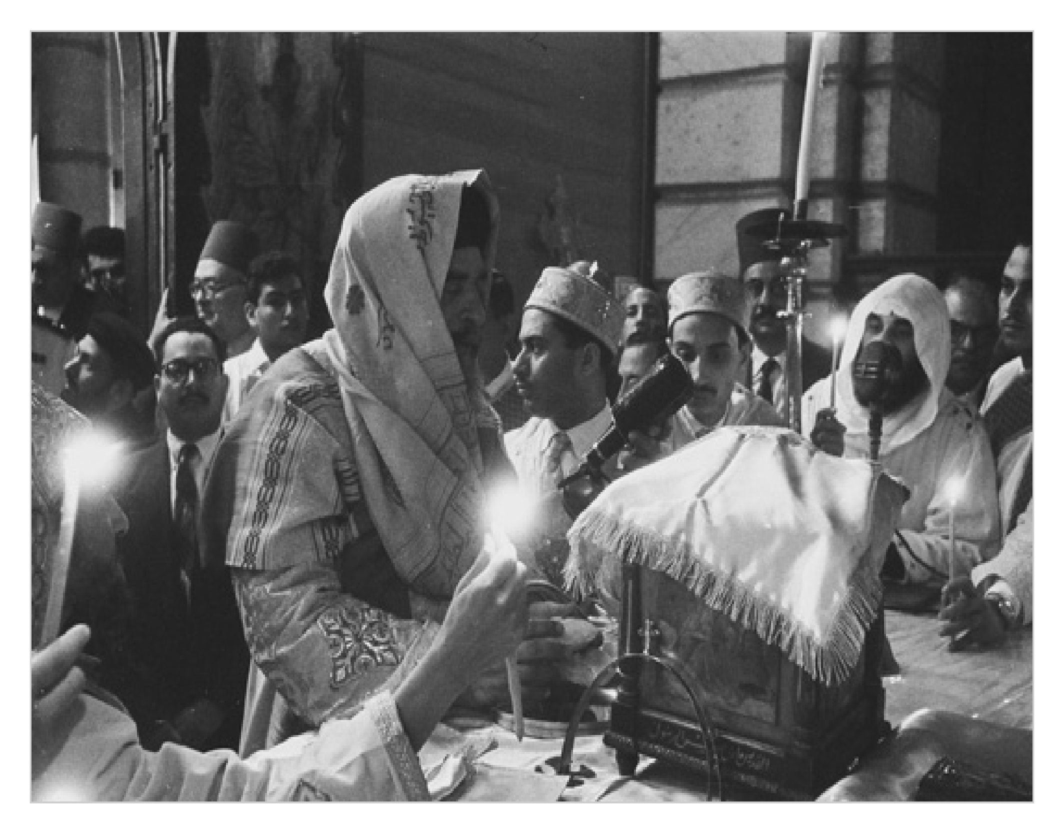


Figure 17a
Ordination, during the Liturgy he returned to his simple vestments



Figure 17b
Ordination



Figure 18
Ordination, Weeping during the consecration

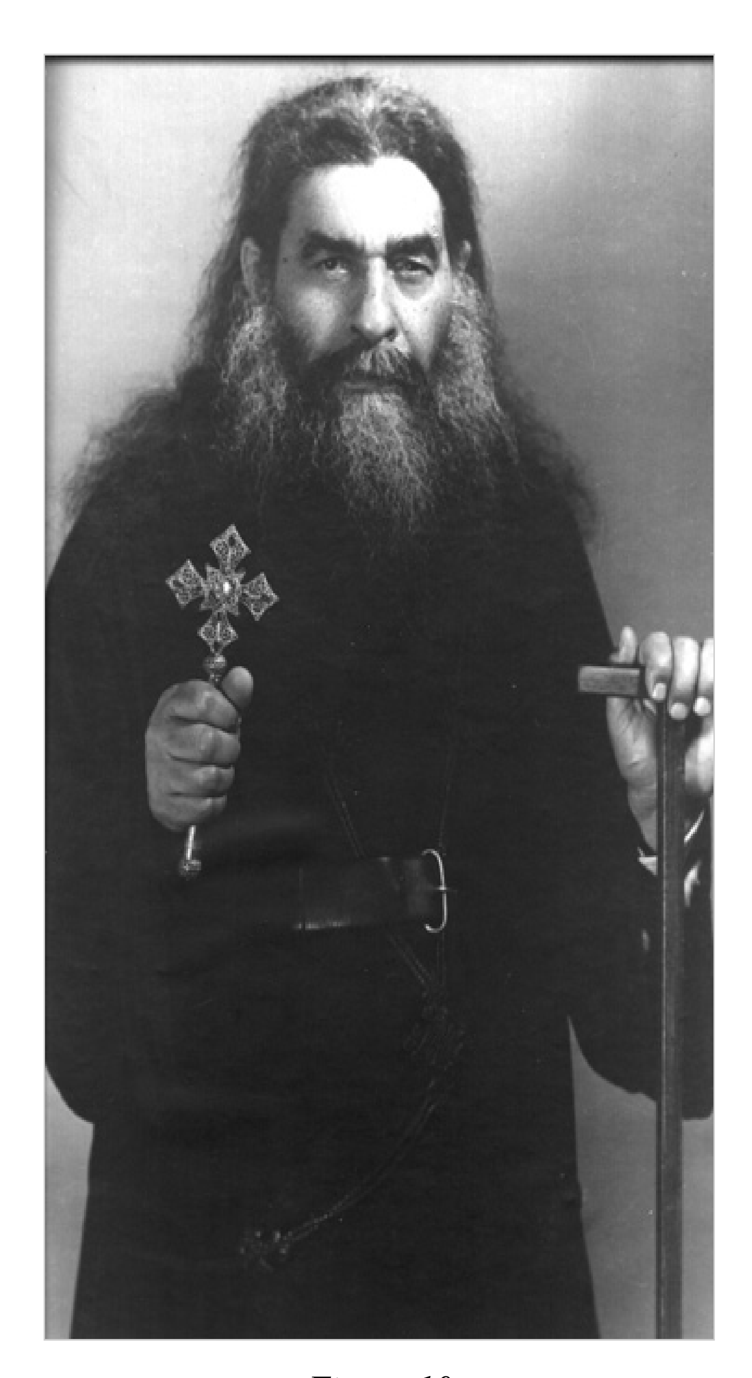


Figure 19
A rare photograph, as Patriarch, without his shawl



Figure 20
Visit to Abu Mena, Mariout, in 1959 to consecrate the site for St Menas' Monastery



Figure 21
Praying for the sick; October 5, 1959

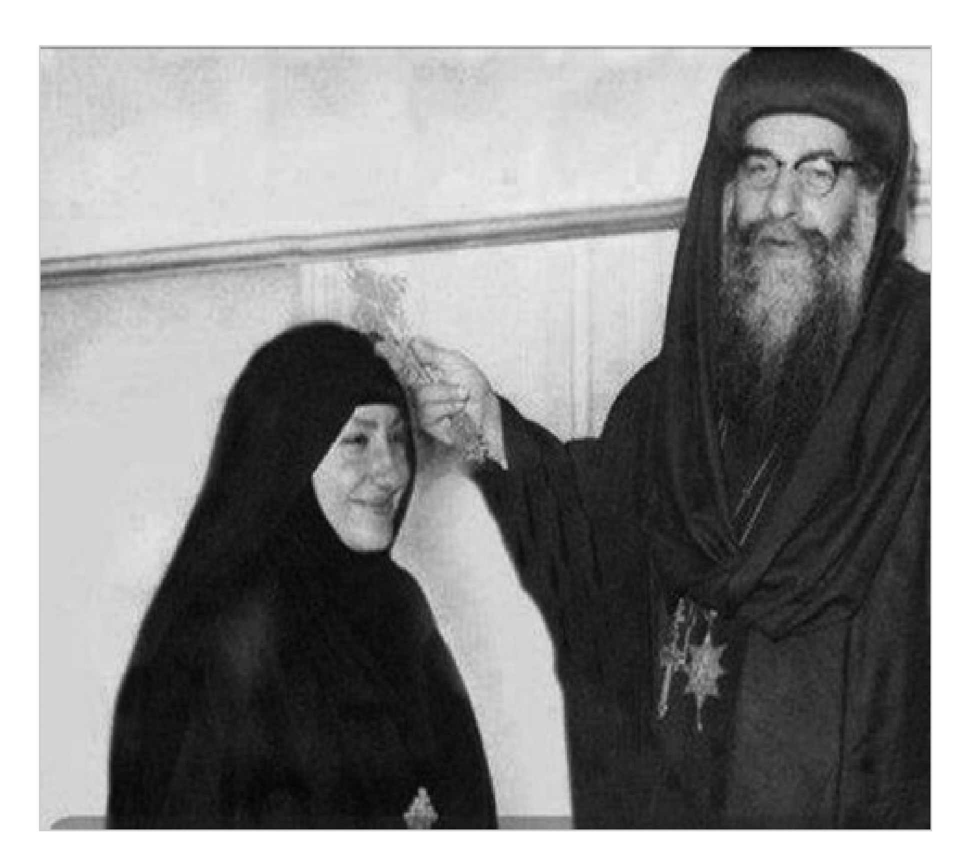


Figure 22
With Mother (Tamav) Irini

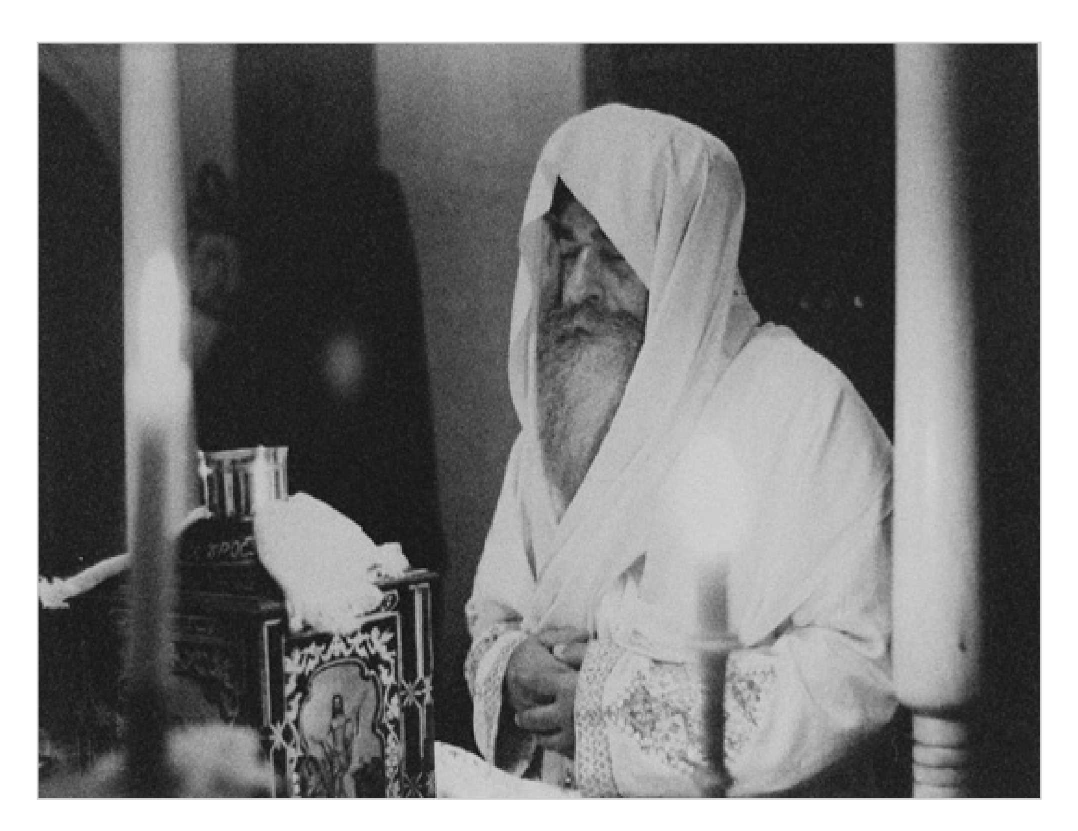


Figure 23
Returning to pray in his Church in Old Cairo

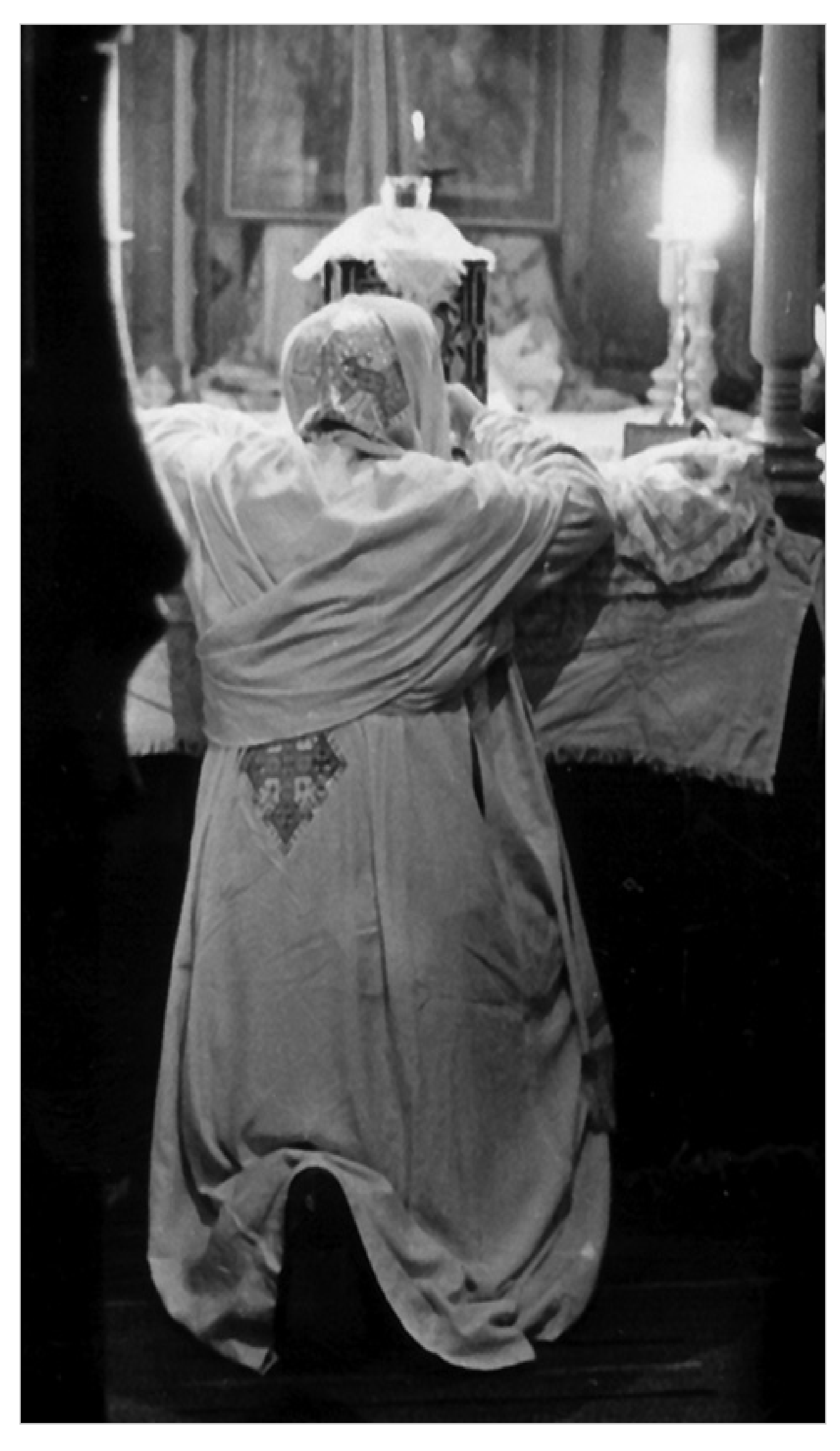


Figure 24
Returning to pray in his Church in Old Cairo



Figure 25
With Eastern Orthodox Heirarchs



Figure 26
Kyrillos in his characteristic posture when not celebrating the Liturgy of the Eucharist

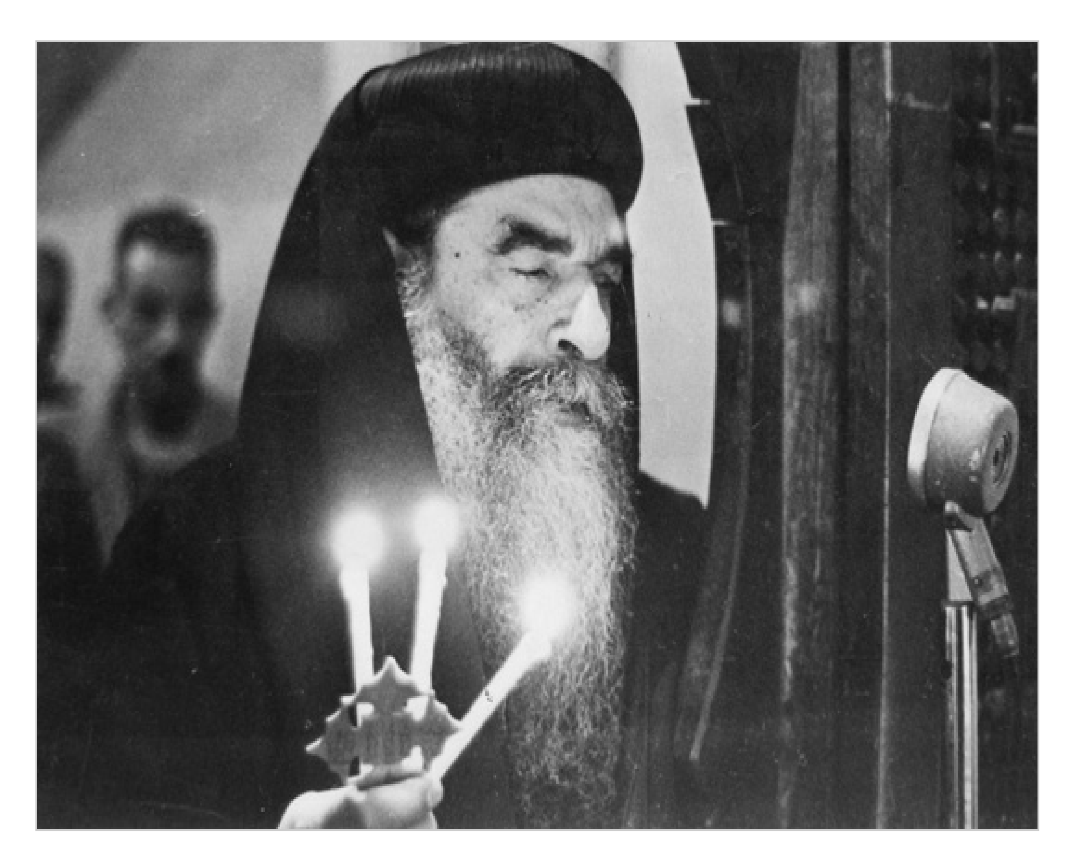


Figure 27
Kyrillos praying Matins



Figure 28
Kyrillos in Ethiopia



Figure 29
With Eastern Orthodox Bishops



Figure 30
Ordination of Bishop Shenouda and Bishop Samuel, September 30, 1962



Figure 31
Kyrillos Visiting President Gamal Abdel Nasser in his home

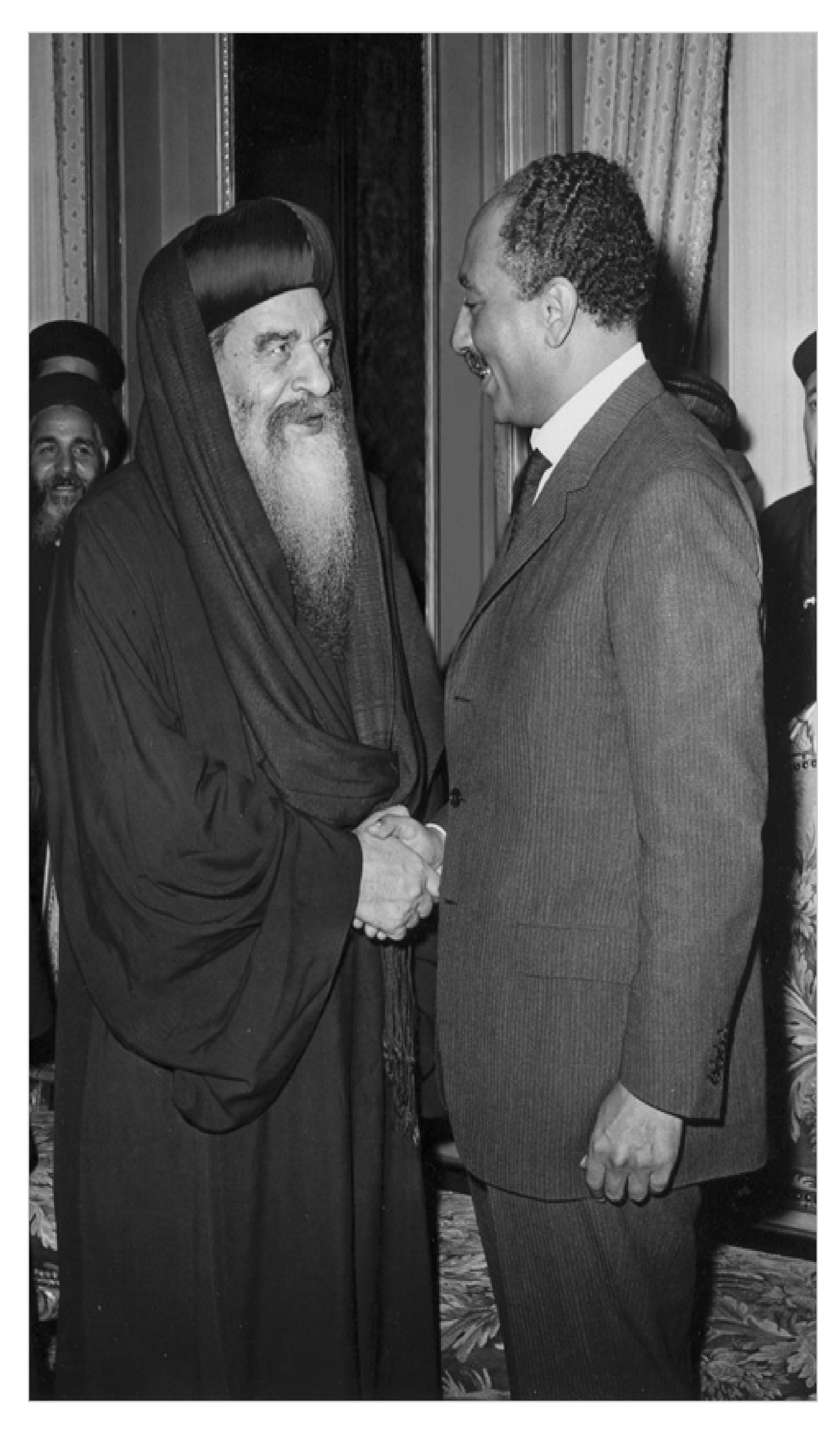


Figure 32
Kyrillos with Anwar Sadat (future President of Egypt)



Figure 33
Kyrillos with Sheikh Hassan Mamoun of al-Azhar



Figure 34
Preparing the Holy Myron (Chrism) 1967



Figure 35
Kyrillos with Roman Catholic clergy



Figure 36
Bishop Shenouda (Left); Bishop Gregorious (Center); Bishop Domadius (Right)



Figure 37
Receiving Relics of Saint Mark from the Vatican, June 25, 1968



Figure 38
Inaugural Liturgy at the New Cathedral, June 25, 1968



Figure 39
Return of Bishop Shenouda from suspension, June 25, 1968

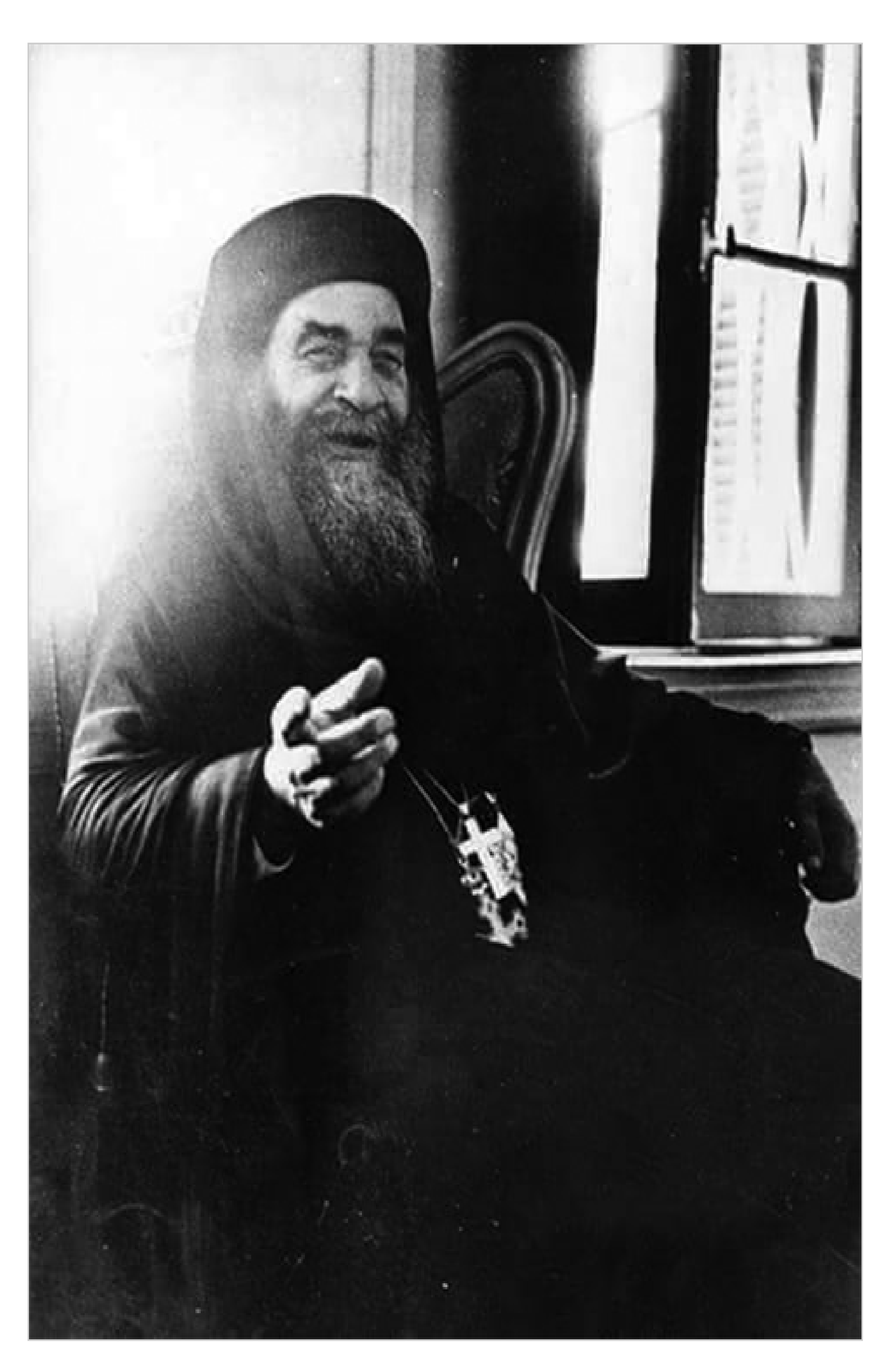


Figure 40
Kyrillos being suprised by the photographer

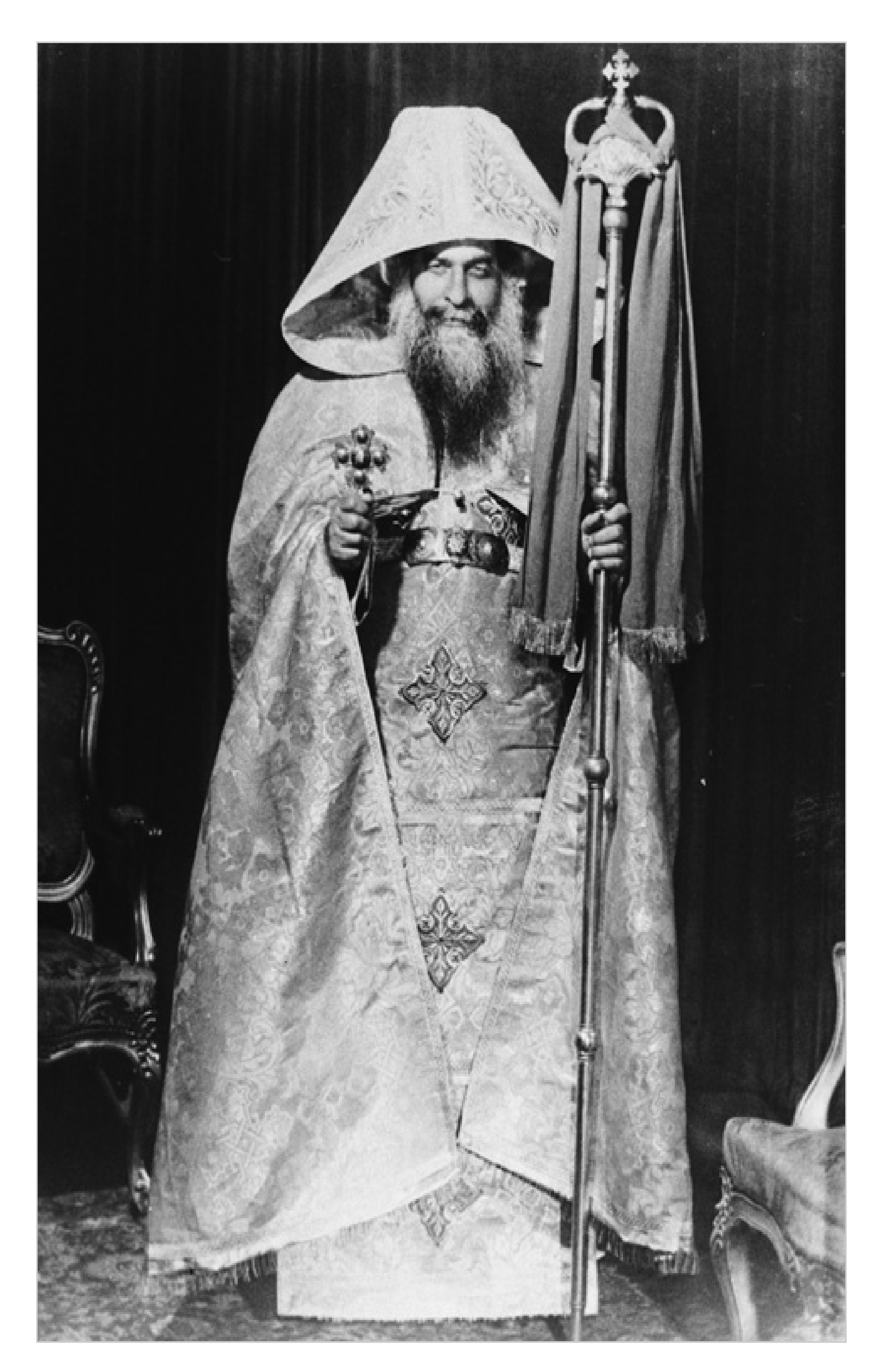


Figure 41
Kyrillos in his rare patriarchal vestments



Figure 42
Opening the cathedral June 25, 1968

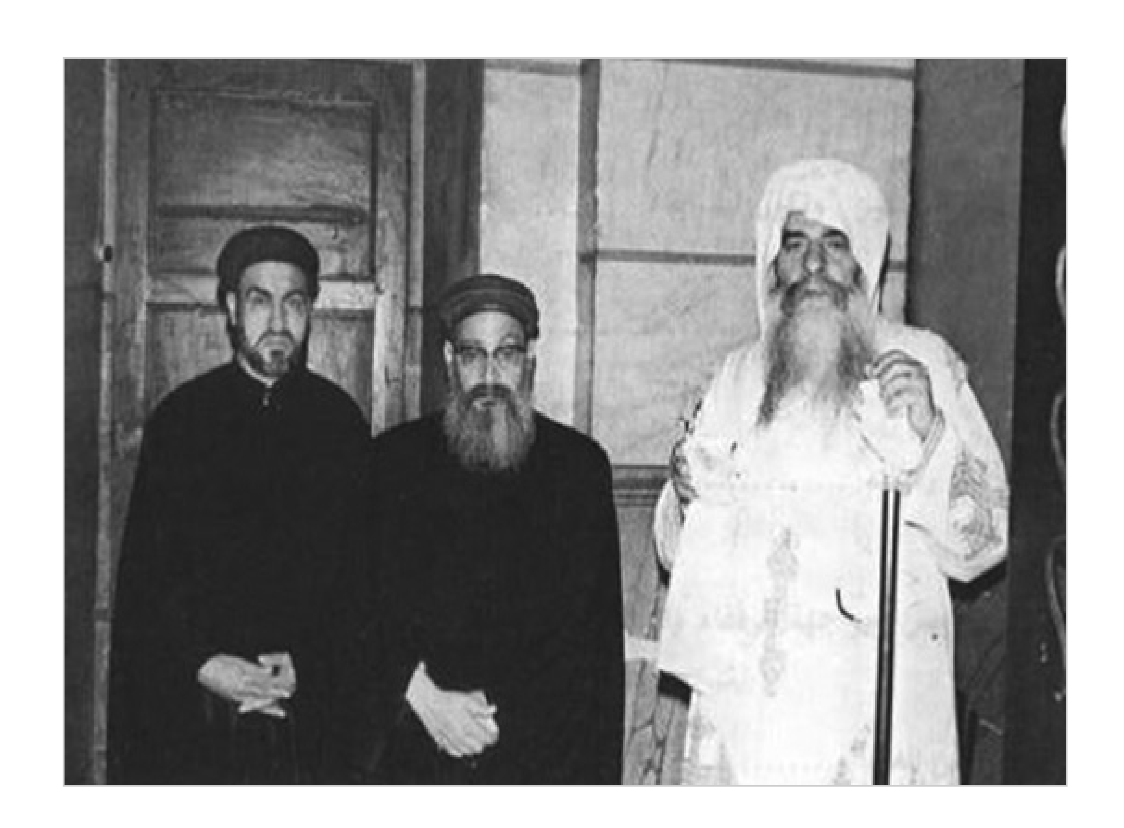


Figure 43
Kyrillos (Right) with Father Matta el-Meskeen (Center) and Salib Suryal (Left) during their reconciliation, May 9, 1969

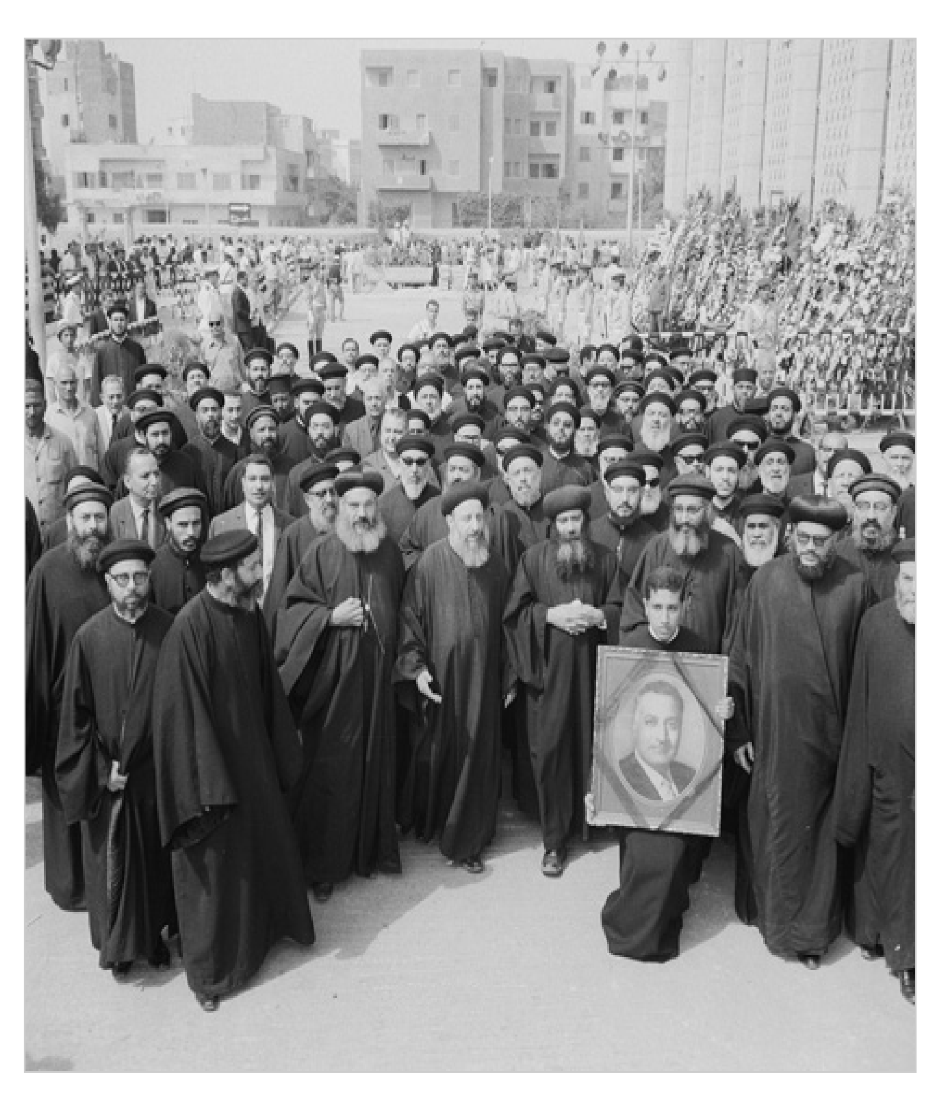


Figure 44
The Coptic delegation at Gamal Abdel Nasser's Funeral; Bishops Gregorious, Shenouda and Samuel at front centre; September 28, 1970



Figure 45
Kyrillos’ in his final years



Figure 46
Repose of Kyrillos VI, March 9, 1971

محتويات الكتاب